

كتاب

نخبة الزائر

في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر

الجزء الاول

سيرته السيفية

قال ابو تمام

مِنَ النَّاسِ مَيِّتٌ وَهُوَ حَيٌّ بِذِكْرِهِ * وَحَيٌّ سَلِيمٌ وَهُوَ فِي النَّاسِ مَيِّتٌ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بالمطبعة التجارية - غزنو زوي وجاويش - بالاسكندرية

سنة ١٩٠٣

obeykandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احاط بكل شيء علما . وانفذ في كل مخلوق قضاء ازليا وحكما .
 له الملك الذي ليس له ابتداء . ولا ملده وأمه انقطاع وانتهاء . وله الخلق والامر
 ويده النفع والضر . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الناهض باعباء الرسالة .
 ومالك ازمة المجد والجلالة قائد جيوش النبوة . وعاقده لواء البسالة والفتوة . وعلى
 آله واصحابه الذين اتبعوه فيما شرعه وسنه . وناضلوا من حاد عن سنته بالسيوف
 والاسنة . وبذلوا نفيس الانفس في محبته . ومن اقتفى آثارهم في نصرة دينه فمن
 امته . الى يوم الدين آمين . (اما بعد) فيقول الفقير الى مولاه الغني . ❖ محمد ابن
 الامير عبد القادر الحسيني ❖ . سدد الله عمله . وبلغه ما رامه وامله . بينما شمس سماء
 سيادتنا في افق المغرب الأوسط طالعة . واشعة انوارها على رياض اقطاره ساطعة .
 وربوعنا باهل الفضل مغمورة . وقصادنا بانواع المواهب مغمورة . اذ فاجأتنا طوارق
 الدهر . وجاءتنا جنود فرانس من البحر كالدر . فطعننا ندافع عن الوطن بكل حمية .
 وبذل النفوس في حماية سكانه من كل بلية . واتصلت بيننا حروب للظهور قاصمة .
 واعرى الحزم والعزم فاصمة . ثم كثرونا بالخييل والرجل . وساورونا في الحزن
 والسهل . فقابلنا اعمالهم بالمثل . حتي استولى على قلوب الرعية الاضطراب . واستحكم
 الوهن فيها يتمكن الاسباب . ولقي ريمنا اعصارا . واشرب صفونا اكدارا .
 وثم امور تشيب الوليد * وترجع بالاشيب القهقرا
 ومع ذلك لم نترك المداخلة الى انقضاء المدة . واستكمال الامارة من ايامها العدة . فاحاطت بنا
 جيوش تعدوا وتناوش . من دولتي فرانس ومراكش . والله في خلقه علم الغيب . وليس في الغلب
 بعد بذل الوسع عيب . ومن شان الدوائر ان تدور . ولا بد من اعتراء الخسف للبدور .
 وفي السماء نجوم لا عداد لها * وليس يكسف الا الشمس والقمر
 ولما اراد الله تعالى ان لا تثبت في وجوههم . ولا تقوم بدمع صدماتهم وهجومهم . راينا التسليم

الافكار اولى . وان النصر ليس الا بيد المولى . فالتقينا السلاح للفرنساوين بشروط
مقررة . وعهود بيننا محررة . وبالقدر فارقتا البلاد . وارتحلنا عن محل الطارف
والبلاد . فعبثت بها ايدي النواذب . ورشقتها الحزن بالسهام الصوائب . وغودرت
منازلها صماء عمياء . وصودرت معاقليها بداهية دهما . وامست من كرام اهلها خالية .
واصبحت عاطلة بعد ان كانت حالية . وانمحت رسوم ذلك القطر العزيز وانتشرت .
وانقصمت عقود ابامه وانتشرت . ولا غرو فان الدهر ذو غير . وكل شيء بقضاء وقدر .
هذا الذي سبق القضاء به * والدهر بين الناس ذو دول
فلبننا في فرانس خمسة اعوام . صابرين على القدر صبرا الكرام . نستجيز من الحكومة سالف عهدنا .
وتترقب منها وفاء وعدها . الى ان سالك الله بنا لنجاة منهجا . وجعل لنا من امرنا فرجا وتخرجا .
ومن علينا بالانطلاق من ذلك الاعتقال . والانتقال على مطايا الراحة مع الصبح والاكل .
لا تياسن من انفراج شديدة * قد تجلي الغمرات وهي شدائد

ثم خرجنا من فرانس ممتطين غارب البحر الى ان وصلنا اسلا مبول المحمية . دار السعادة
ومقر الخلافة الاسلامية . فمكثنا بها سبعة ايام . لا زالت منها للخاص والعام . وتشرف
سيدي الوالد بقبالة حضرة ساكن الجبان . مولانا (السلطان الغازي عبد المجيد خان) . فخلع
عليه خلع اللطف والاحسان . ثم توجهنا الى بروسة بقصد الإقامة . فاقمنا بها عامين وستة اشهر
في عز وكرامة . وكان سبب خروجنا منها زلزلة عظيمة . مست اهلها بمصائب جسيمة . فيممتنا
البلاد الشامية . ونزلنا بالديار الدمشقية . والقينا فيها عصا الترحال . وحللتنا عقدة
الرحال . فائزين بكمال التبجيل والاحترام . حائزين اعلا منزلة وارقي مقام . ملحوظين
بانظار الدولة العلية . مشمولين بصنوف مواهبها السنية . لا يتقدم علينا احد في المحافل .
ولا يرد وارد قبلنا للمناهل . منزلنا ملجأ للعموم . ومنجأ لكل مظلوم . فيه الري لكل
صادي . سواء العاكف فيه والبادي . ومع ما انا فيه من السرور . وكمال العز والحبور .
كان يغلب علي في اغلب الاحيان . تذكر الأهل والاطوان . فتتحرك مني السواكن .
وتنبعث منها الاشواق الكوامن . سيما اذا مررت بنظري ووق . واومضت من ناحية المغرب بروق
ذاك الزمان هو الزمان وغيره * لافرق بين فنائه ووجوده

وما عسى ان اذكر في اقليم وقع علي فضله الاتفاق . وحاز قصب السبق على غيره
بالاستحقاق . فهيئات ان تنقطع له مني المدائح . ولو قطعت تغريدها الحمام الصواح .
فان شوقي اليه شوق البلبل الى الورد . وامرؤ القيس الى الابلق الفرد .



لا الجزع يسليني ولا وادي الغضا * عنها ولا نجد ولا الدهناء
لا رامة رومي ولا حزو ولا * وادي النقا والخيف والخلصاء
كيف لا وهي كما قيل .

بلاد بها ميطت على ثمائي * واول ارض مس جلدي تراها
وعن سيد ولد عدنان . حب الوطن من الايمان . وقالوا يحن الليب الى وطنه .
كما يحن النجيب الى عطنه . وقيل لبعض الحكماء بم يعرف وفاء الرجل وزمام عهده
قال بحبيته الى اوطانه . وتشوقه الى اخوانه . وكانت ترد علينا بعض الوفود .
فيذكرونا بسالف العهود . ثم نتجاذب أعة الحديث . وناخذ في القديم منها والحديث .
فتوءدبنا المناسبة الى ذكر احوال سيدي الوالد . الصافية موارد بره للصادر والوارد .
ناصر الدين . امير الغزاة والمجاهدين

اذا قيل سميه اقول مكنيا * هو الغاية القصوى هو الالة الكبرى
فكنت اخبرهم عما وقع له من الوقائع الجسيمة . والحروب الهائلة العظيمة . التي
عرف بين الناس قدرها . واشتهر على الالسة ذكرها .

وسارت مسير الشمس في كل بلدة * وهبت حبوب الريح في البر والبحر
وكثيراً ما كنت أحدثهم عنها بما يستغرب ويستبدع . ويحفظ في خزانة النفوس
ويستودع . مما يرقص الجماد منه طرباً . ويقضي السامع من غرائبه عجباً . فيشنفون
بذلك مسامعهم . ويعطرون به محافلهم ومجامعهم . يرتاحون اليه ارياح الكريم الى
الوفود . ويتعطشون اليه تعطش الصادي الى الورود . ويودون تدوينه في كتاب .
ليبقى ثابتاً مدى الازمان والاحقاب . يبلغه الشاهد للغائب . ويسير ذكره في المشارق
والمغرب . فيتلقاه بحسن القبول من كان الادب مطمح نظره . ويرويه رواية الحديث
الصحيح من رام ان يقبض قبضة من اثره . فيجعل له صحائف الشمائل عنواناً . ويرتب
له في عجائب المآثر ديواناً . لانه من اهم ما تتعلق الهمم العلية بجمعه وتاليقه .
وانفس ما تتعشق النفوس الزكية حسن تدوينه وتصنيفه . فخرضوني على القيام بهذا
الندوب . والتصدي لامعان النظر فيه حسب المطلوب . وقالوا لا يخفى ان تحرير
احوال الاكابر . وتسطير مزاياهم في صفحات الدفاتر . لمن سنة الكرام التي مضى عليها
علمهم . وطريقة اهل العرفان التي نيط بها امامهم . لاسيما هذا الامير الشهير . والسيد
الجليل الخطير . من نحت بشائنه العاطر . السنة اعظم الاكابر . وثنفت اسماع الوري

في سائر الاطراف . بحسن سيرته وما حازه من بديع الاوصاف . وتهادت اخباره
كافة الدول . تهادي لذيد الكرى للمقل . حيث اشبه من السلف عمر بن
عبد العزيز في زهده ورشاده . ومن الخلف يوسف صلاح الدين في حركاته وغزواته
وجياده . وحكي الشيخ الاكبر فيما يؤثر عنه ويذكر . بل الاخرى ان يقال . كان
لجده الكرار مثال . في الجمع بين الاضداد . واحرز مناقب العلماء والامراء والابطال
والعباد . وهو الجدير بان تنشر احاديثه وتحرر . وتلى آياته مدى الدهر وتكرر . بل
حري بان ترقم بالتبر جميع احواله واموره . وتضبط وقائع ايامه واعوامه وشهوره .
فقلت لعمري قد اصبتم فيما ذكرت . وحق ان تجابوا الى ما به اشرتم . ولكن اين
الطرق والاسباب . الموصلة لفتح هذا الباب . فلم يقبلوا مني عذراً . بل كرروا ذلك
على المرة بعد الاخرى . وقالوا لا يعزب عنك شيء من ظاهر حاله وخافيه . فانك ابنه
ومحل سره ورب البيت ادرى بما فيه . فقلت لقد حملتموني شيئاً اداً . وكفتموني
احياء نجوم السماء عدداً . فان حال هذا الامير لاتفي به عبارتي . ولا تحيط ببعض
معانيه اشارتي .

وماذا عسى بالوصف يبلغ مقولي * ولو مدت الاقلام من مدد البحر
ويكفيه ان الخضم الالد . تكلم فيه بلسان اخل الأود . بل صار كالمثل
السائر . وخلد في بطون الصحف والدفاتر * حكي مسيو اسكندر بالمار في تاريخه عن
المارشال سوايت النرساوي انه قال لبعض اصحابه سنة الف وثمانمائة واربعين
لا يوجد الآن احد في العالم يستحق ان يلقب بالاكبر الا ثلاثة اشخاص كلهم
مسلمون وهم الامير عبد القادر ومحمد علي باشا والشيخ شامل .

ومليحة شهدت لها ضرائها * والفضل ما شهدت به الاعداء
وحيث لم اجد بدءاً عن اجابتهم . ولا مندوحة عن اطاعتهم . استخرت الله تعالى
وشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد . لجمع ما استعيف به من المواد . فجلبت تواريج
وقائمه المدونة باللغة الافرنجية . وتكلفت ترجمتها الى العربية . وبعد مطالعتها وامعان
النظر فيها وجدت بعض مؤلفيها قد اصاب . والبعض اخطاء جادة الصواب . وحافظ
فريق على انتصارات قومه . ونسي الاخر احوال امسه وذكر وقائع يومه . قال لوليس
فاليوت كاتب اسرار المارشال بيجو في تاريخه المسمى الفرنساويين في الجزائر كانت قواد
الجيوش تحرر لوزارتها . خلاف ما كانت تحرره كتاب الجرائد لادارتها . فلذا

وضعت الاخبار في ميزان واحد . وجعلت الحكم العدل فيها شهادة سيدي الوالد .
فانه رب تلك المشاهد . ولا يستوي الغائب والشاهد . وقد استخرجت من آثار
مولاي خبراً يدل عليه دلالة اللفظ على المعنى . ويتعطر بعبير نشره العاطر كل مغنى .
ولما رايت افاضل الوقت متشوقين الى اخبار بلاد الجزائر وما فيها . متشوفين الى من
يدلهم على جلي احوالها وخافيتها . ظهر لي ان اذكر في المقدمة جملة كافية من جغرافية
المغرب لاسيما المغرب الاوسط الذي هو موطن اسلافي . ومألف آلافي . وابتين ما
اشتهر فيه من المدن والامصار . والجبال والانهار . ثم اذكر طرقاً من اخبار المبدأ اساساً
لما اثبتته . وتمهيداً لتفصيل ما اجملته . واذكر ما سلف في اقسامه الثلاثة من الدول .
ومن عمرها من الامم الاول . وما جرى فيها من عظام الحروب . وتعاورها من
غرائب النوائب والخطوب . واختصر ذلك على وجه يستحسنه السامع . ويبتهج به المطالع .
ولما فرغت من ترتيبه . وامعنت النظر في تحريره وتمهيديه . حصرت في قسمين الاول
في سيرته السيفية . والثاني في سيرته العلمية وسميته ❖ تحفة الزائر في مآثر الامير عبد
القادر واخبار الجزائر ❖ فسقط عليه يد من لا بارك الله باصله ونسله . وسرقته عمداً
من حرز مثله . جزاه الله على ما ابداه من حسده . في نفسه وماله وولده . ثم شمرت
عن ساعد الاجتهاد . لجمع ما تفرق من المواد . بعد ان فقد منها الاكثر . وبقي
من المسودة ما لا يذكر . فجاء مطابقاً للاصل . وخاب من الحاسد والمنة لله الامل

❖ المقدمة في ذكر جغرافية اقسام المغرب ❖

قد تقرر عند علماء هذا الفن ان حدود قارة افريقية غرباً البحر المحيط الغربي وشرقاً
ببحر الهند وبرزخ باب المندب والبحر الاحمر وبرزخ السويس وشمالاً البحر الابيض
واما حدود افريقية الشمالية مع المغرب فغرباً البحر المحيط الغربي وشرقاً ارض النوبة وبلاد
مصر ومن الجنوب صحراء نيسروهي متصلة من المغرب الى المشرق ذات مفاوز يسلكها تجار
المغرب الى السودان الغربي وفيها مجالات لقبائل الملثمين وعلى سمت هذه المفاوز شرقاً
ارض فازان وبلي صحراء نيسر الى جهة الشمال منها العرق المتمد من اولها الى آخرها
وفي جهة المشرق منه بلاد السودان الشرقي ويمجدها شمالاً البحر الابيض وفي الجزء من
حدها الغربي الى جهة الجنوب جبل درن معترضاً في المغرب كله من غربيه عند البحر
المحيط الى انتهائه شرقاً وفي القطعة الغربية التي بالقرب منه وعلى البحر المحيط رباط
ماسا ويتصل به بلاد سوس وعلى سمتها شرقاً لجهة الجنوب بلاد درعة ثم بلاد سجلماسة ثم

قطعة من صحراء نيسر وفي آخرها مواطن زناتة ثم ان جبل درن من جهة الغرب مطل
 على بلاد المغرب الاقصى وهي في جوفه في الناحية الجنوبية منها بلاد مرا كش واغمت وتادلا
 وعلى البحر المحيط منها مدينة الرباط وسلا والعرايش وفي الجوف من بلاد مرا كش
 بلاد فاس ومكناس وتازا وقصر كتامة وقد كانت في عرف اهلها تسمى بالمغرب
 الاقصى وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد المغرب الاوسط وتسمى الواسطة وتعرف
 الآن ببلاد الجزائر وقاعدتها قديماً مدينة تلسان واما الآن فمدينة الجزائر وفي سواحل
 هذه البلاد على البحر الرومي مدينة وهران ومستغانم وتونس وشرشال والشوبك والجزائر
 وفي شرقي بلاد الجزائر مدينة بجاية ثم قسنطينة في الشرق منها وفي الجنوب منها بلد
 مسيلة ثم بلاد الزاب وقاعدتها قديماً بسكرة وهي تحت جبل آوراس المتصل بجبل درن
 الذاهب في افريقية الشمالية غرباً وشرقاً. وينقسم الى قطعتين جنوبية وجوفية فالقطعة
 الجنوبية غريبها كله مفاوز وفي الشرق منها بلاد غدامس وفي سمتها شرقاً بلاد فازان
 واما القطعة الجوفية ففي غريبها تبسه وعلى ساحل البحر بوثنه وهي عنابه وفي سمت
 هذه البلاد شرقاً بلاد افريقية في عرف مؤرخي الاسلام فعلي الساحل مدينة تونس
 ثم سوسة ثم المهدية وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن من جهة الشرق بلاد
 الجريد وتوزر وقفصة ونقزاه وفيها بينهما وبين السواحل مدينة القيروان وعلى سمت
 هذه البلاد كلها بلاد طرابلس على البحر وبازائها في الجنوب جبل دمر ومنازل قبائل
 هوارة متصلة بجبل درن وفي مقابلة غدامس في القطعة الجنوبية بلدة صغيرة تعرف
 بسويقة ابن مشكور وفي جنوبها ارض فازان ثم رمال وقفار وبين الجبل والبحر
 في الجهة الغربية بلاد اجداية ثم برقة ثم منعطف الجبل ثم طلمسا وهي بلدة صغيرة
 على البحر واعلم ان المغرب في عرف قدماء الجغرافيين قطر واحد يحده غرباً البحر
 المحيط ويسميه المتأخرون الاقيانيوس الاتلانتيكي وشمالاً البحر الرومي يخرج من
 خليج متضابق بين طنجة وطريف من بلاد الاندلس وجنوباً جبال هائلة حاجزة
 بين بلاد السودان وبلاد البربر وتعرف عند اهل البادية بالعرق وهو سياج على المغرب
 من جهة الجنوب مبتدئاً من البحر المحيط ذاهباً الى جهة الشرق على سمت واحد
 الى ان يعترضه النيل الهابط من الجنوب الى ارض مصر وبه ينقطع والمغرب ايضاً سياج
 آخر من الجبال مما يلي التلول تعرف بالاطلس وهي تحوم تلك التلول ممتدة من لدن
 البحر المحيط في المغرب الى بلاد برقة شرقاً وهناك ينقطع ويسمي مبدؤها من المغرب

جبال درن وفي غيره من المواطن تسمى باسماء متعددة عند ساكنيها وما بين هذه الجبال المحيطة بالنول وبين العرق المذكور بسائط وقفار واما من جهة الشرق فالبحر الاحمر الى بلد السويس فيدخل اقليم مصر واقليم برقة في الحد وعليه فالمغرب جزيرة احاطت بها البحار من الجهات الثلاث . واما على اصطلاح المتأخرين الذين قسموا الارض الى قارات احداها قارة افريقية فجميعها جزيرة وقد تم ذلك باتصال البحرين بفتح خليج السويس وهذا آخر المغرب عندهم شرقاً والمعول عليه في هذا الزمان والعرف الجاري بين سكان اقسام المغرب الثلاثة لا يدخل فيه اقليم مصر ولا برقة وانما يختص بطرابلس وما وراها الى جهة المغرب اما المغرب الاقصى فهو ما بين وادي ملوية من جهة الشرق الى مدينة آسفي حاضرة البحر المحيط من سوس الاقصى غرباً ويحيط به البحر المحيط من غربه والرومي من شماليه والجبال المتصاعدة المتكاثفة مثل درن من جهة الجنوب وجبال تازا من جهة الشرق وقاعدته لهذا العهد مدينة ناس واما المغرب الاوسط فهو ما بين وادي ملوية غرباً الى مدينة بجاية شرقاً وقاعدته تلمسان واما المغرب الادنى ويعرف بافريقية فهو من بجاية الى طرابلس شرقاً وكانت قاعدته الى اواسط المائة الخامسة من الهجرة مدينة القيروان ولما تغلبت العرب على افريقية احاط بها الخراب فصارت قاعدتها ودار ملكها الى هذا العهد بلدة تونس واما برقة فقد انقضت امرها ودرست امصارها وغدت منازل للعرب بعد ان كانت دار ملك لوائته وهو اردو غيرهم من البربر وكانت بها الامصار الواسعة مثل لبدو وزويله وبرقه وقصر حسان وسرت واجدايه وغيرها فعادت خالية بعد ان كانت آهلة والى الله ترجع الامور . واعلم ان عدد سكان المغرب باقسامه الثلاثة مجهول لعدم اعتناء ملوكه بضبط النفوس وقد ذكر بعض المؤرخين من اهل العصر ان المغرب يشتمل على عشرين مليوناً من النفوس وجل سكانه باقسامه لهذا العهد اسلام وقليل من الموسويين ولم يكن للمسيحيين والموسويين فيه قديم اعدديعتبر اما الآن فقد كثر عدد الافرنج منهم في المغرب الاوسط بعد استيلاء الفرنسيين عليه في مراسي المغرب الاقصى وافريقية ودخلوه الموسويون لما اخرجتهم اسبانيا والبورغال من مملكتيهما فنقص منهم نحو مائة الف ننس الى المغرب الاقصى وخمسين الفا لبقية بلاد المغرب ولذا يوجد عددهم في المغرب الاقصى اكثر منه في الاوسط والادنى ❖ ذكر حدود بلاد الجزائر ومساحتها وما اشتهر فيها من المدن والجبال والانهار وصنوف نباتاتها وثمارها وصنائع اهلها وما يوجد فيها من الحيوانات والمعادن ❖

اعلم ان حدود داخلية المغرب وبسيطة لم تنضبط في القديم ولم تثبت زماناً يعتد به لتوالي الفتن فيها بين ملوكه فتارة تدخل كلها تحت سلطة دولة واحدة وتارة تنقسم الى دوائر وابالات متعددة فتتداخل مرة وتتميز اخرى ولم يزل الامر على ذلك قبل الاسلام وبعده الى ان استولى العلويون على المغرب الاقصى واستقرت دولتهم فيه الى هذا العهد واستولت الدولة العلية على الاوسط والادنى فاحدثوا حينئذ حدوداً اصطلاحاً عليها واستمرت معتبرة ثابتة الى الآن فاما حدود المغرب الاوسط والادنى من جهة الغرب فمن وادي عطية آخر بلاد مسيرده الحاجز بين ارضهم وارض بني خالد بطن من بني يزناسن ثم يميل الى جهة الشرق على مناصب كيس في اطراف ارض انكاد الى آخر جبل مديونه قبلة وجده ويحدها شرقاً ارض برقة كما تقدم ثم لما انفصلت مملكة الجزائر من مملكة تونس في هذين الغريبت صار جبل القالة ونهر صراط بفتح الصاد وتشديد الراء تحوماً للمكتين وبهذا الاعتبار نقص من المغرب الاوسط من جهة الغرب من تخوم وجده الى وادي ملويه ومن بجاية الى جبل القالة واضيف ما نقص من الادنى الى ما بقي من المغرب الاوسط فصار مملكة مستقلة متميزة بحدود ثابتة معتبرة الى هذا العهد وسميت بالجزائر التي هي قاعدتها ومركزها كلها العام الذي بيده زمام امورها ويحده هذه البلاد كلها من جهة الشمال بحر الروم المحيط بشطوطها من مصب وادي عجرود فيه من وراء بلاد مسيرده غرباً الى القالة شرقاً عند انتهائه في البحر ومن جهة الجنوب العرق المحيط بالتلول المتقدم ذكره وفيما بينه وبين التلول قصور كثيرة وتجايلات لطواعن العرب والبربر الخاضعين لاحكام الدولة الدائنين بطاعتها من قرب قصورتوات غرباً الى بلاد الجريد شرقاً ولم تزل هذه الحدود مقررة على هذا الوجه الى الآن واما مساحتها فقد ذكر بعض المؤرخين من يستحل علم الجغرافية ان وضع بلاد الجزائر محصور بين ثمان درجات وثلاثين دقيقة طولاً شرقياً ودرجة واحدة وثلاثين دقيقة طولاً غربياً من معدل النهار على اصطلاحهم وقال بعض مؤرخي فرنسا وبين ان وضعها محصور بين ثلاثة ونصف وسبعة وثلاثين للطول وستة للعرض الشرقي واربعة للعرض الغربي قياساً على دائرة نصف النهار في باريس ثم قال فمن ثم تكون بلاد الجزائر مشتملة على خمس درجات من الشمال الى الجنوب وتلي عشر درجات من الشرق الى الغرب وقال غيره من الافرنج طولها من الغرب الى الشرق الفان وستائة ميل وعرضها في بعض الاماكن

خمسائة وخمسون ميلاً وفي بعضها مائة واربعون ميلاً وذكر بعضهم ان سطح
ارضها مقدار تسعة وثلاثين مليوناً وتسعين الف هكتار كل هكتار مائة متر مربع
وقال آخر ثلاثمائة الف وتسعون الف كيلو متر كل كيلو متر الف ذراع وكل ما
ذكر على سبيل التقريب والا فبلاد الجزائر واسعة . واقطارها شاسعة ومن مدنها
الشهيرة الجزائر وهي مدينة على ساحل البحر اختطها بالكين بضم الباء الموحدة واللام
وتشديد الكاف المكسورة وسكون الياء المثناة التحتية بعدها نون ابن زيري الصنهاجي بكسر
الزاي وسكون الياء المثناة التحتية وكسر الراء بعدها ياء تحتية وكان يتردد اليها من منازل
بالمسيلة ونزلها بنوه من بعده ثم اختصت ببني مرغنن بطن من صنهاجة وبهم اشتهرت
وفي القاموس جزائر بني مرغنن بلدة بالغرب ثم اطلق اسم الجزائر على سائر بلاد
المغرب الاوسط ولما عقد اسماعيل المذمور العبيدي لزيري ابن مناد الصنهاجي سنة
خمس وثلاثين وثلاثمائة على بلاد تاهرت وبلاد شلب عين ولده بالكين لولاية الجزائر
وغيرها فاستوطنها واهتم بشأنها واجتهد في عمرانها فاخذت في الحضارة والتقدم
حتى اشتهرت وطار ذكرها في الآفاق وتناغى الملوك بالاستيلاء عليها جيلاً بعد
جيل الى ان صارت قاعدة ملك البلاد وتونس امر تلمسان وبنو زيان واستولى عليها
الموحدون سنة ثمانين واربعائة وفي سنة ثمان وتسعين وخمسمائة دخلت في حوزة
بني حفص ملوك افريقية ثم صارت لبني زيان ولم تزل وطناً لبني مرغنن خلفا
عن سلف الى ان استولى عليها الاسبانيول سنة ست عشرة وتسعمائة واشتدّت
وطائفة على المسلمين وكان عروج المعروف بيارب روس الاول قد استنحل امره
واخذ جيغل احدى مراسي تونس من يداهل جنبوا من ايتاليا فبعث اليه سالم
ابن تومي الصنهاجي امير بني مرغنن صريخة في كشف بلواه فلباه ودخل الجزائر
من جهة البحر وانحجر الاسبانيول في حصنهم المعروف ببرج النار وضيق عليهم
ثم افقهم الحصن بيموشه واستلخدمهم عن اخرهم وتم استيلاؤه على الجزائر وقام فيها
يخبر احوالها ويتفرى مسالكها وظهر منه لسالم بن تومي وقومه ما لم يكن في حسابهم
فلحقهم الندم واظلم الجو بينهم وبين عروج فقبض على سالم وقتله وتم له الامر وكان
هذا اول قدم للدولة العلية في المغرب الاوسط وتونس وسيأتي بيان ذلك ان
شاء الله تعالى وليسيدي الجد لوالدي سيدي علي ابي طالب رحمه الله في وصفها
لما مر عليها قاصداً الحجاز قوله

عليك الجزائر عج شيوخها * وداوي بطيب شذاها العلال
وشاهد قصوراً شيدت بها * وامكنة نزهة للمقل
فكم من علوم متنوعة * يضع نشرها بالدروس فسل
وكم مشكلات ازال الغطا * فحول بهم سار ضرب المثل
وكم فاضل قد حوته وكم * همام يصول وفرد وصل
وكم بددوا شمل جمع كفو * ربييض المواضي وسمر الاسل
وجيش كفي وصغب الجيا * د وحزم وعزم يقدر القلل
اضاقوا البلاد يجلب العدا * اسار غصن الفضا والجبل
وكم من حصون اعدت بها * لدفع عدو دغى فانجدل
فسرقاصداً بلدة قد ثوى * بها الفضل حقاً ونيل الامل
تفاخر مصر وفاسا بها * وتونس ذات اليبا والحلل
فيارب صنفا من المزعجات * ومن كل شر وضر نزل
وابق علماً وتقوى بها * لجبل فجبل الى المنقل
يباه النبي الرسول الى * الخلائق حتي الهداة الاول
عليه صلاة من الله ما * تألق برق وودق مطل

ومنها تلمسان وهي مدينة قديمة اختطها ملوك بني يفرن من زناته واتخذوها دار
ملكهم عند ما عمرو المغرب الاوسط واستولوا عليه ثم جاء الاسلام وهي دار ملكهم
وهم الذين سموها تلمسان وهي بلغتهم مركبة من كلمتين تلم وسان ومعناها ما تجتمع
اثنين اي البر والبحر ولم تنزل على ما كانت عليه الى ان نازلها عبد المؤمن بن
علي امير الموحدين سنة اربعين وستمائة فخر بها بعد ان قتل جيشه عامة اهائها ثم
ندب الناس الى عمرانها واصلاح ما اثلث من اسوارها ثم جعل ولايتها لاولاده فصرقوا
همتهم في اعمارها واتخذوا الصروح والقصور بها واحتفلوا في مقاصد الملك ولوازمه
وكان من اشد هم اهتماماً بذلك واوسعهم فيه نظراً ابو عمران موسى بن يوسف بن
عبد المؤمن وامتدت ايام ولايته فيها فشيّد بناءها ووسع خطتها ثم وليها من بعده
ابن عمه ابو الحسن ابن ابي حفص ابن عبد المؤمن ولم يزل عمرانها يتزايد وخطتها
تتسع الى ان نزلها آل زيان واتخذوها داراً لملكهم فاخططوا بها الربوع البديعة
والقصور المشيدة الرفيعة وغرسوا فيها الرياض المونقة واجروا خلالها الانهار المتدفقة.

فاصبحت من اعظم امصار المغرب الاوسط ورحلت اليها الناس من القاصية ونفقت فيها اسواق العلوم والبضائع ونشأ بها العلماء العظام . واشتهر فيها الافاضل الاعلام . وضاحت امصار الدول الاسلامية . والقواعد الملكية . ومدحها الشعراء . وافاضل العلماء ويغني عن الاسهاب في وصفها ما ذكره المقرئ في نفع الطيب والله در عالمها الجليل الامام ابن مرزوق حيث يقول فيها .

بلد الجداو ما امر نواها * كلف الفؤاد بحبها وهواها
يا عاذلي كن عاذري في حبها * يكفيك منها ماؤها وهواها

ومرَّ ابن مرزوق على مصر في سفره الى الحج فسأله بعض من اجتمع عليه من علماءها عن بلدته قال له تلسان فقال عجبت قال ابن مرزوق والله ما اكلته قط فتعجب العالم من علمه وذكائه وسرعة جوابه لان تلسان مشهورة بكثرة الزيتون وجودته وهو يورث البلادة ومن مدنها القديمة وهران بفتح الواو وسكون الهاء وراء مهملتها بعدها الف ونون وهي على ساحل البحر اختطها ملوك مغراوة قبل الاسلام وامتد بها العمران ولم تزل على ذلك الى ان ظهرت الشيعة وملك عبد الله الملقب بالمهدي مدينة تاهرت وولي عليها دؤاس بن صولان الكشامي فاعزز الى البربر بحصارها فدخلوها اهلها من بني مسكين في ذلك فاجابوهم ونازلوها وفرَّ صاحبها من قبل بني أمية ملوك الاندلس محمد بن عون الى دؤاس صاحب تاهرت فدخل البربر وهران واستباحوها ثم اضرموها نارا وفي السنة السابعة والتسعين اعاد بناءها دؤاس احسن ما كان واعاد اليها محمد بن عون وكانت امراء تلسان لذلك العهد بنوا احمد بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل الادريسي رضى الله عنه وانتدب الناس الى سكنى وهران فاتسعت خطتها وامتد عمراتها وصارت دار علم وتجارة ونشأ فيها العلماء والادباء والتجار وقصدها الناس من الجهات الشاسعة وفي القرن الرابع بنى جامعها الكبير ابو باكين ابن زيري من ملوك صنهاجة ولم تزل على ذلك الى ان استولى عليها الاسبانيول سنة خمس عشرة وتسعمائة وانتزعوها من يد قلموس آخر بني زيان وسياتي بيان ذلك في تحله ان شاء الله ومنها مدينة مستغانم وهي بلدة عظيمة على البحر بينها وبين وهران يوم المجدد ومنها لمدينة بفتح اللام وسكون الميم وتعرف الآن بالمدينة بزيادة همزة الوصل وسكون اللام اصابتها اقبيلة من صنهاجة للمدينة اختطها ابو باكين ابن زيري في القرن الرابع من الهجرة

وهي مدينة عظيمة مشهورة ومنها بجايه وهي لبني حماد اصحاب القاعة المعروفة بهم في جبل كتامة وهم من صنهاجة اختطها الناصر بن علناس بن حماد سنة احدى وستين واربعمائة وسماها الناصرية ولم تشتهر بين الناس الا باسم بجايه وبعد ان اتم عمارتها واحتفل في لوازم الملك فيها انتقل اليها من القاعة دار ملك اسلافه وسكنها ونقل الناس اليها وبني بها قصر اللؤلؤة ذكر المؤرخون انه كان من اعجب قصور الدنيا وفي ايامه استفحل ملك بني حماد وشغوفه على ملك بني باديس اخوانهم بالمهدية فبني المباني الوسيمة وشيد المدائن العظيمة ثم توفي سنة ثلاث وستين واربعمائة وكانت ولايته في سنة اربع وخمسين واربعمائة وتعرف قلعته لهذا العهد بقاعة بني عباس ومنها قسنطينة بضم القاف وفتح السين وسكون النون وكسر الطاء بعدها ياء ساكنة ونون مفتوحة وآخرها تاء التانيث اصلها لقبائل كتامة وقد دخلها النفيقيون ملوك الشام من كولونيه لما خرجوا الى افريقية من صور سنة ثمانمائة وست وثمانين قبل المسيح عليه السلام واسمها في القديم سبرتا وكانت عاصمة ادربال النوميدي سنة اربعمائة وثمان وعشرين بعد المسيح عليه السلام واستولى عليها وعلى تلك النواحي الوندالي من اسبانيا ولم يزل ملكهم فيها الى ان استولى عليها المسلمون ومنها شرشال وهي على ساحل البحر بناها جوبا الروماني وسماها سيزاره قيصرية وكانت عاصمته وبني بها القصور الجميلة وآثارها تدل على انها كانت مدينة عظيمة الشأن ومنها مديانه اختطها ابو بلكين بن زيري في القرن الرابع من الهجرة وكانت للملوك مغراوه من بطون زناته وبنو منديل منهم من الطبقة الثانية هم الذين اختطوا قرية مازونه وذنت مراسي تلك الناحية اعني شرشال وبرشك ونس تابعة لهم بعد ان كانت للملوك صنهاجه وكانت دار ملكهم مدينة اشير في سنج جبل تيطري المشهور وهي قاعدة بلاد شلب اختطها زيري بن مناد من الطبقة الاولى من البربر في حدود الاربعين وثلاثمائة بامر المنصور اسماعيل العبيدي واتسعت بعد ذلك منطقتها وتسابع عديانها ورحل اليها العلماء والتجار من انقاصية ثم خربت ودرست ولم يبق لهذا العيد الا طول ديارها ورسوم آثارها والبقاء لله تعالى ومنها تاهرت وهي في سنج جبل كزول على وادي مينا اختطها عبدالرحمن بن رستم الفارسي الاباضي سنة اربع واربعين ومائة واصله من ولد رستم امير الفرس بالقادسية وكان من مسلمة الفتح قدم مع طلائع المسلمين ودان بدين الخارجية والاباضية منهم ثم لما بلغ المنصور العباسي خبر فتنة البربر واضطراب الخوارج منهم

بافريقية والمغرب سرح محمد بن الاشعث الخزاعي في العساكر الى افريقية فقدمها سنة اربع واربعين ومائة واثخن في الخوارج وقتل رئيسهم ابا الخطاب وطار الخبر الى عبد الرحمن بن رستم بمكان امارته في القيروان فاحتمل اهله ولحق باباضية المغرب الاوسط ونزل على لمايه من بطون البربر البتر لحلف قديم بينه وبينهم فبايعوه على الخلافة وشرعوا في بناء تاهرت فاسسها عبد الرحمن المذكور وتمكنت واتسعت خطتها الى ان هلك وولي ابنه عبد الوهاب من بعده ولم يزل الملك في بني رستم بتاهرت الى ان استولى عبدالله الشيعي على افريقية والمغرب سنة ست وسبعين ومائتين فغلبهم عليها وتنابت عليها ولاية الشيعة فمن بعدهم ولم تنزل آهلة معمورة بقبيلة لمايه الى ان غلبهم عليها ابن غانية المتوفي المرابطي وخربها في آخر سنة عشرين وستمائة وعفا رسمها وانقرض اهليها وبقيت فرق منهم متشتتين في القبائل ومنهم جربة وسميت بهم الجزيرة المشهورة تجاه ساحل قابس من اعمال تونس ولم يزالوا على الخارجية لهذا العهد ولم تنزل تاهرت على خرابها الى ان بنى الفرنسيس ثعلها او قرياً منها بلدة سماها تيارت ومنها معسكر اصلها لبني زيان ملوك تلمسان اتخذوها لاقامة عسكرهم في تخوم بلادهم لوقايتها من اجلاب بني توجين ومغراوه اعداؤهم خلفا عن سلف وكان بناؤها من اخصاص الى ان استولت الدولة العلية على مدينة الجزائر وتقدمت حكامها في داخلية البلاد غرباً وشرقاً حتي وصلوا الى هذه البلدة الاخصافية واعجبهم ثعلهم شرعوا في بنائها بالحجارة ووسعوا خطتها وتائقوا في تشييد دورها على نحو دور الجزائر واطلقوا عليها اسمها القديم الذي كانت تعرف به قبلهم وجعلوها مركزاً لحاكم تلك النواحي وكانوا يواصلون الغارات منها على سائر الجهات وينتخون البلاد الى ان وصلوا الى بسيط انكاد قرب مدينة وجده ووضعوا الحدود هناك بينهم وبين ملوك المغرب الاقصى كما تقدم واعظمهم اهتماماً بعمران مدينة معسكر الباي محمد بن عثمان الكردي الايوبي وكانت ولايته على ايلاتها عام ثلاث وتسعين ومائة والف فبنى فيها من المساجد والحمامات والآثار العظيمة واجرى اليها المياه وادار عليها السور المشهور بالانقان والاحكام وقد خرب هذا السور الفرنسيس وفي ايام الباي المذكور اشتهرت هذه المدينة وارتحل اليها التجار والعلماء ونشأ بها طائفة من الافاضل ومن اشر علمائها من اسلافنا الجد الرابع سيدي السيد احمد المختار وابن ابنه الجد الثاني سيدي السيد مصطفى ومن علمائها السيد محمد بن عبدالله الجلالى والسيد طاهر بن حوا الكبير وولده السيد محمد والعلامة الشيخ المشرفي

وغيرهم وقد اتخذ سيدي الوالد هذه المدينة أولاً دار امارته ثم انتقل الى مليانه
ثم اختطت تاكدمت واصلها قرية لبني توجين قريبة من تاهرت قد خربت فبني
فيها دوراً ومعامل للمسكوكات والسلاح وحشد الناس الى عمراتها ولم يلتفت الى
تشديد القصور وتوسيع المنازل والدور لصرفه المهمة الى المدافعة عن وطنه وملته
وتقويم الزائغين من رعيته واصطناع الابطال واصطفاء الرجال واتخاذ معامل السلاح
ولوازم القراع والكفاح لالة له الا في التهام الكتائب واقتحام الملاحم بالقواضب
ومنها بونه على ساحل البحر وتعرف لهذا العهد بعنابة لكثرة شجر العناب فيها وهي
مدينة صغيرة مما اختطه البربر من المدن وكانت قديماً من اعمال افريقية وفي ايام
خير الدين بارب روس ضمت الى اعمال الجزائر ولم تزل تابعة لقسنطينة من ابتداء
دخول الدولة العلية الى هذا العهد ومنها بسكرة وتعرف بسكرة الخيل فيها وتبسه
والمسيلة بناها المهدي بن تومرت وسماها بالمحمديه ولم تزل معمورة الى الآن غير
انها عارية عن احوال الحضارة والمدن وكلها داخلية في حكم قسنطينة وقد احدث
الفرانسييس في داخلية البلاد واطرفها وسواحلها مدناً وقرى كثيرة واما جبالها ففي الخط
الجنوبي منها مما يلي الصحراء سلسلة وتعرف لهذا العهد بالاطلس وهي آخذة في
طول البلاد من المغرب الى المشرق وابتدأؤها من آخر بلاد سوس الاقصى عند
البحر المحيط فانقسمت بها البلاد الى منطقتين شمالية وتسمى التل وجنوبية وتسمى
الصحراء وزاد بعض الجغرافيين ثلاثة سماها المنطقة البحرية يعني السواحل وعلى
خطها جبال كثيرة متكاثفة لما اقتضاه التكوين من ممانعة البحار بها وفي وسط
التل جبال كثيرة يطول ذكرها اشهرها جبل بني سنوس غربي تلمسان لجهة الجنوب
منها وجبال زيدون وتاسالة في وطن بني عامر وجبل تنيزد مما يلي الصحراء وجبل
اكهر شرقي وهران وجبل كرسوط غربي غريس وجبل اوسيلاس فوق مدينه
افكان شمالي غريس وهي خراب الآن وجبل المناور في شرقيه ونسط ولاسلافنافيه
مزارع كثيرة وفي الجهة القبليه من البلاد جبل كزول وجبل وانشريس وجبال
الجهة الشرقية منها جبل العطاف وجبل مليانه وجبل تيطري وجبال زواوه واعلاه جبل
جرجره وهذه الجبال لتصل عند انتهائها شرقاً وتصير سلسلة فتمر مشرقاً على سيف
البحر في سواحلها اساكل دلس وجبل وانقل وجبل ويشاوه شرقي سكيكده وتعرف
عند الافرنج بنليل ثم جبل اودغ وهو شاخيطل من جهة الغرب على عنابه وجبل

بني صالح وفي الجنوب من هذه الجبال جبل اوراس وكل هذه الجبال مبنية تحتوي على
احراش من الاشجار مختلفة الانواع والاجناس واما انهارها وجداولها فكثيرة لا يأتي
عليها الحصر ومن اشهرها واكبرها في الجهة الغربية نهر تافتا يمر في شمال بلاد الغسل
وفيما بين تزاره وولهاصه ويصب في البحر الرومي في ساحلهم ونهر المقطع ونهر سيك
في بلاد الغرابه ويصب قرب قرية بطيوه ونهر مكره وعليه مدينة بلعباس التي احدها
الفرنيس ونهر وادي الحمام وعليه بلدتنا التي اختطها اسلافنا ولم تنزل معمورة الى ان
اخرها الفرنيس ناولاً وخرب رسومها وفي الجهة الشرقية من البلاد السيبوس ينتهي الى
البحر الرومي قرب عنابه ونهر بوجيمه ونهر بني ملكي ومصبهما في البحر ايضاً قرب سكيكده
ونهر بوبرك ونهر الهرش ونهر تطرغان ونهر شلف وهو نهر كبير يمر في معظم ارض المغرب
الاعوسط منبعه من بلاد بني راشد في جنوبي وادي مزاب من الصحراء ويدخل الى الممتل
ثم يمر مغرباً ويجمع فيه اودية كثيرة كوادي مينه ووادي ارهيو ووادي يبل بتشديد اللام
الى ان ينصب في البحر بين كلمه ومستغانم واما بحيراتها فاشهرها بحيرة الحوت في ولاية
قسنطينه وبحيرة الوطا في ولاية الجزائر وبحيرة السبخه في ولاية وهران ينعقد ماؤها ملحاً
واغلبه يستهلك بتلك الولاية منها واشهر بحيرات الصحراء بحيرة زاعق في ارض اولاد نائل
وبحيرة شوط وبحيرة شككا واما اشجارها وانواع فواكهها وحبوبها ونباتاتها فكثيرة جداً
وبالجملة فبلاد الجزائر كريمة البقعة طيبة التربة نخضة الجبال والبساتين منبعجة العيون
والانهار متصلة مادة الخيرات وفيها من انواع الثواكه البورثقال والتفاح واللوز والجوز
والموز والعنب والشمش والانجاص والليمون بانواعه والزنبوع وهو الفرسكين والاترج
والفستق والزيتون والعناب والخرنوب والبلوط الحلو المعروف بابى فروه والصنوبر البري الا
انه صغير اسود يعرف في بلاد المغرب بالزنين بتفخيم الزاي وتشديدها والمزاح وهو المشمله
والثوت المعروف بالشامي وقصب السكر واللنج وحب الملوك وهو الكرز ويخرج في جبل
هواره المعروف بجبل بني شقران التين الشقراني وقل ان يوجد له نظير يجلب منه كثير
الى اقطار المغرب ونوع منه يسمى الباكور ينضج في آخر الربيع وفيها شجر البطم وهو شجر
ضخم كبير وصمغه كحصى اللبان رائحة وطعماً وفيها الشجر الذي يستعمل منه الفلين وشجر
الزرو وصمغه يشبه المصطكي لوناً وطعماً وريحاً وينزل المن من السماء على شجر البلوط فيجده
الناس بعد انجماده ويصبغون به فيخرج منه اللون الاحمر الثابت الذي لا تفوقه حمرة ولا
يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من ادوات الصبغ ويسمونه القرمز ويعرف في بلاد المشرق بالدوده

يجلبه اليها التجار من بلاد المغرب والاندلس وفي صحرائها انواع اثمار النخل فمنها الحر الذي لا يوجد لثمره نظير الا في بلاد الجريد من بلاد تونس وذلك لقوة حلاوته وحسن لونه وضخامته ومنها ما يقال له تينهود وعزته لا يجلب الا لبلاد فاس وبلاد المغرب الاوسط أخبرني والذي انه لم ير مثله في الحجاز ولا في العراق ولم يذق لذة فاكهة تشبهه طعماً ونكهة منذ فارق الوطن ومن زروعها الحنطة والشعير والحمص والعدس والفول والارز والذره والدخن وانواع البقول والنباتات ذات الخواص لكثير من الامراض وعلى الاجمال محاسنها لا تستوفي بعبارة . فمأراء كن سماعاً . واما معادنها فالذهب والفضة والاماس والحديد والنحاس والرصاص والزرنيخ والخليلدون وهو نوع من العقيق الجيد وتجر البلور هذا ما اكتشفه اصحاب الصنائع والاستخراجات من الافرنج واما صنائعها فاجود ما يتنافس فيه اهلها ويفتخرون به صناعة السلاح بانواعه على الشكل القديم ولهم اعتناء كبير باستخراج جوهر الحديد والفولاذ ومن نفيس مصنوعاتهم نسج اقمشة الحرير ومنسوجات الصوف كالبرانس والاكسية وغيرها من انواع الملبوسات والبسط والسجادات وغيرها من المفروشات ويساعدون على ذلك نعومة الصوف ولطافته ولهم براعة في طرز المناطق والسروج المذهبة والمفضضة على وجه لا يهتدي اليه غيرهم وكذلك في صناعة الخزف الملون بانواع الادهان وفي صناعة السفن الصغيرة التي يستعملونها للتجارة والصيد والغزو واخشائها من احراش بلادهم ودباغة الجلد وقد برع اهل المسيلة من اعمال الزاب في اتقان صنعة الدباغة على وجه اتعب غيرهم تقليده في حسن نعومة الجلد وجودة اتقانه وبالجملة فمصنوعات بلاد الجزائر ومنسوجاتها بلغت في الحسن والاحكام ما يبهز الرائي ويستحسنه السامع وناهيك بها ان تجارتها منحصرة في نائج اراضيها وصنائعها فلا يحتاج الى جلب البضائع من الخارج الا ما قلّ وربما يستغنى عنه وفيها من جياذ الخيل ما يروق منظرًا ويبهز خصالاً ولكن كثير من اهل البادية معرفة تامة بشيائها وعيوبها وامراضها وعلاجاتها ويوجد عندهم من هذا العلم ما لا يوجد عند احذق البياطرة في الحاضرة وفيها البغال الفارهة واغلب مشايخ البلاد وعلمائها واهل وظائفها الدينية يركبونها دون الخيل لسرعة مشيها ولين ظهورها وفيها انواع الانعام والمجن المشهورة بسرعة السير والقوة وفيها من صنوف الصيد الغزال والارنب والكنينة وهو نوع اصغر من الارنب وفي صحرائها النعام والحمار والبقر وفيها من صنوف الحيوان المفترس الاسد والثمر والفهد والخنزير والذئب والضبع وفيها من الطيور الجوارح وغيرها ما يطول شرحه واهل الصحراء ومن قاربهم يعتنون كثيراً باقتناص الجوارح وتعليقها واستعمالها

واما اعتدال هوائها وحسن مزاجها فقد ذكر علماء الجغرافية قديماً وحديثاً ان هذه البلاد معتدلة الهواء لا يزيد حرّها ولا يبردها زيادة مضرة وفصولها في جميع السنين تأتي على قدر من الاعتدال ووسطة من الحال وعلى حسب اعتدالها اعتدلت امزجة اهلها وقلت امراضهم وداآتهم ولذا لم يعتنوا بتحصيل علم الطب ولا باهله وقصارى امرهم فيما يعرض لهم من الامراض انهم يتطبلون بادوية يستعملها غالباً عجائزهم من الحشائش وغيرها ويسكن هذه البلاد قبائل كثيرة وشعوب وافرة من العرب والبربر ولاختلاطهم في الصهر والسكن عسر تمييزهم ويوجد بينهم في المدن وبعض القرى اترك واولاد المالك من بنات الوطن وبسببهم كور اوغلان والسبب في ذلك ان السلطان يقول لاهل كل اوجاق من العسكر قولارم يعني ممالكهم فخرها اهل الجزائر وقالوا كور اوغلان

﴿ ذكر ابتداء عمران المغرب ﴾

« وحوادث دول الاشراف والعرب والبربر فيه »

اعلم ان هذا الاقليم منذ دخل في حيز العمران مأوى الفتن . وعش الاهوال والمحن . ومنزى الملوك والثوار . ومطبخ نظر الكبار منهم والصغار . فما هدأت لاهله روعة ولا طابت لهم فيه هجمة . ولا خيم بساحته امن . ولا فارقه الروع والوهن . ولا خلا منه زمان من قراع الكتائب . ومفاجاة المصائب والنوائب . ومع هذا ترى مساجد ومدارسه بالعباد والعلماء عامرة . وتجالسه بالاذكار وانواع العلوم زاهرة . ذلك تقدير العزيز العليم وتديره العلي العظيم . وقد اختلعت اقوال المؤرخين من الاسلام وغيرهم في اول من سكن المغرب وعمره من هذا النوع البشري لكنني اقتصرت على ما نقله العلامة ابن خلدون الحضرمي في تاريخه وذو الوزارتين ابن الخطيب في شرح منظومته المسماة رقم الحلل في نظم الدول لتقدمها في مضمار هذا الفن واحرازها قصب السبق فيه وسلوكها مسلك التحقيق في النقل والمخصه ان الله سبحانه وتعالى لما اهبط آدم الى الارض عمرها به وبنسله فهو الاول للخلقة على الاطلاق وانبت بنوه في نواحي الارض وتناسلوا فيها جيلاً بعد جيل الى زمن نوح عليه السلام وكانت ولادته سنة اثنين واربعين وستائة والالف من هبوط آدم وكان في تلك الاجيال ملوك ودول كثيرة وملل ونحل متعددة وكان فيهم انبياء ورسل آخرهم نوح عليه السلام ارسله الله تعالى الى قومه وكانوا عبدة اوثنان فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاماً يدعوهم الى عبادة الله كما اخبرنا الله تعالى ولما اعياه تعنتهم وتماديهم على

الكفر اوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فقال رب لا تذر على الارض
من الكافرين دياراً فاستجاب الله دعاءه لما سبق في علمه انه ليس فيهم ولا في اولادهم
من يؤمن فارسل عليهم الطوفان فاخذهم وذهب بعمران الارض اجمع بحيث لم ينج من
بني آدم ومن كافة انواع المخلوقات الا من كان في السفينة مع نوح عليه السلام وكان ذلك
بعد مضي الفين ومائتين واثنين واربعين سنة للهبوط باتفاق المفسرين والمؤرخين ثم
مات المؤمنون الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة ولم يعقبوا فصار جميع اهل
الارض من نسل نوح . قال الله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فكان عليه السلام اباً ثانياً
للخلق واتفق المفسرون والنسابون على اولاد نوح الذين تفرعت منهم الامة ثلاثة . سام
وحام . ويافت . وقد وقع ذكرهم في التوراة وروى الطبري في ذلك احاديث
مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم . وعن ابن المسيب ووهب بن منبه . مثل ذلك واتفقوا
على ان ساماً ابو العرب والفرس والروم . وحاماً ابو القبط والبربر والسودان . ويافتاً ابو
الترك والصقالبة وياجوج وماجوج . ولما افترق بنو نوح عليه السلام صار لولد حام الجنوب
عما يلي مصر على النيل . وصار لولد سام الحجاز والعراق الى حدود الهند . وصار لولد يافت
فواحي بحر الخزر الى الصين . وكانت شعوب هؤلاء الثلاثة عند تبليل الالسنه اثنين
وسبعين شعباً . واتفقوا على ان اول عمران المغرب كان بالجيل المعروف بالبربر اخوان
السودان والقبط فهم الذين عمروه من البشر واستوطنوه . قال الطبري وزعم هشام بن
الكلبي ان الغل من الكنعانيين من اولاد عيصو بن اسحاق عليه السلام . وبعد يوشع
عليه السلام احتملهم افريقش بن قيس بن صيفي من سواحل الشام في غزاته الى المغرب
وتركهم بافريقية . فمنهم البربر وترك معهم صنهجة وكتامة من قبائل حمير . وقيل انه
وجدتهم فيها . وانه لما سمع رطانتهم ساهم البربر . وفي التورية من ذرية حام احدى
عشر ولداً منهم صيدون . ولهم ناحية صيدا . وكانوا بالشام وانتقلوا لما غلبهم يوشع الى
افريقية والمغرب واقاموا بهما . وقد مرّ أنّا ان اولاد حام صار لهم الجنوب ولم تزل
السودان منهم في اقطار الجنوب من مبدا بحر الهند شرقاً الى اقصى المغرب الى هذا
العهد . واخوانهم القبط في مصر وجهاتها الى الآن . وهؤلاء البربر يجاورونهم ويقابلون
السودان في ارياف المغرب وتلوله من حدود مصر مما يلي برقه الى اقصى المغرب حيث
البحر المحيط فلا يبعد انهم كانوا مع السودان والقبط في مواطنهم الاولى ثم افترقوا فتوغل
السودان في الجنوب وانحدر البربر الى برقه ونواحيها ثم توغلوا في بلاد المغرب الى اقصاه

وبقي القبط في منازلهم القديمة من مصر وبهذا تشهد القرائن والمواطن وذكر ابن سعيدي في اخبار القبط ان شداد بن بداد بن هداد بن شداد بن عاد حارب القبط وغلب على اسافل مصر حيث الاسكندرية وبنى بها مدينة مذكورة في التوراة يقال لها ارن ثم هلك في حروبهم وجمع القبط اخوانهم من البربر والسودان واخرجوا العرب من ملك مصر ولما استولى افريقش على المغرب بنى فيه مدينة فسميت افريقية ثم غلب هذا الاسم على ذلك القطر بحدوده المعروفة قديماً وحديثاً

❖ ذكر البربر وشعائهم ❖

اعلم ان النسابين قد اختلفوا في نسب البربر واطالوا البحث فيه والذي ذهب اليه المحققون كابن حزم وابن خلدون وغيرهما انهم من بني كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وانتقوا على ان شعوبهم وبطونهم يجمعهم اصلان عظيمان وهما برنس وماد غيس ويلقب بالابتر فيقال لشعوبه البتر كما يقال لشعوب برنس البرانس وهما على الاصح اخوان لاب وهو بربر بن تمل بن مازيغ بن كنعان بن حام وشعوب البرانس يجمعهم سبعة اصول وهي ازداجه ومحموده واوربه وغجيسه وكتامه وصنهاجه وريغه ويجمع شعوب البتر اربعة اصول وهم اداسه ونفوسه وضريره ولواء الاكبر والكلام على هذه الشعوب وماتناسل منها من الامم طويل الذيل قد افرد علماء هذا الفن بالتأليف وجميع ما ذكره غاية ما وصل اليه علمهم واطلاعتهم واحصاء امم البربر واجيالهم غير ممكن لتطاول الاحقاب وتداول الازمنة ولم تزل بلاد المغرب من اقصى سوس الى الاسكندرية وما بين بحر الروم والسودان عامرة بهم منذ قرون لا يعلمها الا الله تعالى . واعلم ان دين البربر في القديم الجوسية وفي بعض الاحيان يدينون بدين من تغلب عليهم كالرومان واليونان وغيرها وقد صبحهم الاسلام وهم على دين النصرانية وبعضهم في افريقية على دين اليهودية عند استفحال ملك بني اسرائيل وقربهم منهم واما شعائهم فالاكثر منهم آخذون بشعائر العرب يسكنون الخيام ويتنازلون حلالاً ودوائر متفرقة ويظعنون لانتجاع المرعي ويتخذون الحيل للركوب والنجاح ويعتنون بالانعام للكسب يقومون عليها ويقتاتون من البانها ويتخذون البستم واثاثهم وخيامهم من اصوافها واوبارها وشعورها ومنهم من يبتغي الرزق من الاقتناص والنهب والاختطاف من السابلة ومنهم اهل مدائن وقرى وامصار شانهم الفلاحة واغتراس الجنات المتنوعة والتجارة والحرف النافعة الى غير ذلك من الامور التي يتوقف عليها العمران

ولا يتم إلا بها وأكثر لباسهم من الصوف بأنواعه وفي الغالب يكشفون رؤسهم ويحلقونها ولغتهم
عجمية متميزة بنوعها عن سائر رطانة العجم ثم اختلفت شعوب زناته وبطونها برطانة تخالف
رطانة اخوانهم كما اختلفوا بالعلم ومن شاهد آثارهم وما شيدوه من الحصون والمعقل
والامصار وطالع اخبارهم وحروبهم وسيرهم علم انهم قوم لا يرامون بذل ولا ينالهم
من استنطال عليهم بسوء وقد اعتنى الفحول من العلماء والمؤرخين بذكر سيرهم وتدوين
اخبارهم فملأوا كتبهم بنقل ما كانوا عليه من الاخلاق الحميدة كعز الجوار وحماية التزليل
ورعاية الدمة والوفاء بالعهد وصدق القول والصبر على المكاره والثبات في الشدائد وجودة
الملكمة والاغضاء عن العيوب والتجافي عن الانتقام ورحمة المساكين وتوقير اهل العلم وحمل
الكل وكسب المعلوم وقرى الضيف والاعانة على النوائب وعلو الغم واباء الضيم والشقاق
مع الدول ومقارعة الخطوب والتغلب على الملك وغيرها من الخلال التي اكسبتهم الثناء من
الخلق وبعد الصيت ومن مشاهيرهم بعد تمسكهم بالاسلام من الطبقة الاولى بلكين بالباء
الموحدة القهية ابن زيري الصنهاجي عامل افريقية للعبيد بن محمد بن خزر وعروبه بن
يوسف الكتامي القائم بدعوة عبدالله الشيعي ويوسف بن تاشفين اللمتوني وعبد المؤمن
ابن علي امير الموحدين ومن الطبقة الثانية يعقوب بن عبد الحق المريني ويغمراسن سلطان
بني زيان ومحمد بن عبد القوي صاحب تاهرت ووزمار امير بني توجين وثابت بن
منديل امير مغراوه وزمار بن ابراهيم زعيم بني راشد فهو لاء كانوا من ارسخهم في الخلال
الحميدة قدما واطولهم فيها يدا واكثرهم لما جمعوا وسند كطرفا من اخبارهم على وجه الايجاز
ان شاء الله تعالى

❖ ذكر فتح المغرب وما جرى في ذلك من الوقائع بين المسلمين والبربر ❖

اعلم ان قبائل البربر بافريقية والمغرب كانت قبل الاسلام تحت سلطة الروم وعلى دين
النصرانية ولم تزل على ذلك الى ان فتحت مصر في خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وسار عمرو بن العاص رضي الله عنه منها الى برقة سنة اثنتين وعشرين
فصالحه اهلها على الجزية ثم سار منها الى طرابلس فحاصرها وفتحها عنوة وولى عليها وعلي برقة
محكما من قبله ورجع الى مصر وفي خلافة عثمان رضي الله عنه عزل عمرو بن العاص
وتولى عبدالله بن سعيد بن ابي سرح العامري عليها فامرهم عثمان رضي الله عنه بالتوجه
الى افريقية فرحف اليها سنة تسع وعشرين فجمع لهم جرجير ملك افريقية وبلاد المغرب

من بامصارها من الروم وبضواحيها وقراها من البربر وملوكهم وكان ملكه ما بين طرابلس
وطنجة ودار ملكه سيطله ولقي بهم المسلمين فوقعت الهزيمة في جيشه وشدَّ عليه عبدالله
ابن الزبير رضي الله عنه فقتله واتبعهم المسلمون يقتلون ويسبون الى ان وصلوا الى سيطله
ففتحوها ثم خربوها ولم تزل خراباً وهي في تخوم تونس مما يلي ارض الجزائر معروفة لهذا
العهد ونقل الله المسلمين اموال جرجير وجموعه وبناتهم واخذت ابنة جرجير بقاتله عبدالله
ابن الزبير وكان هو الرسول بخبر الفتح الى الخليفة ثم انساح المسلمون في البسائط والضواحي
بالغارات ووقع بينهم وبين البربر حروب انتصر المسلمون في جميعها واسروا من ملوكهم
وزمار بن صقلاب جد بني خزر وهو يومئذ امير مغراوه وسائر زناته ورفعوه الى عثمان
رضي الله عنه فاسلم على يده ومنَّ عليه واطلقه وعقد له على قومه وقيل انما وصله وافداً
ثم لاذ الروم بالسلم وشرطوا لابن ابي سرح ثلاثمائة قنطار من الذهب على ان يرحل عنهم
ففعل ورجع المسلمون الى المشرق وشغلوا بما كان من الفتن الاسلامية ولما آل الامر الى
معاوية بن ابي سفيان بعث ابن خديج الشكوني من مصر لافتح افرقية سنة خمس واربعين
فسار اليها وكان في جيشه عبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهم
وعبد الملك بن مروان فلما وصل الى افرقية ارسل عبد الملك بن مروان الى جلولاء
فتفتحها وارسل جيشاً في البحر في مائتي مركب الى جزيرة صقلية فتفتحوها وغنموا وارسل
روينع بن ثابت الانصاري رضي الله عنه الى جربة فتفتحها وارسل ملك الروم اثناء ذلك
من القسطنطينية عساكره لمداغتهم فتلقتهم المسلمون وردّوهم على اعقابهم ثم قفل ابن خديج
راجعاً الى مصر وتولى بعده عقبة بن نافع رضي الله عنه سنة سبع واربعين فاخضع
القيروان واقترب امر الروم فصاروا الى الحصون وبقي البربر بضواحيهم وفي سنة احدى
وخمسين استعمل معاوية علي مصر وافرريقية مسلمة بن مخلد فعزل عقبة عن افرريقية وولى
مولاه ابا المهاجر ديناراً وفي ايامه فتحت جزيرة شريك على يد حنش بن عبدالله الصاغاني
وكانت رئاسة البربر يومئذ في اوربه لكسيلة بن كزّم رئيس البرانس ومرادفه سكرديد
ابن رومي من اوربه وكانا على دين النصرانية فاسلما لاوّل دخول الاسلام الى المغرب ثم
ارتدّا قبل ولاية ابي المهاجر واجتمع اليهما البرانس وزحف اليهم ابو المهاجر حتى نزل عيون
تلسان فهزمهم وظفر بكسيلة فاسلم واستبقاه عنده واحسن اليه ثم جاء عقبة بن نافع في
الولاية الثانية ايام يزيد بن معاوية سنة اثنين وستين فنكب كسيلة واعنقله ونقدم اليه
ابو المهاجر في اصطناء فلم يقبل وزحف الى المغرب وعلى مقدمته زهير بن قيس البلوي

فدوّخه واستفتح حصون الروم وبقيّة ملوك البربر بالزّاب وتاهرت بجموعهم ففضّهم جمعاً
بعد جمع ودخل المغرب الاقصى واطاعته غماره ثم نازل المصادمة في جبل درن فقوى امرهم
فنهضت اليهم جموع زنّانة وكانوا خالصة للمسلمين منذ اسلام مغراوه فاعتزّ بهم عقبة وقوى
ارّه عليهم فأتّخّن فيهم وحملهم على الطّاعة والاسلام ثم اجاز الى السّوس الاقصى لقتال
من بها من صنهاجة وكانوا على دين المجوسية فأتّخّن فيهم وقتل ظافراً وكسيلة اثناء ذلك
في اعتقاله ثم سرح عقبة العساكر الى القيروان وبقي في شردمة منهم وتراسل كسيلة
وقومه فاجتمعوا اليه وانتهزوا الفرصة في عقبة رضى الله عنه فقتلوه ومن معه وكانوا زهاء
ثلاثمائة من كبار الصحابة رضى الله عنهم واستشهد في مصرع واحد جم غفير من
التابعين فيهم ابو المهاجر وقد ابلى عقبة رضى الله عنه في ذلك اليوم بلاءً حسناً
واشتهر قبره وعليه مسجد معروف باسمه واسر من الصحابة يومئذ محمد بن اوس الانصاري
ويزيد بن خلف العبسي ونذر معهم ففداهم صاحب قفصه وكان زهير بن قيس قد
رجع من المغرب الى القيروان فلما بلغه الخبر خرج هارباً وارتحل المسلمون معه ونزلوا
برقة واقام بها ينتظر امر الخليفة نقارن ذلك اضطراب الخلاف بحروب ابن الزبير
والضحاك بن قيس مع المروانيين واضطرم المغرب ناراً وفشت الردّة في البربر واجتمعت
كلمة البربر والروم على كسيلة فنزل القيروان واعطى الامان لمن بقي بها من العرب
وعظم سلطانه على البربر ومن معهم من الروم فلما حكم خمس سنين ولما استقل عبد الملك
ابن مروان بامر الخلافة بعث الى زهير بن قيس بالمدد وولاه حرب البرابرة والاخذ بشار
عقبة رضى الله عنه فرحف في آلاف من العرب سنة سبع وستين وجمع كسيلة سائر
البربر ولقيه في نواحي القيروان ناشد القتال بينهم وانهمز البربر وقتل كسيلة واتبع
جيشه المسلمون الى نهر ملوية وتلاشى امر البربر وفنيت فرسانهم واخمدت حال الروم
وضعفوا عن اغاثتهم واضطربت افريقية والمغرب ناراً وامتلاّت قلوب البربر من زهير
رعباً فلجئوا الى الحصون ثم قفل زهير الى المشرق فاعترضه اسطول صاحب القسطنطينية
في سواحل برقة فقاتل الروم حتى استشهد هناك وبعث عبد الملك بن مروان الى
حسان بن النعمان عامله على مصر ان يخرج الى افريقية وبعث اليه بالمدد فرحف اليها
سنة تسع وسبعين ودخل افريقية واسترجع قرطاجنه من يد الروم والبربر ثم خربها
فذهب من بقي بها من الروم والافرنج الى صقلية والاندرلس والذي انشأ قرطاجنه
ديدون ابن البشار من نسل عيصوبن اسحق عليه السلام ثم صار ملك افريقية الى

ملاغار انيبال من ملوكهم فهاجت الحرب بينه وبين الرومانيين واهل الاندلس ثم ولى
 بقرطاجنة فاجاز البحر الى بلاد الفرنجة وهم الجلائقة وزحف اليه قواد رومة فوالى عليهم
 الهزائم وبعث اخاه اسد ربال الى الاندلس فملكها وخالفه قواد الرومانيين الى افريقية
 فملكوها وقتلوا غثول خليفة انيبال فيها وخرج قواد آخرون من رومة الى الاندلس
 فملكوها وقتلوا اسد ربال وفر اخوه انيبال وتبعه قواد رومة الذين اجازوا الى افريقية
 فماتوا بقرطاجنة حتى صار الصلح بينهم ثم ظاهر بعد ذلك انيبال صاحب افريقية ملوك
 السريانيين على حرب رومه وبعد ان تحصن اهل رومه من ذلك رجعوا الى الاندلس ثم
 اجازوا البحر الى قرطاجنة ففتحوها وقتلوا ملكها انيبال وذلك لتسعمائة سنة من بناءها
 وسبعائة من بناء رومه ثم بعد ذلك اجتمع قواد رومه على بناء قرطاجنة وتجديدها لاثنتين
 وعشرين سنة من خرابها فعمرت واتصل بها لأهل رومه ملك والذان اختطبا مدينة
 رومه روماش وراماش وذلك لعبد اربعة آلاف وخمسمائة سنة من مبدا الخليفة ثم توجه
 حسان بجيوشه الى الكهنة دهييا بت ماريه ملكة البربر بعقلها من جبل اوراس وقد
 انضم اليها بنو يفرن ومن كان بافريقية من زناتة وسائر البربر فلقيتهم بالسبل امام جبلها
 فانهزم المسلمون واسر خالد بن يزيد النقيسي واتبع آثار حسان وجيوشه بجموعها حتى اخرجتهم
 من افريقية وانتهى حسان الى اعمال طرابلس فاقام بها وبني قعوره ولم تزل اطلالها موجودة
 لذا العيد مشهورة به ثم رجعت الكهنة الى مكنتها بن اوراس واستنحل ملكها في
 افريقية واستمرت ملكة الى البربر خمس سنين ثم بعث عبد الملك الى حسان بالمدد وامره
 بالرجوع الى افريقية فزحف اليها سنة اربع وثمانين وكانت الكهنة عنت واشتدت ظلمها
 وامرت بتخريب جميع المدن والضياع وقطع الاشجار بعد ان كان الراكب يسير من
 طرابلس الى خنجة في عارة متصلة وظل ممدود فشق ذلك على البربر وحصلت الوحشة
 بينهم وبين ماكنهم فلما وصل حسان الى افريقية زحفت اليه بجموعهم فخذلوا واختل
 نظامهم وشدت معها قوتها جراوه من البربر فنقض جيوشهم وقتل الكهنة ثم ان البربر
 استامنوا اليه فامنهم على الاسلام والطاعة فاجابوا واسلموا وعقد الاكبر من اولاد
 الكهنة على قومه جراوه وانصرف حسان الى انقيروان ثم في سنة ثمان وثمانين في خلافة
 الوليد بن عبد الملك قدم موسى بن نصير والياً على افريقية فدوخ المغرب واشخن في
 البربر حتى ادت اليه الطاعة وولى على طنجة مولاه طارق بن زياد وانزل معه سبعة
 وعشرين الفا من مسلمي العرب الاولين واثنى عشر الفا من البربر وامرهم ان يعلموا

البربر القرآن وامور الدين وسرت كلمة الاسلام في جميع احياء البربر وبطونهم ومن بقي منهم اسلم على يد اسماعيل بن عبدالله بن ابي المهاجر سنة احدى ومائة ونقل ابن خلدون عن ابي محمد بن زيد الامام المشهور ان البربر ارتدوا اثني عشر مرة من طرابلس الى طنجة ولم يستقر اسلامهم حتى اجاز موسى بن نصير الى الاندلس واجاز معه كثيرين من رجال البربر برسم الجهاد ووقع فتح الاندلس فحينئذ استقر الاسلام في المغرب وازعن البربر لحكمه ورست فيهم كلمة الاسلام وتناسوا الردة واستوثقت الامور لموسى بن نصير في المغرب والاندلس وبلغ فيها ما لم يبلغه غيره وحصل في يده من الغنم والسبي ما لم يحصل في يد سواه من الملوك قال الصفدي في تاريخه لم يسمع بمثله سبأيا موسى بن نصير وغنائه فانه استعجب عند قدومه الى الوليد بن عبد الملك ثمانية وسبعين تاجاً مكملاً بالدر والياقوت وكلها تيجان ملوك الاندلس من اليونان ومائة وثلاثين عجلة مشحونة بالذهب والفضة واللؤلؤ ومن ابنا الملوك وغيرهم من الاسرى ما يقرب من ثمانين الف اسير ومن الرقيق ثلاثون الف شخص واستخلف ولديه عبدالله على افريقية والمغرب وعبد العزيز على الاندلس وفي خلافة سليمان بن عبد الملك عزل عبدالله بن موسى بن نصير عن افريقية والمغرب وتولى محمد بن يزيد مولى قريش وذلك سنة ست وتسعين وفي خلافة عمر بن عبد العزيز عزل عبدالله وتولى مكانه اسماعيل بن عبدالله ابن ابي المهاجر سنة سبع وتسعين ثم نبضت عروق الخارجية في رؤس كثير من البربر وسارت اليهم من سواد العراق فدانوا لها وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها فيهم من الاباضية والمغربية وفشت هذه البدعة في المغرب فوقع الاختلال في كل جهة منه وفي خلافة يزيد بن عبد الملك تولى يزيد بن ابي مسلم فقتله الخوارج لشهر من ولايته فتولى بعده بشر بن صفوان الكلابي فقدمها سنة ثلاث ومائة وغزى جزيرة صقلية سنة تسع ومائة ومات في مرجعه عنها وتولى عبيدة ابن عبد الرحمن القيسي سنة عشر ومائة وعزل في خلافة هشام وتولى مكانه عبيد الله بن الحجاب مولى ابن سلول سنة اربع عشرة ومائة وبني جامعاً بتونس ويعرف لهذا العهد بجامع الزيتونة واتخذ فيها دار الصناعة لانشاء المراكب البحرية ووطي بعسكره بلاد سوس واشخ في البربر فجمعوا امرهم وانقضوا عليه وثار ميسرة المظفري بطنجة على عمرو بن عبد الله المرادي وكان والياً عليها لابن الحجاب فقتله

وباع لعبد الآلي بن جريج الافريقي الرومي الاصل ثم خلعه وباع لنفسه ثم ساءت سيرته فنقم عليه البربر ما جاء به وقتلوه وقدموا على انفسهم خالد بن حميد الزناتي فقام بامرهم وجمع كلمتهم وزحف بجذوعه الى العرب وسرح اليهم عبدالله بن الحجاب العساكر في مقدمته ومعهم خالد بن حبيب الفهري فالتقوا بوادي شلف فانهمز العرب وقتل خالد بن حبيب ومن معه وتسمى هذه الواقعة بواقعة الاشراف لكثرة من حضرها من وجوه قريش والانصار وانتقضت البلاد ومرج امر الناس وانتهى الخبر الى هشام بن عبد الملك فعزل ابن الحجاب وولى كاثوم بن عياض القشيري سنة ثلاث وعشرين ومائة فخرج الى افريقية حتى بلغ وادي طنجة فزحف اليه خالد بن حميد الزناتي بن معه من البربر ولقوا كاثوم بن عياض بعد ان هزموا مقدمته وعليها بلخ بن بشير القشيري فاشتد القتال بينهم وقتل كاثوم وانهمز جيشه وتحيز اهل الشام الى سبته مع بلخ بن بشير ومضى اهل مصر وافريقية الى انقيروان وطار الخبر الى هشام بن عبد الملك فبعث حنظلة بن سفيان الكلبي فقدم القيروان سنة اربع وعشرين ومائة وهوارة يومئذ خارجون عن طاعة الدولة ومنهم عكاشة بن ايوب وعبد الواحد بن يزيد فنارت هواره ومن تبعهم من البربر فهزمهم حنظلة في ظاهر انقيروان بعد قتال شديد وقتل عبد الواحد واخذ عكاشة اسيراً وكتب حنظلة بذلك الى هشام ولما سمعها الليث بن سعيد رضي الله عنه قال ما غزوة كنت احب ان اشهدها بعد غزوة بدر احب الي من هذه الغزوة واجاز عبد الرحمن بن عقبة بن نافع لما مات ابوه الى الاندلس يحاول ملكها ولما يس منها رجع الى تونس ودعا لنفسه سنة سبع وعشرين واستقل بملك افريقية واقره مروان بن محمد عليها لما تولى الخلافة ولما آلت الخلافة الى بني العباس بعث عبد الرحمن بطاعته الى السفاح ثم الى ابي جعفر المنصور من بعده ولم يزل عبد الرحمن والياً على افريقية الى ان قتله اخوته سنة سبع وثلاثين لعشر سنين من امارته وانتهى خبر افريقية الى ابي جعفر المنصور فأرسل محمد بن الاشعث الخزاعي والياً عليها سنة اربع واربعين ومائة فلقية ابو الخطاب الخارجي بجذوعه بسرت فهزمه ابن الاشعث وقتل عامة اصحابه وافتتح طرابلس وقام بامر افريقية وضبطها ثم قفل الى المشرق فوليا بعده الاغلب بن سالم التميمي فخرج عليه ابو قرة اليعرقي في جموع البربر فهرب ونقم عليه الجند وخالعوه ولحقوا بالحسن بن حرب

الكندي بكابس واقبل بهم الى القيروان فلما لحق الاغلب بكابس واستعدت
 لقتال الحسن سنة خمسين فهزمه الى القيروان فكثر عليه الحسن دونها واقتتلوا فقتل
 الاغلب ثم رجعت اصحاب الاغلب على الحسن فقتلوه في الموقف الذي قتل فيه
 الاغلب ولما بلغ المنصور قتل الاغلب بعث الى افريقية عمر بن حفص اخا المهلب
 ابن ابي صفرة فقدمها سنة احدى وخمسين ومائة فاستنقام امره ثلاث سنين ثم
 ثار البربر عليه وحاصروه بغلجة فدافعهم وفرق كتبهم بالمال ثم انتفضوا عليه وحاصروه
 بالقيروان ولما اجهد الحصار خرج مستميتاً الى قتالهم فقتل آخر سنة اربع وخمسين
 ومائة ثم تولى مكانه ابن عمه يزيد بن ابي حاتم بعثه المنصور في ستين الف
 مقاتل فهزم جموع البربر وقتل ابو حاتم احد رؤسائهم في ثلاثين الفا من اصحابه
 وتبع يزيد جموع البربر بالقتل بثار ابن عمه عمر بن حفص ثم دخل انقيروان
 سنة خمس وخمسين ومائة ولم يزل والياً على افريقية والمغرب الى ان توفي سنة
 سبعين ومائة وكان روح بن ابي حاتم اخو يزيد على فلسطين فاستقدمه الخليفة
 هارون الرشيد وولاه على افريقية فقدمها ثم توفي سنة اربع وسبعين ومائة وولى
 مكانه ابنه الفضل فخرج عليه عبدالله بن الجارود واقطم عليه القيروان واعقله
 ووكل به وباهله من يوصاهم الى كابس ثم رده من الطريق وقتله فتولى بعده
 هرثة بن أعين سنة سبع وسبعين ومائة فأمر الناس وسكنهم وبني القصر
 الكبير بالمستير وبني السور على طرابلس ولما رأى كثرة الثوار بافريقية استعفى
 الرشيد من ولايتها فاعناه وولى محمد بن مقاتل الكعبي من صناعته فقدمها سنة
 احدى وثمانين ومائة وكان سيء السيرة فخلعه الجند وقدموا تخذل بن مرة الأسدي
 وبعد ان قتل تخذل ثار تمام بن تميم التميمي على محمد بن مقاتل واخرجه من
 القيروان فلحق بطرابلس وبلغ الخبر الى ابراهيم بن الاغلب بمكانه من الزاب فانتصر
 لمحمد وسار بجموعه الى انقيروان وهرب تميم بين يديه الى تونس وملاك افريقية
 واستقدم محمد بن مقاتل من طرابلس واعاده الى امارته ولما استقر الامر لمحمد
 ابن مقاتل كره اهل البلاد ولايته وداخلوا ابراهيم بن الاغلب في ان يطلب من
 الرشيد الولاية عليهم فكتب ابراهيم الى الرشيد بذلك فكتب له بالعهد سنة اربع
 وثمانين ومائة فقام بامر الولاية وابتنى مدينة العباسية قرب انقيروان وانتقل اليها
 وتوارثها بنوه خلفاً عن سلف الى سنة ست وتسعين ومائتين ثم خرج اهل افريقية

عن طاعتهم وقاموا بدعوة الشيعة وفر آخرهم واسمه زيادة الله قاتل ابيه الى المشرق وفي هذه المدة كلها لم يتجاوز ملكهم افريقية لمكان الدولة الادريسية في المغرب وبانقراض دولة بني الأغلب من افريقية انقطعت دعوة بني العباس منها ومن المغرب . ولنذكر دول المغرب على الترتيب ووقائعها وما آل اليه امرها مبينين بدولة الادارسة لانها اول دولة ظهرت فيه حتى نتوصل الى ذكر ما كان في ايام سيدي الوالد من الوقائع الهائلة والايام المشهورة مع دولة فرانسا وما جرى بينه وبين دولة . راكمش بوجه الاختصار على حسب الامكان وبالله المستعان

﴿ ذكر دولة الادارسة في المغرب الاقصى ﴾

لما آلت الخلافة العباسية للهادي خرج الحسين بن علي بن حسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليهم السلام الى المدينة المنورة وبويع في ذي القعدة سنة تسع وستين ومائة ثم سار منها الى مكة المكرمة وكتب الهادي الى محمد بن سليمان بن علي العباسي حين قدم حاجاً من البصرة فولاه حربه فاستعد محمد بن سليمان لقتاله وانضم اليه من حضر من شيعتهم ومواليهم وخرج لقتال الحسين فالتقى الفريقان بوجع موضع على ثلاثة اميال من مكة الى جهة الطائف واقتتلوا ف وقعت الهزيمة في جيش الحسين وقتل هو في جماعة من اهل البيت واقترب الباقيون وكان فيهم عمه ادريس بن عبدالله الكامل فافلت مع من افلت منهم ولحق بمصر نازعاً الى المغرب وعلى بريد مصر يومئذ واضح مولى صالح بن المنصور وكان يتشيع فعلم بشأن ادريس وحمله على البريد الى المغرب ومعه راشد مولاه فزل بوليلي بجانب جبل زرهون سنة اثنين وسبعين وبها وقتل استحاق بن محمد بن عبد الحميد امير اوربة من قبائل البربر فاجاره وجمع البربر على ادريس وبايعوه وقاموا بامرهم وخطب الناس يوم بويع فقال ايها الناس لا تمدن الاعناق الى غيرنا فان الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا ولما استوثق له الامر زحف الى البرابرة الذين كانوا بالمغرب واكثرهم على دين اليهودية والنصرانية فاسلموا على يده وخرّب حمونهم وفتح تامسنا ومدينة شالة وتادلا ثم زحف الى تلمسان سنة ثلاث وسبعين وامن اميرها محمد بن خزر المغراوي واقراه على امارته كما امن سائر زناته وبني مسجد تلمسان وكتب اسمه على منبرها ثم رجع الى مدينة

وليلي وقد طبق الآفاق ذكره واحتاز له الرشيد ببغداد وادمه شانه واطلع على ما كان من واضح مولاثم من دسيسة التشيع واعمال الحيلة في نجاة ادريس الى المغرب فقتله ومن ذلك العهد وقع الفشل لبني العباس بالمغرب وقصرت قوتهم عن ان تسمو اليه وقد استعمل الرشيد الحيلة على قتل ادريس فدرس اليه الشيخ من مواليتهم للتخيل على قتله فلحق به واطهر النفور من بني العباس مواليه فصدقه ادريس وقربه منه ثم انتهر الفرصة فيه في بعض خلواته فناوله سمًا فقتله به سنة خمس وسبعين ومائة ودفن بوليلي وفر الشيخ ولحقه راشد مولى ادريس بوادي ملويه فاختلفا بضربتين نقطع راشد يد الشيخ واجاز الوادي فاعجزه ونما خبر ادريس الي بني العباس ببغداد فوقع ذلك احسن موقع لما رجوه من قطع اسباب الدعوة الادريسية من المغرب وكانت ايام خلافة ادريس خمس سنين وستة اشهر وخلف جاريته كنزة حبل فقام بامر الملك مولاہ راشد بالاتفاق وبعد ستة اشهر من موته وضعت جاريته كنزة ولدًا فاجتمع البربر وعرضه راشد عليهم فأروه شبيهاً بابيه ففرحوا به وسموه ادريس الأصغر وكفله راشد الى ان قتله بعض البربر باغراء بني الاغلب امرأ افريقية سنة ست وثمانين ومائة ثم قام بكفالة ادريس من بعده ابو خالد بن يزيد بن الياس العبدي الى ان بايعوه بجامع والي سنة ثمان وثمانين ومائة وهو ابن احدى عشر سنة وقاموا بامره وجددوا لانفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته وكان ادريس الاصغر اجمل الناس خلقًا وخلقًا قال داود بن القاسم البربري خرجت مع ادريس الاصغر الى قتال الخوارج من البربر فلقبهم وكثروا أكثر منا عددًا فاخذني العجب يومئذٍ من ثبات جأشه وشدة اقدامه على العدو مع صغر سنه فجعلت اطيل النظر فيه نكلكني في ذلك فقلت انما اطلت النظر اليك لخصال رايتها فيك منها انك تبصق بصاقًا مجتبعًا وانا اطلب قليلًا منه ابل به حلقي فلا اجده ومنها حركتك في سرجك فقال اما اجتماع بصاقي فلا اجتماع قاي واما ذهاب بصاقتك فلذهاب قلبك واما حركتي فلا استشرافي الى القتال ثم قال

أليس ابونا هاشم شد از ره * واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

فقلت بلى انتم اهل لذلك . ولما استوثق له الملك استوزر مصعب بن عيسى الازدي ونزع اليه كثير من قبائل العرب والاندلس واجتمع اليه منهم عدد كثير

فاختصهم وكانوا له حاشية وبطانة وعظم سلطانه بهم وقوي ملكه واختط مدينة فاس سنة اثنين وتسعين ومائة وبني فيها مساكنه وانتقل اليها من ويلي واسس جامع الشرفا واستنقام له الامر وتوطد له الملك ثم خرج غازياً المعامد سنة سبع وتسعين ومائة فافتتح بلادهم ودانوا بدعوته ثم غزى تلمسان وجدد بناء مسجدها واقام فيها ثلاث سنين وانتظمت كلمة البرابرة وزناته ونحو دعوة الخوارج منهم واستولوا على المغريين من سوس الاقصى الى وادي شلف وضايق ابراهيم بن الاغلب بافريقية ثم استراب ادريس بالبرابرة فصالح ابن الاغلب وسكن من غربه ثم عجزت الاغالبية عن مدافعة الادارسة ودافعوا حلفاء بني العباس فتارة باحنقار المغرب وادله وتارة بالارداب بشأن ادريس ثم رجع ادريس من تلمسان الى عاصمة ملكه فاس وعزم على الجواز الى الاندلس فادركه الاجل وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائتين عن ثمان وثلاثين سنة وخلف اثني عشر ولداً ذكراً اكبرهم جدنا محمد وهو ولي عهده فاشرك اخوته في ملكه باشارة جدته كنزة فقسم المغرب بين الكبار منهم وابقى الباقيين في كنفه وكفالة جدتهم كنزة لصغرهم ولم يزل امره جارياً على احسن الوجوه واعد لها الى ان توفي في ربيع الاول سنة احدى وعشرين ومائتين بعد ان عيّد لابنه علي وهو ابن تسع سنين فقام بامره الحاشية من العرب واوردية وسائر البربر وبايعوه غلاماً مترعراً وقاموا بامره وطاعته فكانت ايامه خير ايام وتوفي في رجب سنة اربع وثلاثين ومائتين لثلاث عشرة سنة من ولايته وعيّد لاختيه يحيى بن محمد فقام بالامر واشتد سلطانه وحسنت سيرته واستجبت فاس في العمران وبنيت الحمامات والفتادق للتجار ورحل اليها الناس من الآفاق والقاصية وبني في ايامه جامع القرويين اختطته امرأة من القيروان من مالها سنة خمس واربعين ومائتين وانتقلت اليه الخطبة من جامع الشرفا المعروف بجامع مولاي ادريس ثم اوسع في خطة المنصور بن ابي عامر وبنو مرين ثم توفي يحيى وبويع ولده يحيى بن يحيى فساءت سيرته وكثر عبثه وثار به العامة فاخرجوه من عدوة القرويين الى عدوة الاندلسيين فتواري ليليتين ومات اسفاً وبلغ الخبر الى ابن عمه علي بن عمر صاحب الريف فاستدعاه اهل الدولة من العرب والبربر فجاء الى فاس وبايعوه واستولى على اعمال المغرب فثار عليه عبد الرزاق الخارجي وزحف على فاس وغلب على عدوة الاندلس منها وامتنعت عليه عدوة القرويين

وفّر علي إلى أعماله من الريف فاستخضر أهل فاس يحيى بن قاسم بن ادريس
فخضر إليها بجنوده وقتل عبد الرزاق وتم له الأمر واستقل به إلى أن اغتاله الربيع
ابن سليمان سنة اثنين وتسعين ومائتين وقام بالأمر بعده أحسن قيام يحيى بن
ادريس بن عمر بن ادريس صاحب الريف فملك جميع أعمال الادارسة وخطب
له على سائر منابر المغرب وكان أعلا بني ادريس مكاناً وأعظمهم سلطاناً وأكثرهم
عدلاً وكرماً ذا علمٍ وصلاح ولم يزل على ذلك إلى أن عقد الشيعة أصحاب افريقية
لمصالة بن حبوس صاحب تاهرت على تحاربة ملوك المغرب فرحف إلى فاس في عساكر
مكناسة وكتامة وبرزاليه يحيى بن ادريس بجدوعه والنقوا على مكناسة فكانت
الدائرة على يحيى ورجع إلى فاس فحاصره بها ثم صالحه على مال يدفعه إليه وإن
يباع لعبدالله المهدي فقبل وخلع نفسه وانتد يعته إلى عبدالله المهدي وعقد له
مصالاة على فاس وعمها خاصة وعقد لموسى بن أبي العافية المكناسي على جميع
المغرب ورجع إلى افريقية وفي سنة تسع وثلاثمائة عاد مصالاة إلى المغرب فدرس
إليه ابن أبي العافية في يحيى نقبض عليه واستصفي أمواله وغرّ به إلى الريف وولى
على فاس ريجان الكتامي نثار عليه الحسن بن انقاسم بن ادريس الملقب بالحجام
سنة عشرة وثلاثمائة وانرج ريجان منها وملكها عامين ثم زحف للقاء موسى بن
أبي العافية وكانت بينهما حروب شديدة قتل فيها ابنه موسى وانجلى المعركة على
أكثر من ألف قتيل وخلص الحسن إلى فاس منهزماً فغدر به حامد بن حمدان
البربري الأوربي واعتقله وبعث به إلى موسى فوصل موسى إلى فاس فملكها وطالب
حمدان باحضار الحسن ندّاه واطلق الحسن فخرج من معتقله متنكراً وتدلّى من
السور فسقط ومات وفّر حامد بن حمدان إلى المهديّة بافريقية وتولى ابن أبي
العافية على جميع المغرب وأجلى من بقي من الادارسة في فاس إلى الريف واجتمعوا
إلى أكبرهم ابراهيم بن محمد بن انقاسم أخى الحسن المذكور وولوه عليهم واختط
لهم الحصن المعروف بحجرة النسر ثم اظلم الجوّ بين الشيعة واميرهم موسى بن أبي
العافية فمال ابن أبي العافية إلى المروانيين أصحاب الاندلس وخطب موسى لهم
على منابر سائر أعماله وقطع خطبة انعبد بين فطار الخبر إليهم فجهزوا له جيشاً تحت
قيادة مولاهم ميسور النقي وكتبوا إلى الادارسة بالريف أن يكونوا في نصرته
حتى إذا فرغوا من موسى بن أبي العافية يرجع ميسور ويترك لهم ولاية المغرب

فكان من الادارسة في محاربة ابن ابي العافية عجائب ثم انحاز الى ملوية فلقوا به وقتلوه بعد ان ملك المغرب ثمانية وعشرين سنة ورجع بنو ادريس الى بلادهم ما عدا فاس وتمسكوا بدعوة الشيعة وتولى القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس الملقب بكنون ثم توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وتولى مكانه ولده احمد بن القاسم وكان عالماً فقيهاً يميل الى بني مروان فقطع دعوة الشيعة ودخل الاندلس بقصد الجهاد فمات ذلك سنة ثلاث واربعين وثلاثمائة وخلفه اخوه الحسن بن كنون الى دخول جوهر الشيعي المغرب فبايع الحسن الشيعة ولما رجع جوهر نكث ورجع للمروانيين الى ايام بالكنين قائد الشيعة وقوي امرهم وضاقت النطاق على الحسن حتى مات شريداً ثم تغلب المروانيون على بلاد الريف واجازوا اكثر الادارسة المترشحين للملك الى الاندلس ثم اجازوهم الى الاسكندرية وبعث العزيز العبيدي صاحب مصر وافريقية من اختاره من بني كنون لطلب ملكهم بالمغرب فغلبهم عليه المنصور بن ابي عامر وقتلهم وكان اقراض دولة الادارسة من المغرب بعد ان ملكوه نحو مائتي سنة ثم تمكن بنو يفرن وزناتة وخطبوا فيها للمروانيين وبقيت في ايديهم يتوارثونها الى ان غلبهم عليها المرابطون والبقاء لله تعالى

﴿ ذكر بني الاغلب امراء تونس ﴾

وهم من اولاد الاغلب بن سالم قدم مع محمد بن الاشعث الخزاعي حين تولى على مصر وتونس سنة اربع واربعين ومائة فولاه على الزاب ولما رجع ابن الاشعث الى بغداد بعث الخليفة ابو جعفر المنصور الاغلب بن سالم والياً على تونس فقدمها وسكن القيروان ثم خرج عليه ابومرة اليفرني في جموع من البربر وقتل الاغلب في حروبه وفي ايام هارون الرشيد عهد بالولاية لابراهيم بن الاغلب وكان الرشيد يغيث بمكانة ادريس في المغرب فاحتال عليه ابراهيم حتى قتله و اشار لذلك ابن الخطيب بقوله .

واستوثق الملك لآل الاغلب * بعد رجال من بني الملب
فاولت الاقوام ابراهيم * وهو الهمام الملك العظيم
قلده هارون امر المغرب * وهولطيف الخدم اذ في المضرب
فلم يدع في ارضه رئيسا * واعمل الحيلة في ادريسا

ودام ابراهيم في الولاية الى ان توفي . فوليا بعده ابنه العباس واستعمل الجور في رعيته فانتدب جماعة من الصالحين الى وعظه فلم يقبل واستمر على حاله فتوجهوا الى الله بان يريحهم منه فات خمسة ايام مطعوناً بعد ان اسود لوناه وتغير جماله وحسنه فوليا اخوه زيادة الله المشهور بابن شكاة وكان اميراً جليلاً وفي في امارته للمأمون وابراهيم من المهدي ومات سنة ثلاث وعشرين ومائتين فتولى مكانه اخوه عقال وسار سيرته في الخير الى ان مات فولى بعده ابو العباس بن محمد ابن الاغلب وكان جاهلاً وولي بعد وفاته ابن اخيه احمد بن العباس وكان حسن الاخلاق متجنباً الظلم والاعتساف بنى المساجد في تونس والمآجل ببابها وتوفي سنة تسع واربعين ومائتين فوليا اخوه ابو محمد زيادة الله بن محمد بن الاغلب وكان عاقلاً حسن السيرة وكانت ولايته ستة اشهر ثم وليها ابن اخيه محمد بن احمد ابن محمد الملقب بابي الغرائق لشغفه بصيدها وكان غاية في الجود وايامه في اليمن يضرب بها المثل توفي سنة احدى وستين ومائتين وولى بعده اخوه ابو اسحاق ابراهيم ابن احمد وهو الذي نقل القصور الى ركادة وكان في ابتداء امره حسن السيرة ثم غلب عليه خلط سوداوي فتغير حاله واسرف في القتل وقتل اصحابه وحجابه وثمانية من اخوته صبراً بين يديه وقتل بناته ثم اظهر النسل مات سنة تسع وثمانين ومائتين وولى بعده ابنه ابو العباس عبدالله على عهد المعتصم بالله فرد المظالم وتنسك ولبس الصوف وقتل بتدبير ابنه زيادة الله وكان في سجنه وبادر بقتل من شارك في دمه واظهر التبري من ذلك وفي ايام زيادة الله ظهر امر بني عبيد ولقيت جيوشه جيوش الشيعة فلم تقم لهم قائمة ففر الى المشرق وترك البلاد

﴿ ذكر دولة الادارسة بالاندلس ﴾

كان لبني محمد وبني عمر من ولد ادريس رئاسة على البربر في بلاد غمارة من الريف فلما قام سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين طلي المهدي محمد بن هشام في جنود البربر وزناته كان علي بن حمود بن ميمون بن احمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن ادريس واخوه انقاسم في جملتهم واشتد امر البربر وزناته انصار المستعين على اهل الاندلس وحاصروا المهدي في قرطبة فغشي اهلها على انفسهم من اقتحام البربر عليهم فقتلوا المهدي بن هشام واجتمعوا على تجديد البيعة لهشام المؤيد واستمر

البرابرة على حصار قرطبة والمستعين بينهم الى ان دخلوها عنوة سنة ثلاث واربعائة وفتكوا بهشام المؤيد ثم لما افترق شمل جماعة قرطبة وتغلب البربر على الامر قام علي بن حمود واخوه القاسم ودعوا لانفسهم وتعصب لهم الكثير من البربر وملكوا قرطبة سنة سبع واربعائة وقتلوا المستعين وتم الامر لعلي وتمكن سلطانه واتصلت دولته عامين وتلقب بالأمون ثم قتله صقالبته في الحمام سنة ثمان واربعائة فولي مكانه اخوه القاسم والى ذلك يشير ابن الخطيب في منظومته بقوله

ثم سليمان الى الملك رجع * نبيه الدهر وما كان هجع
وكان شاعراً ومن اهل اللسن * وقضى الله له أبا الحسن
وهو ابن حمود اتى من سبته * وسبب العز له قد ثبته
صال عليه طالباً دم هشام * وقل من وفى عن الثار ونام
نفذ الابن وثنى بالأب * بيده مييناً للسبب
واستوثق الامر قليلاً وانتظم * وانتصر الدهر به من ظلم
واغلظ الاحكام في بربره * وغالب الناس على سيره
واغتاله الصقاب في حمامه * فجرعوه الصرف من حمامه
وقام بالامر اخوه القاسم * فوضعت في ملكه المراسم

ثم بعد اربع سنين من سلطنة القاسم نازعه ابن اخيه يحيى بن علي بسبته وكان اميراً على تلك النواحي وولى عهد ابيه فزحف الى قرطبة فلما كان سنة ثنتي عشرة واربعائة وتلقب بالمعتلى وفرّ عمه الأمون الى اشبيلية وباع له قاضيها ابن عباد واستجاش بعض البربر ورجع الى قرطبة سنة ثلاث عشرة ولحق المعتلى بالقة وتغلب علي الجزيرة الخضراء وتغلب اخوه ادريس علي طنجة ولم يزل امر المعتلى ينمو وسلطانه يعلو الى ان قتله محمد بن عبدالله البرزالي البربري بمداخلة ابن عباد ثم استدعى اهل مالقة اخاه ادريس بن علي من طنجة وباعوه فتم امره واتسعت دولته ومات سنة احدى وثلاثين واربعائة وبويع بعده لابن اخيه حسن بن يحيى المعتلى ولقب المستنصر ثم مات مسموماً سنة ثمان وثلاثين وبويع لاختيه ادريس ابن يحيى ولقب العالي ثم ثار السودان عليه بدعوة ابن عمه محمد بن ادريس بن علي وتلقب المهدي واقام في ملكه بالقة واطاعته غرناطة وجيان واعمالها الى ان مات سنة اربع واربعين ورجع العالي فبويع بمكانه بغارة وكان فرّ اليها لما ثار

عليه السودان ثم مات سنة سبع وأربعين وبويع محمد الأصغر ابن ادريس بن علي وتلقب المستعلي ثم قام عليه باديس فتغلب على مالقة وسار محمد المستعلي منها إلى المرية مخلوفاً ثم استدعاه أهل مليلية وكلمة من وراء البحر وبايعوه سنة تسع وخمسين وأربعمائة وهو آخر من ملك في الأندلس من الأدارسة ثم انقسمت ملوك الطوائف جزيرة الأندلس إلى أن تغلب عليهم المرابطون بعد تغلبهم على المغرب كله والبقاء لله وحده . وأعلم أن هذا القطر الأندلسي تسميه الأفرنج أندلس بالشين المعجمة وكان يسكنه أم من أفرنجة المغرب وأكثرهم الجلالة وكان الغوط قد تمكنوا المئين من السنين قبل الإسلام بعد حروب موصوفة مع السريانيين وذلك لعهد إبراهيم الخليل عليه السلام وحاربوا الأتانيين وحاصروا رومة ثم عقدوا معهم السلم على أن ينصرف الغوط إلى الأندلس فساروا إليها وملكوها وهؤلاء الغوط من الأمم العظيمة وكانوا يعرفون في الزمن القديم باسمين نسبة إلى الأرض التي كانوا يعمرونها بالشرق فبأبن الفرس واليونان ولما أخذ الروم واليونان بالملّة النصرانية حملوا عليها من ورائهم من المغرب من أمم الأفرنجة والغوط فدانوا بها وكانت دار ملوك الغوط طليطلة وملكهم لذلك العهد يسمى لزريف وهو سمة ملوكهم وكان ملك البرابرة بجبال غمارة يسمى بليان يدين بطاعتهم وملتهم وموسى بن نصير أمير المغرب إذ ذاك عامل على إفريقية من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك واستنزل بليان بطاعة الإسلام وكان بليان ينقم على لزريف ملك الغوط فلحق بطارق بن زياد الليثي وهو يومئذٍ والي طنجة فانتهر طارق الفرصة وأجاز البحر بأذن أميره موسى بن نصير بثلاثمائة من العرب واحتشد معهم البربر وصيرهم عسكريين أحدهما على نفسه ونزل بهم جبل الفتح فسمى جبل طارق والآخر على طريف بن مالك النخعي ونزل بمكان مدينة طريف فسميت به وحصل لها الفتوحات العظيمة

﴿ ذكر دولة العبيديين وهم الفاطميون ﴾

وأصلهم من الشيعة المعروفين بالإمامية وكان محمد بن حبيب والد عبيد الله المهدي منهم وهو من ولد اسماعيل الإمام ومنازله بالسليمية من أرض حمص في الشام وكانت شيعتهم يتعهدونه بالزيارة فجاء محمد بن الفضل الشيعي العدني من اليمن لزيارته فبعث معه رستم بن الحسن بن الحوشب لأقامة دعوته باليمن فساروا وأظهروا الدعوة واستولى

محمد بن الفضل الداعية على أكثر اليمن وفرَّق الدعوة في اليمامة والبحرين والسند والهند
ومصر والمغرب وكان ابو عبدالله المعروف بالمخشب الشيعي من اهل صنعاء وقيل من
الكوفة سمع بقدم ابن حوشب وانه يدعو الناس الى المهدي فصار اليه واتصل به وكان
ابن حوشب ارسل دعاة الى المغرب واجابتهم كتامة من البربر فلما رأى علم ابي عبدالله
وذهاءه ارسله اليهم ثم جاء ابو عبدالله مكة واجتمع بجماعة منهم قدموا حجاجاً فراءهم مجيبين
الى مطلوبه فصار معهم الى بلادهم من افريقية سنة ثمانين ومائتين واثالث البربر عليه من
كل جهة وعظم شأنه وبلغ الامر الى بني الاغلب امراء افريقية فاستصغروه ثم مضى الى
تاهرت واثنته قبائل المغرب الاوسط واستمر يطاول بني الاغلب على مملكتهم الى ان تولى
زيادة الله قاتل ابيه وكان منهمكاً في لذاته فضعف امره وانتقضت عليه كافة افريقية
فهرب الى المشرق ونهب البربر قصوره واحتل ابو عبدالله ركادة ومنها ذهب الى القيروان
فدخلها ولما رأى ابو عبدالله امره في الزيادة وامر بني الاغلب في النقصان بعث جماعة
من كتابه الى عبيدالله المهدي بعد موت والده محمد الحبيب فوصلوا اليه وهو في السليبية
واخبروه بما فتح الله عليهم وان الناس في انتظاره وشاع خبر عبيدالله المهدي في الشام
والعراق ومصر واتصل الخبر بالخليفة المكتفي بالله العباسي فطلبه ففرَّ الى العراق ثم لحق
ببصر ومعه ابنه وخاصته فبلغه ما احدث بها محمد بن الفضل من بعد ابن حوشب وانه اساء
السيرة فخرج من مصر بمن معه في زيج التجار وسار حتى وصل قسنطينة ثم عدل الى طريق
التحراء الى سجلاسا وبها اليسع بن مدرار فآكرمه ثم حبسه وبقي في تحبسه الى ان فرغ
ابو عبدالله من امر افريقية واستمر على سيره حتى اتى سجلاسا فخرج اليسع لقتاله فانهقض
معسكره وفرَّ هو وخاصته ومن الغد خرج اهل البلد الى الشيعي وذهبوا معه الى مجلس المهدي
وابنه فاخرجهما وباع للمهدي ومشى مع رؤساء القبائل بين يديه حتى انزلهم بالمخيم وبعث
في طلب اليسع فادركوه وقتلوه ثم ارتحلوا الى افريقية ونزلوا بركادة سنة سبع وتسعين
فحضر اهل القيروان وبويع المهدي البيعة العامة واستقام امره وقسم الاموال في رجال
كتامة واقطعهم الاعمال ودوّن الدواوين وجي الاموال واستبدَّ بامرهم والى ذلك اشار
ابن الخطيب بقوله

وظاهر الشيعي في كتامة * فاختار فيهم كونه واعتماده
وغرم في رايه ومذهبه * ووعدهم ملاك الوري بسببه
وصير الدعوة بعض قصبي * الى عبيدالله من آل الوصي

وهو الذي لقب بالمهدي * أي همام حازم أبي

واخر المهدي ابا عبد الله واخاه ابا العباس عن مباشرة الاحكام فاظم الجو
بينهما واظهر ابو عبد الله واخوه الظعن فيه وقالوا لهم ليس هذا هو المهدي
الذي دعونا اليه فاستراحت كتامة وانتقوا على قتله ونفى الخبر الى المهدي فتلطف
في امرهم وولى روءساء كتامة على البلاد وفرق كلمتهم ثم امر عروبة بن
يوسف بقتل ابي عبد الله واخيه فحمل على ابي عبد الله عند باب القصر فقال
له لا تفعل فقال الذي امرتنا بطاعته امرنا بقتلك ثم اجوز عليه وعلى اخيه
ابي العباس وخلا الجو للمهدي فبني المهدي وانتقل اليها من ركادة وزال بملكه
ملك بني الاغلب وملك بني مدرار اصحاب سجلماسة . وايامهم فيها مائة
وثلاثون سنة وزال ملك بني رستم اصحاب تاهرت وايامهم فيها مائة وستون
سنة ثم توفي المهدي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة بالمهدي لاربع وعشرين سنة
من ولايته وولى بعده ابنه ابو القاسم محمد ويقال له نزار ولقب بالقائم بامر
الله فخرج عليه ابو يزيد الاعور ولم يزل مشغلاً بحروبه مدة امارته وتوفي
انقائم تحويراً في سوسة بعد ان عهد لولده اسماعيل ولقبه المنصور سنة اربع
وثلاثين وثلاثمائة فكنى المنصور موت ابيه القائم حذراً ان يطع عليه ابو يزيد
وهو بمكانه من حصار سوسة فلم يسم بالخليفة ولا غير السكة ولا الخطبة ولا
البود الى ان مات ابو يزيد مأسوراً عنده سنة ست وثلاثين وثلاثمائة
فحينئذ اظهر موت ابيه وبوبع بالخلافة وضبط الملك والبلاد ثم توفي سنة احدى
واربعين وثلاثمائة لسبع سنين من خلافته وعهد الى ابنه معد ولقب بالمعز لدين
الله فاستقام امره وعظم ملكه ولما بلغه اختلال احوال مصر بعد موت كافور
الاخشيدي جهز اليها جوهرًا في جيوش البربر والعرب فهربت العساكر الاخشيدية
قبل وصوله ودخل مصر في سابع عشر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة
واقامت دعوة الفاطميين فيها وخطب باسم المعز ابو محمد عبد الله الشمشاطي في
الجامع العتيق في شوال وفي جمادى الاولى دخل جوهر جامع ابن طولون وامر
بزيادة حي على خير العمل في الاذان وجوز في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم
وبعث الهدايا والاموال الى افريقية صحبة الوفد من مشيخة مصر وقضايتها وعلمائها
وانقرضت دولة الاخشيدية من بني طنج . ولما استقر جوهر بمصر شرع في

بناء القاهرة وسير جيشاً الى الشام مع جعفر بن فلاج . فجاز الى دمشق وافتتحها بعد قتال شديد ونهب بعضها وكف عن بعض واقام الخطبة فيها يوم الجمعة للمعز الفاطمي في المحرم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ولما توات البشائر على المعز بفتح مصر والشام عزم على المسير الى مصر وبدأ في تمهيد المغرب وقطع شواغله ثم استدعى بلكين بن زيري واستخلفه على افريقية والمغرب وانزله القيروان وسماه يوسف وكناه ابا الفتوح ثم سار باهله وعساكره الى مصر فتلقنه اعيانها بالاسكندرية فاکرمهم وساروا معه الى مصر فدخلها خامس شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وكانت منزله ومنزل الخلفاء من بنيه بعده الى انقراض دولتهم بموت العاضد ابي محمد عبد الله وكانت وفاته يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة وعلى وزارته يوسف صلاح الدين نقلها بعد موت عمه شيركوه فتمكن صلاح الدين في مصر وحكم على القصر وكان قبل موت العاضد بايام وهو في شدة المرض قطع خطبته وخطب لبني العباس بامر نور الدين الشهيد محمود بن زنكي صاحب الشام وهو الذي بعث شيركوه وابن اخيه صلاح الدين الى مصر باستدعاء من العاضد وكانت ايام ملك الفاطميين مائتين وثمان سنين بمصر واثنتين وخمسين بالمغرب وافريقية وعدة خلفائهم اربعة عشر اولهم عبيد الله المهدي وآخرهم العاضد محمد بن عبد الله وبانقراض دولتهم انقضت دولة العرب من مصر ومن المغرب وافريقية وانتقل ملك مصر الى يوسف صلاح الدين واهل بيته ثم الى الجراكسة ثم الى الدولة العلية وانتقل ملك افريقية والمغرب الى البربر يتداولونه طائفة بعد طائفة وجيلاً بعد جيل تارة يدعون ابني امية بالاندلس وتارة لبني العباس واخرى لبني ادريس ثم استقلوا بالدعوة لانفسهم فقامت دولة صنهاجة بافريقية واولهم ابو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي استخلفه المعز على افريقية والمغرب عند مسيره الى مصر واستمرت امارة افريقية في ولده يتوارثونها خلفاً عن سلف الى ان انقضت باستيلاء الافرنج على المهديّة سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وفرّ الحسن بن يحيى بن تميم آخر امراء افريقية الى بجاية فاجاره صاحبها يحيى بن العزيز من بني حماد ثم لحق بالجزائر ونزل على سبع بن العزيز اخي يحيى فاکرم نزله وجاوره الى ان فتح الموحدون الجزائر سنة سبع واربعين وخمسمائة بعد استيلائهم على المغرب والاندلس ففرج الحسن الى عبد المؤمن امير الموحدين فاکرمه ولحق به وصحبه الى افريقية في غزواته

الاولى والثانية فنازل المهدي فافتتحها سنة خمس وخمسين واسكنها الحسن وعين له اقطاعاً في خارجها ثم استدعاه يوسف بن عبد المؤمن من في ولايته بعد ابيه عبد المؤمن فأتى تحمل باهله قاصداً مراکش فمات بتامساً والبقاء لله تعالى وحده

ذكر دولة المرابطين

وهم من الطبقة الثانية من صنهاجة ويقال لهم الملتحمون وقد استوطنوا انقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب منذ دهور لا يعرف اولها ايثاراً للانفراد والبعد عن غلبة الملوك وتناسلوا في تلك البلاد فكثروا وتعددت قبائلهم . ذكر غير واحد من المؤرخين انهم كانوا لاول الاسلام سبعين قبيلة منها لمتونة ودكالة ومسوقة وملطة ومزيلة . ومواطنهم ما بين البحر المحيط بالمغرب الى غدامس من جنوب طرابلس وبرقه الى ريف الحيشة واتخذوا اللثام شعاراً ليلاً ونهاراً والسبب في ذلك ان طائفة من لمتونة خرجوا غائرين على عدو لهم فخانهم العدو الى بيوتهم ولم يكن بها الا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ انه العدو امروا النساء ان يلبسن ثياب الرجال ويتلمسن ويضيقنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح وتقدم المشايخ والصبيان امامهن واستدار النساء بالبيوت فلما اشرف العدو راى جمعاً عظيماً فقال هو لاء عند حرهم يقتلون عنهن قتال الموت والرأي ان نسوق النعم ونمضي فان لحقونا قاتلناهم خارجاً عن حريمهم فبينما هم في جمع النعم من المراعي اذ اقبل رجال الحي فبقي العدو بينهم وبين النساء فاكثروا القتل من العدو وكان ممن قتله النساء اكثر فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلزمونه ومما قيل فيهم

قوم لهم درك العالي في الحمى * وان ائتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا ادراك كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتأثروا

وكانوا على دين المجوسية ولم يزالوا مستقرين بتلك المجالات حتى كان اسلامهم في المائة الثالثة وكانت الرئاسة فيهم لمتونة ولهم ملك ضخم في تلك الصحارى وجاهدوا جيرانهم من امم السودان وحملوهم على الاسلام فدان به اكثرهم ومن بقي منهم على المجوسية اعطى الجزية ولم تزل كلمتهم مجموعة الى ان قتل صنهاجة اميرهم تميم بن بلتان فتنفرق امرهم وصارت رئاسة كل بطن منهم في بيت مخصوص فكانت رئاسة لمتونة في بني ورتاطق ولما افضت رئاستهم الى يحيى بن ابراهيم خرج في جماعة الى الحج سنة اربعين واربعائة فلقوا في

منصرفهم الامام ابا عمر الناسي المالكي فطلبوا منه ان يرسل معهم من يعلمهم امر دينهم فبعث معهم النقيه عبد الله بن يس الجزولي ولما مات الامير يحيى افترق امرهم وتركوا الاخذ عن عبد الله بن يس فاعرض عنهم وتنسك معه يحيى بن عمر واخوه ابو بكر بن عمر رؤساء لمثونة وانتبذوا عن الناس في جزيرة يحيط بها بحر النيل ولحق بهم من كان في قلبه ميل الى الاسلام ولما كل مع الف رجل قال لهم عبد الله قد تعين علينا القيام بالحق والدعاء اليه ولن يغلب الف من قلة فخرجوا من الجزيرة وقتلوا من استعصى عليهم حتى اتابوا ورجعوا الى الحق وسامهم المرابطين وامر عليهم يحيى بن عمر فخطوا الرمال الصحراوية الى بلاد درعة وسجلداسا فادوا لهم الزكاة الشرعية ورجعوا ثم بلغهم ما نال المسلمين من ظلم بني وانودين امرء سجلداسا من مغراوة فخرجوا اليهم سنة خمس واربعين واربعائة في عدد كبير من افرسان وعمدوا الى درعة فنهض اليهم امير مغراوة وصاحب سجلداسا ودرعة فانهرمت جيوش مغراوة وقتل اميرهم واستلحم عسكره ودخلوا سجلداسا وقتلوا من كان بها من مغراوة وبعد اصلاح احوالها استعملوا عليها بعض رؤسائهم ورجعوا الى مواطنهم ثم مات يحيى بن عمر سنة ثمان واربعين واربعائة وولى اخوه ابو بكر بن عمر نغزي بلاد سوس ومات النقيه عبد الله بن يس في بعض حروبهم مع برغوطه واستمر ابو بكر في جوادهم حتى استأصل شائنتهم ثم بلغه ما وقع بين قومه من الخلاف فخشي افتراق الكلمة ورتحل راجعاً الى قومه بعد ان استعمل على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين ورنع ما كان بينهم من الخلاف وشغلهم في جهاد السودان فاستولى على نحو تسعين مرحلة من بلادهم واقبل يوسف على شأنه فدوخ اقطار المغرب واختط مدينة مراكش سنة اربع وخمسين واربعائة ثم انتقضت عليه فاس وقبائل زناتة فنهض اليهم سنة اثنتين وستين ونازل فاس فافتحها عنوة واصلاح شأنها وارتحل منها الى ملوية فافتح حصونها وحصون غمارة وتازة وبلاد غياثة وفي سنة ثلاث وسبعين نهض الى الربيع فافتح سائر بلادها وافتح مدينة تلمسان واستلحم من كان بها من مغراوة وقتل اميرها العباس بن يحيى واختط بها تاكروات وهو اسم المحلة بالبربرية ثم افتح وهران وتنس ومليانه وملديه وغيرها وانتهى الى الجزائر ثم رجع الى مراكش سنة خمس وسبعين واربعائة وعظم امره واستلحم ملكه وتلقب امير المسلمين وكتبه اهل الاندلس كافة من العلماء والخاصة وملوك الطوائف

مستنجزين وعده في صريح الاسلام فاهتز للجهاد ثم اجاز البحر بعساكر المرابطين
وقبائل المغرب ونزل الجزيرة الخضراء سنة تسع وسبعين واربعائة وجمع ملك الجلائقة
امّا ائقناله ولقيه بالزلاقة من نواحي بطليوس وكان للمسلمين عليه اليوم المشهور
سنة احدى وثمانين ثم رجع الى مراكش واجاز ثانية سنة ست وثمانين فلقيه ابن عباد
بجيوشه فبطش بهم ورجع الى مراكش واجاز ثالثة سنة تسعين فزحف اليه ملك
الجلائقة فانهمزمت جيوشه ثم رجع الى مراكش واجاز ابن ابنه الامير يحيى بن
ابي بكر بن يوسف سنة ثلاث وتسعين واربعائة وانضمت اليه جيوش المرابطين
بالاندلس فتقوى بهم واخذ عامة الاندلس من يد ملوك الطوائف واستولى على
العدوتين ولم يبق منها الا سرقسطة في يد صاحبها ابن هود معصماً بالافرنج وخاطب
المستنصر العباسي الخليفة ببغداد وجاءه التقليد منه على ما لديه من الاقاليم وخاطبه
الامام الغزالي يحضه على العدل والتمسك بالشريعة ثم اجاز رابعة سنة سبع وتسعين
واربعائة وتوالت غرواته في بلاد الافرنج الى ان مات على رأس المائة الخامسة
فقام بالامر بعده ابنه علي واجاز الى الاندلس فاتخن فيها قتلاً وسبياً ثم اجاز
ثانية سنة ثلاث وخسمائة ونازل طليطلة فعظم شأنه وقسم شرقي الاندلس الى اعيان
المرابطين وعقد لابنه تاشفين على غربية سنة ست وعشرين وخسمائة ورجع الى
مراكش ولاربعة عشرة سنة من دولته كان ظهور الموحدين ثم مات سنة سبع وثلاثين
وخسمائة وقام بالامر ابنه تاشفين حين عظم امر الموحدين ثم اخذ امر المرابطين الضعف
وغزى عبد المؤمن بن علي في جموع الموحدين غرواته الكبرى الى جبال المغرب
فخرج تاشفين بعساكر المرابطين لمقابلته وبعث البعوث الى الجهات فرجعوا منهزمين
وتوالت الوقائع عليه فاجمع الرحلة الى وهران وبعث ابنه وولي عهده ابراهيم الى
مراكش وزحف عبد المؤمن الى وهران في جيوش الموحدين وضابقوا تاشفين
في داخلها فخرج الى الجبل المطل عليها فتردى به فرسه في بعض شعابه فمات سنة
احدى واربعين وخسمائة ثم بويع لابنه ابراهيم بن تاشفين وخلف فبويع عمه اسحاق
ابن علي بن يوسف ثم زحف الموحدون اليها وقد ملكوا جميع بلاد المغرب الاقصى
والاوسط فخرج اليهم عسكر اسحاق فقتلهم الموحدون وفر اسحاق وخاصته الى القنجة
ثم نزلوا على حكم الموحدين فاحضر اسحاق بين يدي عبد المؤمن فقتله الموحدون
وقتلوا خاصته ودخلوا مراكش وانقرضت دولة المرابطين بعد ان ملكوا المغرب الاقصى

والاوسط وعدوة الاندلس ثمانين سنة وخطب لهم على ازيد من النبي منبر وكانوا
اهل ديانة وصيانة لم يجرؤوا في اعلمهم مكساً ولا خراجاً ولا ما يخالف الشريعة
المطهرة قال ابن الخطيب

قد طلعت ببغرب لمثونه * دولتها عزيزة ميمونه
تجمع ديناً وعفافاً وكرم * لم يدر قدر فضلها حتى انصرم
فاذعن لحر بها الطوائف * وظهرت من قومها خلائف
والملك لله وحده لا شريك له يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير

﴿ ذكر دولة الموحدين ﴾

كان القائم بامر هذه الدولة محمد بن عبدالله تومرت الشهير بالمهدي واختلف
النسابون فيه فقيل انه ينتمي الى الحسن السبط رضي الله عنه وانكر ابن مطروح
ذلك في تاريخه وقال انما هو من هرغة من بطون المصامدة من البربر ارتحل
في اول الخمسمائة الى المشرق لطلب العلم ولقى جماعة من مشاهير العلماء فاستفاد
علماً واسعاً ثم انطلق راجعاً الى المغرب سنة خمس عشرة وخمسمائة واخذ بالانكار
على الناس والزهم اقامة الصلوات واجتناب المنكرات وكان على مذهب الاشعري
في تأويل المتشابه من الآيات والاحاديث وانكر على اهل المغرب اخذهم بذهب
السلف في اقرار المتشابه كما جاء وكفرهم بذلك وكان يقول بعصمة الامام
ويتحمل القضايا الاسنقالية ويشير الى الحوادث الآتية وفي ايام اقامته بنجاحي
بجاية اتصل به عبد المؤمن الكومي الترابي فاستنجد به الى المغرب الاقصى
واستمر على ما هو عليه في زعمه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ودخل
مراكش فكثرت اتباعه ولما اشتتر امره استنصره امير المسلمين علي بن يوسف
ابن تاشفين الى مجلسه وناظره الفقهاء بين يديه فغلبهم فاخرجهم من مراكش
فلحق بيجال المصامدة ونزل على هرغة وبنى رباطاً للعبادة واجتمع عليه خلق كثير
فجعل يعلمهم التوحيد بلسانهم على مذهب الاشعري ثم دعاهم الى بيعته على التوحيد
وقتل المرابطين وانه المهدي المنتظر فبايعوه على ذلك ثم كثرت جيوشه فارسل
امير المسلمين علي بن يوسف جيشاً لقتاله فهزمهم وقويت نفوس اتباعه ووفدت
اليه قبائل المصامدة وغيرهم من البربر يبايعونه وعظم امره وترددت اليه عساكر

المرابطين مرات ففضهم ثم ارتحل الى جبل تينملل واستوطنه وبني فيه داراً ومسجداً وسمى عامة اصحابه الموحدين ولم يزل امره يعلو فلم تهزم له راية الى سنة اربع وعشرين وخمسمائة فنجيز جيشاً لنظر صاحبيه الوانشرسي وعبدالمؤمن وسيرهم الى مراکش فحصرُوا امير المسلمين فيها عشرين يوماً ثم خرج اليهم واقتلوا نقتل الوانشرسي وانهزم عبد المؤمن بجيشه الى الجبل . ولما بلغ المهدي خبر هزيمة عساكره وكان مريضاً اوصى اصحابه باتباع عبد المؤمن وعرفهم انه هو الذي يفتح البلاد وسماه امير المؤمنين ولما توفي دفنه اصحابه في داخل مسجده وكنموا موته وعهده بالخلافة الى عبد المؤمن خوفاً من تفريق الكلمة واقاموا يدبرون الامور ثلاث سنين ثم تقدم الشيخ ابو حفص المنتاتي رئيس قبيلته الى عبد المؤمن وقال له تقدمك كما كان الامام يقدمك واعلنوا بيعته وامضوا عهد الامام بخلافته وحملوا القبائل على طاعته فاقام عبد المؤمن في تينملل يؤلف القلوب ويأخذ في الاسعداد الى ان استكمل امره فخرج الى تادلة ودرة فاستولى عليها وانتقض البربر وسائر المغرب على المرابطين وفي سنة اربع وثلاثين غزى ولم يرجع الى تينملل حتى استولى على المغربين الاوسط والاقصى واحتل مراکش سنة احدى واربعين وفي سنة ثلاث واربعين استولى على قرطبة وقرمونة وجيان من الاندلس وفي سنة ست واربعين فتح افريقية باسرها وفتح مدينة المرية ووابرة وياسة من الاندلس وفي سنة خمسين فتح غرناطة وفي سنة اربع وخمسين رجع الى افريقية واجلى جميع الثوار منها ونازل المهدية وكانت في يد الافرنج فاخرجهم منها سنة خمس وخمسين ووصلت جيوشه الى سرت وبرقة فيما وراء طرابلس ثم رجع الى المغرب وفي سنة سبع وخمسين خرج من مراکش الى سلا قاصداً الجواز الى الاندلس فمرض بها ومات وكانت مدته ثلاثاً وثلاثين سنة وخمسة اشهر وثلاثة عشر يوماً وهو الذي جمع اهل المغرب كافة على مذهب الاشعري في الاصول وعلى مذهب الامام مالك في الفروع قال ابن الخطيب

ونجح المهدي وهو الداهية * فاصبحت تلك المباني واهيه
لم يال فيها ان دعي لنفسه * وكان في الحزم فريد جنسه
وعنده سياسة وعلم * وجراة وكرم وحلم
ووافقت دولته في الناس * لدولة المسترشد العباس

واوصى بالخلافة لولده يوسف فبويغ ولقب بامير المؤمنين واستقامت له الامور
 لحسن تدبيره ومثانة دينه واجاز الى الاندلس مرات وكانت له فيها عدة غزوات
 اسنظهر في جميعها على الافرنج وافتتح امصاراً وحصوناً وفي سنة ثمانين وخمسمائة اجاز
 الى الاندلس اجازته الاخيرة فاحتل بجبل الفتح وسار الى اشبيلية فوافته فيها
 حشود الاندلس ووصل الى شنترين فحاصرها وخرج النصارى من الحصن فوجدوه
 في غير اهبة فحملوا عليه فابلى هو ومن حضر معه ثم اصابه سهم فحمله ابنه يعقوب
 وانصرف الى اشبيلية فمات في الطريق وكانت مدته اثنتين وعشرين سنة وبويغ
 ولده يعقوب وتلقب بالمنصور ثم اجاز الى مراكش وياشر الاحكام واقام زاية الجهاد
 وحصن الثغور والبلاد واحسن بالمرتبات علي العلماء وبني المساجد والمدارس في
 جميع ايلات المغرب وافريقية والاندلس وانشأ بها عدة مارستانات وواقع بالافرنج
 عدة وقعات منها وقعة الأرك في نواحي بطلموس وبالجملة فقد كان اجل ملوك
 الموحدين وابعدهم صيتاً واعلام همة وكانت ايامه ايام خير وامن توفي سنة خمس
 وتسعين ودفن بداره في مراكش وقد كذب من قال انه ولع وساح ومات بالبقيع
 العزيز من اعمال دمشق الشام ودفن بقرية في راس الجبل وقد سميت القرية باسمه
 واكثر اهالي تلك البلاد يعتقدون بذلك ولذا اكثر حجاجهم يقصدون زيارته
 عند مرورهم على الشام وكانت مدته اربع عشرة سنة واحد عشر شهراً وولى بعده
 ابنه محمد ولي عهده وتلقب بالناصر لدين الله وفي ايامه قوى امر ابن غانية اللطوني
 في افريقية وتغاب على جميع اعمالها وخطب للخليفة العباسي فاتصل خبره بالناصر
 فنهض من مراكش سنة احدى وستائة فشتت شمل ابن غانية واقام بافريقية الى سنة
 ثلاث وستائة فاستتاب ابا محمد ابن الشيخ ابي حفص المقتاتي عليها ورجع الى مراكش
 ثم اجاز الى الاندلس فكانت وقعة العقاب المشهورة التي كانت الدبرة فيها على
 المسلمين ثم رجع الى مراكش ومات سنة عشر وستائة وبويغ لولده يوسف وتلقب
 بالمستنصر فتغلب عليه ابن جامع وزير ابيه لغرسنه وفي ايامه دخل الوهن على دولة
 الموحدين وانتالت الامور وظهر امر بني مرين وكان المستنصر مولعاً بالخيل والبقر
 فخرج في سنة عشرين وستائة الى بستانه وجعل يمشي بين البقر فطعنته بقرة بقرنها
 فمات وبويغ عم ابيه عبد الواحد عن كرم منه في سن الشيخوخة ثم خلع وقتل
 لتسعة اشهر وبويغ ابن اخيه عبدالله وتلقب بالعاقل ثم خلع وقتل ونهب البربر قصره

واستباحو حريمه ثم يبيع لآخيه ادريس بن يعقوب وتلقب بالمامون وهو يومئذ
وال على اشبيلية فزاحمه يحيى بن الناصر وكان الموحدون بايعوه في مراکش يوم
قتل العادل ثم اختلفت الكلمة على يحيى فلحق بالجليل واجاز المامون الى مراکش
فدخلها ثم اشاع التكبير على امامهم المهدي في العصمة ووضع العقائد والنداء في
الصلاة بلسان البربر وتغيير رسوم الدعوة واصول الدولة واسقاط اسم المهدي من
الخطبة والسكة واعلان لعنه وقتل من خالفه في ذلك من الموحدين فنكثوا بيعته
وقطعوا خطبته واستبد الامير ابو زكريا فيها وتلقب بالامير وفي ايام المامون
استولى ابن هود على الاندلس واخرج سائر الموحدين وامر بقتلهم ثم انتقض على
المامون اخوه ابو موسى ودعا لنفسه بسبته فخرج اليه وكان يحيى بن الناصر بالمرصاد
فخالفه الى مراکش فافتتحها بجيوش العرب وعاث فيها واقلع المامون عن سبته يريد
مراكش فأت في طريقه سنة ثلاثين وبويع ولده عبد الواحد وتلقب بالرشيد وفي
سنة احدى وثلاثين خرج من مراکش الى الجبل ووقع يحيى بن الناصر وجموعه
ولحق يحيى بسجلماسا وانكف الرشيد راجعاً الى حضرته واستامن له كثير من
الموحدين فامنهم ثم اساء الظن فيهم فقتلهم وبذلك فسدت قلوب الرعايا عليه واخذ
أكثرهم بطاعة يحيى واحضروه من الصحراء وزحفوا به لمراكش فخرج الرشيد الى جبال
المصامدة وسار منها الى سجلماسا فملكها ودخل يحيى وجموعه الى مراکش وفي سنة
ثلاث وثلاثين خرج الرشيد من سجلماسا الى مراکش فبرز اليه يحيى بجموعه فانهمزمت
جموع يحيى ودخل الرشيد الى مراکش وانتقض الخلط على يحيى فنكثوا بيعته ولحق
يحيى بعرب العقول بنواحي تازا فاجاروه ثم غدروا به وفي سنة خمس وثلاثين
بايع اهل اشبيلية الرشيد ونكثوا بيعه ابن هود وفي سنة ست وثلاثين وصلت اليه
بيعة ابن الاحمر الثائر بالاندلس على ابن هود وفي سنة سبع وثلاثين اشتدت الفتنة
بالمغرب وانتشر بنو مرين في بساططه وزحف اليهم الرشيد فهزموه ثلاث مرات ثم
رجع الى مراکش واشتد عدوانهم في نواحي مكناسه وفي سنة اربعين توفي الرشيد
بمراكش غريقاً في بعض صهاريج القصر وقام بالامر بعده اخوه ابو الحسن السعيد
واستخلص لنفسه رؤساء العرب وانتقض عليه اهل سبتة واشبيلية وسجلماسا وعقد
المهادنة مع بني مرين وفي سنة خمس واربعين خرج من مراکش قاصداً تلمسان
فتعرض ابنو مرين لجموعه في طريقهم فامتلاأت ايديهم من اموالهم وقتل عبدالله بن

السعيد فمِن قتل منهم ولحق القل بمراكش فبايعوا أبا حفص عمر بن اسحاق اخا المنصور وتلقب بالمرتضى وفي سنة سبع واربعين استولى ابو يحيى بن عبد الحق وقومه بنو مرين على تازة وفاس وسياتي تفصيل اخبارهم انشاء الله تعالى وسار في سبته ابو القاسم العزفي وفي سوس علي بن بدر وتفاقم امر بني مرين وتلاشى امر الموحدين وضعف المرتضى عن الدفاع وفي سنة اثنين وستين اقبل يعقوب بن عبد الحق في جموع بني مرين فتازلوا مراكش واتصلت الحرب بينهم وبين الموحدين اياماً وقتل فيها عبدالله بن يعقوب بن عبد الحق فبعث المرتضى الى ابيه يعزبه ويلاطفه وارثل عنهم ثم فرّ ادريس ابودبوس ابن عم المرتضى ولحق يعقوب بن عبد الحق صريحاً به واشترط له المقاسمة في العمل والذخيرة فامده بالمال واوعز الى الخلط بظاهرتة وزحف ابو دبوس الى مراكش ووفد عليه جماعة من بني عمه في جيش من الموحدين والنصارى فدخلوا على حين غفلة وفر المرتضى الى جبال هنتانة فبلغه انهم بعثوا يبعثهم الى ابي دبوس فعدل عنهم الى ازموور وكان صهره ابن عطوش والياً عليها من قبله فقبض عليه وطير الخبر الى ابي دبوس فاستلمه منه وقتله وفي سنة خمس وستين بلغ ابا دبوس خبر انتفاض بني مرين فارسل الى عدوهم يغمراسن صاحب تلمسان يستعين به عليهم فلما اتصل الخبر بيعقوب بن عبد الحق جمع جيوشه ونهض الى تلمسان فوقع ببني زيان وقعة تلاح التي قتل فيها يغمراسن وشتت شمله ثم رجع الى فاس ونهض الى مراكش وخرج اليه ابودبوس فكر عليه يعقوب بجموعه فقرّر فادركوه وقتلوه فدخل يعقوب مراكش سنة ثمان وستين وستائة وفرّ الموحدون منها الى جبالهم بعد ان كانوا بايعوا عبد الواحد بن ابي دبوس ولقبوه بالمتعم مدة خمسة ايام وخرج في جملتهم وانقرض امر بني عبد المؤمن والموحدين والبقاء لله تعالى وحده

﴿ ذكر دولة بني مرين ﴾

وهم حي من زناتة في اطراف المغربين ينتجعون الصحارى ويعطون الدول حق الطاعة فلما رأوا اختلال المغرب الاقصى ايام المستنصر بن الناصر خامس خلفاء الموحدين وعلموا ان الدولة قد تلاشت وخلت النغور من الحامية انتزوا الفرصة فيه فدخلوه وتفرقوا في جهاته واوجفوا عليه بخيلهم ورجلهم واكتسحوا سائر بسائطه بالغارة والنهب فلجأ الناس الى الجبال والمعاقل واذنوا الدولة بالحرب

وكان رئيسهم عبد الحق بن محيو بن ابي بكر بن حمامة ولم يزل على امارته ومطاوله الموحديين على الملك الى ان قتله عرب رياح من اولياء الموحديين في حرب جرت بينه وبينهم بمداخلة بني عمه اولاد عسكر سنة اربع عشرة وستائة وقام بالامر بعده ولده عثمان فالتخ في عرب رياح لثار ابيه وتغلب على الضواحي ومد يده لاطراف البلاد يتعري مسالكها ويضع المغارم على اهلها حتى دخل اكثر القبائل في امره وبايعوه وفرق فيهم العمال ثم فرض على امصار المغرب الاقصى ومدنه ضريبة يؤدونها على راس كل سنة ليكف الغارة عنهم ويصلح سابلتهم ولم يزل على ذلك الى ان اغتاله علجة سنة سبع وثلاثين وستائة فولى اخوه محمد بن عبد الحق واخذ الضريبة وجباية المغارم من سائر الرعايا وبقي عبد المؤمن في ضعف وقصور الى ان توفي الرشيد بن المأمون امير الموحديين وولى اخوه علي الملقب بالسعيد فجمع الجيوش ونهض سنة اثنتين واربعين وستائة من مراکش وزحف اليه بنو مرين والقبوا بوادي ماش فقتل الامير محمد بن عبد الحق رئيس بني مرين وانكشف قومه ولحقوا بيجال غياثة فاعتصموا بها ثم خرجوا الى القفر وولوا عليهم ابا يحيى بن عبد الحق فقام بامرهم ورجع الى المغرب وقسم البلاد بينهم وانزل كل بطن منهم في ناحية وبعثوا يبعثهم الى ابن زكريا الحفصي صاحب افريقية ثم جنح الامير ابو يحيى ابن عبد الحق الى الاستبداد فاتخذ آلة الحرب واستعمل شعائر الملك وبلغ خبره الى الخليفة السعيد فوجم لها وخطب على اعيان دولته فقال هذا ابن ابي حفص اقتطع افريقية ويغمراسن امير بني زيان اقتطع تلسان والمغرب الاوسط وابن هود اقتطع الجانب الغربي من الاندلس وابن الاحمر اقتطع الجانب الشرقي منه وهؤلاء بنو مرين تغلبوا على ضواحي المغرب الاقصى ثم ستموا الى تملك امصاره فاغتاز قومه لذلك فجنز السعيد عسكره واحتشد عرب المغرب ونهض من مراکش ولما علم ابو يحيى انه لا طاقة له على تحاربه افرج عن البلاد ولحقه بنو مرين واجتمعوا اليه بتناطوطا من بلاد الريف ثم انقلوا الى جبل بني يزناسن ونزلوا بعين الصفا ولم يزل ابو يحيى على شأنه في فتح البلاد الى ان توفي بناس سنة ست وخمسين وستائة وتعدى للقيام بالامر بعده ابنه عمر واهل الحل والعقد مائلة الى عمه يعقوب بن عبد الحق وكان يومئذ في تازة فبقي الامر في اضطراب الى ان اجتمعت الكلمة على يعقوب فدخل ناس ومكها

سنة سبع وخمسين واستجمع للاستيلاء على راکش ولم يزل ينازله الى ان تمكن من دخولها سنة ثمان وستين وستائة واستنقام له امر المغرب الاقصى كله وهو اول من تلقب بامير المسلمين من ملوك بني مرين ثم اشنغل بالجهاد فاجاز الى عدوة الاندلس مرات ولدت له فيها الظفر العظيم ولما راي ملكه قد اثوثق اختط المدينة الجديدة اصيق فاس بساحة الوادي المخترق وسطها من اعلاه وشرع في تأسيسها سنة اربع وسبعين وستائة ولما اكمل تشيدها نزلها ثم اوعز ببناء قصبة مدينة مكناسة ولم يزل قائماً بامر الجهاد واصلاح امر رعاياه الى ان مات سنة خمس وثمانين وستائة وبويع ولي عهده ابو يعقوب يوسف ففرق الاموال وقبض ايدي العمال عن المظالم ورفع المكوس وصرف اعتناؤه الى اصلاح السابلة واتبع سنن والده في الجهاد وقهر بني زيان وراسلته ملوك المشرق واوفدت عليه اعيانها وامندت مملكته من سوس الاقصى الى بجاية في حدود افريقية من الجهة الغربية ولم يزل في عظمة سلطانه الى ان قتله خفي من خشيانه سنة ست وسبعائة وهو محامر لتلسان وبالجملة فهذه الدولة من اعظم دول المغرب واقواها واحسنها سيرة ذكرها ابن الخطيب بقوله

واورث الله بلاد المغرب * للسادة انغر الكرام النجب
اولي الخيول والرماح والهمم * اقوى بني الدنيا واوفى بالدمم
وادرب الخلق بركض الخيل * وخوض احشاء الفلا والليل
قاموا وقد بان اختلال الطاء * لمذهب السنة والجماعة
واستخلصوا المغرب بالسيوف * في خير مستظرف معروف
فشمل الاقصى به والادنى * انهم وقام منه المبني

ولم يزل امرهم منذ دخلوا المغرب مستقيماً وحماهم منيعاً وكلمتهم متحدة الى ان مات سلطانهم ابو سالم ابراهيم بن علي بن عثمان بن عبد الحق سنة اثنتين وستين وسبعائة وتولى تاشفين وتغلب الزير عمر بن عبد الله علي الامر ففرقت الكلمة وانتزى الثوار من اعيانهم بقاصية الملاك وانقسمت الدعوة بينهم في راکش وسجلماسا وسبته وانحصرت السلطة في فاس واعمالها وفي ايام ابي فاس ابن العباس سنة سبع وتسعين وسبعائة اخذ الفشل يدب في اعضاء الدولة واستمروا على اخذ الناس بالدين الى ان قام الامير السيد محمد بن علي بن عمران الادريسي علي عبد الحق

ابن ابي سعيد بفاس فبايعه اهلها وتم له الامر وباتت ايامه انقضت دولة بني عبد الحق الاول بن نحيو بن ابي بكر مؤسس دولة بني مرين والله الامر من قبل ومن بعد

﴿ ذكر دولة بني وطاس وهم فرقة من بني مرين ﴾

ولما اقتسم بنو مرين الاعمال كانت بلاد الريف لبني وطاس وكان بنو الوزير ابي زكريا يحيى بن زيان الوطاسي يتشوفون الى الرئاسة والخروج على بني عبد الحق ويرون ان نسبهم دخیل في بني مرين لانهم من اعقاب يوسف بن تاشفين فلحقوا ببني وطاس وفر ابو عبدالله محمد الشيخ ابن الوزير الى الصحراء خوفاً من السلطان عبدالحق بن ابي سعيد حين قتل جماعة من عشيرته وبقي يتردد في الصحراء الى ان ملك اصيلاً واستفحل امره بها فكتبته اعيان فاس ورواساؤها يدعونه للقدوم عليهم ويعدونه بالنصرة فنهض من اصيل الى فاس وحاصرها وفر صاحبها الامير محمد بن علي الادريسي ودخلها محمد الشيخ فبايعه اهلها سنة ست وسبعين وثمانمائة وفي ايامه تم استيلاء الاسبانيول على عدوة الاندلس وغرناطة ولحق سلطانها ابو عبدالله ابن الاحمر بفاس واستوطنها تحت كنف السلطان محمد الشيخ فبالغ في احترامه وبقي بها الى ان توفي سنة اربعين وتسعمائة في حرب الوطاسيين مع السعديين ثم استولى البرنقال على اكثر سواحل المغرب وفي سنة عشر وتسعمائة توفي محمد الشيخ وبويع لابنه محمد المشهور بالبرنقالي ولما تم له الامر نهض الى مراكش وحاصر بها ابا العباس السعدي ولما بلغه ان بني عمه قد نبذوا طاعته ارتد الى فاس وعهد الى اخيه ابي حسون المعروف بالباضي فقام عليه ابن اخيه ابو العباس احمد بن احمد البرنقالي ففزع سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة وبويع ابو العباس احمد وجرت بينه وبين السعدي قرب مراكش حروب عظيمة دامت اياماً ثم تصالحا على ان للسعديين من تادلا الى سوس والوطاسيين من تادلا الى المغرب الاوسط وبعده انعقد الصلح بينه وبين البرنقال وتحسنت الاحوال ثم ان السلطان محمد الشيخ السعدي نقض ما جرى من الصلح بين الوطاسيين والسعديين وقام على اخيه ابي العباس الاعرج واستولى على مراكش ونهض الى فاس وحاصرها سنة ثم استولى عليها سنة ست وخمسين وتسعمائة وقبض على ابي العباس وارسله مع الوطاسيين مصفدين الى مراكش وفر ابو حسون الوطاسي الى الجزائر

مستصرخاً بالأتراك على من تغلب على ملكه وملك آباءه ووعدهم بالاموال الجزيلة ان نصره عليه فاجابوه لذلك وشيعوا معه جيشاً كثيفاً تحت راية صالح باشا التركاني فانقلب بهم الى فاس ودخلها بعد حروب عظيمة وفر محمد الشيخ السعدي الى مراكش ولما استقر ابو حسون دفع للأتراك ما وقع عليه الاتفاق ورجعوا الى الجزائر وتختلف عنده منهم ثر يسير ولما وصل محمد الشيخ الى مراكش صرف عزمه للانتقام من ابي حسون فاستنفر القبائل ونهض بها الى فاس فخرج اليه ابو حسون وكانت الهزيمة عليه فانقلب الى فاس وتحصن بها وحاصره محمد الشيخ الى ان ظفر به وقتله واستولى على فاس سنة احدى وستين وتسعمائة وصفا له الامر وبهلاك ابي حسون انقرضت الدولة المرينية من ارض المغرب والملك لله الواحد القهار

❖ ذكر دولة السعديين ❖

واصلهم من اشرف ينبع النخل استوطن اسلافهم درعة ولما نشأ فيهم ابو عبد الله محمد القائم بامر الله على غلاف صلاح بايعته اهل سوس حين احتاطت بهم جيوش البرتغال من كل جهة فنهض الى تاورنت واستولى عليها ثم زحف الى اكادير وقاتل البرتغال مدة لم ينجح بها فندب الناس لبيعة ولده الاكبر ابي العباس المعروف بالاعرج فبايعوه سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ولما تم له الامر ندب الناس الى جباة البرتغال واخرجهم من ثغور المغرب فحصل له النصر والظفر واخرجهم من احواز تلمست واسفي وغيرها فبعد صيته وانتشر ذكره وكتبه امراء دنتاته ملوك مراكش للدخول في طاعته فاجابهم وانتقل الى مراكش واستقر بها ثم حدث بينه وبين اخيه ووزيره ابي عبد الله محمد الشيخ ثرة ادت الى حروب استنحل بها امر محمد الشيخ نقبض على اخيه واولاده واودعهم السجن واصبح ملكاً بعد ان كان وزيراً ثم استولى على فاس وغرب الوطاسيين الى مراكش وقتل ابا حسون الوطاسي ولما تم له امر المغرب الاقصى تافت نفسه الى الاستيلاء على المغرب الاوسط فنهض من فاس الى تلمسان ودخلها بعد ان حاصرها تسعة اشهر ونفى الأتراك منها واتسعت خطة ملكته ودانت له البلاد ثم كرت الأتراك عليه واخرجوه من تلمسان فعاد الى فاس ثم ارتد الى تلمسان وحاصرها اياماً وأقلع عنها وفي سنة خمس وستين وتسعمائة اغتيل وقتل وكان ادبياً مرموقاً عالماً بالتفسير والحديث يخالف القضاة ويرد عليهم فتاويهم فيجدون الصواب معه وكان

يحض على المشاورة لاسيما في حق الملوك ويقول ينبغي للملك ان يكون طويل الامل ولا يحسن ذلك الا منه لان رعيته تعمل بطول امله ومن مآثره اختطاط مرسى اكادير واجلاء البرنقال من نونتي ولما قتل كان ولده عبدالله الغالب بالله بفاس فبايعه اهله ووافقهم عليها اهل مراكش وبادر خليفته براكش القائد ابو الحسن علي بقتل ابي العباس الاعرج المخلوع واولاده ولما استوثق الامر للغلب بالله وتمهد له ملك ابيه نهض حسن بن خير الدين باشا صاحب تلمسان في جيش كثيف الى فاس فخرج اليه الغالب بجيوشه والتقى بواذي اللين من احواز فاس فانهمز حسن باشا ولما قفل الغالب بالله امر بقتل اخيه عثمان لامر نغمه عليه وارسل ابن اخيه الوزير ابا عبد الله محمد بن عبد القادر لحصار مدينة شفشاون فاستولى عليها وخرج صاحبها الامير ابو عبد الله فيمن اليه من اهله واولاده الى ترعة وركب البحر الى المدينة المنورة واستقام بها الى ان توفي وبه اقترض امر بني راشد امراء شفشاون ثم جهز جيشا كثيفا عقد عليه لابنه محمد المعروف بالملوخ وارسله لحصار البريجة المسماة بالمدينة الجديدة التي بناها البرنقال فحاصرها ستين يوما ولم يتيسر له فتحها وفي سنة احدى وثمانين وتسعمائة توفي الغالب بالله براكش ومن مآثره بناء جامع الاشراف براكش والمارستان واقف عليهما اوقافا عظيمة ولما توفي كان ولي عهده ولده محمد المتوكل على الله بفاس فارسلت البيعة له من مراكش واستمر امره منتظما الى اواخر سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وكان عمه عبد الملك واخوه احمد المنصور في سجلا سائرا بام ابيهما ولما تولى الغالب بالله فرا الى تلمسان واستنصر باصحابها حسن باشا ابن خير الدين وذهبوا الى القسطنطينية وتوقعا على حضرة السلطان الغازي سلم خان بان ينجدهما بجيش يسترجعان به ما كان بيد ابيهما ثم توجه عبد الملك مع عمارة الدولة العلية الى تونس ورجع بعد فتحها الى القسطنطينية وطلب من حضرة السلطان سليم خان ما طلبه سابقا فاجاب طلبه وكتب الي والي الجزائر ان يعينه بما يحتاج اليه فاصحبه الوالي بجيش من الاتراك ولما وصل لاحواز فاس خرج المتوكل على الله للاقائه فبلغه وهو في القتال ان بعض جنده قد اصر على الغدر به فاوقد النار في خزائن البارود وفر من المعركة الى مراكش واستولى عبد الملك على فاس وطمحت نفسه الى اتباع ابن اخيه الى مراكش ولما عزم على المسير طلب الاتراك رجوعهم الى بلادهم فاعطاهم ما اتفق معهم عليه من المال وزادهم من التحف والمطرف الغوال وودعهم بنفسه الى نهر سيوا ثم نهض الى مراكش لمنازلة ابن اخيه ولما سمع المتوكل على الله بخروج عمه

اليه تهباً لملاقاته والتقى الثريخان بخندق الريحان من احوار سلا فانهمزم المتوكل وفر الى سوس ودخل عبد الملك الى مراكش ولم يزل المتوكل على الله يحول في جبال سوس الى ان اجتمعت عليه طائفة فجاء بها الى مراكش فخرج عبد الملك للقائه وخالفه المتوكل في طريقه ودخل مراكش باتفاق ادائها فرجع عبد الملك وحاصره بها وكتب الى اخيه احمد الخليفة بفاس ان ياتيه فاتاه بجيشه وفر المتوكل الى سوس فبعه احمد المنصور ووقعت بينهما مواقع توالى الهراثم فيها على المتوكل وفر الى باديس ومنها الى سبتة ثم دخل طنجة مستصرخاً بجماكتها فاجابه بشرط ان تكون سائر السواحل للبرنقال وله ما وراء ذلك ثم خرج قائد البرنقال بمائة وعشرين الف مقاتل وكان مع المتوكل ثلاثمائة من اصحابه ولم يزلوا سائرين الى ان عبروا وادي المخازن فزحف عليهم السلطان عبد الملك بجيوش المسلمين وامر بهدم القنطرة ليقطع عليهم خط الرجعة ولما التقى الجيشان واشتد الحرب توفي السلطان عبد الملك عند الصدمة الاولى وكان مريضاً يقاد به في ثخنة ولم يطلع على وفاته الا حاجبه وقائد المحفة فصاروا يقدمون المحفة امام الجيش ويقولون لجنود ان السلطان يامركم بالنقدم اليهم الى ان منحه الله المسلمين النصر وركبوا على اكتاف العدو يقتلون ويأسرون وقتل قائد البرنقال غريقاً في الوادي وبحث عن المتوكل فوجد غريقاً ايضاً فاخرجوه وسالخ وحشى جلده تبنياً وطيف به في مراكش وغيرها وهذه الواقعة من اعظم الوقائع دامت خمسة واربعين ساعة وكانت سنة ست وثمانين وتسعمائة ثم بويع لاخته ابي العباس احمد المنصور بالله المعروف بالذهبي ولما تم له الامر كتب البشار الى حضرة السلطان مرادخان بما حباهم الله من النصر فوردت عايه الوفود والهدايا من حضرة السلطان مرادخان ومن حاكم الجزائر وملك البرنقال والاسبانيول وعقد العهد لابنه محمد الشيخ الملقب بالمأمون ثم سار عليه ابن اخيه داود بن عبد المؤمن في جبل سكسيوه ودعا لنفسه فبعث اليه المنصور جيشاً فقاتله الى ان فر واستقر عند عرب الودايا الى ان مات واستولى المنصور على صحراء توات والسودان وبايعه صاحب برنوف فتح مدينة كاغو وقتل سلطانها اسحاق ثم سار الناصر بن الغالب بالله ببلاد الريف فالقى المنصور جنده وبعث اليه جيشاً وافراً فهزمه الناصر واستفحل امره فامر المنصور ولي عهده المأمون بتنازلته فخرج اليه من فاس وكانت الدبرة على الناصر فقبض عليه واحتز راسه وبعث به الى مراكش ثم ثار المأمون على ابيه بفاس فنصحه والده ولما اصرت ولم يقبل النصيحة خرج اليه والده من مراكش في اثني عشر الف مقاتل قاصداً

فاس ولما بلغ المأمون ذلك فرأى فشتالة فقبض عليه وارسل الى المنصور فبعثه الى مكناسة
وسجن بها وفي سنة اثنتي عشرة و الف توفي المنصور بالوباء في فاس ومن مآثره بناء القصر
البديع بمراكش وحصن ثغر العرايش ومعامل السكر واعتنائه بالمولد النبوي والاعیاد وكان
حسن السياسة حازماً مشاوراً في المهمات وكان يكتب اولاده وعاله بكتابة مخصوصة
وتعرف الآن بالشنرة وكان موادعاً لسلطان بني عثمان يهاديهم ويهادونه وكتب اليه
حضرة السلطان مراد خان لك على العهد ان لا امد يد اليك الا للمصالح وان خاطري
لا ينوي لك الا الخير والمساخمة وبعد دفته بايع اهل فاس ولده ابا المعالي زيدان وبايع
اهل مراكش اخاه ابا فارس ولما بلغ زيدان ذلك خرج من فاس لقتال اخيه فالتحق له
اخوه مكيدة عادت عليه وهي اطلاق اخيه المأمون من السجن وارساله في جيش كثيف
لملاقاة ولما التقى الجيشان بجوالة فر عن زيدان اكثر جيشه فارتد الى فاس وتحصن
بها ولما وصلها المأمون فرح به اهلها وبايعوه وفر زيدان الى تلمسان مستصرخاً بمحكم الجزائر
ولما استقل المأمون بفاس جهز جيشاً لقتال اخيه ابي فارس تحت راية ولده عبدالله
ووقعت الهزيمة على ابي فارس فنجى بنفسه ودخل عبدالله مراكش واباحها واستقر بها وساءت
سيرته ولما قطع زيدان الامل من امداد حاكم الجزائر رجع الى سوس فكاتبه اهل
مراكش ولما حضر اليها فر عبدالله الى ابيه في اسوء حال فجزله ابوه جيشاً وارجمه الى
مراكش والتقى الجمعان براس العين وكانت الهزيمة على زيدان ففر ودخل عبدالله مراكش
ثم سار ابو حسون محمد بن عبد المؤمن من اولاد ابي العباس الاعرج وخرج من
جبل جليز قاصداً مراكش فخرج اليه عبدالله وكانت الهزيمة عليه ودخلها ابو حسون
واستولى عليها ثم كتب ادى مراكش الى السلطان زيدان فزل بميشه خارج المدينة
وخرج ابو حسون الى لقائه فكنت الدبرة عليه واستولى زيدان على مراكش وارسل
قائد جيشه مصطفى باشا الى فاس فدخلت في طاعته وفر عبدالله الى القسطنطينية
مستصرخاً ولما دخل زيدان الى فاس واستقام بها بلغه قيام بعض الثوار في ناحية مراكش
فنهض اليها ثم بلغه قتل مصطفى باشا فرجع الى فاس واستولى الاسبانول على العرايش
بدسياسة عبدالله ثم قتل ابو الليف بعبدالله وقتله مع بعض اولاده ثم ثار الفقيه احمد بن
عبدالله السجلداسي المعروف بابي محلي واستولى على تلمسان ودرعة ومراكش وكثرت
جموعه ولما علم زيدان ضعفه عن مقاومته استغاث بالفقيه زكريا الحاجي صاحب جبل درن
فلما خرج بجيوشه سنة اثنين وعشرين و الف قاصداً مراكش فبرز اليه ابو محلي ولما

التم القتال قتل ابو نعلی وعلق راسه على سور مراکش ثم اتحل زكريا الى بلاده مظهرًا
العفة عن الملك بعد ان استقر بمراكش ايامًا واتصلت بينه وبين زيدان المراسلات الى
ان مات زيدان بمراكش سنة سبع و ثلاثين والف وبويح لابنه عبد الملك فثار عليه اخوه
الوليد واحمد ووقعت بينه وبينهما حروب انتجت هزيمتهما ودخل فاس بسمة السلطان وضرب
السكة باسمه ثم عدا عليه ابن عمه محمد بن الشيخ المعروف بزغوده وقتله غدراً وبويح
لاخيه الوليد ولم يتجاوز سلطانه مراكش واعمالها على ما كان لاختيه وايه وفي زمنه ظهر
ابو عبد الله العياشي بسلى واستولى على فاس وسائر ثغور المغرب وظهر ابو حسون السماري
المعروف بابي دميعة بسوس واستولى على درعة وسجلماسا وكان الوليد يتظاهر بالديانة وابن
الجنب غير انه كان يقتل الاشراف من اخوته وبني عمه وفي سنة خمس واربعين
والف عدا عليه بعض جنده وقتله غدراً وبويح لاختيه محمد الشيخ وكان في سجن الوليد
فسار سيرة حميدة وثار عليه رجل من هشوكه ولم يزل يناوشه القتال حتى فرق جمعه
ثم ظهر اهل زاوية الدلاء بيجبال تادلا وقويت شوكتهم ولما احسن محمد الشيخ بالضعف
من مقاومتهم ارسل الي قاضيه الفقيه محمد الزوار المراكشي ان يطلب منهم اجتماع الكلمة
فلم يلتفتوا اليه فصرف عنانه عن مقاومتهم ومال الى مسالمتهم وبقي بمراكش الى ان قتل ثم
بويح ابنه ابو العباس احمد فقام مقام ابيه في جميع ما كان بيده وقويت في ايامه شوكة
اخواله وهم حي من الشبان فوثبوا عليه وحاصروه بمراكش ولما رات والدته ان الامر لا
يزداد الا شدة اشارت عليه بالذهاب الى اخواله وازالة ما في نفوسهم ولما وصل اليهم قتله
غيلة ودخلوا مراكش وبايعوا فيها لاميرهم عبد الكريم بن ابي بكر سنة تسع وستين والف
وباني العباس ختمت دولة السعديين والبقاء لله وحده

✽ ذكر امارة الشبان من عرب المعقل ✽

اولهم الرئيس عبد الكريم المعروف عند العامة بكروم الحاج ابن القائد ابي بكر
الشباني بويح له بعد قتل ابي العباس السعدي وسار في الناس سيرة حميدة فانتظمت مملكة
مراكش ونواحيها ثم انتقضت عليه اسقى واعمالها فغزاهم ورجع مغلولاً الى مراكش فطأ
عليه بعض جنده وقتله وبويح لولده ابي بكر واستمر بها الى ان بويح المولى رشيد
السجلماسي فاخذ منه مراكش وقبض عليه وذبغ عشيرته بالقتل حتى افناها واخرج
عبد الكريم سنة تسع وسبعين والف واحرقه وانقضت امارة الشبان والملك لله وحده

﴿ ذكر دولة السجلماسيين ﴾

اصلهم من ينبع النخل دخل المغرب جدهم الاعلا حسن بن قاسم في القرن السابع واستوطن سجلماسا وتوفي عن ولده محمد وتوفي محمد عن حسن وتوفي حسن عن عبد الرحمن وعلي وتوفي علي عن خمسة اولاد منهم علي وتوفي علي عن ثلاثة اولاد منهم محمد وتوفي محمد عن علي الشريف وفي سنة خمسين والاف هجرية بايع اهل سجلماسا محمد بن علي الشريف المذكور في حياة والده وهو اول من بويج له منهم ولم يزل ملك المغرب الاقصى بايدي اعقابيه يتوارثونه الى زمننا هذا والسلطان فيه سنة الف وثلاثمائة وخمسة عشر عبد العزيز

﴿ ذكر دولة بني زيان وهم بنو عبد الواد ﴾

ويجمعهم مع بني مرين اصل واحد ولم تزل الحرب بينهم قائمة على ساق منذ كانوا في القفر واستمروا على ذلك بعد دخولهم الى تلؤل المغرب وكان اميرهم لاول خروجهم عن طاعة الموحدين ابا عزه زكرا بن زيان بن ثابت ولما مات تولى بعده اخوه ابو يحيى يغمراسن فاستمر على ما كان عليه اخوه وقومه من الخروج عن الدولة ثم تغلب على تلمسان والمغرب الاوسط وانتزعها من يد بني عبد المؤمن وحسن السيرة واستل عشيرته واخلافهم عن عرب زغبة بحسن السياسة والاصطناع واتخذ آلة الملك وجدد الاجناد ونحي آثار الدولة المؤمنية ولم يترك من رسومها الا الدعاء على المنبر للسلطان براكش وتقليد العبد من يده وكانت له مع ملوك الموحدين ومن يليهم من آل حنص ملوك افريقية مواطن في التفرش به ومنازلة بلده وحروب دائمة وبالجملة فقد كان يغمراسن هذا صاحب سياسة عجيبة وقوة دهاء وهو اول ملوك بني زيان قال ابن الخطيب

اول ملاك لهم يغمر * ليث الشرى والبطل المشهور
ثني عليه حومة الميدان * ما لامرء بياسه يدان
لاقى الجيوش من بني مرين * كالليث يحمي جانب العرين

ولما تم له ملك المغرب الاوسط اثار ما كان بين قومه بني زيان وبين بني مرين من العداوة القديمة فاذا هم نار الحرب وركب اخطارها واشد ما كانت بينهم في ايام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني واشهر وقائع وقعة وادي تالاغ سنة ست وستين وستائة ثم وقعة يسلي قرب وجده ثم وقعة خرزوزه ثم وقعة وادي تافناو تاسولت

وكانت الديرة في جميعها على بغداد اسن ونازله يعقوب في دار ملكه تلسان مرات فامنع عليه بالاسوار ثم قتل بغداد اسن سنة احدى وثمانين وستائة وبويع ولده عثمان ولي عهده ثم توفي السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة خمس وثمانين وقام بالامر ابنه يوسف بن يعقوب وطالب عثمان بن بغداد اسن في ابن عطوفاني عثمان ان يسلمه فتحركت حفيظة يوسف وعزم على غزوهم فارتحل من مراكش الى فاس ثم نهض منها حتى نزل تلسان فانحصر عثمان وقومه داخلها ولاذوا بالاسوار فاقلع عنها وسار في نواحيها يخرب العمران ثم عاودها سنة سبع وتسعين واحاط بها ثم افرج عنها لثلاثة اشهر ودر في طريقه بوجدته وقد اخربها بنو زيان فامر بتجديد بنائها واستعمل اخاه ابا يحيى بن يعقوب عليها ولحق بالمغرب الاقصى وجمع شأنه ثم عاود منازلة تلسان سنة ثمان وتسعين واحاط بها من جميع جهاتها واختط لنفسه الى جانب الاسوار بلدة سماها المنصورة واقام سنين يغادها ويرادحها بالقتال وسرح عسكره لافتح المغرب الاوسط فملك بلاد مغراوه ونواحي شلف وتاهرت ثم خيم بكنهه تحاصراً لتلسان ومات عثمان سلطان بني زيان سنة ثلاث وسبعائة وقام بالامر بعده ابنه ابو زيان محمد وبلغ الخبر الى يوسف ابن يعقوب فتجمع له وعجب من حرامه بنى زيان من بعده ومات ابو زيان اثناء الحصار وقام بالامر بعده اخوه ابو حمو موسى بن عثمان واستمر حصاره ايام ثمان سنين وثلاثة اشهر ولحقهم فيها جهد شديد حتى اكلوا اشلاء الموتى وداكت اموالهم وضائق اموالهم واستنحل ملك يوسف بن يعقوب حتى ادركه اجله على يد يحيى من خديانه وكان قتله فرجاً عظيماً على ابي حمو ووقع الفشل في عسكر بني مرين لما قتل سلطانهم واختلعت كتبهم واتلوا عن تلسان راجعين الى المغرب الاقصى واقبل ابو حمو على لم شعثه وكان يقوم بمضى ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ويختل لها باهواً فوق سائر المواسم يقيم مدعاة بشوره من تلسان يحضر لما الاشراف والسوقة فما ثبت من غمارق مصفوفة وذرايى مبلوثة وبسط موشاة ووسائد بالذهب مغشاة وشمع كلاسطاوانات ومباخر منصوبة كالقباب يحالها الناظر تبرا مذاباً واعيان الحضرة على مراتبهم وقد علت الجميع ابهة الرقار والاجلال تطوف عليهم ولدان قد لبسوا اقبية الخز الملون وبايديهم مباخر ومرشات ينال كل منها بحظه وخزانات بها الساعات ذات تماثيل لجين تحركات الصنعة باعلاها ايكة تحمل طائراً فرخاه تحت جناحيه ويختله فيها ارقم خارج من كوة يجذر الايكة صاعداً وبمدرها ابواب بعدد ساعات الليل الزمانية يعاقب طرفها بابان كبيران وفوق جميعها قرب

راس الخزانة قرر تام يسير على خط الاستواء سير نظيره في الفلك ويسامت اول باب كل
 ساعة بابها المرتج فينقض من البابين الكبيرين عقابان في يد كل واحد منهما صنجة
 صفريتها الى طست من الصفرتجوف بوسطه ثقب يفضي بها الى داخل الخزانة فيرن
 وينهش الارقم احد الفرخين فيصفر له ابوه وهناك يفتح باب الساعة الذهبية وتبرز منه
 جارية محتزمة كاظرف ما انت راء بيناها ورقة فيها اسم ساعتها منظوماً ويسراها موضوعة
 على فيها والمسمع قائم ينشد امداح سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ثم
 يؤتى آخر الليل بموائد كلها لات دوراً والرياض نوراً اشتملت من انواع المطاعم على
 الوان تشبهها الانفس وتستحسنها الاعين وتستلذ بسماع اسمائها الاذان ويسر مبصرها
 للقرب منها والتناول وان لم يكن جيعان والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتداء جأوسه
 فيه يرى ذلك وليته الى ان يقبلي صلاة الصبح هناك وعلى هذا يقضي ليلة المولد
 الشريف في جميع ايام دولته الى ان عدا عليه ابنه تاشفين نقتله واستقام له الامر وشيد
 القصور والمعانق والمنزهات وساعده الوقت بمسألة بني مرين ثم طمعت نفسه الى تملك
 افريقية فخرج اليها من تلمسان بجيوشه ودخل تونس فاستغاث اهلها بسلطان المغرب
 ابي حسن المريني فراسله في الاقلاع عنها فلم يرجع وتمادي على شأنه فاستشاط السلطان
 غيظاً وامر بجمع الجيوش وخرج من فاس قاصداً تلمسان فطار الخبر الى تاشفين
 وهو بتونس فاسرع السير الى دار ملكه وسار السلطان بعساكره الى ان وصل اليها
 واحاط بها فركب عليها المنجنيق من كل جهة واقام محاصراً لها ثلاث سنين واثرت المنجنيق
 فيما حواه السور من القباب والقصور ثم دخلها عنوة وقتل تاشفين وولده بازاء القصر
 واستولى ابو الحسن على تلمسان بما اشتملت عليه وانتقض امر بني زيان وعقد لابنه
 ابي عنان على تلمسان واقبل على فتح البلاد فدخل افريقية وامعن في نواحيها وحاصره
 العرب في القيروان فلما بلغ ذلك ولده اتحل من تلمسان الى فاس ودعا لنفسه فاستقام
 له الامر ورجع بنو زيان الى دار ملكهم تلمسان واقرهم السلطان ابو عنان على ذلك
 واتخذهم سداً بينه وبين ابيه ولما تخلص السلطان ابو الحسن ولحق بالجزائر ناهزوه القتال
 ووقعوا به في نواحي مليانه ففر الى جبال المصامدة فتشاغل ابو عنان عنهم بما دهمه
 من جواز ابيه وبعد ان مات ابوه وخلص له الامر خرج اليهم بجيوشه فاوقعوا به
 ثم كانت الكرة عليهم فقتل اميرهم وثرق عسكرهم واستولى ابو عنان على تلمسان وولى
 بعده ولده السعيد فاضطرب امر بني مرين وتراجع الزيانيون الى وطنهم وقام بامرهم

ابوحمو الثاني موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن فتحرك اليهم
ابو سالم ابراهيم بن علي الذي آل اليه امر بني مرين من فاس بجيوشه فخرجوا من تلمسان
واصحروا ولم يركنوا الى ما ركن اليه اسلافهم من الانحصار داخل السور فصار
ابو سالم الى ان خيم بساحة تلمسان وعاث في نواحيها ثم انكفأ راجعاً الى المغرب ورجع
ابوحمو بقومه الى كرسي ممالكهم وكفاهم الله امر بني مرين باختلاف الكلمة وانتزاع
النوار على الاعمال وفي سنة خمس عشرة وتسعمائة استولى الاسبانيول على وهران وعلى
بجاية وذلك في ايام ابي محمد عبدالله وفي سنة ست عشرة وتسعمائة استولوا على
الجزائر وبنوا فيها حصنهم المشهور ببرج النوار وقوى امرهم على المسلمين واشتهر امر
باربروس الاول واسمه عروج باسطوله في سواحل افريقية والجزائر واخذ امر بني زيان
يتلاشى الى ان انقرض دولتهم من المغرب الاوسط واستولت الدولة العثمانية على
الضواحي والاسبانيول على الاساكل ومنفصل ذلك في اخبار الدولة العثمانية انشاء الله
تعالى والى الله عاقبة الامور

﴿ ذكر دولة الحفصيين امراء تونس ﴾

اول من وليها منهم ابو محمد عبد الواحد بن ابي بكر ابن الشيخ ابي حنص
ابن عمر بن يحيى المصنفاني احد اصحاب المهدي بن تومرت رئيس الموحدين وهنتاته
وقد اوصل نسبه ابن نخيل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وتذكر ابن سابقه
ابن سليمان نسبة البربر انه من ولد صنهاج بن عسال البربري وكانت ولايته على
تونس من قبل محمد الناصر بن يعقوب المنصور سنة ثلاث وستمائة قال ابن الخطيب
اول هذا البيت عبد الواحد * وفعله ليس له من جاحد
قدمه الناصر فيها امراً * ثم علا وصار ملكاً قاهراً
وكان حازماً شديد اليقظه * لايهمل التافه الا لحظه
ونال ابكار المنى وعونه * لكنه لم يستبد دونه

ومات سنة ثمان عشرة وستمائة فتولى مكانه الملا من بني عبد المؤمن وعادت بعد
وفاته الى بني حفص وقويت شوكتهم في ايام ابي زكريا ابن ابي محمد عبد الواحد بن
ابي حفص وهو الذي اسقط اسم عبد المؤمن من الخطبة وابقى اسم المهدي واستبد بملك
افريقية وخطب لنفسه وتلقب بالامير المرتضى واتسع نطاق ملكه فتغلب على تلمسان

وكافة المغرب الاوسط وبلاد الجريد والزاب وانشأ في تونس الابنية العظيمة ثم توفي في
ساحة بونة سنة سبع واربعين وستائة وتولى ابنه ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا فقام
عليه عمه ابو ابراهيم اسحاق وسعى في خلعه وباع لاخته محمد اللحياني على كره منه فجمع
ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا اصحابه يوم خلعه وشد على عميه ابي ابراهيم ومحمد اللحياني
وقتلها واستقر في ملكه وتلقب بالمنتصر بالله امير المؤمنين وخطب لنفسه وفي سنة ثمان
وستين وستائة رحل الملك افرنيس ملك فرنسا الى افريقية بجموعه فعاجله الموت وتفرقت
جيوشه واستمرت دولة الحفصيين مع بني زيان وبني مرين والدولة العلية والافرنج تارة
لها وتارة عليها ثم انقرضت دولة الحفصيين على عهد ابي محمد الحسن المتولي سنة اثنتين
وثلاثين وتسعمائة ودوا آخر ملوكهم وسياتي الكلام على بعض وقائعهم مع الاسبانيول
والدولة العلية وما آل اليه امرهم والى الله ترجع الامور

ذكر الدولة العلية في المغرب الاوسط وافريقية

اول من اسس امر الدولة في الجزائر رجل من قرية آجي آباد انتقل الى جزيرة
مطين المعروفة لهذا العهد بالمدي واسمه عروج بن يعقوب ولقبه باربروس الاول اي
صاحب اللحية الشقراء وبه اشتهر وكان ابوه فخورياً وفي ايام ساكن الجنان حضرة
السلطان الغازي محمد خان الثاني صار جندياً فنشأ عروج نوتياً في مراكب الجزيرة ثم
اتخذ لنفسه قرصاناً واستكمل تعبته واخذ يغزو ثغور الانرج ويتوغل في سواحلهم ويرصد
مراكبهم ويرجع بالغنائم فشاع ذكره واشتهر امره وفي بعض غزواته اخذ اسيراً وقتل اخوه
الياس ثم تفلت من اسره ولحق بسلاده ثم اتصل بخدمة قائد مراكب الدولة الامير
نور قنديل بن السلطان الغازي بايزيد خان فاستعمله مستشاراً له وكان ميمون النقيبة لا
يؤم بلدة من بلاد العدو الا فتحها ولا صادف مركباً الا غنمه او ائلفه ولما مات السلطان
الغازي بايزيد خان وتولى ولده السلطان الغازي سليم ياووز خان سنة ثمان عشرة
وتسعمائة سافر باربروس في قرصانه ولحق بجربة من اساكلي افريقية فخط ائقاله فيها واقام
غازياً سواحل الافرنج فغنم ورجع قاصداً تونس وساطانها يومئذ ابو عبد الله محمد بن
الحسن الحفصي فاهدها باربروس جميع ما غنمه في غزوته واستأذنه في الاقامة ببلاده
فاذن له على ان يدفع له خمس ما يقع في يده من المغنم فقبل ثم توجه الى جربة فوجد
اخاه خير الدين فيها لاحتقاره فحمل ائقاله وقتل الى تونس واستمر على غزواته فبعد صيته

واشدت على الافرنج سطوته وكان الاسبانيول مستولياً على بجاية فغزاهم من تونس وغنم
مركبين فارسهما مع خير الدين الى تونس ونزل باربروس بجيشه الى البر وزحف بهم
على المدينة فبرز اهلها لمداومته واشتد القتال بينهم فتهلك جيش باربروس وقفل الى تونس
فاقام بها وبعث خير الدين في الاسطول الى الاندلس وكان ملك الاسبانيول قد اذن
للمسلمين بالمهاجرة فاقام خير الدين فيها ثلاثة اشهر يحمل المهاجرين الى اساكل المغرب
ثم انكفأ راجعاً الى تونس وكان عروج قد برى من جراحه وانشأ فيها عدة مراكز حربية
واستكمل عدتها ثم اقلع من تونس وارسى على جيجل وكان اهل جينا من ايتاليا قد
استولوا عليها فاذاقهم نكال الحرب برّاً وبحراً واستولى عليها ثم ان سالم بن تومي رئيس
بنى مرغنه اهل مدينة الجزائر كتب اليه يستنجد على الاسبانيول الواضعين يدهم على
قلعة بتيون خارج المدينة فاجابه الى ذلك وجيز جيشاً من الاتراك والبربر واكمل عدتها
وقبل ان يبارح جيجل ارسل الى اخيه خير الدين بتونس يخبره بعزمه ويأمره بجمع كافة
الاتراك المقيمين في تونس ويأمره بهم الى الجزائر ثم اقلع من جيجل في المراكب وسار
قاصداً الجزائر فمال في طريقه الى اسكلة شرشال واستولى عليها ثم جاء الى الجزائر
فتلقاه سالم بن تومي واعيان البلدة واقام نحو العشرين يوماً تحاصراً قلعة بتيون وبعد
وصول خير الدين بجنده استولى على القلعة وتم له فتح الجزائر وبذلك اظلم الجوّ بينه وبين
سالم بن تومي فقبض عليه وقتله وطير خبر النّجح الى حضرة السلطان الغازي سليم ياووزخان
وكان وقتئذٍ في مصر فسر بذلك وبعث اليه بالخلة ومنشور التولية على الجزائر وبلادها
والنجا ابوحمو صاحب تلمسان الى اسبانيا فجهزوا الجنود وزحفوا الى عروج والتقى الفريقان
بحسن داي اسم موضع قريب من الجزائر واشتعلت بينهما نار الحرب وكانت الدبرة
على جيوش اسبانيا فانهمزوا وتركوا في ميدان القتال ثلاثة آلاف قتيل فقوى عزم عروج
ودانت له قبائل متبججه وجبال البربر القريبة من الجزائر بالطاعة ثم سار بجيشه من
الجزائر قاصداً تلمسان وفي طريقه استولى على اسكلة تنس وخيم في ساحة تلمسان
فخرج اليه ابوحمو ودارت بينهما رحى الحرب فانكسر عسكر تلمسان وفر ابوحمو الى
ملك اسبانيا يستغيث به واما عروج فانه ولى على تلمسان ابازيان مسعودا اخا ابي حمو
واقام ينقل في نواحي المغرب الاوسط ثم ان ملك اسبانيا انجد ابا حمو بالمساكر والذخائر
وامر حاكم وهران المركيز غومارس بالمسير الى تلمسان واخراج عروج منها وطار الخبر
الى عروج فقتل ابا زيان وبني عمه ودخل قلعة المشور وتحصن فيها فحاصره حاكم وهران

سنة وعشرين يوماً ثم تمكن عروج من الخروج من القلعة بأمواله واتباعه فاتبعته الجيوش الى الوادي المالح قرب نهر شكف ووقع المصاف بينه وبينهم فقتلوه واستولوا على امواله واستأصلوا جميع ما كان معه من جنده ولما بلغ خبر عروج الى اخيه خير الدين في الجزائر انحلت عرى عزمه وانزع على ترك الجزائر والرجوع الى الغزو في القرصان وبينما هو يستعد لذلك اذ ورد على الجزائر جند من الانكشارية بعثهم السلطان الغازي سليم ياووز خان نجدة لعروج فلما رأهم خير الدين رجع عما عزم عليه واستعد الاخذ بثأر اخيه من اعدائه ولما بلغ ملك اسبانيا انتصار جيشه وقتل عروج ومن معه طمع في الاستيلاء على الجزائر فحز اساطيله وشحنها بالجيوش والذخائر وسيرها للجزائر تحت نظر الجنرال يسوادي مونغا وعند وصوله كتب الى خير الدين الملقب بيارباروس الثاني يتهدده ويذكره بما وقع باخويه ويدعوه الى تسليم البلد او الحرب فاجابه الى الحرب وبعد ايام نزل بجيوشه الى البر وخيم بالقرب من وادي الحراش على مسافة ساعة ونصف من البلد فخرج خير الدين بجنوده ووقع به واستولى المسلمون على المعسكر واستلخموه وحدث في البحر زوامة شديدة فشتت شمل المراكب وغرق اكثرها فاخذ خير الدين بثأر اخويه وشفى نفسه من عدوه وطارت البشائر الى الدولة العلية بهذا الانتصار وجاءت التباي الى خير الدين من لدن السلطان واعيان الدولة مع فرمان امارة الجزائر واستفحل امره في المغرب الاوسط واهتمت له اركان دولة بني زيان بتلمسان ودولة بني حنص في تونس فاوعز ابو عبدالله الحفصي الى صاحب تلمسان بالنظر على خير الدين وكان خير الدين لما تم له الاستيلاء على جبال زواوه وصنهاجة وسهول متيجة فوض امرها الى احمد ابن انقاضي الصنهاجي لشهرته بقوة عصيته وسماه خليفة الشرق فرأى صاحب تونس انه لا يتم له ما اراده الا بمداخلة ابن انقاضي فاتخذ الوسائل في استمالته اليه والخروج من طاعة خير الدين واشترط له المقاسمة في الجيش والذخيرة على حربه فارتاح ابن انقاضي لذلك واسرها في نفسه واقام يترصد الفرصة واقبل صاحب تلمسان بجشوده الى الجزائر فلتقاه خير الدين بجنوده واتصلت الحرب بينهما اياماً ثم كانت الدبرة فيها على صاحب تلمسان فانهمزمت جموعه وتاخر صاحب وهران عن اغاثة حليفه ثم توغلت جيوش خير الدين في الجهة الغربية وزحف اليها ابو محمد الزياتي مرتين فانهمز واشتدت شوكة خير الدين وتلاشى امر بني زيان وكان ابو محمد اشخص اخاه مسعوداً الى المغرب الاقصى ثم بدا له في رجوعه واستدعاه نعيدل مسعود عن تلمسان وخلق بالجزائر صريحاً بخير الدين واشترط

له الطاعة وما لا يحمله اليه كل سنة والخطبة للسلطان الغازي سليم ياووزخان فاجابه الى ذلك وامتد به بالجيش والذخيرة واوعز الى رؤساء البربر في تلك الجهة بمظاهرتة فرحف مسعود بعساكره الى تلمسان فدخلها وفراخوه الى وهران واستقر الامر لمسعود في تلمسان ورجع جيش خير الدين الى الجزائر ثم ان مسعوداً خرج عن طاعة خير الدين فبعث اليه خير الدين يدعوه الى الوفاء فاستنكف واساء الخطاب فتجهز اليه خير الدين براً وبحراً وسار في مراكبه الى مستغانم فدخلها من غير مقاومة وجاءه ابو محمد من وهران نازعاً اليه معتذراً عما سلف منه في حادثة عروج وجنده فعفا عنه واذن له في الإقامة عنده ورحلت العساكر البرية الى قلعة بني راشد وفيها حامية لمسعود ففرت منها ودخلتها العساكر الجزائرية ثم ان ابا محمد طلب الرجوع واشترط لخير الدين ما اشترطه مسعود فاجابه خير الدين وسيره في العساكر الى تلمسان فلقبهم مسعود بجموعه فوقعت المزيمة في جيشه وسار ابو محمد في اثرهم حتى شارف تلمسان ودس لاشياعه فيها فتفتحوا له الابواب ودخلها وفر مسعود منها واستقر ابو محمد في دار ملكه وكان ابن القاضي الصنهاجي انتهر الفرصة في غيبة خير الدين ودعا الناس لبيعتة فقام بنصرته قومه من صنهاجة وغيرهم من البربر وزناتة فاطلق فيهم الاموال وخاطب صاحب تونس الحفصي في انجاز وعده فامده بالرجال والاموال وقفل خير الدين الى الجزائر وقد قوى امر ابن القاضي فسير الجيوش لحربه فانتصر ابن القاضي عليها وردّها على اعقابها ثم آل الامر الى المصالحة ورجع ابن القاضي الى ما كان عليه من الطاعة والولاية اربعة اشهر ثم نقض العهد واشهر الحرب فعقد خير الدين لقائد جيشه قره حسن على حربه فنهض اليه من الحضرة ووقع الرعب في قلوب البربر ولاذوا بالطاعة وانفرد ابن القاضي في قومه ثم خاطب قره حسن في الخروج عن طاعة خير الدين واشترط له المقاسمة في العمل والرعية قال اليد قره حسن والتحم معه وعززهما الحفصي صاحب تونس بجيشه ودسوا الى اهل الجزائر في القبض على خير الدين وضمنوا لهم جميل النظر فاجابوهم الى ذلك واتصل الخبير بخير الدين فوجم لها وقبض على الاعيان وقتل من ثبتت مداخلته وثار مسعود على اخيه صاحب تلمسان فاستنفاث بخير الدين فامده في الجيش والذخيرة وانجلى الفتنه بالقبض على مسعود وثلا رأى خير الدين اختلال الاحوال وكثرة الثوار داخل الجزائر وخارجها اجمع على الرحيل منها والعود الى الغزو على ثغور الافرنج فاستخلف مستشاره حسن آغا على الجزائر وما يليها وفوض اليه امورها ثم سار باهله واتباءه ومن اخناره من الجنود البحرية الى جيجل فانزل

بها اهلها واقبل على الغزو فتزلزلت اقطار الافرنج منه وتناذروا به من عواصمهم وزحف
 ابن القاضي الى الجزائر بمنوده فدخلها وتمكن من الاستيلاء عليها ولحق حسن آغا
 بخير الدين ثم انتقض صاحب تلمسان ونبد الطاعة وخطب لنفسه واستمر خير الدين
 على غرواته ثلاث سنين واتفق انه اغزى بعض قواده في انقرصان الى الثغور الافرنجية
 فالجأته الرياح الى الجزائر فمنعه ابن القاضي من دخول المرفأ فرجع الى خير الدين
 واطلعه على ما كان من ابن القاضي فعظم عليه ذلك وحركه الى العود الى دار امارته
 واستدعى انصاره من كل ناحية وسيرهم في البروسار في مراكبه بجرأ واستعد ابن
 القاضي لحربه واقتتلوا برأ وبجرأ وفي اثناء الحصار عدا على ابن القاضي بعض اتباعه فقتله
 وتقدم خير الدين الى الجزائر فدخلها واعظم النكابة في اتباع ابن القاضي وكان
 قره حسن عندما استولى ابن القاضي على الجزائر عدل عنه الى شرشال ودعا لنفسه فنهض
 اليه خير الدين بعد فراغه من ابن القاضي ففرق جموعه ثم قبض عليه وقتله وسكنت
 عواصف ابن القاضي وبقي اولاده في الجزائر على اسوء حال وله عقب فيها لهذا العهد
 ولما تهدت البلاد لخير الدين اقبلت عليه الوفود من آفاق المغرب الاوسط ونواحيه
 يطالبون العفو فعنا عنهم واذعن له صاحب تلمسان فعنا عنه واقره على ما كان
 عليه من المشاركة ثم سار في المغرب الاوسط ينزى مسالكه وشعوبه ويضع المنام
 على اهلها وفرق فيهم العمال من قومه وشن الغارات على طواعن زناتة والعرب واثخن
 فيهم حتى اذعنوا له وكان لاسبانيول حصن على جزيرة صغيرة تجاه الجزائر فلما
 فرغ من شواغل الداخلية اعتزم على تخريبه واتفق ان بعث ملك اسبانيا ثمانية مراكب
 مشحونة بالجنود والذخيرة مددا للحامية فلما دنت من الحصن وتراءت لاهل الجزائر
 سار اليها قائد البحر وحال بينها وبين الحصن ثم خربها وساقها بنا فيها الى المرنأ وكان
 ذلك اليوم يوماً مشهوراً وبعد ايام نهض خير الدين الى ذلك الحصن واقحمه بجيشه واثخن
 حاميته قتلاً واسراً واستولى على مهماته وخربه وبني باحجاره جسر باب الجزيرة احد
 ابواب الجزائر واتصل خير الحصن والمراكب بكارلوس ملك اسبانيا فجهز اساطيله
 وجنوده لنظر القائد اندريه المشهور وامده ملك فرانس بعشرين مركباً وطار الخبر
 الى خير الدين فجهز لرفته وسار في البحر مترصداً لاندريه في طريقه فلم يعادفه
 واستمر غازياً على الثغور فاثخن فيها وخرب حصوناً كثيرة وامتلات مراكبه وايدي جنوده
 من المغانم وانقلب راجعاً فبلغه ان اندريه محاصراً لاسكلة شرشال فسار اليه على هيئته

فوجده اقلع عنها وبعد ان اراح بشرشال خرج منها غازياً على ثغور اسبانيا فظفر بعده
مراكب لهم ولدولة فرنسا وقتل الى الجزائر واستمر يغزو بلاد الافرنج ويعظم النكابة فيها
الى ان استخضره السلطان الغازي سليم خان الى دار الخلافة فاستخلف مستشاره حسن آغا على الجزائر
المرّة الثانية وتوجه في اربعين مركباً ومرة على سواحل ايطاليا وسردينيا وجينوا فعاث
فيها واستمر في مروره يخرب الحصون ويستلب الاموال والانفس الى ان دخل العاصمة
فاكرم السلطان نزله واكبر شانه وقلده وزارة البحر وكان وقتئذ اندريا دوريا الجينوي
رئيساً على عمارة اسبانيا وكثيراً ما يجول في بحر الارخبيل فاخذ خير الدين يترصده
ويذيقه نكال الحرب الى ان اعجزه ولقى بثغور اسبانيا وخلا البحر خير الدين نعمة
جزائر المورة ففتحها ورتب امورها ثم سار الى افريقية فارسي على بنزرت واستولى عليها ثم
مد عينه لاختد تونس فسار منها الى حلق الواد فامتلات قلوب اهل الحاضرة رعباً منه
وفر صاحبها ابو محمد الحسن ولقى بالقيروان وندب الناس الى نصرته فخذلوه وبعث
صريحه الى ملك اسبانيا فبادر الملك الى نصرته وجمع قوته وصدرت اوامر البابا من
رومية الى كافة دول الافرنج يحثهم على اعانة ملك اسبانيا على شانه فامدوه بالمراكب
والجنود والمعدات ثم سار الجمع في عمارة اسبانيا الى تونس وحامروها اباماً ثم خرجوا الى
البر وزحفوا اليها فلقبهم خير الدين ببنوده في خربة الكاين خارج البلد واقتتلوا وكان في
قلعة تونس ما يزيد على خمسة وعشرين الف اسير من الافرنج فانتزوا الفرصة حين القنال
وخرجوا من القلعة وحملوا على خير الدين من خلفه فاخذل مصانه ونهرمت جيوشه
ولحق خير الدين ببونه ثم بالجزائر واستولت جيوش الافرنج على تونس بها فيها واستباحوها
ثلاثاً وقتلوا نحو ستين الف نفس صبراً وشفاؤهم من المسلمين وجاء الحفصي
من القيروان راجعاً الى دار ملكه تحت حماية دولة اسبانيا وفرضت عليه ضرائب
متنوعة يؤديها اليها على رأس كل سنة واشترطت عليه اباحة السكنى للافرنج في
تونس والتمكك بها واتخاذ الكنائس والاديرة ثم رجعت الجيوش الى اوطانها وتمكن
ابو محمد الحسن الحفصي من أمره واقام على ذلك الى ان ثارت العامة واثمروا عليه وطيروا
الخبر الى ولده ابي العباس احمد وكان والياً لايه على بونه فاسرع السير الى تونس وفر
والده الى القيروان فقبض عليه ابو الهول شيخ العرب فسمّل عينيه واشخصه الى القيروان
واعقل فيها الى ان مات واستقل ابنه احمد في الملك ولما رجع خير الدين الى الجزائر
عقب انهزامه من تونس اخذ يتأهب لغزو اسبانيا فاعد المراكب واستكمل تعبيتها وانلقى

العساكر وسار غازياً تغور اسبانيا صادف في طريقه عدة مراكب للافرنج فاستولى عليها واستاقها الى الجزائر ثم غرى بلد ماهوب من بلاد اسبانيا فدمر اهلها واضرمها نارا وانكفأ راجعاً ولم يزل يتابع غزو التغور الافرنجية الى ان استدعاه السلطان الغازي سليمان خان الاول فاستخلف على الجزائر مستشاره حسن آغا المرة الثالثة وسار باهله الى الاسنانة فاکرم السلطان وفادته وقلده وزارة البحر فجرى خير الدين على عادته في غزو تغور العدو من الاسنانة والرجوع اليها بالغنائم الكثيرة الى ان مات في قصره بظاهرها سنة خمس وخمسين وتسعمائة وقبره قرب مرسى بشكطاش مشهور واقرب السلطان الغازي سليمان خان حسن آغا مستشار خير الدين على امارة الجزائر وارسل اليه فرمان والخلة وعلى قيادة البحر في الجزائر حسن بن خير الدين فاقتفى اثر والده في الشدة والحزم والاجلاب على التغور الافرنجية وضايقهم حتى استخفوا امر والده وغرا جبل طارق واستباحه واستاق امواله ومراكبه ورجع الى الجزائر فزلزلت بلاد اروبا وامتلأت انقارب منه رعباً وايقنوا بجزاب تغورهم وجزائرهم فارسلوا صريخهم الى ملك اسبانيا كارلوس الخامس وكانت دول اروبا ترجع اليه في ازماتها فجهز كارلوس نحو خمسمائة مراكب وشحنها بالعساكر والمهمات وسار بها الى الجزائر وعدل عن مرفاها الى فرضة وادي الحراش وانزل جيوشه الى البر وابقى في المراكب معه من يقوم بها وعسكرت جنوده في القرب من محل سيدي يعقوب وكتب الى حسن باشا انا ملك اسبانيا الذي استولى على تونس واخرج منها خير الدين باربروس الثاني وتونس اعظم من الجزائر وخير الدين اعظم منك فاجابه حسن باشا ان اسبانيا غرت الجزائر في مدة عروج باربروس الاول مرة وفي مدة خير الدين مرة ولم تحصل على دائل بل انتهبت اموالها وفيت عساكرها وهذه المرة الثالثة كذلك ان شاء الله وفي اليوم الثاني من هذه المراسلة حدث نوء شديد برّاً وبحراً فلعبت الرياح بالمراكب والقت منها ما يزيد على مائة مراكب الى البر فانقضت عليها حشود العرب والبربر وانتهبوا ما فيها واستاصلوا من لم يدركه الغرق وانتهاز الفرصة والى الجزائر فخرج يحميه وحمل على المعسكر فانهمز الافرنج وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون حتى اتوا على آخرهم ولحق كارلوس في عدد قليل من مراكبه ببلاده ورمى بتاجه الى الارض واقسم ان لا يضعه على راسه الا بعد استيلائه على الجزائر فلم يساعده القدر الالهي على ذلك وفي اثناء هذه التناقض اكثر قبائل البربر ونبذوا الطاعة ولما فرغ حسن باشا مما دهمه من امر اسبانيا وانتصر

على جيوشها وجه وجيته الى تدويح البلاد وقطع شافة الثوار منها فتأهب لذلك ولم
 يزل يبول في الانحاء ويبيت السرايا في الجيئات الى ان دان الناس لطاعته واسترد
 مستغانم من يد صاحب تلمسان ووصلت جيوشه في الجهة الشرقية الى ما وراء
 بسكرة والزيان ثم رجع الى الجزائر وتوفى بها وتولى حسن بك ابن خير الدين وكان
 بنو وطاس بطن من بني مرين استولوا على المغرب الاقصى بعد بني عمهم عبد الحق
 واستحل امرهم فيه فدعتهم نفوسهم الى الاستيلاء على تلمسان دارملك بني زيان
 فنهضوا اليها من فاس في جموعهم سنة ثمان وستين وتسعمائة واستولوا عليها في فترة
 موت حسن باشا فلما افضى الامر الى حسن باشا ابن خير الدين استفرغ لقتالهم
 ونهض من الجزائر واتصل الخبر ببني وطاس فخرجوا من تلمسان وانقلبوا راجعين
 الى فاس واستقر حسن باشا سائرا الى ان دخل تلمسان فاحلح شانهما وولى عليها
 رجلا من بني زيان اسمه حسن وقتل الى الجزائر ثم عزل وتولى اخوه صالح باشا ابن
 خير الدين نارتاج الناس الى توليته وكانت اسبانيا استولت على يمايه فابتدر صالح
 باشا اليها ونازلها برا وبحرا ثم اقتحمها بجيوشه واستاصلها ثم سار الى قسطنطينة فاستولى
 عليها واقتطعها ثم انقلب الى تلمسان وطرد منها حسن الزياتي مع بقايا بني عمه
 فتفرقوا اوزاعا في الجيئات والبقاء لله تعالى وانتظم المغرب الاوسط كله لصالح باشا
 من حدود وده من بلاد المغرب الاقصى الى الكف من بلاد افريقية وبعد ان
 رجع الى الجزائر توفى وتولى اخوه حسن باشا ابن خير الدين مرة ثانية وفي ايامه خرج حاكم
 وهران مجنوده الى مستغانم وكان حسن باشا في تلك النواحي فتعرض له وانتشب الحرب بين الزريقين
 فانهزم جيش اسبانيا وقتل حاكمهم ثم ان الدولة العلية حملت اهل الجزائر على العمل بقوانينها ونها
 تعين عليها حاكما من قبلها وتمده بها يارمه من الجنود والذخائر وعزلت حسن باشا ابن
 خير الدين وبعثت محمد باشا كرواؤلى ثم عزل محمد باشا وتولى علي باشا وكان اهل
 تونس سئموا من ملكهم ابي العباس احمد الحفصي ولحقهم الفجر من ظلمه فندس
 وزيره ابو الطيب الخضر الى علي باشا في النهوض الى تونس ووعدته بتبديد الطارق
 الموصلة الى الاستيلاء عليها فجهرت علي باشا جيوشه واحتشد قبائل العرب والبربر من
 القاصية ونهض من الجزائر سنة سبع وسبعين وتسعمائة فالتقى الجمعان بباجه ووفى
 الخضر بوعدته فقتل صاحبه والتقى الرعب في قلوب عساكره فتفرقوا اشتاتا وفر
 ابو العباس الى تونس ثم خرج باهله وامواله ولحق بالقيروان وتقدم علي باشا بجنوده الى

الجزيرة فدخلها وقتل ابن الخضار وولى حيدر باشا على تونس وانتقل راجعاً الى الجزائر واستجاش ابو العباس بملك اسبانيا فاجابه واشترط عليه مقاسمة الملك فامتنع ابو العباس من قبول هذا الشرط فركب البحر الى صقلية ولم يزل بها الى ان مات ثم قام اخوه محمد بن الحسن واثار الفتنة على حيدر باشا وبعث الى ملك اسبانيا بقبول ما اشترطه على اخيه فانجده الملك بعساكره وعند وصولها في المراكب الى حلق الواد فرّ حيدر باشا وحاميته من الاتراك ولحقوا بالقيروان وتقدم محمد بن الحسن الى عساكر اسبانيا فدخل بها الى تونس وعاثوا فيها واهانوا المساجد والمدارس واتخذوا جامع الزيتونة اصحاباً لدوابهم وقاسمهم محمد بن الحسن البلاد والجباية وفي سنة احدى وثمانين وتسعمائة تولى رمضان باشا على الجزائر وفي سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة جهزت الدولة الوزير المشهور ننان باشا فسار في جيش كثيف لانقاذ تونس من يد اسبانيا واوعزت الى والي الجزائر ووالي طرابلس الغرب بظاهرتهم فاستعد كل واحد منهما وسار من ولايته وخرج حيدر باشا من القيروان بجاميته ومن انقضاء اليه من العرب والبربر وتكاملت الجيوش في خارج تونس واحاطوا بها من كل جانب فدخلها المسلمون عنوة واستأصلوا عساكر اسبانيا واسروا محمد بن الحسن ثم اشخصه سنان باشا الى الاستانة فاعقل فيها الى ان مات وتم استيلاء الدولة العلية على افريقية وانقرضت دولة بني حفص منها بعد ان ملكوها ثلاثمائة ونيفاً واربعين سنة والبقاء لله تعالى وحده وشئت قدم سنان باشا في تونس واستفحل امره وقطع دعوة بني حفص فيها واستلم الثوار ومن عهده صارت الولاية تختلف على تونس من قبل السلطنة السنية كاختلافهم على الجزائر ثم وقع النزاع بين حكومة الجزائر وحكومة تونس بعد استيلاء سنان باشا عليها في الحدود واستمر الى ان تولى حسن باشا على الجزائر سنة اثنتين وعشرين والف فاتفق مع يوسف داي والي تونس على تعيين نهر سراط حداً بين الحكومتين وفي سنة ثلاث وثلاثين والف تولى خسرو باشا على الجزائر ونازعه يوسف داي في الحدود ثم رجعا لما وقع عليه الاتفاق اولاً بين الامارتين في الاحكام والجباية وفي سنة اربع وخمسين والف انتقضت جزيرة كريت على الدولة واستبدوا بامرهم فاوعزت الى محمد باشا ابي ريشة والي الجزائر بغزوها فسار اليها في اسطوله وفتحها وقفل الى الجزائر وكان الملك فرنسيس الاول عمق الصلح مع السلطان الغازي سليمان خان سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة هجرية وخمس وعشرين وخمسمائة والف ميلادية واباح له السلطان حرية مراكب فرانس في البحر الابيض تسافر فيه حيث شاءت

واذن له في تعاطي التجارة في الجزائر وغيرها ثم ان حكومة الجزائر اخذت مراكبها تغزو ثغور
فرانسا وتخرب حصونها الى ان آل امر فرانسا الى الملك لويس الرابع عشر فجهاز نحو ستة
آلاف جندي في ستة عشر مركباً لنظر القائد الدوك دي يوفور فاقلع من طولون في
مراكبه سنة اربع وسبعين والف من المهجرة مترصداً مراكب الجزائر فلم يصادف نجاحاً وفي
سنة ست وسبعين وقع الصلح ولما تولى بابا حسن علي الجزائر سنة اثنتين وتسعين والف
اغزى مراكبه الى الثغور الفرنسية وفي سنة اربع وتسعين خرج الاميرال تورفيل من
طولون في عارة فرنسا وسار الى الجزائر واناخ عليها ثلاثة اشهر يغادها القتال ويروحها ثم
سئم الإقامة من غير طائل واقلع عنها وفي سنة خمس وتسعين عاد اليها في قوة أكثر من
الاولى ولما علم بابا حسن انه عاجز عن مدافعتها مال الى السلم وبعث الى رئيس العارة في
ذلك فاجابه اليه واشترط عليه اموراً انف اهل الجزائر من قبولها وعارضوا حاكمهم
في اجازتها ثم عدوا عليه فقتلوه وولوا عليهم الحاج حسن آغا من مشاهير القواد
فاشهر الحرب على المراكب الفرنسية ورماها بالقنابل فاستشاط تورفيل غضباً وارسل
على البلد صواعق المدافع فعمد اهل الجزائر الى اسارى الافرنج يوثقونهم ويشعرونهم
في افواه المدافع ثم يرسلونها فتنطير اشلاؤهم مع انقنابل في الهواء وارتكبوا في
ذلك ما لا يسوغ شرعاً ولا مروءة ثم لما طال الامر على الاميرال تورفيل اقلع عن
الجزائر الى بلاده وفي سنة ست وتسعين عاد اليها فدعاه اهلها الى الصلح فبادر الى
ذلك وانعقد الصلح الى ان تولى خوجه ابراهيم باشا فاغزى ثغور فرانسا ورجع بالغنائم
وفي سنة مائة والف جمعت دولة فرنسا قوتها واكثرت من الحشود الافرنجية وبعثها
لنظر الماريشال دي سنرى فذازل الجزائر والح عليها برمي القنابل واقام على ذلك
خمس عشرة يوماً حتى دكت اطراف البلد ثم جنح خوجه ابراهيم باشا الى السلم فانعقد
الصلح وفي سنة اربع ومائة والف تولى علي الجزائر خوجه شعبان باشا فنهض الى
تونس بجيوشه فدخلها بـمـداخلة ابن شكر وزير محمد باي واليها وفر محمد باي الى داخلية
افريقية وتم الامر لشعبان باشا ثم فوض امر تونس الى ابن شكر باي وقتل الى
الجزائر وكان شعبان المذكور يبغض العرب ولما رجع من تونس امر جنده بقتل كافة
العرب الناطقين في مدينة الجزائر فقتلوا خلقاً كثيراً وكثير تعسف واشتدت وطأته
فقبض عليه الجند وقتلوه خنقاً وتولى الجيه احمد باشا ثم عزل وتولى عمر باشا وكان
محمد باي انتصر على ابن شكر باي وعاد الى تونس ولقى ابن شكر بالمغرب الأقصى

ثم توفي محمد باي والي تونس وتولى اخوه رمضان باي فتار عليه مراد باي بن علي باي وتداول تونس من يده واستفحل امره فيها واجمع على غزو قسنطينة ثم الجزائر ونهض من تونس على طريق الكاف فلقبه علي خوجه باي حاكم قسنطينة بالقرب منها وناجزه الحرب فكانت الدبرة على علي خوجه باي واتصل الخبر بعمر باشا فخرج من الجزائر وزحف الى مراد باي وهو محاصر لقسنطينة وانتشب الحرب بينهما فانهمز مراد باي ولحقه عمر باشا الى الحدود ثم انكفأ راجعاً الى الجزائر وبقي مراد باي في مرض من الايام الى ان ثار الشريف ابراهيم وقتله واستولى على تونس ثم لما تولى مصطفى باشا على الجزائر جهز جيشاً وبعثه لقتال الشريف ابراهيم المتغلب على تونس ونهض الشريف من الحضرة فالتقوا بالقرب من الكاف واقتتلوا اياماً ثم وقع الخلل في عسكر الشريف فانهمز وقبض على الشريف وسارت عساكر الجزائر الى تونس فدخلوها ثم رُفع الى مصطفى باشا في رئيس ديوان التحريرات الجزائرية الخوجه محمد بكداشي امر نومه عليه نعله ونفاه الى قاصية البلاد فاقام بكداشي مكانه يتربص الفرص الى ان تمكن منها فتلطف في رجوعه الى الجزائر ثم دخل على مصطفى باشا في منزله ليلاً وقتله وتولى مكانه سنة ثمان عشرة ومائة والى ثم قبض على الاخوين العاقلين السيد احمد والسيد علاء ولدى اعلامة المؤلف الشهير الشيخ سعيد قدوره وكان الاول مفنياً للملكية والثاني قاضياً لم يقتلها في حبسها خنقاً وقد انتقم الله منه بثل فعله فسلط عليه ابراهيم آغا العرب فدخل عليه وخنقه وتولى مكانه ثم تولى بعده علي باشا ثم محمد باشا ثم عبيد باشا وكنت اسبانيا استولت على وهران سنة خمس عشرة وتسعة اخذتها من يد ابي بكون آخر ملك بني زيان ولم تزل حكومة الجزائر تبعث بالجيوش اليها وتنازلها برأ وبجراً فلم تات بطائل الى ان تولى محمد بكداشي على الجزائر وكان شديد الرغبة في استرجاعها فجهز جيشاً عظيماً وبعثه اليها واوعز الي حاكم معسكر مصطفى باي ابي الشلاغم بظاهرة الجيش والنظر في امره فنزلوها اول يوم من ربيع الاول سنة تسع عشرة ومائة وضيقوا على حاميتها واحجروهم في داخلها وفي سادس شوال من تلك السنة فتحوا البلد عنوة وفر اهله الى برج المرسى وتحصنوا فيه فلحقهم المسلمون وفي ثالث عشر المحرم سنة عشرين اتحدوا الحصن واسناصلوا اهله واستقر ابو الشلاغم والياً عليها ولم يزل يدافع جيوش اسبانيا عنها مرة بعد اخرى الى ان تغلبوا عليها واخذوها من يده سنة ثلاث واربعين ومائة والى وخرج منها

ابو الشلاغم باهله ومن كان فيها من المسلمين الى معسكر ونواحيها وكان الى الجزائر
عبدى باشا فنجيز ولده محمد فى عدة مراكب وبعثه الى وهران فتنازلها ثم توفى عبدى
باشا واقلع ولده محمد راجعاً الى الجزائر وكان حسن بن علي والى تونس ظاهر جيوش
اسبانيا على اخذ وهران وامدته بالذخيرة فحفظها له ابراهيم الخزناسى مستشار عبدى
باشا ولما افضى امر الجزائر اليه اخرج يونس ابن اخي حسين بن علي وكان معقلاً
فى الجزائر وامده بالجيش والمهمات واوعز الى حاكم قسنطينة بظاهرته فنهض يونس
من الجزائر واجتمع بحاكم قسنطينة وانضم اليهما ابو عزيز شيخ الحناشة وابورنان شيخ
عرب البنيان ومحمد ابن ابي الضياف شيخ جبل اوراس بمجموعهم واتصل الخبر الى
حسين بن علي فرحف اليهم والتقى الفريقان على نهر سراط وانتشبت الحرب فكانت
الدبرة على حسين بن علي فانتهزت جيوشه وخلق هو واولاده بالقىروان واستولى
يونس على الحضرة وانتقلت الجيوش راجعة الى مراكزها ثم نهض يونس باي الى قتال
عمه وهو بالقىروان فخام عمه عن اللقاء واقام يونس محاصراً للقىروان احد عشر
شهراً ثم خرج منها حسين بن علي واولاده ولاقوا بقسنطينة منزعجين مما وقع منهم
وتوجه محمد بن حسين بن علي الى الجزائر وقدم الطاعة للخزناسى باشا نيابة عن والده
فقبل طاعتهم ووعدهم بالعود الى دار ملكتهم ثم بعد وصول محمد الى الجزائر توفى والده
بقسنطينة وخلق محمود وعلي باخيها محمد واقاموا ينتظرون انجاز الوعد الى ان مات
الخزناسى باشا وتولى خوجه ابراهيم باشا وكان الخزناسى عهد اليه عند موته بمساعدتهم
فلما تمكن من امره سيرهم فى الجيوش الجزائرية وامر حاكم قسنطينة بظاهرتهم وقبل
وصولهم الى حدود تونس حمل الخلل فى العسكر وتفرقت الكلمة بين حاكم قسنطينة
واحمد آغا رئيس العسكر الجزائري فانقلبوا راجعين الى قسنطينة ثم توفى علي بن حسين
ابن علي واقام اخواه محمود ومحمد بقسنطينة وفي سنة ستين ومائة والى توفى الخوجه
ابراهيم باشا وتولى محمد باشا المعروف بالاعور وفي سنة ثمان وستين ومائة والى عدا
عليه جندي فقتله وتولى علي باشا ابواصب وكان حسن باي المعروف بازرق العينين
ابن اخت علي باشا المذكور والياً على قسنطينة فاتفق رايه مع خاله علي اخذ تونس
من يد يونس باي ورددا الى اولاد عمه حسين بن علي ثم ان ازرق العينين عمل الحيلة
على يونس باي واظهر له المودة فركن اليه والتقى اليه بقاليد اموره ولم يزل ينصب
له المكائد الى ان تمكن منه وقبض عليه واستغنى امواله وبني عليه حائطاً من خشب

فبقي في عذابه الى ان مات ورجع امر تونس الى اولاد حسين بن علي يتوارثونه خلفاً عن سلف لهذا العيد وفي سنة تسع وسبعين ومائة والـف توفي علي باشا وتولى محمد باشا المعروف بالمجاهد وكان صالحاً زاهداً احسن السيرة محباً للجهاد منصور الراية شيد عدة ابراج وحصون في الجزائر منها برج سردينيا والبرج الجديد وبرج راس العين واصح قناة الحامة واجرى ماءها الى سقايات اتخذها على ابواب المساجد والابراج والحصون وخواري من رخام في شوارع البلد واوقف اوقافاً جارية وانشأ جملة مراكب بحرية للغزو وهو اول من اتخذ النجون في الجزائر وهو مركب صغير وفي سنة ثلاث وثمانين ومائة والـف انتقض الصلح بين الدولة العلية ودولة روسيا فجهز مراكبه واكمل استعدادها لنظر القبطان ابن يونس وبعثه اجابة لأمر الدولة وتكرر منه هذا عند ما تدعوه الدولة لاعتنتها وكان قوم من اليونان يقال لهم الزنبوط اتخذوا قرصاناً وانقطعوا فيه في البحر يترصدون المراكب فلا يصادفهم مركب الا اخذوه بما فيه وقتلوا اهله وكانت الدولة العلية تامن حكامها في الجزائر بقطع عاديهم فجهز محمد باشا المجاهد القبطان الحاج سليمان وارسله اليهم فاستولى عليهم وساقهم في مراكبهم الى الجزائر وقد قسموا بلاد المغرب الاوسط الى اربع ولايات ولاية الجزائر وولاية تيطرى بكسر التاء وسكون الطاء المهملة وولاية قسنطينة بضم القاف ونح السين وسكون النون وولاية وهران بفتح فسكون ولكل ولاية حاكم يسمى باي اي بك الا حاكم الجزائر فيسمى باشا وهو لاء البايات متساوون في الرتبة والعمل ويرجعون في امورهم الى والي الجزائر ولما تولى بابا علي باشا بانتخاب اهل الشورى رفع الى حضرة السلطان احمد عريضة تنبيء بان وجود واليين في الجزائر موجب للفساد مستلزم للنزاع نقبل ذلك وامر بان يكون انتخاب الولاة وعزلهم الى مجلس الشورى وان يكون التصديق على ذلك من السلطنة وقد تقدم ما كان للحكومة الجزائرية في سائف امورها من سمو المنزلة وباهر السطوة وكانت الدول الافرنجية على كثرتها تدفع لها اموالاً مضروبة عليها كل سنة لدفع عاديته عن ثغورهم ملعدا دولة اسبانيا فانها كانت تثلون فتارة تدفع خريبتها وتمتع اخرى والحكومة الجزائرية تعاملها على حسب تلونها ولما تولى محمد باشا المجاهد اكثر من غزو ثغورها حتى الجأ اهاليها الى الجلاء عنها والفرار الى الداخلية وقد اجتمع في الجزائر منهم عشرة آلاف اسير فجمع ملك اسبانيا قوته واستجاش بقية الدول وجيز خمسمائة مركب مشحونة بالعساكر والذخائر وبعثها الى الجزائر سنة تسع وثمانين ومائة والـف فنزلت

الجيش الى البر وخيمت بوادي الحراش وكان محمد باشا المجاهد مستعداً لمداومتهم واستنهض حاكم قسنطينة وحاكم معسكر يجندوهم الى حضرته فاجتمعت الجيوش الاسلامية وكانت مراكب اسبانيا سبقتهم الى الجزائر فحجم صاحب قسنطينة في جهة الجنوب من معسكر العدو وخيم صاحب معسكر في الجهة الغربية وخرج محمد باشا بجندوده ودارت الجيوش بالمعسكر ثم هجمت عليه دفعة واحدة فاشتعلت نار الحرب من كل جهة وجاس المسلمون خلال الخيام واستلحدوا المعسكر بتمامه واستولوا على ذخائره ومهماتهم ولما رأى من بقى في المراكب من الجيش ما وقع باخوانهم رفعوا الرايات السود على صواري المركب اعلاناً بالحزن واقبلوا على تلك الحال راجعين الى بلادهم وفي سنة ثلاث وتسعين ومائة والف توفي ابرهم باي حاكم معسكر وتولى مكانه الشهم الهمام محمد باي بن عثمان الكردي وفي سنة ثمان وتسعين عادت عمارة اسبانيا لمنازلة الجزائر واناخوا عليها اربعة ايام يرسلون عليها القنابل فرجعوا من غير طائل ثم نازلوها في السنة التي بعدها وانقلبوا خائبين وقد احسوا من انفسهم بالعجز ورأوا ان جنودهم قد فنيت وشغورهم خربت فجنحوا للسلم وضرعوا الى محمد باشا المجاهد في كف عاديته عنهم ثم اوفدوا عليه رئيس العمارة يطلب الصلح فردده خائباً ثم اعادوه اليه على ان يشترط عليهم ما شاء فاجابهم الى مرغوبهم وانعقد الصلح بينهم على شروط منها ان تدفع دولة اسبانيا للحكومة الجزائر مليوناً ونصف مليون فرنك في كل سنة وان تعير المبادلة في الاسارى رأساً براس والذي يبقى الف ريال شينكو عن كل راس وان وهران خارجة عما انعقد عليه الصلح وتم الامر على هذا سنة مائتين والف

﴿ ذكر فتح مدينة وهران ﴾

قد امتدت العمارة الاسلامية بمدينة وهران الى سنة خمس عشرة وتسعمائة ثم استولت عليها دولة اسبانيا من يد ابني كلدون الزياني ثم لما تولى محمد باشا المجاهد على الجزائر كان يميل الى محمد باي الكردي حاكم معسكر لمنازة دينه واستقامة احواله كتب اليه في الجهاد وحرضه على منازلة وهران فكان محمد باي ينازلها وياخذ بخنقتها واستمر على ذلك من سنة ثلاث وتسعين ومائة والف الى سنة خمس ومائتين فجهاد الامر في ملازمتها والاقامة عليها فشمر الباي عن ساعد الجد وجمع الآلة والمهمات الحربية وجمع اوزاعاً من القبائل وانزلهم على السبل المؤدية اليها ليقطعوا مواصلة بني عامر وغيرهم

من المنتصرين للاسبانيول ثم انتقى طلبة العلم من المدارس وانزلهم في جبل المائدة المطل على البلد ليمنعوا اهلها من الاعتصام به واخذ في حفر الخنادق واللغوم وبناء الاستحكامات ولما بلغ ملكهم الخبر ارسل المدد الى حاميتها وقد استشهد سيدي الجدي السيد محمد المجاهد في معركة حرب بساحتها فحمل منها الى غريس مع بعد المسافة ودفن في مقبرة اسلافه ثم وقعت زلزلة عامة في جميع المغرب الاوسط واشتدت في وهران فسقط اكثر دورها على اهلها وهلك الحاكم وعائلته وتوالت المصائب عليها فرفعوا امرهم الى ملكهم فبعث الى والي الجزائر في الهدنة مدة شهر لينظر في امره فاجابه الوالي الى ذلك وجاء الامر لمحمد باي بتوقيف الحرب فتأخر في معسكره وضرب الاجل لحاكم وهران ثلاثين يوماً وقبل تمامها غدروا بالمسلمين ورفعوا رايات الحرب وطار الخبر الى محمد باي فسار واتاخ على وهران وجاءه المدد من الجزائر فاعظم النكاية في الاسبانيول واتجرهم في منازلهم وزحف الى السور ووضع المدافع والهواوير في الاستحكامات وعكف الرماة يرسلون عليها القنابل حتى اندكت اكثر ابراجها ودورها واشتد الامر على اهلها وعجزوا عن الذب عنها ثم توفي محمد باشا المجاهد وتولى مكانه مستشاره بابا حسن فطير الخبر الى محمد باي في مكانه من حصار وهران وبعث اليه بالامر المؤذن بتجديد امر الولاية له ثم ان ملك اسبانيا لما علم ان محمود باي قوي العزيمة عظيم الرغبة في فتح وهران كتب الى بابا حسن باشا والي الجزائر في تسليمها واشترط ان يسلمها على ما كانت عليه حين دخلتها جيوشهم وان يخربوا جميع ما احدثوه فيها من الابراج والقلاع فاجابه الوالي الى ذلك على ان يدفع مصاريف الحرب نقبل الملك وبعث الوالي الى محمد باي ياره بالافراج عن البلد فارتحل الباي وجيوشه واخذ الاسبانيول ينتقلون منها الى ان فرغت وخربوا ما وقع الاتفاق على تخريبه فتقدم الباي الى ساحتها وارسل في المدائن والضواحي للعبور في دخولها فخرج الناس اليه ودخلها واخذ في ترميم ما تثل من سورها واما كنيها وفي اقرب مدة عمرت دورها واسواقها ومساجدها وانتقل الباي اليها من معسكر باهله وعيان حكومته وأرخ فتحها العلامة السيد الحاج عبد القادر بن السنوسي بن دح بقوله

بشرى لنا قد بلغنا غاية الارب * بفتح وهران ذات العجب والعجب
ارخت للقوم ذاك العام مبتدراً * قالوا فما الشهر منه يا اخا العرب
نقلت في نظم - اراموا او رخره * وهران طار لما الاسلام في رجب

ثم توجه الباى الى الجزائر لتأدية التهنئة للبasha بفتح هذه المدينة التي طالما
احتمت الحكومة بشانها واجتمعت في فتحها فابى الله الا ان يكون على يديه وفي ايامه
فاكرم البasha نزله واكبر وفادته ثم قفل من الحضرة شاكيًا وبوادي مينة اشتد وجعة
ومات فحمل ودفن بوهراڤ فارتج المغرب الاوسط لفقده وعم الحزن اقطاره وكان
يحب العلماء والعالخين ويعظمهم واخذ الطريقة القادرية عن العلامة الجدى سيدى
السيد مصطفى ولم يزل قائمًا بخدمة ساعيًا في مرضاته الى ان توفى وتولى على وهران
ابنه عثمان باى

﴿ ذكر غير ذلك ﴾

وفي سنة سبع ومائتين والى تاخر اداء الضريبة المفروضة على دولة امريكا للحكومة
الجزائرية فغضب البasha واخرج قناصلها من الجزائر وسائر الولايات وجوز القبطان
الشهير الحاج محمد في اسطوله ليتصد راكمهم فغنم نحو العشرين مركبًا واغزاه مرة
اخرى فظفر بغيرها ثم ان دولة امريكا سبحت للسلم فاجابها البasha على ان تؤدى له
مليونين ونصف مليون من الريال الشينكونادات له ذلك ورجعت قناصلها الى الجزائر
وفي سنة اثنتى عشرة توفى البasha بابا حسن وتولى مكانه ابن اخته مصطفى الخزناجي
وفي سنة ثلاث عشرة كانت حادثة نابليون الاول في مصر واوزت الدولة العلية الى
مصطفى باشا باشهار الحرب عليها ليشغلها عن مصر فاحضر البasha قنصل فرنسا الجنرال
واظهر له شدة حنقه على فرنسا لسوء معاملتها مع الدولة العلية ثم اوثقه في الحديد
واسلمه الى دائرة الاشغال الشاقة ونعل ذلك ببقية قناصل فرنسا في الولايات وجوز
قائد البحر في الاسطول واغزاه الى ثغور فرانس فاشن فيها قتلاً واسرا وغنم عدة
راكب لم وفي سنة سبع عشرة عزل عثمان باى ابن محمد باى فاتح وهران عن ولايتها
وتولى مصطفى باى من اخضاء البasha

﴿ ذكر اخبار محمد ابن الشريف الثائر على ولاية وهران ﴾

اصله من الكسانة قبيلة من البربر بوادي العبد قبلة غريس اخذ العلم في صغره
عن سيدي الجدى السيد يحيى الدين في مدرسة بالقيطنة ثم رحل الى المغرب الاقصى
فاخذ من علماء فاس ولقي الشيخ العربي الدرقاوي وسلك طريقته وقفل الى وطنه
وجاء الى حضرة سيدي الجدى زائراً وفي بعض الايام تكلم بحضرته بما يوجب تاديبه

شرعاً فادبه سيدي الجدد بالسياط واستتابه ثم رجع الى وطنه ولحق بقبائل حيان وشافع ودعا لنفسه سنة سبع عشرة ومائتين والف وادعى انه المهدي المنتظر فصدقته الناس وقاموا بنصرته فاخذ يستلب الاتس والاموال ويخرب العمران واتصل الخبر بباي وهران فنهض اليه بجيوشه والتقى الفريقان بغريس فانهمزم الباي وتفرقت جيوشه ولحقت بوهران واستولى ابن الشريف على اثنائه ثم سار في جموعه حتى وقف بساحة وهران فاناخ عليها وطار الخبر الى الجزائر فجز الباشا مستشاره علي آغا وبعثه على طريق البرنغال ابن الشريف فتعرض له البربر في نواحي وادي شلف وصدوه عن المرور في بلادهم ومنعوه ورود الماء حتى كاد يهلك مع جيوشه عطشاً فلاذ بشيخ العطاف واستجار به فحشى له في القبائل على ان يدفعوا عاديته عنه فابوا عليه الا بال يوديه اليهم فادى لهم ما طالبوه وانقلب راجعاً الى الجزائر واستمر ابن الشريف في مكانه من حصار وهران وضيق على اهلها حتى نفذت اقواتهم وتمشت له الطاعة من الناس الى المدينة ثم افرج عن وهران وسار ينتقل في النواحي الى سنة ست وعشرين ومائتين والف فبعث الباشا من الجزائر معتمده محمد باي المعروف بالمقلس في عسكر وقلده ولاية وهران فركب في الاسطول من شرشال وبوصله الى وهران قبض على حاكها مصطفى باي واشغعه الى الجزائر وكتب الى الآفاق بقدومه وتلطف في جمع الكلمة فاجابه اكثر القبائل وركنوا الى طاعته وامرهم بالمعسكر معه فهرعوا اليه من كل جانب وفرق فيهم الاموال ونهض من وهران بجموعه يريد ابن الشريف وتزاحوا في غريس ولما تولى النهار انكشف ابن الشريف بجموعه وانتصر الباي عليهم وفر ابن الشريف باهله واولاده الى نواحي تلمسان ثم لحق بجبل بني يزناسن من اعمال المغرب الاقصى ولا زال مقيماً فيه الى ان مات فرجع اهل واولاده ونزلوا في حى سيدي الجدد بالقيطنة لائذين به فعنا عنهم الباي حفظاً لدمته ورعاية لمقامه واذعن الناس للحكومة وتسابقوا للدخول في طاعتها وذهب ابن الشريف واولاى بساطه ثم خرج الباي من معسكر لتيميد البلاد فاخذ ضرائبها وجبى اموالها وقفل الى وهران وثبت قدمه في ولايته سمعت سيدي الوالد يقول انما لم ينبج ابن الشريف في امره لكونه كان ثقوتاً عند سيدي الجدد ففقه الناس وبعد رجوع الباي الى وهران توجه اليه سيدي الجدد ليهنئه بانتصاره فاكرم نزله واعظم وفادته ولما انطلق من عنده قال الباي الى جلسائه نحن لا نخشى من ابن الشريف وامثاله وانما نخشى من صولة هذا يشير الى سيدي

الجد رحمه الله تعالى .

﴿ ذكر اخبار ابن الاحرش ﴾

وفي سنة ثمان عشرة ومائتين والف ثار ابن الاحرش في نواحي قسنطينة وهو من عرب المغرب الاقصى رحل من بلاده للحج ولما اجلب نابليون الاول على مصر جمع ابن الاحرش جيشاً من اعراب المغربين وافريقية وانضم الى الجنود المصرية لقتال نابليون وابلى في تلك الحروب بلاءً حسناً فاكتسب الشهرة ولما انقلب نابليون الى فرنسا قتل ابن الاحرش راجعاً الى المغرب واحتل بتونس ولقيه صاحبها حموده باي واكرم نزله وفاوضه في القيام على حكومة الجزائر ووعد بالمظاهرة بالمال والرجال فاستكان لها ابن الاحرش وخرج من تونس الى نواحي قسنطينة ودعا لنفسه واشتدت شوكته في تلك الجيآت وزحف الى قسنطينة بمجموعه فخرج اليه حاكمها بجيشه ووقعت بينهما حروب انهزم في آخرها حاكم قسنطينة وترك ذخائره فتقوى بها ابن الاحرش وعظم الخوف عند الباي ففر الى تونس باهله واولاده واتصل الخبر بمصطفى باشا والي الجزائر فاحضر عثمان باي ابن محمد باي وبعثه حاكماً على قسنطينة وفوض اليه في مدانعة ابن الاحرش وبوصوله اليها كتب الى رؤساء القبائل الدائنين بطاعة ابن الاحرش يهددهم ويخوفهم عاقبة امرهم واخذ يتربأ للعرب وخيم خارج البلد في سطح المنصورة واستجاش بمن بقي من القبائل متمسكاً بطاعتهم وارتحل نحو ابن الاحرش وعسكر في سهل وادي الزهور فامر ابن الاحرش بالنهر فسد ثم اطلق على المعسكر اول الليل فما طلع الفجر الا والماء قد عم السهل كله وهجم عليهم ابن الاحرش بمجموعه فاستلحمهم وقتل الباي وكان الباي لما خرج من قسنطينة استعجب معه جميع ما في الخزائن من الاموال والذخائر فاستولى عليها ابن الاحرش وامتلات ايدي جيوشه من المغانم ثم ان باشا الجزائر فوض الامر الى قائد الخشنة وولاه على قسنطينة وكان هذا القائد له مصاهرة مع العرب فاستجاش باصهاره وعي كتابه وبرز من قسنطينة لمدانعة ابن الاحرش فانزمت جيوش ابن الاحرش وتفرقت وفر بنفسه ولحق بابن الشريف في الجهة الغربية وبقي في معيشه الى ان دس له من قتله من اصحابه

﴿ ذكر غير ذلك ﴾

وفي سنة ثمان عشرة ومائتين دخل يحيى آغا على رئيس اليهود في الجزائر وقتله

في منزله ولما رأى الناس اهل الحكومة للامور وتغافلها تداعوا في ثاني يوم الى استئصال اليهود ونهب اموالهم فاجتمعوا ودخلوا الى محلة اليهود فاختزنوهم قذلاً واكتسحوا اموالهم وجمعوا اشلاءهم خارج البلد واضرموها ناراً ثم امر الباشا بالقبض على كل من ثبت حضوره في هذه النعلة فامتلأت السجون بهم وامر ان يصاب منهم كل يوم عشرة انفس فصابوا عن آخرهم وفي سنة عشرين ومائتين ثار العسكر على الباشا ونقموا عليه سوء معاملته لهم وقتلوه في الزقاق وتولى احمد خوجه فاطلق ايدي العسكر في الرعايا فكثر الفساد وكان في قلبه شيء على عبدالله باي حاكم قسنطينة فقتله واستخفى امواله ومدته الى الخزينة فباع جميع ما فيها من الثنائس وحمله الى دار سكينة وبعث الى حموده باي حاكم تونس في دفع الضريبة المفروضة على حكومة تونس لحكومة الجزائر فاستنكف ونقض العهد فجهز اليه القبطان حميد وفي الاسطول فغنم ثلاثة مراكب تونسية بما فيها ثم اغزى جيوشه الى تونس على طريق البر فلقبهم حموده باي بجموعه فاوقعوا به واسنولوا على معسكره وفي سنة ثلاث وعشرين تراحف الفريقان واقتتلوا بنهر سراط فكانت الهزيمة على حموده باي ايضاً وبعد رجوع العسكر الى الجزائر اظلم الجو بينهم وبين احمد باشا فثاروا عليه وقتلوه وسحبوه في ازقة الجزائر اهانة له ثم تولى ابو الجوالق فامر بنفي القبطان حميدو الى الشام وفي سنة اربع وعشرين ومائتين والف تغلب علي باشا على ابي الجوالق وقتله خنقاً وتولى مكانه واعاد القبطان حميدو من الشام فاكرمه ورفع رتبته وفوض اليه امر البحر ثم اغزاه الى جبل طارق فلقبي مراكب البورتغال فغنم منها مركباً واغزاه الى صقلية فامتلأت مراكبه بالغنائم وفي سنة خمس وعشرين اغزاه الى جربة من اعمال تونس فاسنولى عليها وطار الخبر الى حموده باي فجهز ثلاثة عشر مركباً وبعثها الى جربة لقتال حميدو فلقبهم بالقرب من جزيرة قرقنه وانتشبت الحرب بينهم فكانت الدبرة على مراكب تونس وفي سنة ست وعشرين اغزاه الى تونس واحتل بمحلق الواد وتاخر حموده باي عن اللقاء وانحجر داخل الحضره فاقام حميدو اياماً ثم اقلع راجعاً الى الجزائر وفي سنة سبع وعشرين اخذ الباشا يناهب لمانزلة تونس وبعث الى حكام الولايات في جمع الجيوش والنهوض بها الى حضرته فتغافل حاكم وهران واظهر الاستبداد فوجم لما الباشا وسير عمر آغا في جيش على طريق البحر الى وهران وكان اعيانها قد انصرفوا عن حاكمهم ونقموا

عليه ما اظهره من الاستبداد وكان اعيان الدوائر والزمالة اوقعوه في هذا الامر وزينوه له ووعدوه بتظاهرة الرعية وهو يومئذٍ مخيمٌ بهبهه فلما انقلب الى وهران قام عليه الجند واعيان البلد وقبضوا عليه وبوصول عمر آغا الى وهران سلموه اليه فذبح اولاده على صدره وهو ينظر اليهم ثم سلخه وحشى جلده قطعاً وارسله الى الجزائر فعاقى على باب الجديد منها واستشفى امواله ثم اخذ يتأهب للحرب حاكم تونس فجمع الجيوش وسار بهم وكانت جموع تيطرى وقسنطينة تنتظره بالقرب من التخم لان الباشا فوض اليه امر الحرب فنهض بالجموع الى تونس ولما تجاوز حدودها اتصل به ابن الاسطول الجزائري بعد ان ارسى في حلق الواد اياماً انقلب راجعاً من غير طائل وفي سنة ثمان وعشرين خرج القبطان حميدو غازياً على الثغور الافرنجية فصادف في طريقه مراكب كثيرة للدانمارك فاستولى عليها وفي هذه السنة انعقدت الهدنة بين حكومة الجزائر ودولة البورتغال على ان تؤدى دولة البورتغال للحكومة مليونين ونصف مليون فرنك وان تنقلها فدية اسراها وفيها سار القبطان حميدو غازياً الى ثغور اليونان فآخن فيها بالقتل والاسر وغنم عدة مراكب لهم وانقلب راجعاً فرفع ملك اليونان امره الى السلطنة السنية فبعثت الى باشا الجزائر توبخه على ذلك وامرته برد جميع ما اخذه لليونان وفي سنة تسع وعشرين اتصل به ان اليهود لبسوا نساءهم الثياب الخضر فقبض على اعيانهم وقتلهم واحرقهم وكان هؤلاء الاعيان اكلوا اموال الناس بانواع الحيل والدعاوي الباطلة فالزم الباشا اقرارهم بدفع جميع ما ثبت عليهم وفي سنة ثلاثين ومائتين اتفق عمر آغا وكان عزل عن وهران مع عبدالله وكيل الخرج على قتل الباشا فدخلوا عليه وهو في الحمام فذبحوه وتولى محمد الخزناسي وهو في سن التسعين وكان تحبباً عند اهل الجزائر وفي اليوم السابع عشر من ولايته دخل عليه عمر آغا في نخله فقتله وتولى مكانه فاغزى القبطان حميدو الى جبل طارق فصادف مراكباً لدولة امريكا فصادقوه القتال وكانت الدبرة عليه فقتل هو وجماعته وغنم الامريكيون مراكبه ثم آل الامر بعد ذلك الى انعقاد الصلح بين الفريقين وفي سنة احدى وثلاثين ومائتين جيز الانكليز وحوالانده عمارة مختلطة بينهم لنظر اللورد اكسمون وبعثوه الى الجزائر ولما وصل اليها كتب الى عمر باشا انا اللورد اكسمون قائد العمارة الانكليزية الهولندية اعلن لك انني لا ارجب في سفك الدماء ولا ارضى بخراب البلاد ولكن اطلب معاهدة مربوطة بشروط اولها اطلاق الاسارى عمومًا من غير استثناء ثانيها ارجاع ما دفعته

لكم سردينيا ونابولي في السابق عن اسراهم ثالثها ابطال عادة الاسر بالكلية رابعها ان تكون هذه الشروط بعينها جارية بين حكومة الجزائر وباقي الدول فاجابه عمر باشا بقوله لا جواب عندي الا الضرب بالمدافع وفي الحال امر باطلاق القنابل على العمارة وانتشبت الحرب بين الثريقين الى المساء وفي صبيحة اليوم الذي يليه شبت النار في المراكب المولاندية ولا تزال بعضها ببعض مع شدة الهواء احترقت عن آخرها واتصلت النار ببعض مراكب الانكليز وهاج البحر وتلاطمت امواجه فاقطع اكسحون با سلم من عمارته وتوغل في البحر ولا سكن رجع الى الجزائر وخاطب الباشا بخطابه الاول فقبل شروطهم وانعقد الصلح بين الباشا واكسحون ولما شاع هذا الخبر في الجزائر ثار الجند على عمر باشا ونقموا عليه قبول الشروط الانكليزية فقبضوا عليه وقتلوه خنقاً ولوا مكانه علي خوجه سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والف فاشاع النكير على اعيان الحكومة واكثر من قتل الاتراك وجعل بطانته من العرب واخذ الناس بالارهاب والسطوة وظهر الميل الى العمل بالشريعة المطهرة والقيام بوظائفها واعلن بالمحافظة على الصلوات في اوقاتها ومن وجد في دكانه بعد الاذان يجلد واشتدت وطائنه على المتحرفين عن الشريعة حتى توفي بالطاعون ثم ولي حسين كاتب الخليل واستقر له الامر وفي سنة اربع وثلاثين وقع الصلح بينه وبين صاحب تونس بامر الدولة العلية وفيها عزل حاكم وهران محمد باي ابن محمد باي ابن عثمان الكردي فاتح وهران وتولى مكانه حسين باي

❖ ذكر قيام السيد محمد التجيني ❖

اصله من بني توجين امراء تاهرت وكان والده السيد احمد زاهداً عابداً صاحب طريق وله مريدون واتباع ولما شاع امره في وطنه وخاف من غوائل الحكومة انتقل باهله واولاده الى فاس في ايام سلطانها مولاي سليمان العلوي واقام بها الى ان توفي فقام بامر الطريق بعده ابنه السيد محمد ورجع الى بلدهم عين ماضي وهي في الجنوب الشرقي من اعمال وهران وكانت حكومة الجزائر ترهب سطوته وتوقع خروجه عن طاعتها وفي سنة اربعين ومائتين رحل من بلاده للحجاز برّاً واتصل الخبر بحسين باشا نبعت الى حاكم قسنطينة في القبض عليه فافلت منه وبعد رجوعه الى وطنه دعا الناس الى طاعته والمخرج عن دعوة الحكومة فوانقته اهل تلك النواحي ونهض من بلده الى

نواحي معسكر فلاذ الحشم ومن اليهم بطاعته وخرج حسين باي حاكم وهران في جيوشه وتزاحف الثريقان خارج معسكر من جهة غريس وعند المصاف نقهر الحشم ومن وافقهم وانفرد التجيني في ثلاثمائة مقاتل من قبيلة الارباع فعلقوا انفسهم كما تعقل الابل وقتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وبعث الباي براس التجيني الى الجزائر فعلقت على بابها وارسل سيفه الى السلطان الغازي محمود خان وفي هذه السنة عزل حاكم قسنطينة وولى احمد بن احمد الشريف وهو اول من تولى من العرب على ولاية في الجزائر واطلق عليه لقب باي

❖ ذكر ما كانت تؤديه الافرنج لحكومة الجزائر من الهدايا والاموال ❖

اعلم ان حكومة الجزائر وان كانت قليلة العدد والعدد فقد كانت لما اليد الطولى في البحر الرومي وكانت بعوثها وغوازيها كثيرا ما تسم الثغور الافرنجية بالخسف والدمار ولذا لاذ اكثر ملوكهم بمسالتها واذعنوا لما تفرضه عليهم دفعا لعاديتها فكانت دولة انكيترا تؤدي لما ستائة ليرة انكليزية في كل سنة ودولة فرنسا هدايا ثمانية توءديها عند تغير قناصلها ودولة الدانيرك آلات وهدايا حربية قيمتها اربعة آلاف ريال شينكو وهدايا نفيسة ودولة هولندا ستائة ليرة فرنساوية ومملكة سيسيليا اربعة وعشرين الف ريال شينكو وهدايا قيمتها اربعة آلاف ريال شينكو ومملكة سردينيا ستة آلاف ليرة فرنساوية والولايات المتحدة بامريكا آلات وهدايا حربية قيمتها اربعة آلاف ريال شينكو وعشرة الاف ريال نقدية وهدايا تحضرها قناصلها معها والبورتغال هدايا بهية واسوج وزوج الات حربية وذخائر بحرية تساوي قيمة وافرة ودهنوفر وبرام من المانيا ستائة ليرة انكليزية واسبانيا هدايا نفيسة وربما حاول بعضهم في بعض الاحيان مقاومتها وتحرك للانتقام منها فلا يصادف نجاحا فيضطر الى مسالتها

❖ ذكر تسلط الفرنسيين على مدينة الجزائر ❖

ان الثمن في اوربا منذ زمان لم تحمد لما نار واشدها اضطراما ما كان منها في ايام نابليون الاول ولما سكنت بانعقاد الصلح بين الملوك وكانت الفرنسيين يغمسون بهذه الحكومة ويترصون بها الدوائر حتى اتفق لقونصلهم مع حسين باشا الخصام الذي ادعى لاهانة القونصل حين عقدوا معاهدة تجارية في اصناف الجنوب

مع الحكومة فنقرر لها في ذمتهم اموال طائلة وقارن ذلك حدوث الاضطراب في فرنسا وقيام الامة على ملكهم فتأخر اداء تلك الاموال نحو العشرين سنة ولما خمدت الفتنة جددوا المعاهدة مع الحكومة سنة خمس وثلاثين ومائتين والاف هجرية واسع عشرة وثمانمائة والاف ميلادية ومن فصولها ان دولة فرنسا تؤدى للحكومة الجزائرية سبعة ملايين فرنك على يد وكيلها يعقوب كوهين بكري وميخائيل ابي زناك اليهوديين والاداء يكون منجماً اول سنة ست وثلاثين ومائتين والاف هجرية وعشرين وثمانمائة والاف ميلادية وكان لتجار فرنسا من اهل مرسيليا على تجار الجزائر مليونان وخمسمائة الف فرنك فرفعوا امرهم الى دولتهم وطلبوا منها ان تنقد لهم اموالهم من اصل السبعة ملايين المحكوم بها للحكومة الجزائر فادت دولة فرنسا للحكومة اربعة ملايين ونصف مليون وابت ما ادعى به تجارها في صندوق الامانة وامرت ان تجري دعوى تجارها مع غرمائهم من اهل الجزائر في مجلس التجارة في باريز فغضب الباشا لذلك وطلب اداء الاموال المحكوم له بها كلها وان تكون مرافعة التجار والغرماء في مجلس الجزائر وادعى ان الحق له في ذلك بموجب العهود التجارية بين الحكومة وسائر الدول وطال النزاع واستمرت فرنسا مصرة على امرها والباشا يطلب الجواب من قنصل فرنسا الجنرال دوفال فيحاوله بالمواعيد وفي اول يوم من شوال سنة ثلاث واربعين ومائتين والاف دخل القنصل دوفال على الباشا لاداء التهنة بعيد الفطر فشكا له الباشا عدم رد الجواب من ملك فرنسا على كتاب قدمه له فقال له ليس من العادة ان يجاب الملك من هو دونه بدون واسطة ففهم الباشا من ذلك ان مراد القنصل ان الملك لا يعتني بجأوبة مثله فاشتد غضبه ولطم القنصل على وجهه ببروحة كانت في يده فعظم ذلك عند القنصل وطير الخبر الى ملكه فجاءه الامر ببأرحة الجزائر فبأرحها بمن معه من الفرنسيين المقيمين في الجزائر ثم ان الباشا عدا على من تأخر في البلد من ضعفائهم فاستأصلهم وخرب قلعة دي لاكار وكل بناء للفرنسيين في الجزائر وبونه وبوصول القنصل الى باريز جبرت دولة فرنسا اساطيلها وبعثتها الى الجزائر لتظر الاميرال كوليت فنازلها بغاديا القتال ويرأوحها واستمر تحاصراً لها نحو ثلاث سنين حتى لانت قوته ونفدت ذخائره وانقرض معظم جيشه وتكسرت اكثر مراكزه وكانت خاتمة امره بقتله ذكر بعض المؤرخين ان الثقة على هذه الحيلة كانت اكثر من عشرين مليون فرنك واما حكومة الجزائر فلم يلحقها كبير ضرر ولما علم حسين باشا ان دولة فرنسا لا ترفع يدها عن الجزائر وانها تراجع

منزلتها لا محالة اخذ في تثقيف البلد وتحصين حوزتها ثم انتقل باهله وحاشيته الى القصبة وفي سنة خمس واربعين ومائتين والفس هجرية وتسع وعشرين وثمانمائة والفس ميلادية بعثت دولة فرنسا معتمدها دي لابر الى الجزائر يطلب الترضية من الباشا فبا يلتفت اليه ورده وبعد اقلاعه اطلقت عليه القنابل من برج المرسى واتصل الخبر بلاك فرنسا ففاوض اهل دولته فوسطوا محمد علي باشا خديوي مصر ان ينصحه فارسل له كتابا ينصحه ويحذره ويعلمه به بان العاقبة وخيمة فلما قراه حسين باشا قال الرسول بلغه سلامي وقل له يا كل النول ولما وصل هذا الجواب الى الخديوي عرف الحكومة الفرنسية بعدم تاثير نصيحته له فاجمعوا على حرب الحكومة الجزائرية ومنجزتها فجمعوا جنودهم وكانوا اربعة وثلاثين الفا مع مائة واثنى عشر مدفعا واستأجروا اربعمائة مركب وسيرتها من طولون الى الجزائر لنظر الاميرال دو بري في احدى وعشرين ذي الحجة سنة خمس واربعين ومائتين والفس هجرية والتاسع عشر من يونيه سنة ثلاثين وثمانمائة والفس ميلادية نعدل بها عن مرسى الجزائر الى مرسى سيدي فوج القرية من الجزائر وكانت خالية من العمران الا شردمة قليلة من العسكر كانت في برج دنك فلما اطلت عليهم مراكب فرنسا تفرقوا وبوصول العمارة الى المرسى اخذت الجنود تنزل الى البر بجهاتها ورنعوا رايتهم على البرج واتصل الخبر بباشا الجزائر فارسل في المدائن والضواحي ينادي بالجهاد وعقد لظهره يحيى آغا على قتال العدو فنهض من الجزائر في الحشود والعساكر والتحم القتال بين الفريقين فكانت الديرة على الاغا وجموعه ثم تلاشت الجيوش من وهران وقسنطينة وتيطرى وزحف بهم الاغا في السابع والعشرين من ذي الحجة على معسكر الفرنسيين بين وحملوا عليه حملة رجل واحد واستمروا حتى ادخلوه الخيام ووضعوا راياتهم على الاستحكامات فهبت الفرنسيين من تلك الحملة وتراجعوا وعززتهم فرقة الطوبجية ورددوا الكرة على الجيوش الجزائرية فاخرجوهم من المعسكر وهزموهم وتبعهم العدو الى ان ادخلهم معسكرهم في استاوالي ثم اخرجهم منه واستولى عليه بما فيه من الذخائر والمهمات وعرف ذلك اليوم يوم استاوالي واجتمع في الجزائر حشود العرب والبربر للثعب والسلب بدعوى الجهاد وفي الثالث من محرم سنة ست واربعين ومائتين والفس الموافق للخامس والعشرين من يونيه سنة ثمانمائة وثلاثين نهض يحيى آغا من الجزائر بتلك الحشود وانتشعب الحرب بينه وبين الفرنسيين فانهمز يحيى آغا وحشوده فعتقبهم العدو الى ان تجاوز استحكامات ابي جارية واستولى عليها بما فيها من المدافع والمهمات

وخيموا عندها وقوى طمعهم في الاستيلاء على الجزائر وفي صبيحة ثامن المحرم ارتحلوا من ابى جارية وضربوا معسكرهم في اطراف البساتين وفي عاشر المحرم اطلوا على البلد وسلطوا عليها المدافع واخذوا يعتمرون الاشجار ويعنون الآثار واخذت النار في برج مولاي حسن وكانت فيه خزانة البارود فاحترقت وتطايرت حجارة البرج على البلد فدمرت المنازل ومات خلق كثير تحت الردم وعظم الكرب في مدينة الجزائر واستولى القلق على اهليها وتنبه حاكمها من غفلته ولما علم انه قد فاتته التدارك استأمن لنفسه واهله وجميع الاهالي فامنه قائد الجنود الفرنسيات المارشال على شروط وقع الاتفاق عليها

✽ ذكر المعاهدة الواقعة بين قائد العسكر الفرنسيات بورمون ✽
 ✽ وبين حسين باشا في الثالث عشر من المحرم سنة ✽
 ✽ ست واربعين ومائتين والاف هجرية والخامس ✽
 ✽ من يوليه سنة ثلاثين وثمانمائة والاف ميلادية ✽

اولاً كفة القلاع المختصة بمدينة الجزائر وابواب المدينة تسلم للعساكر الفرنسيات في صباح السادس من يوليه الساعة العاشرة ثانياً يتعهد القائد العمومي الفرنسيات ان يترك للباشا امواله المختصة به ثالثاً ان يكون لحضرة الباشا الحرية بان يتوجه مع عائلته وامواله الى المحل الذي يرغبه وفي مدة اقامته في مدينة الجزائر يكون هو وعائلته تحت حماية القائد العمومي الفرنسيات وان الباشا وعائلته يكونون تحت حرس مخصوص رابعاً ان القائد العمومي يمنح هذه الحماية المعطاة لحضرة الباشا لكافة قواد العساكر الجزائرية خامساً تعطى الحرية للديانة المحمدية وللمكاتب الاهلية ولديانتهم ولا ملاكهم ولتجارهم وامنائهم وان لا يعارضوا في ذلك وان نساءهم تحفظات معتبرات سادساً ان مبادلة هذه المعاهدة تكون غداً الساعة العاشرة صباحاً وتدخل العساكر قلعة القصبة ويسيون في قلاع المدينة والشطوط البحرية وفي الغد صباح اليوم السادس من يوليه والثالث عشر من المحرم سنة ست واربعين ومائتين والاف في الساعة التي وقع عليها الاتفاق دخلت جنود فرنسا من الباب الجديد في اعلا المدينة وانزلت رايات الدولة العثمانية من القصبة والاراج وارتفعت رايات فرنسا عليها وتفرقت الجنود الفرنسيات في البلد وتم استيلاء فرنسا على مدينة الجزائر وبلغوا امنيتهم التي

كانوا يتمتعون الحصول عليها منذ سنين عديدة غير مبالين بوفاء المعاهدة ولا ملتفتين للقيام باعباء المعاهدة وانقرضت الحكومة الجزائرية وانتشر سلكها وكانت مدتها فيها ثلاثمائة وخمسة وثلاثين سنة وثلاثة عشر يوماً تقريباً والله عاقبة الامور وبعد استقرار العساكر الفرنسية في المدينة انتقل الباشا وارباب الحكومة الى خارج البلد وخلصهم فيها رؤساء الجنود الفرنسية وشاع امر الجزائر فاهتزت له المشارق والمغرب وعد عند المسلمين من اعظم النوائب ولو كانت حكومة الجزائر مستعدة لحماية حوزة بلادها آخذة بالحذر من مباغطة العدو لها وكانت جنودها كاملة الاستعداد متمرنة على الحروب عاتمة بطرقها ما وصل عدوها الى مرغوبه منها في اقرب مدة وعلى ايسر وجه ولكن استيلاء الكبر والعجب والتعظيم على رجالها مع ما بلغوه من البذخ والترف اداهم الى اهمال الامور وعدم الاكتراث بها كما وقع بالاندلس ليقضي الله امراً كان منوعاً

❖ ذكر اخبار الفرنسيين بعد استيلائهم على الجزائر ❖

اول ما ابتدأ به قائد الجنود الفرنسية في الجزائر رتب مجلساً من رؤساء الجنود لضبط خرائنها من الاموال والجواهر والمهمات الحربية والذخائر فتحصل من ضبطهم على ما قيل من الذهب والفضة وقيمة الجواهر ثمانية واربعون مليوناً وستائة الف وثمانون الفاً وخمسمائة وسبعة وعشرون فرنكاً ومن الصوف والحنطة والشعير وغيرها ما يبلغ قيمة ثلاثة ملايين من الفرنك ومن المدافع والبنادق والبارود والرصاص والقنابل وغيرها من آلات الحرب مع ثمن الاملاك الاميرية داخل البلد وخارجها ما قيمته خمسون مليوناً من الفرنك ثم حمل الباشا مع اهله واتباعه الى نابولي بطلب منه فاقام فيها مدة ثم انتقل منها الى الكورنه ثم الى الاسكندرية ولما وصلها احتفل به محمد علي باشا واطاعه على المهمات الحربية وغيرها وصنع له مأدبة حضرها الاعيان واكابر البلدة وفي اثناء الطعام اثنى حسين باشا على الخديوي ومدح اعماله وهمته في اعمار مصر وترقيتها فاجابه الخديوي بقوله يا حضرة الباشا ان جميع ما رايت واستحسنته كان منشؤه من اكل النول وكان ذلك منه تذكراً له فيما سلف من الجواب عند قراءة الكتاب فتغص حسين باشا وتوجه لمحلة مثالماً وبعد ايام قليلة توفي سنة اربع وخمسين ومائتين والف هجرية ولما كثر الهرج بين الانكشارية والجيوش الجزائري جمعهم القائد العمومي وحمل اكثرهم الى نواحي ازوير ورخص للاغنياء منهم في الاقامة بالجزائر ريثما يبيعون

عقاراتهم وامتعهم وبعد فراغهم من اشغالهم حملهم الى جنات مختلفة ودون الدواوين وجند من اهل المدينة جنداً بلدياً وبني قواعد حكومتهم في الجزائر على اظهار الهيبة ومراعاة امور الشريعة الاسلامية واحترام المساجد وتعظيم العلماء وحرية العوائد وتلطف ما شاء في امالة القلوب اليهم وبذل الاموال ترغيباً حتى يلين اليهم القوي ويدخل في طاعتهم الايُّ وذا ان سياسته هذه كفية في الاستيلاء على سائر المغرب الاوسط ولم يعلم ان دون ما اراد خرب القتاد وقد ظهر لهم بعد حين ان في عين اليقين حروباً يشب لما الوليد يضعف لديها القوي الشديد الي ان نالوا غاية مطاوبهم وحصلوا على نهاية مرغوبهم وذلك تقدير العزيز العليم

✽ ذكر خروج الماريشال بورمون الى البليدة ورجوعه مهزوماً ✽

✽ وما جرى بعد ذلك من الحوادث ✽

بعد ان انتم القائد العمومي اشغاله الابتدائية في الجزائر خرج منها ثالث صفر سنة ست واربعين ومائتين والنف الموافق للخامس والعشرين من يولييه في طائفة من الجند الى البليدة فتلقيه اهله وادوا طاعتهم ودخل البلد وكان ابو مرزاق التركي حاكم تيطري قد دعاه اليها ورعده بطاعة اهل تلك النواحي ولما شاع الخبر تداعى الناس الى الجهاد ونادوا به في جبال متيجة القريبة من البليدة فهرعوا اليها وحمدوا للمهاجمة وفي غلس اليوم الثالث من دخول القائد العمومي اقتحموا البلد واستاصلوا اكثر الجند الفرنسي وافر القائد فبين املت من الجند الى الجزائر فدخلها على اسوأ حال وشاع خبر هذه الواقعة فأكبرها الناس واستخفوا امر الفرنسي وفسدت قلوب اهل الجزائر عليهم وضعف ما كان عندهم من الهيبة لهم وانخط قدر القائد بينهم وقارن ذلك الاضطراب الواقع في الحائر بين الجنود البرية والبحرية في دعوى التغلب على الجزائر فكل فريق ادعى ذلك واتصل بهم ان الامة في فرنسا ثاروا على الملك وخلعوه وابدلت الدولة الملكية بالدولة الجمهورية وكان القائد من حزب الملكية فايقن بالعزل وبعد ايام حضر الامر بعزله وتعيين الجنرال كلوزيل حاكماً على الجزائر وبمضوره باشر الاحكام وسافر الماريشال بورمون الى مالقة من بلاد الاندلس مستنجباً قلب ولده المقتول في معركة سيدي خلف بالجزائر ثم ان الجنرال كلوزيل طمعت عينه الى الاستيلاء على امصار القطر فبعث الى حاكم وهران وحاكم قسنطينة يدعوهما لطاعة دولته فاجابه صاحب وهران الى

ذلك واخذ اهله في الخروج منها الى تلسان ومعسكر وغيرهما ولم يتخلف فيها الا الحاكم حسين باي وجنده وطير خبره بالاجابة على ان يؤمنه الجنرال كلوزيل على نفسه واهله ومن معه فاسعفه الجنرال بذلك وسير ولده الاكبر في عدة مراكب حربية اليه فدخل وهران واستلم زمامها من يد حسين باي في تاسع رجب سنة ست واربعين ومائتين الموافق خمسة وعشرين ديسمبر سنة ثلاثين وثمانمائة والف ميلادية وذلك بعد ستة اشهر من دخول الجزائر ثم لحق حسين باي ومن معه بالجزائر وعمول بما عومل به حسين باشا ولما بلغ احمد باي حاكم بسكرة امر الجزائر جمع الجيوش وزحف الى قسنطينة حاضرة الولاية فخرج اليه حاكمها محمود باي ابن جاجر باي فدافعه عنها الى ان وقع الخلل في جيشه وتفرق عنه ودخل احمد باي الى الخاضرة وفر محمود الى جبال البربر فاغتناله بعضهم وساق رأسه الى احمد باي ثم وصله رسول الجنرال بكتابه يدعو الى طاعة فرنسا فنقله ومزق الكتاب فاستشاط الجنرال غيظاً وارسل الكونت دي مريمون في الاسطول الى بونة وكان عامها من قبل احمد باي قد تفرت من ظلمه قلوب اهله فلما اطل عليهم اسطول فرنسا اظهروا له اشارة السلم وفر العامل ومن كان معه من الحامية ولحق الجميع بقسنطينة وتقدم دي مريمون الى البلد فاستولى عليها وقبل الاستيلاء على وهران وبونة انتقض ابو مزراك والي تيطرى ونكت طاعة فرنسا وجاهر بالحرب فخرج اليه كلوزيل من الجزائر في ثامن عشر نوفمبر سنة ثلاثين وثمانمائة والف واقام اياماً في البلدة ثم سار قاصداً المدينة حاضرة ولاية تيطرى وزحف اليه ابو مزراك في جموع العرب والبربر فالتقى الجمعان بثنية موازية واشتد القتال فانهمز ابو مزراك وجموعه واستمر كلوزيل سائراً الى الخاضرة فدخلها في الثالث والعشرين منه وتلقاه اهله مطيعين فولى عليهم مصطفى بن عمر وفي اثناء اقامته في المدينة استامنه ابو مزراك على نفسه فامنه ولما حضر عنده اعتقله وكر راجعاً به الى الجزائر ومر في طريقه بالبلدة فوجد القبائل المجاورة لها قد دخلوها واستأصلوا الحامية الفرنسية ونهبوا الذخيرة فاستمر سائراً على وجهه الى الجزائر موقناً بانه لا طاقة له على اذعان القبائل والشعوب الجزائرية وان جيوشه غير كافية في حملهم على الطاعة مع ما عليه فرنسا من الاتباك واختلاف الكبة بين الاحزاب الملكية والجمهورية فاستجلب دي مريمون وجنده من بونة لما علم انه لا يجلب الناس الى طاعة فرنسا الا امرائهم او من الاتراك فولى مصطفى بن عمر

على مدينة المديّة وبعث الى صاحب تونس حسين باشا من اولاد حسين بن علي يطلب منه بعض المترشحين للولاية من عائلتهم فبعث اليه من اختاره من اقاربه فولاه على مدينة وهران في اوائل فبراير سنة احدى وثلاثين بعد ان اشهد على نفسه انه فرنساوي وادى يمين الامانة على ذلك ثم اخذ يدس الى الاتراك القاطنين في مدن الداخلية كتلمسان ومعسكر ان انزديس اجمعوا على ان يجعلوا في الجزائر حكومة تركية تكون تحت حمايتها وبعد تأسيس امورها يتخلون عنها و يسلمون امورها اليهم وجعل توليته على وهران دليلاً على صدق خبره فركنوا الى قوله وبعثوا اليه بطاعتهم سرّاً ثم فشا خبرهم وانتشر ذكره فقامت عليهم الاهالي في كل جهة واستأصلوا الكثير منهم واعتمد اترك تلمسان بقلعة المشور ثم عزل كلوزيل عن سخط من دولته وعلق بفرنسا وتولى الجنرال تريزين وتعين الجنرال بويه حاكماً على وهران وبوصوله اليها رجع التونسي الى اهلها فعلم العرب ان اشاعة التونسي تحض سياسة من انفرنساويين لتفريق الاتحاد فكفوا عن الاتراك وسالموهم ورجع الامر الى ما كان عليه من الاتحاد وجمع الكلمة على الجهاد وكان ابن ابي مزراك بلغه ان كلوزيل اشخص والده الى الاسكندرية منفياً فثار في محله من تيطرى ودعا الناس الى الجهاد وجمع الجيوش رنازل المديّة رضى على اهلها فطار الخبر الى الجنرال برترين فدير جيشاً لاتقاذ عاملهم مصطفى بن عمر فعرض لهم ابن ابي مزراك باقرب من البلد وناوهم القتال ثم تمكنوا من دخولها وانقلبوا بعاملهم وحاميتهم راجعين الى الجزائر ولما احتلوا تضايق جبال موزايه احاطت بهم جموع القبائل تحت راية ابن ابي مزراك والتحم الزريقان واستمر القتال في حال سيرهم واقامتهم الى قرب الجزائر ووقع النشل في عساكر فرنسا وقتل اكثرهم وانتبعت ائقالمهم ولم يصل الى الجزائر الا القليل منهم ثم ارتد ابن ابي مزراك بجموعه الى المديّة فاستولى عليها واستقر فيها الى ان استولى عليها سيدي الوالد رحمه الله وكانت هذه الواقعة نزلاً للجنرال تريزين في داخلية الجزائر وفي تلك الايام ظهر الحاج علي بن السعدي في جبال زواوه ودعاهم الى الجهاد واجتمعت كلمتهم عليه وكان الجنرال برترين بعد واقعة المديّة جمع اعيان الجزائر وامرهم ان يختاروا منهم من يصلح للولاية على العرب والبربر في داخلية البلاد ويكون واسطة في مياهم الى طاعة فرنسا فوقع اختيارهم على السيد يحيى الدين بن السيد علي مبارك لشهرته في تلك النواحي فولاه الجنرال ولقبه آغا العرب على اصطلاح الحكومة الجزائرية

فخرج الى قريته القليعة على مسافة قريبة من الجزائر وبث رساله في القبائل يدعوهم الى الطاعة وبينما هو كذلك اذ عصفت ريح ابن السعدي وشاع انذاره من جبال زواوه الى سهل متيجة فاضطرب امر الآغا ولم يسعه الا اتباع السعدي فتوجه اليه بن معه من القبائل واتخذها يداً عنده فأكرم نزله ثم زحف ابن السعدي بجموعه الى الجزائر وخيم بوادي الكرمه على مسافة ساعتين منها وعاث جيشه في اطرافها واضطرب الجنرال برتزين ثم خرج بمنوده اليهم فوقع بهم اولاً ثم رجعت الكرة عليه فانهمزمت جيوشه وارتدوا على ادبارهم واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى ان دخلوا الى المدينة وامتلأت ايدي الناس بالاسلاب والمهمات ورجعوا الى وادي الكرمه ثم زحفوا على المدينة ووصلوا الى باب عزون احد ابوابها فقام الجنرال عن اللقاء فانقلبوا راجعين الى اوطانهم تحت راية ابن السعدي ثم اخذ الجنرال تريزين يتلطف في استئالة القبائل بما يمكنه واظهر الاغضاء عما وقع منهم فجنحوا للمهادنة معه وقدموا الآغا السيد محي الدين ابن السيد علي مبارك في عقدها فدخل الجزائر وعقدها مع الجنرال ثم رجع الى القليعة وانفتحت ابواب الجزائر للوارد والصادر من القبائل المجاورة لها ثم عزل الجنرال تريزين سنة سبع واربعين ومائتين والاف هجرية واثنين وثلاثين وثمانمائة والاف ميلادية وتولى الجنرال الدوك دي روفينو واحضر معه ستة عشر الف جندي لردع القبائل وحماهم على الطاعة ولما علم ان هذه السياسة لا تجديه تنعاً عدل عن التعسف الى التلطف واقام مدة على ذلك ثم ان فرحات شيخ بلد بسكره وما يليها من ايلة قسنطينية اظلم الجوى بينه وبين صاحبها الحاج احمد باي فزع الى الفرنسيس واوفد جماعة من اقاربه الى الجنرال الدوك دوفينو فتلقاهم بالاكرام وتقبل طاعة شيخهم ثم انقلبوا الى شيخهم بانواع الهدايا الثمينة ولما وصلوا الى طرف سهل متيجة انقض عليهم جيش من قبائل الجبل فاستنوا ما معهم واتد الوفد راجعاً الى الجزائر فعظم ذلك عند الجنرال وبعد ان وقف على من فعل ذلك في ايام الهدنة حمله الغضب على الانقام منهم فاغزاهم قائد جيوشه فمجنهم وقتل من لحق به منهم واخذ شيخهم اسيراً الى الجزائر وبوصله اشهروا قتله في السوق وشاع خبر هذه الواقعة فاستكبرها الناس وحسبوها نقضاً للهدنة من حاكم الجزائر فعادوا لما كانوا عليه من شن الغارات على ضواحي الجزائر والتعرض للوارد اليها والصادر وتحرك ابن السعدي بعد سكونه ونادى في تلك الجهات بالجهاد وقامت الحروب

بين جموع المسلمين وجيوش فرنسا ووقعت بينهم عدة وقائع كانت الحروب فيها سجالاً ولما استمر القتل في اهل متيجه دخل الكثير منهم في طاعة فرنسا وارتحلوا الى قرب الجزائر وترفع الباقون الى الجبال واخذ الناس حذرهم وعلموا ان الفرنسيين لا يكثرثون بنقض العهود ولا يعبثون بالوفاء بها وهذه الحوادث كلها في ايالة الجزائر وايالة تيطري واما ايالة وهران فلم تنقطع الحروب فيها مع حاكمها منذ دخلها جيش فرنسا ثم ان آفة العرب لما رأى ان الامر تفاقم بين حاكم الجزائر والقبائل اهل داخليتها وعلم انه لا طاقة له بتلافي ذلك ارتحل من القليعة ولحق بجبال بني مناد ولم يزل مقيماً بين ظهرانيتهم الى ان ظهر امر سيدي الوالد في ايالة وهران وتمشت له الطاعة الى ايالة تيطري فبادر الى الدخول في طاعته واما السيد الحاج علي بن السعدي فانه لما احس من نفسه الكبر ولحقه الضعف والتجبر ترك جبال زواوه ولحق سيدي الوالد في معسكره ولم يزل مشغلاً بعبادة الله تعالى الى ان قضى نحبه وفي اثني عشر مايو سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة عرض للجنرال الدوك دي روفينو مرض الجأء الى الرجوع الى فرنسا وخلفه الجنرال افيزار مؤقتاً وفي ايامه تشكل انقلم العربي في دوائر اقالم الحكومة وتعين له الملازم لامورسير وكان يكتب الخط العربي ثم ترقى في المناصب الى ان صار جنرالاً واشتهر في وطن الجزائر بابي هراوة وفي اول ابريل عزل الجنرال افيزار وتولى الجنرال قرارول وتمكن من مهادنة القبائل في ايالة الجزائر واسنولى الفرنسيين على بسائط متيجه وسهولها وتوسعوا في مسارحيها وقد انتهت الكلام على الحوادث الاولى للفرنسيين في الجزائر

ذكر حوادث المغرب الاوسط بعد تسلط الفرنسيين على مدينة الجزائر

اعلم ان الجزائر لما دخلت في حوزة الدولة العلية وانتظمت في سلك ممالكها ايام السلطان الغازي ياووز سليم خان على يد عروج باربروس الاول واخيه خير الدين باربروس الثاني اقامت الحكومة فيها لحماية البلاد وحفظ حقوق العباد وجرى حكمها حكم ممالك الدولة العلية لعهد السلطان احمد خان الثالث وفيه احست الحكومة بالقوة فاستبدت في احكامها وقد كان تفوذها مع استبدادها قاصراً لا يتعدى المدن والقرى واما الجبال وظواعن العرب في البادية فان لهم ادارة تخصهم موكل امرها الى زعمائهم ولما كانت الحكومة غير قادرة على تنظيمهم في سلك الطاعة

القت بينهم دسائس العداوة والبغضاء ففترقت كبثهم وضعت شوكتهم وبهذا كن استحوذوا عليهم وهذه السياسة من اكبر الوسائل التي نتوصل بها الامة القليلة الاجنبية الى الاستيلاء على الامة الكثيرة الوطنية كما قيل (فرق واحكم) ولما استولى الفرنسي على مدينتي الجزائر ووهران وتمكن منهما تفرق الناس فرقا وسلكوا من الخلاف طرقا وفسدت السبل ولا غرو فان سكانها عرب وبربر تختلفو الطبع والمعتقد ومن شان اهل البادية اثارة النتن لينهباً لهم ما اعتادوا عليه من الغزو لتعيشهم فترى كل فريق يترصد فرصة الثوب على مقابله لا سيما وقد كانت الحكومة الجزائرية احكمت عرى هذه الضغائن بينهم ولما آل الامر الي ما آل اليه ازداد هيجانهم وسرى داعي الانتقام في نفوس العامة وصار كل من له ثار يحاول الاخذ به فطوي لذلك بساط الامن ووقف دولاب التجارة وتعطلت الزراعة فانهز العدو الفرصة واكثر من شدة الغارات على الضواحي ولما اشتد الامر وكثر القتل وعظم الكرب تداعى اهل العقد والحل من الاشراف والعلماء والاعيان للنظر في من اجتمعت فيه شروط الامارة ليبيعوه فيجمع كبثهم ويقوم بشؤونهم وحيث ان سيدي الجدد كان ممن اجتمعت فيه الشروط على الوجه الاكل وكان اعصف القوم ريجاً وابعدهم صيتاً وانقذهم كلمة اجتمع الناس اليه ورأوده على الامارة فاعتذر اليهم بكبر سنه فاوندوا جماعة من اعيانهم الى صاحب المغرب الاقصى لاتصال بلادهم ببلاده فاكرم وفادتهم وعقد لابن عمه علي بن سليمان على امارة المغرب الاوسط وبعثه معهم فلقية الناس بالطاعة واذعنوا له وسارت خيله في البلاد الى مليانه شرقاً وبث العمال وجبي الاموال فلم يحل هذا الصنيع في نظر دولة فرنسا لمنافاته لمقصودها ولم تتغافل عنه وبعثت الى سفيرها بطنجة ان يقدم على النور من قبلها التنبيهات المشددة الى سلطان المغرب وينذره بعداوة دوله ويتهدده بالحرب ان لم يرفع ابن عمه عن البلاد فاخذ العرب منه كل مأخذ واسترجع ابن عمه بعد ان اقسام بتلسان نحو السنة اشهر وترك احوال المغرب الاوسط على ما كانت عليه من الاضطراب وتسلب الغوغاء فاجتمع اعيانه ورنعوا شكيتهم الى سيدي الجدد مرة ثانية والخوا عليه في قبول بيعتهم له على الامارة والجهاد فابي قبول الامارة وقبل القيام بالامر الجهاد فرفض القوم بذلك لما فيه من تشاغل الغوغاء والسفلة عن الفساد واخذت الحشود من ذلك اليوم ترد على حضرتة في القيطينة فكان ينفض بهم الى وهران فينازلها ويأخذ بخنقها وجرت بينه وبين حاكمها الجنرال بويه حروب ظير فيها من

اقدام سيدي الوالد وشجاعته وحسن سياسته ما قيد الابصار عليه ورشحه للامارة وجعله حرباً بها واستمر سيدي الجند مواظباً على الجهاد بعزم لا يرده راد ولا يصد عنه صاد وله فيه وقائع كثيرة اعظمها واقعة خنق النطاح وواقعة برج راس العين

﴿ ذكر واقعة خنق النطاح الاولى ﴾

في اواخر ذي الحجة سنة سبع واربعين ومائتين والتاسع والعشرين من مائة سنة اثنتين وثلاثين جوز سيدي الجند سرية عقد عليها للسيد عبد القادر بن زيان الزباني وبعثه لاستكشاف احوال العدو بوهراڤ فلما قرب منها تراءى له العدو معسكراً في ساحتها بالموضع المعروف بخنق النطاح فاقام يراقب حركاته وطير الخبر الى سيدي الجند فنهض من القيطينة وخيم بوادي سيك وارسل في الجهات ينادي بالجهاد وبعد ان تلاحق اناس به سار بهم الى ساحة وهران وخيم بالقرب من العدو وبات المسلمون يوقدون النار على اللال المظلة على البلد وفي صبيحتها زحف كل من الفريقين الى الآخر ودارت بينهما رحى الحرب واشتد البأس وكثرت القتلى من الفريقين وكان سيدي الوالد بين الصفوف يحرض المسلمين على الثبات ويأمرهم بالتقدم فتحامل عليه احد فرسان العدو برنحه فمرت في خلو الابطال الايسر فشد عليها بعضه وهوى بسيفه على الفارس ففقد نصفين ولما تولى النهار وقعت الهزيمة في عسكر الفرنسيين فولوا مدبرين واتبعهم المسلمون الى الابواب وامتلأت الايدي من اسلابهم وذخائرهم وفي هذا اليوم طعن فرس سيدي الوالد وكان اشقر اللون ثمان طعنات بجربات العدو ثم رماه احدهم بالرصاص في راسه فوقع به ولم يبال بذلك بل استقل واقفاً وثبت في مركزه الى ان قدم اليه اتباعه غيره فركبه واستمر على القتال الى ان انتصر المسلمون على عدوهم وقد اشار لذلك سيدي الوالد في مقصوده بقوله

واشقر تحتي كلمته رماحهم * مراراً ولم يشك الجوى بل وما التوى

﴿ ونص المقصورة ﴾

توسد يهد الامن قد مرت النوى * وزال اغوب السير من مشهد النوى
وعز جياذاً جاد بالنفس كرها * وقد اشرفت مما دعاها الى النوى
وكم قد جرت طلقاً بنا في غياهب * وخاضت بحار الآل من شدة الجوى

وكم من مغازات يضل بها القطا * قطعت بها والذئب من دولها عوى
 لذا قد غدت مثل القدي ضوامراً * وتلك سهام للعدى وقعها شوى
 الى ان بدت نيران اعلامنا لها * وما ضوء نيران الكرام له انزوا
 ولا سيما اهل السيادة مثلنا * بنو الشرف المحض المصون عن الهوى
 فقالت ايا ابن الراشدي لك الهنا * كفى فاترك التسيار واحمد وجى النوى
 الا يا ابن خلاد تطاولت للعلی * وبانيت ماواك الكريم وما حوى
 فمن اجل ذا قد شد في ربنا لها * عقلاً وناديناً لك العز قد ثوى
 وحل بكهف لا يرام جنابه * فمن حل فيه مثل من حل في طوى
 فانا اكاليل الهداية والعلی * ومن نشر عليهم ذوي المجد قد طوى
 ونحن لنا دين ودنيا تجمعها * ولا نخر الا ما لنا يرفع اللوا
 مناقب مختارية قادرية * تسامت وعباسية تجدها احتوى
 فان شئت علماً تلقني خير عالم * وفي الروح اخباري غدت توهن القوى
 لنا سفن بحر الحديث به جرت * وخاضت فطاب الورد بمن به ارتوى
 وان رمت فقه الاصبحي فنج على * مجالسنا تشهد لداء العنا دوا
 وان شئت نوحاً فاشمنا تلق ماله * غدا يدعن البصري زهداً بنا روى
 وانا سقينا البيض في كل معرك * دماء العدى والسمرا سمرت الجوى
 الم تر في خنق النطاح نطاحنا * غداة التقيناكم شجاع لها لوى
 وكم هامة ذاك النهار قد دنتها * بحد حامي والقنا طعنه شوى
 واشقر تحتي كلمته رماحهم * مراراً ولم يشك الجوى بل وما التوى
 يوم قضائنا اخي فاراقى الى * جنات له فيها نبي الرضى اوى
 فما ارتد من وقع السهام عنانه * الى ان اتاه الفوز يرغم من عوى
 ومن بينهم حملته حين قد قضى * وكم رمية كالنجم من افقه هوى
 ويوم قضى تحتي جواد برمية * وبى احدقوا لولا اولو البأس والقوى
 واسيافا قد جردت من جنونها * وردت اليها بعد وردٍ لقد روى
 ولا بدا قرني يمتناه حربة * وكفى بها نار بها الكباش يشتوى
 فايقن اني قابض الروح فانكفا * يولى فوافاه حساني منذ هوى
 شددت عليهم شدة هاشمية * وقد وردوا ورد المنايا على الغوى
 نزلت ببرج العين نزلة ضيغم * فزادوا بها حزناً وعمهم الجوى

وما زلت ارميهم بكل مهند * وكل جواد همه الكر لا الشوى
 وذا دابنا فيه الحياة لدينا * وروح جهاد بعدما غصنه ذوى
 جزى الله عنا كل شهم غدت به * غريس لما فضل اتانا وما انزوى
 فكم اضرعوا نار الوغي بالظبي معي * وصالوا وجالوا والقلوب لما اشتوا
 وانا بنو الحرب العوان بها لنا * سرور اذا قامت وشائنا عوى
 لذاك عروس الملك كانت خطيبي * كفجأة موسى بالنبوة في طوى
 وقد علمني خير كفوء لوصايا * وكم رد عنها خاطب بالهوى هوى
 فواصلتها بكرأ لديء تدرجت * ولي اذعنت والمعتدي بالنوى ثوى
 وقد سرت فيهم سيرة عمرية * واسقيت ظاميا الهداية فارثوى
 واني لارجو ان اكون انا الذي * ينبر الدياجي بالسنب بعد ما لوى
 بجاه ختام المرسلين محمد * اجل نبى كل مكرمه حوى
 عليه صلاة الله ثم سلامه * وال وصحب ما سرى الركب للوى
 وما قال بعد السير والجد منشد * توسد بهد الأمن قد مرت النوى
 وفي اليوم الثاني قفل سيدي الجد بميوشه الى وادي سيك واقام اياماً ثم ارتحل
 الى القيطينة واذن للناس في الرجوع الى اوطانهم ليستعدوا لمناها

❖ ذكر واقعة خنق النطاح الثانية ❖

وبعد ان استراح الناس من الواقعة الاولى اصدر الامر بالذخير الى وهران
 وعقد سيدي الجد اللواء لسيدي الوالد وتحلف هو لانحراف صحته فنهض الوالد
 الى وادي سيك وتلاحقت الجموع به ثم ارتحل الى عين الكرمة على مسافة قريبة
 من وهران وكان الجنرال بويه جاءه المدد من فرنسا وبلغه خبر الوالد فحضره
 في خنق النطاح وقسم جنده ثلاث فرق فرقتين للكفاح وفرقة للمحاماة واما الوالد
 فانه ارتحل من عين الكرمة وعسكر بازاء العدو وقسم جنوده خمس فرق فرقتين
 للقتال وفرقتين للدفاع وفرقة جعلها كميناً وراء العدو ثم زحف اليه فالتقى النريقان واظلم
 الجو بدخان البارود وعثير النقع فلم تطل المدة حتى كانت الديرة على العدو فانكسرت
 ميمنته ووقعت الهزيمة في القلب فولوا مدبرين يطلبون ابواب البلد فلقبهم الكمين واستلحم
 اكثرهم ودخل الجنرال بويه الى البلد مغلولاً في شرزمة قليلة من جنده وفي هذا
 اليوم استشهد السيد احمد ابن عمنا السيد محمد سعيد وهو ابن خمس عشرة سنة بعد

ان ظهر من اقدامه وتجامله على صفوف العدو ما اوقف العقول وادعشها وعندما وقع عن فرسه ميتاً بين الصفوف هجم الوالد في طائفة من وجوه الابطال جعلهم ردة له فخرق صفوف العدو واحتمل ابن اخيه من بينهم فحجب الاعداء لهذه الحملة واعتقدوا ان القتل امير فجمعوا حولهم وقوتهم على ان يمنعوا عنه المهاجمين ففشلوا وكان هذا الولد الشهيد من اعز اقارب الوالد اليه لحسن هديه ونجابته واستشهد في هذه الصدمة من الاعيان نحو المائة ومن الغد قفل الوالد بمجيوشه المظفرة الى حضرة سيدي الجند فاعطاهم الدستور الى اوطانهم

﴿ ذكر واقعة برج راس العين ﴾

ولما انهزم الجنرال بويه واستسلم اكثر جنده بعث صريحه الى حاكم الجزائر فامده بالجند والذخيرة ثم ضرب معسكره فيما بين البلد وبرج راس العين في الجهة الغربية من وهران وبلغ الخبر الى سيدي الجند فاخذ يتأهب للحرب وبعث ابامره الى النواحي من عرب وبربر يدعومهم الى الجهاد ويخبرهم ان العدو عسكر خارج وهران في غاية مما امكنه من الاستعداد فجاء الناس الى حضرته ارسالاً وانتهى اليه ان العدو عامل على مباغتته فبعث العيون يراقبون حركته ثم خرج من حضرته القيطينة الى وادي سيك حسب عادته وارتحل منه وعقد اللواء لسيدي الوالد فواصل سيره الى ان اطل على وهران بمجنوده وباتوا ليلتهم تلك يوقدون النيران في جميع انحاء البلد معلنين بالتدمير والتكبير فسقط في يد الجنرال بويه وفاته ما كان اضمه من اخذ المسلمين بغتة ومن الغد عي الوالد كتائبه وجعل كل قبيلة على حديثها وعين عليها قائداً منها وامر الجيوش بالزحف الى العدو فتقدموا حتى انتهوا الى البرج فانزل المشاة الى الخندق المحيط به الممتد الى البلد ورتب طائفة من الفرسان لحماية المشاة من مهاجمة العدو وباقي المجموع حملت على معسكر الجنرال وانتشبت الحرب واضطرت نارها واخذ العدو يرسل قنابله على جيوش المسلمين كال مطر فلا يزيدهم ذلك الا شدة وتقدماً واشتد القتال وجعل الوالد يتردد بين المشاة والفرسان وسائر صفوف المسلمين يحرضهم على الثبات والصبر في مجال الموت ويذكرهم بايام الله وبينما هو كذلك اذ عدا عليه احد فرسان العدو بسيفه فخاد عن سرجه فوقعت الضربة على الفرس فوقع ميتاً لحينه فركب غيره واستمر على ما كان عليه من التحريض وبلغه ان المشاة فرغت ايديهم من الفشك فاسرع اليهم بما يكفيهم منه يومهم ذلك ولم يبال في ذهابه واياهه بقنابل

العدو المتصلة وصواعقه المتتابعة من البرج والبلد وظهر من شجاعته في ذلك اليوم ما اشتهر في اقطار المغرب واتصل القتال بين الفريقين الى الليل فبات المسلمون في مراكزهم وانسل العدو ليلاً فدخل البلد وانحجر فيها واقام سيدي الوالد محاصراً له شهراً كاملاً ثم اقلع عنه لامور عرضت له

﴿ ذكر البيعة الاولى لسيدي الوالد ﴾

لما طال على اهل الوطن الامد وتوالى عليهم فيما بينهم الكرب والنكد وتسلبت على بلادهم العدو ومنعهم القرار والهدوء فتارة كانوا يدافعونه عن البلاد وآونة كان يقع بينهم الفساد والحرب والجلاد وسطا القوي على الضعيف وتطاول اللئيم على الشريف اجتمع الاشراف والعلماء واعيان القبائل من العرب والبربر وقدموا على حضرة سيدي الجد والزموه ان يقبل بيعتهم على الامارة لنفسه اولولده سيدي الوالد وحاجوه في ذلك بما اعجزه عن الاعتذار فامعن النظر في هذا الامر فرأى ان الاهتمام به واجب وتعين عليه شرعاً ان يقوم به لانه مسموع الكلمة نافذ الامر غير انه لما كان عاجزاً عن القيام باعبائه ورأى ان ولده المنوه به قد بلغ اشدّه وارهف حده وترشح للامارة وتاهل لها واستكملت فيه شروطها من المدى وعلو الهمة وقوة الحواس وكمال الخلق وجمال الصورة وشرف النسب وعزة القوم والقوة والفتوة والعلم والحلم والحماسة والسماحة والعزم والحزم والتجفظ والتيقظ والاثقاء والارتقاء الى غير ذلك من افراد الفواضل والفضائل ومكارم الاخلاق وتحاسنها

لولا عجائب صنع الله ما ثبتت * تلك الفضائل في لحم ولا عصب وعلم انه لامندوحة له عن الاجابة وانقبول اما له اولولده فحينئذ استخار الله تعالى وقدم ولده للامارة ومدافعة اهل الشرك متوكلاً في نصره وتأييده على مالك الملك فذهبت البشائر بذلك في اقطار الوطن وعمت انشاءه واحيائه وقبل سيدي الوالد ما انشرح اليه صدر والده من امارته قائلاً انالما انالما فكان قبوله لها دليلاً على اقبالها وتلقيها بحول الله وقوته اصل استقبالها قد ادخرها الله له في الازل ردياً لها ثم ابرزه للقيام بها عند حلول الاجل وتباشر الناس لذلك لما راوا من اقدامه للزحف وانتقامه الصف بعد الصف وشاهدوا فيه من الصفات العلية والنعوت السنية فاجتمع اشرافهم وعلمائهم واعيانهم وتداعي صغيرهم وكبيرهم وخيموا بوادي فروحة من غريس عند شجرة الدردارة وهي شجرة عظيمة كانوا يجتمعون اليها للشورى بينهم

وجاء سيدي الجدي في بنيه واقاربه وذويه ولما تلاحق الناس الذين يعتد بحضورهم للبيعة وجلس سيدي الوالد تحت الشجرة قام والده فبايعه على السمع والطاعة ودعا له ثم لقبه ناصر الدين وقام عمه سيدي الجدي لأبي السيد على أبي طالب وبايعه وكذا الاخوة وسائر القرابة ثم الاشرف والعلماء والاعيان والرؤساء على حسب مراتبهم وطبقاتهم بايعوه على ما بايعه عليه والده ولا يخفى ما في وقوع هذه البيعة تحت الشجرة من الاتناق الغريب وما فيه من الاشارة الى متابعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتناء اثره في بيعة الرضوان التي نوه الله تعالى بذكرها وعظم قدرها في القرآن بقوله لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال المفسرون هي شجرة ام غيلان وكان صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية نازلاً تحتها يستظل بها فبايعه المؤمنون على الموت كما قاله سلمة بن الاكوع واول من بايعه على ذلك ابو سنان الاسدي رضي الله عنه وبايع الناس على بيعة ابي سنان روي ذلك الطبراني عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وهذه البيعة كانت سنة ست من الهجرة وبعد ان انتهت البيعة لسيدي الوالد ركب سيدي الجدي الى مدينة معسكر حاضرة الامارة ولما ان دخلها وجد السرور والبشر قد عم عامة اهليها وقد طالع على اهل الصلاح فجراً صادقاً وعلى اهل البغي والفساد نجماً طارقاً فتبلى وجه الصالحين وايقنوا بصلاح الحال وتكدر عيش المنسدين وايقنوا بالوبال في الحال وفي المال ثم اقبل الامير بعده في جموعه وكانت زهاء عشرة آلاف فارس فبرز اهل البلد احتشالاً به واستقبلوه في الموضع المعروف بخصيبه على مسافة نصف ساعة منها مظهرين للطاعة وشعائرها فاقبل عليهم ببشره وابتهامه قبل كلامه وبعد ان تناول من طعامهم الذي كانوا اعدوه لحضرته دعا لهم وحثهم على الطاعة والتزام الجماعة ثم ركب ليدخل البلد فاطلقت المدافع وغردت الموسيقىات بها يطرب المسامع ونشرت الرايات والاعلام وبرزت المخدرات من القصور ثني على الايام فدخلها على احسن حال واتم منوال ونزل في دار الحكومة فجلس على كرسيه ودخل عليه اهل البلد ومن لم يشهد بيعة غيس افواجاً افواجاً لاداء البيعة ثم قام فدخل داره وخير والدتي فقال ان اردت ان تبقي معي من غير انتقام الى طالب حق فلك ذلك وان ايت الاني ان تطلي حقك فامرك بيدك لاني قد تحملت ما يشغلني عنك ثم خرج الى المسجد الجامع فخطب على الناس ثم خطب عليهم خطبة مبتكرة طويلة تحتوي على وعظ ووعد ووعيد وامر ونهي وحث على الجهاد وبعد الانصراف منه انزرد افاضل العلماء

لتحرير صك البيعة فكتبه في مجلسهم العالم الجليل السيد محمد بن عبد القادر الشهير بابن آمنة خال الامير ونصه بحروفه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد الذي لا نبي بعده الحمد لله الذي جعل نصب الامام من مهمات الدين لضمان به النفوس والاموال وتجتمع كلمة المسلمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله واصحابه اجمعين وبعد فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحمي بالسلطان ما لا يحمي بالقرآن هذا في الزمان الذي فاض فيه العدل ونضب فيه الجهل فابالك بزماننا الذي كثر فيه الباطل وانتشر وخفي فيه الحق ولم يظهر له اثر حتى ان اعداء الله الكافرين ملكوا كثيراً من بلاد الاسلام وتشتت الكلمة واختل النظام ولم يجد الناس لقناتهم سبيلاً ولا من يكون "جهاد دليلاً" فاجئوا الى الله تعالى وسالوه ان ييسر لهم من يقوم بامر دينهم فما وجدوا من تنفق عليه كلمة اهل الحل والعقد سوى السيد محيي الدين ابن مصطفى بن المختار لكماه وكثرة ما عنده من الاعوان والانصار فطلبوا منه ان يبايعوه على السمع والطاعة فاعتذر اليهم بكبر سنه وبعد زمان طويل تكرر فيه طلبهم مرات ووقع الحاجهم تارات وراى ان النظر في هذا الامر قد تعين عليه واتاه بعض علماء غريس وهو من الصالحين فقال له ان اولياء الله تعالى قد اتفقوا على نصب ولدك عبد القادر لنصر دين الله ورآى ان ولده مستعد لهذا الامر فحينئذ وافقهم على نعبه ونصرته لكونه ذا حزم وعزم وشجاعة وعقل سليم وذات سليمة صالحاً لتنفيذ الاحكام فاجتمع اهل الحل والعقد وبايعوه من غير طلب منه الامارة ولا متابعة للنفس الامارة بل بايعوه رغماً عليه وطلبوا والده بالله تعالى وتوسلوا اليه برسول الله صلى الله عليه وسلم مدة تريد على سنتين فوافقهم على بيعة ولده تطييباً لخواطرهم ورعاية لرفع الظلم عن الضعيف ودفعاً للفساد والتعنيف فحضر للبيعة جميع اهل غريس الحشم شرقي وغربي وعباسي وخالدي وبرايمي وحساني وعوفي وجعفري وبرجي وشقراني وغيرهم كبني السيد دحو وبني السيد احمد بن علي والزلامطه ومغراوه وخلويه والمشارف وكافة اهل وادي الحمام واعانوا جميعاً بطاعته ونصرته والرعاية له بحيث انهم يحمونه بما يحمونه به انفسهم واموالهم وان ينصروه نصراً مؤزراً واتفق علماء الاقليم على بيعته وطاعته ولم يخالف منهم احد وهم في حان طوعهم واختيارهم وفرحوا به اشد الفرح نظراً لما كانوا عليه من الضيق والترح وكل من سمع به من اهل الآفاق يزداد فيه رغبة وذلك لعلمهم بقوة عقله وشدة نجاته وصلاح رايه فعلى من بايع ان يبذل جهده في نصرته وعننده لقول الصادق الامين الدين الذبيحة لله ولرسوله

ولائمة المسلمين ومن نكت فلما ينكت على نفسه حضر ما ذكر من العلماء والاشراف
السيد الاعرج والسيد محمد بن حوّا بن يخلف واخوته والسيد محمد بن النعالي والسيد
عبد الرحمن بن حسن الدحاوي واخوته والسيد محمد بن عبد الله ابن الشيخ المشرفي
وقرأته وكافة اولاد السيد احمد بن علي حاصله جميع علماء غريس واشرافه حضروا
لهذه البيعة الميمونة ورضوا بها وحضرها كاتبه محمد بن عبد القادر عامله الله بالطنه
في الباطن والظاهر في الثالث من رجب الفرد سنة ثمان واربعين ومائتين والف
هجريه الموانق السابع والعشرين من نوفمبر سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة وانف ميلادية
ثم كتب جماعة من اعيان العلماء المشاهير على هذا الصك ما يؤذن بحضورهم للبيعة
وشهادتهم بها على انفسهم وعلى سائر من حضرها فكتب العلامة سيدي الجدي للام
عم الامير شقيق والده السيد علي ابي طالب بن مصطفى بن المختار ما نصه الحمد
لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله بعد انعقاد البيعة للإمام المعظم والامير الجليل
المفتي ابن اخينا السيد عبد القادر بن يحيى الدين احيا الله بهما الدين واعانتها
على القيام بامور اهله ودمر بهما الكفرة اولى العناد واهلك بسطوتهما اهل البغي
والفساد بايعناه على السمع والطاعة وامثال الامر ولو في ولد الواحد منا او نفسه وقدمنا نفسه على
انفسنا وحققه على حقوقنا واني اوصيه بتقوى الله وطاعته في السر والعلانية والوقوف
عند الحدود الشرعية ورد مسائل الشرع اليه وبتشجيعه عن ساعد الجدي في قطع
شافة شياطين الانس اهل الاذية كالمحاربين رقطاع السبل واهل الغيلة والسرقة
وغيرهم من هذا القبيل ليتم بذلك امره ويلفح به تاييده ونصره وتشرق شمس الحق
على انقلب وتطهر من بئسمة وطاعته الافكار ويسارع المؤمنون الى الانقياد والاذعان
انكليفه واوامره اللهم ايده وانصره نصرًا تعزبه الدين والحق التقوى في قلبه وقوة
اليقين بجاه سيد الاولين والآخرين واحي به ما دثر من احكام الخلفاء الراشدين
يامالك الدين والدنيا والآخرة وادم سرورنا وسرور جميع اهل محبته ومحبينا واتم لنا المقصود
با ينقطع به قلب الجحود آمين كتبه علي بن المصطفى وكتب العلامة السيد ابن
عبد الله بن الشيخ المشرفي ما نصه الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم بعد انعقاد البيعة للعالم النبيه الصدر الوجيه الناظم الناصر ابي محمد السيد عبد القادر
ابن عشد الملة والدين شيخنا السيد محي الدين ابن شمس الكمال شيخ مشائخنا واسلافنا
ابي عبد الله السيد مصطفى بن المختار من اهل الحل والعقد والامضاء والرد من
ذكر اعلاه واطلاعننا على ما اتفق عليه السواد الاعظم وبه فاه لم يسعنا الا الموانقة

عليه والجنوح لما استندوا اليه فالله يلهمه رشده ولا يئمنه رفته وان ينصر به الدين الحنيفي ويظهر به من اموره كل خفي وان يصلح به وعلى يديه وان يجنبه راي الفساد والسفيه واوصيه بتقوى الله في علانيته وسره ونجواه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله قاله بضمه ورقه بقلمه كاتبه عن عجل وانقلب في وجل ابن عبد الله ابن الشيخ المشرفي الحسيني عنما الله عنه وكتب العلامة السيد احمد بن التهامي ما نصه الحمد لله لما فتح الله للمسلمين ابوابه ويسر للخير اسبابه باجابة الولي الصالح والقطب السالك الناجح شيخ اهل الفضل والدين مولانا السيد محيي الدين لما طالبه منه المسلمون من تقديم ابنه الناسك الانجد العلامة الاسعد على الايالة الغريبة وما انضاف اليها من الايالات فاجتمع من له اتصاف بالحل والعقد على نصرة السيد المذكور ومبايعته مذعنين متلقين تلك البيعة بالفرح والسرور نعقد له البيعة جميع من له دخول في تدبير الامور من عالم ومقري وشريف ورئيس من اي ناحية من اهل الراشدية وغيرها فبذلك ثبتت له البيعة الملكية على الخاص والعام بامر وبنمي فلا يسقط من امره ومنهيه ادنى شيء فعليه بتقوى الله فيما تولاه وهو ناصره ودينه على ما اولاه وكان من جملة مبايعيه الفقير كاتبه احمد بن التهامي الحسيني وكتب العلامة الاوحد السيد محمد بن حوّا الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ولما فسد الزمان وضاعت بالمساكين الاركان من كثرة النهب وقلة الامان ولم يجدوا من يصلح بامور المسلمين من الاعيان سوى من ذكر فاتفقت كلمة المعبرين من اهل الوطن على البيعة للسيد المذكور بالاعلاء وانا عبد الله من جملة من اتفق معهم على ذلك فنسال الله الغني الكريم الوهاب ان يسدده في جميع افعاله وان يمهّد له البلاد ويصلح به الفساد ويهدي لطاعته العباد كتبه محمد ابن حوّا وكتب العلامة السيد بالمختار بن عبد الرحمن بن روكش ما نصه الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وعلى ما تضمنته رسوم العلماء في بيعة الامام المذكور وافق الموافقة التامة كاتبه بالمختار ابن عبد الرحمن بن روكش وبعد ان تم امر البيعة امر الامير تجلس العلماء ان يكتبوا رؤساء القبائل في اطراف البلاد بامر البيعة وما وقع عليه الاتفاق وان يحضروا عليهم في الحضور لاداء بيعتهم كما اداها غيرهم فكتبوا ما نصه الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم اما بعد فاعلموا معاشر العرب والبربر ان الامارة الاسلامية والقيام بشعائر الملة المحمدية قد آل امرها الآن الى ناصر الدين السيد عبد القادر بن يحيى الدين وجرت مبايعته

على ذلك من العلماء والاشراف والاعيان في معسكر وصار اميراً لنا ومتكفلاً باقامة الحدود الشرعية وهو لا يقتني آثار غيره ولا يحذو حذوهم ولا يخصص لذاته مصاريف زائدة على الحاجة كما كان الغير يفعل ولا يكلف الرعية شيئاً لم تامر به الشريعة المظهرة ولا يصرف شيئاً الا بوجه الحق وقد نشر راية الجهاد وشمر عن ساعد الجد لنفع العباد وعمران البلاد فمن سمع النداء فعليه بالسعي لتقديم الطاعة واداء البيعة لامام منكم فاعلموا ذلك وبادروا لامثاله ولا تشقوا العما ويذهب بكم الخلاف الى ما لا خير لكم فيه دنيا واخرى حرر في معسكر من تجلس العلماء في الثالث من رجب سنة ثمان واربعين ومائتين والف ❖ وعلى نحو هذا صدرت اوامر الامير الى سائر القبائل العربية والبربرية ونصها الحمد لله الى قبيلة كذا خصوصاً اشرافها وعلمائها واعيانها ونفكم الله وسدد اموركم وبعد فان اهل معسكر وغريس الشرقي والغربي ومن جاورهم واتحد بهم قد اجمعوا على مبايعتي وبايعوني على ان اكون اميراً عليهم وعاهدوني على السمع والطاعة في السر والعسر وعلى بذل انفسهم واولادهم واموالهم في اعلاء كلمة الله وقد قبلت بيعتهم وطاعتهم كما انني قبلت هذا المنصب مع عدم مبلي اليه موءملاً ان يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين ورفع النزاع والخصام من بينهم وتأمين السبل ومنع الاعمال المنافية للشريعة المظهرة وحماية البلاد من العدو واجراء الحق والعدل نحو القوي والضعيف فلذلك ندعوك لتتحدوا وتنتقوا جميعاً واعلموا ان غايي القصوى اتحاد الملة المحمدية والقيام بالشعائر الاحمدية وعلى الله الاتكالي في ذلك كله فاحضروا لدينا لتظهروا خضوعكم وتوعدوا ببيعتم ونفكم الله وارشدكم حرر عن امر ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين من معسكر في الثالث من رجب سنة ثمان واربعين ومائتين والف وفي السابع والعشرين من نوفمبر سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة والف ميلادية

❖ ذكر البيعة الثانية العامة ❖

لما شاع امر البيعة الاولى وذاع اقبلت الوفود تترى من القاصية الى الحضرة العالية رغبة في الطاعة وامثالاً للاوامر السامية المطاعة فاجتمع الطم والرم من جميع الآفاق ثم انعقد تجلس عام حضره الجمهور من الاشراف والعلماء والزؤساء من كل قبيل وفريق وجرى فيه عقد البيعة الثانية العامة بمجل العموم من قصر الامارة وهذا نص ما حرره العلامة الحجة الفهامة السيد محمود بن حوا المجاهري في ذلك اليوم وقراه على رؤس

الاشهاد بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الطيب الكريم وعلى
 آله واصحابه ذوي الفضل العظيم حمداً لمن فضل امة محمد عليه السلام وخصها بمزايا لم
 يعطها احداً من الانام وجعلها خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن
 المنكرات والارجاس هدامهم به الى مبيع الرشاد وطهرهم من عبادة الاوثان والانداد
 والاضداد وجعلهم الشهداء على من سواهم من الانام فشفرف بذلك امرهم ورفع قدرهم وجعل
 اجماعهم حجة وسبيلهم اقوم حجة ووجب عليهم نصب امام عدل وفرض عليهم اتباعه
 في القول والفعل ليكشف الظالم وينصر المظلوم ويجمع شملهم بالخصوص والعموم ويكافئهم
 عدو الدين لتكون العلياء كلمة المسلمين وصلاة وسلاماً علي من صدع بالحق ودعا الخلق الى
 القول بالصدق وجاهد في الله حق جهاده حتى استقام المعوج وآب عن فساد سيدنا
 ومولانا محمد اشرف رسول واكرم شافع مقبول صاحب المقام المحمود والحوض المورود
 وعلى آله واصحابه اهل وداده وسيوف جلاده الذين بذلوا انفسهم واموالهم في طاعته
 ونصرتهم واوضحوا شريعته وبينوا طريقته فجازوا بذلك اسنى المراتب ونالوا الدرجات العلى
 والمناصب فعم نجوم الامتداد ومصابيح الاقتداد هذا ولما انقرضت الحكومة الجزائرية من
 سائر المغرب الاوسط واستولى العدو على مدينتي الجزائر ووهران اعادها الله دار ايمان
 واسلام بجاه النبي عليه السلام وطبخت نفسه العنانية الى الاستيلاء على السهول والجبال
 والقفادق والتلال وصار الناس في هرج ومرج وحيص ويص لا ناهي عن منكر ولا من
 يعظ ويزجر قام من وفقهم الله للهداية وظهرت عليهم العناية من رؤساء القبائل وكبرائها
 وصناديدها وزعمائها فتفاوضوا في نصب امام يبايعونه على الكتاب والسنة يسمعون لامره
 ونهيه ويتابعونه في جميع احواله وجالوا في ميدان افكارهم فيمن هو لذلك اهل من ذوي
 الكمال والفضل فلم يجدوا لذلك المنصب الجليل الا ذا النسب الطاهر والكمال الباهر راس
 الملة والدين قانع اعداء الله الكافرين ابا المكارم السيد عبد القادر ابن مولانا السيد
 يحيى الدين ايد الله به الاسلام والمسلمين واحيي به ما اندرس من معالم الدين فبايعوه على
 كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق
 ايديهم تم قدمت على حضرة الوفود من سائر الجهات والحدود فبايعوا اولهم وآخرهم شيوخهم
 ومشرفهم كبيرهم وصغيرهم بيعة تامة كاملة عامة بيعة سمع وطاعة افراداً وجمعة بيعة عن
 وتعظيم وتبجيل وتكريم بيعة يعز الله بها الاسلام ويخذل بها الفجار اللثام يمنعون عنه سوء
 بما يمنعون به انفسهم واولادهم واموالهم ويذلون في مرضاته ارواحهم واكبادهم ان امرهم
 سمعوا وان نهيهم خشعوا وخضعوا يطيعونه ما ساسهم بالشرعية الغراء وينصرونه في

السراء والضراء فمن وفى بيعته نال مسرته واثى مضرته ولاقى مبرته ومن نكث فانما ينكث على نفسه وخسر في يومه وامسه والله المسئول في هداية الخلق الى طريق الحق والرافة والرفق ولما ازدهت هذه البيعة بكاملها وطرزت بجلالها وجمالها كمل سرورها وتمت بدورها بوزارة ابى المحاسن السيد محمد بن السيد العربي اقام الله به امر هذه الدولة السنية والامامة البهية ومن حضر هذه البيعة وبايع وسمع لها وتابع من القبائل الشرقية والاحياء الغربية الوزير المذكور وبنو عمه وسائر العلماء والاعيان من معسكر وقلة هوار واحوازها كبني شقران وبني غدوا وسجراره وقبائل غريس واحيائه وغمازه وعشائره واعيان القبائل الشرقية كالعطاف وسنجاس وبني القصير ومرايطي تجاجه وصبيح وبني خويدم وبني العباس وعكرمة والمحال وفليته والمكاحلية واحلافهم واعيان تجاهر والبرجية والدوائر والزماله والغرابه وكافة قبائل اليعقوبية من الجعافرة والحسانه وبني خالد وبني ابراهيم ثم القبائل القبلية كاولاد شريف واولاد الاكرد وصدامه وخلافة وغيرهم ممن يطول ذكرهم من قبائل المغرب الاوسط وعمازه سهله ووعره ثم الكل بايعوا عن انفسهم وعن قبائلهم بالاذن العام من الخواص والعوام وقعت هذه البيعة العامة في ثلاثة عشر رمضان سنة ثمان واربعين ومائتين والف وفي الرابع من فبراير سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة كتبها خادم الشريعة السحاء محمد الشهير بابن حوا ثم بعد الفراغ من كتابة صك هذه البيعة وقراءته على العموم جلس الامير الوفود واقبل عليهم ونظر بعين الرضى والقبول اليهم وقبل منهم ما قدموه لاعتابه السامية من عتاق الخيل والسروج المثقلة والاسلحة الفاخرة وغيرها من انواع الهدايا النفيسة جرياً على عوائدهم مع الملوك قبله وخطب عليهم بما انشحت له صدورهم وتضاعف به سرورهم ثم خلع عليهم وفرق فيهم الاموال وبالغ في اكرام كريماتهم واستمال قلوب لؤماتهم واظهر لهم من انواع اللطف ولين الجانب ما اخذ باسماعهم وابصارهم ثم صرفهم الى اوطانهم فرحين بما آتاهم الله من فضله

❖ ذكر تنظيم هيئة الدولة ورسوم الملك ❖

لما تمت بيعة الامير واستقام له الامر اتخذ الآلة ورتب الحاشية وعين رجال الدولة فاستوزر محمد ابن العربي واستكتب ابن عمه السيد احمد بن علي ابى طالب والسيد الحاج مصطفى بن التهامي والسيد الحاج محمد الخروبي وعين لمجاوبته محمد بن علي الرحاوي وولى الحاج الجيلاني ابن فريجة ناظر خزينة المملكة ومحمد ابن فاذة

ناظر الخزينة الخاصة والحاج الطاهر ابو زيد ناظرًا على الاوقاف والسيد الحاج الجيلاني العاوي مأمورًا على الاعشار والزكاة بانواعها وعين لنظارة الامور الخارجية الحاج المياود بن عراش ونظم الحاشية واقام كل فرد منها في مقام يخصه ورسم له اثرًا يقصه وبث العمال والقضاة في سائر الجهات ورتب مجلسًا للشورى يشتمل على احد عشر عضوًا من اجلة العلماء وجعل رأسته للعلامة قاضي القضاة السيد احمد بن الهاشمي المرامي ودوّن الدواوين وطفق يرد على الناس ما اختلصه بعضهم من بعض وينصفهم مما وقع بينهم من انواع المظالم والتعديات ايام الفتنة ويهدم ما كانت الحكومة الجزائرية اسسته من المغارم والضرائب والعوائد فطار بذلك ذكره وانتشر في المغرب الاوسط امره واختار الامير مدينة معسكر لاقامته تأنيسًا لاهل غريس وتطيينًا لنفوسهم لانهم كانوا دعاة هذه الامارة وكانت منها حركته ونهضته وفيها اولًا قراره وبانجادهما كمل امره وابنع اسه وعرايه

❖ ذكر خروج الامير لتمهيد البلاد وما جرى بعد ذلك ❖

❖ من الحوادث ❖

بعد ان فرغ الامير من شؤنه ورسوم ملكه نهض من حضرته معسكر في شوال سنة مائتين وثمانية واربعين وفي فبراير سنة الف وثمانمائة واثنين وثلاثين ليختبر الاحوال ويتنقد الاعمال ويجمع شمل الاقوال بالانفال ويقم من تخلف عن البيعة على الطاعة ويحمله على سلوك سبيل الجماعة والوطن اذ ذاك قريب العيد باختلال الحال فشم الامير عن ساعد جده واشهر سيف الحق وانتضاه من غمده ودوخ بلاد البربر وزناته وجال في مواطنهم وضبط الامور رجي الاموال وعنا وعاقب وشافه وكاتب ثم انتقل راجعًا على الساحل يتوخى الثغور فانتهى الى مرفأ ارزيو وكان قاضيها احمد بن طاهر يراجع حاكم وهران ويدعوه الى الاستيلاء على المرسى المذكورة فقبض عليه الامير واشخصه الى معسكر فاعتقله بها واقبل على شانه من ضبط الثغور واتقيناها فرتب الحامية وقرر ذخائرها ثم ارتحل الى المخمرة

❖ ذكر خروجه فليته وما اتصل بها من الحوادث ❖

ان قبيلة فليته تشتمل على بطون وعشائر عديدة من داهم سلب النفوس والاموال وقطع السابلة من عهد الحكومة الجزائرية وبعد انقراضها اشتد عدوانهم

واتصل عيشتهم ولما آل الامر الى الامير رجع الناس امرهم الى اعتابه وطلبوا منه ان يقطع شاقة فسادهم فاجابهم الى ذلك ونهض من الحضرة غب رجوعه من ارزيو ونزل بالبطحاء المعروفة الآن بهيرة ومنها اغزا السير اليهم يحدوه فصحبهم واكتسح اموالهم وشنت عليهم وجعلهم عبدة لغيرهم وبعد الفراغ من امرهم بلغه انتفاض قبائل عكرمة وبني مديان فسار اليهم وراسلهم في الرجوع الى الطاعة فلم يتثلوا واذهروا الشقاق فاغار عليهم واستولى على جميع موجوداتهم واعظم النكابة فيهم ثم اسلموا له فامنهم ورد عليهم اموالهم وولى عليهم عمالاً وثق بهم وقفل راجعاً وغب دخوله الى الحضرة بلغه ان حاكم وهران اغار على قرية الدبه وهي في جنوب قلعة هواره ووقع باهلها واخذ عايلها السيد قدور الذي اسيراً في اهله وولده فنهض من فوره وكان العدو الى وهران مسرعاً فادركه الامير في الدار البيضاء قرب البلد وحمل عليه وكان قد قدم الاسرى والاثقال وضعفاء الجند الى ناحية البلد واستمر يدافع عنهم الى ان دخلوها وفات الامير تدارك الامر واستشهد يومئذ من اعيان المسلمين علي بن الحبيب الرضاوي والميلود الغراوي في آخرين واما العدو فكان يحمل قتلاه فلم يعلم عددهم وهذه اول غزوة للعدو على داخلية بلاد وهران فعظم ذلك على المسلمين واخذوا حذرهم منه وعين الامير قبيلة الغرابة لمراقبته وسد الطرق عنه ومنع مواصلة اوغاد الناس له وبعد ان تب العيون من يوثق بدينهم رجع الى معسكر ثم جرز جيشاً من الحشم والدوائر واغزاهم الى وهران فعاثوا في نواحيها واشتتوا وسبوا وغنموا وفي اثناء ذلك وقع تبارش بين قبائل البربر في نواحي نهر مينة افضى بهم الى القتال فطار الخبر الى الامير فعمل بالسير اليهم واصبح شائهم وجمع كلتهم وبالح في عقوبة من اثار التثنية واسعرها وكتب على عقد الصلح بينهم ما نصه قد امضينا بحول الله وقوته الصلح المبرم بين بني فلان وبني فلان بعدما امرنا به وتحونا اثر ما كان بينهم من بقايا حمية الجاهلية والزمن كل فريق منهم ان يقف عند حده وان يرفعوا جميع ما يعرض لهم من الدعاوى وانقضوا الى من وليناه امرهم حسبما حرر ذلك في الاصل وواجبنا العمل بقتضاه ورتبنا العقوبة الشديدة على من يتعداه فمن سعى في نقضه او تعرض لافساد كنه او بعضه فقد عرض نفسه لسخط الله تعالى وغضبه وتلزمه المجازاة الغنية من جانبنا العالي بالله وعلى هذا النص اجري الصلح بين اولاد الاكرد واولاد شريف وبني نسلهم وغيرهم وارتفع النزاع بين سائر القبائل

الشرقية ثم بلغه انقراض ابن نونة قائد الحضرة في مدينة تلمسان فسار اليه من حينه حتى انتهى الى البلد وبعث اليه يعظه ويأمره بالرجوع الى الطاعة ويعدده بالعنف فابى وتمادى على شأنه ثم جمع قوته وخرج لقتال الامير وقام الكول اوغلان وهم الطائفة الثانية من اهل تلمسان وقائدهم ابن عودة في داخلها مستمرين على الطاعة فلما خرج ابن نونة وطائفته الحضرة من البلد للقتال انتهزوا الفرصة فيهم للعداوة القديمة بينهم فظاهروا الامير عليهم ووقع القتال داخل البلدة وخارجها ثم كانت الدبرة على ابن نونة وفرقته واستمر القتل فيهم ونهبت اموالهم وعاث الكول اوغلان في منازلهم وفر ابن نونة الى ضريح الغوث سيدي ابي مدين رضي الله عنه في قرية العباد بتشديد الباء الموحدة ثم دخل الامير الى تلمسان ومن الغد توجه الى زيارة الغوث ووجد ابن نونة متعلقاً باستار الضريح لائذاً به فامره وعفا عنه وتقبل فيئته واقره على قيادة طائفته ولم يزل الامير في تلمسان ونواحيها الى ان اصلى خلمها وايرم الصالح بين الحضرة والكول اوغلان وجمع كلمتهم ثم رجع الى معسكر وفي اثناء الطريق بلغه خبر موت والده سيدي الجد رحمه الله في ثالث ربيع الاول سنة تسع واربعين ومائتين والى وعشرين من يولييه سنة ثلاثة وثلاثين وثمانمائة والى وكان الفرنسيس ابناء حصناً على البحر في ساحل بلاد نجاها وشخوه بالحامية والذخيرة وزعانف تلك الناحية يواصلون اهلهم ويعاملونهم بالبيع والشراء فلما آب الامير من تلمسان اجمع على النهوض الى تلك الناحية فجمع شأنه واغرى السير اليها الى ان قرب من الحصن وكان اهلهم يخرجون كل يوم بماشيئهم يطالبون المرعى مستعدين للدفاع فلما خرجوا تربص عليهم حتى اوغلان في الطلب ثم غار عليهم فثبتوا ودافعوا عن انفسهم وهم راجعون الى الحصن ولم ينج منهم الا من دخله وغنم المسلمون جميع ما كان معهم وكان في المرسى عدة مراكب مشعونة بالذخائر فخاض الجيش اليها وغنموا ما فيها واقام الامير اياماً يرتب العيون على الحصن ويأمرهم بالتضييق على اهلهم وذعر من كان يواصلهم من اهل تلك النواحي ثم رجع الى معسكر وطار خبر هذه الوقائع الى حاكم الجرائر فوجم لها وبعث الصريح الى دولته فجهزوا الجيوش وارسلوا معها ذخائر ونبهات كثيرة وفوضوا امر الحرب اليه وعزلوا الجنرال بويه حاكم وهران وولوا مكانه الجنرال دي ميشيل فجهزها في رابع ذي الحجة سنة تسع واربعين ومائتين والى والخامس عشر من شهر ابريل سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة والى ووجد وهران تحت الحصار مغلقة الابواب وجيوش المسلمين تجول في انحاءها لا

ينترون عن مهاجمتها فضايق صدره لذلك وطفق يلقي الدسائس في قلوب ضعفاء اهل
الايمان كالدوائر والزمانة ويعدمهم ويتيمهم فآثر ذلك فيهم وفتحوا له طرق المواصلة من
جيتهم ثم ان الامير بعد رجوعه من واقعة الحصن الى معسكر اخذ بها اهبة الحرب
واستكمل استعدادها وارتحل يريد وهران وكان العدو ابقي في القرب منها حصناً
يعرف بغنور فلما وصل الامير خرج الجنرال دي ميشيل في العساكر وكان القائد
عليها يومئذ الجنرال بوبريص وتزاحف الفريقان نقسم الامير جيوشه الى فرقتين فرقة
تقاتل بوبريص والفرقة الثانية جعلها تحت قيادته وزحف بها على حصن غنور ولما
قرب منه ترجل ومشى في مقدمة الجيش وحمل على الحصن مرتين فامتنع عليه وانقلب
الى مظاهرة الفرقة المعينة لقتال بوبريص تقوى عزيمتهم وثبت قلوبهم وحمل بالجميع
عليه فهزمه وشتت شمله وولت عساكر فرنسا على ادبارها يطلبون البلد ولحقهم المسلمون
واثخنوا فيهم قتلاً واسراً الى ان امتنعوا عليهم باسوارها وبعد انصراف الاسيرين من
القتال بلغه ان اهل ارزيو ركنوا الى الفرنسيين بدسائس قاضيه المعقل في معسكر
واقاربهم وانهم احضروا شزيمة من عسكر وهران لحمايتهم ثم دس اليه رجل منها اسمه
طوبال انه يخرج كل يوم مع ضباط العسكر في طلب الصيد وعين له المحل الذي
يبنغونه فيه فركب الامير في الحال وخلف جموع الغرابة ومن ياليمهم على حصار وهران
وبعث الاسرى الى معسكر واغضى السير الى ارزيو وكن في القرب من الموضع الذي
عينه طوبال فلما خرج الضباط واتباعهم في معية طوبال فاجأهم الامير بجياله وحال
بينهم وبين البلد فدافعوا عن انفسهم واتهموا طوبال في امرهم فعدا عليه احدهم
بسيفه وقتله ثم اظهروا علامة التسليم وانقوا السلاح فامتنع الامير وجعلهم تحت الحفظ
ونقدم الى البلد ففرت حمايتها الى المراكب واقلعت بهم الى وهران ودخل الامير
فقبض على من توجهت عليه التهمة في مواطاة حاكم وهران في هذه القضية واصلح
شان البلدة وثقف اطرافها وانزل فيها حامية كافية وانفتل راجعاً الى الحضرة فانزل
الضباط في دار الضيافة وامر باكرامهم والقيام بشؤونهم وعقد للقاضي احمد بن
الطاهر البطيوي مجلساً خاصاً من العلماء فامنعوا النظر في امره وقامت البيعة عليه فحكم
المجلس بقتله فسمت عيناه وقطعت يداه ورجلاه ووضع في حفرة في ساحة الصراية
الى ان مات بعد ثلاثة ايام

❖ ذكر استيلاء الفرنسيين على مستغانم وخروج الامير الى قتالهم ❖ ❖ وغير ذلك من الحوادث ❖

لما رأى الفرنسيين ان الامير قد استنقام امره وقويت شوكته وظهر لهم منه ما لم يكن في حسابهم تطلعت افكارهم واضطربت آراؤهم فمنهم من يقول ترك البلاد اولى ومنهم من يقول الثبات فيها اليق بالمقام بين الدول ثم قرأ رأي الاكثر منهم على مداومة الحرب وبذل الجهد في الاستيلاء على داخلية البلاد وكان حاكم الجزائر يرفع الى وزارة الحرب ما يحدث من الوقائع في وهران وما هي عليه من الحصار وضيق المجال مع قلعة الجند والذخيرة فيبعثوا اليه بالمدد فقوي عزيمته ودعته نفسه الى الاستيلاء على مستغانم فتوجه اليها في فرقة من الجند واستولى عليها وفراكثر اهلها الى الداخلية وطار الخبر الى الامير فوجم لها وفاوض رجال دولته ومن حضره من اعيان القبائل وذكر لهم تكلم العدو على الوطن وارههم كيف مد يده اليه واستولى على سواحله وقال يوشك ان تغافلنا عنه ان يحنل امر المسلمين فامتعضوا لذلك وتداعوا الى الجهاد والذب عن الدين والوطن فجمع الامير الجيوش واحتشد عرب المغرب الاوسط وبرابرة ونهض من حضرته الى مستغانم ونازلها وكان العدو عند دخوله اليها جمع الايدي على ترميم سورها وثقيف اطرافها وابنى حصناً خارجها ليستعين به على الدفاع ووضع المدافع في السور والحصن وبالغ في تحصينها ولاول نزول الامير عليها بعث الى اهلها في الخروج منها فخرج الجمل الغفير ولحقوا بالحضرة وتلسان وغيرها من مدن الداخلية وقراها ولم يبق فيها الا من اختار تجاورة العدو من الكول اوغلان ثم ان الامير لما رأى امتناع البلد وحصنها امر باحضار المعاول والفوس وغيرها من آلة الهدم والعدو لما رأى الجيوش الاسلامية ملات انحاء البلد حام عن اللقاء وانحجر داخلها ورتب عساكره داخل السور يقاتلون منه فامر الامير بالهجوم فثار الغبار وتزلزلت الارض برعود البارود وتوالت كل العدو وقنابل على المسلمين فلم يثنهم ذلك واستمروا على هجومهم والامير امامهم الى ان انتهوا الى السور واخذوا في هدمه بالمعاول والفوس فلم تعمل فيه ولما اعجزهم الامر ولم يتمكنوا من عدوهم امرهم بالرجوع الى تخيمهم وحفر نفق في الارض من المعسكر الى السور وجمع الايدي عليه ثم ملئوه باروداً واخبروه ناراً ثم امرهم بالهجوم على السور ولما انتهوا اليه وجدوه قد انتحيت فيه كوة غير كافية لما قصد به من نقب السور او تضعفه

فعدلوا الى المراكب في المرسى وسحبوا في البحر اليها واضعين اسلحتهم على رؤسهم
فألحت عليهم بالقنابل وظهرتها حامية الحصن فارتدوا عنها ولما علم الامير ان العدو
لا يخرج من البلد ليناجزه الحرب ارتحل الى ارزيو واخلاها من الحامية الاسلامية
وعرض الهجرة على اهلها وانقلب راجعاً الى حضرته وخرج حاكم وهران من مستغانم
من بعده الى ارزيو واستولى عليها ووضع فيها حامية وذخيرة واستمر ذاهباً الى وهران
وكان بين دي ميشيل وقبيلتي الدوائر والزماله مواصلة خفية فعمل الحيلة ومد يده
اليهم وهم في منازلهم من سهل اغبال فاخذ منهم رجالاً ونساءً في صورة اسرى ثم
ارسلوه في فك اسراهم فاشتراط عليهم الخضوع لدولة فرنسا والسكنى في مسركين من
ضواحي وهران فاجابوه الى ما اشترطه ورد عليهم اسراهم وظهر ما كان كامناً في
صدورهم واتخذوا امر الاسرى عذراً فيما قصدوه ثم اتصل الخبر بالامير فعظم عنده
ذلك ورأى ان لا سبيل الى تدارك امرهم الا بالسياسة النعالة فبعث اليهم من
خاصته من يتقون به ويقبلون نصيحته فوعظهم وحذرهم من مكائد العدو وغوائله
واقفهم على ما القوا به انفسهم من مكر الله تعالى وغشيه والخروج عن الدين الاسلامي
الذي قام بنصرته وتأبى يده آباؤهم وافنوا فيه انفسهم واموالهم فاثّر ذلك فيهم واذعنوا
له واعتذروا بانهم لم ينجحوا الى العدو رغبة عن دين الاسلام ولكن للتوصل الى
المعيشة والراحة مما لحقهم من معاناة الحروب ومقاساة الخطوب الى غير ذلك مما لم
يُعلمه الرسول عذراً لهم فيما ارتكبوه واستمر يراودهم ويعظهم الى ان اجابوه وادخلوا
في مسركين ورجعوا الى بلادهم وارتاح الامير الى فنتهم الى الاسلام وبقيت
وهران على ما هي عليه من الحصار وقطع الطرق عنها واستمر الامير يث السرايا
والغوازي في نواحي الساحل فيسمونها خسفاً ودماراً ويشخنون فيمن يصادفونه من
انصار العدو واشياعه بالقتل والسبي وتارة يشن الغارات بنفسه على الخوارج عليه
من قبائل البربر وغيرهم من ظواغن العرب وزناتة ويشخن فيهم حتي يذعنوا الى الطاعة
ثم يعطف بعد ذلك الى السواحل ويعظم النكايه في العدو ويرصد من يتردد اليه
من اوغاد الناس الذين لادين لهم وجعل ذلك دابه وديدنه الى ان ضاق الحال
على الفرنسيين في تلك النواحي وتاخر عنهم اسعاف دولتهم لما كانت عليه من
الارتباك الداخلي فجرح الجنرال دي ميشيل الى السلم وطفق ينظر فيما يوصله الى مطلوبه
من غير ان يلحقه الخطاط في منزلته عند دولته فاتفق ان يحافظي الغور في جنة
مستغانم صادفوا رجلاً من متصرفي البرجيه راجعاً من ارزيو معه نذر من حاميته

يحرسونه الى ان يبلغ مأمنه فحملوا عليهم وقتلوا بعضهم واستاقوا الآخرين الى معسكر
فارتاح لما دي ميشيل واتخذها ذريعة لمخاطبة الامير وفي السابع عشر من جمادى
الاولى سنة تسع واربعين ومائتين والف وفي اول ستمبر سنة ثلاثة وثلاثين وثمانمائة
الف خاطبه بتحرير يقول فيه . الى سمو الامير عبد القادر اني لا اتأخر عن كوني
اخاطب سموكم بشيء تحثني عليه بواعث الانسانية وان لم تدعني اليه وظيفتي وهو
اطلاق سبيل النفر الذين بينا هم يحرسون رجلاً عربياً اذ خرج عليهم كمين من
جيوشكم فاخذوهم اسرى ولا اظن ان قوة شهامتكم تالى هذا وتضع امام طامبي
شروطاً لانني كنت من قبل اخذت بعض اسرى من عرب الغرابة والزمالة في
ميدان الحرب ثم اطلقتهم من غير شروط وبناء عليه اتأمل ان سمو الامير اذا
كان يرغب ان ياخذ من الاعتبار قدراً عظيماً ان لا يطيل المراجعات وان ينعم
باطلاق الاسرى * فاجابه الامير ان ما وقع من الاسر وسفك الدماء ويتم الاولاد
وتاييم النساء وسائر ما حصل من المعائب والنوائب العمومية والخصوصية لاسؤولية
علينا فيه وانما المسؤولية والعهدة على انقائد الفرنسي فوجم الجنرال وقواد العسكر
لهذا الجواب وعجبوا من شدة الامير وجزالة جوابه قال شرشل الانكليزي في تاريخه
عند ذكر هذه القضية ان حضرة الامير عبد القادر اجاب الجنرال دي ميشيل
بتحرير يظهر منه دقة افكاره وحسن سياسته حيث انه جعل العهدة على انقائد
الفرنساوي حتى ان الجنرال وان يكن تأثر بذلك الجواب فانه قال بعد ان امعن
النظر فيه شتان ما بين السياسة الفرنسية والافكار العربية ثم ان الجنرال كتب للامير
كتاباً ثانياً ونصه من الجنرال دي ميشيل الى الامير عبد القادر بن محي الدين
لي امل بان تطلق الحرية للاربعة الاسرى التعيسين الحظ المحبوسين في قلعة معسكر
وما كنت اتردد عن السعي لديكم فيما تمنعني وظيفتي الرسمية عنه حيث تدفعني
الانسانية اليه ولعلي ان البشر الراقين الى الدرجات العليا عليهم ان يمتازوا باعمال
كريمة دالة على التفاوت الذي وضعه الله بينهم فارجو الافساح عن الفرنسيين
الذين وقعوا في شر مكيدة وهم في الدفاع عن بعض العرب لتخليصهم من انتقام
ابناء جنسهم ولا اظن انكم تضعون في طريق ذلك بعض العقبات لانكم اذا رغبت ان
تعدوا من كبار اهل الارض لا تأنزرون عن اظهار كرم اخلاقكم واذا دواعي
الحرب اوقعت بين يدي بعض اتباعكم فاننا اعدكم بارجاعهم بدون عوض ثم كرر
الطلب الثالثة بما نصه الى الامير عبد القادر بن محي الدين بما انني ما اخذت جواب

كتابي الذي ارسلته اليكم منذ شهر فاحب اليّ القول بانه لم يصلكم من انكم لم تلتفتوا الى قبول مطالبي وعليه جئت اثالت مرة اكرر طلب فك الاسرى الفرنسيين الموجودين عندهم لانهم لم يؤخذوا في ساحة الحرب بل سقطوا باقبح خدعة في اقبح مكيدة وعليّ ان اذكركم ان فرنسا هي اقوى دولة في الدنيا فليس من الحكمة ان تدوموا على خطة المقاومة فاذا كان اليوم في امكاني ان انتصر عليكم قبل وصول النجدة التي استنظرها فماذا تكون حالكم اذا فرغ صبر فرنسا نحو العرب وارسلت ما تهيبه لي فعندها تهجم عليكم عساكرنا فتفرقكم كما يبعثر الهوى الرمال فاذا رغبت ان تبقوا في مركزكم السامي فما عليكم الا اجابة دعوتي حتى اذا اجرينا المعاهدات تبادل القبائل الى زرع حقولهم الخصبة غامين ما يقدمه الشعب العظيم اليهم فجاوبه الامير من عبد القادر بن يحيى الدين الى الجنرال دي ميشيل اما بعد فقد وصلنا كتابكم المتضمن افضل النصائح فقدرناها قدرها وعلمنا انكم تحثونا في كتبكم الثلاث على الافساح عن الاسرى وتندبون حظهم مع انا نعتني بشانهم غاية الاعتناء والافساح عنهم ليس له اهمية لدينا غير ان الحالة التي نحن بها لا تسمح لنا ان نردهم بدون فدية فاذا رغبت في الاتفاق اقبل تسليم الاسرى اليكم عند المعاهدة بيننا على ان ديننا يمنعنا عن طلب الصلح ابتداءً ويسمح لنا بقبوله اذا عرض علينا وان الثقة التي منحتمونا اياها في تحاريركم حملتنا على ان نبداكم بالمخاطبة وان المفاوضات التي تطالبونها يقضي ان تكون مبنية على شروط محترمة منا ومنكم ولا يحصل الاتفاق الا اذا عرفتوني شروطكم وما تطالبونه مني وانا اعرفكم بثباتنا والله المعين وكيف تفاخروني بقوة فرنسا ولا تقدرון القوة الاسلامية مع ان القرون الماضية اعدل شاهد على قوة الاسلام وانتصاراتهم على اعدائهم ونحن وان كنا ضعفاء على زعمكم فقوتنا بالله الذي لا اله الا هو ولا شريك له ولا ندعي بان الظفر مكتوب لنا دائماً بل نعلم ان الحرب سجل يوم لنا ويوم علينا غير ان الموت مسر لنا وليس لنا ثقة الا بالله وحده لا شريك له لا بعدد وعدد وان دوي الرصاص وصهيل الخيل في الحرب لا اذاننا من الصوت الرخيم فاذا سمعتم على عقد صلات ودادية دائمة بيننا وبينكم فافيدونا حتى نرسل اليكم رجلين من كبار قومنا ماذونين بالمفاوضة معكم وحينئذ نتم امانيكم بعبوة الله ولا تظنوا باننا ناسف اذا اضطررنا الى ترك البلاد لاننا نعلم يقيناً ان الارض لله تعالى يورثها من يشاء من عباده وقد سلمنا وراثتها فحيث ما كنا نجد امتنا وقد ظهر لنا من مضمون

كتبكم انكم تحتقرون قوة العرب مع دوام استعدادهم للقتال ومساقتهم للنزال في كل زمان ومكان راذا فتحتم التواريخ تروا ما اجره في آسيا وجنات الشام من الجراءة والثبات والاقدام والفتوحات التي اظهرها الله على ايديهم واني اعتذر لعدم جوابي علي كتابكم السابق باني كنت مشغولاً في الوقت الذي استلمته وعندما كتبت الجواب كان رسولكم ترك معسكر وتوجه لطرفكم وهذه المراجعات اوقفت الجنرال وقواد العسكر في ميدان علموا منه انهم يخاطبون اماماً عادلاً وتعلقت آمالهم بالوصول الى مامولهم وقال بعضهم عند ذكر تحرير الجنرال ما ملخصه هذا المكتوب لم يكن لتحريره محل في مجال السياسة لان الحرب بين الامير عبد القادر والفرساوية ما برحت قائمة على قدم وساق وبحسب اصول الحرب يحق لهذا الامير ان يحاصر المدن والقلاع الموجودة بايديهم وان يرصد سائر طرقاتهم وينتزع المواصلات التجارية وغيرها وان يجري القصاص على من يتعرض لما ثم قال فانظر الى هذا الجنرال الذي يدعي النطنة والمعرفة بالنظامات الحربية كيف كبا به جواده في ميدان سطور تحريره المذكور الذي لا يمكن تحريره الا في حال السلم ولذلك اجابه حضرة الامير اخيراً . بعد التحية وصلني كتابك الذي اظهرت فيه رغبتك في الحصول على اطلاق الاسرى الذين اوقعتهم الاقدار الربانية بين يدي وقد فهمت جميع ما تضمنته رسائلك وما اثبتت عليه من تكرار الخالب ومن العلم عندكم ان جميع الاسرى الذين اوقعوا في ايدي عسكركم في ميادين الحرب لم يتعرض لكم ولا لمن كن قبلكم في اطلاقهم ولا اتعبت افكاركم براسلة قط لان حكمهم عندي حكم الاموات وموتهم اعتبرها حياة لهم غير اني كنت اتالم عليهم شفقة ورحمة وقولكم ان هؤلاء الاسرى الذين تطالبون اطلاق سراحهم ما كان خروجهم لار يتعلق بكم بل كنوا يحمون عربياً من انتقام ابناء وطنه فهذا لا اعتبره وسيلة لاطلاقهم فان المحافظ والمحافظ عليه كلاهما اعداء لنا وانتهاز الفرصة في الانتقام منهم غاية مقصودي وسائر العرب الذين عندكم اوغاد واراذل يجيلون واجباتهم الدينية هذا واني رايتك تنتهز بانك اطلقت الاسرى من الغرابة والزمانة من غير شروط مع انك لو راجعت افكارك لوجدت ان رحمتك انما كانت لاناس استظلوا بظلمكم واتوا بجمالك يملئون اسواقكم ذخائر ويكونون عيوناً لكم على المسلمين ويخدمونكم بكمال الصدق ومع ذلك فان عسكركم قد سلبوه كل ما يملكونه فلو كان هذا المعروف الذي تحتجبت به مع غير هؤلاء كالحشم ابني عامر مثلاً لكان يحق لكم الانفجار

وكنتم تستحقون الشكر وعلى كل حال فتم خراجكم من وهران على مسافة يوم او يومين يظهر للعيان من يستحق الثغر منا . قال المؤرخ الانكليزي نو كن هذا الجواب الكبريائي في غير تلك الايام لاداج في صدر الجنرال الفرنسي نيران الحماسة وحرك منه سواكن الاحن وربها صاح باعلا صوته وقال اين العربي المبارز والبطل المناجز ولكن الوقت لم يساعده وكان دي ميشيل لما ارتحل الدوائر والزمانه من جواره ورجعوا الى بلادهم حفظها لهم فعند ما خسرت صنفته من مخاطبة الامير ولم يحطل منها على طائل غزاهم واخذهم على غرة وطار الخبر الى الامير فاغرى السير وواصله وقطع مسافة خمسين ميلاً في ثلاث ساعات وكان العدو لكثرة ما في يده من المسلوبات والاسرى رجع الى وهران على مهله فادركه الامير قبل وصوله اليها رحل عليه حملة شنت بها شمله واوهى بها قوته ولم يسعه الا الفرار فالتحذه وسيلة الخجاة وترك جميع ما استولى عليه من المسلوبات والاسرى في ايدي المسلمين كما انه ترك قتلاه في محل المعركة ولقى فله بوهران ثم ان الامير ردت على الدوائر والزمانه مسلوباتهم واسراهم وامرهم بالرحيل الى تزوغت في نواحي تلمسان فارتحلوا في العشرين من رجب سنة تسع واربعين والرابع من ديسمبر سنة ثلاثة وثلاثين وثمانمائة وبعده هذه الواقعة انسد باب المخابرة بين الامير وحاكم وهران فيما كان يصده

﴿ ذكر رجوع الجنرال دي ميشيل الى المخابرة ﴾

﴿ مع الامير واطهار رغبته في السلم ﴾

كان الجنرال دي ميشيل معروفاً عند دولته بأنه من رجال الحرب رابطال الطعن والضرب فعزلوا الجنرال بوية وولوه مكانه وبوصوله اخترم نار الحروب وفتح باب الشدائد والخطوب فكانت الدبرة فيها عليه ودام ويلها يصاحبه ويماسيه ولم يزل على ذلك الى ان يئس من نجاحه في امره رجع عن درك ما كن يومه من فوزه فرجع القهقرا واخذ يدبر فيما يخلصه من ردهته ويكون وسيلة للوصول الى رضاء دولته فلم ير اوفق من وضع اوزار الحرب والتماص من شرك الشدة والخطب ففتح لذلك براسلة الامير باباً وهياً لما اسباباً فحيل بينه وبين مراده وعاد الى مقارعتة وجلاده ثم رأى ان دون فوزه خطر انتقاد فعاد الى ما عول عليه اولاً من قبح الباب ومعاطاة الاسباب قال المؤرخ الانكليزي لما استعظم دي ميشيل جراءة عدوه

الاسد الكاسر وسرعة حركته في الدواحي فكانه في كل ناحية حاضر تبين له ان تدبيراته لم تنتج له الظفر بالآمال وتأسيسات افكاره قد اعتراها التلاشي والاضمحلال وان سور الحصار قد حال بينه وبين الزاد وبلاء المجاعة ما برح في شدة وازدياد وعجز عن المدافعة بعد بذل الجهد والاجتهاد فلم ير احسن من الصلح او تخليع البلاد ثم فكر في امره واوفد على الامير مردخاي الموسوي في طلب الصلح واتجه برسالة يقول فيها . الى سمو الامير عبد القادر حيث لا تجدني ايها الامير غافلاً ابداً عن كل فعل حسن فاذا كان سموكم تريد ان نتخبر في امر المعاهدة فاننا مستعد لذلك مع الامل انه يمكن الحصول على معاهدة موافقة يتوقف بها سفك دماء امتين اقتضت الارادة الالهية ان لا تكونا تحت سلطة واحدة حرر في رجب سنة تسع واربعين وفي دسمبر سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة والنف ميلادية . قال بعضهم فهذا الكتاب حقق لحضرة الامير عبد القادر ما كان يتصوره وهو ان عدوه واقف موقف المستغيث ولذلك ضرب عن رد الجواب صفحاً وانما قال للرسول وهو مردخاي انه بحسب الوقت الحاضر لا يمكنني رد الجواب وان كان الجنرال يسمح بايضاح وتفصيل في هذا الامر فهو اولى فلما وصل اليهودي الى الجنرال وبلغ الرسالة الشفافية عن لسان الامير عبد القادر تلقاها بالقبول وردت مع اليهودي كتاباً آخر يقول فيه . الى سمو الامير عبد القادر حيث لم يصلي اليكم جواب من سموكم عن التحرير الذي قدمته وقع في فكري انه لم يصل اليكم لا انه وصلكم ولم تهتموا به حيث انكم لا تعلمون شيئاً اوفق لحفظ المقام الذي رفعتكم الظروف اليه من التسليم بطبي لانه بواسطة المعاهدات المطلوبة التي نعتمدها بيننا نتمكن الاهالي ان تلتفت الى فلاحتها وتتمتع بلذة حاصلات اراضيها وتذوق حلوة السلم بدلاً عن مرارة الحرب . ثم انني كتابه بعبارات اوضح من الاولى وابين في طلب الصلح .

✽ ذكر ابرام المعاهدة وما جرى في ايامها من الحوادث الداخلية ✽

لما اتصل مكتوب حاكم وهران بحضرة الامير جمع رجال دولته واعيانها واخبرهم بما وقع بينه وبين الجنرال من المخابرات في شان اسرى ارزيو أولاً ثم في امر الهدنة ثانياً واستشارهم في ذلك واستكشف ما عندهم فيه فراهم جانحين الى السلم راغبين في عقد الهدنة لاسيما ان العدو هو الطالب لها والراغب فيها . قال شرشل الانكليزي ما حاصله قد تمكن هذا الامير المظفر الحديث السن من ان يطالع رجال دولته ورؤساء

رعيته على هذا المكتوب الذي هو في الحقيقة سند يشهد له بان العدو هو السابق في التماس الصلح وقد تأتى له ان يجيب اليه اذ لا ادعي للتأخر عنه فذلك حرر في جوابه بعد التحية وصلي كتابك ايها الجنرال المحترم وفيه ما ذكرته فيه واعلم ان افكارك مواظمة لا فكاري موافقة لها وبذلك تحققت استقامتك فكان منا كدأ بان الشروط التي توفقنا العناية الآلية لاجرائها بيننا نتمك بها بصدق عظيم ولا نتجاوزها وما انا مرسل التحرك معقدين وما وزير الخارجية الميلود بن عراش والآغة خليفة بن محمود يتخبران معك في الشروط التي تكن اجراؤها وحيث تجري المعاهدة وتذهب العداوة من بيننا ونستبد لها بالصدقة التي لا تحل بقاءنا وينبغي لك ان نثق بي لاني والحمد لله لم تسبق لي خيانة في عبيدي ولا نقض لعقدي . ثم قال وكنت المتقابلة بين انقواد النرساوين ومعتدي عبدالقادر خارج وهران على فرسخين منها في خمس وعشرين خلدن من شهر رمضان سنة تسع واربعين ورايع فبراير سنة اربع وثلاثين وثمانمة رالف ميلادية وجرت مذاكرة طويلة في قضايا مختلفة قدمها الجنرال دي ميشيل ثم ركب وزير الخارجية راجعاً الى الاسيرة ومعه نسخة الصك المشتمل على المسائل التي وقعت المذاكرة فيها غير ممضية من الجنرال ونصها

اولاً ان العداوة من هذا اليوم تبطل بين النرساوية والعرب ثانياً ان النرساوية تلتزم بتكريم ديانة الاسلام مع عوائدهم ثالثاً ان العرب تلتزم برد الاسرى النرساوية رابعاً ان يكون السوق حراً خامساً ان العرب تلتزم برد من يهرب من النرساوية اليهم سادساً من اراد السفر في الداخلية من النرساوية يجب ان يكون بيده رخصة مخزومة من قنصل الامير ومن قنصل الجنرال . ولما ادلع عليها الامير وافق عليها وامضاهما بخطه ثم حرر ورقة اخرى ذكر فيها ما اشترطه وهي اولاً يكون للعرب الحرية بان يبيعوا ويشترؤا كذا يتعلق بالحرب ثانياً يكون متجر مراسي ارزيو تحت ولاية الامير كما كان قبلاً بحيث لا يصير شعب شيء الا منه واما وهران ومستغانم فلا يرسل لما الا البضائع اللازمة لاهلها ثالثاً يلتزم الجنرال بترجيع كل من يهرب اليه من العرب مقيداً مع انه لا تكون له سلطة على المسلمين الذين يحفرون عنده برضاء رؤسائهم رابعاً لا يمنع مسلم من الرجوع الى بيته متى اراد . وفي اليوم الخامس رجع وزير الخارجية واجتمع بالجنرال دي ميشيل داخل وهران وانبره ولم يسلمه ورقة مطالبه الا بعد ان امضى ورقة الامير التي فيها شروطه ثم ان الجنرال اختار ان يكون حاك المدينة واحداً تحرر فيه مطالب الامير بالخط العربي ومطالب الجنرال بالخط النرساوي وكل منهما يمضي الآخر على شروطه بخطه فاجابه ابن عراش الى ذلك ونص الصك . ان قائدي الجيش

الفرنساوي المقيم في وهران الجنرال دي ميشيل والامير عبد القادر بن يحيى الدين اعتمدا وانتقدا على ما ياتي ذكره من الامور الاول منذ يوم تحريره يعير ترك الحروب والخصومات بين فرنسا وبين العرب وكل من الجنرال دي ميشيل والامير عبد القادر يجتهد في القاء الالة بين شعبين اقتضت الارادة الالهية ان لا يكونا تحت سلطة واحدة ولاجل ذلك نعين وكلاء من الامير عبد القادر في وهران ومستغاثم وارزيو كي لا تقع الخصومة بين فرنسا وبين العرب كما انه يقام وكلاء عن فرنسا ضابط فرنساوي في معسكر الثاني يصير احترام ديانة الاسلام وعوائدهم الثالث يلزم ردة الاسرى من الزريقين الرابع يصير اعطاء الحرية الكاملة لتجارة الخامس تلزم العرب بارجاع كل من يفر اليهم من المعسكر فرنساوي ويلتزم فرنساويون بتسليم كل من يفر اليهم من اهل الجرائم الهاربين من القصاص الى وكلاء الامير في المدن الثلاث السادس من اراد من الاوربيين يسافر الى داخلية البلاد يجب ان يكون متحواً بتذكرة تكون عليها علامة وكلاء الامير ويصحها الجنرال وبذلك يحصل على الحماية في جميع الاقليم حرر في وهران في السابع عشر من شوال سنة تسع واربعين ومائتين والثامن والعشرين من شهر فبراير سنة اربع وثلاثين وثمانمائة والف ثم ان ابن عراش اخذ الملك وعرضه على حضرة الامير وبعد اطلاعه عليه وامعان النظر فيه امضاه بخطه ورجع ابن عراش الى وهران فلما رآه الجنرال وعلم ان الامير وافق على ما حرر في الملك وانه امضاه تهلل وجهه واظهر لابن عراش بشاشة زائدة لم يعهدا منه قال المؤرخ فرنساوي لويس دينليوت في تاريخه عند ذكر هذه المعاهدة ان الميلود بن عراش وزير السلطان عبد القادر ومعمده في عقد المعاهدة مع الجنرال دي ميشيل لما وفد عليه حاملاً صكها الذي صادق عليه الامير قابله بكمال الاحترام والاحتفال وكان امراء الجيش فرنساوي جالسين على حسب مراتبهم والعسكر مصطفة حولهم يسمعون ما تقرر في الملك وبعد تلاوته امضاه الجنرال بخطه ثم التفت الى ابن عراش وفتح معه باب المذاكرة فقال ان العرب لا تجيئ قوة فرنسا واستعدادها فاجابه ابن عراش نعم ان العرب لا تنكر قوة سلطنة فرنسا واقتدارها ثم قال الجنرال انني كنت عازماً قبل عقد المعاهدة على ان اطلب من دولتي عشرة آلاف جندي زيادة على ما عندي واخرج من هذه المدينة وتابع تحاربكم مدة شهر وما يدريك يا ميلود ان بهذا الفعل يدخل على سلطانك الوهن ويلحقه الضعف فاجابه ابن عراش اننا لا نحاربكم محاربة نظام وترتيب ولكن محاربة هجوم واقدام ولونعلت ما قلت وخرجتم

بهذه القوة كنا نتقهقر امامكم متوغلين في الصحراء باهلنا واثقالنا وفي حال هذا
التقهقر نناوشكم القتال حتي لا ترجعوا عنا ثم نصابركم حتى تضعف شوكتكم وتلين
قوتكم وحتى سنحت الفرصة وتورطتم في فيافي الصحراء قابلا الكرة عليكم واحاطت جيوشنا
بكم من كل ناحية وتكون ذخائركم نفدت وقوتكم ذهبت وعساكركم لحقها التعب واخر
بها التعب فحينئذ ماذا كنت تصنع ايها الجنرال قال فلما سمع الجنرال هذا الجواب
المنصوح عن جبل من اوضاع الحرب التي لم تخطر له على بال تعجب ولم يسهه الا
السكوت ونفترق المجلس وانقلب ابن عراش الى الحضرة بعد ان اتم سفارته . وشاع
امر المعاهدة وارتفع الحصار عن وهران ومستغانم وارزيو وسالكت الطرق اليها من
الداخلية وتعينت الوكلاء فيها من قبل الامير نعين مردخاي بن دران الموسوي
في الجزائر ومحمد بن يخ في وهران والاعا خليفة ابن محمود في ارزيو وعين سفير فرنسا
الكومندان عبدالله ويسون في معسكر واصله من مماليك الامراء المصريين المتخدمته
دولة فرنسا في العساكر المشاة وامست افكار الجنرال دي ميشيل هاجعة على بساط
الراحة لعله ان هذه المعاهدة صارت حداً فاصلاً بينه وبين الغوائل السابقة
وطير الخبر الى وزارة الحرب في باريس فاجابه ان الملك صادق على المعاهدة وانقد
عليه اموراً اخلا بذكرها في صك المعاهدة نفهم الناس ان دولة فرنسا انشرفت
لعقد المعاهدة ولم تشرح لشروطها وايد لهم ذلك انها اخذت في استعمال الوسائط
لنقضها قال المؤرخ لويس دينليوت ان دولة فرنسا قد حاولت ان تنقض هذه
المعاهدة واستعملت لذلك مكاييد متنوعة ولكن فطنة الامير ومعرنته بالسياسة عرقلت
امورهم وافسدت سبيل نجاحها انتهى . وقصارى ما يقال ان تلك المعاهدة كانت
عبارة عن متاركة لا تخلو عن مخالطة من الطرفين وذلك ان كلاً من الامير
والجنرال دي ميشيل جعل لنفسه باباً في صكه يخرج منه متى شاء وعلى كل حال
فان الامير ارتاحت افكاره من جهة الحروب الفرنسية وانصرفت همته لتنظيم
الوطن وتوسيع سلطنته في بلاد المغرب الاوسط كما قال بعض مؤرخي الافرنج كانت
هذه المعاهدة كنناد قام ينادي في اندية العرب بوجوب طاعة هذا الامير فسمع نداه
واجيب دعاه وامتد ملكه وبعد صيته ومداه كما انها جعلت للفرنسيين نوع سلطة
في الاماكن التي استولت عليها . ولما وصل عبدالله ويسون الى العاصمة دخل
على الامير في القاعة الملوكية بملايسه الرسمية وقدم اليه الرقيم المعلن بتعيينه وكلياً
عنده فلما قراه قال له الآن ادخل علينا السرور حيث اننا نظارنا شروط المعاهدة

أخذت منعولها وظهرت من القوة إلى النعل وأمره أن يواصل التردد عليه ويرفع ما
يعرض له من الحاجات إليه وغيب خروجه من الحضرة الأميرية توجه لزيارة أرباب
الدولة وأعيانها في منازلهم ثم قابله بثأبها في منزله وأخبر لهم غاية الميل والمحبة
وخذعهم بلسانه العربي الفصيح ثم أن المسلمين الذين كانوا هاجروا من وهران ومستغانم
تشوقت نفوسهم إلى الرجوع اليها وانتبهوا فرصة المعاهدة فنعيم الأمير وأوعز إلى
قناصله بنعيم وسد باب القبول في وجوههم وفي سنة أربع وثلاثين وثمانمائة ألف بعد
إبرام المعاهدة وصل وفد السلطان عبد الرحمن بن هشام صاحب المغرب الأقصى
لأداء التهنئة للأمير بالملك وأصحابهم مدينة من نفائس بلاده ومقداراً وافراً من ذخائر
الحرب وأدواته فأكرم الأمير وفادتهم وأعظم جانبهم وكان نفر من العساكر الفرنسية
فروا إلى المغرب الأقصى فبعثهم السلطان مع الوفد ليرى الأمير رايه فيهم نقبلهم
وأرسلهم إلى الجنرال دي ميشيل فاهتز لذلك فرحاً وعلم صدق الأمير ووفاءه بوعوده
ووعوده ولما فرغ الأمير من هذه الأعمال صرف همته إلى تهديد القاصية من البلاد
وردع أهل البغي والفساد كالدوائر والزمالة ومن شايعهم كابن العربي ومن تبعه من
قبائل شلف وابن المخني رئيس البرجية وكان الأمير لما تقلد أمر الأمة واشتغل
بالجهاد نظر فيما يلزمه من المنقبات فرأى أن ما ينبغي من أموال الزكاة والاعشار
لا يفي بواجباته فطرح المسئلة في مجلس الشورى للنظر فيها فاتفقت آراؤهم على فرض
ضريبة على الرعية تسمى معونة بضم العين وبنوا ذلك على أساسات شرعية مؤيدة
بنقول نقبية وأعمال سلفية فلما تم أمر المعاهدة قام أولئك الظلمة وبثوا دسائسهم في
أفكار العامة بأن البيعة إنما كانت على الجهاد وحمل أثقال الضريبة إنما كان لنتقاته
وحدث أن الجهاد طوى بساطه والأمير ركن إلى مسألة العدو فلما أن ترجع في يعتنا
ونتنع من دفع أموالنا فاثرت دسائسهم في بعض القبائل كبني عامر فامتنعوا من دفع
المعونة واتصل خبرهم بالأمير فأوعز إلى مصطفى آغا بن اسماعيل رئيس الدوائر أن
يركب عليهم فيردعونهم ويحبي أموالهم فارتاح لما ابن اسماعيل لما تنهياً له في ذلك من
أخذ ثاره منهم ثم راجع الأمير أفكاره فطن لدسائس ابن اسماعيل فكتب إليه بالكف عنهم فأتى إلى
وسار إليهم بمجدوع فدفعوه وقرعوه ثم أوفدوه إلى الأمير جماعة من أعيانهم فسادفوه على المنبر فيطلب
على الناس في أمر المعونة فأراهم الوجوه التي بعثته على أخذها منهم ثم قال أعلموا أن الغاية
الوحيدة في قبولي لتقليد هذا المنصب أن تكونوا آمنين على أنفسكم وأعراضكم وأموالكم
مطمئنين في بلادكم منتعنين بوظائفكم الدينية ولا يمكن أن أبلغ مادي من ذلك إلا

يساعدتكم مالا ورجالا وبهذا تعلمون ان المنافع الحاصلة منكم عائدة عليكم ولا اظن ان يختر في بال احدكم ان الاموال التي تؤخذ منكم ابتغيها لتفقائي الشخصية لعلكم وتحققكم انني غني ملي بما خلفه لي والدي وبالجملة فحق لا نطلب منكم الا ما تجبركم الشريعة على دفعه، وتجبرنا على اخذه فراجعوا انفسكم وسدوا آذانكم مما يلقى اهل الفساد اليكم وكونوا على كلمة واحدة وصفقة متحدة فيما ينفعكم ويصلح شؤونكم ولا يتم لكم ذلك الا بطاعتنا قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الا قليلا الشاهد منكم الغائب فلما سمع الناس كلام الامير انشرفت صدورهم واظهروا الازعان لاوامره والطاعة لاحكامه وتقدم اليه وفد بني عامر في شأنهم فبرؤا ساحتهم مما نسب اليهم من الخروج عن الطاعة ومنع الجباية واوقفوه على دسائس مصطفى بن اسماعيل واشياعه واخبروه بما هو عازم عليه من نبد الطاعة وذكروا له ما لحقهم منه من الظلم والعسف فاسرها في نفسه واكرم الوفد ورددهم الى بلادهم وفي غرة ذي الحجة سنة تسع واربعين والحادي عشر من ابريل سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة والرب توجه قاصدا تلمسان ونواحيها فطار الخبر الى الدوائر والزمانة فاحتشدوا واستجاءوا بعرب رياح واهل انكاد وصمدوا لقتال الامير ولما قرب من منازلهم بعث الى ابن اسماعيل وغيره من اعيانهم يدعومهم الى الحضور عنده لينظر في حوادثهم مع بني عامر فاستبكفوا وزحفوا اليه بجموعهم ودارت بينه وبينهم حرب انكشف فيها اولوا الخوارج وتركوا جميع موجوداتهم فلما اكب جيش الامير على الغنائم والتروا بالنعبية عطف عليهم الخوارج بجموعهم من كل ناحية فهزمهم وكان الامير على حدة في فرقة قليلة فلما راي الهزيمة قد استولت على جيشه حمل عليهم مع كثرتهم فاصيب فرسه ووقع بين الصنوف فاردفه ابن عمه السيد المولود ابو طالب ثم ركب فرسا آخر واتصل القتال الى الغروب وقتل من الفريقين عدد كثير وجرح ابن اسماعيل في جملة من بني عمه ثم بلغ الامير ان الخوارج يكيدونه في تلك الليلة فتغافل عن ذلك ونام مع كافة الجيش في غاية الامن فلما كان الثلث الاخير من الليل هجم الخوارج على المعسكر فاستولوا على موجوداته وتخلص الامير من بينهم وبعد طلوع الشمس تراجع الناس اليه فانقلب بهم الى حضرتهم وطار الخبر الى حاكما محمد بن السنية فجمع الايدي على تجديد ما سلبه الخوارج من ادوات الملاك وسماته وهيا الموكب الملوكي ولما قرب الامير من الحضرة تلقاه بذلك وتلقاه العلماء والاعيان ودخل عاصمته في الهيئة التي خرج فيها واصبح في دار ملكه على ما كان عليه

تري الناس في ابوابه ورحابه * كنههم من فرط كثرتهم نمل
ولما رأى الخوارج ان حادثتهم لم تحدث في امر الامير ضعفاً ولا في افكار
رعاياه تشويشا ندموا ندامة الكسبي واقاموا يترقبون شديد الانقام ووقعوا من
امرهم في حيرة وقد تبرأ منهم الجهم وتباعد عنهم اقرب ولم يبق على مشايعتهم
الا ابن الغاري وقومه والبعض من قبيلة رياح وسلم بما وقعوا فيه من الوبال والخسران
والذلة والخوان وما آل اليه امرهم ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر تنظيم الجند وما يتعلق به ﴾

لما علم الامير ما بين الجنود المنتظمة والحشود المتطوعة من الفرق العظيم عزم
على تنظيم جند كف يكون دابه التمرين والتدريب ليصل بقوته ومعرفته بالامور
الحربية الى مقاصده الجسيمة فبعد رجوعه من واقعة الدوائر عقد مجلساً عمومياً من
رجال الدولة واعيان الرعية وزعمائها ونظب عليهم خطبة اوضح فيها فوائد العسكر
النظامي ودنائه واخبرهم انه اعززم على تنظيم عدد منه كف فاجابه الجميع الى
ذلك ووافقوه عليه واتفق المنادي يقول باعلا صوته في الأسواق ليباغ الشاهد
الغائب انه صدر امر مولانا ناصر الدين بتجديد الاجناد وتنظيم العساكر من كفة
البلاد فمن اراد الدخول تحت اللواء المحدي ويشمله عز النظام فليسارع الى دار
الامارة معسكر لينقيد اسمه في الدفاتر الاميرية . فتلقى الناس هذا الامر بانشرح
وارتياح وتسابقوا اليه طوعاً من كل جهة حتى من القاصية وصار له موقع عظيم
عند العامة والخاصة واستحسنه كل عاقل ووافق عليه كل فاضل وامتلات عند
سماع امره قلوب الاعداء رعباً وعلموا انهم قد حملا انفسهم من عداوة الامير اسراً
صعباً وامست انكارهم في قلق وقلوبهم بنار الخوف في التهاب وحرق ولم يكمل الامير
امر الجند لغيره بل هو تولى ترتيبه وتنظيمه بنفسه فجعله ثلاث فرق . فرقة
مشاة . وفرقة يركبون الخيل وعرفوا بالخيالة . وفرقة الثالثة مدنيون وولى وقتئذ
على المشاة والخيالة من مشاهير الابطال قدور بن بحر وعبد القادر بن عز الدين
ومحمد قوشارمه ومحمد السنوسي وسالم الزنجي واحمد اغديوي وغيرهم كل واحد على
الف جندي وولى على المدفعين محمد آغا المعروف بابن كسكسه (الكول اوغلي)
ووضع لهم قوانين وضوابط جمعها بعض كتاب الجند في رسالة سماها (وشاح الكتب
وزينة العسكر المحدي الغالب) ونصها . حمداً لمن اعز كفة نبيه سيدنا محمد صلى

لله عليه وسلم واعلاها . ومكن شريعته على اساس التقوى وبنائها . وصلاةً وسلاماً
على نبي الملاحم . المؤسس ترتيب الصفوف كنههم البنيان المرصوص او الموج المتلاطم
من كان يتقي به اكابر اصحابه رضي الله عنهم وارضاهم . وجعلنا ممن اقتدى بهم
ووالاهم . وبعد فانه لما كان يجب للجيش وضع قوانين لايتعدهاها . وهيأت لتمييز بها
وتوثون اخرى لا بد ان يرعاها . وكان من ولاء الله امرنا واختاره اميراً علينا ناصراً
لدين سيدنا ومولانا عبد القادر بن يحيى الدين . ايده الله عارفاً بذلك . خبيراً
بتلك المسالك . وضع لعسكره المحمدي . وجنده الاحمدي . قوانين تجري امورهم
عليها . ويرجعون في شؤنهم اليها . وهيئات تميز بها امرائهم . وتثبيتات يكون
عليها اعتمادهم . ثم امر نصرالله بسبعها فجاءت بحمدالله كما امر . وعلى الوجه الذي
صدر . سميتها (وشاح الكاتب . وزينة العسكر المحمدي الغالب) ورتبتها على مقدمة
واربعة وعشرين قانوناً وخاتمة اما المقدمة فانها تشتمل على مسائل الاولى رتب
نصره الله عسكره على ثلاثة اصناف . الاول الراكون وسماهم الخيالة . الثاني المشاة
وسماهم العسكر المحمدي . الثالث المدفعيون وسماهم الرماة والطوبجية وجعل على كل
صنف من هؤلاء الثلاثة رئيساً فعلى الالف خيال آفة وعلى الخمسين سيافاً وعلى
العشرين رئيس الصف ودونه الجاويش ولكل الف وكل مائة كاتباً وعلى الكاتب
رئيساً سماه باش كاتب واما العسكر المحمدي فانه قسمه الى مئات وقسم كل مائة
الى ثلاثة اقسام وجعل لكل قسم خباء ورئيساً عليه سماه رئيس الخباء اي الخيطة
وعين له نائباً يقوم مقامه وسماه خليفة رئيس الخباء وجعل على كل ثلاثة اقسام
من هؤلاء رئيساً سماه سيافاً وعين لهم كاتباً يخدمهم وجعل على كل عشرة من
السيافين فاكثر رئيساً سماه آفة ورئيس العسكر المحمدي وشأنه النظر في احوال
السيافين فمن دونهم واما الطوبجية فيسمى رئيسهم باش طوبجي وعين لكل مدفع
اثني عشر جندياً يقومون بامره وعلمهم رئيس وكاتب . المسئلة الثانية كسوة العسكر
المحمدي على نوعين الجوخ والكتمان اما الجوخ فعلى ثلاثة اصناف احمر قان وهو
الاعلى وادنى منه الجوخ العسكري وهو الاحمر الكاشف والصنف الثالث اسود
فاما الصنف العال الجيد فارئيس العسكر المحمدي ولرئيس الخيالة واما الصنف الذي
دونه فهو للسيافين والكاتب انتخاب الرتبة الاولى وعلم الحرب والطنبورجي وهو
صاحب الطرنبيطة واما الاسود فلباس الطوبجي ورئيس الاثني عشر مدفعياً وكاتبهم
واما رئيس الصف ورئيس الخباء فكسوتهم متنوعة فيختص رئيس الصف بالغليظة

المعروفة بالمتنان من الجوخ الاسود والسروال من الاحمر وعكسه رئيس الخباء فنتيانه
احمر وسرواله اسود واما الكتان فهو كسوة سائر افراد العسكر المحمدي بخلاف الخيالة
فان اكسيتمهم من الجوخ الاحمر الدون (تنبيه) امر مولانا ان لا يغير احد كسوته
المختصة به سواء كان آفة اوسيافا او رئيس صف او رئيس خباء او خيالاً
او طوبجياً او عسكرياً ولو بلغ ما بلغ في الغنى ومن استهون بهذا الامر فانه يعاقب العقوبة
الشديدة وقد جعل مولانا نصره الله لسائر رؤساء الاصناف المذكورة علامات يتميزون
بها ويعرف بها الرئيس من المرؤس فجعل لرئيس العسكر المحمدي وهو الآفة اربعة
علامات من الذهب اثنتان على منكبيه احدهما مكتوب عليها . اشهد ان لا آله الا الله
واشهد ان محمداً رسول الله . والاخرى مكتوب عليها (الصبر مفتاح النصر) واثنتان
في صدره على شكل القمر فذات اليمين مكتوب عليها (لا آله الا الله) وذات الشمال
مكتوب عليها (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وجعل لرئيس الخيالة علامتين
من الذهب ايضاً احدهما على منكبيه الايمن مكتوب عليها (الخيل معقود بنواصيها
الخير الى يوم القيامة) والاخرى يضعها على صدره مكتوب عليها (محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم) وجعل للسياف علامتين من الفضة على شكل السيف يضعهما
على عضديه احدهما وهي اليمنى مكتوب عليها (لا اتع من التقوى والشجاعة)
وعلى الاخرى وهي اليسرى مكتوب عليها (ولا اضر من المخافة وعدم الطاعة) وجعل
لسياف الخيالة علامة واحدة من الفضة يجعلها على عضده الايسر مكتوب عليها (ايها
المقاتل احمل تغم) وجعل لرئيس الصف علامة واحدة يضعها على عضده الايمن وهي
من الفضة ايضاً مكتوب عليها (من اطاع رئيسه واتي مولاه نال ما يرجوه وليتناه)
ولنائبه علامة من الجوخ الاحمر يضعها على ساعده الايمن وجعل للباش كاتب علامة
من الفضة على شكل القمر مكتوب عليها (ناصر الدين) يضعها على ساعده الايمن
وجعل لرئيس الطوبجية علامة من الفضة يضعها على كتفه الايمن وهي صورة مدفع مكتوب
عليها (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) المسئلة الثالثة (لما كان يجب على الجند باصنافه
اعني المشاة والخيالة والطوبجية ان يكون كل فرد منه عالماً بمكائد الحرب متخلفاً بها
مستعملاً لها عند مقابلة العدو ومن غير تكلف عين مولانا لكل صنف من هؤلاء
الاصناف معلماً عارفاً نشيطاً حافظاً لجميع ما يجب استعماله حال الحرب وعن نصره الله
للعسكر والطوبجية منبهاً سنه الطنبورجي يعني الطربيطي يجمع العسكر والطوبجية
ويفرقهم بنقرات الطنبوراي الطربيطة ويدعوهم للاقدام والاجام وله في تعليم الحرب

صبيغ مخصوصة وفي غيره صبيغ اخرى منها صبيغة للعنه وصبيغة لتبديلها وصبيغة لاجتماع رؤساء الصف وصبيغة لاجتماع السيفيين وصبيغة لتحمل على العدو وصبيغة للحذر منه الى غير ذلك وجعل نصره الله الخيالة منبهاً وهو النفير المعروف باليوري يجمعهم ويفرقهم باصوات مختلفة يفهمونها وعين لتعليم الحرب والترين عليه اوقاتاً معلومة في ايسام معلومة يخرج فيها العسكر والخيالة والطوبجية كل صنف على وحدة حسبما تقضي به عليهم قوانين الحرب (تنبيهات) الاول يجب على رئيس العسكر والسيفيين وروءاء الصفوف وخلفاء الجميع وسائر الجند ان يعملوا حرب البواريد (البندقيات) الى ان تحصل لهم المأكلة ويقدروا على تعليم غيرهم ومن لم يتعلم منهم يعاقب الثاني يجب على المدفعيين ان يتعلموا حرب المدفع من ذلك وفيشان وحركات المدافع يمينا وشمالاً على حسب الحاجة ومن تعلم ذلك وحصله يكرمه مولانا ومن لم يتعلمه يعاقب الثالث وهو أكدها ان الاغة اعني رئيس العسكر المحمدي وخليفته اذا قاتلا العدو على غير القوانين الحربية وحصل من ذلك اختلال في صفوف العسكر او هزيمة فانهما يعاقبان على حسب اجتهاد السلطان (المسألة الرابعة) اخترع مولانا علامات من خالص الذهب والفضة على شكل بديع سماه الشيعة المحمدية يعني النيشان ونبه على سائر الجند ان من ظهرت شجاعته او ابدى مزية وقت الحرب بان انقذ اخاه من يد العدو او سبق غيره بالمحجم او الكر او رد المزيمة على العدو وغير ذلك من المزايا التي توجب له العز والاحترام عند مولانا وثبت لديه ذلك فانه يمنحه الشيعة ويلبسه اياها بيده الكريمة وتفرب الموسيقى له اعلاماً بذلك والشيعة تكون على حسب المزية اذا كان حاضراً بين يديه واما اذا كان مع احد الخلفاء فانه يازمه ان يثبت مزيته التي يستوجب بها حمل الشيعة عند الخليفة وهو يرفع الامر الى مولانا فيخيل فيامر له بها وسنذكر مراتب الشيعة في آخر الخاتمة (تنبيهات) الاول ان مات الاغة اعني رئيس العسكر المحمدي او السيف او كبير الصف في الحرب فلا ينقطع راتبه وانما يبقى جارياً على بنيه الى ان يقدر احد اولاده على حمل السلاح فيجري عليه بعد ذلك راتب عسكري حتي يترقى في الخدمة فيزداد في راتبه على حسب الرتبة التي ترقى اليها الثاني ان جرح العسكري في القتال جرحاً يمنعه من المشي ويقدر على القتال ركباً فانه يدخل في صنف الخيالة وان تعطل بالكليه فانه يجري عليه راتبه من غير شرط الى ان يموت الثالث اذا مرض العسكري مرضاً يمنعه من الخدمة بشهادة الاطباء فانه يجري عليه نصف راتبه الى ان يموت (المسألة الخامسة) ان مولانا جعل للمسكوكات الجارية في البلاد

صرفاً معلوماً نتعامل به رعيته وسك نصره الله نوعين من العملة احدهما المحمدية
والاخرى النصفية فجعل صرف الدور ابو مدفع المعروف بابي عمود اربع ريات وكل
ريال فيه ثلاثة ارباع جزائرية وكل ربع جعل صرفه ثمان محمديات وكل محمدية
نصفيتين من السكة الجديدة المضروبة في دار السكة بحيث اذا اطلق الريال لا ينصرف
الا الى هذا الصرف وجعل الدور الجزائري ثلاث ريات الا ثمان محمديات وبهذا
الصرف يعطي راتب العسكر باصنافه (المسألة السادسة) في قيمة الكسوة وآلات
الحرب اما كسوة الجوخ فالسروال قيمته ستة عشر ريالاً والغليظة وهي المنتبات
قيمتها خمس ريات والصدريّة ستة عشر محمدية واما كسوة الكتان فالكبود قيمته
اربعة ريات والسروال ثلاث ريات وثمان محمديات والقميص ريالان الا ستة
محمديات والشاشية وهي الطربوش عشرون محمدية والبالغة وهي المداس على حسب
سعر السوق واما آلات الحرب فالبلاصكه وهي نخل الفشك ريال واحد والمخزمة
ثمانية عشر محمدية والبندقية اي البارودة بثانها عشرون ريالاً وقيمة العالية وهي
السنكي ثلاث ريات والسكين وهي السيف احد عشر ريالاً (تنبيه) اذا اضاع
الجندي شيئاً من الكسوة وآلات الحرب في الحرب او في حال تعبته فلا ضمان
عليه وكذلك الخيال اذا اُتلف الفرس او السرج او آلة حرب في حال القتال او تعلم
الحرب فلا ضمان عليه ومن اُتلف شيئاً مما ذكر في غير هذين الوطنين فانه يضمن ما اُتلفه
بالقيمة المذكورة واذا بُلى شيء كالبلاصكه او المخزمة مثلاً فانه يجدد من بيت
المال (المسألة السابعة) ان مولانا اوجب ان يكون روءساء الجند باصنافه من ذوي
النجدة والشجاعة والاقدام والقوة في الدين واليقين والصبر والثبات والفضيلة والتنبه
للكائد الحربية لان الرئيس في المعسكر بمنزلة القلب في الجسد اذا صلح صلح
الجسد كله واذا فسد فسد الجسد كله فلاجل ذلك لا تكون رئاسة العسكر والخيالة
واصحاب الرايات الا باختيار مولانا ونظاره لمن فيه هذه الخصال الحميدة ومن ثمت
لا يكون العسكري سيافاً الا بعد ان يتولى في الرتب الصغيرة وتظهر نتائجه الا اذا
كان ممن حمل الشيعة فانه يستوجب ان يتولى سيافاً من غير تدريج هذا اذا
توفرت فيه الشروط واوجب نصره الله ان لا يكون احد الخيالة رئيساً على العسكر
المشاة الا اذا كان من اهل الشيعة فانه له ذلك ان احتج اليه واختاره الامير
لمصلحة رآها فيه (المسألة الثامنة) قد جعل مولانا لمؤنة العسكر المحمدي ميزاناً
معلوماً بالرطل ونصفه وجعل وزن الرطل ستة عشر اوقية وكل اوقية ثمانية اثنان وكل

ثمن مائتي شعيرة مقصورة الاطراف وان لا يكون الكيل وآلة الوزن الا بتم الامارة وعين نصره الله لكل عسكري رغيافاً وزنه نياً عشرون اوقية ونضيحاً ثمانية عشر اوقية واثنى عشر اوقية من البرغل وستة اثمان من السمن فان فقد الخبز فرطل بقسماط مكانه فان فقد امعاً فانه يعطى من البرغل بدلها وعين للعسكر السمن في الصيف والزيت في الشتاء

التوانين

﴿ القانون الاول ﴾

لرئيس العسكر المحمدي وهو الآفة اثنان وعشرون ريالاً راتباً شهرياً لا ينقص له من هذا العدد شيء وله في كل يوم ثلاثة ارغفة احدها من الخبز الابيض الخاص والاخران من الخبز الاسمر او خمسة ارطال بقسماط عند فقد الخبز وله ستة ارطال من البرغل في كل ليلة ونصف رطل سمناً وخمسة ارطال حطباً وله مثل ذلك في النهار ان فقد الخبز والبقسماط معاً وله في كل يوم خميس واثنين شاة وله كسوة تامة من بيت المال وان بليت فانها تجدد له بالثمن فثنى المئتان وهو الغليلة ثمانية وعشرون ريالاً جزائرياً وثنى السروال اربعة واربعون ريالاً وثنى القميص ريال واحد

﴿ القانون الثاني ﴾

للسياف اثنا عشر ريالاً في الشهر وله في كل يوم رغيضان احدهما ابيض والثاني من مطلق الخبز او رطلان ونصف بقسماط ان لم يوجد الخبز وله في كل ليلة رطلان من البرغل واوقيتان سمناً ومثل ذلك في النهار ان لم يوجد خبز ولا بقسماط وله في كل يوم خميس واثنين من اللحم ربع شاة وكسوته تجدد بالثمن

﴿ القانون الثالث ﴾

لرئيس الصف ثمان ريالات راتباً شهرياً وله رغيضان في كل يوم او رطالاً بقسماط وله من البرغل رطل ونصف في كل ليلة وان فقد الخبز والبقسماط يعطى في النهار مثل الليل وله من اللحم في كل خميس واثنين نصف ربع الشاة والليفته

ست ريالات ونصف شهرية وله في الخرج مثله وكسوتهما تجدد بالثمن

﴿ القانون الرابع ﴾

لباش كاتب العسكر اثنا عشر ريالاً في كل شهر وله رغيفان احدهما ابيض والآخر اسمر او رطلان من البقسماط ورطلان من البرغل في كل ليلة واوقيتان من السمن وله مثل ذلك في النهار عند فقد الخبز والبقسماط وله في كل يوم خميس واثنين ربع شاة ورطل حطب في كل يوم وليلة ووظيفة هذا الباش كاتب كتابة امور الجيش كالرواتب والاكسية والديون التي تترتب في ذمة افراد العسكر وقراءة القانون وقت الحاجة ومن وظيفته ايضاً انه يجمع ما تحته من الكتاب ويعلمهم فرائض الغسل والوضوء والتميم والصلاة والصوم وعقائد التوحيد كما ان كل واحد من هؤلاء الكتاب يعلم المائة التي هو كاتب عليها جميع العبادات والعقائد ويؤذن للصلاة ويصلي اماماً كما ان الباش كاتب يجب عليه ان يعلم الآفة وظائف الدين ويؤم في الصلاة وقد اوجب مولانا علي العسكر ورءوسائه ان يحترموا هؤلاء الكتاب ورئيسهم ومن اهان احدهم فانه يعاقب العقوبة الشديدة

﴿ القانون الخامس ﴾

لكاتب المائة سبع ريالات في كل شهر وله في كل يوم رغيفان من مطلق الخبز او رطلان من البقسماط وله في كل يوم خميس واثنين نصف ربع الشاة من اللحم وكسوة الكتاب جميعاً ان ايت تجدد بالثمن

﴿ القانون السادس ﴾

حامل الراية المحمدية سبع ريالات في كل شهر وله رغيفان من الخبز الاسمر او رطل بقسماط ان فقد الخبز وباقي الخرج فهو فيه مع رئيس العسكر ولا يكون حامل الراية الا من اهل النجدة والشجاعة والجرأة وينزل مع الرئيس في تحته

﴿ القانون السابع ﴾

للطباخ ريالان في كل شهر وله جلود الشياه التي يذبحها

﴿ القانون الثامن ﴾

لمعلم الحرب اثنا عشر ريالاً في كل شهر وله رغيفان من مطلق الخبز او رطل ونصف من البقسماط عوضاً عنهما ان فقد الخبز فوله في كل ليلة رطل من البرغل وارقية من السمّن وربع شاة من اللحم ولا يكون المعلم الا واحداً عند كل رئيس ويكون نزوله مع السياف

﴿ القانون التاسع ﴾

لرئيس الطنبور سبع ريات ونصف في كل شهر وله رغيفان كل يوم من مطلق الخبز او رطلان بقسماط وينزل مع الرئيس

﴿ القانون العاشر ﴾

لمطلق العسكر المحمدي اعني لكل فرد منهم ست ريات في كل شهر وله رغيف او رطل بقسماط ولسائر اهل الخباء اي الخيمة في كل ليلة خمس وعشرون رطلاً برغلاً ورطل ونصف رطل سمناً ومثلها زيتاً في فصل الشتاء وعند فقد السمّن ولهم من الحطب خمسة عشر رطلاً سواء كانوا في سفر او حضر ولهم خمس وعشرون رطلاً من البرغل ان فقد الخبز او البقسماط والمائة منهم لها في كل يوم خميس واثنين خمس شياة بقسمونها على الاخبية هذا تمام المؤنة واذا نقص من المائة او اهل الخباء فانه ينقص لهم من هذه الاشياء كلها بقدر ما نقص من الاشخاص

﴿ القانون الحادي عشر ﴾

لجاويز العسكر سبع ريات شهرياً وهو مثل العسكري في كل شيء وامره بيد الاغّة اي رئيس العسكر المحمدي تولية وعزلاً

﴿ القانون الثاني عشر ﴾

لرئيس الخيالة تسعة عشر ريالاً في الشهر وله رغيفان احدهما ابيض والآخر اسمر وله اربعة ارطال من البرغل واربع آواق سمناً في كل وقت اعني ليلاً ونهاراً واربعة ارطال من الحطب في الليلة ومثل ذلك كله من البرغل والسمّن والحطب ان فقد الخبز والبقسماط

﴿ القانون الثالث عشر ﴾

لسياف الخيالة تسع ريات في كل شهر وستة عشر محمية وله رغيف واحد ابيض وله نصف ربع الشاة من اللحم في كل يوم خميس واثنين

﴿ القانون الرابع عشر ﴾

لكل خيال سبع ريات في كل شهر ولكل واحد منهم في كل يوم رغيف اسمر او رطل بقسماط عوضاً عنه وللخمسين خيالا في كل خميس واثنين شاتان ونصف شاة ولهم في كل ليلة سبعة وثلاثون رطلاً من البرغل ومن السمن رطلان وربع ولهم مثل ذلك في النهار ان فقد الخبز والبقسماط ولهم من الحطب عشرون رطلاً وينقص لهم من اللحم والسمن بقدر ما ينقص من عددهم

﴿ القانون الخامس عشر ﴾

لباش طوبجي اربعة عشر رياتاً في كل شهر وله في كل يوم رغيفان احدهما ابيض والاخر اسمر ورطلان من البقسماط عند فقد الخبز وله ثلاثة ارطال من البرغل في كل ليلة وثلاثة آواق سمناً ومثل ذلك في النهار ان فقد الخبز والبقسماط وثلاثة ارطال حطباً ومن اللحم ربع شاة في كل يوم خميس واثنين

﴿ القانون السادس عشر ﴾

عين مولانا كما سبق لكل مدفع اثني عشر جندياً ستة يقاتلون وستة يرتاحون وعليهم رئيس وهو الثالث عشر سماه رئيس المدفع ولهذا الرئيس كل يوم رغيفان من الخبز الاسمر وله في كل يوم خميس واثنين من اللحم ثمن شاة وباقي الخرج والمرتب فكالمسكر

﴿ القانون السابع عشر ﴾

كاتب الطوبجية مثل كاتب المائة في كل شيء

﴿ القانون الثامن عشر ﴾

لكل واحد من الطوبجية ستة ريات ونصف في كل شهر وله رغيف واحد

سمر في كل يوم او رطل بقسط ولم من البرغل واللحم واليمن والخطب مثل ما
للعسكر واذا نقصوا ينقص لهم من الخرج بقدر ما ينقص من عددهم

﴿ القانون التاسع عشر ﴾

ان معلم الطوبجية في الايام التي يتعلم العسكر فيها الحرب لا بد ان يكون مقابلًا
بالانتظار والمدافع للعسكر ويتحاربون كما يفعلون مع العدو لاجل التدريب والتمرين

﴿ القانون الموفاي عشرين ﴾

ان ربط الفشك وتذيب الرصاص انما هو على الطوبجية في كل تحلة اي عرذى
لانهم احق بذلك واذا كثر عليهم الشغل يستعينون بالعسكر

﴿ القانون الحادي والعشرون ﴾

ان العسكري البعيد الدار اذا طلب التسريح الى اهله واخذ الرخصة فيه فان
بارودته تبقى محفوظة عند السراي وكذلك العسكري المريض الذي يكون في المستشفى

﴿ القانون الثاني والعشرون ﴾

المؤنة انما تجري على العسكر والخيالة والطوبجية وروسائهم في السفر والحضر ما
داموا في الخدمة فان كانوا مسرحين بالرخصة في بلادهم عند اهلهم فلا شيء لهم
منها البتة

﴿ القانون الثالث والعشرون ﴾

لا يرخص لاحد من العسكر او الخيالة او الطوبجية ان ياخذ شيئاً من المؤنة
الا بحضور باش كاتب العسكر وباش كاتب الخيالة وباش كاتب الطوبجية ومن تخلف
من هؤلاء الكتاب عن الحضور في الوقت المعين لهم يعاقب ويشهر عقابه

﴿ القانون الرابع والعشرون ﴾

ان من اعتناء مولانا بيمينده انه ابتي لهم في كل محل يتعينون فيه مستشفى
وهياً فيه للمريض جميع ما يحتاج اليه من اكل وشرب وفراش وغطاء وخدمة من
افراد العسكر بشرط ان يكونوا ذوي نباهة وآداب وطلاقة وجه واتساع خاطر حتى
لا تضيق نفوس المرضى منهم وعين في كل مستشفى طبيباً ماهراً وجميع ما يلزم من
الادوية ياخذ ثمنه من بيت المال والخدمة اذا تعلموا صناعة الطب والتربض وشهد
لهم الاطباء بالمعرفة التامة فان مرتباتهم يزداد فيها على حسب تناوتهم في المعرفة ومن

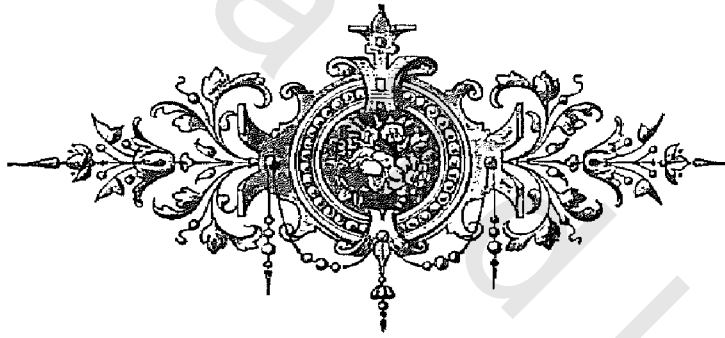
شأنهم ان يقوموا بتريض المرضى في حال السفر والحضر وجميع نفقاتهم من بيت المال وجعل لرئيس الاطباء كسوة من الجوخ الجيد تامة واثنى عشر ريالاً في كل شهر وله في كل خميس واثنين من اللحم ربع شاة وله رغيفان من الخبز الابيض في كل يوم او رطلان من البقسماط وفي كل ليلة رطلان من البرغل واوقيتان سمناً او زيتاً عند فقد السمن وكذلك في النهار ان فقد الخبز والبقسماط معاً وله في كل يوم ثلاثة ارطال حطباً انتهى تقييد المسائل والقوانين التي هي في الحقيقة اصول ولها فروع كثيرة مذكورة في غير هذا المختصر

❖ الخاتمة في انواع الجزاء ❖

اوجب مولانا على رئيس العسكر وهو الآفة ان يتفقد عدد العسكر وكوته وسلاحه وجميع الآت الحرب في كل يوم سبت وان تخلف عن ذلك لغير عذر ظاهر يحبس عشرين يوماً واوجب عليه ان لا يأخذ من العسكري ولا من السيف ولا من كبير الصف ولا من غيرهم ممدية واحدة وان لا يغش في شيء من الخدمة وان ثبت عليه شيء من ذلك فان اسمه يمحي من الديوان العسكري ويتردد ويهان واوجب نصره الله على السيف ان يتفقد ما تحت يده من العسكر في كل يوم اثنين وخميس فان تخلف عن ذلك لغير عذر ظاهر فانه يحبس عشرة ايام وان وجد في سلاحه فساد لم يصلحه فانه يحبس خمسة ايام واوجب عليه ان لا يظلم احداً من العسكر وان لا يأخذ منهم شيئاً وان لا يغش في الخدمة ولا يخون فان فعل شيئاً من ذلك وثبت عليه فانه يحبس ستين يوماً ويجب عليه ان يطيع الاوامر الاميرية ولا يخالف في شيء ما واوجب على كل سيف من سيافي العسكر ان لا يركب في يوم الحرب ولا في يوم تعليمه وانما يكون مع الرؤس عليهم ماشياً ليرتب صفوفهم للقتال او التعليم ويشجعهم وهو المتكفل بسلاحهم وهو المسئول عنه بالنسبة لمن فوقه فلا بد ان يتفقده ويعده والا فانه يضمن ما فقد منه واذا مات العسكري او غاب بالرخصة وكانت البارودة في يده فانه ياخذها منه ويدفعها الى الخايفة وياخذ منه سنداً فيها تبرئة له من الضمان فان غابت ولم ياخذ فيها سنداً فانه يضمنها واوجب على رئيس الصف ان يتفقد ما تحت حكمه من العسكر كل يوم صباحاً ومساءً وذلك ان يصفهم ويقف الكاتب معه والدفر في يده فيسمي افراد العسكر واحداً واحداً وكل من ذكر اسمه يجيب فان ذكر اسماً ولم يجبه احد يعلم ان المسمى غائب فيقتل

ينظر في امره فان كنت غيبته لعذر مقبول فلا باس عليه والا فانه يطلب ثم يحبس يوماً وليلة ومن انف من الخروج للتعليم فانه يحبس يوماً وليلة وان تخلف السيف والكتاب او كل منهما عن الحضور للتعليم فانه يحبس ستة ايام واوجب على الجندي طاعة سيافه وانقياداً بأمر العسة واوجب على عموم العسكر طاعة عموم رؤسائهم فمن عصى رئيسه في شيء فانه يحبس خمسة عشر يوماً ومن سمع الطنبور ليلعلم الحرب ولم يجب فانه يحبس يومين ومن سمع الطنبور يدعو الى الخروج الى القتال ولم يخرج فانه يحبس شهراً ومن خرج للتعليم او للقتال في غير الكسوة الاميرية فانه يحبس يوماً وليلة وكذلك الاغاة والسيف ورئيس الصف ومن ترك الوسخ على سلاحه او كسوته فانه يحبس ثلاثة ايام ومن اتلف شيئاً من سلاحه او افسده في غير يوم الحرب او تعليمه فانه يفصل قيمته كما تقدم في المسائل ومن هرب من الخدمة العسكرية ورجع باختياره فانه يحبس على قدر الايام التي غاب فيها ومن هرب وقبض عليه بأمر الامير فانه يحبس على حسب اجتهاد الامير ومن اطلق طلقاً واحداً من بارودته ليلاً او نهاراً لغير مصلحة فانه يحبس يوماً وليلة واذا نام العسكري في العسة القائم بها فانه يحبس ثمانية ايام واذا باع العسكري شيئاً من البارود وثبت عليه ذلك فانه يحبس شهراً واذا كان العسكري المذنب مسافراً فانه يضرب بالسوط على قدر الايام التي يحبس فيها قانوناً وجميع ما يلزم رئيس العسكر المحمدي ويجري عليه يلزم رئيس الخيالة ويجري عليه وكل ما يلزم العسكري يلزم الخيال وكل ما يلزم سيف العسكر يلزم سيف الخيالة وان ركب الخيال فرسه من دون موجب فانه يحبس يوماً وليلة وما يجري على العسكر يلزم سائر الطوبجية ويجري عليهم وما يجري على السيفيين يجري على باش طوبجي وان عمل احد رؤساء العسكر او الخيالة او الطوبجية ما يستوجب العزل فانه ينشط عن رتبته الى رتبة عسكري ويلبس لباسه وكسوة الجوخ ترجع الى بيت المال وان وجب حكم من الاحكام السابقة على افراد العسكر فان رؤساء الصف هم الذين يتولون نفوذ الحكم القانوني فان السيف يحكم عليه بحسب القانون الذي يخصه وان فرط رئيس العسكر في نفوذ الحكم القانوني فان مولانا او خليفته يعاقبه حسب القانون وان فعل العسكري خطية حميدة في حال الحرب فانه يجوز الشيعية المحمدية ويستوجبها على الهيئة المذكورة في المسائل ويجوز حرمة فوق السيفيين واذا فعل رئيس العسكر مزية فانه يحمل الشيعية اللائقة والشيعية نشان صورة يد مفتوحة الاصابع ذهباً وفضة وفي وسطها مكتوب ❖ ناصر الدين ❖ تربط على الراس فوق

الاذن اليمنى ولناقلها في كل شهر خمسة وعشرون ريالاً ويجب احترامه على الجميع
وهكذا الخيالة ورؤسائهم فمن عمل بقتضى هذه القوانين وبما ذكر في المسائل فقد
فاز في الدنيا والآخرة ونال من الله تعالى الرضى وزيادة فيجب على من سمع ما
ذكرناه ان يطيعه ويعمل به ويدعن له ويرضى به والله ولي التوفيق والحادي الى
سواء الطريق حرر في اواخر جمادى الاولى سنة تسع واربعين ومائتين والف





❖ رسم احد خيالة جيش الامير ❖



❖ رسم احد عساكر الامير ❖

﴿ صفة هيئة المعسكر وترتيبه في السفر ﴾

كانت هيئته شبه دائرة حسنة الانتظام خيامها مخروطية الشكل متناسبة البعد في البناء كل خيمة تضم ثلاثة وثلاثين نفرًا ومدخل المعسكر من جهة الشرق وعليه مدنعان وفي المقدمة خيمة رئيس المدافع ويقابلها خيمة رئيس الجراحين والاطباء والمستشفى وفي نصف الدائرة خيمة الامير وطولها خمسة عشر مترًا في عرض ستة امتار مزينة الباطن بانواع الاقمشة الملونة مفروشة الداخل بالزرابي المتقنة تبنى على ثلاثة عواميد ارتفاع كل واحد منها خمسة عشر قدمًا متناسبة الوضع في البعد ويجلس الامير فيها مقابلًا للدخل ولها من صندوقان صغيرا الحجم من حديد ضمن حدهما اوراقه المهمة وضمن الثاني مال ينقعه في الاحسان والخيرات ويقابل المدخل ستارة يقف عندها عبدان دائمًا ومن ورائها مكان يختلي فيه للوضوء والصلاة والمقابلة السرية وعلى بعد ستة امتار من الخيمة مركز راياته ومربط خيله المختصة به واذا جلس داخل خيمته تقف حوله كتمة اسراره وخواص المأمورين واركاب الحرب بغاية ما يكون من الادب والخضوع ويقف من ورائهم ثلاثون عبدًا من اهل الشدة والبأس المشهود لهم بالشجاعة والفروسية وهم الحرس الخصوصي للامير يتناوبون ليلاً ونهاراً واثمانهم من بيت المال واذا اراد اصدار امر ما اشار لمن يريد به فيقرب منه ويتلقى الامر ثم يرجع القهقري وخيام كتبة اسراره وخواص مأموريه عن يمين خيمته وشمالها ومن ورائهم خيام تحافظي الخزنة ولوازمات الجند من البسة واسلحة وغيرها وموئنة الجيش ومرباط الجمال والبغال على ناحية منها وفي كل جهة من المعسكر سوق يشتمل على قهاوي ودكاكين تباع فيها اصناف البضاعة والمأكولات واذا حضر وقت الصلاة واذن المؤذن يخرج الامير فيطلي بهم امامًا ويعاقب كل من تخلف عن صلاة الجماعة لغير عذر وكان يجلس لفصل الدعاوي بعد فراغه من صلاة الضحى الى اذان الظهر ثم يخرج ويطلي امامًا ويرجع لخيمته ليقيل ساعة ثم يجلس للفصل ايضاً الى اذان العصر وبعد الفراغ من الصلاة تصدح الموسيقى امام خيمته بانغام ثجية والحان اندلسية تحرك اوتار الاشجان ويتواجد من الحائض كل انسان حتى ان الخليل تكف عن الاكل ويتجمل الناظر انها ترقص من كثرة حركة يديها ورجليها عند استماعها فاذا انتهت الموسيقى نادى الجاويش (الله ينصر ناصر الدين وبطيل عمره) فيجيبه الجميع بتل ذلك وبعد اداء صلاة العشاء تقرب الموسيقى

لحناً واحداً ثم يمنع الدخول والخروج من المعسكر ولا يؤذن في الدخول والخروج منه الا بأمر الامير وكل من يخالف هذا القانون فجزاؤه الاعدام

﴿ صفة رحيل المعسكر ونزوله ﴾

اذا اراد الامير الرحيل يطلب الخزندار بعد اداء صلاة الصبح ويأمره بتهيء الجيش للرحيل فيطلق مدفعان بينهما برهة يسيرة وهذه علامة الرحيل فيخمدن يثور جميع الجند لجمع الامتعة وهدم الخيام وتحمل المؤنثة والذخائر وتمتطي الفرسان صهوات الخيل ثم تاتي الاغوات وقواد القبائل الى خيمة الامير فياذن لهم بالدخول ويسألهم عن الاراضي والمراكز الموافقة للنزول ثم ياتي الخزندار فيخبره بتهيء الجيش للمسير فيخرج من خيمته ويمتطي صهوة جواده فيثب به وثبتين ثم تصدح الموسيقى بلحن الرحيل فيبتدىء الجيش بالمسير على ترتيب عجيب الى ان يصلوا المحل المناسب للبيت فينزل الامير وتنصب الرايات ويحيط به الحرس ويذهب الخزندار لترتيب نزول الجيش وتعيين محل خيمة الامير وفي اقرب وقت ترى الخيام نصبت والمضارب ضربت ونزل كل فريق في منزله ووقف الخفر في تحله فعند ذلك يذهب الخزندار واحد اركان الحجاب فيخبر الامير باماكن دخوله المعسكر فيركب جواده ويسير والمأمورون من ورائه والموسيقى تصدح بلحن الوصول الى قرب الخيمة ثم تغير اللحن فيبدأ فرس الامير ويتقرب من الكرسي المعد لنزوله وعند وطئه الارض تطلق ثلاث مدافع اعلاماً بنزوله

﴿ ذكر خروج الامير لتهديد البلاد ﴾

لما بلغ ابن عربي خبر انتصار الدوائر على جيوش الامير اظهر ما كان كامناً في صدره من نبذ الطاعة والدعوة لنفسه وحمل قبائل البربر في ناحيته على اظهار ما كان يدسه اليهم من الخروج عن طاعة الامير واجتماع كلمتهم عليه فاجابوه الى ذلك واحتشدوا اليه فنهض بهم الى نواحي القلعة واستجاش بالبرجية وكان رئيسهم تدرر ابن الثغني دلى مشربه فتمدوا جميعاً في اقرب من قصبة البرج نخرج اليهم الامير بعد ان اخذ اهبطه وعرض جنده المنظم وسار اليهم في الثامن من صفر سنة خمس مائة وفي السابع عشر من يونيه سنة اربع وثلاثين وثمانمائة والفرس جمعهم واثنان منهم قتلاً وسبياً ودخل القصبه فافترسها ناراً وحطم اشجارها ثم بعث السبي وفيهم

حريم ابن الخنن وأولاده إلى الحضرة وأرسل إلى القلعة وفر ابن عربي بمجموعه إلى نواحي مينة فاتبعهم الأمير وصادفهم القتل فمزهم أقبج هزيمة وامتلات أيدي جيوشه بالغنائم ولما علم أهل تلك النواحي أن ابن عربي قد تلاشى أمره ولا مناص لهم من عقاب الأمير أوفدوا عليه علماءهم وأشرفهم فاعتذروا إليه وأوقفوه على دسائس ابن عربي وأدوا إليه طاعتهم وطاعة من خلفهم فقبلها منهم وولى السيد أبا شقور خليفة عنه في تلك النواحي وولى السيد محيي الدين بن علال على مليانه ونواحيها وفوض إليه في جمع كلمة القبائل الشمالية إلى شرشال وتنس من الأساكن البحرية وانتاب راجعاً إلى الجهة الغربية فاحتل بريك ثم ارتحل إلى ثنية مانوخ وشن الغارات على قبيلة رباح في منازلهم فيما وراء تلسان لجة الشمال ففجعهم واكتسح أموالهم وحملهم على الطاعة ثم انعطف غازياً على بني خلاد من قبائل ولماصة في الساحل فالتحن فيهم واستولى على موجوداتهم وأدوا طاعتهم وعسكروا معه فلما بلغ الدوائر ما حل بأشياعهم تناذروا وانقموا إلى حليتهم الشيخ ابن الغاري وقومه وهدموا لقال الأمير في المهرارز غربي تافناً فزحف إليهم الأمير في السادس من ربيع الأول سنة خمسين وأربعة عشر يولييه سنة أربع وثلاثين فاصطنوا ثباه البند ودعتهم نقوسهم إلى الهجوم عليه فاذاقهم نكل الحرب وردهم على أعقابهم ووقع رئيسهم ابن اسماعيل جريحاً فحملوه وولوا الأدبار تاركين قتلاهم في المعركة وبعث الأمير رءوس من ذلك من أعيانهم المشاهير كعبدالله بن الشيخ الغاري وغيره من الأبطال المعروفين فنهبوا على أبواب الحاضرة معسكر عبدة لغيرهم وطارت البشائر بهذه الانتصارات المتتابعة إلى الولايات وأعلن بها في المدن والقرى والقرى ففرح الناس بذلك واشترحت صدورهم لما يعلمونه من مرض قلوب الخوارج وشدة حقدهم على المسلمين وظلمهم عباد الله أيام الحكومة الجزائرية وبعد أن فرغ الأمير من أمر الخوارج وأشياعهم ارتحل إلى تلمسان فكان يوم دخوله يوماً مشهوداً وتقاض الخوارج في أمرهم فأشار عليهم رئيس الدوائر مصطفى بن اسماعيل بأن يلحقوا بالمغرب الأقصى ويدخلوا في طاعة سلطانه وأشار الشيخ ابن الغاري والمازري بالأذعان للأمير قائلين هو سيدنا وابن سيدنا فإن تقبل توبتنا ورفع قدرنا بين أقراننا فذلك والا فسينذر نكدر في أمرنا والحق بسلطان المغرب الأقصى غير موافق لأن فينا الضعيف ومن لا قدرة له على الوصول إلى تلك البلاد على أن غالب سكانها لا تنال الأحكام السلطانية فلا نسلم من غوائلهم ولا يخفى أن توالي الحروب وتتابع الغزوات علينا أفنى لنا الظاهر وأباد المال وأخذ قوانا

فقال ابن اسماعيل ان ابن يحيى الدين اذا ظفر بكم لا بد ان يقتلكم ويعاقب اشلأكم واحداً بعد واحد على اسوار معسكر وكأني انظر الى الحشم يتفرجون عليكم ويشتمون بكم والذي ينجو منكم يعيش تحتهم ذليلاً حقيراً واطال عليهم في التحذير والتنذير فلم ياتفتوا اليه واستامنوا الامير فبعث اليهم منشور الامان مع كاتبه الخاص السيد مصطفى بن التهاى والعلامة السيد عبدالله سقاط فاطمأنت قلوبهم وطابت نفوسهم وتوجهوا مع الرسلين الى تلمسان ولما دخلوا على الامير مدعنين تقبل طاعتهم واكرمهم نزلهم واقرب الشيخ ابن الغاري على رئاسة قومه وولى المازري على قومه الدوائر وامرهم بالرحيل الى قرب تلمسان فامتنلوا وارتحلوا وخالفهم ابن اسماعيل ولحق ببلاد ولهاصه ثم ان المازري قدم شفاعته الى الامير في عمه ابن اسماعيل فشفعه فيه واحضره الى اعتابه فتلقيه الامير ولاطفه واحسن السوال عنه وعن احواله وبعد ان خرج من عنده لقيه اقاربه فسألوه عما جرى فقال لهم هذا آخر العهد بيني وبين هذا الامير فقبل له في ذلك فقال اني رايت لا يثائر بما يرضى ولا بما يغضب فعلت انه يضر لنا سوء كيف وقد وقع منا ما وقع مما يرجب ذلك والان قد استقام له الامر ثم ذهب الى اهله وتنصر وقتل فمين قتل من جيش الفرنسيس وسناتي على بقية خبره ان شاء الله تعالى ولم يزل الامير مقيماً في تلمسان الى ان اصلى شانها وشان ايايتها وفي اثناء ذلك ظهر قصور من قائد طائفة الكول اوغلان فعزله وولى مصطفى باي ابن الباى الملقب ثم بلغه ان فرقة من الدوائر فروا من منازل المعينة لهم قرب تلمسان ولحقوا بالحرانواحي وهران من جهة البحر فغزاهم وفي طريقه راى بعض الرعاة الجيش فسبقه اليهم وانذرهم فبادر جماعة الى الهروب ودخلوا في حصن للفرنسيس كان قريباً منهم وتراخي آخرون فلحق بهم الامير واكتسح اموالهم وردم عن وجهتهم فنفروا اوزاعاً في القبائل وانقتل الامير راجعاً الى بلاد اولاد خالفه من بني عامر ونزل بوادي الكيحل فحضر لديه من اعيان الدوائر رئيسهم المازري وبنو عدّه ولد عثمان ومن اعيان الزمالة رئيسهم محمد بن المختار ومحمد ولد قاسم وابن غنور وجماعة من الونازرة فامرهم ان يرتحلوا من منازلهم الى معسكر وعين تحلة العرقوب لسكنائهم فاجابو وارتحلوا حالاً واصل هؤلاء الدوائر والزمالة اخلاط من العرب والبربر كانوا يلوذون بالباي محمد حاكم معسكر وفتح وهران من يد دولة اسبانيا فلما حدث الطامعون الجارف في المغرب الاوسط في اوائل القرن الثالث عشر من الهجرة خيم الباى في ظاهر البلد وخرج الناس لخروجه فعين من هؤلاء الخدم جماعة للنزول في دائرة

خيامة فسموا دوائر وعين آخرين لحمل اثقاله واثقال عسكره فسموا بالزمالة ولما حصل
لثابتين الفرقين ما حصل من الاحترام والامتنان بين جميع الرعية باحراز مقاصدهم واستثناءهم
من سائر المطالب الميرية صار الناس من جميع الجيات يهرعون الى الدخول في
خدمتهم والانحياز اليهم فكثر عدد كل من الطائفتين وصارتا قبيلتين عظيمتين وكثر
نسلهم وقويت شوكتهم ولما انتقل الباي محمد الى وهران بعد ان فتحها انتقلوا معه
فجازوا الوظائف الجليلة والمرتب العالية وتقدموا على من سواهم من اعيان الوطن
وروسائه عند حكومة وهران فلما بدلت تلك الحكومة بدولة الامير واحسوا بانخطاطهم
عما كانوا عليه اتقوا واستنكفوا واقحموا الشدائد العظيمة التي لا يعانينا غيرهم فهلك
رجالهم ونهبت اموالهم وقل عددهم وانقطع مددهم وبلغوا من الضعف غايته ومن العوز
نهيته ثم حملتهم الافة على الانحراط في سلك الفرنسيين والدخول في عددهم فقاتلوا
المسلمين دونهم وبذلوا قوتهم في نصرتهم ولم يتخل عنهم الامير الا بعد ان اطاع على
نقائهم واعراضهم ظاهراً وباطناً عن الاسلام وطالما حاول ابعادهم عن وهران فما امكنه
ذلك ولم يزل اعقابهم ومن لم يهلك من كبارهم مع الفرنسيين لهذا العيد واما الحشم
فانهم اخلاط من انقبائل كانوا خدماً وحشداً لبني زيان ملوك تلمسان واما بنو عامر
فاصلينهم من عرب الشام ومنزلهم معروفة بفلسطين بـرج بني عامر ولما فرغ الامير من
تهييد الجهة الغربية واصلاح شؤنها ولى عليها السيد محمد البوحميدي الوهاشي وانتقل
راجعاً الى حضرته معسكر وتفرغ للنظر في احوال الجند وتكثير عدده واستكمال
عدده ولما اتصل ذلك بالجنرال دي ميشيل حاكم وهران اعز الى وكيلهم في معسكر
عبدالله بمساعدة الامير واعطائه الآراء في تحسين احوال الجند والاستعانة في تعليمه
وتدريبه وارسل من طرفه معلمين ماهرين واربعائة بارودة ومقداراً وافراً من
الذخائر الحربية وقال ان الامير مستعد للقيام باعباء الملك غير ان ذلك لا يتم له
الا بالعساكر المنتظمة والجيش المدرية واما الحشود والجموع الغير المنتظمة فلا تجدي
نفعاً ولا تستطيع جلباً ولا دفعاً فحجب الناس من نصائح هذا الجنرال ومساعدته
الامير وعدوه من شعائر الانسانية ودلائل الرغبة في دوام المواصلات والمسالمة ثم ان
الامير وجه خليفته على بسكره والصحراء السيد محمد الصغير ابن عبد الرحمن ومنعه السيد
محمد بن كانون الى احمد باشا باي تونس واصحبها بسيف مرصع بالجواهر وخيول
بسروج مذهبة وآلة شاي من الذهب وغيرها ثم رجع الوفد بغاية من الممنونية متحوباً
بالهدايا السنية فتقبلها الامير قال بعض مؤرخي الافرنج وبهذا الاتفاق انتهت احوال

العرب للتقدم والنجاح ثم في اواخر شهر آب وفد الشيخ ابن الغاري رئيس قبيلة انكاد حليف الدوائر على الحضرة وابن عربي مظهرًا للخضوع والطاعة ومعه صهره محمد بن المداح رئيس قبيلة اولاد خويدم وقد تور بن المختي وروساء البرجية فانزلهم الامير في دار الضيافة وقدموا كلهم في وقت واحد كأنهم على ميعاد وفي ثاني يوم وصولهم اذن لهم الامير في الدخول عليه فبشّ في وجوههم واحسن السؤال عنهم وبعد ايام اذن لهم في الانصراف الى اهلهم سوى ابن عربي وصهره وشيخ انكاد ابن الغاري فانه امر بحبسهم حتى ينظر في امرهم ومن الاتفاق العجيب انه حدث الوباء المعروف بالريح الاصفر تلك الايام فمات به ابن عربي وصهره ابن المداح وبقي ابن الغاري ففر من السجن وكان دس الى اهله ان يأتوه بفرس ليهرب عليه نظرًا لشيخوخته وعين لم الوقت والموضع الذي يلاقهم فيه ففعلوا فقبض عليهم العسكر بالليل وذهب ابن الغاري وخادمه الى الموضع الذي عينه لاهله فلم يجدهم ولحق بحرش بلد المشارف علي مسافة قليلة من الحضرة فاقام به ينتظر اهله ولما طال عليه الحال بعث خادمه لياتيه بما يقوته فقبض عليه المشارف وسالوه عن حاله فاجاب انه غريب سائل ثم قويت الشبهة فيه فضيقوا عليه فاقر بامرهم ودلهم على سيده فقبضوا عليه واحضروه بين يدي الامير فامر به فعلق على سور البلد وعلق خادمه بجانبه ولم يزل الامير جائلاً في ميادين هذه المقاصد متواصل الحركة في درء المنافسد تارة بالطنع والاشخان وتارة بالوعظ والاحسان علي حسب ما يقتضيه الحال والزمان الى ان استقامت الامور وامنت السبل وارتفع الشقاق وارتاحت الافكار واشتغلت الرعية بما يعينهم من زراعة وتجارة وعمّ الامن البراري والقفار قال بعض المؤرخين بانغ امر بلاد الجزائر في الامن الى حالة لو سارت البنت البكر الجميلة في صحاريها وقفارها حاملة نقائس الجواهر على راسها لا تجد من يسألها فضلاً عن يتعرض لها بسوء وتعطرت المحافل بذكر الامير عبد القادر ورمقته عيون التعجب لما وصل اليه مع حداثة سنه من الامر المدهش الذي لم يكن مظهرًا عند من يعرف احوال بلاد الجزائر وضغائن اهلها وعدم انتظام امرهم ثم قال وكان الامير تحافظًا على اقامة الحق ناشراً لواء العدل على عموم الرعايا يجري القصاص الشرعي والسياسي على اصحاب الجنايات بما يستحقونه لا تاخذه في ذلك لومة لائم وكان الناس يقبلون احكامه ويتلقونها بانشرح صدر وطيب نفس وقال غيره بعد ذكر ما جرى بين عساكر الامير والخوارج ان همم الامير عبد القادر لم تقتر في اثناء ذلك عن السعي بما فيه راحة البلاد فانه رتب

سائر ما يلزم من الخلفاء عنه والولاة ووطد الراحة العامة والحق يقال ان الحصول على ذلك في مثل تلك الاوقات امر عظيم جداً وهو دليل كاف على عظم همته فانه قطع ما يوجب سقوط امارته وحول احوال البلاد من العسر الى اليسر ومن الاضطراب الى السكون في مدة عشرين شهراً من يوم بيعته وابتداء دولته وقال ومن العجب ان تمكن امارته كان بقوتين قوة رغبة وقوة رهبة الا ان القوة الاولى كانت هي المعول عليها ولذا كان الاكثر من سكان البلاد يطيعونه بخلوص ووداد وقال بلغ الامير عبد القادر في الفطنة والدهاء ما لم يبلغه غيره من امراء العرب وناهيك به من امير جليل تلطف في الشروط التي قررها في عقد المعاهدة واطهرها في اسلوب عجيب حتى ان الجنرال دي ميشيل لم يتوقف في قبولها ولم يتلثم سيف الموافقة عليها بل اجراها وامضاها في الحال ثم ظهر له منها ما تركه في حيرة من امره وعلم ان الامير قد خدعه والحرب خدعة فمن ذلك ان جميع المعاملات التجارية تكون في مدينة ارزيو لا في سواها من الاساكل وانها تكون تحت نظره لا مدخل للفرنسيين فيها وان جميع ما يرد من الداخلية لا يباع الا في ارزيو ولا يشحن الى بلاد اوربا الا منها واما وهران ومستغانم فلا يرد عليهما من الداخلية الا ما تقضي به حاجة اهلهما فاعتمد الوكيل خليفة ابن محمود في ارزيو على هذا وجعله نصب عينيه واستقصى في اجرائه وافطر حتى انه منع غيره ان يشتري شيئاً من واردات الداخلية وانما هو يشتري من الباعة ما يجلبونه الى البلد ويشحنه على حسابه الى بلاد الافرنج فغضب لذلك تجار فرنسا ونقموا على الجنرال دي ميشيل ظناً منهم ان ذلك عن اذنه وبرخصته فرفعوا امرهم اليه فانكر ان يكون ما يفعل الوكيل منه ثم انه اجري ما ارضى الطرفين وذلك انه ابقى للوكيل ما يرد عليه من واردات الامير المخصصة به من املاكه وما سوى ذلك جعله حراً لا يختص باحد دون آخر قال وكان الامير نبه على وكلائه ان لا يقبلوا رجوع المسلمين الذين هاجروا من وهران ومستغانم وارزيو فكانوا يمنعون كل من رجع من اولئك المهاجرين ان يدخل الى احدى هذه المدن ويجبرونهم على الرجوع الى داخلية البلاد وساعدهم ما ذكر في الشرط الثالث من شروط المعاهدة ثم اتصلت اخبار هذه الاجراءات وامثالها بدولة فرنسا فكبر عليها الامر ولعدم اطلاعها على احوال البلاد توهمت ان الامير يراجع امير مكة المكرمة ويطلب منه الامداد فانحبت لمراقبة اعماله وحركته غلاماً فظناً اسمه روس ليون وسنه نحواً من عشرين سنة وهو من عائلة شهبيرة في فرنسا وارسلته صحبة ابيه الى الجزائر بعد ان علمته بالامر المهم المرسل لاجله وهو

تحقيق احوال الامير ومراقبة حركته فلما وصل الى الجزائر تلمظف حتي وصل الى الامير واسلم علي يديه فامر الامير بعض النقباء بان يقرأ القرآن وآداب الشريعة والعقائد الدينية ويعلمه اللغة والكتابة العربية ولما تعلم احضر الى الامير فتعجب من اعنائه وذكائه ثم زوجه واستعمله في كتاباته الخصوصية تاليفاً له وتشويقاً لغيره فقام باداء وظيفته اتم قيام ولازم الامير في اغلب المواضع وخاض بعض المعامع ودام على هذا الشأن مدة من الزمان ولما احكم التدبير في امر الولوج شرع في التفكير باتمام العمل وسرعة الخروج فكتب كتاباً بما اراده الى امير مكة المكرمة وقلد خط الامير في الامضا وبخاتمه الخصوصي ختمه وترك الامير مشغولاً بالحرب مع فرنسا في بعض الوقائع فانتهاز الفرصة وآب الى معسكرهم راجعاً ومنه توجه الى باريس واخبر الحكومة بما فعل فاصحبه بهدية ووجهته الى مكة ولما قابل الشريف محمد بن عون وسلمه الكتاب والهدية اعتبره واكرم نزله وبعد ايام سلمه الجواب مع هدية لائقة بالامير ثم وادعه وامره بالمسير فانقلب راجعاً وكان مضمون الجواب اهداء السلام والدعاء بالتوفيق وبلوغ المرام فعند ذلك تحققت الحكومة انفرنساوية ان لا تخايرة بينهما في امور سياسية وقد الف روس تاريخاً سماه ثلاثين سنة في الاسلام اودع فيه من اخبار الامير ما حسنه وزينه ثم امرت الجنرال دي ميشيل ان يبعث من طرفه الى دار الامارة بمعسكر مراقبين مستعدين لالقاء الدسائس في قلوب اعيان الرعية فجاءوا اليها في صورة متفرجين وجعل امرهم الى وكيلهم عبدالله فاحس الامير بهذه المكيدة وتنبه لها واخذ حذره منها فسد على المراقبين طرق شبايحهم وقصر يد الوكيل وايديهم عن الوصول الى مرادهم وبالجملة فان آمال الرئيس التي كانت تتعلق بحصول الراحة لهم واللقاء اندسائس المؤثرة في قلوب رعايا الامير خابت وذهبت سدى ثم ان دولة فرنسا بعثت جماعة من اعيان امرائها الى الجزائر في السادس من ربيع الاول سنة احدى وخمسين والثالث من يولييه سنة خمس وثلاثين وثمانمائة والف وجعلت اليهم النظر في امورها وعند وصولهم اليها تذاكروا فيما انتجته حروبهم من المنافع والمضار ثم تناوضوا فيما يلزم استعماله لتوطيد سلطتهم في البلاد واتفقوا على وضع حكومة عسكرية تحت زدة سياسة مخصوصة في الجزائر وسائر المواطن التي استولوا عليها في الساحل فصدروا دولتهم باجراء ما اتفقوا عليه وتعين الجنرال الكونت ديروان ودولون واليا على الجزائر وعزل الجنرال دي ميشيل عن وهران وقد سمعت من الوالد رحمه الله ان سبب عزله انه بلغ دولته بان مراده الدخول في الاسلام فعزلوه حالاً وولوا مكانه الجنرال

تريزيل وامر بدوام المحافظة على المعاهدة والرعاية لما ولما كان ميالاً بالطبع الى الخصام جلاباً لاسبابه جرى في ظاهره على ما تقتضيه اوامر دولته وفي سره على مقتضى طبعه واتفق ان اهل تيطرى بعثوا يبعثهم الى الامير واوفدوا عليه مشيختهم فاتصل به خبرهم فوجم لذلك ورأى انه قد تهيأ له الوصول الى ما يريد من نقض المعاهدة التي عقدها الجنرال دي ميشيل لثقل امرها عليه وتغالفها لمرامه وجاءته رسل ابن اسماعيل وقومه يعرضون عليه امرهم ويعدونه باداء الطاعة عند اول فرصة نتهياً لم ففرح لذلك ثم ان الامير بعث وزير الخارجية الميلود بن عراس الى والي الجزائر ليبلغه التهنئة والتبريك بالولاية ويرى ما عنده في امر الوطن واصحابه مكتوباً اليه ملخصه بعد التحية ان معتمدي ابن عراس وجهته الى حضرتكم ليبلغكم التهنئة والتبريك من قبلي بالولاية على الجزائر . ولقيامي بالمحافظة على امور المعاهدة اوعزت اليه ان يفاوضكم في امور تعين على اجرائها لتوطيد الراحة في جميع المقاطعات الداخلية في السهول والجبال والسواحل التي على ساحل الجزائر وجوارها ووهران والمدينة وخشيت ان يكون ذلك سبباً مكدرًا لما بيننا من المصافاة . ومراد الامير من هذه ان يثبت بوسيلة خفية امارته على جميع الاقليم ما عدا الاربع مدن التي بيد الفرنسيين . وصار ينتظر الجواب معتمداً ان اجابه برفض قبول المداخلة مع العرب الذين هم خارج وهران ويحبيه باه لا يعنيه التعرض له بمن لا يعنيه امرهم على انه يعلم من الجواب هل يمكنه ان يملك اقليم تيطرى بدون مجاوزة حدود المعاهدة ام لا فلما وصل ابن عراس الى الحاكم اكرم وفادته والان له الجانب وكان جوابه الامير بعد اداء واجبات التعظيم . قد وصلني مرسومكم . وبلغني معتمدكم ما تعلق به ارادتكم في الجهة الشرقية وحيث ان جل مقاصد سموكم توطيد الراحة العامة كما هو المطلوب والمرغوب فيه عند دولة فرنسا ورجالها فلا نتوقفوا واني اومل نجاح مقاصدكم ورفاهية شعبكم وسعادة البلاد ولك ان تعتقد بانك لا تقاوم في كل ارض لقصد الاستيلاء عليها بشرط ان تكون لك قوة على اخذها قال بعض مؤرخيهم ان قرب عند الجنرال بدخوله الى الجزائر والياً عليها وعدم معرفته بدهاء العرب وطرق حيلها وخلو مجلسه ممن يشير عليه بالراي ويوقفه على خفايا احوال البلاد هو الذي حسن له هذا الجواب مع ما اوصته به دولته عند تقليده الولاية بقولها يلزمك ان تحافظ على مسألة الامير عبد القادر في سائر الاحوال وان لا تجري امراً ما يوجب اغبرار خاطره واياك ان تعاطى حركة ثقفي عليك بطالب العسكر من هنا مطلقاً ثم ان الامير لما رأى ان لا شيء يمنعه من اجراء ما عزم عليه

اعتمد على التوجه الى تيطرى فتمعه حدوث الريح الاصفر حينئذ في البلاد وبعد زواله تاهب للسفر وكتب الى حاكم الجزائر يخبره بذلك وكان بعد رجوع ابن عراش بعث اليه بصورة الشروط التي ابرمها مع دي ميشيل في المعاهدة فباله امرها فلما اتصل به خبر المسير غضب وكتب في الجواب ما نصه قد فحمت ما تضمنه تحرير سموكم والذي انظره ان هذا العزم خال من الصواب وليكن في علمكم ان الجنرال دي ميشيل لم تكن له سلطة ولا حكم الا على ايالة وهران ولذلك لم يتعرض لما يتعلق بباقي الولايات ومهما توسعت دائرة التأويل فيما جرى في معاهدة الثامن والعشرين من فبراير فلا يكون لكم طلب الا على ايالة وهران وبناء على ذلك فلا نسمح لكم ان تدخلوا ايالة تيطرى ولا ان تتجاوزوا وادي شلف شرقاً ونهر ارهيو الى كوجيله وبالجملة فلكم ان تحكموا في البلاد التي هي لكم الان بحسب شريعة الاسلام وبذلك نكون اصحاباً ولا اقدر ان ارخص لعاكركم ان تدخل الى ولاية تيطرى لان كلما يجري هناك يختص بي واني مستمر مع ساكني الاقاليم على السلم ومعتمد على تعيين مراكز فرنسوية في البلديات وبوفاريك متى رايت ذلك مناسباً لصالح فرنسا فاجابه الامير قد وصلني تحريركم وتعجبت مما ذكرتموه فيه ثم اقول ان مربى افكار حضرتكم بعيد عن الاصابة لان تحافظي على السلم لا يجلبها احد ولولا ذلك ما احتجت الى مذاكرتكم فيما اجرته في وطني وقصارى الامر انه لا يبعد ان يكون بعض اهل الفساد اتقى في ذهن حضرتكم ما اوجب ان يكون جوابكم على هذا الاسلوب وعلى كل حال فاني عدلت الآن عن النهوض الى تيطرى ابقاء للسلم ورعاية له ثم ان اهل تيطرى لما طال عليهم الامد وتاخر عنهم الامير في انجاز الزعد ولوا امرهم رجلاً من غز مصر يقال له الحاج موسى بن حسن ويعرف بابي حمار لارمانه على ركوب حمار له قد جاء الى تلك الولاية واستوطن بلاد اولاد نائل منها واطهر النسك والصالح وانتحل تلقين اوراد الطريقة الشاذلية فاجتمعت عليه كلمة اولاد نائل وغيرهم من قبائل تلك الناحية وزحف بهم على مدينة المديّة وهي حاضرة الولاية فدفعه اهلها واطلقوا عليه مدفعاً كان عندهم من ايام الحكومة الجزائرية فانكسروا ففعلوا ذلك كرامة له ودانوا بطاعته وادخلوه الى البلد ثم انهم نظروا الى مدفعهم فوجدوه متداعى الاجزاء من قبل اطارقه فلما استعملوه تفرقت اجزؤه ولما شاع امره واتصل خبره بالدوائر والزماله وهم في منازلهم قرب تلمسان نبذوا طاعة الامير ونكشوا عهده وارتحلوا من منازلهم الى قرب وهران ولحق رئيسهم ابن اسماعيل بالكول اعلان في قصبة المشور من تلمسان فاهتز

تريزيل حاكم وهران لذلك فرحاً وطار الخبر الى الامير فتغافل عنهم واقام ينتظر ما يفعله حاكم الجزائر مع ابي حمار المستولى على الولاية التي ارعد وابق في امرها ولما رأى الامير ان الجنرال تصامم عن ابي حمار ولم يتعرض اليه احتشد الجيوش وعرض عساكره النظامية واحلح خلائهم وضرب معسكره العام في حبرة لنظر اخيه الكبير السيد محمد سعيد لمراقبة الفرنسيين من جهة مستغانم وارزيو واوعز الى البوحميدى والى تلسان ان ينحدر بجموعه الى نواحي وهران ليشغل حاكمها ويقف في وجهه ونهض هو في عساكره النظامية وحشود الجبهة الشرقية قاصداً تيطرى بعد ان علم الجنرال بذلك في اواخر كانون الاول سنة اربع وثلاثين وثمانمائة وان توجيه ضروري لتوطيد الراحة في تلك الجهة وقطع الحركات بين القبائل ولما قارب بلاد العرب صبيح تعرضوا له وطالبوا جائزة الطريق جرياً على عادتهم مع حكومة الجزائر فكبحهم واعظم النكابة فيهم فاذعنوا للطاعة ثم احلح ببلاد جندل واتصل خبره بابي حمار فجمع اعيان عشوده وخطب عليهم ووعدهم بالظفر وقال لم آية صدقه ان مدفع ابن تحي الدين لا يعمل فيهم وان باروده عند المواجهة يصير ماء ومثل هذه الترهات ثم كتب الى الامير يدعو الى الجهاد فاجابه ان هذا غير ممكن الآن لكوني عقدت معاهدة مع الفرنسيين واما انت فان كنت مستعداً لذلك وعزمت عليه فشأنك وما تريد فلما اطالع على هذا الجواب كتب اليه يدعو الى بيعته فاجابه اني مباع من اهل الوطن فان كنت بيدك اوامر سلطانية فاظهرها حتى نراها فان وجدناك صادقاً تقدم لك الطاعة امثالاً لامر السلطنة العظمى والا فالف الذي تراه اعظم مما تسمعه فلما بلغه هذا الجواب استشاط غيظاً ونهض من المدينة في جموعه للقتال وتزاحف الفريقان في بلاد وامري وكان الامير عند ما شاع ما القاه هذا المدعى على جموعه من الخزعبلات خطب على عسكره بقوله الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله واصحابه اما بعد فاعلموا ان الحق تعالى قلني هذا الامر للدفاع والذب عن الدين والوطن وقد بلغكم خبر هذا الرجل فان تركته وشأنه اخاف على الوطن ان تغتاله غوائل الفرنسيين على حين غفلة وينشا عن ذلك من المفاسد ما يعسر علينا اصلاحه واطال في هذا المعنى ثم قال هذا واني اختبر امره الذي كاد ان يوقع في قلوبكم ما يوئل بكم الى تشتيت الشمل وتبديد الجمع وذلك اني اطلق عليه مدائعي فان كان الامر كما زعم فاننا اول مطيع له بعد اختبار احواله من جهة الشرع وان كان الامر بخلاف زعمه فهو دجال من دجالي هذا الوقت ثم امر بالزحف واطلاق المدافع على ابي حمار فلما اطلقت القلل على جموعه انهزموا وولوا مدبرين لا يلوي احدكم على الآخر في تلك الجبال والودية

وفره تاركاً نساءه واولاده وسائر ما كان معه من الذخائر والمهمات واتخذت العساكر في تلك القبائل الغالة عن سواء السبيل قتلاً وسبياً ثم صدر الامر بالكف عنهم بعد ان لاذوا بالطاعة وكان سبيهم قد ارسله الى مليانة فرده عليهم وجاء الطلب من ابي حمار في رد نساءه واولاده فردوا عليه ثم ارتحل الامير الى المدينة فدخلها وادى اهلها واجبات الخضوع واسترسلت عليه الوفود من جهات الولاية وقاصيتها لاداء البيعة فبايعوه عن انفسهم وعمن وراءهم وبعد ان اصلح شؤونهم وثقف اطراف الولاية عقد عليها للسيد محمد البركاني من اعيان اشرافها ولما شاع خبر هذا الاستيلاء واتصل بالجنرال تريزيل حاول ان يتخذه وسيلةً لنقض المعاهدة فجمع مجلسه وفأوضهم في ذلك وقال ان امير العرب عبد القادر تجاوز الحدود المقررة له فمن المتعين علينا ان نهاجمه في دار ملكه فاستحسنوا قوله ثم بعث بهذا النص الى حاكم الجزائر فابي ذلك ونقمه عليه واطلع مجلسه على ذلك وقال اني لست مأموراً من الدولة بنقض المعاهدة ولا مستعداً الآن لفتح باب الحروب ويجب ان تتنازل ونسعى في تجديد المعاهدة مع الامير ما دام في المدينة التي استولى عليها وعلى ايلاتها ونضرب صفحاً عن تعرضنا له لعدم مساعدة الوقت على مناجزته فوافقوه على ما قرره ثم حرروا شروط المعاهدة وبعثوها صحبة القبطان سنت ايبوليت والموسوي ابن دران واصحبها الحاكم بهديا فاخرة الى الامير . وصورة الشروط التي انتخبها الحاكم اولاً يعترف الامير براسة ملك فرنسا على افريقية ثانياً تكون سلطنة الامير عبد القادر محصورة في اباله وهران المحدودة بنهر شلف ونهر ارهيو الى كوجيله ثالثاً تعطى الرخصة العامة للافرنج في السفر في سائر جهات بلاده رابعاً اعطاء الحرية التامة للتجارة في الداخلية خامساً لا يصير تسليم ولا استلام شيء من الاغلال والبضائع الا من الاساكل التي بيد الفرنسيين سادساً يدفع الامير عبد القادر ضريبة سنوية للدولة مع وضع رهائن للامن على ذلك . فلما وصل الرسولان الى الامير في مدينة المديه وكان على ادية الرجوع الى دار ملكه رحب بهما واكرم وفادتهما وعرض عليهما ان يصحباه الى الحضرة فاجاباه الى ذلك ونهض من المدينة راجعاً والرسولان في معيته قال بعض مؤرخي الافرنج وقد حصل للناس تاثير عظيم من ذلك واستدلوا به على عظام ملك الامير وحسن سياسته حتى انه جعل ضباط الفرنسيين يسافرون معه ويقصدون عرش ملكه ولما كان الامير في المدينة كان في معيته خليفته السيد محيي الدين بن علل والي مليانه فلما بلغ في مسيره الى وادي الفضة اعطاه الاذن بالتوجه الى ولايته واستمر سائراً الى معسكره

العام في هبة ففضة وارتحل ال معسكر ودلائل اللطف والوداد نتجدد لاولئك الضيوف من قبله وبعد ايام سلمها رقيماً الى حاكم الجزائر وضمنه الشروط التي رغب في عقد المعاهدة ان يكون عليها وبوجوبها وهذه صورتها . يشترط ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين . اولاً ان تبقى جميع الايالات الخاضعة له تحت سلطته وحكمه كما ان المدن التي استولى عليها الفرنسيس تبقى على حالها في ايديهم ثانياً ان ولاية المدية ومليانه عند عزلهم تبعث اسماءهم الى الحاكم العام ليعرفهم وتكون المواصله مع الامير بواسطتهم ثالثاً ان التجار يكون حراً للجميع رابعاً ان الفرنسيس يكرمون العرب كما ان العرب يكرمون الفرنسيس في جميع الاماكن خامساً ان الامير له ان يشتري من الجزائر بواسطة وكيله فيها سائر ما يحتاج اليه من الآلات والمهمات الحربية سادساً ان الامير يرد جميع الفارين اليه من الفرنسيس كما ان الحاكم العام يرد الفارين اليه من العرب سابعاً ان الامير اذا عزم على السفر الى قسنطينة او غيرها يخبر بذلك الحاكم العام مع الافادة عن سبب ذلك السفر . فلما اتصلت هذه الشروط بالحاكم اظهر السكون اليها وفهم من فحواها ان الامير جانح لعقد معاهدة جديدة فسافر لوقته الى وهران وبعث اليه لاول وصوله يخبره بقدومه اليها ليكون قريباً منه تيسيراً للمخاطبة وكتب اليه ما نصه بعد التحية والعظيم قد وصلني رقيم سموكم من يد رسولي القبطان سنت ايوليت وفهمت منه ما في افكاركم ولاجل ان اتمكن من اجراء المخاطبة معكم بوجه السرعة حضرت الآن الى وهران في السابع عشر من صفر سنة اثنتين وخمسين واليوم الرابع من يولييه سنة ست وثلاثين وثمانمائة والف . فاجابه الامير يهنئه بوصوله وكان الحاكم ينظر الجواب بغير ذلك حيث انه كان يتقن ان يدعو الامير الى الاجتماع ثم ان الجنرال تريزيل انكر على الحاكم قدومه الى وهران وقال له لا اجد لزوماً لحضوركم لانني انظر ان ذلك مما يدل على ضعف احوالنا وايضاً فان دنوكم من الامير يكون كالمصادقة له على سائر تصرفاته فاثر ذلك في الحاكم وانقلب راجعاً الى الجزائر قال بعض مؤرخي الانكيز عند ما تعرض لذكر شروط الامير ان معاهدة كهذه جاء بها القلم الخفيف لتنقض حقوقاً عظاماً ونشأ اوجدها السيف البتار لا بد انها تعتبر فتحاً لباب الحرب وفي الحقيقة انها كانت نتيجة سياسة الامير حيث علم انه بعظم اهمية قوته تقوم هذه المعاهدة وعلم ان تلك القوة تائيه باستقلالية تامة سواء اشترط او اشترط عليه ولذلك وصف نفسه في تحريره الى الحاكم بناصر الدين ثم ان الحاكم لما وصل الى الجزائر امر الجنرال تريزيل ان يعتني دائماً باستجواب صداقة

الامير والاتحاد معه فاستشاط تريزيل لذلك غيظاً وامسى متحيراً بين كونه يخضع
 لاوامر الامير ويطلب رضاه في كل الامور المتعلقة بداخلية البلاد وبين كونه يضع
 نفسه في حالة يتمكن بها من الاستقلال في عمله ثم كتب الى الحاكم يخبره بنزوع
 الدوائر والزمانة الى الخضوع لدولة فرنسا وانهم طلبوا منه ان يأذن لهم في النزول بارض
 مسركين خارج وهران وان يعين لهم فرقة من العسكر لحمايتهم وحيث ان الحاكم كان
 مؤيداً في الحصول على المعاهدة اجاب الجنرال ان يترص في امرهم وان يكون معهم
 على حالة تحتل قبول طلبهم ورفضه ولما اتصل ذلك بالامير كتب اليهم . اما بعد
 فليكن في علمكم جميعاً انه قد طالما نتحناكم ووعظناكم وينا لكم ما يجب عليكم شرعاً
 ان تفعلوه او تتركوه فلم تقبلوا ذلك ولم تلتفتوا اليه والان بلغ السيل الربى فلا بد ان
 ترجعوا عن غيركم وتسلكوا جادة الاسلام التي مضى عليها ابائكم وتتركوا منازلكم
 التي انتم فيها الان وترجعوا الى منازلكم الاولى بقرب تلمسان والا فلا تلوموا الا انفسكم
 لما يحل بكم من الانتقام بحول الله وقوته قال بعضهم ولما بلغ هذا الكتاب اولئك القوم تحيروا
 في امرهم . وصاروا بين امرين خطرين . اما الانقياد الى الطاعة والرحيل من منازلهم
 الجديدة وقلوبهم تأباه واما اشهار ما هم عليه من النزوع الى الفرنسيين والانفصال عن
 المسلمين . ثم ترجع عندهم الاخير . وارسلوا وفدهم الى الجنرال تريزيل فاطلعوه على
 حقيقة امرهم وطلبوا منه انجاز ما كان وعدهم به فاجابهم الى مطالوبهم وخرج مسرعاً
 الى مسركين حيث مخيمهم فلقاه رؤساؤهم وقدموا اليه طاعتهم وعقد عليهم شروطاً وهي
 اولاً تعترف القبائل برئاسة ملك فرنسا وتلجئ تحت حمايته ثانياً تخضع القبائل لمن يوليه
 عليها من روءساء الاسلام ثالثاً تقدم القبائل في الاوقات المينة المرتب الذي كانت تقدمه
 الى بكوات الترك رابعاً يكون اقتبال الفرنسيون جيداً عند القبائل كما يكون اقتبال
 القبائل عند الفرنسيون خامساً تجارة الخيل مع سائر المواشي وتجارة المحمولات تكون
 مطلقة لكل انسان عند القبائل . اما البضائع التي تعين للوسق فلا يصير وسقها الا
 من المراسي التي يعينها الحاكم العام سادساً لا تكون تجارة الاسلحة وسائر متعلقات الحرب الا
 بواسطة ماموري الفرنسيون سابعاً تلتزم القبائل بتقديم نخبائها متى دعاها والي وهران الى
 غزوة حربية في اقليم افريقية ويكون للفارس فرنكان وللماشي فرنك كل يوم وكل واحد
 منهما يحمل في الاقل خمس فشكات ويعطي من الترسخانة عشر فشكات . وكل من يقتل
 حضانه في الحرب يعطى بدله ثامناً ان لا تتعدى القبائل على من يجاورها من القبائل فان صار
 تعد منها عليها حينئذ تعلم والي وهران ليحضر حالاً للجدتها تاسعاً متى ذهبت العساكر الفرنسية الى

العرب يعطي لهم كل ما يحتاجونه من المؤنة بالثمن العادل عاشرًا الاختلاف الذي يحدث في القبائل ان كان في قبيلة واحدة يصرفه قاضيها . وان كان بين قبيلتين يصرفه قاضي وهران الحادي عشر ينتخب رئيس من كل قبيلة ويسكن مع عائلته في وهران فقبلوا هذه الشروط وصادقوا عليها . ولما رجع الى وهران بعث الى الحاكم يخبره بما اجراه مع اولئك المنتصرة . وارسل اليه صورة ما اشترطه عليهم فلم يحز القبول ولا وقع موقع الاستحسان . وبعث اليه الجواب بما حاصله . وصلني تحريك مع صورة الشروط التي اجرتهام مع قبيلتي الدوائر والزماله وهذا العمل وان يكن سيمود على فرنسا بالنجاح فانه سيكون لا محالة مانعًا لامضاء المعاهدة المنتظرة مع الامير عبد القادر وقد رجع الى ابن دران الموسوي اجراء ما نبتغيه من الامير . وبالجملة فاني ارى عملاك هذا لم يوافق طريق الصواب . قال المؤرخ المذكور فغضب تريزيل لهذا الخطاب . وكان جوابه الى الحاكم . قد وصلني تحريككم وفهمت منه ان وساوس ابن دران الموسوي كادت توءثر فيكم والذي اقله ان هذا الرجل لم تكن له خبرة ولا عنده وقوف على بواطن الامير عبد القادر وان التربص بهذا الامر مما يزيد ملك هذا الامير قوة جديدة وخلاصة الامر ان ما اجرته مع الدوائر والزماله لم يكن مخالفاً لاوامر مجلس وزارة الحرب في باريز وان كانت افكاركم تابه افكارهم فكموا برد ورقة الشروط مع تعيين من يخلفني في وهران فلما اطلع الحاكم على هذا الكلام علم انه قد اخطأ في اجتهاده وان تريزيل اكثر اطلاعا منه على غوامض امور العرب ومع ذلك فانه لم يباس من الحصول على ما رغب فيه من اجراء المعاهدة مع الامير قال وكان الامير يجنب كل امر يكون سبباً في نقض المعاهدة الاولى حتى انه دائماً يصدر اوامره الى خلفائه بذلك ثم كتب الى الحاكم محتج عليه فيما اجراه تريزيل ويقول له قد ارتكبتم ما يؤذن بنقض المعاهدة التي عقدناها مع الجنرال دي ميشيل وارتبطت بها دولة فرنسا واعتمدتها ومن جملتها ان لا تقبلوا من يلتجئ اليكم من العرب كما اننا لا نقبل من يفر اليها من الفرنسيين فجاء الجواب من الحاكم محتوياً على تخادعة ومحاولة وصوته . اني اوضح اسموكم ان المعاهدة التي رغبنا في اجرائها الآن معكم لا تكون مخالفة للمعاهدة التي وقع عليها الاتفاق مع الجنرال دي ميشيل سابقاً نعم ان لفظة هارب المحررة في صك المعاهدة السابقة لم تفهم منها العموم اذ ربما يكون الهارب ليس في نيته الالتجاء وانما قصد بسكناه عندنا ما هو جار بين الناس من تفضيل ولاية على اخرى وهذا اظنه لا يضر ولا يكون فاتحاً لابواب الخصام الذي لا شك انه يكون متمقوتاً عند اصحاب السلم

العام هذا وانني على كل حال احافظ على تلك المعاهدة بكمال الشرف والاعتناء فاجابه الامير بقوله قد وقفت على ما حواه كتابكم والذي اقله لك الآن انك ايها الحاكم تعلم الشروط التي ربط بها دي ميشيل نفسه باذن دولته وعند وصولك الى الجزائر وعدتني بالمحافظة عليها وانك تعلم جيداً ان الحكومة الفرنسية ملزمة بان ترد الى كل مذهب التجأ اليها ولو كان رجلاً واحداً فكيف بالعشيرة والقبيلة وعلى هذا فان قبائل الدوائر والزمالة من جملة رعيتي التي احكم فيها بموجب شريعتي والان ابلاغك البلاغ الاخير انك ان رفعت الحماية عنهم فحقن على ما كنا عليه من المعاهدة التي وقع عليها الاتفاق قديماً والافاني لا استطيع نخالفة شريعتي في التجلي عنهم حتى انهم لو اعتمدوا على رايكم لضعف آرائهم وقلة دينهم ودخلوا مدينة وهران فلا ارفع عنهم يدي ولا بد ان الحقهم واطالبهم بالرجوع عن خطئهم الفادح فان كنت ولا بد معتمداً على انقاذ ما صورته افكارك من ادخالهم تحت حوزتك فاطلب وكيكم من عندي واختار لنفسك ما يحلو وميادين المعامع نقضي بيننا ومسؤولية ارهاق الدماء واتلاف الاموال راجعة اليك وعليك والله يخلق ما يشاء وينعل ما يريد

❖ ذكر انتقاض المعاهدة ❖

لما وصل الامر الى هذا الحد وعلم الامير ان المعاهدة قد طوى بساطها وانقطع نياطها فافوض اهل دولته وندبهم الى الجهاد ثم دعا روءساء الجند واعيان الحضرة الى الجامع وطلع على المنبر وخطب عليهم بقوله . اما بعد فلا يخفى ان الله تعالى قال في كتابه المجيد يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وقال وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وهو لاء القوم قد عاهدناهم فأنكثوا وصدقناهم فغدروا وصابروناهم فلم يصبروا وان تركناهم وشأنهم فلا نلبث ان نراهم قد فتكوا بنا على حين غفلة وها هم قد خدعوا الدوائر والزمالة وغيرهم من ضعفاء الدين وحازوهم اليهم فما الذي يمنعوننا من دفاعهم ومقاومتهم ونحن موعودون بالنصر على اعدائنا فيها بنا ايها المسلمون الى الجهاد وهلموا اليه باجتهاد وارفعوا عن عواتقكم برود الكسل وازيلوا من قلوبكم دواعي الخوف والوجل اما علمتم ان من مات منكم مات شهيداً ومن بقي نال الفخار وعاش سعيداً ثم هز سيفه في يده ثلاثاً ففج القوم عندهما بالتكبير وقالوا نحن على السمع والطاعة لسيدنا ومولانا ناصر الدين ثم قام اياماً ينتظر جواب حاكم الجزائر فلما تاخر عنه وجاء الامر الوكيل بالسفر الى وهران دعى وكلاءه

من مواضع اقامتهم وامر بنصب العلم الاكبر خارج الحضرة ونودي بالجهاد وصدرت الاوامر الى سائر النواحي والجبيلات بالتأهب للحرب فارتاح المسلمون لذلك واخذوا يستعدون للقتال واهتز المغرب الاوسط باهله لقتال العدو وبادر ابطاله من المتطوعة الى دار الملك

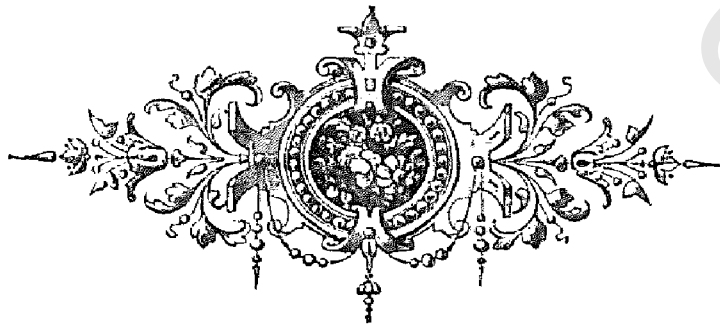
﴿ ذكر وقعة المقطع وهزيمة الجنرال تريزيل ﴾

﴿ وعزله وغير ذلك من الحوادث ﴾

ولما كان الجنرال تريزيل عازماً على تقض المعاهدة بما امكنه خرج من وهران في الرابع عشر من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين واول شهر يولييه سنة ست وثلاثين وثمانمائة والاف في خمسة آلاف من المشاة وفرقة من الخيالة واربع قطع مدافع جبلية وعشرين مركبة زاداً عدا عن المركبات الاحتياطية يقدمهم جيش الدوائر والزمالة ونزل في تليلات علي مرحلة من وهران وكان الخليفة البوحميدي في تلك النواحي مراقباً له من مدة شهور فطير الخبر الى الامير فنهض لوقته من الحضرة في نحو النفي فارس والاف من المشاة واجل بسيك عازماً على الاقامة هناك الى ان يتلاحق الناس به فعاجله تريزيل وارحل من تليلات زاحفاً اليه فعباً الامير كتابه ورتب مصافه وحضر خليفته البوحميدي في جيشه فعينه في المينة وجعل خليفته بوشقور على الميسرة وثبت هو في القلب وتزاحف الجمعان في حرش مولاي اسماعيل بالقرب من سيك وابتدأ القتال مناوشة واستمر على ذلك متواصلاً يومين وفي اليوم الثالث هجم عسكر الفرنسي على المسلمين والتحمت الصفوف واشتد القتال فارتدت عساكر الفرنسي على الاعقاب منهزمة الى داخل الحرش بدون ترتيب ولا نظام وقتل منهم على ما ذكره روا في تاريخه عدد كثير فيهم الكندان اودينو ابن الماريشال دوك دي تريجو ووقع هذا الرئيس قليلاً امام صفوفه كان سبياً في الهزيمة الشنعاء الى الحرش وحيث ان جيوش الامير اجيدهم العطش وطال عليهم القتال وراوا العدو قد انهزم رجعوا عنه ونفروا ذليلاً منهم انه يستمر منهزماً الى وهران ولم يبق مع الامير سوى عمه سيدي الجد الام السيد علي ابي طالب وهذه النادرة الاتفاقية ذكرتني ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم في غرة حنين حين تفرقت جيوشه حتى المهاجرين والانصار ولم يبق معه سوى عمه العباس اخذاً اجماع بغلته صلى الله عليه وسلم التي كان راكباً عليها يومئذ ثم ان جيوش الامير لما علموا ان العدو بات

تلك الليلة في الحرش وان الامير لم يزل مراقباً له صاروا يتراجعون اليه افواجاً افواجاً حتى اجتمعوا كلهم وتلاحقت به الجموع التي شهدت القتال بالامس وامتلاً سهل سيك بالمسلمين واما الجنرال تريزيل فانه لما رأى ان طريقه الذي جاء عليها قد سدت في وجهه انعطف راجعاً الى وهران تلى طريق اريزو ولما رآه الامير انه سلكها خف في الف فارس انتخبهم من عساكره واردف كل فارس منهم عسكرياً من المشاة وسبق بهم الى مجاز نهر هبره المعروف بالمقطع وليس لذلك النهر مسلك غيره فاحاطت جيوش المسلمين بالجنرال وعساكره واضرموا عليه نار الحرب في حال السير من كل جهة واستمروا تلى ذلك الى ان قاربوا المقطع وكان الامير وصل اليه فلما رآته مقدمة الجنرال ارتدت على اعقابها واضطرب العسكر الفرنسي وخاض بعضه في بعض واختل نظامه والجأ المسلمون الى غياض النهر واذاقوه نكل الحرب واخذوا فيه بالقتل والاسر واستولى الغرق في النهر على عدد كثير منهم واستولت الايدي على سائر العجلات وما فيها من الذخائر والمدافع واكب المسلمون على جميع الغنائم والاسرى الى الغروب وكان التعب اخذ منهم ماخذه وفي هذه الفرصة انسل الجنرال تريزيل رمن بقي معه من الجيش الى ساحل البحر ومن هناك جدوا في الحرب الى اريزو تاركين القتلى والجرحى وسائر ما نزلوا به من وهران في ايدي المسلمين وفي الساعة السابعة ايلاً دخلوا الى اريزو على اسوء حال وقد اسهب موءرخو الافرنج في هذه الواقعة ولم يخلص ما انتخبته من اقوالهم انه لما علم الجنرال تريزيل وقواد العسكر ان طريقهم التي جاؤا عليها من وهران قد سدت عليهم عرجوا على طريق اريزو فبلغهم ان الاوعار التي في تلك الجبهة يتعذر المرور فيها بركبات الذخائر ومركبات المدافع فاعتمدوا على السير فيما وراء جبال حميان ويعبرون نهر هبره ولما نظر الامير الى الطريق التي سلكوها علم انه اذا سبقهم الى المقطع يتمكن من جوزه قبل ان يصلوا اليه وبذلك يمسون في قبضته وكان الامر كذلك وقد ادرك منهم ما اراد وارتاد وقال آخر سبق الامير الى مجاز النهر وضبطه من نتائج التصورات السعيدة التي تكال صاحبها بالنجاح وقد وصل الجنرال تريزيل وجيشه الى المقطع عند انتصاف النهار بعد ان اعياهم السير ودوختهم جيوش العرب التي كانت تحيطة بهم وتجاذبهم القتال وبينما هم في حالة المدافع نظروا الامير قد انقض عليهم هو ومن معه كالعقبان على مستضعف الطيور فتجبرت عساكر فرنسا واستولى عليها الدهش ولم يجد الجنرال مسلماً يقودهم اليه ولا مغنياً يفرج عنهم ما هم فيه فاندفع آخر العسكر الى الامام والهم الى الخلف واخذ الطوبجية ذات اليمين

فغرقت عجلائهم بدافعها في تلك المخاضات المهلكة التي لا اطلاع لهم عليها من قبل
وتفرقت كتائب العسكر وانقلبت من دناء الى هناك ابتغاء الخلاص ولات حين مناص
واقتم أكثرهم مسيل النهر فاخذهم ولم يات الغروب الا وقد تشتت من بقي منهم
وتركوا موتاهم وجرحاهم وسائر ذخائرهم في يد العرب واسرعوا متسابقين الى ناحية
ارزيو دون انتظام لا يألوي بعضهم على بعض فوصلوها ايلاً في الساعة السابعة واما العرب
فانهم باتوا تلك الليلة في ابتهاج لا مزيد عليه وارنعت اصواتهم وتعالت مشاعلهم
واقاموا على ذلك طول الليل ولوصعد انسان الى الجبل لراى منظرًا عجيبًا وسمع اصواتًا
كالرعد القاصف وتراءت له هضبة مجتمعة من رؤس الجيوش الفرنسية وقال غيره
لما ارتحل الجنرال تريزيل من حرش مولاي اسماعيل قاصدًا ارزيو حشرفته جيوش
العرب عند المقطع وهو المحل الذي اعده الامير عبد القادر لدفن العساكر الفرنسية
ثم هجمت عليه جموع المسلمين يقدمها حضرة الامير كلعقبان على الطيور الضعيفة
وفي اقل زمان فتكت في العساكر فتكاً لم يعهد نظيره وكرت على باقي الجيش
فشتت شمله ولم تكتف حتى حكمت سيوفها في اعناقهم وقد حاول العسكر الفرنسي
الذي اكثره جرحي ان يفروا فلم يهندوا الى الطريق ومن اقتم النهر منهم هلك والعرب
في وسطهم كالجزر استعمل مديته في اعناق غنم محبوسة وفي وقت الغروب تلاحق
الباقون وفيهم الجنرال تريزيل في سهل ممتد على سيف البحر وساروا الى ارزيو
ولو اتبعهم العرب ما تركوا منهم خبراً انتهى





وعزاز رسم الامير
وحملته على فرنساوين في هذه الواقعة

اخبرني من يُعتمد بنبأه من اصحابي قال حدثني من اثنى بحديثه وامانه من اصحابي قال ذهبت سنة سبع واربعين ومائتين واثني مائة الى مدينة وهران بقصد التجارة بها وذلك عقب استيلاء الفرنسيين عليها قال وكنت يومئذ في سن الشباب حين بقل عذاري فاقمت بها مدة وكان الحاج عبد القادر بن يحيى الدين اذ ذاك مهادناً لكبير الفرنسيين بوهران والجزائر قد انزل كل واحد منهما بيلاً الآخر وكيله وتجاره على العادة في ذلك ايام المدة فلما كان ذات يوم ورد الخبر بان قبائلي الزمالة والدوائر من ايلة الحاج عبد القادر وهم نحو اثني خمسة قد فروا منه ونزلوا حول مدينة وهران مشجعين بالفرنسيين وقد رفعوا رايتهم واعلنوا بانهم تحت حكمه ومن جملة رعيته فبعث اليهم الفرنسيين يعلمهم بانه قد قبلهم ولا يصيبهم مكروه فلما كان من الغد بعث الحاج عبد القادر مع كبير دولته الحاج الحبيب ولد المهر العسكري كتاباً الى الفرنسيين يقول فيه انك قد علمت ان دولاء النجوم الذين فروا اليك هم ريعتي ومن اياي وعليه فلا بد ان تردهم عليّ والا فالحرب بيني وبينك فامتنع الفرنسيين من ردّهم واجاب الى الحرب واتفقوا ان يخرج كل منهما الى الآخره تجار الذين في ارضه وان من بقي منهم بعد ثلاثة ايام ندمه ددر واتفقوا ايضاً على ان يكون الوكيلان آخر من يخرج وان يكون خرجهما في ساعة معلومة من الليل بحيث يلتقيان على المدة التي بين ارض المسلمين وارض النصارى فدخلوا وخلص كل الى مأمنه ولما انقضى الاجل تراحفوا للقتال في يوم معلوم فكانت بينهم حرب يشيب لها الوليد ولما كان المساء سمع الناس من داخل البلد ضوضاء وجلبة عقيمة وباروداً كثيراً واذا بالحاج عبد القادر قد هزم الفرنسيين هزيمة شنعاء حتى الجاهم الى سور ارزيو وازدحموا على ابوابه وركب بعضهم بعضاً وجاءت خيالتهم من خلفهم فركبهم ايضاً ومشوا عليهم ورفسهم بخيلهم فهلك بهذا الازدحام من الفرنسيين نحو اربعة الاف غير الذين هلكوا خارج البلد بالكور والرصاص والتوافل والرماح واستولى المسلمون على معسكر النصارى بها فيه من مدافع وعجلات وفساطيط واخبية واثاث وكانت فتكة بكراً ثم تال لي وكنت في تلك المدة مساكناً لبعض كهراء عسكر الفرنسيين في دار واحدة فلما انقضت الواقعة بيوم اويومي سالتهم كم تراه يكون هلاك من عسكر الفرنسيين في هذه الواقعة قال اقرب لك ام ابعد قلت بل قرب قال انا كبير من كهراء العسكر وتحت نظري ثمان عشرة مائة بقي منها في هذه الواقعة ثمانية عشر عسكرياً انتهى كلام المخبر

واستشهد في ذلك اليوم العظيم من روءاء العسكر المحدثي الاغة قدور بن بحر

ومن اعيان الجيوش المتطوعة خليفة بن محمود الذي كان ايام المعاهدة وكيلاً في ارزيو
والسيد محمد بن الجيلاني الورغي والسيد محمد المشرفي في عدد من المسلمين ثم ان
الامير امر بجمع الغنائم ودفن المجاهدين وانتحل الى سيك وبعث الاسرى والغنائم الى
الخضرة وكتب الى خلفائه في مليانه والمدينة يبشرهم بما من الله به على المسلمين من
عجيب الانتصار الذي خلف لعدوهم تريزبل عند دولنه العار والشنار وبعد ان اقام الامير
في سيك اياماً ارتحل الى حضرته معسكر وكان عمه سيدي الجد علي ابي طالب
قدم اليه ثاني يوم المقطع قعيدة تهنئة يقول فيها

هنيئاً لك البشري نصرت على العدى * ودمرت جيش الكفر بالقتل والخسف
وحزت مقاماً دره كل باسل * يرى الحرب ميدان الخلاعة والتقصف
بجيش عظيم قد تفرد في الوغى * له سطوة عزت وجلت عن الوصف
فسعدني بعز مذ حلت بشطنا * تطوف بكاس الراح مخضوبة الكف
تعاطيك طوراً من لبيب ومن لظى * وآونة تاتيئك بالقرقف الصرف
ولما تولت خيلنا ورجالنا * مددنا لم ايدي النزال الى السيف
بكل جواد يسبق البرق عدوه * وآخر يطوي الارض كالريح والطرف
نهار بدا كالليل اظلم حالاً * اصبنا لم النفي قتيل مع النصف
قلبنا لم ظهر المجن عشية * فمالوا الى حب الحياة عن الحنف
وبدد شمل المشركين بنصرة * ازال غياهيب الضلالة باللفظ
امام له تبدو العالي بقطرنا * فله ذاك الفرد قد قيس بالالف
امير شريف في البرية مفرد * وفرع لمحي الدين اغنى عن الوصف
صرفنا به غم الزمان وكرهه * وغبنا عن الدهر المروع بالصرف

❖ الى ان قال ❖

وتبني اصول الحب فيك على الوفا * اذا ما بناها الكافرون على حرف
يحبيك دهر انت ظرف وداده * وما كل خل طرفه لك كالظرف
وان اخا الود الذي عم فضله * ليقنع من تلك الثمائل باللفظ
الا لا ارانا الله فيك اساءة * فدم لعروس الملاك زاهية العطف

﴿ وهنأه بعض الادباء ايضاً بمقصورة مطلعها ﴾
 هون عليّ الامر يا دهر فما * انصفني ولا قلبت المشتطاً
 عسى الذي اجذب روح مهجتي * ينصب مني روحه الوصل عسى
 او يرتضيني حضرة المولى الذي * ساوى الذي مضى وما ياتي ورا
 باهت به الاقبال عند حربيها * لما رأت نار الحروب تصطلي

﴿ ومنها ﴾

ادرك ثاراً في العدى بزمه * كعمر الفاروق فيما قد مضى
 وير امر الملك حتى شاده * برغم من عاداه من كل الملا
 جاهد في الله وامسى ضارباً * بسيفه هامات في عسكر العدى
 قاتل اهل الكفر لا يبغي بذا * الا رضى مولاه في يوم الجزا

﴿ ومنها ﴾

نفر لعبد القادر المولى السري * بقي اليوم الدين حيث الملتقي
 ابن الملوك الصيد والقوم الاولى * يروى حديث مجدهم عن روي

﴿ ومنها ﴾

رقيت يا كهف الانام للعلی * وكل باغ سقته الى الردى
 بشرى لك النخ الذي اوليته * هنئت بالنصر وادراك المنى

﴿ ومنها ﴾

نفسى لك الفدا وكل من على * وجه بسيط الارض ذاته فدا
 نعت ظلم الشرك والكفر ايا * نتيجة الدهر سليل المصطفى

﴿ ومنها ﴾

يزهو به الدهر العيوس بعدما * قد كان قدماً قبله على شفا
 ندا حداة النصر لا يجيبه * الا امير قد اجاب من دعا
 حاز الكمال كله بين الورى * علماً وحلماً ثم ما يصفا وثقى

ولما بلغ حاكم الجزائر خبر هذه الواقعة اصدر امره الى الجنرال تريزيل ان
 يتخلى عن وهران ويسلمها الى الجنرال دولورانج ويحضر الى الجزائر ففعل وطار الخبر
 الى دولة فرنسا فاحتدمت لذلك وكثر الشعب ونودي في تحالفهم ان العرب هدموا

شرف فرنسا فتحركت فيهم الحمية قال بعض مؤرخيهم قام احد الاعيان في مجلس النواب وقال ان هجوم الفرنسيين على بلاد الجزائر اراه من الاعمال الناشئة عن الطيش والموس لان سائر الاعمال الحربية فيها لم تأت بنجاح والمدن التي اسنولوا عليها لا ارى فائدة لهم في الاقامة فيها ثم قام المسيو تيرس الذي تقلد رئاسة الجمهورية الفرنسية سنة ثمان وثمانين ومائتين والف وستة احدى وسبعين وثمانمائة والف بعد حرب المانيا فقال ان غزوتنا الافريقية لا تحسب من قبيل المهاجرة ولا من قبيل المطالبة بقصد التملك وحالنا في تلك الاقاليم لا يحكم عليها بانها من احوال الحرب ولا من احوال السلم وقصارى ما اقول انها غزوة باطلة عارية عن الفائدة ولا اقول هذا طعناً في حق عساكرنا بانهم ليسوا باهل شجاعة وان قوادنا ليسوا باهل معرفة ولكن اقول ان الحرب لا يكون الا لامرين اما للفتح واما للتريية فان كان الاول فليس هذا سبيله وان كان الثاني فلم نحصل عليه ولم نصل اليه فلما سمعت رجال المجلس هذه الخطب تغيرت افكارهم وكثر الضجيج وكاد ان يخل نظام المجلس ثم اتفقوا على ان ينفض المجلس في ذلك اليوم ثم يعقد مرة اخرى ومن الغد اجتمعوا وقر قرارهم على عزل الكونت دوروان ودورلون حاكم الجزائر وتولية الماريشال كلوزيل مكانه واقرار الجنرال دولورانج على ولاية وهران وامروا كلوزيل بالحمل على معسكر عاصمة مملكة الامير عبد القادر واما الامير فانه علم ان يوم المقطع وان جاء بنصر عظيم وتأيد جسم فانه قد فتح باب حروب يشيب لها الوليد وينقاعس عن دخول ميدانها البطل الشديد فشغله هذا التصور عن التبجح بما اوقعه بعدوه واخذ يناهب للحرب ويستنهض هم المسلمين وكتب الى خلفائه ينههم ويستلتمهم الى سطوة الفرنسيين ويذكركم بشدتهم وعدم تغافلهم عما وقع بعساكرهم وكان السيد محيي الدين بن علال خليفته في مليانه كتب الى قبائل البربر المستوطنين في ساحل ولايته الدائنين بطاعة الفرنسيين يدعهم الى الدخول في طاعة الامير والتعاون على الجهاد ودفاع العدو عن البلاد وينههم من غفلتهم ويقرع اسماعهم بما صاروا اليه من الوبال والخسران في الدنيا والآخرة فقال اعلوا ايها القوم اني رايت انه من الواجب علي ان ارشدكم الى ما فيه صلاحكم والقيام بامر دينكم ولكن اخاف ان تكون آذانكم صماء عند ذكر نصائحي الناشئة عن صفاء طوبى لكم وصدق نيتي في امركم ولا شك ان الله تعالى يغضب عليكم لكونكم اطعتم عدوه الذي يعبد غيره اما تذكرون الآخرة واهولها اما تعلمون ان المسلمين كلبانيان يشد بعضهم بعضاً اما سمعتم قوله تعالى وتعاونوا

على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واي بر اعظم من اداء فريضة الجهاد
 واي اثم يقاس بطاعة الكفار والدخول في زمريهم والانحياز اليهم اما بانكم قوله تعالى
 ومن يتولم منكم فانه منهم وبالجملة فان ما انتم عليه ضلال مبين وخسران لا يقاس
 به خسران فبادروا رحمكم الله الى الاقلاع عما اوجب لكم ذلك وتوبوا الى الله تعالى
 ايها المؤمنون وهلموا الى الانضمام الى اخوانكم المسلمين وهاجروا الى مواطنهم واتركوا
 منازلكم التي هي الآن في خطر عظيم ولا يسكن خوف علي انفسكم واموالكم وانا الزعيم
 والكفيل بذلك واذا خالتم امري ولم تقبلوا نصيحتي واقمت في خدمة الكفار واعانتهم
 على المسلمين فانكم قد القيت بائسكم واولادكم الى التهلكة وعرضتموها لملت الله تعالى
 واسيوف المسلمين كما هو مقتضى الشريعة السمعية فافهموا كلامي وتعالوا ننتقى ونجتبع
 على كلمة واحدة وقلب متحد بحيث اذا حرك احدا يده تحركت جميع الايدي معه
 فافهموا وبادروا الى ما فيه وقاية انفسكم وحماية اموالكم وتقوية دينكم وما يبعدكم عن
 غضب ربكم وانظروا الى ما فعله الفرنسيس وخلفاؤه من المناقضين بعلال بن الراعي من
 التعدي على مواشيه وكراهه ظلماً وجوراً واذا وفقكم الله الى ما دعوناكم اليه وصبرتم
 اليها فانا نعوض عليه اضعاف ما اخذه العدو منه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
 فوقع هذا التحرير عند اولئك القبائل الكثيرة العدد موقعاً حسناً واجابوا جميعاً الى
 الدخول في الطاعة وهاجروا من بلادهم وفارقوا مساقط رؤسهم ولحقوا بالجيال القريبة
 من مليانه وسهولها وانخرطوا في سلك اخوانهم المسلمين ولما رجع الامير الى معسكر من
 واقعة المقطع بعث الى خليفته المذكور ان يجمع جيوشه ويغزو على الجزائر فغزاها في
 خمسة آلاف مقاتل وكان هؤلاء القوم في مقدمة الجيش ومروا في طريقهم في
 سهول متيجة واعظموا النكابة بالمستوطنين فيها وقتلوا بهم واشتقوهم بالقتل والاسر
 حتى وصلوا الى ابواب مدينة الجزائر ثم انقلبوا بها في ايديهم من الاسرى وضروب
 الغنائم من الامتعة والمواشي واوعز الى خليفته البوحميدي في تلمسان ان يجمع الجيوش
 وينهض بهم الى منازلة وهران فنازلها وضرب الحصار عليها وقطع عنها مواصلة المستنصرة
 قال بعض مؤرخي الافرنج وبجسب الامر فعل البوحميدي جميع ما امر به الامير
 وصار الفرنسيس داخل وهران في اشد الضيق الا انهم احسن حالاً من اسرى الحرب
 وكاذ الامير ان يحقق قوله انه لا يسمح للطير ان يحول من غير اذنه فوق المدن التي
 استولى عليها الفرنسيس الذين امسوا كالمفلول يطلب الخلاص من قيوده يتنفسون الصعداء
 وانتفتت اكبادهم غضباً واقاموا يترقبون وصول المدد مع اوامر الهجوم لبندفعوا على

ذلك الأمير الذي رماهم بسهام نباحته المدحشة انتهى واستمر الأمير في معسكر ينتظر ما يحدث من دولة فرنسا وفي الثامن والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين والثالث عشر من أغسطس سنة ست وثلاثين وثمانمائة والف وصل الماريشال كلوزيل والدوق دورليان ولي عهد ملك فرنسا الى الجزائر مع مقدار وافر من العساكر فتلقيا بالأكرام واصطف لهما الجنود عند باب البحر بالزينة الكاملة ومن الغد جلسا لقواد العسكر واعيان البلد واطلمعهم الماريشال على اوامر الدولة بولايته على مدينة الجزائر وعلى حرب الامير واخبرهم ان ابن الملك انما حضر معه ليراقب اجراء الاوامر ففج انقوم استحسننا لذلك وانشدوا الاشعار المديحة المشهورة بغناء الجزائر لاختذ الثار فوهم الماريشال لذلك واخذ ينكلم عليهم فيما يفتتح به امره وقال اول ما نبتدا به ان نرحف بجيوشنا على عاصمة الامير وان ساعدنا الوقت في الاستيلاء عليها نتمكن من اخذ الثار ونشفي انفسنا من العرب ثم نعقد مع الامير عبد القادر صلحا باتا لكل نزاع فضجوا في تخافهم وكثر تصفيقهم استحسننا خطابه ولما رأى ارتياح القوم لما القاه اليهم وشاهد منهم النشاط لاختذ الثار يوم المقطع واخذ الطيش وتخيل انه استولى على سائر البلاد ودانت له بالطاعة والخضوع وجعل ما ارسم في خياله محسوسا في الخارج ولم يكتف بذلك حتى رسم خريطة جعل البلاد فيها اقساما وعين على كل قسم منها عاملا وبعد مضي شهرين امسى ما تخيله هباء منشورا قال بعض مؤرخيهم ان اعمال هذا الماريشال قضي الله عليها ان تناقض ما تخيله وتنتج له خلاف ما توهمه لانه ارسل البعوث الى جهات مختلفة يستفسر بها عن الاحوال فحسرت صفقتها ورجعت للجزائر مغلولة لا يلاوي بعضها على بعض وامسى الماريشال في كدر لا مزيد عليه لما حصل لجيوشه من الفشل والخيبة واتخذ الناس خطابه وخريطته هزوا وسخرية

❖ ذكر مسير الماريشال كلوزيل وولي العهد من الجزائر ❖

❖ الى وهران واستيلائهما على عاصمة الامير وخروجهما منها ❖

وفي اول ديسمبر من السنة ركبوا اسطولهما في العساكر والدخائر الى وهران وخيما خارجها وفي السابع والعشرين منه سارا قاصدين لمسكر باثني عشر الف عسكري وكان مع الامير ثمانية آلاف خيال واثنان من المشاة واربع قطع من المدافع وكان يتربق الفرصة بانفصال خطوط العساكر الفرنسية ليكون الهجوم عليها مناسبا الا ان الجنرال كان يتجنب ذلك وجيشه مضموما الى بعضه ووجهه تجاه ميمنته منقادا لمهاجمة

العرب فتركه الامير يتتبع ببنازلة مقدمة العرب واندفع لمارضة الطريق التي تؤدي الى معسكر وميمنتته كانت محمية بحرش وميسرته مقيمة على تل اقر عليه الطوبجية وكان ترتيبه هذا مما يجلب الاكرام لجنرال اوروبي فانه كان يتمكن للقائد المقتدر ان يأخذ مركزاً حريباً مناسباً فاصلاً للنزاع لان الحاذق بفن الحرب يجعل الوقت والفسحة خاضعين لما يريه على ان الامر قدر له بان يختبر وقتئذٍ وبتركه مباديء فن الحرب الاوربي في وقت النزاع واخلاء المركز من تحت ارادته كانت وسائله دون المطالب التي تقضيها حداقته كذا قال بعض مؤرخي الافرنج ثم ان الامير لما راي العدو لا يثنى عزمه شيء زال عن وجهه وانسحب الى قصر عائلته بالبستان المسمى بكشرو ولم يخطر بباله ان يدافع عن حضرته ومعسكر لان قوته لم تكن قوة حصار وكان يقول لي كل محصور مأخوذ وطير الخبر الى حاكم الحضرة يامره بالجلء عنها قبل وصول العدو اليها فخرج الناس سراعاً بما خف عليهم من الاثاث والمتاع ولم يتخلف فيها الا اليهود واستمر العدو سائراً والعرب يناوشونه القتال من اطرافه وكان الحشم لما نزل العدو بالبطحاء المعروفة بهيرة شقوا العصا وتطايروا الى بلادهم وجعلوا طريقهم على الحضرة فانتهبوا دار الملك واستولت ايديهم على الخزائن وفشا النهب في البلد وفي السادس من كانون الاول دخلها كلوزيل فوجدها خالية من الاهل والمتاع فاقام فيها يومين وجاءه الامر بغتة بالرجوع فانقلب راجعاً الى وهران وتخلف فيها اوغاد القبائل المنتصرة من الدوائر والزمالة واضرموا النار في اكثر دورها الشهيرة وكانت اليوم ماطراً فلم تعمل النار فيها وباواها شقاء لآخر الدهر ثم جاء الامير فدخل الحضرة وتراجع اهلها من الجيات وبعد ايام قليلة عادت آهلة عامرة الاسواق واقبلت الجيوش ترد عليها افواجاً متأسفين نادمين على ما سلف منهم من التقصير في دفاع العدو وجاء الحشم واعتذروا الامير واحضروا جميع ما انتهبوه من الامتعة والذخائر ووعدوه بالثبات وحلفوا له الايمان على ذلك وتضرعوا في العفو والصفح عنهم فاجابهم ان مرادي ان تريحوني من الحمل الذي وضعموه على عاتقي وقدرتني الصوالح الدينية وحدها ان اقوم به الى هذه الساعة فلينتخب القوم خلفاً عني واني ذاهب مع عائلتي الى مراكش قتراموا على اقدامه صارخين انت اميرنا وسيدنا واذا تركتنا فما لنا الا ان نذل لعدونا فقبل الامير توبتهم وصفح عنهم واقبل على رؤساء الجيش النظامي الذين ثبتوا معه ولم يفارقوه وهم احلاس حرب وفتيان كريهة فاحسن السؤال عنهم وشكر شجاعتهم في حروبهم قبل هذه الواقعة واستدرار ارزاقهم ثم وفدت عليه

اعيان القبائل وامراؤها من القاصية فخطب عليهم وعرفهم بعزمه على استمرار الجهاد والذب عن البلاد فاخلصوا الدعاء وصدرت اوامره بالنشير الى وهران وجعل نهر سيك موعداً لاجتماع الجيوش والحشود واخذ في الادهبة وكان رجل من الحشم يقال له عمر عيناً للعدو على المسلمين فاعتقله وامر بشنقه فشنق في يوم مشهود وتبع من كان على شاكلته من الاوغاد فشرّد بهم من خلفهم وجعلهم عبدة وحضر اوارى آفة الحشم بشمسية الملك وكان انتهبها يوم الحادثة فردها الامير عليه وقال له وهو يتبسم احفظها عندك الى ان تصير ملكاً يوماً ما وافره على رئاسته على الحشم الغرابة وجعل خجله بين اقاربه قصاصاً له وعقوبة تذكر بين الناس وعلى هذه الحال انتهت تلك الحادثة التي ابتدأت بما يشعر بسقوط الامير وختمت برجوع سطوته بعد ثلاثة ايام بما بهر العقول قال بعض مؤرخي الافرنج ولطف الله تعالى هو الذي قاد الشعب العربي الى الميدان الذي شعر فيه بخطئه والحمد اظهر الطاعة فاتخذها كفارة عن الذنب الذي ارتكبه فكان ذلك من اعظم الاسباب لتجديد قوة الامير ووقوع هواجس الخوف والرعب في العسكر الفرنسي وحثائهم من قبائل العرب وكان الآفة المازري وغيره من رؤساء الدوائر والزمالة الزمهم الامير بسكنى الحضرة باهلهم وارتحلوا اليها كما تقدم من حوز تلمسان وسكنوها ولما قصدها كلوزيل وولي العهد في هذه المرة وخرج اهلها الى الجهات كانوا فيمن خرج ثم ساروا ليلاً ولحقوا باخوانهم في جوار وهران رغبة في موافقتهم على طاعة الفرنسيين والدخول في زميرتهم وكان مصطفى بن اسماعيل عم المازري محموراً في قلعة المشور بتلمسان مع الكول اوغل وكانوا بعد اذعانهم الامير ودخولهم في طاعته انتقضوا عليه ووافقوا ابن اسماعيل على التمرد والرضى بالردة فلما بلغه ان ابن اخيه المازري ارتد ولحق بوهران ارسل اليه يستنجد به في امره ويطلب اليه ان يرفع امره الى كلوزيل فتعل

﴿ ذكر خروج بوشناق البركي الى الحضرة ورجوعه الى مستغانم ﴾

ولما اتصل خبر الامير بكلوزيل بعث الى بوشناق حاكم مستغانم ان يتوجه بمجيئه الى نواحي الحضرة ليشغل الامير عما هو بصدده فخرج حتى انتهى الى البطحاء ومعه اعيان البرجية في قلوبهم وطار الخبر الى خليفته فانحدر اليهم في الجيوش الاسلامية وناجزهم الحرب واستمد القتال بين الفريقين وابلى المسلمون بلاءً حسناً في ذلك اليوم واتصل الى الليل ثم رجع كل فريق منها الى معسكره وفي تلك الليلة عمد المرتدون

من البرجية الى نهر هبرة وفتحوا فيه افواهاً فانطلق الماء منها على السهل حتى عمه فلما اصبح المسلمون ورأوا انه قد حيل بينهم وبين عدوهم ارتفعوا الى الجبل وانقلب العدو راجعاً الى مستغانم

﴿ ذكر واقعة واصل في نواحي تلمسان ﴾

ولما بلغ الامير خبر المازري ورفقائه وما ازمع عليه الماريشال كلوزيل من الاجلاب على تلمسان تأهب لدفاعه وكانت عساكره النظامية نخيمة في سهل بني يثاف من ضواحي الحضرة فولى السيد محمد بن فريجة بن الحضرة خليفة في الحضرة وما اليها ورتب له جيشاً من العسكر النظامي ونهض بباقيه الى نهر سيك حيث المعسكر العام فعرض الاجناد والمشود ثم سار غازياً على ابن عوده الزمالي في قومه فتصحبهم وهم على جبل اغبال المطل على سهل ملاته المتصل بوهران فاكتسحهم وقتل ابن عوده في حومة القتال ولم ينبج من قبيلته الا الذي فرّ في الشعب واستولى المسلمون على جميع اموالهم واهليهم وامتلأت الايدي من اثارهم وامتعتههم ثم بعث الامير بسبيهم الى الحضرة وارتحل الى ثنية ماخوخ فسمع بنزول عرب انكاد في المنصورة خارج تلمسان نجدة لابن اسماعيل والكل اوغلي فسار منها حتى انتهى الى الحناية بالقرب منهم وخرج ابن اسماعيل والكل اوغلي لينضموا الى انصارهم فحيل بينهم ثم قسم الامير جيوشه فرقين فرقة جعلها رداء له وفرقة تقدم بها لقتال عرب انكاد فناجزهم الحرب واتصل القتال عامة اليوم وكان الظفر الامير في الجانبين وارتد ابن اسماعيل وقومه على اعقابهم فدخلوا القاعة وتحصنوا بها وتركوا في حومة القتال ما يزيد على مائتي قتيل ومثلهم جرحى وامتلأت الايدي من اسلابهم ومهياتهم واما عرب انكاد فانهزموا من اول طلق وجعلوا طريقهم على انقالمهم فحماوا منها ما قدروا عليه وابتعدوا المنز فاستولى العسكر على اكثر نسايتهم واولادهم وامتعتههم وجرح قائدهم عبدالله ابن الغاري واستشهد من الاعيان ابو زيان مصطفى النكاري قائد الشمسية الملوكية وابو حميد الزايري واشتهرت هذه الواقعة باسم المحل الذي وقعت فيه ثم ارتحل الامير واصل بوادي الصنصيف وتقدم الى تلمسان وضرب عليها الحصار الشديد وبالغ في التضييق عليها

﴿ ذكر مقتل الخليفة ابن فريجة وولاية السيد مصطفى ﴾

﴿ ابن التهامي على الحضرة ﴾

وبعد ان اقام ابن فريجة في اعالي البطحاء اياماً ارتحل الى بلاد البرجية وضربت له الخيام بالقرب من قرية البرج وطلق الجيش يلعبون على الخيل ويطاقون بواريدهم بالبارود على عادة اهل الوطن والخليفة ينظر اليهم وهو في خيمته فاصابته رصاصة في صدره فمات لوقته وعظام المذاب وانقلب السرور حزناً ووقعت الريبة على بعض الفرسان فمكوا ورجعت الجيوش الى الحضرة ونما الخبر الى الامير وهو محاصر لتلمسان فارسل ابن عمته السيد مصطفى بن التهامي الى الحضرة وقلده خلافتها وبوصله اليها قبض على زمام الامور ونظر في امر المتهمين فتحققت برائتهم عنده وتبين له ان الامر كان خطأ فاطلق سراحهم وهذات انقلوب والتفت الناس الى اشغالهم

﴿ ذكر خروج كلوزيل من وهران الى تلمسان وما آل ﴾

﴿ اليه امره في تلك النواحي ﴾

زعم كلوزيل ان دخوله الى الحضرة يؤثر في المسلمين ويحدث في الملك وهناً يحمل الامير على مسالمة الفرنسيين فاقام في وهران ينتظر ما يصدق فانه فلما تبين له ان الامر على خلاف ما زعم ورأى احوال المسلمين قد استقامت في اقرب مدة وكلمتهم اتحدت وعلم ان الامير غير ملتفت الى تخايرته بادر لاجراء ما كان وعده به المازري من اغاثة عمه ابن اسماعيل وجماعة الكول اوغلي فسار في عساكره الى تلمسان في الثاني من شوال سنة اثنين وخمسين والثاني عشر من يناير سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ففعل الامير بتلمسان ما فعله بالعاصمة فامر بخروج الاهالي والجللاء عنها فخرجوا بما خف حمله من الاثاث والمتاع فلما وصل كلوزيل بعساكره الى ساحة البلد قاتله الامير واتصل القتال بين الفريقين من طلوع الفجر الى الزوال وخرج جماعة الكول اوغلي وابن اسماعيل نجدة للعدو وفتحوا له ابواب القلعة فدخلها بعد عناء لا مزيد عليه في السابع عشر والثاني عشر من الشهرين المذكورين وفي الثالث من دخوله خرج من القلعة ووقع بينه وبين الامير قتال شديد تكافأ فيه ثم بث العدو سراياه في نواحي البلد فعثروا على الكثير من اهلها فاجبروهم على الرجوع اليها ولما تمكن كلوزيل من زمام البلد وضع ضريبة باهظة على اوليائه مثل الكول اوغلي وابن اسماعيل ومن معه من قومه ليسد نفقات تلك الحملة التي

ارتكبها من غير اذن دولته فانتدب لجمعها رئيس الكول اوغلي مصطفى ابن المقلش فالح فيها على قومه حتى ان الرجل يبيع ملبوسه وفرشه ويؤدي ما افترض عليه وان المرأة تبيع مصاغها وثيابها وتدفع عن نفسها ما اقترضوه عليها وشاع خبر هذه الضريبة في النواحي فنفرت قلوب الناس من الفرنسيين اسوء تصرفاتهم ثم اتصل الخبر بدولة فرنسا فنقمت ذلك على كلوزيل فخرج من تلمسان راجعاً الى وهران بعد ان ترك فيها حامية وذخائر لنظر القائد كافنيك فلقبه الامير بعساكره قرب البلد وانتشب الحرب بين الفريقين واتصل عشرة ايام وكانت الدبرة فيها على كلوزيل وجنوده فرجع مغلولاً الى تلمسان وتحصن بالقلعة ثم جدد عزمه وخرج في الثالث من ذي القعدة سنة اثني وخمسين والعاشر من فبراير سنة سبع وثلاثين وثمانمائة فالتقاء الامير ثانية بعزم لا يرده راد ولا يصده عنه صاد الخ عليه المسلمون في القتال فدمروا اكثر عساكره واستولوا على معظم ذخائره وقد حكى هذه الواقعة بعض مؤرخيهم بقوله خرج المارشال كلوزيل بجنوده من تلمسان راجعاً الى وهران فصادف في طريقه اهوالاً حمة وعابن مصائب شديدة منها هزيمة عساكره وتشيت شملها بوادي عوشيه ومنها انه ارتد عن طريقه التي جاء عليها وسلك طريق الساحل الى مرسى رشكون فوصلها على اسوء حال ومنها ان الامير اخذ بمخنقه فيها واقام محاصراً له مدة شهرين كاملين لا يخلو يوم منها من القتال ثم لما اعياه الامر وضافت به الحيلة بعث صريحه الى نائبه في وهران فبعث اليه بالمرابك فركبها ببيوشه وحمل ما امكنه من ذخائره ولحق بوهران وكاد الغضب يمزق فؤاده وسولت له نفسه امراً اوتعه في الخجل وهو ما اشاعه في الدوائر الرسمية من انه قهر الامير وغلبه والجاه الى الفرار الى الصحراء فكانت جنوده تتحدث في المحافل والمجامع بما يكذب خبره وتعلن بما حل بها من الوبال وبما شاهدته من اقدام العساكر العربية وقوة جاشها وشدة بأسها وروء ساؤهم يوءيدون ما يخبرون به ثم ان كلوزيل نصب الجنرال دولورنج والياً على وهران والجنرال بهارغو قائداً على الجند وتوجه الى الجزائر وبعد ثلاثة ايام من سفره سار بهارغو في ثلاثة آلاف عسكري وثمانية مدافع الى تلمسان ليمهد الطريق بينها وبين وهران فتمكنوا من المواصلة بين البلدين ولما وصل الى نهر تافنا اقام متاريس على شطوط النهر واتصل الخبر بالامير فسار الى ندرومة حيث يمكنه رؤية حركات العدو من كل جهة في المحل الذي تتشعب منه الطريق من تافنا الى تلمسان ووهران واستمر عدة اسابيع يقطع جبال القبائل الممتدة حول تافنا وبقي عدة ليالي من دون رقاد محرضاً وواعظاً ثم توجه ببيوشه واعترض العدو في وادي تافنا في سبع نيسان والتحق

القتال بينهما نهائياً كاملاً ثم ضرب الجنرال معسكره في الوادي ورتب صفوفه على هيئة قلعة ونزل الأمير بعساكره بالقرب منه وحاصره في الهيئة التي هو عليها وفي الرابع والعشرين من الشهر تهيأ الجنرال للانتقال من مكانه فضج المسلمون من كل جهة وزحفوا اليه دفعة واحدة غير مباينين بصلصلة المدافع ولا بتقعقة البارود وهجموا على المدافع فاستولوا عليها وسار الجنرال بجنوده على الهيئة التي كانوا عليها والعساكر الإسلامية تحيط بهم تديقهم نكال الحرب حتى اعجزتهم فعاكروا على هيئتهم الاولى . ويؤيده قول بعضهم خرج الجنرال بهاراغو من وهران قاصداً تلمسان وحين حل في وادي تافنا النقاها الأمير بجيوشه وهجم عليه هجومًا امسى به محصوراً ولما طال عليه الامد امر جيشه بالزحف على جيوش الامير المحيطة به موءملاً ان ينال فرجاً اقله ان تتوسع عليه دائرة الحصار فسوء حظه لم يمكنه من مراده وكانت نتائج افكاره وبالاً عليه وعلى جيشه وقد اظهر العرب ذلك اليوم شجاعة غريبة وكان الامير منتظياً صهوة جواده اماهم يخترق صفوف العسكر الفرنسي غير مبال بما تقذفه افواه بواريدهم من برد الرصاص ولما شاهدت جيوش العرب بسالة اميرهم ازدادت حميتهم وقوي هيجانهم فبهجموا بقوة لا مزيد عليها حتى انتهبوا الى المدافع الفرنسية فلم يكن من الطويحية الا النشل ولم يسعهم الا الهروب وتسليم المدافع وحينئذٍ نقهر الجيش وارتدوا على اعقابهم مدانعين عن انفسهم حسب ما تقتضى به احوال الحرب فكانت العساكر الفرنسية تركض وخلفها فرسانها يحمونها ومن ورائهم الجيوش العربية تقتك بهم ولم يرتدوا عنهم حتى اتلفوا منهم عدداً وافراً ولما رأى الجنرال ان عسكره قد دمره الحرب وطال عليه الامد ازمع على المحجوم الاخير فتهيأ وجمع قوته واصبح سائراً على طريق وهران وسار المسلمون ياخذونه من اطرافه الى ان لحق بها في شرذمة قليلة وكانت الجيوش الاسلامية قد اخذ التعب من قوتها ونشاطها فجعلوا يتسللون الى اوطانهم ورجع الامير بعسكره النظامي الى ندرومة

❖ ذكر ولاية الجنرال بيجو على وهران وخروجه الى تلمسان ❖

لما اتصل خبر الجنرال دولورانج وجيشه بدولة فرنسا منعزت له وجيزت الجنرال بيجو بثلاثة آلاف لاغاثته فسار بيجو من باريز في جيوشه الى وهران ثم في السادس والعشرين من ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين واول يولييه سنة سبع وثلاثين وثمانمائة سار الى تلمسان بالذخيرة الى جيشهم المحصور في قلعتها وكانت الجيوش الاسلامية

من المتطوعة قد لحقها النجبر وطالت عليها المدة في الحروب فلحقت باوطانها ولما اتصل خبر ييجو بالامير وهو في ندرومة سار اليه فيمن معه من العسكر والتقى الفريقان علي نهر سكاك واحتاج المسلمون للجهاد وهجموا علي تلك الجيوش الكثيرة فاستطرد لهم ييجو حتى اجازوا النهر ثم انعطف عليهم فاتحن فيهم وانكشفوا امامه وكثرت القتلى والجرحى بينهم ومحض الله المسلمين في ذلك اليوم واستمر ييجو سائراً الى تلمسان وبعد ايام رجع الى وهران وطير الخبر الى دولته بيشرم بانتصاره ويتبجح بما اتفق له من النجاح في اول حركة كانت منه في بلاد الجزائر ثم توجه الى فرنسا وجعل قيادة الجيش الى الجزائر والسكاك

❖ ذكر حصار الامير تلمسان ❖

وبعد واقعة نهر سكاك ارسل الامير في المدائن والضواحي ينادي بالجهاد فاجتمع المسلمون في الجهات والضواحي التي عينها لهم لانتظار خلفائه فيها وسار من ندرومه بعد ان ازاح العال في نواحيها فنازل تلمسان بقوته وضيق حلقة الحصار عليها وضبط خارجها فاشتد الامر على اهلها وتكدت ذخائرهم واجهدهم الجوع حتى اكلوا جميع ما حضرهم من انواع الحيوان وافضى بهم الامر الى اشنع الاحوال ذكر القائد كافيناك رئيس العسكر الفرنسي المحصور في قلعتها انه كان يشتري الهر الواحد باربعين فرنكاً لقوته واما غيره فانه كان لا يجد فاراً يقيم به اوده وكانت مدة اقامة الحصار عليها تسعة اشهر وختم الامير في هذه المدة قراءة صحيح البخاري اربع مرات وقد اخبرني ابن خالي السيد محمد ابوطالب انه رأى نسخة من البخاري في مجلد واحد عند الشيخ محمد القلي قاضي بجاية كانت الامير مكتوباً بآخرها بخطه ختمت البخاري بهذه النسخة اربع ختمات وانا محاصر تلمسان عجل الله بفتحها الاسلام وبسفر كلوزيل وييجو الى فرنسا انقضت غيوم جيوشهم عن الداخلية ولم تصل يدهم الى وضع الحاميات في الاماكن التي اختاروها لذلك فيما بين وهران وتلمسان والجزائر والمدينة ورجعوا الى حدودهم وانحجروا في مدنهم ونازلتهم الجيوش الاسلامية فيها حتى اجهدهم الحصار واحتاجوا الى الازواد وانقطعت اخبار الداخلية عنهم لشدة الضبط بحيث ان الجواسيس والسعاة من المنصورة لم يجدوا سبيلاً الى تبليغ التحارير الى اهلها واقاموا على ذلك مدة ولما عميت اخبارهم عن الامير بعث الى السيد حمادي السقال من اهالي تلمسان يفاوضه في ذلك ويحثه على اتخاذ وسيلة يتوصل بها الى مطالعة

اخبار العدو فاجابه الى مطلوبه وتقدم الى الحاكم في ان يجعل اليه ارسال المكاتب الى وهران والجزائر وغيرها ويتكفل بتبليغها ورد اجوبتها فانشرح صدر الحاكم الى ذلك وطلق يجمع المكاتب ويسلحها الى سعاة من العرب يمرون بها على الامير فيطامع عليها ثم يردّها اليهم فيذهبون بها الى مواضعها وعند رد اجوبتها كذلك فكان الامير لا يفوته شيء من اخبار العدو واحواله ومكائده وما في عزمه ان يجريه معه ثم اتاب ابن عمته السيد مصطفى بن التهامي على الجيش وسار في شردمة قليلة من الفرسان الى المدينة لما بلغه ان الكول ارغل من اهلها اثاروا الفتنة فيها وكتبوا حاكم الجزائر بطاعتهم فقبض على اهل الرية منهم واذاقهم نكال العقاب واصلح خلل البلد وولى عليها اخاه السيد مصطفى بن محيي الدين وانفقل راجعاً الى تلمسان وانتقل امره الى طور التايد والانتصار على الاعداء وامسى يوم سكاك وغيره من الايام المائلة نسيّاً منسياً ويعجبني ما ذكره اسكندر بالمار في تاريخه عند تعرضه ليوم سكاك وهو ان من العجب رجوع قوة الامير عبد القادر الى حالها الاولى بعد ان اعتراها الاضمحلال والتلاشي ثلاث مرات الاولى بعد استيلاء الجنود الفرنسية على عاصمته والثانية بعد غزوة تلمسان والثالثة بعد وقعة سكاك وكل حادثة من هذه الحوادث كانت صالحة لان تكون سبباً قوياً لسقوط قوة اعظم سلطان راسخ انقدم ومع ذلك فانها لم تؤثر في امره ولم تحصل الامة الفرنسية منه على طائل فلماذا اقول لله در هذا الرجل العظيم الذي كانت سياسته العجيبة وتصرفاته الغريبة لا يفارقان ذاته طرفة عين ومن هنا تعلم انه كان في اقرب وقت يسترجع ما يفقده من قوته وقال غيره ان تلك الوقائع تسحق عقل القوي وتضعف عزمه ولو كان كالحجر الا ان الامير كان لا يبالي بذلك لانه عالم بانه اذا ابتسم نغر السعد فسيفه النار يقدر كل ساعة ان يجلب العصاة والمتمردين ليخروا عند قدميه

﴿ ذكر مسير كلوزيل الى قسنطينة وهزيمته ثم عزله ﴾

﴿ عن الجزائر ولحوقه بفرنسا ﴾

بعد واحة عوشيه ورشكون رجع كلوزيل الى وهران ومنها الى الجزائر ثم الى فرنسا يستعذب دولته فيما ارتكبه من غزو تلمسان بدون اذن منها فاعتبته واستجدها فلم تنجده وجعلت اليه اوامر الحرب بما عنده من الجند في الجزائر ووهران فرجع بصفة خاسرة وكان مهتماً بغزو قسنطينة فسار اليها في المراكب في الثامن من

سبعان سنة ثلاث وخمسين والثامن من نوفمبر سنة سبع وثلاثين وثمانمائة وارسى في عنابة وفي الخامس عشر منه احتل بكلمه فاقام فيها اياماً ثم عرض جنده وزحف الى قسنطينة فلقاه القائد علي بن عيسى واقتتلوا قتالاً شديداً وفي آخر النهار انكشفت الجيوش الفرنسية واتصلت الهزيمة الى نصف الليل واستمر كلوزيل راجعاً الى كلمه تاركاً قتلاه ومعظم ذخائره ومهمات في ايدي المسلمين ثم سار من كلمه الى عنابه ومنها الى الجزائر واتصل خبره بدولة فرنسا فامتعضت له ثم عزلته ولحق بفرنسا وتولى مكانه الجنرال دويروسوار وقد ساق بعض المشاهير من المؤرخين اخبار كلوزيل فقال اما عمل كلوزيل في فرنسا في سفره الاخير فهو انه تشبث بما رآه سبباً عظيماً في الحصول على مقاصده فطلب نجدة جديدة لكي يتوصل بها الى الاستيلاء على بلاد الجزائر واطور لوزير الحرب ان الامر لا يتم الا بجيوش كثيرة فلم يجبه الوزير الى مطلوبه ولم يوافق تجلس نواب الامة وانما امر بالرجوع الى الجزائر واجراء ما اعتزم عليه بما عنده من الجند في الجزائر ووهران فكان هذا الامر موجباً لضعف همته فرجع الى الجزائر وجيز تسعة آلاف جندي وسار في المراكب الى عنابه فاصداً قسنطينة وفي الخامس عشر من شهر نوفمبر وصل الى كلمه وهي مدينة قديمة رومانية خربتها العرب لاول الفتح الاسلامي ولم يبق فيها الا آثار ورسوم فاقام هناك الاستراحة والنظر في احوال الجيش ثم ابتنى فيها برجاً من خشب وشعنه بالحامية والذخيرة وسار الى قسنطينة وكان القائد علي بن عيسى صمد لهم في العساكر فتناجز الثريقان واخذ كلوزيل يسوق جنده الى لظي الحرب واضرام نارها وبعد هجمات ارتدت جيوش فرنسا على اعقابهم وغلبهم العرب على حمل القنلى والجرحى فتركهم في ايديهم واثخنوا فيهم بالقتل والاسر وبعد العناء الشديد وصل كلوزيل بجيوشه الى كلمه ومنها توجه الى عنابه بعد ان ترك فيها فرقتين من الجند لنظر الامير الاي دوفيفه ثم توجه الى الجزائر ولما اتصل الخبر بدولته عزلته عن غصب فلحق بيلاده ولم يزل في كدر الى ان مات

﴿ ذكر البعوث الى الثغور ﴾

ولما اتصل بالامير ان كلوزيل توجه في عسكره الى قسنطينة انتهر الفرصة وجوز البعوث الى السواحل فصرح خليفته السيد مصطفى بن التهامي والبوحميدي الى وهران في جموع قبيلتي الغرابة وبني عامر ومن اتى اليهم فاكتسحوا نواحيها واشفوا مزارعها

واستولوا على ماشيتها وانتهبوا الابراج والاكوخ القريبة من اسوارها وضربوا عليها سياجاً من الرماة والانجاد وقطعوا عنها مواصلة المنتصرة من العرب وامست محصورة من جميع نواحيها البرية ثم سرح الى الجزائر خليفته السيد محمد بن علال فعث في نواحيها واستباح القرى في ضواحيها وانتبها جيوشه ثم اضرموها ناراً واشتقوا سيف اهلها قتلاً واسراً ووصلت خيله الى ابواب الجزائر وجعل الارصاد على من يواصلها من منتصرة البربر واقام في تلك الجهة يواصل الغارة على الساحل حتى امتلأت الايدي بالغنائم وضاق الفضاء بالماشية ثم جعل العيون على العدو ورتب الحاميات والمسلحات وانقلب راجعاً الى حاضرة ولايته مليانه وطير الخبر الى الامير بما اجراه في حركاته وفي اثناء هذه الوقائع حدث ارتباك في فرنسا بين تجاسها وانقطعت الميرة والمدد منها عن مدينة الجزائر ووهران وغيرها من مدن الساحل والتحق اهلها باهل تلمسان في شدة الانحصر والجوع

﴿ ذكر انعقاد الهدنة ﴾

ولما اشتد المحصار على المدن التي فيها الفرنسيس وطالت مدته وصاروا الى حالة يرثى لها ادركهم حسن حظهم ونباهة ابن دران الموسوي فانتدب من وهران ولحق بالامير وهو محاصر لتلمسان وفاوضه في ابرام الهدنة مع حاكم وهران ورغبه بما ينجم عنها من الفوائد مع راحة الجيوش الاسلامية من معاناة الحروب وشدائدها والح عليه في ذلك فاجابه بشرط ان يطلق العدو اسرى المسلمين فرجع ابن دران الى وهران واخبر الجنرال دويرو سوار قائد الجيش بما كان من الامير فاظهر ارتياحه اليه ثم قر القرار بين الفريقين على ان ابن دران يتولى المواصلة بين الطرفين فيما يحتاج اليه كل منهما من الآخر فيبتاع سائر ما يحتاج اليه الفرنسيس في الجزائر ووهران وتلمسان من انواع الحبوب والماشية لنفسه من الامير ثم يبيعها الى الجنرال وياخذ منه بائناًها جميع ما يحتاج اليه الامير من المهمات الحربية ثم يبيعها من الامير وانعقدت الهدنة على هذا بين الفريقين ثم اطلق الجنرال الاسرى وافرج الامير عن تلمسان وصدرت اوامره الى خلفائه المحاصرين لوهران والجزائر بالافراج عنها وارتنع الحجر عن المدن المحصورة وراجت الاسواق فيها وعاد اهلها في ارغد عيش نقدوه منذ زمان طويل وبهذه الهدنة استحصل الامير من عدوه مهمات حربية وذخائر عظيمة وبعد مدة قليلة استعملها في قهره وكبحه وبهذه الهدنة زادت قوته وتوصل الى فك الذين كان

المسلمون يتأسفون عليهم من الاسرى واستمر الامر على ذلك مدة اخذ كل فريق فيها الراحة والدعة ورجعت له فيها قوته

﴿ ذكر ولاية الجنرال دوسرمون على الجزائر والجنرال بيجو ﴾ ﴿ على وهران ﴾

ثم ان فرنسا اتفق راياها على نقض المدة وتجديد الحرب مع الامير اذا لم يمنح للسلم على شروط ترضيهم فعزل المارشال كلوزيل عن الجزائر ونصب الجنرال دوسرمون حاكماً عاماً عليها وعزل الجنرال دوبرو سوار عن وهران وولى مكانه الجنرال بيجو وسار كل منهما الى موضع ولايته في العدد والعدد فوصل الجنرال دوسرمون الحاكم العام الى مدينة الجزائر بثمانين الف عسكري مع مهمتها في اوائل المحرم سنة اربع وخمسين واولئ ابريل سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة والف فارسل له الامير ابن داران ليبارك له في ماموريته ويخبره بانه از مع علي ضرب نقود ويطلب منه ان تجري المعاملة بها في المحلات الحالة بها الفرنسية فاجابه انه لا بد له من الاستئذان من حكومته وبعد مدة ساله عن ذلك فاجاب بان الحكومة لم تسمح حيث لم تحصل المخاطرة عليها في معاهدة دي ميشيل وكانت آراء العامة في فرنسا وقتئذ متفقة على ترك الجزائر لاهلها ورجال الدولة كانوا يرون دوام الحرب فيها الى النهاية اولى من تركها وكان الجنرال بيجو مخيراً من دولته بين امرين اما ان ينقض المدة المعقودة بين الامير وحاكم وهران السابق واما ان يعقد الصلح مع الامير على وجه يوافق مقام فرنسا وامرت حاكمها العام ان يجري جميع الوسائل والاسباب التي يحصل بها الوهن في قوة الامير او يجري صلحاً متين الاركان مقبولاً عند دولة فرنسا

﴿ ذكر انعقاد الصلح وما جرى في شأنه من المخاطرات والمخاورات ﴾

ولما وصل الجنرال بيجو هذه المرة كان اشدهما يكون من القوة والحماسة فعزم اولاً على نقض المدة واشهار الحرب وكتب مكتوباً يتبدد فيه اهل البلاد وعادل عنه الى مكتابة الامير في الصلح فكتب اليه الى سمو الامير عبد القادر الخبركم انني قد حضرت الى وهران مكثاً من طرف دولة فرنسا باجراء احد امرين اما الصلح وهو الاولى والا سلم على شروط يكون خيرها وتنعها عائدتين على الامتين العربية والفرنسية واما الحرب لآخر درجة تصل اليها الاستطاعة فارجو بعد التامل

فما ذكرناه ان ثنائزوا لرد الجواب فلما اطلع الامير على المكتوب علم ان اقدام هذا الجنرال على الحرب يحمله ولا بد على اضرار نارها وهذا يضر بالمسلمين وان اجراء الصلح ولو الى وقت غير مديد لا بد ان ياخذ من سورة الجند الجديد ويكسر شوكته وحينئذ تمل انفسهم الى الراحة وتضعف قوتهم ولذا اجاب الجنرال بما اطعمه في اجراء الصلح وصورة جوابه الى حضرة الجنرال ييجو اما بعد فقد وصلي كتابكم واحطت به علماً فذكرتم ان دولة فرنسا امرتكم باجراء الصلح ان امكن والا فاستعمال السيف مع ان دولة فرنسا تعرف انني اشد الناس رغبة في حصول العافية واشدهم بغضاً لسفك الدماء بدون موجب شرعي وانها لتعلم انني راغب في عقد الصلح واقامة دعائه على اساس قوي لا يتزعزع ويشهد لذلك ما خابرتها به على يد سفيرها في طنجة فان ساعدت العناية الالهية على اجراء هذا الامر على يدكم فهو دليل على صفاء طويتكم لعباد الله تعالى وصدق خدمتكم للدولة والشعب معاً فانظروا ما ترغبون فيه واخبروني به على الفور بواسطة رسولي اليكم حتى انظر فيه ولما وصل ابن دران الموسوي بمكتوب الامير الى الجنرال ييجو وفاوضه في امر الصلح وزينه في قلبه وقلوب بطانته مالت نفوسهم اليه واتفقت كلمتهم عليه فكتب الجنرال الشروط الآتية وجعلها كاساس للاتفاق واصحبها بمكتوب نصه الى سمو الامير عبد القادر اخبركم بوصول رقيمكم وجميع ما حواه من كلامكم صار معلوماً عندي ولرغبتي في حصول الخير الامتين قد حملت الرسول ورقة ذكرت فيها الشروط التي يتوقف اجراء الصلح عليها واني اطلب ان تقبلوا احتراماتي لجنابكم العالي ونص الشروط التي كتبها الاول ان يعترف الامير برئاسة فرنسا الثاني تحديد مملكته الى نهر شلف الثالث اداء جزية الرابع ان يعطي رهنية كفالة ونفعلاً موافقاً لكل معاهدة يتفق عليها في المستقبل الخامس كل من التجأ من الامتين الى الاخرى لا يجبر على الرجوع الا اذا كان قاتلاً ولما اطالع الامير على هذه الشروط صعب عليه قبولها فرد اليهودي فوراً وامره ان ينهي للجنرال ييجو اشفاقاً ان الامير يرى انه لم يزل على الحال التي كان عليها من قبل المخابرة بل يرى انه في مقام اعظم واعلى فلا يمكنه ان يقبل هذه الشروط المجحفة بقامه الذي اعترف به من تقدمك من حكام الجزائر ووهران بمعاهدة الجنرال دي ميشيل لاسيما والمسلمون لا يرضون ان يكونوا تحت حكم الافرنج فان كانت دولة فرنسا تريد اذلالهم واخضاعهم لحكمها فدون ذلك حرب طويلة الذيل مديدة السيل ثم ان ابن دران بلغ الجنرال ما سمعه من الامير وفاوضه في اقليم تيطرى فقال له انما كان استيلاء الامير عليه برضى

اهله وعن طلب منهم وعلى هذا فلا تسوغ له ديانتته وشرف نفسه ان يفوت قوماً مسلمين سلموا اليه ارواحهم واموالهم على انه ليس من مصلحة الفرنسيين ان يستولوا على قوم هم لهم كارهون فالاولى ان تعدل دولة فرنسا عن هذه الشروط وامثالها وتجعل الصلح مبنياً على شروط تجارية في الاساكل التي ييدها وتعرض عما سوى ذلك ثم قرره من عنده ان الامير يمكن ان يسمح للفرنساويين ان يعمروا سهل متيجة ما عدا البلدة ويمنحهم ضواحي وهران الواقعة على الشط البحري الممتد منها الى مستغانم بحيث لا يتعدون سيف البحر وان يشعبد لكم بالقيام بحقوق كل فرنسوي يختار الاقامة في داخل مملكته وبكونه يدفع عنهم كل تعد من العرب وان طراً على اموالهم شيء من ذلك فعليه ضمانه وقد آلى على نفسه انه لا يسمح بمقدار قدر من الشطوط لدولة اجنبية غير دولة فرنسا واحتراس اليهودي بهذا دفعاً لما بالغ فرنسا من ان دولة انكلترا ارسلت للامير معتمدين ليجعلوا معه معاهدة بناء على ان يعطيهم حق التملك في مدينة وهران التي هي في يد الفرنسيين ودولة انكلترا تشعبد باخراج الفرنسيين منها ومن جميع القطر الجزائري فلم يقبل الامير بذلك فلما سمع الجنرال هذا التقرير استكان له وكتب هذه الشروط اولاً يعترف الامير برئاسة فرنسا في افريقية ثانياً ان فرنسا تحفظ لذاتها في ايباله وهران بقعة عرضها من عشرة الى اثني عشر فرسناً ابتداءً من وادي المالح وانتهاءً من نهر شلف وفي ايبالة الجزائر تحفظ لذاتها مدينة الجزائر وهي تتخلى له عن ايبالة تيطرى وهران ما عدا البقعة المذكورة آنفاً ثالثاً يدفع الامير جزية سنوية من حبوب ومواش رابعاً ان يكون لتجارة حرية تامة خامساً يتكفل الامير بكل الاموال التي تحتاج اليها فرنسا في الحال والاستقبال فلما وصلت للامير واطلع عليها عدل عن مخاطبة ييجو وكتب الى الحاكم العام دومرمون انه غير خفي على حضرتكم ما جرت به المخابرة بيننا وبين الجنرال ييجو حاكم وهران في عقد الصلح والعدول عن عادية الحروب التي اخذت بالامتين وحيث انني وجدت مطمح انظاره بعيداً عن المطلوب عدلت عن تخابرته الى تخابرة حضرتكم موءملاً النجاح في ذلك ولبعد المسافة بيننا عزمنا على التوجه الى المدينة حاضرة ولاية تيطرى لاكون فيها قريباً منكم وبذلك تسهل المخابرة بيننا فاهتز الحاكم لهذا الخطاب فرحاً وكان جوابه الى سمو الامير عبد القادر سلطان العرب . اخذت مرسومكم وفهمت منه ميلكم لوضع حد فاصل لنوائب الحرب غير انني الى الان ما وقفت على ما جرى بين سموكم وبين الجنرال ييجو واني اعتقد رغبتكم في صالح الجنس البشري عمومًا

واطلب من الاله القادر ان يمنحنا قوة على تذليل الامور الصعبة واجراء ما نرغب فيه جميعاً من الخير العمومي وارجوكم ان تقبلوا احترامي ثم توجه الامير الى المدينة وفاء بوعده ولما اتصل بابن دران الموسوي ما جرى بين الامير وحاكم الجزائر من المخاطبة خشي ان تحصل الموافقة بينهما على يد غيره فتقدم الى الجنرال ينجو في ذلك وعظم له الامر وقال ان هذا مخالف لامر الدولة فاستشاط الجنرال غيظاً وطير شكواه بالحاكم العام الى دولتهم فخطأت الحاكم فيما اجراه من قبول المخاطبة مع الامير بدون علم ينجو ونهته عن التداخل في امر الصلح بل يترك امره الى ينجو وفي الوقت كتب الى الامير قد اخبرتمكم بشديد رغبتي في اجراء الصلح والى الآن لم ازل على ذلك غير ان امر الحرب والصلح منوط بالجنرال ينجو فان وجدتم وجباً مناسباً لاجرائه معه فافعلوا واقبلوا مني مزيد الاعتبار لمقامكم ولما اطلع الامير على هذا التحرير اضطره الحال الى الرجوع الى عاصمته وبعد ان اخذ الراحة سار الى نواحي تلمسان وارسل الى الجنرال ينجو هذه اللائحة جواباً عن لائحته وهي اولاً يعترف الامير بسلطة فرنسا ثانياً كل المسلمين الذين يسكنون خارج المدن يكونون تحت حكمه ثالثاً ملك فرنسا في الغرب ينحصر في البلاد التي بين البليدة والبحر ويمتد الى حد المقطع ومن جهة مدينة الجزائر يسمح لهم ان يستولوا على البلاد التي بين تلك المدينة ونهر بني عزا رابعاً الامير يدفع عشرين الف كيلة حنطة ومثلها شعيراً وثلاثة الاف راس من المواشي في هذه السنة فقط خامساً للامير ان يشتري من فرنسا باروداً وكبريتاً وسلاحاً سادساً ان الكول اوغل الذين يختارون ان يبقوا في تلمسان تحفظ اموالهم ويكونون تحت حكمنا ولم ان ينتقلوا الى ارضنا سابعاً ان الذين يتركون ارضنا او ارض فرنسوية ينبغي ان يسلموا عندما يطلبون من احد النريقين الذي ينتمون اليه ثامناً ان تترك فرنسا للامير رشكون وتلمسان مع قلعتهما والمدافع والبهواوين التي بهما من قديم والامير ينقل ما فيهما من الذخائر الى وهران تاسعاً ان تكون التجارة حرة ما بين العرب والفرنسويين عاشرًا الفرنسوية تحترم عند العرب كما ان العرب تحترم عند الفرنساوية الحادي عشر الامير يتكفل بالزراع والاموال التي تحصلها الفرنسوية ويتمتعون بها بحرية وبعد مراسلات عديدة كتب كل منهما شروطاً توقف الجميع في قبولها ثم ان ينجو اعتزم على تجديد الحرب وخرج بجيشه من وهران الى الناحية الغربية ولما احتل بتافنا بعث بالميرة والذخيرة الى تلمسان في جيش كثيف واتصل الخبر بالامير وهو في نواحي ندرومه فبعث في

الجيات يدعو الناس الى الجهاد ونما انخر الى الجنرال فوجم لها وفكر في امره فوجد ما عنده من الظهير لا يقوم بحمل اثقاله ومهمات في حرب ربما تطول مدتها فوقع في حيرة كذا ذكر مؤرخوهم وغيرهم وقالوا ان يبجو ذهبت به افكاره وقتئذ في كل واد فلم يجد بداً عن المهادنة لاسيما وقد تواترت الاخبار عنده بنفير المسلمين الى الجياد في سائر الثغور فعمله ذلك على تجديد المخاربة مع الامير في عقد الصلح واما الامير فانه نظر في شروط يبجو التي صعب عليه قبولها فرأى ان يصلح خلائها ويعدل بها الى ما لا يقدح في دينه ومنصبه ثم يعرضها عليه لجمع مجلساً عاماً من العلماء واعيان الدولة واراھم كيف كثر الشعب بعالة تيطرى في الجهة الجنوبية وان تجدد الحرب بينه وبين العدو يفوته اصلاح الخلل الواقع في تلك الأطراف الشاسعة وربما اتسع الخرق وانتهى الامر الى ما لا خير فيه فمنهم من بادر الى قبوله واستجسانه ورآه من الامور الضرورية التي لا بد منها ومنهم من لم يقبله ورآى ان استمرار الحرب اولى فقام سيدى الجد السيد علي ابو طالب وخطب على اهل المجلس فقال بعد حمد الله والصلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه وقد علمتم ايها السادة انه لما تكاثرت المظالم وتواطأ العمال ومن وافقهم على ارتكاب المآثم انتقم الرب تعالى منهم وعمننا ذلك معهم قال تعالى واثقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فسلط الله علينا عدو ديننا فنكالب على بلادنا واستولى على مراسينا واستبدل مساجدنا فيها بالكنائس واخلاها من المدرس والدارس فمرج لذلك اهل قطرنا وضائق بهم ارض مغربنا واستبدلوا القصور المشيدة بنجيام الشعر ومضارب الوبر وثرقوا اوزاعاً في المواطن وتباينوا في الموارد والمعاطن وتغيرت الاحوال واشتبه الممكن بالخيال وتوالى الحل والارتحال وضعف الرجاء في ان يؤب المسافر ويغود الشادر النافر الى ان طالت القصة وعز ما ندفع به هذه الغصة ومالت شمس الاتفاق الى الافول وتبهاً جند التناصر والتعاقد للرواح والقفول فاظهر الله تعالى بلطفه بدر الدين وموئيد كلمة المؤمنين ابن اخي هذا السيد عبد القادر بن يحيى الدين فبذل جهده في الذب عن الدين والوطن واقي في ذلك من العجائب والغرائب ما هو به قن فكم من حروب اضرمت نارها وكم من كرب ازالها عن المسلمين واطفاً اوارها وكم ضيق على العدو واخذ به غنقه وصيره محجوراً في اخرج مكان واضيقه وفي بعض الاحيان كما علمته تكون الحرب بينهما سجالاً وينقد كل منهما من جيوشه ابطالاً ثم لازال العدو يتكاثر ويحلب من بلاده العساكر والذخائر بالعدد الوافر حتى كثره بجنوده وجاء بما ملا جميع اغوار الوطن ونجوده فاستمر

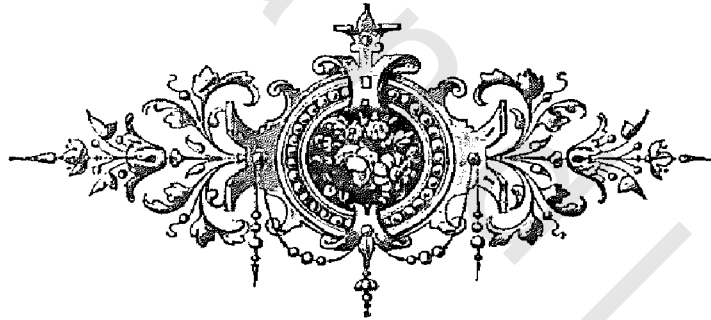
القتل في المسلمين وتوالى عليهم التحريض في سبيل رب العالمين وقد استدعى حضرة الامير كما لا يخفى ملوك الاسلام في اقاصي البلاد واستنصرهم للجهاد فاعاروه اذناً صماء ولم يسمعوا له نداء بل اجابه لسان الحال لا حياة لمن تنادي ولا معين على من تعادي فاذا تمادى الامرايها السادة على ما نحن عليه ولم ينبجح الامير الى ما دعاه العدو اليه فلا جرم اننا نكون قد القينا بايدنا الى التهلكة وتسببنا فيما يضيق على كل منا مسلكه ونكون قد اعنا اهل الفساد على انفسنا ومهدنا لهم السبل الى ما يؤذينا فيتابع الدعار والغوغاء غارتهم ويحرق الحفاة صوارمهم وتمشي سماسة الفتن بين رؤساء القبائل ويسعى المفسدون فيما يفسد عليكم امركم في العاجل والآجل وبالجملة فالمنصف يقول الحق ولا يراعي بعداً ولا قرباً ولا يخاف لوماً ولا عتياً

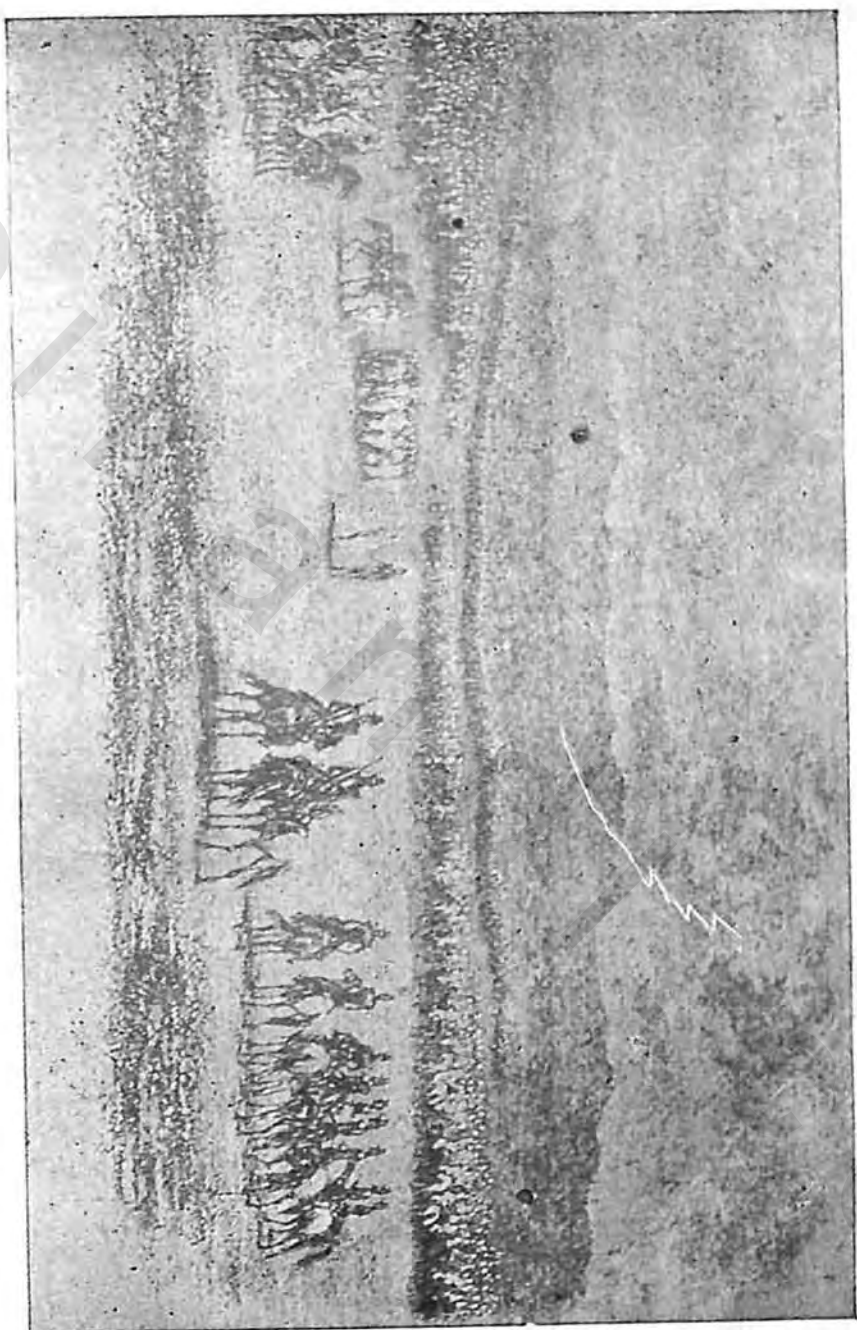
وما علي اذا ما قلت معتقدي * دع الجهول يظن العدل عدواناً
فاذا صحت المنية وصحت امقاصد السنية فلا حرج على حضرة الامير فيما استشاركم فيه واستلقتكم اليه اذ هو من سياسة السلف ومن تبعهم من ملوك الخلف وهو الذي عليه فتوى الفقهاء وبه عمل العلماء والكلام في هذا السبيل كما لا يخفى مديد السيل طويل الذيل والانصاف من اعظم تقوى الله والنصيحة واجبه في دين الله وضون دماء المسلمين فرض متعين حتى في الجهاد وقد قيل سلامة مسلم واحد خير من فتح حصن لكافر معاند وقد ورد في الحديث النبوي من اعان على قتل مساً ولو بشطر كلمة جيء به يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمه الله والمتسبب كالمباشر وورد ايضاً من تشكل بغير شكله وتطور بغير طوره وحام حول حمى سفك الدماء وهتك المحارم فقد باء بغضب من الله ورسوله فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر شرطه الامن على النفس والاهل والمال مع ظن الافادة وكونه لا يؤدى الى منكر اعظم من هذا مع تحققه فما بالكم اذا كان مجرد الدعوي فالنظر ايها السادة انما هو الامام لا غيره وكيف تذهبون الى ان عدم قبول الصلح اولى من قبوله مع علمكم بقلّة الانصار والاعوان وكثرة المشاغبين والمفسدين في الاقطار والاطوان وحاصل ما اقول ان ما تسعون فيه ان لم ترجعوا عنه يدعمكم لاجله القريب والبعيد وينقمه عليكم الارب والبليد ثم لا شك انكم ترجعون بفساد الدارين وفقد الراحتين وشماتة الاعداء علاوة على ذلك والله الامر من قبل ومن بعد وما قلت الا بالذي علمت سعد فلما سمع المخالفون ما نبههم اليه رجعوا عما كانوا عليه من الخلاف واتفقت كلمة الجميع على اجراء الصلح ونقريه وراوا ان فيه مصلحة كبرى لامة فارس للجنرال اللائحة الآتية بواسطة السيد حماده السقال

رئيس حضرة تلمسان وهي اولاً ترك البليدة للفرنساويين ثانياً رفض كل سلطة عن المسلمين المقيمين بالاملاك الفرنسية ثالثاً توسيع معين لحدود ملك الفرنسية وقد ولج الامير السيد حماده السقال لينظر في الحدود المتوهم عنها ويعطي التفاصيل المقتضية وحيث ان الجنرال ييجو ادرك جيداً ان التأخر لا ياتيه بفائدة وعليه حررت المعاهدة المعروفة بمعاهدة تاننا على شرط الاول ان الامير يعترف بسلطة دولة فرنسا على مدينتي الجزائر ووهران الثاني يبقى لفرنسا في اقليم وهران مستغنى وزغران وارضيهما ووهران وارزيو وارضيهما يحد ذلك شرقاً نهر المتطوع والبحيرة الذي يخرج منها جنوباً بخط ممتد من البحيرة المذكورة فير على الشط الجبلي الى الوادي المالح على تجرى نهر سيدي سعيد ومن هذا النهر الى البحر بحيث يصير كل ما في ضمن هذه الدائرة من الاراضي للفرنساوية وفي اقليم الجزائر مدينة الجزائر مع الساحل وارض منيعة يحد ذلك شرقاً وادي القدرة وما فوقه وجنوباً راس الجبل الاول من الاطلس الصغير الى نهر الشفه مع البليدة وارضيهما وغرباً نهر الشفه الى كوع مزغران ومن ثم بخط مستقيم الى البحر فيكون ضمنه القليعة مع ارضيهما بحيث يصير كل ما في داخل هذه الدائرة من الاراضي للفرنساوية الثالث على دولة فرنسا ان تعترف بامارة الامير عبد القادر على اقليم وهران وقليم تيطرى وانقسم الذي لم يدخل في حكم فرنسا من اقليم مدينة الجزائر لجهة الشرق بحسب التحدد المبين في الشرط الثاني ولا يسوغ للامير ان يمد يده لغير ما ذكر من ارض الجزائر الراح ليس للامير حكم ولا سلطة على المسلمين من اهل البلاد المملوكة لفرنسا ويباح للفرنسيين ان يسكنوا في تلك المملكة الامير كما انه يباح للمسلمين ان يستوطنوا في البلاد التابعة لفرنسا الخامس ان العرب الساكنة في اراضي الفرنسية تمارس ديانتها بحرية تامة ولم ان يبتوا جوامع بحسب مراتبهم الدينية تحت رئاسة علماء دينهم الاسلامي السادس على الامير ان يدفع للعساكر الفرنسية ثلاثين الف كيلة من الخنطة ومثلها من الشعير بكيال وهران وخمسة الاف راس بقر يودي ذلك كله في مدينة وهران على ثلاثة قسوط الاول من غرة اغسطس الى الخامس عشر ايلول سنة سبع وثلاثين وثمانمائة والف وانقسمين الآخرين يدفع بانتهاء كل شهرين قسطاً السابع يسوغ للامير ان يشتري من فرنسا البارود والكبريت وسائر ما يحتاجه من الاسلحة الثامن ان الكول اوغل الذين يريدون ان يقيموا في تلمسان او غيرها من المدن الاسلامية لم ان يتمتعوا باملاكهم بكامل الحرية ويعاملون معاملة المضمر والذين يريدون منهم الانتقال الى الاراضي الفرنسية تكون لهم الرخصة على بيع املاكهم او ايجارها بكل حرية التاسع

على فرنسا ان تخطي الامير عن اسكلة رشكون ومدينة ثلمسان وقاعة المشور مع المدافع القديمة التي كانت فيها قديماً ويتعهد الامير بنقل الذخائر الحربية والامتعة العسكرية التي للعساكر الفرنسية في ثلمسان الى وهران العاشر الثجر يكون حراً بين العرب والفرنساوية ولجميع ان يتمتعوا بالتبادل في كل من الارضين الحادي عشر تكرم الفرنسية عند العرب كما تكرم العرب عند الفرنسية وكل ما تملكته او تملكه الفرنسية من الاملاك في بلاد العرب يكفل لهم حفظه بحيث يتمتعون به بكل حرية ويلزم الامير ان يدفع لم الضرر الذي تحدثه النوايب فيها الثاني عشر يكون رد المجرمين من الطرفين بالتبادل الثالث عشر يتعهد الامير بان لا يعطي احداً من الدول الاجنبية قسماً من الشاطي، الا برخصة من فرنسا الرابع عشر لا يسوغ بيع من تعمولات او لوازم الاقليم ولا شراء الا في الاسواق الفرنسية الخامس عشر لدولة فرنسا ان تعين في المدن التي في مملكة الامير وكلاء ينظرون في اشغال الرعايا الفرنسية وحل المشكلات التجارية فيما بينهم وبين العرب وكذلك الامير ان يضع وكلاء من طرفه في المدن التي تحت ادارة دولة فرنسا حرر في تافنا في السادس من ربيع الاول سنة اربع وخمسين ومائتين واول يونيه سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة وحرر صك المعاهدة نسختين كل منهما على شطرين عربي وفرنساوي فكتب الامير اسمه بخطه على الشطر العربي وختم عليه بخاتم الامارة وكتب الجنرال ييجو اسمه بخطه على الشطر الفرنسي وختمه بخاتمه الرسمي واخذ كل منهما نسخة وبعد امضاء صك المعاهدة ونقيرها كتب الجنرال لوزير الحرب يعتذر عن عقده المعاهدة التي اقترحها بقوله انكم معتقدون انه يؤمنني جداً ان اعمل افكاري بعدم اتباع تعليماتكم بالنظر الى الحدود المعينة فيها الامير على ان ذلك كان محالاً وليقتوا ان الصلح الذي عملته هو احسن والارجح ان يكون طويل المدة وافضل مما عمله بحصر الامير بين نهر شلف ومراكش ثم التمس الجنرال ييجو من الامير ان يجتمع به فاجابه لذلك وعين له موضعاً يجتمعان فيه فركب الجنرال معجوباً بست فرق من المشاة وفرقة من الخيالة وفرقة من المدافعية وفرقة من فرسان العرب وسار الى المحل المعين وبعده سبع ساعات عن معسكر الامير وثلاث ساعات عن معسكر الفرنسية فوصله قبل الامير وبعد مضي نحو خمس ساعات اقبلت فرسان من العرب يعتذرون عن تأخر الامير بانه ابطاً في الخروج لانحراف مزاجه وليس يبعد ان يصل ثم اقبلت فرسان آخر يطلبون من الجنرال ان ينقدم قليلاً للملاقة الامير فلم يمكنه الرجوع حتى ينال مطلوبه وهو اجتماعه بالامير وبعد ان سار

نحو الساعة اشرف على جيش الامير المشتمل على نحو خمسة عشر الف فارس اقدمين
بنظام عجيب وترتيب غريب في سهل يوج بهم ومنظرهم ينتن العقول وبعدهم شاهد
الامير وقد احاط به نحو المائتين من روءساء العرب راكبين على سوابق تخنل بهم تيمهاً
يتسربلن باسلحة صقيلة وامامهم امامهم يفوقهم بالمنظر والشهامة متمطياً جواداً اسود تليعاً
مسيره بصنعة غريبة تارة يحنطف الريح بقوائمه خطفاً واخرى يشيه على رجله وكانت
تلك الحركات تريد هيبه وهو غير مبال بها وحوله ستة من السياس اخذين
بركابه فتقدم اليه الجنرال مطلقاً عنان فرسه نحوه فتصافحا ثم ترجلا فجلسا



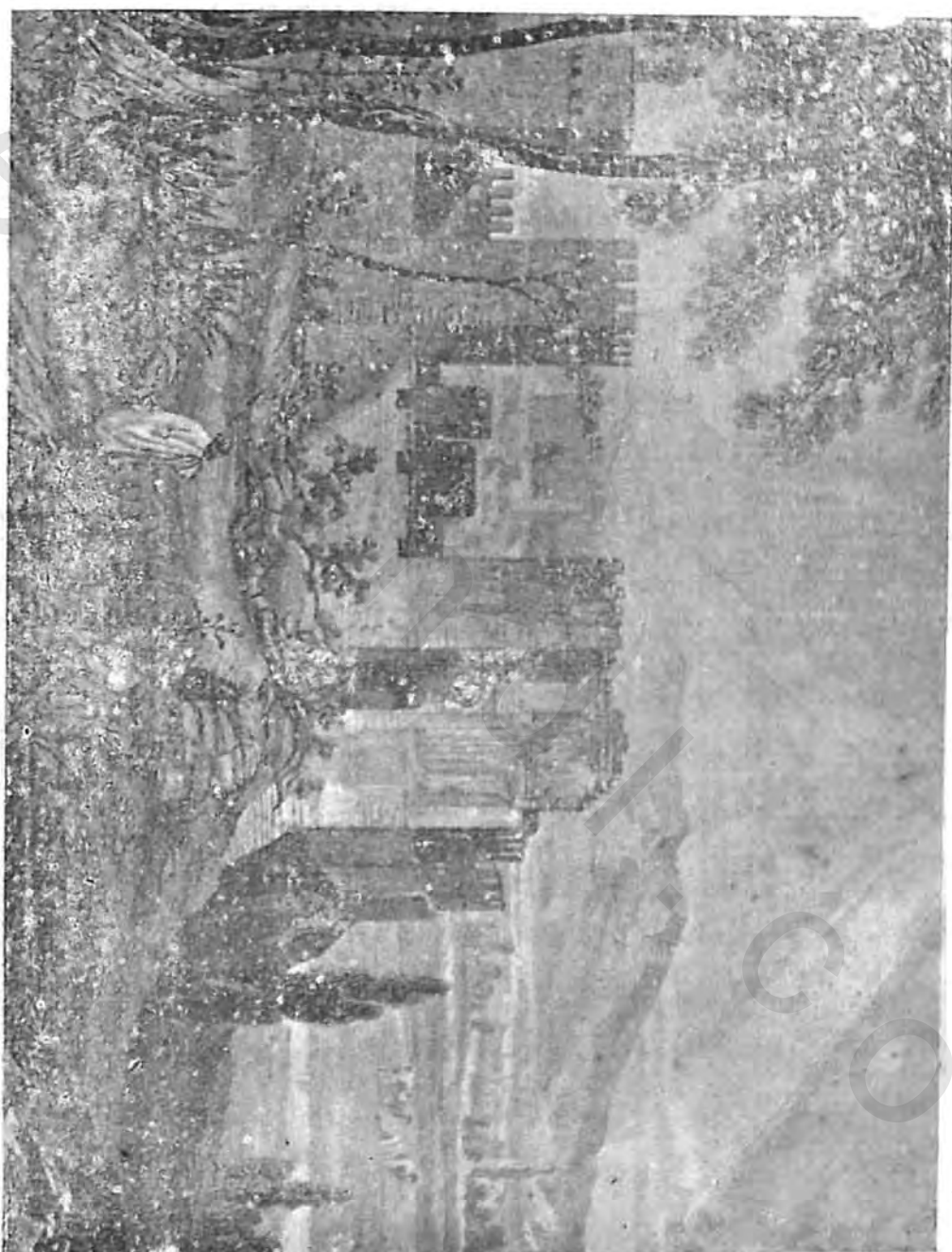


❖ وهذا رسم الاجتماع الامير مع الجنرال بيجو ❖

واخذت الموسيقى تصدح بانغامها المطربة فسأل كل منهما الآخر عن صحته واخذوا في الحديث فقال الجنرال اني على هذا الشرط جعلت نفسي كفيلاً لك عند ملك فرنسا فاجابه الامير ليس لك خاطر في ذلك فان لنا ديناً واخلاقاً عربية نلزمنا المحافظة على قولنا وانا لا اغير قولي قال الجنرال فلماذا اعتمدت على ذلك وبجسبه اقدم لك محبة خصوصية اجابه الامير قد قبلت محبتك فلتحترس الفرنسية من كلام المفسدين فقال الجنرال ان الفرنسية لا تنقاد لكلام احد وليس بعض حوادث خصوصية يفعلها البعض تنزع السلام من بيننا انما ينزعه عدم اجراء شروط المعاهدة او وقوع خصومة كبيرة وانما الذنوب التي يرتكبها البعض فاننا نعلم بعثنا بها ونقاصه عليها من يتجاسر على فعلها فاجابه الامير هذا حسن جداً فليس عليك الا ان تعلمي وانا اجري ما يقتضي قال الجنرال اني اوصيك بالكول او غلان الذين يبقون في تلمسان فاجابه الامير كن مطمئناً من جيتهم فانهم يعاملون معاملة الحضر قال الجنرال وعدتني انك ترفع عرب الدوائر والزماله في بلاد هبروفاظن انها لا تكفيهم فاجابه الامير يوضعون في مركز لا يمكنهم من ايقاع ضرر لحفظ السلام وبعد ان سكتوا قليلاً رجع الجنرال الى الحديث فقال وهل امرت ايها الامير برجوع علاقات التجارة في الجزائر والمدينة فاجابه الامير لا انعل هذا الا بعد ان ترد لي تلمسان فقال الجنرال جداً تعلم بافي لا اقدر على ردها لك الا بعد تصديق الملك على المعاهدة فاجابه الامير فاذا ليس لك قوة على اجراء المعاهدة فقال الجنرال نعم لي قوة على ذلك ولكن يقتضي ان يصادق الملك على ما اجره حيث يكون ذلك كفالة له فانه اذا صدق عليها مني فقط ثم اتى جنرال آخر فانه يقدر على ابطالها واما اذا صدق عليها من الملك يصير ملتزماً بالاجراء على موجبها فاجابه الامير ان لم ترجع لي تلمسان كما وعدتني في المعاهدة فلا ارى احتياجاً لاجراء الصلح بل يكون ما جرى الا من قبيل هدنة مؤقتة فقال الجنرال هذا صحيح ولكن انت تكسب بهذه الهدنة حيث اني بدمتها لا اخرب المواسم فاجابه الامير ذلك لا يفترنا حتى اني اعطيك الرخصة بان تخرب كل ما تقدر عليه ولا يمكنك ان تخرب الا مقداراً زهيداً ومع ذلك يبقى عند العرب حبوب وافرة فقال الجنرال اظن ان العرب لا يفتكرون مثلك لانني ارى انهم يرومون الصلح والبعض منهم اثني عليّ لكوني حافظت على المواسم من الشفه كما وعدت بذلك حماده الصقال فتبسم الامير ثم سأل الجنرال عن المدة التي يمكن رجوع الجواب فيها من فرنسا فاجابه لا تكون اقل من نصف شهر فقال الامير حيث ان الامر كما ذكرت فلا نجد العلاقات التجارية ولا نحدث شيئاً من مقتضيات المواصله الا بعد ورود الجواب من فرنسا ثم قاما من مجلسهما

وودع كل منهما الآخر وهذه المقابلة كانت اول مقابلة جرت بين الامير وحاكم
فرنسوي وقد اخبرني ابن رايح احد ضباط الفرسان الذين كانوا يومئذ في حرس
الامير انه عندما وقف في تجلسه لوداع الجنرال قرب اليه فرسه الادم الشهير ليركبه
وبعد ان صاحف الجنرال ونزع يده من يده التفت الى الفرس وعلا عليه في اقل من
لحظة وحركه بركبه ففرق بين الخيل مروق السهم واندفع به ثلاث دفعات متوالية
على وتيرة واحدة فانتهر الجنرال لذلك وتعجب من سرعة ركوب الامير وخفة الفرس
وبقي واقفاً برهة من الزمان ينظر نظراً المتحير ثم ركب فرسه ومضى وبعد ان سار
الامير وجيوشه على مسافة بعيدة من موضع الاجتماع امر الجنرال احد ضباط عسكره
ان يرجع الى المحل وياخذ مساحة ما بين تلك الدفعات الثلاث ووضع لها علامات
فكانت مساحة ما بين كل منها تقرب من ثلاثين ذراعاً وفي الحادي والعشرين
من ربيع الاول والخامس عشر من يونيه ورد الجواب من فرنسا مع ضابط يقبول
المعاهدة وصحبته هدية نفيسة من الملك للامير وهي اسلحة تجوهره واقمشة حرير مطرزة
بالذهب واواني صينية فاخرة مكتوب بالذهب على كل صفحة منها كلمة حكمة من كلام
الحكماء الاقدمين وطقم شاي جميعه من الذهب الابريز ولما وصل الضابط بالجواب
والهدية الى الجنرال ييجو ارسل الى الامير يخبره باتمام الصلح والتصديق عليه من الملك
ويخبره بالهدية وطير الخبر الى حامية مدينة تلمسان يامر قائدها كافيناك بالخروج
منها وتسليمها مع القلعة الى نائب الامير فخرج القائد بجيشه من باب ودخل الخليفة
السيد محمد البوحميدي من باب آخر واخذ في نقل اثقال العسكر الفرنسي منها
الى وهران على حسب ما وقع عليه الاتفاق قال بعض المؤرخين ان هذه المعاهدة
كانت مستحسنة جداً عند الحكومة الفرنسية التي اعتبرتها ككلمة حاذق والشعب
الافرنسي نظر اليها كخافضة شان فالدولة التي جرت بان عبد القادر الذي كان عدواً
اصبح حليفاً لها والشعب راي فيها خطاء وهو تسليم ايالة افرنسية الى قوة اجنبية اما
عبد القادر فكانت عنده هذه المعاهدة كحجر زاوية للبناء الذي كان يشيده
بواظبة واجتهاد وانه كان يقيم عدة سنين بواجبات مضاعفة فكان من جهة يذرع
في قالب التنظيم والمناسبة اسباب المزعزعات التي كانت تحيط به مسكناً القلاقل
ونازعاً النزاع ومخمداً الفتن ومن اخرى كان يتلقى بجراءة صدمات هجمات عدو
كان يفوقه جداً في كل الوسائل والخيل التي هي من فن الحرب في اعلى طبقة وعند
ما كان يتخلص من شدة خارجية كان يفرغ كل قوته ليتغلب على الصعوبات الداخلية

ثم كتب هذا الاعلان من الديوان ونشر في انحاء المملكة ونصه الحمد لله وحده
 وصلى الله على من لا نبي بعده وبعده فان البشائر الاسلامية والمفاخر اليمانية ينبغي ان
 تشاع وتشاد ويطل في ذكرها الاطراء والانشاد وينادي عليها بالتهاني في كل ناد
 وترفع احاديثها الصحيحة ثابتة المتون عالية الاسناد وتسير بحبرها الركبان في الاغوار
 والانجاد وتحلى بجليها الشفاء والآذان والاجياد لياخذ كل مسلم حظه من سواطع مطالع
 مسراتها وينال كل مؤمن نصيبه من مواهب رغائب مبراتها وخصوصاً فيما يرجع الى
 اعلاء الدين وظهوره ورسوخ قواعد الاسلام وفروعه وما يعود الى الاعداء بالصغار
 والهوان ويلبسهم الخزي والخسران فان لذلك تأثيراً كبيراً في قلوب الذين هدى الله
 يدل عليه ويؤمنه بفرح المؤمن بنصر الله والى هذا ادام الله لكم التيسيد والتوفيق
 وهذاكم الى اقوم سبيل وطريق فقد ورد البشير بما شرح الصدر واعلا الاسلام لظهور
 القوة ورفع القدر من فتح تلمسان في تاسع شهر صفر الخير سنة اربع وخمسين ومائتين
 على يد من رفع راية الاسلام واعزها حضرة مولانا ناصر الدين سيدنا الحاج عبد القادر
 ابن محيي الدين بفضل الله وسعادة صاحب هذا الميدان بعد محاصرتها شهوراً عديدة
 وایاماً مديدة بصلح اسفر عن العز وجهه نجاحه وطلع في فلك الاسلام طالع سعده
 وفلاحه فاصبحت به تغور الدين بواسم وهبت به رياح بتتابع النصر نواسم وقامت به
 في التهاني كلاعياد والمواسم وبشر بتوالي فواتح تلك الثغور واحياء تلك المراسم واعلم
 ان خيل النصر تجرد كل حين وتغور وتوالي الشدائد على العدو في المساء والبيكور
 حتى ترده على اعقاب وتدخل عليه من ابواب الظهور والقباه فيتهافت في الفرار
 تهافت الذباب على الشراب ويقنع من الغنيمة بالاياب وقد اعلنناكم بهذه البشيرة
 واطلعناكم على هذه النعمة الكبرى لتأخذوا اوفر نصيب من معانيها اللطيفة وترووا
 احاديث صحيحة موصولة باسانيدها المنيفة وتعلموا ان كيد الاعداء في افتار وان
 امرهم بمجرد اقباله يعقبه الادبار فيمثل هذا نقر العيون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
 وما ورد البشير حتى انتشرت راية الاسلام في معاهدها وشهد الله بالوحدانية في مشاهدها
 واقامت الصلوات الخمس في مساجدها فلاله الحمد على هذه المنة العظيمة والمنحة
 الجسيمة نسال الله ان يتم مسرات المسلمين بفتح وهران والجزائر ويجعلها في صحائف
 المجاهدين من الذخائر ويخلص الجميع من يد عصابه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير



❖ مدينة تهرسان ❖

وعند دخول الامير الى بلدان حمد الله تعالى واثني عليه بآهوا اهلها وقال
الى الصون مدت تلمسان يداها * ولبت فهذا حسن صوت نداها
وقد رفعت عنها الازار فلج به * ويرد فؤاداً من زلال نداها
وذا روض خديها تفنق نوره * فلا ترض من زاهي الرياض عداها
ويا ظالماً صانت نقاب جمالها * عداة وهم بين الانام عداها
وكم رائم رام الجمال الذي ترى * فارداه منها لحظها ومداها
وحاول لثم الخال من ورد خدها * فضنت بما ينبغي وشط مداها
وكم خاطب لم يدع كنوءها ولم * يثم طرفاً من وشي ذيل رداها
وأخر لم يعقد عاينها بعصاة * وما معها مساً ابان رضاها
ولم تسمح العذرا اليه بعطفة * ولم يتمكن من جميل سناها
وشدت نطاق الصد صوتاً لحسناها * فلم يقتنع من لذيذ لماها
وابدت له مكرراً وصدأ رجفوة * وسدت عليه ما نوى بنواها
وخابت ظنون المفسدين بسعيهم * ولم تزل الاعداء هناك منهاها
قد انفصمت من تلمسان حبها * وبانت وآلت لا يحل عراها
سوى صاحب الاقدام في الراي والرغي * وذي الغيرة الحامي حماة حماها
ولما علمت الصدق منها بانها * انالني المكسي وحزت علاها
ولم اعلن في القطر غيري كافلاً * ولا عارقاً في حقها وبهاها
فبادرت حزمًا وانتصاراً بهدي * وابهرتها حباً شفاء دواها
فكنت لما بعلاً وكانت حلياني * وعرسي رماصي ناشراً للواها
ووشحتها ثوباً من العز رافلاً * نقامت باعجاب تجر رداها
ونادت اعبد القادر المنقذ الذي * اغثت اناساً من بجمار هواها
لأنك اعطيت المناسخ عنوة * فزدني ايا عن الجزائر جاها
ووهران والمرسة كلا بن حوت * غدت حائزات من حماك منهاها

❖ ذكر ظهور محمد بن عبدالله البغدادي في جنوب ولاية ❖

❖ تيطرى وقيام محمد بن عوده المختاري بدعوته ❖

قدم محمد بن عبدالله من بغداد الى المغرب الاوسط ايام سيدي الجمد السيد
محيي الدين رحمه الله وزعم انه من ذرية الغوث الاكبر والقطب الاشهر سيدي عبدالقادر

الجيا في قدس الله سره فاحتفل به سيدي الجد واجل مقامه وكان يحضر معه في تلك الايام جنود العدو ثم لحق بالمغرب الاقصى تجملاً بنسبته فلقبه السلطان عبدالرحمن بن هشام بالتحية والاكرام وبعد سنين رجع الى المغرب الاوسط فوجد سيدي الوالد مرتبكاً في امر العدو فعدل عنه الى قبائل الزناخرة واولاد نائل ومن اليهم من القبائل في الجهة الجنوبية وكان زعيم اولاد تخار محمد بن عوده من اقوى المشاغبين في تلك الجهة فلحق به وجعله داعية له نقام بنصرته ودعا الناس اليه وقال لهم هذا محمد بن عبدالله المنتظر فاجتمع عليه خلق كثير وكانت نفس ابن عوده منذ ظهر الامير تحدثه بالخروج عنه والدعاء الى نفسه واخذ يستميل الناس اليه بانواع العطاء فلما قوي الانكار على الامير في مصالحة العدو وترك الجهاد مع ما كان الناس عليه من امتثال امر المعونة التي ضربت عليهم للقيام بامر الملك ولوازم الجهاد اظهر ما كان يخفيه وجاهر بالخروج عن الطاعة ودعا الناس الى البغدادى المذكور على ان يكون زمام الامور بيده فانقادت اليه قبائل الزناخرة واولاد نائل واولاد موسى واولاد مخنار وغيرهم في تلك الاطراف

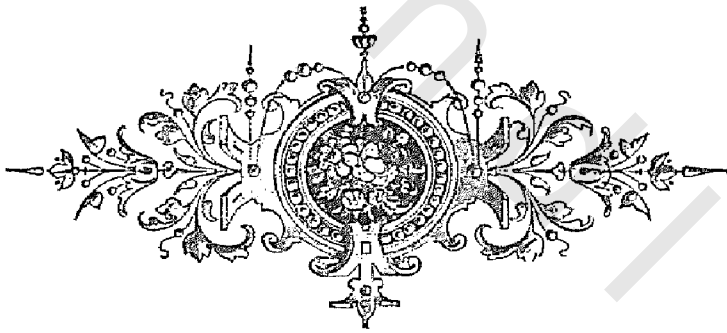
❖ ذكر خروج الامير الى الجهة الشرقية وهزيمة ❖

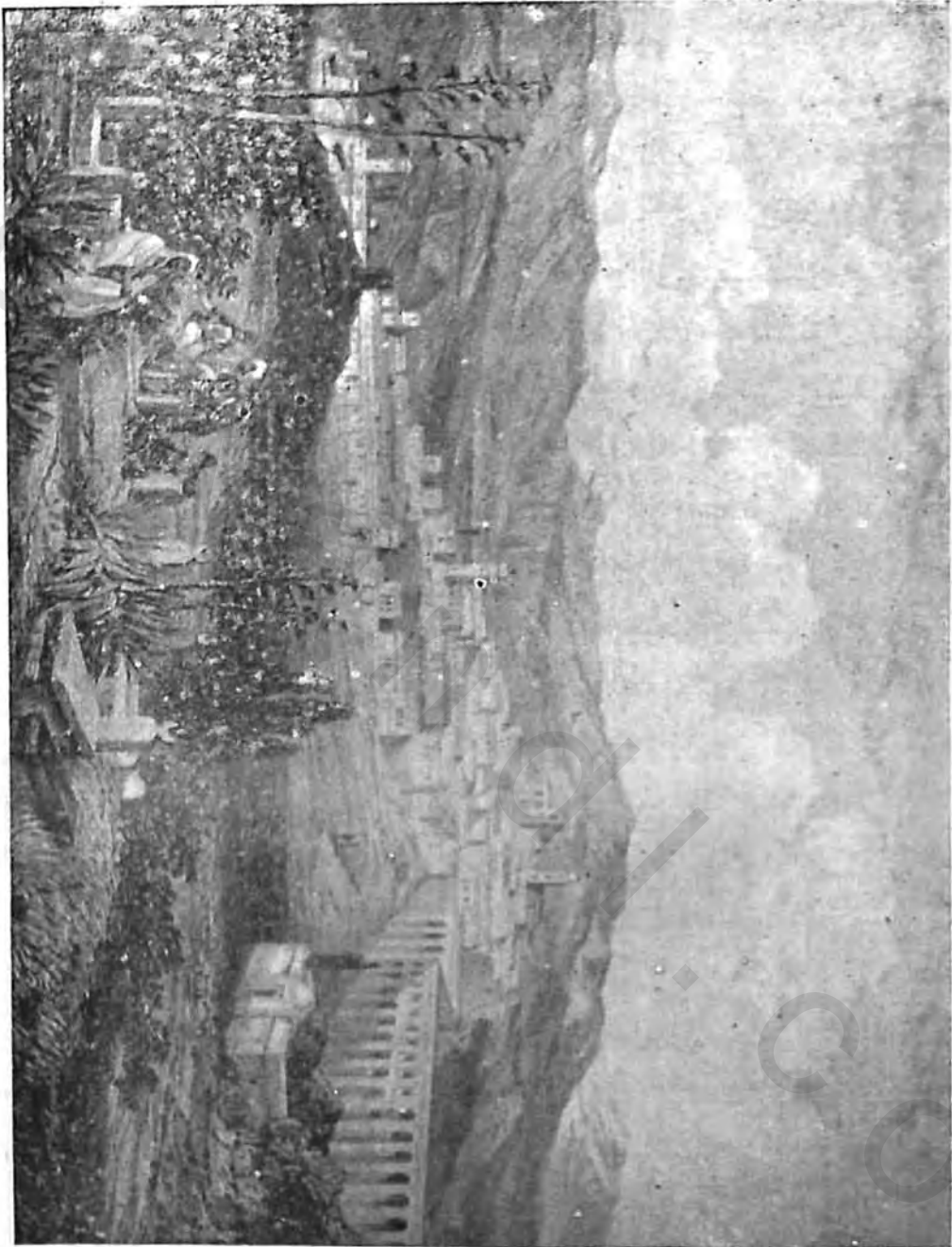
❖ محمد البغدادى ومصير امره ❖

ولما فرغ الامير من عقد المعاهدة مع ييجو واطح خلل الجهة الغربية من مملكته رجع الى الحضرة ثم نهض منها في ثمانية آلاف فارس والى الف من المشاة وقطع من المدافع لتمهيد النواحي الشرقية ومشاركة الامور بنفسه فجال في نواحيها حتى انتهى الى المدينة حاضرة ولاية تيطرى فلقبه خليفته السيد محمد بن علال في وادي شلف في اربعة آلاف خيال والى الف من المشاة وكان وصول الامير الى المدينة لما قويت شوكة البغدادى فاهمه امره ثم سار اليه في الجيوش وجعل على مقدمته الخليفة السيد محمد بن علال فكان بينهما في المسير مسافة مرحلتين ثم ان الخليفة بعث الى اعيان القبائل الدائنة بطاعة الثائر بكتاب يدعوهم فيه الى مراجعة الطاعة ويحذرهم من سوء العاقبة ونصه . الحمد لله الواحد القهار والصلاة والسلام على نبيه ورسوله المختار وعلى آله واصحابه الاخيار وتابعيه من المهاجرين والانصار اما بعد فالذي نخبر به قبائل الزناخرة واولاد نائل واولاد تخار ومن والاهم ووافقهم على الخروج عن طاعة حضرة الامير انه لما بلغه ايده الله خبر عنوكم وشقكم عصي المسلمين بخروجكم عن الطاعة وتخالفتكم

لاهل السنة والجماعة واعدائكم بالعدوان ومجاهرتكم بالعصيان صدر امره العالي المطاع
بالله تعالى باعذاركم وانذاركم وبذل النصيحة لكم فان رجعتكم عن غيركم وارتكاب ما
اداكم اليه جيلكم ومرض قلوبكم وضعف دينكم وجئتم اليه تائبين وعن انعالكم الشنيعة
مقاعين فذلك والا فانه نصره الله يقاتلكم وينتقم بسيف الله ورسوله منكم ولا يخفى انكم
بانتقاضكم عليه وخروجكم عن طاعته التي اجمع عليها اهل المغرب الاوسط وبايعوه عليها
صرت من اناح الله دماءهم واموالهم فالمقتول منكم مصيره الى النار والمقتول من
العساكر المحمدية المنصورة ماله الى الجنة فيجب عليكم ايها الناس ان تتوبوا الى الله
تعالى وترجعوا عما انتم عليه من الضلال وتعلنوا بالطاعة والدخول في سلك الجماعة
وتبادروا الى اعتاب مولانا خاضعين طائعين مذعنين لاوامره فانه ايده الله يقبل
توبكم ويصفح عن زلتكم ويعرض عن جيلكم ولا ينالكم منه الا ما تحبون فهذه نصيحتي
لكم فان تلقيتهموها بالقبول فذلك والا فانكم ستشاهدون بقدرة الله تعالى ما يدع اطفالكم
يتامى ونساءكم ايتامى واموالكم غنيمة يقتسبها المسلمون وحينئذ تندمون على ما فاتكم
من الخير وتأسفون حرر بامر الخليفة السيد محمد بن علال نائب مولانا الامير في
ايالة مايناه نلم يزدحم هذا المكتوب الا اعتداء وعتوا ومع ذلك فان الخليفة
اقام ينتظر فنتهم اياما ولما يئس من طاعتهم وبلغه انهم تجمعوا وسمدوا للقتال في
بلاد اولاد مختار بعث الى الامير يخبره فوجم لذلك وسار اليهم في جيوشه وزحف
اليهم الخليفة بعسكره في وقت عينه له الامير فلما تراءى لهم سوى الخليفة صفوفه
والنقى الجمعان واتهم العسكر بالحشود واشتد القتال واتصل ثلاثة ايام وفي اليوم
الرابع جاء الامير من وراء العدو والح في قتالهم فانكشفوا واشخن فيهم بالقتل والاسر
وفر النائر وصاحبه ابن عوده لا يلوي احدهما على الآخر وتفرقت جموعهما في جيات
مختلفة فاقام الامير في موضع المعركة ثلاثة ايام لراحة الجيوش وفي الرابع ارتحل
يقفو اثرهم وبث البعوث في النواحي فدمروا من ادركوه منهم واشخنوا فيهم بالقتل
والاسر والتجأت القبيلة المعروفة ببني عنتر الى موضع كثير الشعراء والصخور وتحصنوا
فيه فلحقهم العسكر المشاة واحاطوا بهم وضربوا عليهم حلقة الحصار الى ان اجندهم
الجوع والعطش فلاذوا بالطاعة ونزلوا تحت حكم الامير فغفا عنهم وامن روعتهم ولما
ذاع خبر هذه الواقعة وما لحق بالعصاة من الوبال والنكد اذعن الناس وجاءت الوفود
من القاصية الى الامير وهو في بلاد اولاد مختار ورجع العصاة كلهم تقدموا طاعتهم
اليه واعترفوا بذنوبهم بين يديه فشمهم بالعنو ورد عليهم سبيهم واسراهم واستامن

اليه محمد بن عودة فامنه ووفد عليه فاكرم وفادته وكتب له بالولاية على سائر القبائل في ناحيته من عرب وبربر وسماه آغا وقرىء الظهير الاميري بذلك على اعيان القبائل الذين ترأس عليهم وبهذه السياسة الحذنة صار من كان عدواً بالامس صديقاً اليوم بل خادماً اميناً وبعد هذا الانتظام العظيم طلعت الاحوال في الجهات واستقامت الامور وعثت آثار الفتن وانكشف الديجور من ساحل البحر الى القفر واما البغدادى فانه وقع في يد بعض العصابة فقبض عليه واحضره الى اعتاب الامير وجعله ذريعة لتوبته فتقبلها الامير منه واشتخص الثائر الى المغرب الاقصى ولم يزل الامير ينتقل في تلك النواحي الجنوبية والجهات الشرقية الى ان اجثت المفاسد من اصلها واخضع قبائل الصحراء ودوخها وولى عليها العمال واهل الجباية ثم انتقل راجعاً الى المدينة حاضرة الولاية





❁ وهذا رسم المدينة ❁

فوفدت عليه وفود الاغواط وقدموا طاعتهم فتقبلهم واكرم وفادتهم وافاض عليهم من احسانه ما استعبدتهم ثم انهم اخبروه باحوال بلادهم واقفوه على ما عليه عشايرهم وبطونهم من الطاعة له وطلبوا منه منه ان يولي عليهم من يسوسهم ويضبط بلادهم فاجابهم الى ما طلبوه وولى عليهم السيد الحاج العربي بن السيد الحاج عيسى اللغواطى المشهور فيهم بالسودد والرئاسة الموروثة عن اسلافه واقامه نائباً عنه في تلك النواحي الشاسعة وكتب له في ذلك ما نصه هذا ظهير شريف يتضمن الترغيب في جمع كلمة الرعية والتهريب من السعي في تفريق الجماعة والدعاء الى التمسك باوامرنا المطاعة اصدرناه للمكرم المحترم السيد الحاج العربي اللغواطى وذلك انه لما تقرر لدينا فضله وعدله رأينا انه احق من نقله الامر الاكيد ونرعي به الغرض البعيد ونستفسر به احوال الرعية حتى انه لا يغيب عنا شيء من احوالها ولا يخفى علينا ما يتجشمها من طارق احوالها وينهي الينا جميع ما يحدث فيها انهاء يتكفل بجلائلها ودقائقها وجعلناه نائباً عنا وخليفة لنا في قبائل الاغواط الغرابة والشرافة ومن اليهم من القبائل الصحراوية في الجهات الجنوبية فيجمع سائر وجوهها واعيانها ويخبرهم بامرنا هذا ويتلو عليهم ما قلناه به ويقرر لديهم وجوب طاعته ولزوم اتباعه والاذعان لاوامره ونواحيه وقد عيناه من العسكر النظامي ما يتوصل به الى تقرير الاحكام وجباية الاموال وقهر الظالم والاخذ بيد المظلوم هذا مع ما نعتد عليه من اقياد رعيتنا للاحكام الشرعية والاوامر المرعية ولذلك لم نبالغ بالاستكثار من العسكر لخدمة خليفتنا المذكور فكونوا ايها الناس لامره السالك فيه على جادة الحق والعدل سامعين ولكمته مطيعين واعلموا ان من نكث فانما ينكث على نفسه والله ولي المتقين حرر عن اذن مولانا ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين في سنة اربع وخمسين ومائتين وثمان وثلاثين وثمانمائة وبعد تحرير هذا الظهير وتسجيله تناوله السيد الحاج العربي وسار مع الوفود الى بلادهم فرحين بما نالهم من الامير من الاكرام وقضاء المطالب ونيل الرغائب ثم رجع الامير الى المدينة فاستقبلته الاهالي على بعد اميال منها حتى غص الطريق بالوف من الذين ثقاتروا من كل نواحي المدينة ليمتعوا اعيانهم بشاهدة ذاته وكانوا يصرخون نلحش مولانا عبد القادر وصدحت عند دخوله الموسيقى باغانيها المطربة ورشقوا ممره بياقات الزهور ولم يزل سائراً الى ان دخل الجامع الكبير فطلى فيه وخطب ووعظ ثم توجه الى محل الامارة فتوارد عليه الوجوه والعلاء مقدمين له التهاني فكان يستقبلهم بالبشاشة والمؤانسة ثم وفد عليه الوفود من قسنطينة والقبائل

المقيمين بالحدود الجنوبية في اياتها يستجدونه ولكن محافظته علي معاودة تافنا منعه
عن ذلك وكان رضي الله عنه بعد فراغه من الاشتغال بالامور المدنية يشتغل بالامور
الدينية اما في نفسه واما للعموم فكان مدة وجوده بالمدينة يدرس درساً عاماً في التوحيد
وكان يوم ختمه ام اليراهيم للنوسي يوماً مشهوداً حضره العلماء من القطر الجزائري وقدموا
له المدائح ومن جملة من امتدحه العلامة السيد قدور بن رويله فقال

اغیوث السماء سحت بروض *	ام نسیم الصبا زکت بربوع
ام شمس الضحی تجلت لسعد *	ام بدا البدر فی سمود الطلوع
وشغور الافاحی بالزهر تبدو *	باسمات عن البریق الملوغ
وخدود الورود تحبها وج *	نة عذراء ذات خدر منبع
وعیون من نرجس شاخصات *	لم تذق فی الرياض طعم الهجوع
وحمام الارك في الدوح يشدو *	يسدیع التسجیع والترجیع
وذیول المنی تجر وتاج ال *	شغریزهو بهجة الترصیع
ام سحب العلوم فی الدرس یمی *	بفهوم من الغمام المموج
ام فیوضات بحر لفظ كلام *	زاخر فی اصوله والنروع
ام عقود من البراهین تبدو *	بقیاس یزهو بحسن صنیع
ام لآلی فوائد ملحقات *	تعارف من البیان البدیع
قد اقرت لما اسود غریس *	ولها اذعنت جمیع الجموع
حيث شمس الهدى لعینی تجلت *	فاستنار النوءاد بین الضلوع
من سماء الامام قطب المعالی *	صاحب الوقت والمقام الرفیع
سیدی عبد قادر من له قد *	خضع المرهبون ای خضوع
ابن نحی الدین الحسني جدًا *	ومن الاصل كان طیب الفروع
فهو للدرس ان تصدى امام *	وهام ان جال فوق سریع
جد حتى اطاعه كل شيء *	یاله من فتی مطاع مطیع
یا حمی العلم باطنًا ظاهريًا *	من به ردع النیاسوف الطبیعی
دم لتوحيد الله اقوى معز *	اوقع الشرك فی اذل وقوع
وصلاتي مع السلام علی جد *	کم الهادي الرسول الشفیع
وعلى آله واصحابه ما *	فاح مسك الختام بعد الشروع

✽ غزوة وادي الزيتون ✽

خرج الامير بقواده وررءساء القبائل من المدينة قاصداً فرقة من معسكره نازلة في سهل قريب من البلدة ولما وصل المعسكر امر بعدم خروج احد منه وبالاكتفاء عليه فاصطف الجميع حوله كهيئة نصف دائرة فقال لهم طالما قابلت اعوجاج قبائل وادي الزيتون بالاستقامة وعاملتهم على ما فيهم من الاساءة بالمعاملة الحسنة فلم يزدكم ذلك الا علواً واستكباراً مع علمهم باننا قد بذلنا نفوس الانفس والمال للجهاد في سبيل الله واعلاء كلمة الله واخترنا ركوب الاخطار للذب عن الدين والوطن ودافعنا الاعداء بالمال والبدن وقد خالفنا فخالوا اعدائنا في الدين ومنعوا دفع الزكاة والعشر المفروضة عليهم شرعاً لبيت مال المسلمين واني قد بذلت الجهد في ارشادهم وارسلت الاشراف والعلماء لنصحهم فما ارتدعوا عن غيهم وقد افل يوم الرحمة عنهم ودنا يوم النعمة منهم فاحملوا عليهم حملتكم المعروفة واحمدوا عليهم بشجاعتم الموصوفة التي اقلت الزعب في قلوب كل الاعادي ولا تخشوا رصاص رماهم فان الله هو الراي ولا يهولكم اعتصامهم كلنسور في صياحي الجبال فالاصياد الماهر يتسلق الجبال لبلوغ الآمال فتوكلوا على الله ان الله معنا ودينياً لمن يموت شهيداً ومن آب ذائفاً عاد والله سعيداً واستمدوا من الله المعونة والنصر والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطاهر فنادى الجميع اللهم صل على سيدنا محمد وانصر ناصر الدين ثم امر بتهيء الجيش للمسير ولما وصلوا لوادي الزيتون امر بترتيب الجيش للهجوم وقسمه اربعة اقسام قسم للميمنة وقسم لليسرة وقسم لجمع المنجاريح وتعقيب المنهزمين وابتقى الباقي في معيته على راية مشرفة على ساحة القتال ثم صدحت الموسيقى باللمان الحماسة والنجوم وشرعت الجنود بالزحف حتى قطعوا الوادي وابتدأوا بالصعود الى معتصم العصابة فقابلتهم العصابة باطلاق البنادق من وراء صخور الجبال وقتلوا عدداً من الجند فتوقف الباقي عن التقدم والقواد تشجعهم وتحثهم على الاقدام والثبات وتعدهم بالنصر وامر الامير بالحمل عليهم من كل جانب فحملوا عليهم حملة رجل واحد وعلا القتام وضجت الاصوات من الفريقين وصعد الجند الى اعلا الروابي واضرم النيران في القرى وثارت العصاة تدافع عن المال والعيال مدافعة الاسود عن الاشبال والتحمت الرجال بالرجال وبطل الرمي بالبنادق وعمل السيف انفصال بالاعناق والمفارق ولم يزل السيف يعمل والابطال تقتل وتجنبدل الى ان دب بالاعداء الفشل وسلموا انفسهم للاسر فامر القائد عند ذلك

بوثنى الرجال وجمع النساء والاضفال في محل ووضع الحرس الكافي عليهم واستولى الجيش على الاموال والامتعة ثم رجع الامير الى خيمته وامر بجمع العلماء لترتيب الجزاء على روءساء الاسري فحكم عليهم بالاعدام واحضر بين يديه ثمانية عشر رجلاً منهم فقال لهم قد امرنا الله بقتال من فارق الجماعة وخالف الشريعة المطهرة وشق عصا الطاعة وقد اظفرننا الله بكم وجعلكم في ايدينا فماذا ترون فاجابه احدهم ان قطع اعناقنا اولى من تقديم الطاعة لك عندنا والله يحكم بيننا وبينك يوم القيامة وهو اعدل الحاكمين فوجده الجاويش على ذلك وامره بالسكوت فرفع الامير راسه واثار الى الجلال بضرب عنقه ثم الثاني والثالث الى ان وصلت التوبة الى شيخ هرم فقدم وهو يرتعد خوفاً وجزعاً فهجمت اطفاله على الامير ووقفوا يتباكون وبينهم طفلة صغيرة السن خاطبت الامير بقولها بحق الله ووالديك واولادك ان تغفون والدي فلما سمع الامير كلامها غلبت رحمته على غضبه وظهر اثر العفو والشفقة في وجهه وامر بالعفو عن والدها وعن الباقيين واقتبل على البنت وقبل جبهتها لانها كانت سبب عفوهم عنهم ثم اعلن العفو عن حالفهم ورد اموالهم عليهم فلما سمعت روءساء القبائل المخالفين لم بذلك اسرعت للثول بين يديه وادوا الطاعة والاموال المفروضة عليهم من زكاة وعشر فعند ذلك اقر كل رئيس على قبيلته وامر برحيل المعسكر ورجوعه الى المدينة

﴿ ذكر خروج الجنرال دوهرميون الى قسنطينة ومقتله واستيلاء عساكره عليها ﴾

لما فرغ الجنرال ويجو من امر المعاهدة مع الامير بعث بالجند الذي كان عنده في وهران الى الجزائر وبعد ايام اخذ الحاكم العام اسعاده ثم سار في المراكب المشحونة بالعساكر والذخائر قاصداً قسنطينة ونزل في بونه ومنها خرج الى كلمه ولا زال يتقدم الى ان استولى على مضيق عمار وكانت حاميته اذ ذاك من عسكر احمد باي صاحب قسنطينة فلما اتصل بها خبر الفرنسيين تفرقت من غير قتال واقام الحاكم الفرنسي في المضيق المذكور ينتظر لحوق الذخائر والمهمات به وقسم عساكره اربعة فرق وزحفت هذه الجنود في اول يوم من اكتوبر واتصل الخبر باحمد باي فخرج في نقاوة جيشه الى خارج البلد واقام نائبه علي بن عيسى في باقي الجيش داخلها واستمرت الجنود الفرنسية سائرة الى ان وصلت قرب البلد فناجزها المسلمون الحرب واستمر القتال بين الفريقين ستة ايام بلياليها ثم وقعت فترة من الجيوش الاسلامية فتقدمت الجيوش الفرنسية انتهازاً للفرصة واستولت على الخندق فتوقف الحاكم الفرنسي عن القتال وكتب الى الباي

وعلي بن عيسى واعيان البلد يدعوهن الى التسليم ونص ما كتبه من القائد العام وروءساء
الجيش الفرنسي الى احمد باي وعلي بن عيسى وسائر العساكر والاهالي المحصورين
داخل البلد نعرفكم ان العناية الالهية منحتنا انتصاراً جديداً عليكم ويد القدرة الربانية
كلتنا باكايل النصر فيها جيشنا الجسور وابطالنا الشجعان قد استولوا بعزمهم وقوة سلاحهم
على خنادق بلدكم ولم يبق بيننا وبينكم الا احد امرين اما اعمال السيف واما التسليم
للنجاحة من الحيف لا جرم ان عدم التسليم يعود عليكم بالدمار والخراب ونحن لا رغبة لنا
في سفك دمائكم فالتسليم اسلم لكم واحسن بكم لانكم امسيتم في مركز خطير جداً وانخلاص
منه بدون ضرر كبير يلحقكم مستحيل كيف وبواريد فرنسا قد احاطت بكم من كل
جهة وصرت في وسطها مثل السمك في الشبكة فاجابوه بما نصه من الامة المحافظة على
شرفها وبلدها الى العسكر الفرنسي المعتدي على حقوق غيره قد وصلتنا رسالتكم
وفهمنا ما ذكرتموه فيها نعم ان مركزنا امسى في خطر عظيم ولكن استيلاؤكم على
قسنطينة المحمية بالابطال العربية الذين لا يهابون الموت موقوف على قتل آخر واحد
منهم واعلموا ان الموت عندنا تحت اسوار بلدتنا احسن من حياتنا تحت سلطة فرنسا
فلما اتصل هذا الجواب بالحاكم الفرنسي قال لاهل مجلسه من القواد ما ذكره هؤلاء
هو كذلك فانهم ابطال شجعان اصحاب قلوب قوية وما رغبوا فيه سيعود على جنودنا
بالعز والتفخر ثم امر باستئناف الحرب واخذ الجيش في طم الخندق وتوجه الحاكم
الفرنسي وفي معيته الدوك دي بنور الى محل العمل فبينما هم ينظرون الى عمل الجند
اذا رسلت عليهم كلة من مدافع البلد فاصابت الحاكم الفرنسي في صدره فالقته قتيلاً
وتقدم الجنرال بريكو ليحمله فاصابته رصاصة في جبهته فالحقته برفيقه ثم اتفق رأي
القواد على تعيين الجنرال كاله قائداً عاماً فامر باطلاق المدافع على البلد فارسلت عليها
كالمطر ثم هجم القائم مقام لامورسير بفرقة على البلد واتصلت النار باللغم الذي كان
المسلمون اعدوه للعدو فدمر عدداً كثيراً من الفرقة الهاجمة وجرح قائدها لامورسير
جرحاً اعجزه عن القيام ثم هجم كومب بفرقة مدداً للفرقة الاولى التي هلك اكثرها
واشتد القتال بين الفريقين وابلى المسلمون بلاءاً حسناً فكان منظر القتل مرعباً وانين
الجرحى مخزناً واستمات الفريقان وثبات اهل قسنطينة في ذلك اليوم اوجب مزيد
الاستغراب لكل من شاهد تلك الحرب الهائلة وبعد هذا فالغاية للجنود الفرنسيين
لانهم اقتحموا شدة ذلك البلاء وتعلقوا باسوار البلد وتمكنوا من نشر راياتهم عليها
غير ان الخسارة التي تكبدوها لا يعادها شيء فقد قتل من القواد المشهورين عدد

كثير منهم القائد العام الجنرال دومريمون والجنرال بريكو والكمندار كومب والقائد فيه دمبريني وغيرهم من الوف من الجند ومعظم الوبال كان في النهار الاخير ويوم يد هذا ما ذكره بالمار ووافقه روا في تاريخهما ولما دخلت جنود فرنسا الى البلد تفرقت العرب وفر احمد باي صاحبها في له من خواصه ولحق بالزاب ثم اخذ مدينة بسكره من يد حاكمها فرحات بن سعيد الزواوي ورجع الجنرال كاله الى الجزائر بعد ان اقام القبطان بتربيل حاكماً على قسنطينة وثبتت قدم الفرنسي في مدينة قسنطينة وانقضت منها دعوة الدولة العلية ولله عاقبة الامور ثم آل امر احمد باي الى الدخول في يد الفرنسي وكانت وفاته في مدينة الجزائر

﴿ ذكر استيلاء الامير على بلاد الزيان وصطيف وما اليها ﴾

﴿ من البلاد الجنوبية والشرقية ﴾

ولما تم استيلاء الفرنسي على قسنطينة وفر صاحبها احمد باي الى الزيان حشد الحشود وزحف بهم على بسكره حاضرة تلك البلاد فدخلها وفر صاحبها فرحات ابن سعيد ولحق بالجزائر مستنجداً بما كلفه الفرنسي فلم يجده وتغافل عنه وكان الامير وقتئذ في المدينة فجاءه وشكى امره اليه ودعاه الى الاستيلاء على بسكره وما اليها من البلاد فاجابه الى ذلك وجوز الخليفة السيد محمد البركاني في الجيوش المنظمة والمتنوعة وسار بهم مع فرحات الى مدينة بسكره وكان خبرهم اتصل باحمد باي ففر منها ولحق بالتخوم مما بلى الصحراء واستولى الخليفة على بسكره ووفدت عليه اعيان العرب والبربر من تنزاه والزواوده وغيرهم وقدموا طاعتهم وطاعة من وراءهم وارسل الخليفة بالخبر الى الامير فسر بذلك وامره بتهيئ تلك النواحي الى اطراف الصحراء ثم بالانقلاب الى صطيف وما اليها من بلاد تجانه الى جبال زناته ففعل ثم انتقل راجعاً الى المدينة ظافراً فانعم الامير على فرحات بن سعيد بايالة بسكره وما اليها فاستلم زمام امورها ورتب العمال في اعمالها ولما فشت الدعوة في سائر النواحي الشرقية والجنوبية بادر من ثقاعس من القبائل عن اداء الطاعة فادى طاعته واتسع نطاق المملكة مسيرة شهر طويلاً وعرضاً للمجد واستقامت الامور وترتبت الحاميات والمسلحات في الثغور والتخوم وامنت السبل حتى ان المرأة كانت تسير من اول المملكة الى آخرها لا تسئل من اين والى اين

❖ ذكر خروج التجيني في حصن عين ماضي من بلاد الاغواط ❖

❖ ومسير الامير اليه ❖

تقدم ان وفود بني الاغواط الشراقة قدموا طاعتهم الى الامير فتقبلها وولى عليهم وعلى من يليهم من القبائل السيد الحاج العربي وردهم الى بلادهم فاذعن الناس للخليفة وقبلوا ولايته ومشت كلمته في تلك النواحي ولم يشذ عنه الا السيد محمد الصغير التجيني ومن وافقه من الاغواط الغرابة فانهم امتنعوا من اداء الطاعة وجأهروا بالعصيان فبعث الخليفة بجنوده الى الامير فوجم لذلك وخشى ان يسري هذا الحال في الناس ويرجع الامر الى ما كان عليه من الارتباك فبادر الى قمع هؤلاء الثائرين وتنكيلهم ليكونوا عبرة للغيرم وصار في الثامن عشر من ربيع الاول سنة اربع وخمسين ومائتين واثنى عشر يونيه سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة في ستة آلاف من الخيالة وثلاثة آلاف من المشاة وثلاث قطع من المدافع وستة هواوين وبعد عشرة ايام من مسيره سيراً عنيفاً في قفار رملية شارب الحصن فرأى من حصانته بالخندق والسور ومن كثرة المقاتلة ما استعظمه ثم تقدم اليه وفرق الجند على جيانه ومعهم النقبابون للسور ومن ورائهم الرماة فمنع اهل الحصن ساحته وحاربوا من المكامن التي اتخذوها تحت السور ومن شرقاته فتأخر الجيش عنهم وجعلوا يناوشونهم الحرب من بعيد واخذوا في قطع الغياض الملتفة الاشجار حول الحصن وحطم البساتين واقامت البطاريات في تلك الفسحات وصار الشروع باطلاق النار وكلما فتحت تغرة لاجل الهجوم تسد من داخل وتكرر ذلك مراراً ثم امر الامير بحفر النفوق فحفر نفق من المعسكر الى داخل الحصن ولما وصل العاملون فيه الى داخل السور احس بهم الرئيس فنقب جيشه على العملة ووقعت بينهم مقاتلة داخل النفق وابطلوا للعملة عملهم ولما طال الحصار على اهل الحصن مدة تقرب من ستة اشهر واجهدهم الجوع واضناهم الخوف اجتمعوا الى رئيسهم واروه ما آل امرهم اليه من الجهد وتفاد الاقوات وما يحتاجون اليه في الدفاع وتكلموا معه بما اضطره الى التسليم وفي التاسع عشر من نوفمبر بعث التجيني الى السيد الحاج مصطفى بن التهامي خليفة الامير يستامن على نفسه واهله وسائر اهل الحصن ومن حضره من الحشود وطلب مهلة اربعين يوماً يتأهب فيها الانتقال والجلاء عن الحصن فعرض الخليفة ذلك على الامير فاجابه على شروط اولها ان يدفع التجيني مصارفات الحصار الثاني ان يكون تجبوراً على اخلاء المدينة في برهة اربعين يوماً الثالث ان يكون له حق باخذ جميع امواله المنقولة بلا استثناء الرابع لاهل

المدينة حتى يرافقة التجيني باموالهم واسلحتهم الخامس ان يرفع الامير الحصار عنهم ويرجع ثمانية اميال عن المدينة حتى تخلى السادس ان يكون ابن التجيني عند الامير رهينة الى تمام المعاهدة فقبل التجيني الشروط المذكورة وامضى عليها وارسل ابنه معها فامنه الامير وامهله وبعد انقضاء المدة خرج باهله وحشوده ولم يتخلف في الحصن الا المستضعفون فامر الامير بتخريب الحصن فالصق سوره وسائر دوره وابراجها بالارض وغور ماءه وارسلت له قبيلتان من قبائل الاغواط المجاورين للحصن الزكاة والعشور واصرت بقية القبائل على عدم دفع ما كان عليهم من الزكاة والعشور ولحق التجيني بالاغواط الغرابة وساكنهم في حلالهم في خيام الشعر فاعلن الامير بذلك الى خلفائه ووكلائه في الجزائر ووهران بما نصه الحمد لله وحده صلى الله على من لا نبي بعده وبعد فان الله تعالى منذ ولانا امر المسلمين والنظر في مصالحهم لم نزل نجتهد ونسعى في تاليف قلوبهم على الاتحاد والخضوع لشرعية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله عز وجل ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وقد توجهنا هذه المرة الى بلاد الاغواط لجمع كلمتهم واصلاح فسادهم فاظهر عامة اهلبا غاية الطاعة والانقياد الا ما كان من التجيني ومن اتى اليه فانهم تجاهروا بالشقاق وتظاهروا بالتصدي عن الوفاق فامرناهم بالرجوع الى الحق وحذرناهم من شق عصا المسلمين غير مرة وناشدناهم الله في صون دماءهم واعراضهم فلم يرجعوا عن غيهم بل صمدوا على قتالنا واستعدوا لمحاربتنا فخفنا ان اهلنا امرهم من سريان هذا الفساد الى غيرهم فيفوت المقصود الذي هو جمع الامة على كلمة واحدة وطريقة متحدة فاخذنا في حصار حصنهم والتضييق عليهم ولما استشرفوا على الردى وكادت ان تعمل فيهم المدي طابوا منا الامان مع انهم خدعونا مرات عديدة فمحنناهم الصبح الجميل صوتا لدمائهم ونفظا لاعراضهم نقوله تعالى فاعفوا واصفحوا وامنائهم على ان يخرجوا من الحصن ويتوجهوا حيث شاؤوا فخرجوا كلهم منه الا المستضعفين منهم وذهب التجيني وحريره واولاده الى الاغواط الغرابة وابقى ابنه الكبير رهنا عندنا فالحمد لله الذي ايدنا بنصره على من عصي امره وناواه فانه لا رب غيره ولا معبود سواه واصل التجيني من اشراف المغرب انتقل والده السيد احمد في اواخر المائتين بعد الالف من فاس الى بني توجين اصحاب تاهرت وتاكدمت من البربر اخوان بني زيبان ملوك تلمسان وبني مرين ملوك المغرب الاقصى ولما طال مقامه بين اظهر بني توجين نسب اليهم فقبل له التجيني وكان حصن عين ماضي موضع سكناه وكان عالما زاهدا مشتهرا باصلاح وقصده الناس للتبرك به وكان يقول لم يوجد من عصر التعابة رضى

الله عنهم الى عصري عالم مثلي وله تاليف سماه الكناش ذكر فيه آداباً صوفية وحقائق الهية
وثار ولده محمد الاكبر علي الحكومة وزحف بجموعه على مدينة معسكر ودخلها فخرج اليه
حاكم وهران وقتله وقد تقدم تفصيل الواقعة وهذا الحصن اختطه ماضي بن يقرب من اقبال
العرب في المائة الخامسة لاول استيلاء العرب على المغرب الاوسط ايام العبيدين ويحوى
على ثلاثمائة دار وتدخل له العين المسماة بالحصن في قناة وبه صهاريج لجمع ماء المطر تسد
عوز اهله وله من المنانة والحصانة ما بهر العقول وحوله من النخيل والاشجار المتبعة ما
هو زينة للناظرين

وهنا بعض ادباء اهالي مليانه الامير بن فتح هذا الحصن الذي عجز عن فتحه من
قبله بقوله

ايا نسمة الاسحار طبت بصولة * وطابت بك الاكوان طراً بسرعة
واب سرور الدهر منذ طاب نشرها * ونادى منادي النصر من كل وجهة
واقبت البشرى وعم سرورها * ونالت به الايام احسن سطوة
بطلمة عبد القادر السيد الذي * له الشرف السامي باشراف نسبة
هو البدر وافي سيف سماء كحلة * بمحو ظلام حل قدماً بيلدة
فمن عين ماضي قد ازاح غشاوة * فضاءت وعادت خير عين بصيرة
فويل لمن عادى ابن اكرم مرسل * وويل لمن يدعون اصحاب ذمة
هنيئاً لنا اهل المحبة ائنا * بذنا البدر لنا اليوم اكل منية
بسعي امير دمر الطاغين منذ * جرى عدله في كل مصر وقرية
فتطلب من رب السماء بقاءه * لنطرب اياماً باحسن دولة
عليه سلام الله ما هبت الصبا * وما اشرقت شمس الاعلا كل لحظة

ولما فرغ الامير من امر التجيني رجع الى معسكر لاختد الراحة وبعد ان اقام بها
بضع اسابيع الف جيشاً من خمسة آلاف فارس وامر ان ياخذ كل واحد منهم
على فرسه ما يكفيه من الزاد والشعير وان يجتمعوا في سهل غريس فاجتمعوا فيه ولم
يعلم احد بمراد الامير بذلك في وقت اشتداد البرد وكثرة الشتاء وقبل غروب الشمس اتبل
عليهم ممتطياً ظهر الجواد لابساً لامة الحرب والجلاد نتوجه بهم نحو الشمال الغربي ولما
اعتكر الظلام امر بايقاد اربعة مصاييح امام الجيش فجعلت في اسنة الرماح فكانت
اشعتها تنبعث الى وراء الجيش ثم ترك الجادة وانعطف فجاءة الى جهة الشمال الشرقي فظلم
الجيش اذ ذاك ان سيره السابق مجرد تورية وتمويه ولم يزالوا يجدون السير الى نصف الليل

ثم نزلوا على حافة جدول فاكلوا واطعموا خيولهم وبعد مضي ثلاث ساعات عادوا للسير
العنيف الى نصف النهار ثم نزلوا واطعموا الخيل واكلوا ثم عادوا لما كانوا عليه من
السير السريع واستمروا على هذا الحال اربعة ايام واربع ليال وفي صباح اليوم الخامس
انكشفت لهم منازل الاغواط الذين اصروا على عدم الطاعة وامتنعوا عن اداء العشر والزكاة
وكانت خيامهم تنوف عن عشرة آلاف خيمة وكان اهلها من نكبات الدهر آمنين وفي لذة
النوم مستغرقين لم توظفهم الا الصيحات العالية والضربات المتوالية ولما انتهوا رأوا ما هالهم
من الفرسان المنقضين عليهم انقضا العقبان على الغربان وكثر من النساء العويل والنحيب
واندهش عقل البطل النجيب وركض البعض لاسلحتهم والآخرين لخيولهم فلم يتمكنوا من
الاجتماع حتى صمت الاسماع بصوت الامير صونوا الحريم واما الرجال فاذيقوهم كأس الوبال
ثم احيط بهم من كل جهة واستاقوهم كقطعان الغنم ولما احضروا مشايخهم بين يدي الامير
وقعوا على رجليه وتذلوا بين يديه واعطوه الموائيق والعهود على الطاعة وحسن السلوك
فرحمهم ونقبل طاعتهم ورد عليهم جميع ما اخذ منهم وفي الحال دفعوا له اربعة آلاف
جمل وثلاثين الف راس غنم عما تبقى عندهم من زكاة خمس سنين وكانوا بعد ذلك من
اشد القوم تمسكا بالامير واكمالهم طاعة له

❖ ذكر المقاطعات والعمال وغيرهم من ذوي المناصب العالية ❖

❖ وترتيب الاحكام وشؤونها ❖

لما تمت بيعة الامير واستقام له الامر واتخذ الآلة ورتب الحاشية وعين رجال
الدولة قسم ما دخل في طاعته الى مقاطعتين مقاطعة تلمسان وولى عليها السيد محمد
البوحميدي الوهاضي ومقاطعة حضرته معسكر وولى عليها السيد محمد بن فريجة المهاجي
ولما قتل ولى عليها السيد الحاج مصطفى بن احمد التهامي وكان رئيس ديوان الانشاء
ولما امتدت طاعته الى ما وراء وادي شلف جعل مليانة مقاطعة ثالثة وولى عليها
السيد يحيى الدين بن علال القليعي ولما مات ولى عليها السيد محمد بن علال من
اقاربه ولكل من هذه المقاطعات الثلاثة مرسي تخصها فللمسان مرفا رشكوف
ولمعسكر مرفا ارزيو وللمليانة مرفا شرشال ثم دانت له بلاد تيطرى فجعلها مقاطعة اربعة
وجعل حاضرتها مدينة المدية وولى عليها اخاه السيد مصطفى بن يحيى الدين ثم
عزله وولى عليها السيد محمد البركاني ثم تزايدت الفتوحات في الجهات الشرقية والجنوبية
فاتسعت المملكة واخذت في الشرق الى ما وراء بلاد مجانة قرب قسنطينة وفي

الجنوب الى القفر فيما وراء وادي سوف حيث مجالات التوارك من بقايا المثلثين وفي الشمال الى ما وراء جبال زواوه فجعل مقاطعة مجانة مقاطعة خامسة وحاضرتها صطيف ومقاطعة الزيبان مقاطعة سادسة وحاضرتها بسكره ومقاطعة الجبال مقاطعة سابعة وحاضرتها برج حمزه فولى على مقاطعة نجانة محمد بن عبد السلام المقراني ثم السيد محمد الخروبي القلعي ثم السيد محمد بن عمر العيسوي وعلى مقاطعة بسكره والصحراء الشرقية فرحات بن سعيد ثم السيد الحسن بن عزوز ثم السيد محمد الصغير ابن عبد الرحمن بن احمد بن الحاج وعلى مقاطعة برج حمزه السيد احمد بن سالم الديسي وجعل الصحراء الغربية مقاطعة ثامنة وولى عليها السيد قدور بن عبد الباقي وقسم المقاطعات الى دوائر ووضع في كل منها آغا وهذه الدوائر تشتمل على قبائل وكل قبيلة تحتوي على بطون وعشائر فجعل على كل قبيلة قائداً وعلى كل بطن وعشيرة شيخاً فكانت الاوامر الاميرية تصدر الى العمال المعروفين بالخلفاء ومن طرفهم الى الاغوات ومنهم الى القواد ومنهم الى المشايخ والقضايا التي تحدث في الدوائر يرفعها المشايخ الى القواد وهم يرفعونها الى الاغوات ومنهم ترفع الى الخلفاء ثم تعرض على الحضرة الاميرية اينما كان هذا في القضايا المهمة واما غيرها فان الخلفاء ينصلونها بدون ان يرفعوها الى الحضرة الاميرية وفي وقت الحرب تكون هوة لاء الروساء روءاء عسكرية فيجمع كل منهم جماعة من عشيرته ويحضر بهم الى انقثال ولما كان غاية قصد الامير ربط البلاد بالادارة الشرعية لم يستخدم في جميع اعماله الا من اشتهر بعرفة الاحكام وعرف بالعفاف والاقدام وابعد غالب العمال ارباب التقدم والنفوذ في ايام الحكومة الجزائرية واستخدم في ادارة الامور الملكية من كان ذا حزم وعزم وقوة شكيمة من ذوي البيوت المشهورين بالعلم والفضل وحسن السياسة ومع ذلك كان يحلفهم على صحيح البخاري بان لا يعدلوا عن الحق وان يكونوا صادقين في الخدمة مع الامير والرعية وكان مناديه في غالب الاوقات ينادي في الاسواق ان من له شكوى على خليفة او آغا او قائد او شيخ فليرفعها الى الديوان الاميري من غير واسطة فان الامير ينصفه من ظالمه وان ظلم احد ولم يرفع ظلامته الى الامير فلا يلومن الا نفسه وتعيين العمال براسم خصوصية تتحرر بقلم كاتب الديوان الخاص ويختم باعلا سدار منها بخاتم الامارة وهو خاتم كبير الحجم نقشه في الدائرة

ومن تكن برسول الله نصرته * ان تلقه الاسد في آجامها تجم

وفي جوانبه الله محمد ابو بكر عمر عثمان علي وفي وسط الدائرة الوثائق بالقوى المتين

ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين والتاريخ سنة ٢٤٨ او يصير نصب العامل داخل الديوان الاميري وعند تسليمه مرسوم التقليد يعطى خاتماً عليه اسمه ولقبه ويخلع عليه بربنس جوخ على حسب الرتبة التي تولاها ويخلف على صحيح البخاري الشريف بحسن السيرة والعدل ومع ذلك لا يغفل الامير عن ملاحظتهم والسوءال عن مسراهم مع الرعية وبعد موت المتولي او عزله يرجع الخاتم الى دار الامارة وتلى حسب جسامه المقاطعة او المنطقة تكون افراد الحكم في الشرف والشهرة وقد اسندت نظارة الامور الداخلية لابي المكرم السيد محمد بن السيد العربي ونظارة الامور الخارجية لابي محمد الحاج المولود بن عراش ونظارة المالية لابي عبدالله الحاج الجيلاني بن فريجة ونظارة الاوقاف لابي عبد الرحمن الحاج الطاهر ابوزيد ونظارة الاعشار وصنوف الزكاة لابي محمد السيد الجيلاني بن المادية والحباة يخرجون في السنة مرتين مرة في الربيع لحباية الزكاة ومرة في الصيف لحباية الاعشار ونظارة دار ضرب السكة والاساحة ومعاملها وما يتعلق بذلك من ادوات الحرب لابي البركات السيد محمد بن الجيلاني من السادة الاقارب وكتابة الديوان الاميري لابن عمه السيد احمد بن علي ابي طالب والسيد مصطفى بن احمد انتهى ثم نقل الاول الى قيادة نايته والثاني الى خلافة المظفر وعين بعدهما للكتابة السيد محمد بن الخروبي ثم نقل الى صطيف والسيد محمد بن عبد الرحمن المرالي والسيد مصطفى بن العوني واتصلت خدمتهما في كتابة الديوان الى ان ماتا آخر ايام الامارة واسندت نظارة الخزينة الخاصة لابي سعيد محمد بن فاخه والحباية الى محمد بن الحاج علي الرحاوي والمهبوس الاميري لنظار الحاج التجادي الرحاوي وعين عبد القادر بن ابي معزة للتراثة والبدالي بن شافعية للرقابة وعبد الرحمن بن مقيظيف للسلاح وعبدالله بن يوسف لحمل الشمسية او اللواء وهو من حرير الزلاخ واسفله انضر ووسطه ايضاً مرسوم عليه بالذهب المزركش في صورة دائرة تامة نصر من الله وتفتح قريب ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين وفي وسطها صورة يد مبسوحة مطرزة بالذهب ولنظارة الاصطبل محيي الدين بن عبدالله ولرئاسة الموسيقى ابو مدين ابن ابي دغن وغير ذلك من الترتيبات الاميرية ولوازمها وبعد ان فرغ منها اقبل على الوظائف الشرعية فعين في كل عمالة وكل دائرة واسعة الانحاء قاضياً عالماً بفصل القضايا الشرعية على مذهب الامام مالك بن انس امام دار الهجرة النبوية فقيماً نزيهاً مشهوراً بالعفاف والقيام بامور الدين وربط ادارة هؤلاء القضاة بمراجعة العلامة قاضي القضاة السيد احمد بن الهاشمي المراحي رئيس نجله الخاص ونصب السيد بن عبث بن المصطفى المشرفي قاضياً للعسكر وعين لكل

فاض كاتبين اكبرهما يقوم مقام المتنبي في مطالعة النثاوى التي تجري الاحكام على مقتضاها ورتب في سائر المدن والقرى علماء لتدريس فنون العلم وعين لهم مرتبات على حسب طبقاتهم وامر بطلب العلم وباحترام اهله واستثنائهم من جميع المطالب الميرية فاذا حضر عنده طالب علم يتحننه في الفن الذي يتعاطاه فان وجده ناجحاً فيه اكرمه والا اعرض عنه فكان هذا سبباً قوياً للطلبة في الاجتهاد وحصل من ذلك فجاج عظيم وانتشر العلم في جميع المقاطعات واقبل الناس على تعليم اولادهم الامور الابتدائية فكثر النفع وعمت الفائدة وكانت الكتب حينئذ قليلة في البلاد فاجتهد في جمعها من كل جبة وامر العسكر بان كل من وجد كتاباً يحضره له ثم شدد في حفظ الكتب الموجودة بايدي الطلبة وعزم على ترتيب مكتبة في تاكدمت فصار يجمع الكتب اللازمة ولما احتاج الى اخلاء المدن جعلها في الزمالة فتالت كلها في وقعة طاكين لما هجم ابن ملك فرنسا الدوك رومال على الزمالة واجتهد في تهذيب الاخلاق وباصلاح الآداب العمومية بحيث لو اراد الله باطالة المدة لعادت العرب الى طريق اسلافهم المؤسسة على منطوق القرآن الكريم لانه منع بشدة وصرامة شرب الخمر ولعب القمار لاسيما من العسكر ومنع استعمال الدخان لكونه اسرافاً من دون فائدة سيما للفقراء ومنع الرجال من استعمال الذهب والفضة الا في الاسلحة وعلى الخيول وامر بالصلوات الخمس ان تكون في الجوامع ومن وجد في دكانه وقت الصلاة يجلد وعين مأمورين لذلك ومنع النساء من دخول الجوامع وامر بوابي الجوامع بان تكون عندهم مغرة وكلما جاءت امرأة يسمونها بها في هذه الوساطة انقطعت النساء عن دخول الجوامع خوفاً على اغطيتن واحداث اموراً تحسنات للامارة والمملكة لم تكن موجودة في ايام من سلفه من ملوك المغرب فاتخذ في كل مقاطعة دار شورى للمفاوضة في الدعاوي المهمة التي تحدث بين الرعايا وفي مصالح المملكة وجعل انتخاب اعضاء هذه المجالس الى الخلفاء والقضاة التي ترى فيها يكون فصلها على الوجه الشرعي ويكتب فيها صكوك بضع اصحاب الشورى فيها اسماءهم بخطوط ايديهم ورئاسة كل منها تناط بالقضاة فاذا حضرها الخلفاء فالرئاسة لهم وعلى كل حال فهم المأمورون بتنفيذ صكوكها وامر هذه المجالس بربوط بالمجالس العالي الاميري المؤلف من احد عشر عالماً وهم نواب المملكة ومن تعين فيه لاول الدولة السيد احمد بن التهامي والسيد عيد النقادر ابن روكش والسيد عبدالله سقاط المشرفي والسيد طاهر الخنوزلي والسيد محمد الخنوزلي والسيد احمد بن الطاهر ابن الشيخ المشرفي والسيد محمد بن المختار الورغي والسيد

الشيخ الخرنوبي والسيد المختار بن النكي والسيد الحاج عبد القادر بن روكش الاكبر
والسيد ابراهيم بن القاضي ورئاسة هذا المجلس الثانية للقاضي القضاة السيد احمد بن
الهاشمي المراحي وعند حدوث نازلة مهية يحضره الامير وتكرت الرئاسة له والوجه
الشرعي الذي توجبه يجري الحكم في النوازل موقوف على اتحاد آراء الاعضاء ولهذا المجلس
تجل كباقي المجالس تحور فيه مفردات ما يراد من الحوادث وبهذا الترتيب كانت الاحكام
جارية على جادة الاستقامة وتنقذ هذه المجالس تصرف من بيت المال كباقي الوظائف
والخطط الملكية واما اهل الوظائف الدينية وما يتعلق بها فتصرف مرتباتهم وتعييناتهم
من خزينة الاوقاف ومن الامور التي احدها الامير وحاز بها الفضل على من تقدمه من
المالوك في المغرب انشاء المدارس لارضي العساكر في كل المقاطعات وعين سيف كل
مارسنان اربعة اطباء يرجع امرهم الى طبيب حضرته العلية وهو ابو عبد الله الزروالي
وكان ماهراً في علم الطب وشهد له اهل الخبرة بذلك وكان عالماً بخواص الاعشاب
على اختلاف صنوفها وكان يخرج الرصاص من داخل العذو المطاب بوضع عشب على
مدخله فيخرج بعد بضع ساعات من موضعه بسهولة دون الم وابتنى داراً للمسافرين
والوفود في الحضرة واقام ناظراً عليها من ابناء دولته ينزل الناس فيها على حسب
دبقاتهم وتقدم لهم الماء كل والمشارب على حسب مقامهم

ذكر احتفال الامير للمولد النبوي والعيدين

كان يحتفل للمولد النبوي ايام امارته استئصالاً عظيماً فيخرج يوم المولد الشريف
هو وخاصته وامراء جيشه الى ارض نيجة مدعة ثم تصنع العسكر فيها شبه لخاربة
بحيث تقف العسكر المشاة المنظمة كهيئة قلعة مربعة الاركان ويضعون ما يحتاجون اليه
من البارود والذخائر وسط تلك القلعة ويحملون في كل ركن من اركانها مدفعين ثم تأتي
فرقة من الخيالة فتحيط بتلك القلعة فتخرج اليها شرذمة من القلعة لتردها عنها فتبعد عن
القلعة نحو عشر دقائق وتطلق البارود على الخيول المقاتلة لما فتحجم الخيول عليها
وتطلق النيران حتى تقرب منها فتراجع تلك الشرذمة الى وراء وهي لا تنترعن اطلاق
النار حتى تدخل القلعة وتقف في مكانها الذي خرجت منه ثم تطلق عساكر القلعة
النيران المتتابعة على تلك الخيول وتطلق مدفعاً او مدفعين من الركن الذي يليها فتراجع
الخيالة عنها ثم تخرج شرذمة اخرى من الجهة الثانية الى ما يليها من الخيالة فتجهم عليها
فرقة من الخيالة المقاتلة لما يجمع قوتها حتى تردها الى مكانها الذي خرجت منه بحيث يتخيل

لناظر انهما لم تخرج منه اصلاً ثم تطلق النيران المتتابعة على الخيالة ويطلق المدفع عليها من الركن المقابل لما حتى ترجع القهقري وعلى هذا المنوال تفعل اصحاب الجهة الثالثة والرابعة من الانعمال ويستغرق هذا العمل مقدار ساعتين من النهار فيشاهد الناظر من تلك الانعمال ما تقرر له الاعين وتبتهج به النفوس ونقول في حقه اللسن لا عطر بعد عروس وهكذا كان العمل في ايام الاعياد بعد الفراغ من الصلاة

﴿ ذكر ما شيده الامير من الحصون وما انتهى اليه عدد ﴾
﴿ العسكر النظامي مشاة وركباً ﴾

لما فرغ الامير من تمهيد البلاد اقبل على تحسين احوال المملكة وتحسينها وتنظيف ثغورها فابتنى في الخط الناصل بين السواد والصحراء عدة حصون منها سعيده وسبدو في الجهة الغربية وفي الجهتين الجنوبية والشرقية تاكدت وبوغار وسباو وعريب وبوخرشفه وطازة ولما ان دخل طازة ورأى تشيدها في اقرب وقت حمد الله وثنى عليه وقال ارتجالاً

الله اعلم ان هذا لم يكن * مني على الامل الطويل دليلاً
كلا وان منيتي لقريبة * مني واصبح في التراب جديلاً
ورضى الالهو المنى ليكون من * بعدي انتفاع الخلق ثم طويلاً

ثم امر بكتابتها على باب الحصن وحصن تاكدت اعظم الحصون المذكورة واقواها واحسنها موقعاً ووقفها لوصل تجارة الصحراء بتجارة السواد وقد اعنتي به الامير نظراً لمركزه ولما ابتنى هذا الحصن انتقل اليه باهله واهل دائرته وانشأ فيه دار السلاح وجلب اليها عملة من اسبانيا وفرنسا فكانوا يصنعون فيها البواريد وحرابتها والسيوف وغيرها من ادوات الحرب ونهجاته وابتنى فيه داراً لضرب السكة وجعلها ثلاثة اجناس من الفضة والنحاس مستديرة الشكل فالفضة والنحاس نوعان مكتوب على احد وجوبيها (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فان يقبل منه) وعلى الآخر (خرب في تاكدت) وتاريخ الضرب سنة ١٢٥٥ وهذه القطعة عبارة عن فرنكين والجنس الثاني من الفضة والنحاس مكتوب على احد وجوبيه (ان الدين عند الله الاسلام) وعلى الوجه الآخر محل الضرب والتاريخ وهذه القطعة عبارة عن فرنك واحد والجنس الثالث من الفضة والنحاس مكتوب على وجهه الاول (ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا) وعلى الثاني محل الضرب والتاريخ وهذه القطعة عبارة عن نصف فرنك وتنقله في رسم هذه الآيات بحسب

ما كان عليه من اختلاف الظروف والحالات وابتنى في الحضرة معسكر ومليانة والمدينة معاملاً لخدمة الاسلحة بأنواعها والبارود والرصاص ومع ذلك كان يشتري منها حين اللزوم من ممكة تونس ومراكش جانباً عظيماً وكان تجار فرنسا يجلبون الملح والكبريت لمراسي الجزائر فيشتريه منهم وفي اوقات الهدنة يحضره من فرنسا وتارة يستخرجه من معدن بجبل وانثريس واما الجوخ والمدافع فكان معملهما في تلمسان تحت نظارة معلم اسبانيولي . وقد رأيت ثلاث مدافع في باريس اخذت في ايام الحرب مكتوب على كل مدفع فوق خزائنه النارية (عمل في تلمسان وقت اماره ناصر الدين السيد عبد القادر ابن يحيى الدين سنة ١٢٥٥) وقد ألزم كل من سلب في الحرب بارودة فرنسوي ان يحضرها لناظر المعامل الحربية وياخذ ثمنها منه اثني عشر ريالاً سيملك ورتب صناعات لاصلاح السلاح وهم المسمون قرداحية وكانوا يرانقون الجيش سفراً وحضراً ورتب عدداً من الخياطين والسروجية لاصلاح ما يلزم اصلاحه من الالبسة وسروج الخيل للعسكر والمتطوعة في ايام الحرب وبالجمله فقد بذل الجهد والمال في منافع الدولة والبلاد واستقصى السلب ما به العمران ووضع الحاميات والمسلحات في المضائق ومواضع الخوف وحسن النور نعم الامن سائر المملكة واطفاً نار النيران التي لم تزل منذ ثقلد امور المسلمين لتقدم تارة وتخبو اخرى واستاصل اهل الفساد ولجند المنظم في ذلك اليد الطولى فانه لا يعرف غير الفتك في اهل الضلال ولا يراقب في طاعة مولاه ونصرته الاً ولا ذمة مع قلة عدده اذ لم يتجاوز خمسة عشر الفاً وثلاثمائة منها اثنا عشر الفا مشاة والفرسان وخمسمائة خيالة ومائتان وخمسون مدفعيون تدير عشرين مدفعاً للسفر وخمسمائة عبد اتخذها حرساً له تحت رئاسة سالم اغا الزنجي الفارس المشهور وكانت البستهم من الجوخ الاحمر الجيد وسلاحهم نعل بالذهب والفضة مرصعاً بالمرجان وهذا عدد افراد الجند الشخصية ومن حيث الشجاعة والبسالة فقد كان الواحد منه يعد بعشرة وعلى اتم ما يرام من النظام وكان ينضم له عند اللزوم من حشود المملكة وجيوشها ما تقتضيه الحال وناهيك بجند مع قلته فتح الاقنال ونقل الاقنال واستوثق به الامير ملك اقام في مقارعة جيوش فرنسا ومناضلة الثوار والطوارج ستة عشر سنة وبذلك تشهد الاخبار والآثار ولكن لكل هبوب ركود وليس الايام عيود قال شرشل في تاريخه ان هذه الاعمال كبيرة جداً بالنسبة الى سن الامير حين المباشرة لاجرائها مع عدم اطلاعه على احوال العالم كما ينبغي اذ ذاك لكنها صغيرة بالنسبة الى ذكاء عقلة الفريد ولا شك انه لو تركت فرنسا الامير مغنياً تلك الغلطة التي اقترت بها في معاهدة تافنا

لكن اظهر منه ما لم يكن في حساب حيث ان العاقل يندهش متى سمع بان دولة فرنسا احتاجت الى مائة الف عسكري معدودة من اول عساكر الدنيا تقاتل بها الامير وقتل منها ما يزيد على مائة الف حتى امكنها هدم ما بناه في نحو الثلاث سنين على انه لولا المساعدات الخارجية والداخلية لكانت احتاجت الى اكثر من ذلك والله غالب على امره

❖ ذكر توجيه السيد ابن عبدالله سقاط وفداً الى سلطان ❖

❖ المغرب الاقصى وما ارسله معه من الاسئلة الى علماءها ❖

❖ وما اجاب به شيخ الاسلام الامام التسولي ❖

قد كان الامير يعاقب من يقع في ايدي ضباط الثغور من اشقياء المنتصرة كالدوائر والزمانة والبرجية وغيرهم ممن يواصل العدو ويتسلل الى مدنه بما اختلسه من المسلمين من عروض وماشية بما دون القتل الا من تحقق ضرره للمسلمين فكان يامر بقتله ثم بدا له ان يستفتي المحققين من علماء مصر وفاس في شأنهم وشأن مانعي الزكاة والاعانة التي اقترضها للقيام بامر الجهاد وغير ذلك مما اضطره الحال الى السؤال عنه تاكيداً لمحجته وتوطيداً لمحجته فامر بتجهيز مدية عظيمة ذات قدر وقيمة واختار السيد ابن عبدالله سقاط لايصالها الى سلطان المغرب الاقصى عبد الرحمن بن هشام واحكام عرى المحبة بينهما وكتب له كتاباً يذكر له فيه ما اجراه من تنظيم العسكر وتربيته وتعليقه ابواب الحرب ومكابدها واطال في مدح ذلك وجل قصد الامير من ذلك الاطمان ايقاظه من غفلته وتنبهه على انتهاز الفرصة في الاستعداد لذلك واعلم بما ارسله من الاسئلة صحبة رسوله لعلماء فاس ليحييوا عليها بالجواب الشافي على وجه التفصيل الكافي ونص السؤال

الحمد لله وحده السادة العلماء الاعلام ائمة الهدى ومصاييح الظلام فقهاء الحضرة الادريسية حفظكم الله ورعاكم ومن كل سوء حماكم جوابكم ابقاكم الله فيما عظم به الخطب واشتد به الكرب في وطن الجزائر الذي صار لغربان الكفر نجاذر وذلك ان عدو الدين يحاول ملاك المسلمين واسترقاقهم آونة بالسيف وتارة بشبكات السياسة ومن المسلمين من يداخلهم ويتابعهم ويحلب اليمم المواشي وجياد الخيل وغيرها من انواع الكراع ولا يخلو امرهم من دلائهم على عورات المسلمين ومن القبائل من يفعل ذلك فاذا طولوا بتعيين المرتكبين منهم جمعوا وتمالوا على الكذب والانكار مع انهم

يعرفون منهم العين والاثار فما حكم الله في الفريقين في انفسهم واموالهم وما الحكم فيمن يتخلف عن المدافعة اذا استنفر الامام او نائبه الناس للدفاع عن الدين والوطن فهل يعاقبون على ذلك وبأي شيء يكون عقابهم ولا يتأق بغير قتالهم وهل تؤخذ اموالهم واسلابهم وما حكم الله فيمن يمتنع عن اداء الزكاة كلاً او بعضاً لدعوى عدم وجود نصابه عنده مع تحقق وجوده في الحال فهل يصدق في دعواه مع ضعف الدين في هذا الزمن ام يكون الاجتهاد فيه نجال ومن اين يرتزق الجيش المدافع عن المسلمين الساد لثغورهم عن اغارة العدو ولا بيت مال موجود منظم الآن والذي يجمع من الزكاة لا يفي بقوتهم فضلاً عن كسوتهم وسلاحهم وخيلهم ولوازم مؤنتهم فهل يترك الامر فيستبيح العدو الوطن ام يكون ما يلزمهم على جماعة المسلمين واذا كان فهل على العموم ام على الاغنياء فقط وهل يعد مانع المعونة باغياً ام لا وما حكم اموال البغاة وهل القول بعدم ردها يجوز العمل به ام لا اجيبوا ابقاكم الله عما ذكرنا وعما يناسب المقام والحال ماجورين والسلام عليكم بدا وعوداً حرر في ذي الحجة سنة ١٢٥٢ عن اذن نادر الدين عبد القادر بن نجى الدين

وفي اليوم التاسع عشر من ذي الحجة سنة مائتين واثنين وخمسين توجه السيد ابن عبدالله بالهدية والكتاب والاسئلة ولما وصل الى فاس امر السلطان بانزاله واكرامه ثم قدم اليه الهدية والكتاب فاخذ يسأله عن احوال الامير وما هو عليه مع عدوه وعن الرعية وافعالها معه فاخبره بالحقيقة وقدم اليه السوءال فارسله الى شيخ الاسلام اذ ذاك العلامة ابو الحسن علي بن عبد السلام مديش التسولي وامره ان يجيب عنها جواباً شافياً موضعاً كافياً ولما تم تحرير الجواب وقدم الى حضرة السلطان عبد الرحمن امر وزيره باحضار سبع كسوات فاخرات وسبع افراس من عناق الخيل بسروجها واربعة مدافع صغار وستين فرساً وان يعطى من الخزينة عشرة آلاف منقال الى الحاج الطالب وكيل الامير بفاس ليشتري له بها من الادوات الحربية ما يأمره بسرائه وامر بتحرير كتاب الى الامير مضمونه التحريض على استئناف الجهاد ونقض المعاهدة وان ما ارسله له من الخيل والمدافع انما هو ليستفتح بهم في الجهاد واجابه عما نبه له من تنظيم العسكر وتعليمه بقوله ان عسكرنا حين يأتينا العدو ما نجده من الجموع وعلى هذا كان اسلافنا وكتب الوزير للامير فحوذا وزاد فيه ذكر مفردات الهدية وكذلك الحاج الطالب كتب للامير يعلمه بانه قبض عشرة آلاف منقال من الخزينة وانه ينتظر امره بالذي يشتره له فيها ثم امر السلطان باحضار السيد ابن عبدالله

سقاط واوصاه بان يبلغ الامير على لسانه باستئناف الجياد ونقض المعاهدة ثم امر
بأكرامه واكرام من معه وبعد ان سلم له الهدية والكتب وجواب السؤال وادعه وامره
بالتوجه فجد في المسير الى ان اجتمع بالامير في حصن طازره فاخبره بما اوصاه به
السلطان عبد الرحمن من نقض المعاهدة واستئناف الجياد وقدم الهدية والكتب والجواب
عن السؤال وحيث انه في غاية الاسهاب رمت اختصاره ليتأتى درجه في هذا الكتاب
محافظة على احكامه المنقحة وانتشاقاً لريا نزهاره المنقحة فاقول قال في مخاطبة رسالته
الحمد لله الذي لا يشرك به احداً ولا نجد من دونه ملتحداً ابلى قارب المؤمنين
ليميز الطيب من الطيب ويعلم ايها اقوى جلدًا والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الذي انقذنا من الجلاك والردى وتكفل بالشفاعة الامة غدا ضارب هام العدا وتجاد
من حاد عن طريق الهدى وقاتل من اتخذ مع الله ولدا وعلى آله واصحابه الذين
لم ترعهم الكتائب الوافرة ولو كانوا هم اقل عدداً ولا هالتهم الامم الكفرة ولو كانت
اكثر جمعاً واقوى عدداً وعدداً وبعد فقد ورد في هذه الايام من ناحية اعمال
الجزائر كتاب من اميرها المجاهد في سبيل الله رب العالمين سيدي الحاج عبد القادر
ابن محبي الدين ايد الله كتائبه وجعل عونه مظاهره ومصاحبه متضدنا السؤال عن
مسائل شتى كما ستراه بعد وثقف عليه ولما وقف عليه مولانا الامام كهف الاسلام
وملاذ الخاص والعام كافل امة محمد عليه افضل الصلاة والسلام وقاطع طواغيت
الشرك بالسنان والحسام امير المؤمنين الآخذ لراية الكتاب والسنة باليمين ليبل الملوكة
العظام المنصور بالله مولانا عبد الرحمن بن هشام ايد الله ايامه بعزير داه ونصر
مكنين يتصل به الى المولى امداده كف هذا العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير ان
يجيب عن تلك المسائل بحسب ما يراه فامثل واجاب عن ذلك بجواب يدل بحسب
نحوه على ان المجيب استنرخ ما هو عنده في سره ونجواه وكان نصره الله امر بالاختصار
في الجواب وعدم التناول والاطناب ثم لما طوع به وهو ايد الله على ما هو عليه من
الشغف بحجة العلم والتلف على بشه وغاية الحرص على اذاعته ونشره والمبالغة في
الذئير عن البدع المحدثات وقع المحدثين المعتدين ذوي الجرأة والتعصبات والذب عن
الحنيفية السمحاء وحياطتها وقع من لحظها بعين الاعتداء والازدراء بها راي ان
الجواب المذكور في غاية الاختصار والنقص فامر المجيب امراً ثانياً بان يجعله تاليفاً
ليحيط بجميع معانيه ويطلق في ذلك عنان القول بما يرى العليل ويشفيه ويتوسع
في الجواب ويتعرض لجميع متعلقاته ويسلك به صوب الصواب فقلت ممثلاً لامر المولى

ان الجواب عن هذه المسائل التي عظم موقعها من دين الاسلام وتأكيد الاعتناء بها وبتعلقاتها على التام ينوقف على تبصر في النقص وتضلع في قواعده وباع واسع في تحرير غوامضه ونوازلها وانى للقاصر مني ان يجول في مجالها ويحصل دقائق فروعها واصولها وعلى كل حال فاقول اما المسئلة الاولى ففيها فصول الخوض فيها للقاصر العلم مني خطير والكشف عن لثامها مع كلاله الذهن صعب عسير ولكن الامر المولوي تكلفت الجواب عنها على قدر نظري القصير لان المسافر الجاد في السير قد ارضى له في التقصير وبالله سبحانه الاستعانة وهو نعم المولى ونعم النصير ثم ساق السوء الى بحروفه وقال في الجواب الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله

﴿ الفصل الاول ﴾

﴿ فيما يعامل به قبائل هذا الزمان المنهمكين في المحرمات والعصيان ﴾
قد افتي كثير من النقباء المحققين بقتال القبائل المجاورين لناس ومن نما
نحوهم لما هم عليه من التعدي على حقوق عباد الله وكتمان امر اللصوص والجواسيس
والذب عنهم ووافق الشيخ مياره على ذلك والامام اللبان والشيخ عبد القادر الفاسي
وغيرهم قال الامام ابن العربي قد انتقت الامة على ان فاعل المعصية يقتل عليها
ويحارب الا اذا اقلع عنها وتاب

﴿ الفصل الثاني ﴾

﴿ في دليل عقوبة الجاسوس والنصاب وغيرهما من يستحق ﴾

﴿ العقاب وسوء العذاب ﴾

اعلم انه لا يخفى ان كل من تلبس بعمية توعده الله عليها بالعقاب الاخروي
فان الامام يجب عليه ان يعاقبه سواء كان فيها مع ذلك حق الادبي ككتبات
الجواسيس والنصابين وحماتهم والتعصب لهم لما في ذلك من الفساد وادخال الضرر
على المسلمين في دينهم ودنياهم او كان فيها هضم لمحق من حقوق الله نقط كالاكل
في نهار رمضان او ترك الصلاة او ترك الاذان او ترك النهي عن المنكرات مع القدرة
لان من رضي قوم فهو منهم وسبب هلاك الامم السائفة انهم كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه

﴿ الفصل الثالث ﴾

﴿ في كون الرجل يؤخذ بجزيرة غيره ﴾

روى مسلم في صحيحه وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه ان ثقيفاً كانت خليفة لبني غنار في الجاهلية فاصاب المسلمون من بني غنار رجلاً معه ناقة له واتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد بم اخذتني واخذت ناقتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخذتك بجزيرة حلفائك ثقيف وكانوا اسروا رجلين من المسلمين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر به وهو محبوس فيقول يا محمد انني لمسلم فيقول له صلى الله عليه وسلم لو قلت ذلك وانت تملك امرك لافلحت ثم قبل النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالرجلين فدلوه من ثقيف وامسك الناقة لنفسه قال الابي هذا الحديث اصل في هذا الحكم وهو اخذ الخليف بجزيرة حلفائه وان لم يجزم الا كونه حليفاً فقط وبيان ما قاله الابي ان هذه المسئلة لا تخلو من ثلاثة اوجه احدها ان يكون الغير ممن لا ياوي الى المذهب ولا يحمي له ولا يقدر ان يكفه عن الذنب فهذا الغير لا يؤخذ بذنب ذلك المجرم كتاباً وسنة واجماعاً سواء كان ذلك الغير من قرابته ام من الاباعد وهو المشار اليه بقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ثانيها ان يكون ذلك الغير ممن لا ياوي اليه المذهب ولا يحمي له ولا يقدر ان يكفه عن ذنبه ومفسدته ويقدر على الانتصاف منه فهذا تجوز مواءمته سداً للذريعة ثالثها ان يكون ذلك الغير ممن يحمي المذهب ويعصب له او يواسيه او ياوي اليه ويرضى بنعله فهذا يؤخذ بجزيرته وبجميع ما اخذه ولا يختلف فيه لانه يتعصب له ولو بجاهه وحمايته والرضى بنعله صار معيناً له على ظلمه متسبباً بذلك لاتلاف اموال الناس ودمائهم

﴿ الفصل الرابع ﴾

﴿ فيما لا يجوز بيعه للنصارى ولا يحل تمكينهم من تناوله واخذه ﴾

قال مالك في المدونة لا يباع للحرابين سلاح ولا كراع ولا نخاس ولا عروض قال ابن حبيب سواء كنوا في هدنة او غيرها وهو المذهب كما في المعيار

﴿ الفصل الخامس ﴾

﴿ في معاقبة العاصي بالمال وما فيه من الخلاف وتضارب الاقوال ﴾
 منخص ما ذكره الأئمة الاعلام في هذه المسئلة ان ما شرع الله فيه حداً معلوماً كالزنى والسرقة والحراقة والتخلف ونحوها لا تجوز العقوبة فيه بالمال اتفاقاً لما فيه من تبديل الحدود المعينة من الشارع قال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون الظالمون الفاسقون اللهم الا ان تعذرت اقامتها فيعاقب بالمال ارتكاباً لاختف الضررين ودفعاً لاثقل المفسدين ولا يسقط ان زال العذر وما فيه التاديب والتعزير والاجتهاد فقل يعاقب فيه بالمال مطلقاً وبه قال الشافعي واختاره النووي وابن قيم الجوزي وقيل لا يعاقب به مطلقاً وهو ما لابن رشد ومن وانقه وقيل لا يعاقب الا مع العذر وهو ظاهر كلام الشيوخ المتأخرين

﴿ الفصل السادس ﴾

﴿ في حرمة ترك الامام ونواب الرعية على ما هم عليه ﴾

﴿ من المفساد وارتكاب المظالم ﴾

يجب على الامام ان يجري على الرعية الاحكام الشرعية ويحرم عليه ان يتركهم على ما يتعمدونه من ارتكاب المفساد والمظالم ويغافل عن جرائمهم كنبأاً وسنة واجماعاً اذ من المعارم فمروية ان نصب الأئمة والولاة انما هو لرجح درج ارتكاب من الرعية شيئاً مما ينهى الله ورسوله عنه وذلك فرض عين عليهم فانهم ان تركوه افنى الامر الى عدم الاسلام واستوجبوا الوعيد في قوله صلى الله عليه وسلم من غش امتي فعليه لعنة الله

﴿ واما المسئلة الثانية ففيها فصلان ﴾

﴿ الفصل الاول ﴾

﴿ في حكم التخلف عن الاستنفار وما عليه من العقاب ﴾

من المعلوم ان الاستنفار للجهاد يتعين بتعيين الامام متى استنفروا فقد عينهم ومتى عينهم وجب عليهم التنفير وحرم عليهم التخلف فان ابوا الا التخلف فقد عصوا الله ورسوله واستوجبوا العقوبة في الدنيا والآخرة قال تعالى الا تنذروا بعذبكم عذاباً اليماً

الفصل الثاني

فما ينبغي ان يفعله الامام قبل ان يستنفر الناس
وفين يجب استنفاره وتدريبهم للحروب
واستعمال المكاييد وما يستعان به على
خذلان العدو وتشتيت شمله

اعلم انه ينبغي للامام ان يامر قبل النفير بالتوبة ورد المظالم الى اهلها والصدقة
وغير ذلك من انواع البر كما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل ذلك ويقول
انما نقاتلون باعمالكم وان يستنفر وجوه الناس وابطالها الصابرين في الباساء والنفراء
الذين لا يولون الادبار وان يدرهمهم امور الحرب ويمرنهم عليها ويعرضهم بالعمل
على حضرته المرة بعد المرة اذ ينبغي له استعمال ذلك شرعاً في كل خمسة اشهر او
سنة على الاكثر فيجمعهم بين يديه ويطاع على احوالهم وافعالهم الحرية ويعدهم
بالعطايا والخصوصيات متى صبروا واظهروا الجلد في الحروب الى غير ذلك مما يزيدهم
قوة ونشاطاً كما انه ينبغي له ان يستعين على العدو باستعمال المكاييد اذ ربما تنعل
المكيدة ما لا يفعله الجيش كما روي ان المهلب بن صفرة لما اعتاص عليه جيشه
في حرب الخوارج وقالوا لا طاقة لنا على مقابلة السهام المسمومة وذلك ان رجلاً
اسمه ابزى من الخوارج كان يصنع لهم سهاماً مسمومة يقاتلون المسلمون بها فكتب
كتاباً لابزى وارسله مع ساع له وامره ان يلقيه بين صفوف الخوارج ونص ما
كتبه انه وصلتنا هديتك وحسن موقعها عندنا وقد انذنا اليك مع كتابنا هذا
الف درهم فاقبضها من رسولنا ولا تقطع مواصبتنا ومهادتنا وما يملك من عندنا اعظام
ومها طلبتنا وجدتنا حيث شئت فذهب الرسول بالكتاب وفعل ما امر به ووصل
الكتاب الى قطرب رئيس الخوارج وعجل على ابزى بالقتل في الوقت من غير ان
يتحقق خبره وقال ما اصنع بن هادي المهلب ثم قال المهلب لاصحابه لا تشغلوا الخوارج
عن المنازعة بالقتل فانهم افترقوا الآن فلا يجتمعون ابداً فكان الامر كما قال

المسألة الثالثة

اعلم ان مانع الزكاة يقاتل عليها اجماعاً والمتهم بتغييب المزكى يحلف في العين
مطلقاً وفي غيرها ان سبق له امتناع من ادائها ويخص على غير الامين وقيل مطلقاً

إنسداد الناس في هذا الزمان وعدم الامانة ومحل ذلك فيما اذا ثبت له مال اما بيينة او اقرار والا فلا يكفي مجرد التهمة

المسألة الرابعة وفيها اربعة فصول

الفصل الاول

يجب على الامام ان يجبر الرعية على الاستعداد لدفاع العدو ولاصلاح خلل البلاد قال تعالى ان الله يامرکم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فانظاب الائمة والولة على احد الاحتمالات باداء الامانات اي التكليف التي كلفوا بها في الرعية من الحكم بالعدل وتدبير امرهم بما يعود عليهم نفعه من استعداد وغيره وقال تعالى في حق الرعية يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم

الفصل الثاني

في جواز صلاح العدو وعدمه

الذي به فتوى العلماء انه يجوز فيما اذا كان العدو مطلوباً لان الجهاد فرض كفاية ولا يجوز فيما اذا كان العدو طالباً لان الجهاد وقتئذ يكون فرض عين الا اذا دعت الضرورة اليه ابقاء على المسلمين وبلادهم فانه يجوز والضرورة لها احكام وقد يرى الشاهد ما لا يراه الغائب

الفصل الثالث

فيما يرتزق منه الجيش ان فرغ بيت المال ووجوب المعونة ان

احتيج اليها في الحال والابدان والمال

قال في المعيار عن الامام ابن منظور الاصل انه يطالب المسلمون بغارم غير واجبة شرعاً لكن اذا عجز بيت المال عن ارزاق الجند وما يحتاج اليه من آلة حرب وغير ذلك من العدد فيوزع على الناس ما يحتاج اليه من ذلك ويستتبط هذا الحكم من قوله تعالى قالوا ياذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجاً الآية ثم قال ان هذا الامر يتوقف على شروط احدها ان يعجز بيت المال وتتعين الحاجة ثانيها ان يعترفه الامام بالعدل فلا يجوز له ان يبتاثر به

دون المسلمين ولا ينفقه في سرف ولا يعطي من لا يستحق او يعطي من يستحق اكثر مما يستحق ثالثها ان يكون الغارم قادراً من غير ضرر ولا اجحاف واما من لا شيء له او له شيء قليل فلا يغرم البتة الرابع ان يتنقد امر المعونة في كل وقت اذ ربحا جاء وقت لا ينفقر فيه الى زيادة على ما في بيت المال ثم قال وكذلك اذا تعينت الضرورة للمعونة بالابدان ولم يكف المال فان الناس يجيرون على التعاون بابدانهم بشرط انقدرة وتعيين المصلحة والافتقار الى ذلك

❖ الفصل الرابع ❖

❖ في حكم من ساكن العدو الكفور ورضي بالمقام معهم ❖

❖ فيما لهم من البلاد والشعور ❖

اعلم ان الهجرة من ارض الفساد واجبة ولا فساد اعظم في الدين من الكفر قال ابن العربي في الاحكام ان الهجرة وهي الخروج من دار الحرب الى دار الاسلام قد تقررت فريضتها في ايام النبي صلى الله عليه وسلم ولم تنزل باقية الى يوم القيامة قال وكذلك الهجرة من ارض الحرام والباطل قال عليه الصلاة والسلام يوثك ان يكون خير مال المسلم غنيمة يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من افتن اخرجه البخاري ومالك في الموطا قال بعضهم ان قيل اذا لم يوجد بلد الا كذلك قلنا يختار المرء اقلها اثماً مثل ان يكون بلد فيه كفر وبلد فيها جور فبلد الجور خير له او بلد فيها عدل وحرام وبلد فيه جرر وحلال فبلد الجور والحلال خير له او بلد فيه معاص في حق الله تعالى وبلد فيه معاص في حق العباد فبلد فيه معاص في حق الله تعالى اولى من بلد فيه مظالم العباد الخ ما ذكره قال ولا تسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى على بلادهم العدو الكافر الا بثبوت العجز عنها بكل وجه بحيث لم يجد لها حيلة ولا سبيلاً كان يكون مريضاً جداً او ضعيفاً جداً واما القادر على الهجرة باي وجه كان فانه غير معذور بل هو داخل في وعيد قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا لم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ما لهم من الايمان وساءت مصيراً قال المؤلف فهذه النصوص القرآنية والاحاديث النبوية مع الاجماع كلها كما في المعيار صريحة في وجوب الهجرة وحرمة الاقامة في بلاد

الكفار ولا تجد لذلك تخافاً من اهل القبلة فان تعمد المسلم ترك الهجرة مع القدرة عليها فقد قال في المعيار ما نصه اختاب العلماء فيمن اسلم وبقي في دار الحرب فقال مالك دمه محتون وماله فيء فهو لمن اخذه وليس بمعصوم حتى يخرج به صاحبه الى دار الاسلام وقال الشافعي دمه وماله معصومان وان لم يخرج الى دار الاسلام ويقول الشافعي قل اشهب وسخنون واختاره ابن العربي ويقول مالك في المال قال ابو حنيفة وبه قال اصبح واختاره ابن رشد وهو المشهور قال وهذا الخلاف انما ورد فيمن اسلم منهم وبقي بين اظهريهم ولم يهاجر لكن المتأخرون الحقوا به في الحكم من كان مسلماً بالاصالة وبقي ساكناً معهم وسواها بينهما في الاحكام الفقهية المتعلقة باموالها واولادها ولم يروا فيها فرقاً بين الفريقين الى ان قال فاجتهاد المتأخرين في هذا مجرد الحاق سكت عنه الاولون فيمن كان مسلماً بالاصالة لعدم وقوعه في زمانهم حين اسلم وبقي في دار الكفر لاستوائهما في المعنى من كل وجه وهو عدل من النظر واحتياط في الاجتهاد

﴿ المسئلة الخامسة ﴾

اسلم ان مانع المعونة بالمال والبدن باغ قطعاً لانه منع حقاً وجب عليه يجري عليه البغاة المشار اليه في قول خليل وغيره البغاة فرقة خالفت الامام لمنع حق الى قوله واستعين بالهم عليهم ويظهر غاية الظهور انه يؤخذ من ملهم ما جيز به الامام الجيوش التي قاتلهم بها لانهم يغيثهم تسببوا في اذلاف بيت المال فعليهم ضمان ذلك في المال الذي بايدهم وقد قالوا ان الغريم المتماطل ضامن لما تسبب في اذلافه على الخصم من اجرة الرسول والجيوش كله رسول للبغاة في الحقيقة ولا يشك ان من تسبب في اذلاف مال وجب عليه غرمه وهو معنى قول خليل وضمن المعتاد النفس والمال ولعل هذا هو المستند في عدم رد الملوكة اليوم اموال البغاة اليهم اذ الغلب انها لا تفي بما جهزوا به جيوشهم التي قاتلهم بها او يقال مستند ذلك سد الذريعة اذ لو ردت اليهم اموالهم لكان ذلك سبباً لبغى غيرهم فعدم ردها اليهم فيه سد تلك الذريعة ثم قال وايضاً فان بغاة هذا الزمان غير متاولين وكل باغ غير متاول يضمن ما قلله من الجيش كما انه يضمن ما اتلفه من الاموال يؤخذ ذلك من مفهوم قول خليل ولم يضمن كما متاول اتلف نفساً او مالا انتهى ما لخصناه من الاجوبة المقررة في الرسالة

ثم قال مؤلفها الامام التبرلي في خاتمتها هذا ما قصدنا جمعه نسأله سبحانه وتعالى ان يبين علينا وعلى من كان السبب فيها بتوبة صادقة وان يحيرنا وجميع المسلمين من الفتن الظاهرة والباطنة وان ينجيهم لنا ولم يسن الخاتمة وان يهب لنا ولم قرباً على بساط الادب في مقام العبودية وان يدمر اعداءنا تدميراً لا نقوم لهم معه قائمة الى يوم النشور وان يجعل تاليفنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وينفع به المتسبب والقارىء ويجعله لنا ولم سلمة لجنات النعيم بجاه اشرف الخلق سيدنا محمد عليه افضل الصلاة وأزكى التسليم ورحم الله اسراءاً رأى خلافاً فاصححه او عيباً فستره فان الانسان نحل الخطايا والنسيان والله سبحانه يتكرم على الجميع بالعفو والغفران اللهم رب كل شيء واله كل شيء وولي كل شيء وقاهر كل شيء وفاطر كل شيء والعالم بكل شيء والمحاكم على كل شيء والقادر على كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لنا ولم لجميع المسلمين كل شيء ولا تحاسبنا وايامهم بشيء ولا تسألنا وايامهم عن شيء انك على ما تشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ووافق الفراغ مما جمعناه ظهر يوم الاربعاء عاشر ربيع الاول النبوي الانور سنة ثلاث وخمسين ومائتين والالف وهذا صورة السؤال وجوابه من علماء فاس واما صورة السؤال وجوابه من علماء مصر لم تصل اليه يدي لطول العيد وفي مناسبة ذكر الهجرة قال الشيخ الاكبر والامام الاشهر سيدي نحيي الدين بن العربي في الفتوحات المكية في الباب الموفي ستين وخمسمائة في الوصايا ما نصه واعلم ان المقيم بين اظهر الكفار مع تمكنه من الخروج من بين ظهرانهم لا حظ له في الاسلام فان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبرأ منهم ولا يتبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسلم وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال انا بريء من مسلم يقيم بين اظهر المشركين فما اعتبر له كلمة الاسلام وقال الله تعالى فيمن مات وهو بين اظهر المشركين ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا لم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاوئلك ماواهم جهنم وساءت مصيراً ولهذا انكرنا في هذا الزمان على الناس زيارة بيت القدس والاقامة فيه لكونه بيد الكفار اذ الولاية لهم والمسلمون معهم على اسوء حال نعوذ بالله من تحكم الاهواء فالزائرون اليوم لبيت المقدس والمقيمون فيه من المسلمين هم من الذين قال الله فيهم ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وذلك ايام كنت في يد الصليبيين ثم قال وكذلك فيجب الهجرة من كل خلق مذموم شرعاً قد ذمه الحق تعالى

في كتابه او على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم

﴿ ذكر ما وقع فيه الخلاف بين الامير والمارشال من مسائل ﴾
﴿ معاهدة تافنا وما آل اليه الامر في ذلك ﴾

ولما نتم امر معاهدة تافنا عين الامير وكلاءه في وهران ومستغاثم وكتب الى مسيو كرماني وهو ايتالياني الاصل ووكيل امريكا في الجزائر في انقيام باعباء الوكالة له فيها ونص كتابه الحمد لله وحده ولا معبود سواه من عبد القادر بن محيي الدين ناصر الدين الى مسيو كرماني كارل قارئين السلام على من اتبع الهدى وبعد فاننا منذ وقع الصلح بيننا وبين دولة فرنسا ونحن نسأل عمن يكون لنا وكيلاً في الجزائر وواسطة بيننا وبينهم في دوام الالفة والمواصلة ثم بلغنا عنك انك من اعقل الناس واعلمهم بطرق السياسة واخبرنا بعض المحبين انه لا يصلح لو كالتنا في الجزائر غيرك فانشرحت صدرنا لذلك وبناء عليه كتبنا لك هذا اعلاماً بان تكون لنا وكيلاً عند الفرنسيين وتتولى قضاء المصالح اللازمة لنا فيها وتجري امورنا معهم على نظرك وتعرفنا بما هو الاصلح لنا معهم والذي يعرض لنا من المسائل والمصالح نعرفك به والذي يعرض لك من ذلك نعرفنا به ومن المعلوم عنا اننا نحب الخير والحناء والمعاوية والامن في سائر الوطن حرر في رجب سنة ثلاث وخمسين ومائتين ولما اتصل به مكتوب الامير تلقاه بالقبول والتبجيل وعرض على المارشال تعيينه وكيلاً لامير في الجزائر فخشيت فرنسا ان يكون تعيينه واسطة لربط علاقات ودية بين امريكا والامير فكتب المارشال الى الامير لا يخفى ستوكم ان مفهوم الشرط الاخير من المعاهدة ان وكلاءكم تكون من العرب كما ان وكلاءنا نعين من الفرنسيين وعلى هذا فلاحق لكم في تعيين مسيو كرماني وكيلاً لكم هنا وكتب مضمونه الى مسيو كرماني وكرماني عرف الامير بالقضية تنفيلاً وحيث ان الفاظ تحرير المارشال كانت قاسية اغناظ الامير وامر ان يحمر الى المارشال الحمد لله وحده من ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين الى حضرة المارشال مالا ان وكيلنا موسيو كرماني قد بلغنا انه لا يسمح له ان يقيم بمصالحنا وقد كتبتم له تحريراً ارسل اليها نسخة منه فقرأناها وهي تعلن اليه انكم لا تقبلونه وكيلاً عنا وانه يجب ان يقام مكانه ابن عرب فالولاً لا تقدر ان نجد ابن عرب يتم وظيفته ويرضي كلالنا ويرضي في صوالح العارفين

وان كرماني رجل حكيم وعادل لا يتسك الا بما فيه النفع للناس وثانياً ليس لفرنسا حق ان تجبرنا على تعيين وكيل ضد ارادتنا وميلنا لان ذلك منوط بنا ولنا ان نختار ما هو الاحسن لنا وان كنتم ترغبون ان نقيموا ابن عرب وكيلاً لكم عندنا فانعلوا فاننا لانعارضكم في ذلك فلماذا نتعرضون لنا بانتخابنا فعمكم هذا يناقض مبادئ الشرف الذي يجب ان يراعى في كل الاعمال ويظهر من هذا انكم تريدون ان تردوا الاختلال مرة اخرى في اياالي الجزائر وودران حيث ان الافراد الذين ارادوا ان ياتوا ويستوطنوا اراضيهم لم يمنعوا عن ذلك بالقوة الجبرية فقط بل اتقوا في السجن كلهم مجرمون ولما وكياننا كرماني اقام الحجّة على هذه الاعمال وامثالها فلم ننتازلوا ان تجاوزوه فتصرفكم هذا يثير الى الاجحاف عن الحق ويظهر انكم ترغبون ان تزرعوا الخصومات بيننا وبين دولة فرنسا فيها اننا قد انتخبنا مسيحياً من مدينتكم وانتم ترفضونه وكنا نأمل ان تصرف حضرتكم لا يكون كتصرف من سبقكم ولا تمشوا على اثرهم وان دولة فرنسا ترسل رجالاً ليحسبوا ادارة حكومة الجزائر عاملين بما يقتضيه العدل والعقل لنتمتع بانمار السلام واستناد حضرتكم في تحريركم على الشرط الاخير من المعاهدة المخلص بتعيين الوكلاء متبادلاً منا ومنكم عندنا وعندكم وفهم ان تكون وكلاؤنا من العرب ووكلاؤكم من الفرنسيين فهو خلاف اصله المصادق عليه بل هذا التفسير اختراعي فان كنتم تحافظين على المعاهدة فاقبلوا وكياننا كرماني المعين بموافقة مجلس شورى الامة وان كنتم انتم خرق الشروط وابطل المعاهدة فنحن مع عدم الميل الى ذلك نجيئكم الى مرغوبكم ولا يخفى ان البغي وخيم ونتيجة الشر تعود على البادى به وبالجمله انني انتخبت كرماني وكيلاً عندكم في الجزائر فرجوعي عنه محال فلما اتصل هذا الجواب بالحاكم وتاكد عنده ان هذا العمل اثر في خاطر الامير اخذ في تلافي الامر وحرر الامير بالموافقة واخبره انه تحافظ على بقاء المعاهدة الجارية على اسلوبها حيث لا امل في الحصول على ما هو احسن ووافق منها وهذه المراجعات التي دارت بين الامير والحاكم بواطها وما ينشأ عنها وما تشير اليه من دقائق السياسة لم تخف عن الامير ولذلك جعل ينفذ حزمه وتفظنه للامور جواسيس خذاً تخبره على الدوام بمقائق الاحوال لاسيما ابن دران الموسوي وهذه الحال هي التي اوجبت التشديد واثبات وظيفة كرماني ومن ثم شرع الامير يخاطب المارشال بالفاظ حرة شديدة في سائر ما عليه الاختلاف والنزاع كسالة الحدود واشباهها ومن غريب الاتفاق انه في سنة ست وتسعين ومائتين والاف كان مدحت باشا والياً على سورية فجاءه مکتوب من كرماني

وهو مقيم في ايطاليا يقول فيه ان الدولة العثمانية عزلتني من وظيفة وكيلها في ايطاليا بسبب انني قمت بجندمتكم حينما كنتم في هذا الطرف كما ان دولة فرنسا لم تنباني لما عيني الامير عبد القادر وكيلاً له عندها في الجزائر ثم نال له وهذا مكتوب الامير الذي ارسله الي في ذلك الوقت بهذا الخصوص بحكمكم في طي تحريري هذا اليكم ومما وقع فيه اختلاف مسير جيش فرنساوي من ارزيواى مستغاثم دلى طريق البر بامر الجنرال بيجو حاكم وهران وجعل ذلك اختصاراً لحال الامير معهم هل هو متفطن لمكائدهم ام غافل عنها فان وجده متنبهاً لما خنس والا فانه يد يده الى مطلوبه والداعي الى ذلك ان المارشال نقم عليه اموراً بنيت عليها المعاهدة وتعقبها عليه واتبعه في ذلك كثير من رجال دولتهم فحاول ان يعالجها بمغالطة الامير وجعل فعله هذا مقدمة لما قصده ولما اتصل بالامير خبر الجيش غضب وعلم مكيدة بيجو فبعث اليه يقول ان مسير جيشكم من ارزيواى مستغاثم على طريق البر مخالف الاصول التي قامت عليها المعاهدة وتقرر عليها الصلح فتعلمكم هذا تحض تعد على حقوقنا وان خفي عليكم الامر وادعيت انك غير متعد بنفعلك هذا فراجع الشروط وامن النظر فيها فانك تجد انه لا حتى لكم في المرور على طريق البرالى مستغاثم وتعلم ان فهدك لمنطوق العبارة المقررة في صك المعاهدة حائد عن الصواب هذا ان قلت انك بنيت امرك على ما فهمته من العبارة اذ اولته فلما وقف بيجو على مكتوب الامير علم انه على غاية من الحزم في اموره فلم يسعه الا السكوت ولما استولوا على قسنطينة ارادوا ان يمدوا ايديهم الى المسافة الاولى التي بينها وبين الجزائر وقبل ان يظهروا هذا الامر راوا ان يجمعوا لذلك مقدمة تكون توطئة وتمهيداً له فسير المارشال قلده مع فرقة من العسكر من الجزائر الى قسنطينة على طريق البر ولما وصل الخبر الى الامير كتب الى المارشال في ذلك وشدد النكير واقام عليه الحجة فاجابه على ما ذكره المؤرخ بالمار ان فرانسوا قد وهبتك جميع اقليم وهران وجميع اقليم تيطرى ومن الجزائر جميع ما هو غربي نهر الشفة ولا حتى لك في شرقيه واما اقليم قسنطينة فانه خارج عن الجوال ولا كلام عليه في المعاهدة لانه كان في وقت انعقادها تحت ولاية احمد باي فاستشاط الامير غنباً لقول المارشال ان فرنسا قد وهبتك وعظام عليه ذلك فاجابه اما اقليم قسنطينة فهو خارج عن محل البحث واما اقليم الجزائر فالواجب عليكم ان تذكروا ما جرى بيننا عليه من المراجعات الكثيرة حين

المخابرة في انعقاد المعاهدة حيث كان مرادي ان اجعل حدودكم تحصورة في ضواحي مدينة الجزائر ولما الخ علي الجنرال بيجو في توسعة الحدود وامتدادها جعلت وادي القدرة حدا لكم في الجهة الشرقية والى البليدة غرباً وكلمة الى عربية وضعت لانتهاه الغاية في كل شيء فكان الواجب عليكم ان لا تتجاوزوا وادي القدرة الذي جعلته لكم حداً ونهاية لغاية ما ابجته لكم من البلاد على ان المسافة التي بينه وبين قسنطينة لاتعلق لها بما جرى بيننا في المعاهدة مما استوليتم عليه فان ما استوليتم عليه في الشرق تحصور فيما بين قسنطينة وبونه وبالجلمة فتجاوزكم لحد وادي القدرة خارج عن جادة العدل بعيد عن خط الصواب لاسيما واهل تلك الناحية لم يحل في اعينهم نعمكم بل رأوه تعدياً مخضاً على حقوق المسلمين وظلماً بحقهم ودولة عظيمة شهيرة مثل دولة فرنسا لا ينبغي لها ذلك وبالجلمة فتعريضكم على تاويل الالفاظ لا يابق بكم بل يجب عليكم وعلينا ان نحافظ على النصوص الصريحة ونجري في امورنا على موجبها فاجابه المارشال ان مراجعاتي لسموكم مبنية على ملاحظة كلمة فوق المذكورة في التحديد الشرقي فارجو ان يلاحظوها . اجابه الامير ان جوابي الاول وما بعده ومراجعاتي كلها مؤسسه على ملاحظة سائر ما ذكرناه في التحديد كلمة وكلمة وهو الصواب المطابق للغة العرب وما فهمتموه انتم من كلمة فوق وكلمة الى غير مطابق لما وضعنا له وعندكم من علماء اللغة العربية من يقيق لكم ما ذكرناه وهذه المراجعات كلها لم تجد نفعاً واستمرت المشاكل تتزايد يوماً فيوماً ومع ذلك فان الامير غير مبال بها ولا ملتفت اليها لما اطلع عليه من ميل دولة فرنسا لدوام السلم ولما استولى الامير على تجازة والزيان وغيرها من النواحي الشرقية والجنوبية قام المارشال وتعد وبعث اليه في ذلك فاجابه انكم استوليتم على مدينة قسنطينة والخط الممتد بينها وبين مرسى بونه لاغير فان ادعيتهم ان جميع ما كان تحت ساطة احمد باي لاحق بذلك فهو محل نظر واما ما استولينا عليه فانه بعيد عن دعواكم ولا حق لكم فيه اذ لا يعد من اعمال قسنطينة التابعة لحكومة احمد باي ولا كان في طاعته بل كانت حكاه هذه البلاد من اهلها لا تعلق لهم به ولا يد له عليهم منذ انقرضت الحكومة من الجزائر بناء على ذلك ليس لكم في البلاد التي استولينا عليها دعوى تسمع عند اهل العدل الذين يحافظون على حقوق العباد ولا تطمح نفوسهم الى الاعتداء ثم ان هذه الاعمال التي اجراها الامير دون ان يلتفت الى احد فيها قد فتحت له باباً عظيماً لتوسيع مملكته ومدت له طريقاً متسعاً لنفوذ كلمته

وبذلك وضع يده على الاماكن الواقعة عليها النزاع وعلى البلاد الشاسمة كالزيان ونجانه وجبال البربر الشمالية وما اليها وسلم للفرنسيس استيلاءهم على قسنطينة ولم يسلم لهم دعوى تابعة البلاد التي استولى هو عليها بل قال ان هذه الاقسام خارجة عن حكومة احمد باي الكونز يعلم ان ما تغلبوا عليه لا يمكنه التعرض اليهم فيه لعدم مساعدة الوقت له في ذلك وما كان خارجاً عن محل تغلبهم فلا حق لهم فيه

« ذكر خروج ابن علال خليفة الامير على مليانة لتحصيل »
« الاعانة والزكاة من الاعراش »

ولما طال على الامير امد حصار عين ماضي كتب الى السيد محمد بن علال خليفة على مليانة بان يحصل الاعانة المفروضة على الاعراش ويستوفي زكاة خمس سنين لم يدفعوها فخرج الخليفة في فرقة من عسكره وما زال يصبح عند قوم ويمسي عند آخرين ويحصل الاعانة منهم والزكاة وكل من تاخر عن اداء ما عليه منها يناجزه القتال حتي انتهى الى جبل تاشته وكان سكان هذا الجبل اصولاً طغاة يسرقون الاموال ويختطفون النساء ذوات البعول من اخيبتهم ويذهبون بين الى اماكنهم الحصينة ويتزوجون بهن وكانت الحكومة السابقة لا تقدر على ردعهم عن ذلك مع كثرة المتشكين من افعالهم البربرية ولما طالبهم الخليفة بالزكاة والاعانة وامرهم برد ما عندهم من المظالم لاهاليها المحتجين عنده لم يعتبروا امره واجابوه بانا خدام الاعراش وقد ارسلنا لهم الخبر بذلك وطيروا الخبر الاعراش يستنفرونهم للقتال فاقام الخليفة ثلاثة ايام يراجعهم فلم يجده ذلك تنعاً وفي اليوم الرابع ركب في خمسين فارساً واربعمائة من المشاة فصعدوا الجبل وابتدأوا في القتال وبعد ساعة ولوا منهزمين وتركوا العيال والاموال فاستولوا على الجميع ونزلوا بهم الى المعسكر وبعد ذلك استأنم كبرائهم فامتهم ولما حضروا عنده امرهم بدفع كافة ما عليهم من الاموال فاجابوه لذلك ثم امرهم برد المظالم لاهاليها فادوا جميع ما غصبوه ثم امرهم بان ياتوه بالنساء اللاتي خطفوهن فاتوهن بالبعض منهم وقالوا لم يبق الا اللاتي هرب بهن رجالهن وفيهن من ولدت منهم بطناً واثنين وثلاثة فلم يقبل منهم ثم اتفقوا ان يضعوا عنده عشرة رجال من اعيانهم رهناً الى ان ياتوا بهن فاجابهم لذلك واطلقوا لهم

وسلمهم جميع اموالهم بعد ان استتابهم واخذ عليهم العهود ان لا يعودوا لمثل ذلك وارتحل عنهم وبعد ايام قلائل ردوا اليه بقية النساء وافلت رجالهم المرهونون عنده وقد غير سيدي الوالد كثيراً من امثال هذه الافعال والعوائد ففنها ما اعتاده اهل جبل مطلمطة من عدم توريث الزوجات والبنات فارسل اليهم قاضياً وعدلاً فحصلوا لمن ارثهن ومنعوهن عن فعل مثل ذلك وعين لهم الفقهاء والقراء يعلمونهم امور الدين ، يقرؤون اولادهم القرآن العظيم وامر بعقاب كل من ترك صلاة الجماعة لغير عذر

*) (ذكر توجه ناظر الخارجية ابي محمد الحاج المولود بن عراش الى باريس) *

ولما راي الحاكم الفرنسي بعد اتمام معاهدة تافنا ماعليه الامير من شدة العزم والحزم والافدام واخذ امره في النمو وتهافت من جاهر بعيانه على اداء الطاعة له اصر على الامير بارسال سفير من طرفه الى عاصمة فرنسا ليقابل ملكها ويظهر له انه جاء لتوطيد الحب وتأكيد السلم وذكر له من فوائد هذا الامر ما جالب به موافقة الامير له عليه ثم ان الامير ارسل اخاه سيدي محمد سعيد ومعه الحاج محمد فاخه وفدًا الى سلطان المغرب الاقصى واصحبهما بهدية وكتاب ذكر له فيه ان الحاكم الفرنسي طلب منه طلباً حثيثاً ارسال سفير من طرفه الى عاصمة فرنسا ليقابل ملكها ويحكم معه طريق المواصلات واعلمه بان نفسه تميل الى الخلوة والعبادة وتنفر من ثقل ما تحمّلته من اعباء الامارة في زمان كثر فيه العدو وفسدت فيه الاخلاق وعرفه بما اجراه بعين ماضي واخذ زكاة نعمها عن خمس سنين ولما وصل الوفد الى فاس تلقاهم السلطان عبد الرحمن بالبرة والاحسان وانزلهم في اعز مكان ثم اخذ بالاطف سيدي العم ويساله عن احوال الامير فيحدثه عن افعاله بما يستغرب ويقضي على السامع بالعجب وبعد ان قضوا بضع ايام استاذنوا ورجعوا الى الامير محويين بكتاب من السلطان ملخصه بعد الحمد لله تعالى ولدنا الذي نظم به شمل الامة وجلى بنور صدقه الشدائد المدممة حامي حمى الاسلام والمسلمين الامير الجاهد السيد الحاج عبد انقار بن يحيى الدين ايدك الله بنور توفيقه ورعايته وجعلنا جميعاً من اهل قربه وعنايته آمين وسلام الله الاتم ورضوانه الاعم يتواليان على حفر نكم ذنوبنا ومقاماً ويرفعان لكم عند الله مقاماً ورحمة الله وبركاته مادام الفلك وحركته وبعد فند وافا حضرنا الوفد الذي اشخصتموه من بابكم ووجهتموه من

جنايبكم صحبة اخيكم البر الرشيد السيد محمد السعيد نائباً عنكم في الزيارة لابساً من
عنوان صفاء مودتكم ابهى زى واحسن بشاره فادى اليها كتابكم الذي تفننت عن
ازهار روض اخوتكم في الله مبانیه وتنفست عن كريم عهدهم وسلم عهدهم طيب
معانيه وافتحت عن طيب سرائركم معاليه واعربت عن حسن ظنكم خواتمه ومباديه
وافاد بطالع مسراته من خبر دناء تلك الافطار وبلوغ المسلمين بانتظام الكلمة
الاماني والاطوار ابقاك الله الاعلام رافعاً وعن حوزته مدافعاً ولا عدمت من
الله معونة وتأييداً وهداية وتسديداً هذا وقد وافتنا الهدية التي وجهتم صحبة
الوفد الذي اشغبتكم مخفوفة بجميل الآثار مكسوة بجلل البر والايثار جريباً على
جميل اعتقادكم وعملاً بحسن ظنكم وودادكم نقابلنا وجه نظركم بالقبول وتلقينا
حديث صلتكم بالبر الموصول كثر الله امدادكم ووفر عددكم واعدادكم وما اقتضته المصلحة
من توجيه باشدور من قبلكم لبر فرانساً حيث طالبه طاغيتكم ببحث وازعاج جارياً
من الرشد على منهاج فانت والحمد لله من دينك على بئيرة ومن سياستك على
اقوم سيرة فقد مارست احوال العدل سلماً وحرباً واطلعت على بعض دسائسه شهوداً
رغيباً فامرته كله تمويه وتدليس وشانه كله خداع وتليبس فكان من مكائده على بال
ومن امر غدره على بئيرة واحتيال فطالما اسر حسوا في ارتغاء واطهر تمنعاً في
ابتغاء وابدى تحبباً ووداداً وافر غدرآ وعناداً وفيما نعل بالاندلس واهلها اعدل
شاهد وبرهان وليس الخبر كالعيان فقد كنوا شرطوا عليه نيقاً وسبعين شرطاً لم يوف
لهم منها بواحد ونسروا معه فيها في سديد بارد

لا يغرنك ماترى من خضوع . ان بين الضلوع داء دويماً ذلماً اظفر التودد
منها الخ قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا خذوا حذرکم وقال سبحانه ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم واي خير يجب عدو الدين لجماعة المسلمين فالخازم اليقظ من
سلمه لا يسقيم ولا يبرح عن سوء الظن به ولا يديم والله سبحانه يزيك من معونته
على عوائده ويعيد على الكافر شؤم مكائده وما ذكرت ايدك الله من التنصي
من عبدة الامور الاجتهادية والميل الى تعاطي المسائل العلمية لتخرجك من ارتكاب
تجلى اليها سياسة المطلق وربما يخفى فيها ظهور وجه الحق فاعلم ان الله سبحانه
وحركاته وسكناته ذخراً له وبضاعة فاذا كانت النهضة لله والعزيمة لنصرة دين
الله كملت المطالب وتوفرت الرغائب وهذا هو السر في افتتاح الامام البخاري رحمه
الله في الجامع الصحيح انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى واذا اجتهد الانسان

قدر وسعه وجهه امدد الله بتوفيق من عنده وهداه لسبيل رشده والائمة سيف
هذا نجال فبهديهم اقتده وكيف يسوغ لك التنضي وقد رفعت بك في ذلك القطار
راية الاسلام وانتظم امر الخاص والعام وارغم بك انف الكثر واحزابه ورد كيد
على اعقابه حتى صار العدو يخفض لك الجناح ويرسم اسمك على السلاح وسارت
بجبر ذلك الركبان براً وبحراً وانا لارجو فوق ذلك مظهراً ولولا وجودك وجدك
لنفرقت اشباع تلك القبائل الاسلامية شذر مذر ولا اقترست كلاب الروم امله
وعمرت عبده الصايب حزنه وسهله ولكن الله سبحانه تداركه باقامتك وسد ثغوره
بجمايتك ولن تعدم من الله عوناً وهدداً ومن صالح المؤمنين عدة وعدداً فانه
ان يعدم القائم بالدين وحياطة الاسلام والمسلمين النصر والاعانة والتمكين من
انقوي المعين والشاهد تولد صلى الله عليه وسلم لا تزال نائفة من امتي ظاهرين وما فعلت من
انذ زكاة نعم ناحية عين ما بي عن خمس سنين حين ظفرت بها بعد تكرار المطالبة للسيد
محمد بن احمد التجاني بسببها فقد انذت حقاً وطهرته واهله ولو انصف وقال - قاً
فانت المكلف بملك الاقطار دانيها وقاصيها واليك مرجع طائعها وعاصيها ونرجو
الله سبحانه ان تضاف اليها جميع بلاد اهل الشرك وتنتظم بطاعتك انتظام الجودر
في السلك ونزد كرامتك في الحواضر والثغور وتبسم فرحاً بك الحامية وتغور
بحول الله وقوته وقد تفرسنا في انيك عند ملاقاته الخير وعلمنا صحة فراسة
والدك رحمه الله حين تخيره للخلافة على الزاوية ورشحك لتلك الرتبة السامية فالدر
من معدنه والخير من اهله

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لآباء صدق يلقيهم حيث سيرا
ارى كل غم نابت في ارومة ابى منبت العيدان ان يتغيرا
ونسأل الله ان يحدد بك الآثار والاعلام ويجمعك من الائمة المهتدين ويصلح
بك وعلى يدك آمين واذا اردت توجيهه باشدور لطاغية الروم فانتهره من اهل
الدين المتين الذي يرجع جانب الاسلام على المشركين باظهار القوة وتوفر
الاجناد واجتماع انقلوب على الجهاد فان اكثر الناس اليوم كل على مولاد الا
لذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم والله تعالى يشد ازرك ويدعيم نصرك
آمين من المولى عبد الرحمن ابن المولى هشام ابن المولى محمد ابن المولى عبد الله
ابن المولى اسماعيل في اواخر ذي القعدة سنة اربع وخمسين ومائتين بعد الالف
ولما قرأ الكتاب وفهم ما تضمنه معناه صمم على ارسال سفير الى ملك فرنسا

واستخار لذلك فوقع اختياره على معتمده ناظر الامور الخارجية ابن عراش فبعثه واصحبه بهدية تشتمل على عدد وافر من الابقار والحمر الوحشية والنعام وانواع من البسط والفرش الفاخرة المتخذة من الصوف الناعم نادر الوجود فسار ابو محمد في صحابه الى الجزائر ومنها ركبوا البحر الى فرنسا وعند وصوله الى باريس احتفل الملك بقدومه وبالغ في موائسته واحسن السوءال عن الامير ومدح ثباته في الدب عن دينه ووطنه وشكر اجابته الى الصلح وقبوله لما فيه من التوصل الى ما يحتاج اليه في اموره وما يناله في مدته من الراحة له ولعساكره واطال في ذلك قال بالمار في تاريخه ان الحاكم العام لما راي تقدم الامير اخذاً في النمو على وجهه لم يكن في الحساب ونظر ان الفاظ المعاهدة لم تنزل مبهمة بحسب فهمه وشاهد ما عليه الامير من الحزم وثبات الجاش عرض عليه ارسال سفير من طرفه الى عاصمة فرنسا ليقابل ملكها ويظهر له انما جاء لتوطيد الحب وتأكيد السلم فهذا راي الحاكم في الظاهر واما في الباطن فمقصوده انه ربما تنتقل الامور التي بينه وبين الامير الى طور آخر يحمل الامير على رجوعه عن تعصبه لما يراه مصلحة له ووجب عليه ان يثبت فيه ويعمل بتقتضاه في الامور المختلف فيها وعلى كلا الوجهين فقد راي الامير ان راي الحاكم حسن فاجابه الى ما رغب فيه واختار معتمده بن عراش لهذه السفارة فبعثه وارسل معه هدايا غريبة وذكر مفرداتها طبق ما ذكرناه ثم قال ولما وصل المعتمد المذكور الى الجزائر تلقاه الحاكم بالاميرة والاكرام ثم ذاكروه فيما يتعلق بايضاح مبهم العبارات المقررة في المعاهدة ورأى ان مذاكرته في ذلك قبل سفره الى باريس اوفى واولى فلم ينز منه ببجواب شافى بل سلك معه طريق المحاولة والمزاولة وعده بانه بعد رجوعه من باريس يجرى له ما يرضيه فغضب الحاكم من هذا الروغان وحمله غضبه على ان كتب لدولته ان اجراء امر نهائي مع معتمد الامير لا يوافق صالح فرنسا ولا اهل الجزائر ولما وصل المعتمد الى العاصمة نزل في دار الضيافة بكل اكرام وغب الاستراحة قابله وزير الخارجية وتوجئوا معاً لمقابلة الملك فقابلته الملك بكمال الاحترام ونال منه حسن الالتفات وساله عن احوال الامير واستعلم منه حركات عساكره واظهر له اتياحه الى الهدية المرسلة معه وقبوله لما وقال له اني اعد الامير عبد القادر صديقاً وحيداً لي واني ارجو نجاح عمله وبلوغ البلاد الجزائرية الى حالتي الرفاهية والتقدم ثم ان المعتمد اخذ في مذاكرة الملك فيما يتعلق بالمعاهدة والبحث في الالتفاظ التي وقع

الخلاص في المعنى المراد منها فاجابه وزير الخارجية ان هذا الامر ينبغي ان تكون المذاكرة فيه مع المارشال فانه حاكم الجزائر وبعد ايام انقلب المعتمد راجعاً من باريس بهدية من الملك الى الامير وهي سيف وزوج طينجة كل منهما مرصع بالياقوت والزمرد واللؤلؤ وحلق الماس وكردون منظم من الياقوت والزمرد وزراني مخصوصة بقضبان الذهب واثواب منسوجة بالذهب وغير ذلك ولما وصل المعتمد الى الجزائر قابله الحاكم وعاجله بالسؤال عما وقع له في امر المعاهدة فانبره بما اجابه به وزير الخارجية في حضرة الملك فانشرح صدره واطمان فكره ثم استأنف المذاكرة معه في تلك الامور التي لم تزل شاغلة لافكاره وبعد مراجعات طويلة تقرر عند الحاكم انه يذيل صك المعاهدة بما يؤذن بتغيير اشياء منصرف عليها فيه وتبديلها بما يوافق مصالح فرنسا ونص ما حرره في ذلك التذيل ان المارشال فالاً حاكم الجزائر ومعتمد الامير عبد القادر الحاج المولود بن عراش اتفقا على توضيح الكلمات المبهمة في صك معاهدة تافنا التي تقرر فيها العمل على ما يأتي الاول ان يكون الحد في جهة الشرق من الجزائر ممثداً من تجرى نهر القدرة الى منبعه في جبال طييارين ومنه الى يسر فوق جسر بني هني وعليه فيكون خط التحديد الحالي فيما بين وطن فليس ووطن بني جعد وما بعد يسر الى اليباب وطريق الجزائر الى قسنطينة بحيث ان يكون برج حمزة وجميع الارض الكائنة في شمال وشرق الحدود المذكورة الى البحر تابعاً لدولة فرنسا وان باقي ارض بني جعد وونوغا جنوباً وغرباً من هذه الحدود يبقى تابعاً للامير وفي عمالة وهران يسوغ لدولة فرنسا ان تملكها من ارض ارزيو الى ارض مسغانم واذا رأت مناسباً لها ان تصلح قسماً من الطريق الكائن في شرق المقطع فلها ذلك بدون تعدي على ارض الامير . الثاني ان ما تعين على الامير ان يدفعه للعساكر الفرنسية من الخنطة والشعير في مدة ثلاثة اشهر والى الآن ما دفعه يلزم ان يكون تقديمه منجماً على عشرين سنة بحيث انه يقدم في اول كانون الثاني من كل سنة منها قسطاً من كل صنف من الصنفين المذكورين وان يكون الدفع في مدينة وهران . الثالث ان جميع ما يحتاج اليه الامير من الادوات الحربية والدخائر يطلبه من الحاكم وهو يحضره ويسلمه الى وكيله في الجزائر باثمانه الاصلية التي اشترى بها فعلى هذه الوجوه يكون الاجراء بدون تغيير ولا تبديل وباقي الشروط المذكورة في صك المعاهدة يبقى معمولاً بها ثم لما انتهى الحاكم

تذليله عرضه على المعتمد ودعاه للموافقة عليه بموجب كونه وكيلاً عن الامير فاعتذر اليه بانه غير مرخص له في مثل ذلك ووعدته بالسعي فيما يحمل الامير على الموافقة والاجابة الى مراد دولة فرنسا منه فلم يقنع الحاكم بجوابه والح عليه ان يكتب في هامش التذليل انه اطلع عليه واستحسنه فتوقف ابن عراش في ذلك ثم كتب اني اطلعت على هذا التحق واستحسنه ولست مسوءلاً عن مصادقة اميري عليه وبعد ان حرر المعتمد ذلك رخص له الحاكم في السفر ولا جرم ان ما حرر في هذا التذليل يستدعي الحيرة للامير فان وافق عليه يخرج من يده قسم عظيم من البلاد التي استولى عليها ونقررت احكامه فيها وان ابى فلا بد من خرق سياج المعاهدة ونقض الصلح قال بعض مواريثهم وصعوبة القضية جعلت الفرنسيين يتلافونها باستعطاف خاطر الامير ولذلك بدا للمارشال ان يبعث مع المعتمد صهره القائد دوسال الى حضرة الامير ليذكره في القضية مشافهة وكان الامير وقتئذ محاصراً لحصن عين ماضي فاعتذر المعتمد بذلك وانبره ان المسألة بعيدة جداً فاجابه الحاكم ان بعد المسافة لا يصده عن قصده فاستكان المعتمد لذلك وعلم انه لا مناص من خروج القائد معه فصارا معاً من الجزائر قاصدين الحضرة فلما وصلوا الى مدينة مليانة تلقاها الخليفة السيد محمد بن علال بالجميل والاکرام ورفض ان يعرف القائد رسماً بدون امر من الامير ثم ان المعتمد اسر الى الخليفة بالامر واطلعه على مافي سره من كونه يخلف القائد عنده وهو يغز السير الى الامير ليخبره بالواقع فوابقه الخليفة على ذلك وتلف المعتمد في الخروج ليلاً واسرع في السير الى تاكدت وبوصوله طير الخبر الى الامير وهو على حصن عين ماضي اما القائد دوسال فانه لما اتصل به خبر سفر المعتمد دونه حمليه الغضب على الرجوع الى الجزائر فرجع واخبر المارشال بما اتفق له مع المعتمد فقام لذلك وقعد وكتب الى دولته بالواقع واخبرها بان الاحوال الراحنة تقضي ببطالان المعاهدة وفي هذه المدة كان الامير مشغولاً فيها بامر التجني فانتبه الفرنسيون الفرصة وشيدوا الحصون المتينة في بونه وكالته وميله من اعمال قسنطينة في الجهة الشرقية منها ووضعوا فيها العساكر والذخائر واكتشفوا على آثار مدينة قديمة رومانية على البحر غربي بونه وتسميها العرب سكيكدة والبربر روزيكوا فابتنوا في حزمها مدينة سموها فيلغيل وبهذا المركز توصلوا الى وضع يدهم على جيجل والقل وغيرهما من المراسي الصغيرة فيما بينها وبين الجزائر وبعد فراغ الامير من فتح حصن عين ماضي رجع الى تاكدت وبوصوله احضر

معه ابن عراش ووجهه على استبداده فيما كتبه على التذليل فاعذر اليه بانته لم يفعل ذلك الا لانقاء شره والخروج من قبضته فقبل عذره ثم اقبل على تفقد احوال الجيش ومهمات الحربية وبعث الى خلفائه في الولايات يحثهم على النظر في احوال من عندهم من العساكر وامرهم بمفاوضة الاعيان والرؤساء في امر الجهاد والاخذ في الاستعداد ودس الى وكلائه في الجزائر ووهران وغيرها باستقصاء الاخبار واستطلاع الاحوال والنقب على دسائس العدو ومكائده وبعث الى اهل الثغور في التيقظ والتنبه الى غوائل العدو والتحذير من مفاجاته ولما اتصل بحاكم الجزائر ما عليه الامير من شدة الالتفات الى اموره وما هياه الله له من النصر والتكثير وثبوت القدم حركه الحسد مع ما اتفق اصهره مع المعتمد ابن عراش فبذل وسعه في نقض المعاهدة وواصل رساله الى دولته في ذلك وهي تعيره اذنا صماء ثم بعث صهره القائد دوسال مرة اخرى الى مليانه وكان معه رسالة من الحاكم في طلب الجواب على مقتضى ما في التذليل وعند وصوله الى الحضرة تلقاه الامير بالبرية والاكرام وبعد اطلاعه على رسالة الحاكم تحير في امره ورأى انه امسي بين امرين خطيرين اما الموافقة والوصول اليها صعب لبعده عن قبول الامة له واما رفضها وهو يؤدي الى نقض المعاهدة وكان ديوان الشورى وسائر الامة يميلون الى الحرب ويقدمونه على اعطاء الدية بقبول ما في التذليل مال معهم واجابهم الى ما طلبوه واستحسنوه ثم انه دعا القائد دوسال الى الديوان وكان حشر اليه الاعيان والقواد فلما استقر به المجلس اخذ الامير يتكلم على العموم فاخبرهم بالقضية ويقرض الحاكم على الاجابة الى مطلوبه والموافقة عليه ثم قال وهذا الرسول الذي هو بمثابة وكيل لدولة فرنسا جالس بينكم وحاضر معكم يسمع كلامي وكلامكم فانظروا ما يحلو لكم واظهروا ما فيه رغبتكم فضج الجميع وقالوا لا نقبل ولا نجيء الى ما هو مذكور في التذليل ولا نرضى بالدنية في ديننا ولا بما يحل بشرفنا فالنار ولا العار فان كانت الدولة الفرنسية ترضى ان تبقي على ما انعقد اليه الصلح في تافنا فذلك والا فالحرب وبالله المستعان فاقبل الامير على القائد دوسال وقال له ها انت قد نظرت بعينيك وسمعت باذنيك وليس الخبير كالعيان فاخبر الحاكم بما رايت وسمعت والذي عندي هو ان نتكلم معه بما يقنعه ويحمله على ابقاء المعاهدة جارية في سبيلها القديم فان ذلك احسن للطرفين واليقى الجانبين وعاقبة الحرب كما لا يخفى وخيمة وسفك الدماء مع امكان حقنها لا يجوز في سائر الشرائع

المتقرة ولا يرضى به ذو عقل سليم وعلى كل حال فنحن مسرورون بقدمكم علينا ونرجو ان يكون ما شاهدته وسمعته من نواب الممنكة اكبر عذر لنا عند الحاكم ثم ان الفائد دوسال بعد ان وقف على حقائق الامور انقلب راجعاً الى الجزائر واخبر مرسله بالواقع فوجم لذلك ثم بعث الى وزير الحرب في باريس يخبره بما جرى وما شاهدته صهره من الامير ورجال دولته وما هم عليه من التمس والرجبة في الحرب واردف الحاكم ذلك بقوله ان تغيير الحال الراهنة يحوجنا الى استعمال اشياء وهي ان تعلن الدولة الفرنسية للامير عبد القادر بانها لانقبل الحكم الذين وضعهم في الاماكن المختلف فيها ولا تعرفهم فانها تصدر امرها بتهديد الامير ووعيده فان لم يجد ذلك نفعا تامر بالمجوم عليه بكامل القوة التي يتوصل بها العسكر الفرنسي الى هدم قوته والاستيلاء على برج حمزة وما يليه من البلاد الشرقية وانها تكتب بعد هذا كله الى الامير ان هذا العمل ليس المقصود به نقض الصلح بل هو متم له ومثبت لروابطه

فلينظر العاقل الى هذا التحرير وما هو عليه من فساد المعنى وعمل مع عمل السيف صلح وهل بعد الهجوم والاستيلاء على الاراضي المذكورة معاهدة ثم ان الامير لما علم ان الحاكم ساع فيما يحل به عقدة المعاهدة كتب الى ملك فرنسا رأساً يخبره بالحال ويطلبه على سوء تصرف حاكمه في الجزائر وملخص كتابه . من المعلوم قديماً وحديثاً ان المسلمين من داهمهم تحاربة عدو دينهم قياماً بما اوجبه الشريعة الاسلامية عليهم من الجهاد اما لاءاء كلمة الله او للدفاع والذب عن الدين والبلاد فاذا عارضتهم امور سياسية او ضرورات شرعية فلهم ان يمنحوا للسلم ووضع اوزار الحرب ونحن لما رأينا الجنرال بيجو راغباً في الصلح ورأينا بلادنا تحتاج الى ما به عمراتها وفيه راحتها اجبنا الجنرال الى مطلوبه وعقدنا معه الصلح ظناً منا ان دولة فرنسا تحافظ على العهد كما اتنا كذلك فاذا بعالمكم في الجزائر بادروا الى ما به خيبة الظن وعجلوا بما يؤدي الى الضرب والطعن فكاتبناهم في ذلك فما سمعوا ولاطفناهم في القول والنعل فما قنعوا بل جمعوا حولهم وقوتهم فيما يحمانا على الاجابة الى ما لا يجوز لنا شرعاً ان نجيب الى مثله وهو التخلي عن قسم عظيم من بلادنا والتسليم في اخواننا اهل ديننا وحيث انه غلب على الظن انكم لاترضون بوقوع ما يكدر صفونا ويقطع مواصلتنا بادرنا الى ارسال هذه الرسالة الودية لتعلموا منها ما هو واقع بيننا وبين عالمكم وثنا كدوا اننا راغبون في مسالمة فرنسا ومساغاتها ودوام معاملتها

في المتجر وغيره من اسباب العمران ولا تظن الدولة الفرنسية ان رغبتنا فيما ذكرناه لضعف
اعتري قوتنا او لقصور اخذ من حدة شوكتنا فاننا بحول الله تعالى وقوته لم نزل ولا
نزال على ما تعهدد عسا كرمنا من عسا كرنا من كونها تعطيها في ميادين الهيحاء كيلاً
بكيل ونقابها المثل بالمثل غير اننا لما راينا ذلك لا يجدي نفعا رغبنا في المعاهدة طامحاً
للراحة والوصول الى ما فيه عمران البلاد كما اشرنا الى ذلك آنفاً وكتبنا الى جلالته هذا
اعلاماً بالحال انتهى

وقد وصل هذا التحرير الى الملك الآن ان العوارض الكثيرة وقنئد منعت من رد
الجواب قال ثم بعث الامير الى الملك مكتوباً ثانياً ولم يتيسر جوابه وبعد مدة اتصل به
ان وزيرى الخارجية والحرب عزلا وتعين لوزارة الخارجية مسيو تيرس الشهير ولوزارة
الحرب المارشال جراردن فتوهم ان هذا التغيير يجديه نفعا فيما هو راغب فيه فكتب الى الملك
مرة ثالثة والى الوزيرين المذكورين وملخص كتابه الى الملك

قد كنت بعثت لجلالتهكم برسالتين ذكرت فيهما ما هو واقع بيننا وبين عما لكم في
الجزائر من الوحشة ورغبنا في زوالها من لدن جلالتهكم بوجه العدل والانصاف كما اننا
رغبنا ان تأمروهم بالعدول عن طريق الظلم والاعتساف والى الان ما وصلني جواب عن
واحدة منهما فتشهر لنا من ذلك انها لم يصلنا اليكم لان كرم الاخلاق يابى ان تكونوا بعد
اطلاعكم عليهما تغافلتم عن رد الجواب وبناء عليه كتبت هذا علاوة على ما تقدم رجاء
ان يصل وتطالعوا عليه وانه يجوز القبول وقصارى ما اقول ان عمالك في الجزائر اجهدوا
انفسهم فيما ينقض الصالح المنعقد بيننا وبينكم من غير موجب من حيثنا البتة وانما حملهم
على ذلك ما سوائته لهم انفسهم من التعدي على حقوق عباد الله ومدد اليده الى ما ليس لهم
فيه وجه فالبلاد التي ذكرها الحاكم في تذييله هي بلاد سبقنا نحن اليها ووضعنا ايدينا
عليها وهي في حكم الموات لا حاكم لها بمقتضى الشرع وذلك منذ انقرضت الحكومة من
الجزائر واعمالها ولم تدخل قط في حوزة احمد باي حاكم قسنطينة ولا كانت بينه وبين
اهلها مواصلة سياسية فباي وجه يتزعوننا فيها ونحن احق بها واهلها من وجوه لا تنفى
على المنتصف ذي القلب السليم ودب انها كانت من اعمال قسنطينة التي استوليت عليها
واخذتموها من يد احمد باي فان احمد باي كذب حاكماً عليها بالثغلب ايام
دخولكم الى الجزائر ودب انه كان عاملاً عليها من قبل حكومة الجزائر فان تلك
الحكومة انقرضت وبانقراضها انقرضت احكامها وحكامها فلا سلطة شرعية لاحمد باي
عليها وبقاؤه فيها انما كان على سبيل الدعوى لنفسه والناس لم يقبلوه ان يكون ولي امرهم

ولا اعتبروه رئيساً عليهم مطلقاً وتغلبه كان على نفس مدينة قسنطينة وبونة ولو وجد اهل تلك النواحي من المسلمين من ياخذ بايديهم ويدفع عنهم لسارعوا اليه كما وقع ذلك حين توجينا الى النواحي التي تلينا ومن حملتها الاراضي التي نازعنا فيها عمالكم بغير حق وبالجملة فسلوك هؤلاء العمال معنا حائد عن طرق الحق مغاير لاساليب العدل ومن العجب انهم تعدوا على نفر من عساكري وحبسوهم بدون سبب شرعي ولا داعٍ قانوني وعلى فرض ان لهم وجباً فيما فعلوه فكان الواجب عليهم ان يخبرونا في امرهم ونحن نجري عليهم ما نقضي به الاحكام الشرعية او القانونية على حسب ذنوبهم ثم انهم منعوا بيع الحديد والنحاس والرصاص في اسواقنا كما انهم منعوا تجارنا من شرائه في اسواقهم واهانوا رسلي اليهم واعرضوا عن رد اجوبة رسائلي التي وجهتها اليهم وجعلوا ضريبة على المكاتيب التي ترد من الداخلية الى الجزائر وغيرها من المدن التابعة لهم ومع هذا كله فانهم يكتبون الى جلاتكم اني عدو فرنسا اطلب حربها واسعى في اسبابه فينبغي والحالة هذه ان تاخذوا من اعنتهم وتضربوا على ايديهم وتامروهم بالعدل عن سوء التصرف معنا فان كل مروتكم مع ما شاع عنكم من مكارم الاخلاق يقضي عليكم بذلك فان قال هؤلاء العمال اننا تاخرنا عن اجراء البعض من شروط المعاهدة قلنا اننا لم نؤخر ذلك الا لكون الجنرال ييجو نقاعد عن اجراء ما تعهد به ظناً منه اني غافل عن تلك المعاهدة المخررة عليها اسمه بخط يده وما علم انني اعتبر صحة مواعيد شخص هو وكيل ملك فرنسا فانظر ايها الملك فيما ذكرته لك واسمح برد الجواب والتعريف عن مقاصدك والله يوفقك الى ما فيه راحة العباد وكتب الى وزير الخارجية ما ملخصه

اني اهني فرنسا برجوعك الى الوزارة الخارجية واعلم ان الانتقال المهمة التي تقضي بصرف المهمة وتوجيه الذكر الى تحسين الاحوال بيننا وبينكم تجعلني انتظر منك ما اهني به نفسي فانك على ما بلغنا تحب الهدوء والسكون وتسعى فيما يحسن العلائق بين شعبك وسائر الشعوب ولا يخفى ان الاحوال الجارية بيننا وبين عمالكم لا يصلحها ويحسنها الا تاييد السلم المنعقد بيننا وبينكم وتوطيده وتجانبة الاعنداء بكل وجه واما استعمال الحيل مع الاغضاء عن اجراء شروط المعاهدة لاجل مطامع خارجة عن جادة الحق فلا جرم ان ذلك يفضي بذا وبكم الى ما لا خير فيه لنا ولكم وحيث ان الحق تعالى وهبك من الاخلاق الحميدة ما اكسبك الثناء الجليل من ابناء وطنك فينبغي لك ان تستعمل تلك الشيم الكريمة كذلك في افريقية وبذلك ينتشر ذكرك الحسن بين الامتين وتنعطر انديتهما بمدحك وكمالك وتحصل لك الشهرة المطلوبة لكل عاقل وبدوم ذكرك في العالم

وبالجملة فاني انتظر منك ما يسر السامع وتبتهج به المجامع من تجديد الروابط الودادية بيننا وبين دولتكم

وكتب الى موسيو جراردن ما ملخصه

لما بلغني ان ملك فرنسا قلذك وزارة الحرب انشرح صدري لذلك لعلمي انك تميل الى المسالمة وتسعى في اسبابها ومن يكون قادراً على نظارة الحرب فلا بد ان يكون قادراً على تمكين الصلح وحمايته من اعتداء المعتدين هذا وان معاملة عمال الجزائر لنا وسوء تصرفهم معنا لا بد ان يكون قد شاع وذاع وتأسف له كل عاقل وتكدر منه كل فاضل فان هو، لاء العمال بعد ان عقدنا الصلح مع دولة فرنسا واسسناه على شروط قبليها كل منا وجرى بها العمل قاموا يتعاطون اسباب حل ما عقدناه ونقض ما اسسناه وبنوا امرهم على الطمع الذي يهتته كل منصف والظلم الذي يجه كل عادل وحاولوا تغيير كثير من الشروط ويجشوا في معاني الناحيا العربية ولا ادري هل كان ذلك منهم لجهلهم باللغة العربية ام هو على سبيل التعنت ومن العجب انهم ارتكبوا ذلك ولم يعلموا انه حطيط في حق دولتهم العظيمة وبالجملة فنحن نستدعي حسن التفاتك الى المطالب التي اكثرنا علينا فيها ونرجو تفوذك القوي عند جلالة الملك يعرض مقاصدك السامية والله تعالى يوفقكم الى نعل الخير وثقير به .

فمن تأمل في معاني هذه التجار ير ظاهر له منها حسن مقاصد الامير وشدة ميله الى الصلح كما ان دولة فرنسا كانت تظهر ذلك ولكن ارادة الله افنضت وقوع الحرب بين الفريقين ولما يئس حاكم الجزائر من اجابة الامير الى موافقته على ما حرره في تذييله وعلم ان ذلك دونه خطر القتاد وانتضاء السيوف من الاغمار بعث الى دولته صورة التذييل المنلحق وذكر لما يجهلها على اختيار الحرب وكان معارفاً عندها ان الامير لا يسلم بذلك لكنها نظرت ان مرور جيشها في تلك الاراضي يكون فيه الشرف العظيم لفرنسا ووضع اليد لا بعد نقضاً لدعائم الصلح واسدرت الامر الى المارشال بهذا وعند وصوله اليه اخذ في الاستعداد وبعد استكمال تهيئته ووصول الدوك دورليان ابن الملك وروساء العسكر اليه خرج وهم في معيته من الجزائر في السابع والعشرين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين والسادس من اكتوبر سنة تسع وثلاثين وثمانمائة سالكين طريق البر ولما وصلوا لمضيق البنيان قسحوا جيشهم الى فرقين فرقة توجه بها ابن الملك الى قسنطينة والفرقة الثانية استقر بها المارشال سائراً الى ان دخل الجزائر قال بعض موءرخيهم وكان دخوله الى الجزائر دخولاً احتفالياً وقوبل باعلا اصوات الابتهاج واستمرت الاحتفالات اربعة

ايام وعملت وليمة فاخرة على ممشي باب الواد وظن ان الجزائر قد انقلبت فكان انتصار
وهمي رسمته الخيالة على لوحها وانبأت عنه الشفاه وكنت اهل البلاد التي يرون فيها
يعتقدون ان حاكم الجزائر قصد بروره بابن الملك في بلادهم مجرد السياحة والتفرج لما
هو مقرر عندهم من امر المعاهدة بين الامير ودولة فرنسا ولذلك كانوا يقدمون له جميع
التسييلات السفرية مسرورين بحليف ودود لاميرهم ولولا هذا ما تركوه يمر في بلادهم
من غير قتال قال بعض مؤرخيهم ولو كان عبد القادر هناك بخمسة مائة عسكري فقط لما
مكنهم ان يعبروا ابواب الحديد عند وصولهم اليه ولا مكنهم ان يخرجوا منه ولما مربوسط
قبائل بني مناصر احد قوادهم وحصل اطلاق البارود بينهم اتقته الخليفة السيد احمد
ابن سالم من نومه وطير الخبر الى الامير فوجم لها ثم نهض من ملياته الى المدينة وكتب
الى المارشال ما ملخصه بينما كنا معكم في حال سلم ومعاهدة فلم نشعر الا وقد نعلمت ما
ينافي ذلك وتجاوزتم الحدود المعلومة بين بلادنا وبلادكم بغير اذني ولا تقدم مغامرة في
ذلك ولا علم ومررت بابن الملك في عساكركم الكثيرة في بلادي من الجزائر الى قسنطينة
بدون وجه يسوغ لكم ذلك ويجوزة ولو اخبرتموني ان ابن الملك يريد زيارة بلادنا
كنت رافقته بنفسي او عينت احد خلفائي لمرافقته والذي يظهر ان القصص من نعلمكم
هذا اظهار التعدي على حقوقي حتى اثار لذلك وينجر الامر الى نقض المعاهدة والحال ان
فعلمكم هذا هو نفسه ناقض للمعاهدة مبطل لما وبناء عليه اعلن لكم انني عزم على
استئناف الحرب وبالله المستعان فارنعوا وكلاكم من بلادي وانذروا قومكم المقيمين فيها
والمسئولية عليكم وحكمكم .

❖ ذكر ما جرى بعد هذا من اشهار الحرب والمراجعات فيه ❖

❖ وما آل اليه الامر بعد ذلك ❖

لما يش الامير من اجابة الدولة الفرنسية الى مادعاها اليه من ترك مطامع
عالمها والبقاء على ما تقرره الصلح وراى ان العمال الفرنسية عامدون الى نقض
العهد واضرام نار الوغى اعتزم على دفاعهم والذب عن دينه ووطنه واصدر اوامره
الى خلفائه في المقاطعات بالتأهب للحرب والاستعداد لما واطلمهم على ما اظهره الفرنسيين
من نقض المعاهدة ثم اصدر اعلاناً عمومياً ليتلى في المحافل والجامع وملخصه . ليكون
في علم سائر الخلفاء والاغوات والقواد وكافة المسلمين اهل بلادنا الدائنين بطاعة الله
ورسوله ثم طاعنا وفقهم الله للقيام بفريضة الجهاد واعانهم بالقوة والامداد ان الفرنسيين

قد ظهر عدوانهم واتضح اعتداؤهم فتجاوزوا الحدود المقررة بيننا وبينهم ومروا في بلادنا من الجزائر الى قسنطينة بدون اذن منا فتأدبوا اعانكم الله للحرب وهيئوا سيوفكم للظعن واخرب واستعدوا للدفاع عن دينكم ووطنكم وأجمعوا امركم للذب عن موردكم وعظمتكم وحيث ان ما في بيت المال من النقود لا يفي بنفقات الحرب ولوازمها فقد تعين عليكم ان تفرضوا على انفسكم ومن يليكم اعانة جهادية وسارعوا بالحضور الى المدينة فاني انتظركم فيها ووطدوا طريق الراحة والامن في سائر اعمالكم على الوجه الذي اكون به مطمئن البال واعلموا ان النجاح موقوف على اخلاص النية فوجهوا قلوبكم الى الله تعالى واطلبوا منه تاييد كلمته وتشديد اركان دينه بكم والسلام عليكم . قال بالمار وغيره من مؤرخي الافرنج من اطالع على هذا الاعلان وغيره من اعلانات الامير علم ان ما ينسبه اصحاب الاهواء الامير من انه اشهر الحرب بغتة ولم يعانه بالوجه المعتاد بين الملوك غير متصيب في دعواه ومن المعلوم عندنا ان هذه النسبة الحادثة عن طريق الصدق كانت من المارشال فالأ وحده وذلك انه لم يرد الجواب في وقته المطلوب الى الامير عبد القادر ولانبه على الفرنساويين المقيمين في سهل منيعة وغيرها لياخذوا حذرهم ثم لما اصابهم بعد ذلك من الوبال ما اصابهم اشاع هذه النسبة لئلا ينصل من عهدة ما وقع فيه وفي الحقيقة انه وصله اعلان الامير بالحرب في المكتوب السابق فتغافل عنه وترك كل شيء على حاله واما الامير فانه لما طال عليه الانتظار لرد الجواب علم ان اعراض المارشال عنه دليل على عزمه على الحرب فكتب الى خلفائه وسائر اعيان رعيته في امر الحرب وامرهم بالاستعداد لها كما تقدم وعلى ذلك فلا اعتراض على الامير مطلقاً انتهى

ولما شاع خبر الاعلان بالحرب وسارت به الزكبان وتحقق حاكم الجزائر وحاكم وهران باقتراب وقت الزال ومقارعة النصال بالنصال تحيروا في امرهم وخافوا من رجوع بغيرهم عليهم وليس عندهم اذن من دولتهم في فتح باب الحرب ثم ان حاكم الجزائر بعث ابن دران الى الامير واصحبه بكتاب منه والامير وقتئذ في المدينة ينتظر وصول الجيوش اليه ولم يخص كتابه على ما ذكره مؤرخوهم انني لم ازل احافظ على السلم وقد قدمت رسالة الى الدولة ومنتظر جوابها فاصبر قليلاً واني ارجو تسوية القضية بيننا بما يرضي ولا يخفى ان غوائل الحرب عاقبتها وخيمة . واتفق ان الامير كان وقت وصول ابن دران الى المدينة في مجلس الشورى فلما بلغه خبره امر باحضاره واعطى الكتاب الى الامير فقراه على اهل المجلس وامر ابن دران ان يتكلم بما عنده من الاخبار

فلما سمع اهل المجلس كلامه وفسموا منه مرام مرسله اعلموا له بما وقع عليه الاتفاق واجتمع عليه الرأى من اشهار الحرب ودنول ميادينه فراجعهم ابن دران وبين لهم سوء عاقبة ما اتفقوا عليه فقال له الاميرون يكن الامر كما قلت فانه اسهل عندنا من احتمال الاهانة فقال ابن دران الذي وقفت عليه من الاحوال ان الفرنسيس ليس لهم قصد في ضرركم ومروور ابن الملك في بلادكم انما كان على سبيل التزهد والتفرج فعلى هذا اقول ان عملهم على هذه الصورة لا يستدعي الغضب ولا يوجب الحرب وبعد انتفاض المجلس انفرد الامير في قصره فاستاذن ابن دران في الدخول عليه فاذن له وقرر له ما اطالع عليه من اسرار المارشال وقواد العساكر الفرنسية وكشف له الغطاء عن احوال الوقت ورغبه في مسالمة فرنسا وقال لا يخفى ان الحصومة لا ينتج عنها الا ضعف القوى على اني لا ارى الحرب يوافق احوال سموكم فقال له الامير اني اعلم هذا ولكن اذا كانت الرعايا تطالب الحرب وآذاؤها اتفقت عليها فماذا اصنع لا سيما والفرنسيس عملوا ما يوجبها ومع هذا ساعدت مجلس الشورى مرة اخرى وافاوضهم في هذا الامر وفي اليوم الثاني امر باجتماع المجلس واحضار العلماء وقواد العساكر ورؤساء القبايل وبعد ان جلس الناس على حسب مراتبهم قال لهم الامير بالامس قد بينت لكم الاحوال واعربت لكم عن حركة الجيش الفرنسية وتعديه على الحدود ومرووره في بلادنا من غير علم منا وعرفتكم غوائل الحرب ومن المعلوم ان فتح بابها سهل ولكن الدخول في ميدانها صعب وحيث اني رايت اضطراب راي بعضكم بالامس جمعتمكم اليوم فانظروا في امركم وأظهروا ما ترغبون فيه بعد امعان النظر واني اطلب من الله التوفيق لما فيه عز الاسلام وصلاح الامة فاطرق القوم ملأ شم قالوا بلسان واحد ان الموت اهور من العار وهدم اساس شرفنا فقد وافقنا الفرنسيس على ما طلبوه منا اولاً وثانياً في معاهدة الجنرال دي ميثيل ومعاهدة الجنرال بيجو وحملنا انفسنا ما لا تطيقه والان لما تجاوزوا حدوداً ارتضوا وجرى الصلح عليها فلا بد ان يكونوا قد قصدوا باعدائهم هذا ان يستولوا على بلادنا ويستعبدونا ودون ذلك بذل اموالنا وارواحنا فلا عدول عن الحرب والنصر مطلوب من الله القادر الذي لا نقاتل الا لاعلاء كلمته فلما سمع الامير كلامهم قال حيث انكم تريدون الحرب ولا تحيى عنها فاعلموا اني لا اتاخر عن اعلانه مرة اخرى وهي المرة الاخيرة ومعاذ الله ان اتخلف عن الجهاد بل ساكون فيه بمجوله تعالى وقوته امام صنوفكم غير ان لي حقاً عليكم وهو ان تعطوني عهداً وميثاقاً على الطاعة وبذل النصيحة وان لا تسلكوا معي ولا في سائر امور الدولة والملة

سبيل الخيانة والغدر وان لا تولوا الادبار يوم الزحف وان لا تختلفوا عن الجهاد ولذب
عن الدين والبلاد عند ما اطلبكم لذلك فاجابوه الى ما امر به وحلفوا له عن آخرم
ونص بميهم . بالله العظيم منزل القرآن على نبيه الكريم اتنا لا نخون حضرة سيدنا ومولانا
ناصر الدين سيدنا عبد القادر بن يحيى الدين ولا نسلك في طاعنه سبيل الغش والخديعة
لا ظاهراً ولا باطناً لا سرّاً ولا جهرّاً واتنا لا نتاخر عن صفوف الجهاد بل كنا يقاتل
لاخر حياتنا واتنا نبذل اموالنا وارواحنا لحماية ديننا ووطننا ابتغاء لمرضاة الله ورسوله
وبعد ان قر القرار على اشهار الحرب صدر من المجلس الاعلان به على الطريقة
المعتادة وصورته . بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً
الحمد لله الذي انزل في كتابه المبين وفضل الله المجاهدين على القاعدین اجرا عظيماً
والصلاة والسلام على نبيه القائل الجنة تحت ظلال السيوف وعلى آله واصحابه واتباءه
الذين قاتلوا في سبيل الله الوقابعد الوف وصفوفاً بعد صفوف اما بعد فان الرئيس
المعتدين على البلاد الاسلامية بعد ما عاهدناهم وسالمناهم نكثوا وجالوا في بلادنا وعاثوا
ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اعلوم ان التهاون في مثل هذا والاغضاء عنه يزيد
طغياناً واعتداء علينا فلذلك قد اجتمعنا في مجلس عال بحضور سيدنا المعظم ومولانا المنعم
ناصر الدين عبد القادر بن يحيى الدين نصره الله لاجل المذاكرة في هذا الامر المهم
والخطب الملم فوفقنا الحق تعالى جل جلاله للجواب ولهدنا جادة الصواب واتفقت كلمتنا
واتخذت آراءنا على اعلان الجهاد وانقيام بواجبه على اكل استعداد وقد بايعنا حضرة
اميرنا على الوفاء بواجبات الجهاد الشرعية وعقدنا على الصدق في ذلك النية وحررنا هذا
الصك ليكون شاهداً علينا فيما ذكرناه فاجيبوا ايها المؤمنون داعي الله وانفروا خفاً وثقالاً
الى ما دعاكم اليه ومن تاخر منكم فانما اثمه على نفسه كما ان لومه فيما يحل به من العقوبة
الاميرية عليها . ومن الله نستمد العناية وهو ولي الهداية . حرر في اليوم الحادي عشر
من رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين . والسادس عشر من كانون الاول سنة تسع
وثلاثين وثمانمائة في الديوان الاميري العمومي المنعقد في مدينة المديّة المحمية . ثم ختم على
هذا الصك الخلفاء والعلماء وقواد الجيش ورؤساء القبائل وبعد تسجيله قدم لاعتاب
الامير فامر بتحرير الكتاب النهائي الى المارشال حاكم الجزائر ونصه

اما بعد فقد وصلني كتابكم صحبة الموسوي ابن دران واحاط علمنا بما فيه وقد
كنت كتبت اليكم من مدة خمسة عشر يوماً ما فيه الكفاية والآن اعرفكم تعريفاً نهائياً
ان سائر اهل الوطن اتفقت كلمتهم واجتمع رأيهم على استرجاع شرفهم بالحرب لانهم راوا

تجاوزكم الحدود المعينة في معاهدة تافنا مبطلاً لها ناقضاً لاساسها واما انا فقد اجهدت نفسي في تغيير آرائهم وصددم عن قصدهم فلم يجد ذلك نفعاً بل زادهم هياجاً ورغبة في اشهار الحرب وجعلوا العهدة في تاخير علي وحدي فبناء على ذلك اعلموا اني ما خنت ولا نكثت عيدي معكم وانما ذلك كان منكم لامي فاذنوا لوكلائي عندكم في تعجيل الاوبة الي وبالله المستعان . وبعد مسير ابن دران الى الجزائر اقبل الامير الى ما كان عليه من اعداد المهات الحربية وبث الدعاة الى الجهاد في سائر النواحي فاقبل الناس الى الثغور وسارعوا اليها وفي ايام قلائل امتلأت بهم الاغوار والتجود وجرى ترتيب الكتائب على اكل وجه وظهر من انقياد الرعية لالاوامر الاميرية وحضوعهم لها ما شاع في الاقطار وحدا به حادي القطار قال مؤرخهم ولما استقر رأي الامير على الحرب صدرت اوامره بالزحف الى البلاد التابعة لدولة فرنسا من كل جهة فهرع الناس اليها من كل فج عميق وتسايقوا نحوها من كل بلد سعيق امتثالاً لامر الامير واغنائماً لطاعته وما كان في يد الفرنسيين حينئذ من الارض لا يتجاوز الشطوط البحرية ولما انتهت المراجعات ورأى حاكم الجزائر ان تدارك الامر قد فات وقته وعلم انه لا معيد له عن الحرب جمع اعيان مجلس الجزائر واطاعهم على مكتوب الامير الذي جاء به ابن دران وظهر لهم الاسف على ما فاتته من تدارك امره مع الامير الذي طالما دعاه الى المسالمة والبقاء على ما انعقد عليه الصلح في معاهدة تافنا فلم يلتفت اليه ثم جمع قواد العسكر وفاوضهم في امر الحرب وامرهم باخبار الجيوش وعرضها وتدريبها واخذ الالهة للزحف الى البلاد الاسلامية وقال لهم ان اول ما تؤمرون به انكم تقصدون المدن الكبيرة ومتى حصل لكم الاستيلاء على مدينة منها وجب عليكم ان تقيموا فيها ثم رتب لهم طرقاً ووجوهاً لتبليغ الاخبار الحربية اليه وكذلك الامير جمع رؤساء جيوشه المدربة والمتطوعة وامرهم بالزحف الى الاماكن التي يوجد فيها عسكر فرنسا وامرهم بالهجوم على الحصون واستعمال التورية في المسير الى الجهات وعين لهم من يبلغ اخبار كل فرقة الى الاخرى ورتب بريداً مخصوصاً به يبلغه اخبار سائر الفرق

ذكر بدىء الحرب

اول سرية كانت باكورة الحرب سرية تحوط وذلك ان الامير امر قائدهم بالغزو على ما يليه من ارض العدو فسار بهم ولما تجاوز نهر الشفة الذي كان يعتبر حداً في ايام الصالح شن الغارة على قبيلة اولاد غانم الدائنين بطاعة فرنسا فغنم سائر ما يمكنه

من ماشية ومتماع وفي رجوعهم لقيهم حشد من المنتصرة نصرة لهم من اهل تلك الجهة فنبأوشوهم القتال فانكسرت المنتصرة وقتل قائدهم وانقلب قائد حجوط بالغنائم الى بلاده وقسمها في قومه وهذه الواقعة كانت مقارئة لوصول وكلاء كل فريق اليه ولما اتصل خبرها بحاكم الجزائر امتنع لذلك وجهر فرقة من جيشه وبعثها لقتال حجوط فالتقوا عند نهر الشفة وانتشب القتال بين الفريقين ولحق بكل منهما اضرار تسحق الذكر ورجع عسكر الفرنسي الى الجزائر بلا طائل وبعث الحاكم الى وزير الحرب بالخبر وذكر له ما سيتبع هذه الواقعة من النوائب وطلب الاسعاف بالعساكر والذخائر

ذكر غزوة منيعة

ولما فرغ خلفاء الجهة الشرقية من استعداداتهم امرهم الامير بالغزو على منيعة وما اليها كل منهم مما يليه وكان مسيرهم جميعاً في اليوم الرابع والعشرين من رمضان واول يوم من ديسمبر وكانت مداشر الفرنسي التي اخطوها مائة لذلك السهل الممتد شرقاً وغرباً مسيرة ايام ولما قربوا من تلك البسائط شنوا الغارة عليها فاشنوا في ساكنيها بالقتل والاسر والسبي واكسحوا اموالهم وحطموا زروعهم واحرقوا سائر مداشرهم وابنيتهم واستولوا على كافة ما عندهم من ماشية واثاث وذخائر ولم ينبج من القتل في جميع جهات منيعة الا ما ندر ولم تزل جيوش المسلمين تجدد الغارة على التوالي يوماً فيوماً الى ان انتهوا الى بساتين الجزائر وضاق الفضاء على ما استولوا عليه من صنوف الغنائم قيل ان هذا الهجوم كان مهولاً لم يسبق له نظير لان عساكر الامير بمجرد هجومها افنت سائر من كان موجوداً من الفرنسيين في سهل منيعة وغنمت كافة ما كان عندهم من سلاح وذخائر ومهمات وما يمكنه من اصناف الحيوان ثم صدر امر الخلفاء بحرق سائر الابنية في تلك البسائط فامست رماداً تذروه الرياح وفر الناس امامهم افواجاً الى مدينة الجزائر فكان دخولهم اليها من الامور المزعجة فرجفت قلوب اهلها عموماً حتى المارشال فانه انتقل من قصره خارج البلد الى داخلها وتبعه من كان ساكناً في البساتين وعم الرعب سائر انقلب ثم رجع الخلفاء بجيوشهم وما في ايديهم من الغنائم الى المدينة لان الامير كان ينتظرهم فيها ثم توجه الخلفاء الى ولاياتهم لسد ثغورهم والقيام بشؤونهم لعلمهم ان العدو لا يتغافل عن هذه الواقعة الهائلة قال المؤرخ وبعد ان وقع ما وقع في سهل منيعة ارسل المارشال فالاً يخبر دولته بهذه الغزوة الاسلامية التي اخفت العموم والحجرات الجيش الفرنسي

الى التحصن بأسوار مدينة الجزائر

﴿ ذكر وقعة ابي بهير ووقعة بوفاريك ﴾

وفي الخامس والعشرين من شوال سنة خمس وخمسين ومائتين وثاني يوم من يناير سنة اربعين وثمانمائة التقى جيش تجحوط مع جيش العدو على نهر ابي بهير من مدن بني يرأتين من زواوه وانتشب بينهما قتال تكافأ فيه وخرج جيش آخر من بوفاريك حصن في ضواحي الجزائر قاصداً الى البليدة فزحف اليه المسلمون والتقى الجمعان بالقرب منها واشتد القتال بينهما وبالعشي الح المسلمون على العدو وحملوا عليه حملة رجل واحد فرجع القهقري ثم جمع امره وهجم على المسلمين فانكشفوا ثم قلبوا الكرة عليه وصدقه القتال فقة بقر ثم حال الليل بين الفريقين وفي اليوم الثاني خرج جيش من البليدة مدداً للعدو فتمكن بهم من دخولها .

﴿ ذكر غزوة مستغانم ﴾

وفي الثامن عشر من ذي القعدة والرابع والعشرين من يناير خرج خليفة معسكر غازياً على نواحي مستغانم فعات فيها وحطم زروعها واشحن بالقتل والاسر ونازل مرزگران واخذ بمخيمها وقطع عنها المدد من مستغانم ثم بعد مدة جاءها المدد من وهران تقوية لحاميتها ولما طال الامر افرج الخليفة عنها واغار على نواحي وهران فاستاصل عدداً كثيراً من المرتدين المقيمين في ضاحيتها واكتسح اموالهم وارهب العدو ثم انقلب راجعاً الى حاضرة ولايته وطير الخبر الى الامير بذلك وبهذه الوقائع المتتابعة امتلأت قلوب الفرنساو بين رعباً وبعثوا صريحهم الى دولتهم فانجدتهم بعشرين الف مقاتل وذخائر حربية وكراع للنقل وبهذا العدد تم عندهم ستون الف جندي على ما ذكره روا في تاريخه

﴿ ذكر خروج حاكم الجزائر الى المدية وصدده عنها ﴾

وفي السابع والعشرين من ذي القعدة والثاني من فبراير سنة الف وثمانمائة واربعين خرج المارشال فالابيش كثيف من الجزائر الى البليدة ومنها سار قاصداً المدية فاعترضه خليفة مليانه بجموعه وناشبه الحرب واشتد القتال بينهما ثم وقع الفشل في حشود البربر فانكشفوا وثبت الخليفة في الجند المنظم فكأثرهم العدو وزحزحهم عن مصافهم وكثرت القتل والجرحى في الفريقين واتصل القتال يوماً كاملاً وفي الغد اصبح المارشال راجعاً الى الجزائر .

❖ ذكر مسير فرنساوية الى مرسى شرشال ❖

وفي الحادي عشر من المحرم سنة ست وخمسين والسادس عشر من مارس سنة ثمانمائة واربعين خرج المارشال فالان من الجزائر الى شرشال وهي اسكلة صغيرة على مرحلتين من الجزائر يسكنها قليل من البربر والكول اوغلان ولم يحتفل الامير بها لانها قريبة المأخذ للعدو ولما توسط المارشال الطريق اليها اعترضته القبائل القريبة منها ووقفوا حركته اياما عديدة مع كثرة جيشه حتى انه تم بالرجوع عنها قال بعضهم خرج المارشال من الجزائر في جيش كثير العدد متوجها الى شرشال وبعد صعوبات وخسائر كثيرة دخلها ورتب فيها حامية كافية .

❖ ذكر وقعة موزايه ❖

وفي الثامن والعشرين من المحرم والثاني من ابريل وصلت النجدة الى الجزائر من فرنسا ووصل الدوك دومال ابن ملك فرنسا ومعه شقيقه الدوك دورليان فنشط الفرنسيون في الجزائر من عقالمهم وفرح المارشال فالان ثم اعتزم على المسير الى المدينة حاضرة تيطري فخرج في اثني عشر الف جندي وطار الخبر الى الامير وهو في المدينة فعرض عساكره وسار الى مضيق موزايه وكان رتب الجيوش فيه كما تبها في غيره من المعامل والمضائق التي في طرق العدو الى الداخلية ولما انتهى العدو الى ثنية موزايه في التاسع من ربيع الاول والحادي عشر من ايار اعترضه الامير في العساكر الاسلامية وضرب على مضيقها المصاف واخترم على العدو نار الحرب وفي آخر النهار رجع المارشال التقهقرى وارعد في عساكره وبات كل فريق في موضعه الذي ادركه الليل فيه وفي بكرة اليوم الثاني تجددت الحرب واشتد القتال وكان الدوك دورليان في مقدمة المارشال فكان اكثر الوبال على جيشه ثم اجتمعت صفوف العدو والتحم بعضها ببعض وحملت على المضيق حملة رجل واحد فنوسطوه واتتالت العساكر الاسلامية عليهم من كل جهة واختلطت بهم وتقاتلوا بالسيوف والحرايب وصبر العدو الى ان خرج من ذلك المعقل الشديد واتصل الحرب في هذا النهار الى الليل وفي اليوم الثالث ارتحل وملك طريق المدينة واحاط به المسلمون يناوشونه القتال ويدافعهم باطلاق المدافع عليهم وكما وصل الى مضيق او حرش من الاحراش يخرج له كمين يمنعه من التقدم فنارة يتقهقر ويرتد اوله على آخره وتارة يقف في موضعه ويرتب جيشه في صورة قلعة يحيطها بالمدافع ويبست او يظل على تلك الهيئة ثم يرتحل وهكذا دابه في جميع مسيره ولما قرب من المدينة اشتد عليه الحلال

وتكملت الجيوش والحشود الاسلامية وحملت عليه وتناقم الامر قال بعض مؤرخيهم فكان اطلاق النار مستمرا متصلا حتى لاح للناظرين وقتئذ كأن تلك البقعة بجر من الكبريت التهب نارا ولما رأى الامير قرب العدو من المدينة امر باخلاصها فخرج اهلها بما خف الى الجبال انقربية منها وتخلص العدو الى المدينة فوجدوها خالية لتناج النار في منازلها وكان دخوله اليها في الخامس عشر من ربيع الاول والثامن عشر من مايو وبعد ان رتب فيها حامية أثرب من خمسة آلاف مقاتل اتد راجعا ولم يزل في طريقه في قتال ودفاع الى ان وصل قرب البايده واما حامية المدينة فانها امست يوم خروج المارشال منها محصورة لان الخلية السيد محمد البركاني نازلها بالجيوش وقطع جميع ما تنلغ به وكانت هذه الوتعة ايام الصيف فنال الحامية من شدة الحر وضيق الحصار ما لا مزيد عليه وآل الامر الى تلف الجبل منها ذكر روا في تاريخه ما ملخصه سار المارشال فالالا في اثني عشر الف مقاتل من عساكر فرنسا ومعه الدوك دومال وشقيقه الدوك دورليان اللذان حضرا من باريس ليشتركوا معه في هذه المحاربة وقعدوا في مسيرهم مضيق موزايه ليتوصلوا منه الى المدينة فاتصل خبرهم بالامير عبد القادر فسد في وجوههم المضيق بالعساكر العربية ورتب كمين في اماكن كثيرة في طريقهم فكانوا كلما ساروا مرحلة صادفوا مصادمة قوية ومهاجمة لم تكن منهم على بال فتارة يضطرون للناخر الى وراء وتارة يحوجهم الامر الى التوقف عن المسير وهكذا في كل مرحلة قطعوها حتى كادوا ينقدون قوتهم بالكلية

ثم ان المارشال واولاد الملك انتوا من الرجوع الى هذه الحال فصبروا على مقاساة زيران الحروب العربية وعند وصولهم الى مضيق موزايه صادفوا ما بهر عقولهم من المقاومة الشديدة وكان الامير وجيوشه على رؤوس الال محصنة بتاريس طبيعية من العخر الصلب ولما اخذت عساكر فرنسا تم في المضيق انقضت عليها جيوش الامير والتحموا بها واتصل هذا بهذا وصاروا الى المقارعة والمصارعة فتخلص الدوك دورليان من المضيق بفرقه بعد ان نقد اكثرها وهان الامر على من وراءه من الجيوش الفرنسية ثم رجع المارشال واولاد الملك ببينودهم بعد ان تركوا لحماية المدينة خمسة الاف عسكري مع ما يلزمهم من الاقوات والمهمات وصادفوا في طريقهم اهوالا يتشعر الجلد عند ذكرها لا سيما في مرورهم في وادي الزيتون وشعراء تلك الجبال الصعبة المسالك وفي اثناء طريقهم اقاموا اياما لراحة الجند مما قاسوه من المشاق المائلة التي لا يمكن لمؤرخ ان يصفها ولو تقريبا وفي مدة اقامتهم في ذلك الموضع اعتزموه على المسير الى مليانه

وقتل الدوك دورليان ابن الملك في احدى هذه المعارك فاشاع الفرنسيون انه وقع من العربية فمات وقد بلغني ان تلك المعركة مصورة تجسمة في ساحة وسط مدينة الجزائر

﴿ ذكر مسير الفرنسيين الى مليانة ﴾

وبعد وقائع موزايه والمديد توجه الامير الى مليانه لما كان يتوقعه من قصد العدو اليها ولما اتصل به خبر مسيرهم في طريقها امر اهلهما بالجللاء عنها كما فعل في المديد فخرج الناس بما تيسر حمله من اثاثهم وامتعتهم وتركوها خالية ثم ان الامير والخليفة السيد محمد بن علال جمعوا جيوشهم مع العسكر النظامي والتقوا بالعدو في طريقه واذاقوه حرارة الحرب ومرارة القتال فلم يصده ذلك عن قصده ولما قرب منها حمل عليه المسلمون حملة ما سبق له مثلها منهم واتصل ذلك نهائياً كاملاً وفي الغد اصبح سائراً والمسلمون يلحون عليه في القتال ولم يصدهم عنه نتائج الكلال المرسلة عليهم كما ان العدو لم يصده للاحدهم عليه وسد الاودية والمضايق في وجهه حتى وصل الى بساتينها فجمعوا عليه واختلطوا به وثار الغبار واظلم الجو حتى لا يكاد يتميز العدو من الصديق واظهر المسلمون من الشجاعة والاقدام ما اذهل عقول الفرنسيين وغيرهم عن انفسهم حتى كان بعضهم يضرب بعضاً وهم لا يشعرون ولما كانت القدر الالهى مساعداً لهم افتتحوا هذه الشدائد وتخلصوا الى المدينة فدخلوها في التاسع من ربيع الثاني والحادي عشر من يونيه وبعد ان اقاموا فيها اياماً رتبوا فيها حامية كالمديه ورجعوا الى الجزائر واكتفتهم الجيوش الاسلاميه واذاقوه نكال الحرب واشتد بهم الامر قال مؤرخهم وتركوا جرحاهم ومهملتهم في يد عدوهم وما وصلوا الى البليدة الا وهم على اخر رمق ولا استطاعوا ان يسيروا منها الى الجزائر الا بعد ان جاءهم المدد منها واما تلك الالوف التي خرجوا بها فقد اتى التلف عليها الا شزيمة قليلة تخلصوا بها الى البليدة ورايت في تاريخ فاليلوت الفرنسي كذب ييجوان المارشال فاللا في اثناء هذه الحروب كتب الى قبائل تلك النواحي يدعهم لطاعة الدولة الفرنسية ولم يتعرض لنص المكتوب وانما ذكر الجواب وملخصه من عباد الله القادر المؤمنين به وبرسوله مبيد الكفرة بسيفه الباتر الذين يماربون اعداء الله لاءلاء كلمته وتعظيم اسمه القاهر الخاضعين لاوامر الله واوامر مولانا ناصر الدين سيدنا عبد القادر بن محيي الدين ابد الله آمين الى حاكم مدينة الجزائر السلام على من اتبع الهدى اما بعد نقد وصلنا كتابكم المشتمل

على دعوتنا الى طاعتكم والنداء اليها فاخذ بنا العجب في كل طريق ومذهب وحل في الدنيا ذو عقل سليم يتصور هذا في فكره فضلاً عن كونه يتلفظ به او يكتبه وكيف نترك ديننا الذي هو الدين القيم والصراط المستقيم وتبع دينكم الذي يجب علينا فيه شريعتنا ان تقاتلكم حتي نردكم عنه الى ديننا اما علمتم ان ديننا مبطل لساائر الاديان وشريعتنا ناسخة لكافة الشرائع ولو انصف علماءكم لافروا بهذا لانه مقرر في ساائر الكتب الالهية كالانجيل والابحار والقرآن وان حب الدنيا مع خوفهم على مناصبهم عندكم غلب على قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه واطهروا لكم ما يناسب اغراضكم من التعلق بزينة الدنيا وزخارفها وسيعلم الذين فتموا اي منقلب ينقلبون ثم اعلوا اننا بحوله تعالى رفقته لا نزال نضاربكم وندانكم عن ديننا واطنانا الي ان تقنوا على سوء عاقبة ما ارتكبتموه من عظيم الذنب واي ذنب اعظم من تعديكم على بلادنا اولاً ثم سعيكم في تغيير ديننا ثانياً اما علمتم ان ساائر الاديان والنواميس الازلية تامر بالعدل وتنهي عن الظلم والتعدي على الحقوق كما هو منصوص عليه في الانجيل الذي انزله الله على نبيه ورسوله سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام فلو كنتم على دينه كما تدعون ما قطعتم البحر الىنا لتاخذوا بلادنا وتغيروا ديننا فما نسبتكم من دين الله ورسوله الا كنسبة الثرى من الثريا وبالجملة فنحن لا نترك ديننا ولا نتخلى عن طاعة مولانا واميرنا وسيدنا عبد القادر ابن محبي الدين والله تعالى يقضي بيننا وبينكم بما شاء فان الارض ارضه والملاك ملكه ونحن عبيده يفعل فينا وفيكم ما يشاء ويحكم ما يريد حرر في سابع عشر ربيع الاول سنة ست وخمسين ومائتين والالف من الاعيان والاكابر والاغوات والقواد في ولايتي تيطرى ومليانه ثم قال وكتب لهم مرة اخرى وجعل مدار ما كتب على امر الاسرى الذين هم في قبضته من العرب ومخلص جوابهم

الى حاكم الجزائر السلام على من اتبع الصراط المستقيم والدين القويم قد وصلنا مكتوبك وفهمنا ما اشتمل عليه من كونك جعلت الدعوة الى الخضوع لدولتكم مبنية على اطلاق الاسرى منا عندهم وقعدت بذلك ان فكهم موقوف على طاعتنا اكم فاعلموا ان عندنا اسرى منكم وعندكم اسرى منا فان شئتم انفسنا فلا بأس وان ايئتم ذلك فان الامة الاسلامية لله الحمد كثيرة العدد وافرة المدد والاسرى منهم لا يزيدون في عددهم ولا ينقصون في عددنا واما اجراء الوجه الذي ذكرتموه فان دونه خطر الفتاد وسوق الاجناد بل لا تقبل ان نسمعه وكيف خطر هذا في افكاركم ام كيف تخيلتم اننا نخضع لكم وندخل في طاعتكم لاجل خلاص اشخاص عددهم من

الخمسين الى المائة مع دعواكم قوة النظمه والذكاء . وجوده الرأي وان اغتررتم باحوال
القبائل في نواحي قسنطينه من كونهم لبوا دعوتكم واسرعوا الى الدخول في طاعتكم
فما ذلك الا لضعف دينهم ومرض قلوبهم بداء النفاق واستيلاء الجيل على كبيرهم وصغيرهم
اما نحن لمسنا مثلهم ولا تروا منا بحوله تعالى وقوته الا ما يخرج من افواه البناق
وتنعلد السيوف عند التحام الصفوف لاسيا وقد اتفق الآن سائر اهل الوطن على
تايد كلمة الاسلام والذب عنها على الدوام الا اذا شاء الله خلاف ذلك فلا راد
لقضائه وقولكم انكم ابتديتم في جهة بني صالح قلاعاً تحسنة اردتم بها ايقاع الرعب
في قلوبنا فهذا لا يؤثر فينا ولا يوهن عزمانا وقد سبقتم لمثل هذا في المديه ومليانه
وشتمتموها بالعساكر والذخائر ولم نهتم بشيء من ذلك بل رأينا من سوء التدبير
وقبيح النظر كانكم اردتم بائلك المساكين سجنهم او قصدتم تفهيم او جعلتموه
وليمة للموت ولذلك اننا نرى كل يوم يترباً منهم عدد وافر على مائدتها ونرى افواجا
يفرون اليها صارخين برطانتهم بما معناه الجوع الجوع فترحمهم جرياً على عادتنا
من الشفقة على امثالهم ومن بقي منهم في داخل المدينتين فهو تحسور مقبور هكذا
يكون نصيب عساكركم منكم ومع ذلك فانكم تحذعون ضعفاء العقول منا بالاماني
الكاذبة واما وعيدكم لنا وشهيدكم بالاستيلاء على بلاد موزايه وبني صالح فاننا
لا نعيده اذناً سامعة واهل تلك البلاد اينما توجهوا يتيسر لهم امر معاشهم فان
ارض المسلمين واسعة شاسعة الاطراف وفيها الكفاية لهم ولغيرهم وعلى كل حال
فلا شرف لكم في التغلب على عباد الله وانما الشرف والتفخر في عمران بلادكم التي
انشاتم فيها خلفاً عن سلف وفي اقامة قسطاس العدل واستعمال مكارم الاخلاق
واما افعال كهذه فلا شرف فيها وقولكم اخبرونا عن احوال المغرب فلا خبر عندنا
الا الحث على الاستعداد للجهاد فيكم والتواصي بالصبر على قتالكم ولا نعلم من اتقنا
الا اننا نؤمن بالله تعالى وبرسوله اليها وان لنا اميراً مسلماً شريفاً من ذرية رسول
الله صلى الله عليه وسلم عالماً عادلاً واننا لا نتعل الا ما امرنا به على وفق ديننا
وشريعتنا واننا لا نغتر بواعيدكم ولا بكلام الذين خالفوا الاوامر الالهية من ابناء
ملتنا ليعيشوا عندكم في راحة حسنا وعدتموه وما ذكرتموه من قوة الدولة الفرنسية
فانا لا نعرفه وانما المعلوم عندنا والمحقق لدينا هو عظيم قوة الله القادر سبحانه وتعالى

﴿ ذكر احوال فرنساوية بعد الحروب السابقة ﴾

كان المارشال فاللا يظن انه متى استولى على مدينتي مليانه والمديه تنقاد له القبائل وتمتد له الطاعة في تلك النواحي فبدا له من الله ما لم يحسب ولم يحصل على طائل فيما كان يمتناه من الفخر وتخليد الذكر عند دولته وآل امره الى العزل والنويخ على سوء سيرته وقبح سياسته وما ارتكبه من تطويح عساكرها في مهاوي الهلاك فيما بين مدينتي مليانه والمديه والجزائر وما لحقها في تلك الاودية الوعرة والجبال الصعبة المسالك من الشدائد التي كادت تاتي على آخرها وقد ظهر لي ان اذكر هنا ما ذكره فالايوت كاتب المارشال ييجو في تاريخه نقلاً عن بعض القواد الذين حضروا ذلك وعينوه بل ذاقوا مرارته وتكبدوا مشقته واقرؤا به ولم تحملهم العداوة على كتمانهم ولا دعيتهم الحمية الى موافقة حاكهم في كذبه وبهتانهم فقال ما ملخصه اجتمعت في الجزائر ببعض قواد جنودنا فرنساوية فاخبرني بجميع ما شاهدته وحضرته في بلاد العرب فقال اني في مدة الشهر الاول من اقامتي في بلاد الجزائر شاهدت سوء حال الفرنسيين وعانيت الشدائد التي كانت تحدث يومياً ورايت ارتباك الحاكم العام في تدبير سياسته التي بلغ فيها الى مركز صعب لان امره كان يقضي عليه في كل وقت ان يبعث بجيوش وذخائر ومهمات حربية متتابعة الى العساكر التي وضعها في المديه ومليانه وهذا لا اتصل يده الى ذلك في كل وقت لان الجيش الذي عنده في الجزائر لا يقوم بذلك والذخائر والمهمات التي اعدها لما هو بصدده نفدت واحضار مثلها من فرنسا متعذر من وجوه اعظمها انه لا يزيد كشف الغطاء للدولة عن اموره كلها خوفاً من توجيه العتاب اليه على سوء تصرفه فلذلك رايناه في حيرة دائمة وارتيابك متصل ثم الجاه الحال الى اخلاء كثير من الحصون التي كان جمع ايدي العسكر على تشييدها ومن جعلتها حصن فودوك المهيم والحرس الذين كانوا فيه رايتهم على اسوء حال سود الوجوه من حرارة الشمس نخفاء الاجسام من ضنك المعيشة وشدة الامراض ولقد رايت من فضل منهم عن الموت عند ما صدر لهم الامر بمبارحة ذلك الحصن فرحوا كثيراً ثم ان الحاكم راجع رايه وعين فيه حامية من العرب الخاضعين له ولما كانت دواب النقل غير كافية اضطر الحاكم الى اخذ دواب اهل الجزائر ومن دخل في الطاعة من اهل ضاحيتها واستعملها في النقل فصعب ذلك على الناس وتعطلت اشغالهم كما ان الجيش لحقه الضجر الشديد من اتباع الاسفار وبذلك تكدر مورد راحة

العموم وحار الجيش بجواهر قواده بالعصيان وتدم الانقياد لاوامرهم فقام الحاكم لذلك وقعد وتدارك الاسر في تسكين روع الاهالي وتطبيب قلوب الجيش ولا طائل تحت ذلك لان الكثير منه قد مات بالامراض المختلفة التي علقت باجسامهم وفشت بين صفوفهم وفعلت بهم ما فعلته سيوف العرب ورضاصها حتى ان حامية ملبانه لم يبق منها سوى اثني عشر عسكرياً ثم ازمع الحاكم على المسير بنفسه لتبليغ الذخيرة الى المدينة فخرج في فرقتين من الجيش وكنت احد القواد فيهما واخرج معه عدداً كثيراً من الدواب وعجلات النقل مشحونة بالذخائر والمهمات وخروجه كان في صورة غير منظمة اسامة العسكر وسائقي العجلات والدواب وذلك لكثرة ما تكبدوه من المشاق المتوالية فكنت اراهم مظهرين الغضب والحنق على الحاكم ومن كان على رأيه من القواد وكانوا لا يتحاشون الفاظ السب والشتم بلغاتهم المختلفة ثم وصلنا في مساء ذلك اليوم الى الدويرة وهي قرية صغيرة على مرحلة من الجزائر فيها فندق فدخلته فاذا هو مظلم وسخ ضيق المساحة وفي صباح اليوم الثاني اتحمنا وبعد ان قطعنا مسافة قليلة وصلنا الى قرية بوفاريك ثم سرنا الى البليده فوصلناها عند الزوان وهي بلدة جميلة المناظر خصبة المزارع وموقعها في انتهاء سهل متيجة عند الاطلس ماؤها عذب رائق وحولها حدائق الليمون بانواعه ومن شدة تعلق اهليها به يغرسونه داخل البيوت فكانت روائح الزهر عند دخولنا اليها عابقة في ارجاء المدينة وضواحيها وقد سمعت ممن لم خبزة بالحوال تلك البلاد ان هذه البلدة اتى عليها الخراب مرات عديدة لتوالي الزلازل عليها وكان من جملة القواد في عسكر البليده الجنرال شانكري والجنرال دوفيفير وقد رأيت العسكر الموجود فيها على غاية الانتظام الا ان العرب مع اخذ الحذر في كل آن اثر في اجسامهم نحوه وفي وجوههم سفرة وفي اليوم الثاني ليوم وصولنا جهز الحاكم ثلاث فرق من حرسها وضمهم الى فرقته التي خرج بها من الجزائر فسرنا معه قاصدين المديد ولما وصلنا جبال تجوط وجدنا جموع العرب في الطريق فانتالوا علينا من كل جهة وناوشونا القتال فكنا في مسيرنا على حال الدفاع ولم نتمكن من اطلاق المدافع عليهم لضيق المسالك وكثرة الاحراش ولما انتهت مسيرنا الى اول مضيق وجدنا فيه حامية من عسكرنا معهم مدنعان صغيران فنزلنا عندهم ثم ان الحاكم امر الجنرال شانكري ان يتقدم امامه بفرقته الى مضيق موزايه ليستكشف له الاحوال هناك فسار قبلنا وسرنا خلفه وسار الجنرال دوفيفير بفرقته في طريق اخرى غير طريقنا وكانت جيوشنا تسير في تلك

الاودية الوعة وحشود العرب عن اليمن وعن الشمال يرسلون علينا برصاصهم المتوالي
مثل البرد المتراسل ومن العادة ان المدافع تدحر العدو وتفرج كرب العسكر ولضييق
الطريق لم يتمكن الموكون بها من اطلاقها بل لم يتمكن الواحد منا ان يخطو قبل ان
يخطو الذي امامه فناهيك بطريق حرج يكتننها من الجانبين حائط عال طبيعي من
الصخر وبعد بضع ساعات وصل اول العسكر الى المضيق الاعظم وهو مضيق موزايه
الشهير وكان وصولهم اليه في حالة تحزنة من شدة ما لحقهم من التعب وهناك اجتمعنا
بالجنرال شانكرني واما الجنرال دوفيفير فانه قد سلك طريقاً اخرى وكانت طريقه
اصعب من طريقنا ولم يتخلص منها الا بعد ان هلك اكثر فرقته لان العرب احاطت
به جموعهم وانصبت عليه انصباب الصخر من اعلى الجبل الى قعر الوادي وضايقته
حتى كاد عسكره ان ياتي السلاح ويطلب الامان ثم صبر ودافع واخذ
القتل من كل جانب ولولا ان العرب لحقهم التعب من تلك الازعار التي تكبدوا
سلوكها لجاءوا على آخره وبسبب فتورهم عنه انتهر الجنرال الفرصة في التخلص من ذلك
المضيق المحجوب بعد ان فقد من ضباطه اربعة وخمسون ضابطاً ولم اقف على عدد ما فقد
من العسكر واما نحن فقد امرنا الحاكم بالعبور في المضيق الاعظم كيفما كان الحال
فاجتمع القواد ورتبوا الجيش صنوفاً فلم يتمكن لهم ذلك وجعلوه على صفين متلاصقين
كتف هذا عند كتف هذا اذ لا يسع الامر اكثر من ذلك واشتعلت نار الحرب
بيننا وبين العرب وكان الحاكم العام انفراد في بطانته على كتيب عال على فم المضيق
ليعاين منه مرور الجيش فكنت ارى الرصاص ينزل عليه وعلينا كالمطار وجرح من
اصحابه ثلاثة وكنت ارى العرب كلاسد الضارية يقتحمون علينا تارة بالسيوف
والحراب وتارة يتقون بالصخر انقريب منا ويرموننا بالرصاص وبهذا كانت اصابتهم لجيشنا
اكثر من اصابته لهم ثم خرجنا من ذلك المضيق الى سهل الزيتون فبتنا فيه تلك الليلة
على آخر نفس من شدة ما لحقنا من الوبال ونالنا من عظيم الاهوال وفي غد ذلك النهار
ارتحنا على طريق المدينة والعرب لم تفارقنا طرفه عين بل تسير حوالينا على حسب سيرنا
ولم تفتر عن مناوشتنا مع الصراخ والشم ولم تزل على ذلك الى ان اتينا الى ساحة المدينة
نفرج القائد كفينك منها ملاقياً لنا فلما رآه الحاكم عجل اليه وعانقه وساله عن حال
الحرس فاخذ يصف له ما هم عليه وما قاسته الحامية من الضنك الشديد وما نالها من
الامراض التي افنت اكثرها وذكر له ان المدينة لم يبق من عمارتها سوى المساجد
المحكمة البنيان وانه اضطر الى ان يتخذها ماوى للمرضى وانه من شدة البرد وعدم وجود

الحطاب اخذنا اخشاب سقوف البيوت الفاضلة عن الحريق لسد عوز العسكر في التدفئة والطبخ وبالاختصار كانت تلك الاخبار مخزنة مكدره جداً فاقمنا تلك الليلة للاستراحة وفي الغد دخلنا البلد فقدم لنا الحرس بقولاً خضراء زرعوها في خرابات البلد مع جملة وافرة من البيض والدجاج الذي اتخذوه لانفسهم وقاموا بتربيته وهذه البلدة موقعها جميل فهي مبنية على تل كبير ينحني قليلاً لجهة الجنوب وفيها آثار قلعة قديمة يقال انها من ابنية الرومانيين ومن حيث ان جموع العرب لا تترك شيئاً ينتفع به الفرنسيون في هذه المدينة ولا تتغلى عن حصارها ساعة واحدة كان من الواجب دوام ارسال الذخائر اليها وهذا لا يتأتى الا بعد اتعاب ومشقات شتى لان المقدار من الذخائر الذي يجب ان تبعث لهذا الحرس في كل مرة لا يمكن ان يكون اقل من الف وخمسمائة حمل ولا بد ان يتكرر ارسال هذا العدد اكثر من عشرين مرة في كل سنة والمسافة من الجزائر الى المدينة لا تنقص عن خمسة عشر يوماً ولا يمكن السير في طريقها الى مدة الصيف ومع ذلك فان الاخطار متوالية فان لم تكن من الامطار والتلج فمن فرسان العرب وبناء على ما ذكرناه فلا بد ان يترك الحرس مراكزه ويرجع الى الجزائر والا فانه يبقى فيها اسيراً يتربق الفرج من الله تعالى ومن المعلوم ان سائر اعمال الجيش الفرنسي في هذه المدة انحصرت في الاستيلاء على مدينتي مليانة والمدينة والغاية المقصودة من وضع الحرس فيهما هي اتخاذهما مركزين عظيمين يتمكن الجيش فيهما من محاربة العرب في جميع الجهات الداخلية ولا يخفى ان الوصول الى نتيجة هذه الآراء يتوقف على استعمال حزم شديد وساعد من حديد ثم ان الحاكم بعد ان اقام في المدينة اربعة ايام امر بالاستعداد للرجوع الى الجزائر وسار على طريقه وما سرنا مقدار غارة حتى ظهر لنا نحو الف فارس من العرب شاكين السلاح فاخذوا يطلقون بواريدهم علينا وبعد ان عبرنا اودية عميقة كانت في طريقنا هجعت جيوشنا عليهم ففرقتهم وبلغنا انه جرح منهم عدد كثير كما وقع ذلك في جيشنا ثم لم يلبثوا ان عادوا الينا وما زالوا محيطين بنا عن بعد يناوشونا القتال الى ان وصلنا غابة الزيتون فبنا فيها تلك الليلة وبات العرب في مواضعهم بالقرب منا وفي الغد انكشف الظلام عن مقدار الف وخمسمائة فارس وفرقتين من العسكر المنظم فانضمت اليهم الجموع السابقة وجعلوا مسيرهم على المينة في طرف الجبل وبوجود هذه الجيوش الكثيرة التي كان الامير عبد القادر قائدها توقف جيشنا عن المسير ولما نظر بعض المهندسين الذين كانوا معنا مسير الامير وترتيب جيشه قال ان هذا السير يعد

من مكائد الحرب التي كنت لا أدير يستعملها فطالما نجح بهذا الاستعمال الذي قضى بتكبد الفرنسيين وحقنهم خسائر جسيمة ثم ان الامير لما رأى جيوشه قد قربت من عساكرنا بوجه لا يبتدى اليه الا من مهرب في امور الحرب ومكائدها امرهم بالحملة عليه فحملت الفرقة الاولى ثم الثانية ثم الثالثة ثم الحشود على المتابع واشتد القتال واحمرت الحديق واتصل ذلك عدة ساعات ثم انفصل كل فريق عن الآخر وانكشف الجيوش تبين ان العرب لمحقها ضرر جسيم ولكنه ليس باكثر مما لحق بجيشنا وجرح الجنرال شانكرني في كتفه ولم يثبت لمقاومة جيشنا من تلك الثرق والجوع الا الفرقة النظامية التي كانت تحت قيادة الفارس العربي الشهير بالشجاعة وهو محمد البركاني خليفة الامير في مقارعة تيطاري ثم خمدت نيران الحرب واخذ جيشنا في السير وفي اليوم الثاني عاد الامير الى تحاربنا ولولا ان المطر الغزير المتتابع حال بيننا وبينه لآل الامر الى خسارة عظيمة وربما كانت تأتي على آخر جيشنا لشدة ما لحقه في هذه المراحل المتوالية من تعب السير ومقاومة الخصم ونقص عدده بالموت في تلك الحروب المائلة مع عدم تمكننا من الاقامة والراحة لاننا تورطنا في جبال شامقة واودية دعة لانعرفها واهلها عداء لنا والممدد ما يوس منه ثم بعد مشقة زائدة تمكننا من عبور المنايق وسلكنا في طريق سهل الى متيه واتصل سيرنا الى الجزائر فدخلناها على هيئة برش لما واما الامير عبد القادر فانه لما هو عليه من شدة الحزم وقوة العزم لا يخاطر في انكاره ان يقر للعدو بالنقد او يعمل له طريقا لذلك بل كان مستظفعا له مستغفرا لامره عاكفا على انقاذ امره متيقظا لشانه وبعد ان اخذنا الراحة في الجزائر امر الحاكم العام بتزيم سورها واصلاح خلاله .

﴿ ذكر عزل المارشال قالوا عن الجزائر وتولية الجنرال بيجو في مكانه ﴾

لما اتصل بالدولة الفرنسية ما اجراه المارشال قالوا في داخلية الجزائر من الحروب واطلعت على ما عاينه الامير من الاستعداد لمقاومة جيوشها ورات ان تلك الحروب قد افنت عساكرها وذخائرها من غير طائل عبرت المارشال قالوا عن الجزائر فذهب الى فرنسا منكسر القلب محمولا على كاهل الهم والعنب قال بعضهم لما كان المارشال قالوا منخلقا باخلاق لا تناسب احوال البلاد العربية وراته فرنسا انه في سائر حروبه لم ينجح نجاحا تقرر به عينها بل آل امره الى بناء عساكرها ومهماتهما عزلته وولت مكانه الجنرال بيجو المشهور في السابع من ذي القعدة واول يناير

سنة ثمانمائة واحد واربعين وامرت بتجهيز ثمانية وثمانين الف جندي علاوة على ما هو موجود وقتئذ في الجزائر من العساكر لقتال الامير عبد القادر وهذا ما عدا المتطوعة من بعض الدول لانه كان يوجد بين اسرى الفرنسية متطوعة من المانيا واسبانيا وخلافهم وارسلت من المهمات والذخائر ما لا ياتي عليه حصر ولما وصل الجنرال بيجو الى الجزائر واتصل خبره بالامير بعث اليه بكتاب ملخصه

الى الجنرال بيجو وسائر قواد العسكر الفرنسي في الجزائر السلام على من اتبع الهدى واجنب الردى اما بعد فقد بلغني انكم جئتم من فرنسا الى الجزائر لقتالنا بما ينوف عن ثمانين الف جندي زيادة على عساكركم السابقة فيها فاعلموا اني بعونه تعالى وقوته لا اخشى كثرتكم ولا اعتبر قوتكم لعلني انكم لا تضرونني بشيء الا ان يضرنى الله به ولا يلحقني منكم الا ما قدره الله علي وقضاء وانني منذ اقامني الله في هذا الامر وجعلني ضدا لكم ما قاتلكم بعسكر يكون عدده ثلثا من عساكركم التي تكافوني بها ومدة ملكي كما لا يخفى ثمان سنين ومدة ملككم يتعدى مئات من السنين وعساكركم كثيرة وآلاتكم الحربية قوية ومع هذا البون العظيم الذي بيني وبينكم فاني اعرض عليكم امورا فاخاروا واحدة منها وهي اما ان تعطوني ما احتاجه من ادوات الحرب بالشراء ثم انظم عسكرا يكون نصف عسكركم الذي تحاربوني به وحينئذ نتحارب واما ان تبتعوا في مواضعكم التي تغلبتم عليها وابقى انا في بلادتي التي تحت حكمي ثم لا يقرب احدنا من الآخر مدة اثني عشر سنة فيبلغ عمر ملكي عشرين سنة وحينئذ اقاتلكم فان غلبتكم فلا عار عليكم اذ يقال غلبكم رجل له قوة عشرين سنة وان غلبتم انتم فتكونوا قد غلبتم رجلا له قوة فيحصل لكم الفخر عند الملوك واما اليوم فانتصاري عليكم بعد فتيحة لكم عند الدول وانتصاركم علي لا بعد نفرا حيث انكم غلبتم رجلا عمر ملكه ثمان سنين ولا قوة عنده يقابلكم بها ومن الامور التي اقترحها عليكم انكم تبعثون من قبلكم من بعد عسكري ثم اخرجوا من عندكم في مقابلة كل واحد رجلين من عسكركم واعطيكم العهد اني لا ازيد عسكريا واحدا على ما تعدون وحينئذ الغالب يملك الوطن ومنها ان يخرج المارشال للبراز ويخرج له واحد من خلفائي فان غلب صاحبكم فلا انازعكم في طريقكم من الجزائر الى قسنطينة ومن اراد من المسلمين اهل تلك النواحي البقاء تحت حكمكم فلا تعرض له وان اراد الخروج منها ويلحق ببلادي فانت لا تعرضوا له ومنها ان ابن الملاك يارزني فان غلبته فانكم ترجعون بعساكركم الى بلادكم وتتركون سائر المدن التي في يديكم الان بما فيها من الذخائر والمهمات وان غلبني فانكم تستريحون مني ويبقى لكم الوطن من غير منازع فان اخترتم واحدة من هذه

الامور فلا بد ان تحضروا فواصل الدول ليشهدوا عليكم بقبولكم ذلك واما نحن فلا نخالف
كلمتنا وان استضعفتمونا ولم تبالوا بما قلناه اعتماداً على قوتكم فنحن قوتنا بالله القادر على
كل شيء هو ولينا وناصرنا . ولما اتى هذا المكتوب بالجنرال يسجو قرأه على قواد
العسكر واعيان تجلس الجزائر فوجوهوا له ثم اتفق رأيهم على الاعراض عن رد الجواب

﴿ ذكر سؤالات وجهها الامير الى قاضي فاس ﴾

ولما رأى الامير ان بعض القبائل في الساحل القريبة بلادهم من المدن
التابعة للعدو مالوا الى طاعته والدخول تحت ظله وحمايته ارسل اليهم من الغناء
والاشرف من يعظم ويحذرهم من مقت الله تعالى وغنايه فلم يجيب ذلك تنعاً فيهم
ثم مدد لهم واعد لهم وامرهم بالخروج من مواطنهم والحق باخوانهم المسلمين في الدانيلة
فلم يقبلوا وتمادوا على ما هم عليه فاعتزم حينئذ على غزوهم والفتك بهم ثم توقف في
شأنهم واستشار النقباء في امرهم وبعث الى قاضي فاس في ذلك لينظر ما عنده
فيه وزاد اسئلة اخرى عن اشياء متفرقة عرضت له ونص ما كتبه اليه . الحمد
لله حق حمده والصلوة والسلام على من لا نبي بعده من خدام المجاهدين والعلماء
عبد القادر بن محيي الدين الى الشيخ الامام علم الاعلام السيد عبد الهادي العلوي الحسني
قاضي القضاة بفاس المحمية السلام عليكم ورحمة الله وبركته وبعد فها حكم الله في
الذين دخلوا في طاعة العدو الكفر بايمانهم وتولوه ونصره يقاتلون المسلمين
معه وياخذون مرتبه كقواد جنوده ومن ظفرت شجاعته في قتالهم للمسلمين يعلمون
له علامة في صدره يستعملونها لتور عليها صورة ملكهم هل هم مرتدون ام لا وان
قاتلهم برديهم فهل يستتابون ام لا وما حكم نسائهم هل هن كرجائهم ام لا وان
قاتلن انهن مثلهن فهل يحكم باستتابتهن او يقتلن او يسترقن كما نقل عن ابن الملاجشون
ام لا وما حكم ذراريتهم هل لنا سبيهم ام لا وهل ما حكمه ابن بطال من
الاجماع على ان المرتد لا تسبي ذريته منقوض بما نقل عن ابن وهب وعن جهمر
الشافعية ان المرتد كل كافر الا حلي ام لا وهل يسوغ لنا العمل بما ينقل عن اصحاب مالك
رضي الله عنه من الاقدمين كابن وهب وامثاله في طبقته في هذه التوازل واما لما لم
يشهره المتأخرون ام لا وما حكم الخوارج الاباضية المعروفين في مغربنا بيني مراب وهم
على ما لا يخفاكم من عدم صلاة الجماعة والجمعة مع المسلمين فهل قول ابن العربي بكفرهم
صحيح يعمل به ام لا . وهل ما ذكره شراح ابن الحاجب من ان الباغي لا يرد عليه

ما له يسوغ لنا العمل به في هذه الازمنة الفاسد اهلها ام لا . وهل ما نقله بعضهم عن ابن رشد من صحة دفع الزكاة لكل ما فيه مصلحة للمسلمين صحيح يعمل به ام لا . وهل ما تقرر من ان العدو اذا نزل يقوم وعجروا عن دفعه ينتقل الوجوب والخطاب الى من يليهم عام في جماعة المسلمين او هو خاص بالسلاطين من حيث انهم حاكمون على الرعايا وهل وجوب الدفاع والاعانة خاص بالابدان او هو عام في الابدان والاموال حتى ان من عجز عن الدفاع بنفسه مع قدرته على الاعانة بما له وترك ذلك يكون عاصياً وهل هذا العميان يكون قادحاً في العدة ام لا . وهل تجازاة ومكافاة المصطفى صلى الله عليه وسلم للشعراء والمهديين كانت من بيت مال المسلمين او من خمس الخمس وان كانت من بيت المال فهل لولاة المسلمين هذا بعد ذلك ام لا . وهل لخواص السلطين قبول الهدية ام لا . كما نقل عن عمر بن عبد العزيز وهل يردونها جملة او يضعونها في بيت المال ومل قول ما لك لا ينبغي الامير ولا لعامل الصدقة اذا خرج لبعض عمله ان ينزل عندهم او يا كل من طاعهم خاص بعمل الشعوب والبطون ام عام حتى في ولاية الاقاليم ولفظ لا ينبغي هل هو على الحرمة او الكراهة اجيبوا ادام الله وجودكم جواباً يشفي المرض وياقي على الغرض محيطاً بالتفاصيل والجل مبيناً لنا ما يكون به العمل مع ملاحظتكم زماننا ووطننا والسلام مكرر ومعاد عليكم وتلى اهل تجلسكم الشريف ولا تنسونا من صالح دعائكم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله واصحابه اجمعين .

﴿ ذكر الآجوبة ﴾

الحمد لله وحده الى ثنية افاضل المجاهدين الامير السيد عبد القادر بن تحيي الدين لازلت منصور الراية على الكفرة المعتدين مظفراً بالفتح والتكفين وسلام الله يتوالى على عليّ مقامكم المتين هذا واني احمد الله لكم على ما به خصكم في هذا القطر المغربي من صرف الهمة الى اعلاء كلمة الله والنبى ثم المرغوب من كمال فضلكم ان تسهّدونا من صالح دعائكم ولكم منا مثله ومن الله يرجي لجميعنا فضله وجواب ما اشرت اليه في كتابك من المسائل ان اللائذين بالنصارى المقاتلين معهم قال فيهم البرزلي في انقضاء من نوازله ما نصه ان المعتد ابن عباد استغاث بالكفار في حرب المرابطين فنصرهم الله عليه وهرب ثم نزل على حكم يوسف ابن تاشفين امير ضباهه فاستغنى فيها النصارى فانقضى اكثرهم انها ردة وقاضيه مع

بعضهم لم يرها ردة ولم يبيع دمه فامضى الامير ذلك ولم يبيع دمه وانذه اسيراً ونقله
الى اغات الى ان مات فيها ونقله الزباني في نزاله بواسطة الكتاني وبوأيده ما في
ابن جزري على قوله تعالى ومن يتوهم منكم فانه منهم ونصه من كان يعتقد معتقدهم
فانه منهم من كل وجه ومن خالفهم في الاعتقاد واحبهم فهو منهم في المقت عند
الله تعالى والتحقيق العقوبة وقد قال الغزالي في كتاب التفرقة بين الايمان والزندقة
الذي ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد اليه سبيل فان استباحة المصلين المقرين
بالتوحيد خطأ والخطأ في ترك التكفير اهن من الخطأ في دم مسلم ولا سيما اذا
كان فيه تاييف ورد عما هم عليه فهو متعين على القول بعدم ردتهم لا اشكل في
عدم سبي نسائهم وذرائعهم وعلى القول بردتهم فكذلك قال خليل وان ارتد جماعة
وحاربوا فكل المرتدين قال شارحه ابن عبد الصادق سار فيهم عمر سيرة المرتدين برد
النساء والصبيان الى عشائرهم كذرية من ارتد فلهم حكم الاسلام وعلى هذا جماعة
العلماء والسلف الا القليل منهم مضى على رأي ابي بكر بانهم كالتافذين للعهد قتل الكبار
وسبي النساء والافغار وجرت في اموالهم المقاسم وذهب ربيعة وابو القاسم وابن الماجشون
الى نعل عمر واقتصر عليه المذهب لانه قول الجماعة واما حكم الاباضية فالصحيح
عدم كفرهم كما عند ابن رشد في البيان وقال في الفتح عن ابن حزم اهداء الخوارج
والبناة واقربهم الى قول اهل الحق الاباضية وذكر الخلاف فيهم غير واحد وتقدم
ان التكفير صعب والميل الى عدمه اهن وقد ترجم البخاري بترجمته لقتل الخوارج
وباخري لتركه اشارة الى الخلاف كما قاله في الفتح واما البغاة فلا يؤخذ من ماله
غير السلاح قطعاً كما قيد به شراح خليل قوله واستعين بما لم عليهم ثم رد واما السلاح
فمليه يحمل المتن ومقابل ما في المتن في غاية الضعف لا يعمل به وقد قال ابن
عرفة ان العمل بالراجح هو الواجب ولا يند الحكم بما سواه ونحوه للعقباني والنوسي
واما الزكاة فلا تصرف في غير المصاريف الثمانية التي قص الله عنها انما الصدقات
للفقراء الآية قال خليل ومصرفها فقير ومسكين الى قوله لاسور ولا مركب
وما نسب الجنان وغيره لفقيد ابن رشد من اعطائها للماء ولو اغنياء وكذا
سائر المصالح لا يجوز العمل به كما للشيخ التاودي وغيره ممن حشاه من المتأخرين
واما ان عجز من حل بهم العدو عن دفعه فيمتعين على كل من يقربهم اميراً كان
او غيره الاقرب فالاقرب ان يدافعه قال خليل وتعين بنجاً العدو وان على امرأة
وعلى من يقربهم ان عجزوا او خوطب بنفسه وماله قال تعالى جاهدوا باموالكم

وانسكم في سبيل الله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة واما مكافآت النبي صلى الله عليه وسلم للشعراء والمهديين فمن جملة مكارمه وهي من النبي والخمس تؤدي في تفسير ابن جزري لقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الآية مانحه الخمس الى اجتهاد الامام ياخذ منه كفايته وفيه ايضاً ما نصه ما يؤخذ من الكفار منه ما يحدس ومنه ما يكون جميعه للامام ياخذ منه حاجته ويصرف سائر في مصالح المسلمين وهو النبي الذي لم يوجف عليه واما الزكاة فلا يكف ارباب الاموال بغيرها واما الولاة فجميع ما زاد بايديهم على ما يعرف لهم من قبل فمن ولاهم ان يضيفه الى بيت المال ويصرفه في مصارفها واما هدايا من تحت حكم السلطان له فلا يجوز له قبولها لانها رشوة قال خليل في انقراض وعدم هديته الى قوله وذو اياه وانفاذي وهو مخفون قول الباجي ونصه اذا كان المهدي تجري عليه احكام المهدي اليه فقال سخنون واشهب لا تقبل هديته مسلماً كن او كافراً ووجه ذلك ان هديته ربية اذ ربما تكون لدفع مظامة يجب دفعها او ترك حق لا يحل تركه ويؤيده ما اشترم اليه من قول عمر بن عبد العزيز كما في البخاري في كتاب الحبة وقضيه ابن الانبية المكورة في البخاري لما استعمله النبي صلى الله عليه وسلم فجاء بهال كثير وجعل يقول عند محاسبته هذا لكم وهذا اهدي اليّ فغضب صلى الله عليه وسلم وعاتبه وقال هلا قعد في بيت ابيه واهه فينظر ما يهدي له تدل على انها ترد الى بيت المال ان قبل كما لابن بطال انتهى كتبه اجعل عباد الله راداً العلم لمولاه عبد الحمادي بن عبد الله الحسني ونقه الله في اول يوم من المحرم فاتح عام ستة وخمسين ومائتين رالف

✽ ذكر ما تكلم به الجنرال بيجو في المجلس الحربي في مدينة الجزائر ✽

لما شاع ان الامير استفز سائر اهل مملكته من حدود المغرب الاقصى الى حدود تونس الى الجهاد وامر باخذ كمال الالهة والاستعداد لمحاربة العدو ومدانته عن البلاد واتصل ذلك بجامك الجزائر بيجو امتعض له لاسيما وقد رأى ان اهل الجزائر استولى على قلوبهم الرعب وخامرها الاضطراب ف عقد مجلساً سريراً ونكلم فيه بما نقله عنه بالمر المؤرخ وهو قوله اني ايها انقواد والرؤساء الانجاد قد كنت اظن ان الامير عبد القادر جنوداً نظامية كافية لما خيرة بنفون الحرب واساليبه واقتداراً على مقاومة الجيوش الفرنسية والان تحقق عندي ان الامر على خلاف ذلك وكنت اظن ان العرب ذوو

ضخامة وجسامة فتبين لي الآن انهم ليسوا كذلك غير اني لا انكر قوة بايهم وشدة شوكتهم وصلابتهم في الجلاد ومقاومة الاضداد لكن هذا ما داموا في اوطانهم وما دامت املاكهم في ايديهم التي عليها مدار معاشهم فلاح لي من الراي الذي نتوصل به الى تفريق كلمتهم واخضاعهم للطاعة انما كنا نكسرنا لتصدى اولاً الاستيلاء على بساطهم التي فيها اتجاع مشيتهم التي يترزقون منها فان حصل هذا فلا شك في الفوز والتجاح ثم نضع الحاميات الكافية والمسلحات الوافية في الاماكن الصعبة في الطرق التي نمر فيها لنتمكن من اتباع آثار الفارين منهم المتوغلين في الداخلية ونضع جنوداً وافرة في الحدود لنمنعهم من الدخول الى الممالك المجاورة لبلاد الجزائر فاذا ضاق عليهم المجال واشتدت عليهم من كل جهة الفتن والاهوال فلا محالة انهم يلوذون بطاعتنا ومما يسر علينا الوصول الى هذا ان اكثر روءساء عساكرنا تعلموا اللغة العربية وصاروا ماهرين فيها عارفين بعوائد العرب واحوالهم او نستعمل هذا فنعين قسماً من الجند للمحافظة على الاماكن المهمة في سائر الجهات وقسماً آخر يقيم في الخنوم لمنع الوارد والصادر عن البلاد كما يمنع من فرار اهلها الى الخارج عنها وباقي الجند نعده للهجوم والحرب واعلموا ان استعمال المحاربة بالاربع النظامي لا يجدينا نفعاً لان الخصم لا يعرف ذلك وإنما نقابل العرب بما يقابلوننا به والمقصود الاهم هو ان جيوشنا تجعل همتها في استعمال ما ننتلشي به قوة الامير وتزعزع اركان دولته هذا ما ظهر لي من الراي فانظروا ماذا ترون انتم فاجابوه ان ترتيب الحاميات في المراكز الصعبة لا نراه صواباً اذ ربما يوقعنا ذلك فيما هو ادهى وامر من تركنا اياها وذلك لاننا نخشى ان يحوجنا الحال الى تعيين قسم كبير من جيوشنا لحمايتها او لتخليصها من يد العرب ويبقى في ايدينا من الجيوش ما لا يفي بالمطلوب عند شوب نار الحروب فالاولى الاضرار عن هذا الان فاستحسن بيجو رأيهم ثم اتت كلمتهم على ان ينهضوا بجيوشهم الجرارة الى المدن وبعد الاستيلاء عليها ينظرون فيما يلزم من المحافظة عليها ولما انتشر هذا الخبر حدث في المعسكر قلق وامتلات قلوب الجنود رعباً لجهلهم بما يؤمل اليه امرهم في داخلية البلاد وخافوا ان يقع بهم نظير ما وقع بين تقدمهم من اخوانهم فيستولي عليهم التالف كما استولى عليهم مدة عشر سنين قال فاليوت في تاريخه كنت ذات يوم مع الحاكم بيجو في محل عال فقلت له ايها المارشال انظر الى هذا المنظر البهيج فاجابني انه منظر جميل لاهل الجرانات اما لامثالنا فلا ثم قال لي انظر الى تلك الحيطان السود الشمالية من البلد فلربما يكون هناك سجن العساكر الفرنسية ومن الممكن ان يقاد الحاكم

يعني نفسه ذليلاً في بلاد حبوط وعندما كبة واحدة تكفي في قتله لم تعلم يا فاليوت ان حاكم الجزائر يحتاج الى سياسة قوية لان الامير عبد القادر خصم صديد وقرم عنيد لا يخشى بطش الجيوش الفرنسية ولا ينظرها بعين الاعتبار ثم ان فاليوت استطرد ذكر حكاية عن بعض الجنود في الجزائر نقل قد وقفت على رسالة لبعض افراد الجند الفرنسي ارساليها الى والديه واخواته في فرنسا عندما شاع اتفاق المجلس الحربي على الحرب ونص الرسالة من مدينة الجزائر في الخامس والعشرين من شهر اذار سنة احدى واربعين وثمانمائة الى والدي واخوتي اخبركم ان حياتي قد صارت في خطر وذلك اننا في هذا الوقت متوجهون من مدينة الجزائر الى المدينة ومليانة ومن دون شك اننا نصادف في طريقنا اخطاراً ومهلكاً ولا ادري هل ارجع سالمًا ام ذلك آخر العهد بالحياة الدنيا ولا يخفى ان الموت اقرب من السلامة ولكن يلزمنا الصبر وحيث ان احتمال الموت عندي اقرب فاعلموا انه يوجد عندي اثنا وخمسمائة فرنك فاريد ان تعطوا ثمي منها مائتين يستعين بها على عوزة وان لا تتركوا اولادي بدون البسة حسنة وما بقي من الدراهم فالوالدة تفعل بها ما تشاء واني اخبركم ان العرب فرسان مشهورون بالشجاعة والاقدام وحالنا معهم في الحرب ان رصاصهم يصب علينا كال مطر واما نحن فلا نقابلهم الا بالكل ليبعدوا عنا وان وقع في ايديهم جندي منا فانهم يعرضون عليه الاسلام فان قبل واجاب تركوه والا قتلوه وعندما نسير من محل الى آخر نأخذ ازوادنا معنا لانه لا يوجد في طريقنا فنادق ولا خانات وفراشنا وغطاؤنا ليس الا الكبوط لا غير فهذه حالنا في بلاد العرب وعلى كل حال فانا اودعكم وعياني غريقتان في الدموع قال بالمار لما اعترى بيجو على الحرب اتخذ البغال والجمال لحمل الاثقال والذخائر والمدافع عوضاً عن العجلات وعرض العساكر فوجدها قد اكسبها تمرينها في المدة السابقة نشاطاً فحينئذ قوي عزمه واشتد حزمه وقال رؤوا كذلك العرب قد تدربوا على الحرب وتمرنوا افراد بذلك نشاطهم الغريزي المفطورون عليه

﴿ ذكر مـير الجنرال ييجو الى مليانة وهزيمته في رجوعه منها ﴾

وفي الخامس من ربيع الاول سنة سبع وخمسين وفي الثامن والعشرين من ابريل سنة احدى واربعين نهض الجنرال ييجو من الجزائر في جيش كثيف الى مليانة ثم انقلب راجعاً الى الجزائر على طريقه وكان الامير اعد فرقة من عساكره النظامية

قرب البلد واكن له فرقة اخرى في الغابة قريبة من الفرقة الاولى فلما خرج العدو من البلد بادرت به الفرقة الاولى بالقتال ولما حمل عليها استجرت له وارنت العنان امامه فلحقها الى ان وصل الى الغابة فخرج الكمين واشتد القتال وبينما هم كذلك اقبل الامير بياقي الجيوش الاسلامية وهجم على العدو من ورائه واخلمطت العساكر بالعساكر وحى الوطيس فانهزم ييجو بجيوشه ورجعوا الى مليانه تار كين القنلى والجرحى والذخائر التي كانت معهم في ايدي المسلمين قال رآوا وهذه اول وقعة وقعت بالمارشال ييجو في ولايته على الجزائر وراسته على العساكر الفرنسية ولاول تفويضه في امر الحرب مع الامير عبد القادر ثم قال ولما هجم الامير بالقسم الكبير من جيشه الذي كان معه على المارشال انهبر عقله ولم يسعه الا الفرار فساقته جيوش العرب والفرق النظامية قهراً عليه الى مليانه تار كاً قتلاه وما معه من الاثقال وهذه الوقعة نكلت العساكر الفرنسية اشد النكل واوقعتهم في ورطة الوبال وكانت خسائرهم جسيمة ونوائبهم عظيمة انتهى ثم ان ييجو رجع الى الجزائر وقسم جيوشه على الثغور المهمة فعقد للجزال بر كوباى دبل على الجهة الشرقية والجزال بارسمي على ما بلي الجزائر وتوجه بالقسم الاكبر الى مسغانم ومعه الدوك دومال واخوه الدوك دتيور وضم الى جيشه جيش وهران وبعد اقامته اياماً في مسغانم نهض منها على طريق مجاهر قاصداً قلعة تاكدت فامر الامير اهلبا بالجللاء عنها وحمل ما خف من الذخيرة الحربية والمؤن التي كانت فيها واتصل سير العدو مع اتصال القتال الى ان وصلها واستولى على سائر ما بقي فيها من السلاح وآلات المعامل ثم توجه منها الى العاصمة معسكر وكان اهلبا خرجوا منها الى ضواحيها فاستولى عليها واقام فيها حرساً ثم رجع الى مسغانم وكان الامير صمدله في الجيوش عند مضيق عقبة خده ومضيق فرقوق فلما وصل ييجو الى اول مضيق منها انثال عليه المسلمون من كل جهة واحاطوا به من كل ناحية وانقذت نار الحرب بين افريقين واتصلت من شروق الشمس الى مغيبها وكثر القنلى والجرحى من الجانبين وجرى في ذلك النهار ما يعجز عن وصفه انقلم واللسان قال رآوا لما وصلت العساكر الفرنسية الى مضيق عقبة خده وجدت فرسان العرب وحمايتها ينتظرونهم فيه وانتشب القتال بين الفريقين واستمر الزني بالرصاص والضرب بالسيوف والحرب ياخذ كل منهم حظاً من النفوس من طلوع الشمس الى غروبها وكانت خسائر الطرفين جسيمة ففقد العرب الكثير من رساء عسكرهم واغواته كما ان ييجو فقد من العساكر الفرنسية وقوادها عدداً كثيراً وعندما اذن الظلام باغمار سلاح الطرفين اخذ العرب يلفقدون

قتلهم وجرحهم واما ييجو فانه انهر الفرصة وتسلب بجيوشه تحت ستر الظلام على حين غفلة من العرب الى ان تخلص من المضايق كلها وجداً في المسير الى ان لحق بمساعنهم على اسوار حال وبالجملة ان هذه الوقعة من الوقائع المشهورة التي استمر ذكرها في تحافل فرنسا ومجامعها

﴿ ذكر ما كتبه الامير عبد القادر الى المارشال ييجو ﴾

قال اسكندر بالمار بعد وقعة عقبة خدّه كتب الامير عبد القادر الى المارشال ييجو ما نصه . الحمد لله وحده من ناصر الدين عبد القادر بن يحيى الدين الى المارشال ييجو . اما بعد فان كانت دولة فرنسا ليس عندها من الارض ما يكفي رعاياها وارسلتكم لتغصبوا اراضيها وتبدلوا في ذلك نفوسكم واموالكم فنحن نتخلي لها عما هو في ايديها الآن من السواحل ونبتى معها في حال جيران ينتفع بعضهم من بعض وان ابت الا ان تستولى على جميع وطننا فنحن نبذل وسعنا في مدافعتها وحماية ارضنا منها الى ان يقضي الله بيننا وبينها بما شاء فان البلاد بلادنا والعبيد عبيده ولا يخفى عليكم ايها الحاكم ان مهاجرتكم على بلادنا كما انها سبب لاتلاف الكثير من جنودكم وذخائركم فكذلك نحن وهذا شيء لا يرضى به عاقل فضلاً عن فاضل ودولتكم تدعى انها اول دولة في العالم تحب الانصاف وتستعمله وتحافظ على ميزان العدل وتحكم به ففعلها هذا يكذب دعواها ويبطل مدعاها وانتم وغيركم من رجالها نراكم دائماً تساعدونها على الاغتيال والاغتصاب وتبدلون انفسكم في ذلك ابتغاء مرضياتها ولو كان عندكم ادنى نظر سديد ما وافقتموها على اتلاف جودها في الحرب ومواسم الامراض المختلفة التي لا تذر ولا تبقي فياهل ترى باي شيء تعوضون ما تخسره بلادكم من الرجال والاموال والكرام فان كان يرضيها منكم ان تحملوا لها ما تقدرين على حمله من حجارة مدينة معسكر او من تراب الاراضي التي اغتصبتوها فافعلوا واني اراك ايها الحاكم تبذل جهدك في تعطيل مواسمنا لتقل الحبوب عندنا ظناً منكم ان ذلك اقوى سبب لخضوع اهل البلاد اليكم والحال ان هذا ليس بشيء عندهم فان همهمهم ليست متعلقة بلذائذ الاطعمة والاشربة مثلكم بل يكفيهم ما يسدون به رمقهم ويقيم اودهم كيفما كان على انه يوجد عندهم من صنوف الحبوب المحفوظة في الآبار المعدة لها ما يكفيهم سبع سنين آتية وما تاخذونه انتم من ذلك فهو جزء من جملة اجزاء ولا اراكم في هذا الامر الا كن ملاء قدحه من

البحر معتقداً انه ينقصه وبالجملة فنحن لا نترك قتالكم مادمتم في طغيانكم تعمهون
وفي سبيل اعتدائكم تمشون والحروب قد تربينا عليها وتغدينا بلبائنها فنحن اهلها
من المهدي الى اللحد وحروبنا كما علمت لا نرجع فيها الى قانون يحصرها بل نحن
فيها مغربون مطلقون نصرها كيف شئنا واما انتم فقد بذلت اموالكم وافنيتم
قوة شبابكم في تعلم طرقها القولية وعند اشتباك الصفوف تعاجلكم عن مراجعتها الرماح
والسيوف ومما علم من كتب التواريخ القديمة ان العرب يتنجسون في معامع القتال
كما يتنجس العروس ليلة عرسه فلا يختر في بالكم انهم يضجرون منها او يتركونها
من ذات انفسهم مادامت الاقدار الالهية مساعدة لهم فان حكمت عليهم بغير ذلك
فمن المعلوم ان الارض لله من بعدهم يورثها من يشاء من عباده فلا معقب حكمه
ولا راد لقضائه والسلام على من اتبع الهدى وانتي سبيل الردي حرر سيفي عاشر
جمادى الاولى سنة سبع وخمسين ومائتين وفي آخريونية سنة احدى واربعين وثمانمائة

﴿ ذكر مسير المارشال ييجو الى ولاية معسكر ﴾

بعد رجوع ييجو من وقعة عقبة خذته الى مستغانم اخذ اهله وخرج بجيوشه الى
شمال ولاية معسكر وكانت قبائل اولاد خليف وصبح واملهم دانوا بطاعته عندما مر
في بلادهم الى تاكدت ثم توجه الى الجهة الجنوبية وانتهى في مسيره الى بلد سعيدة
وهذه البلدة اختطها الامير واسكن فيها مهاجري مستغانم وهران ولما قاربها خرج
اهلها الى النواحي فوجدوها خالية فخرها ولاذ اهل تلك الجهات القريبة منها كلولاد
ابراهيم والحاسنة والباعف بالطاعة وعدل الامير عن قتاله وسار غازيا على قبيلتي الدوائر
والزمالة في ساحة وهران فصبحهم واكتسح اموالهم واثن فيهم بالقتل والاسر ولما اتصل
الخبر ببيجو امتعض لذلك وارتحل راجعا من الجهة الجنوبية الى مستغانم ثم الى وهران
وفي هذه الايام ارسل حضرة الاسقف دويش الى خليفة مليانه السيد محمد بن علال
يستأذنه في الحضور عنده ليتوسط له في الاجتماع بالامير فاجابه الخليفة ان الامير في
نواحي الصجراء على مسافة ايام متعددة منا فان كنت تكفي بملاقاتي نيابة عن الامير
فانا مستعد لقبول زيارتك فاجاب الاسقف الى ذلك وحضر عند الخليفة فاحتفل لملاقاته
وبعد ان عزم على الرجوع الى الجزائر قدم اليه الخليفة فرسين من جياد خيله هدية على
عادة امراء العرب مع ضيوفهم المعترين قدرا وشهرة وكان عنده من اسرى الزنيسس نحو
الخمسمائة اسير فاحضرهم بين يدي الاسقف بسلاحهم والبستهم ثم قال له حيث انه لم

يتيسر اجتماعكم بسيدنا الامير وكنت انا من جملة اتباعه وخدمه فعلى حسب استطاعتي اجريت بعض ما يجب اجراؤه مع امثالكم وهو لاء الاسرى من عساكركم بسلاحها وامتعها قد سمحنا باطلاقها تكملة لكم نخذوها معكم ولو ساعد القدر واجتمعتم بسيدنا الامير لكنتم شاهدتم من اكرامه ما تستقلون له اعمال الملوك العظام ففرح الاسقف بذلك فرحاً لا يعبر عنه قلم ولا لسان وانقلب بالاسرى الى الجزائر وكان يوم دخوله اليها بهم يوماً مشهوداً فانظر الى هذه المعاملة الحسنة والمعاملة التي قابلها بها ييجو كعادته فانه بعد رجوعه من غزوة بلد سعيدة الى وهران كتب الى رؤساء القبائل عدة رسائل يدعوهم الى طاعته ويتهددهم ان ابوا ذلك عليه . وهذا نص جواب اولئك الرؤساء عن احداها من كافة الحشم الشراقة والغرابية ومن اليهم كبني شقران وبني غدو الى النصراني ييجو السلام على من اتبع الهدى وثبت عليه قد وصلنا تحريك وعلمنا ما فيه من كونك تدعونا الى اطاعة وتحبونا انك عازم على ان تجعل بلادنا سعيدة مباركة واي سعادة احب اليها من سعادة الجهاد وحماية البلاد وثباتنا امام اعدائنا ولو بدون تحاربة ولا طعان فان الله تعالى جعل لنا ثواباً عظيماً اذا نحن اذقناهم مرارة الوبال ونكناهم شديد النكال وكبدناهم انواع المشقات والجائناهم الى التفريق والشتات واذا لم نتمكن من ذلك كله فمن بعضه فان لم يتيسر لنا فيكفي الثبات في وجوههم وعلى قدر التعب يحصل الاجر وكونك تعدنا كعادتك مع غيرنا بالفخر والمجد اذا نحن اطعناك والى مطلوبك اجبتناك فهذا لا نسمعه ولا نلتفت اليه بل نعدده ضرباً من المحال والذين اطاعوك من اهل وطننا فانهم عندنا قوم لا دين لهم ولا خلاق لهم بل لا يعرفون من الاسلام الا اسمه فلا نغتر بكلامهم فانما قادم اليك الطمع فيما عندك فباعوا لك دينهم بالذهب والفضة واما نحن فلا نبيع ديننا وانما نبيع انفسنا الى الله تعالى الذي يشتريها منا بالجنة ومن الواجب عليك ان تنظر الى عظمة سيدنا الامير كما ننظرها نحن فانه يقاتلكم ويكبدكم المشاق العظيمة من غير كبير مدد ولا ذخائر مؤثثة ولا خزائن قائمة وافرة واما انتم فلا مزية لكم لان دولتكم قديمة من الف سنة فجمعت الاموال الطائلة ودربت الجيوش الجرارة على الحروب فان هي غلبت الان فان اميرنا حديث العهد بالملك ورعيته قد انهكتها الحروب الاهلية والاجنبية من مدة متطاولة فاي مزية لدولتكم في تغلبها عليها والظاهر انك ايها الحاكم مسرور بكونك اخراجتنا من اوطاننا واحرقنا اغلالنا وارسلت لدولتك تبتهج بذلك ولو كنت من اهل النظر ما ظهر هذا منك نعم لو جئتنا بجيوش تعادل جيوشنا عدداً واستعداداً وفعلت بنا ما فعلت كان يحق لك ان تبتهج بعملك وتفتخر به ولكن حيث انك جلبت اليها جيوشاً يزيد عددهم على عدد

نفوسنا وكراعينا وشجرنا وحجرنا فلا حق لك في سرورك لان من غلب كثرة لا مزية له ولا فخر وانما المزية لمن غلب من يكافئه عدداً واعدداً او يكون اكثر منه ونحن لله الحمد مع قلة عددنا فقد وقفنا في صدوركم واذقناكم نكال الحرب ومرارة الجلال والضرب مدة احد عشر عاماً من حين استيلائكم على مدينة الجزائر الى يومنا هذا ولا نزال بحوله تعالى وقوته على ذلك الى ان تغلب او تغلب ويملك كبيرنا وصغيرنا وعلى كل حال فلا تنعب نفسك فانك لا تحصل على طائل من الفخر لتذكر به عند ملوك الارض كما هو في بالك لان ذلك انما يصح لك لو غلبت دولة قديمة عظيمة مؤثثة من كل شيء واما دولة قليلة العدد والعدد فلا مزية لمن غلبها وما يتعجب منه كل العجب ان دولتك تفتخر بالاستيلاء على الجزائر وهل عاقل في العالم يفتخر بالظلم والاعتداء حاشا وكلا انما الفخر في تركهما وعدم التخلق بهما وجميع ما اتلفتموه من محصولاتنا في هذه السنة لا يضرنا لوجود غيره عندنا من مستغلاتنا المدخرة من سنين عديدة فان نفدت فالطرق جلب ما نفقت به من المغرب او المشرق مفتوحة وكما ان مراكبكم البحرية ترد عليكم مشحونة بالمؤن والذخائر فكذلك نحن عندنا الجمال تحمل الينا ما نحتاج اليه من القاصية ومن الواجب عليك ان تنظر فيما دخل في يدك من الذخائر والمؤن في هذه المدة وما خرج منها فان وجدتها نافصة فبادر الى ارسال ما يسد نقصها من حجر معسكر و تراب غريس الى دولتك وبذلك تجعلك محبوباً لديها كبيراً في عينها ولو احصيت ايها الحاكم قتلاك واسراك ثم قابلناهم بن قتل منا واسر لظهر لك خسرانك وتحقيق عندك نقصانك والمكافاة في الحرب وان كانت لا تقضي بالمزبة لاحد الطرفين فانها تقضي لنا به نظراً لكثرتكم وقلتنا وكبر دولتكم وصغر دولتنا هذا جوابنا فاعلمه فاننا فصلناه تفصيلاً مفرداً في الاسهاب والاكتثار رجاء ان تفهم حرر في العشرين من ربيع الثاني سنة سبع وخمسين والحادي عشر من حزيران سنة احدى واربعين

ونص جواب الرسالة الاخرى المؤرخة في التاسع والعشرين من ربيع الثاني والعشرين من حزيران من الحشم وغيرهم من القبائل المتسكين بدينهم الاسلامي الوثيق العرى الى النصراني ييجو قد وصانا مكتوبك الذي تركته في موضع نزولك من بساتين بني يخاف واطلعنا عليه فوجدناك تطلب منا نص ما طلبته سابقاً غير مرة فتعجبنا من الحاحك واكثرناك علينا في الطلب مع اننا بذلنا وسعنا في اقتناعك فلم تسمع ووقفناك على ما انطوت عليه بواطننا من التمسك بديننا وطاعتنا لاميرنا فلم تفهم ولو فهمت لعدلت عن الحاحك وتتابع طلبك وعلى كل حال فهذا آخر جواب ياتيكم من طرفنا فليكن

مكتوبك المذكور آخر مكتوب ترسله الينا وكيف ترك ديننا الذي هو اشرف الاديان
وتخلى عن اميرنا الذي هو عندنا اعظم امير واشرف من يطاع هذا مما لا يقول به
عاقل ولا يعلق به افكاره آمن والذي حملك على الالحاح هو تصديقك لاولئك
المنتصرة الذين يسارعون الى الدخول في طاعتك ولو كانوا مما يعتد بهم في الديانة
ما جحدوا نعمة الله عليهم بالاسلام واطاعوك ودخلوا تحت رايتك وانت عدو دينهم
ودنيائهم والذي اخذ بنواصيرهم وقادهم الى ذلك انما هو حب المال الذي يسرتم لم طريق
الطمع فيه ولم تعلموا انهم كما ازاعيم الشيطان وتركوا دينهم ورفضوا طاعة اميرهم كذلك
يتركون دينكم وطاعتكم لان من كان بهذا السبيل لا يوثق به وانت لغرورك بهم وثقت
بجالم واتبعت اشارتهم واراءهم وبالجمل ففحن في وطن واسع الاطراف تمتد القاصية
لا نزال نتنقل فيه غرباً وشرقاً وجنوباً وشمالاً وانتم تتبعون آثارنا فلا تدركون
شاؤنا وغاية ما هنالك ان عسا كركم نفني جوعاً ومرضاً وذخائركم تنفذ وكل ذلك
من غير طائل فالاولى لكم ان تعدروا بلادكم التي نشاتم فيها ونشأ آباؤكم من اجيال
متطاولة واما بلادنا فليس لكم في الاستيلاء عليها نتيجة وهب انكم استوليتم عليها
واقتمت فيها ثلاثمائة سنة مثل من ملكها قبلكم فانكم لا بد ان تخرجوا منها كما خرجوا
وتمسوا كأمس الذاهب والذهر هكذا واهب ناعب والظاهر انه يخطر في فكرك انك
اذا استوليت على وطننا ان فرنسا تبعاك ملكاً تدين بطاعتك هيئات انما انت
عسكري تعيش عسكرياً وتموت عسكرياً ولم تستند شيئاً فانك لن تحرق الارض
وان تبلغ اجبال طولاً والذين استهوك وغروك من العرب بطاعتهم لا يعبا بهم اذا
حضر واولا يستل عنهم اذا غابوا فاقولهم ومواعيدهم انما هي كسراب ببيعة يحسبه
الظمئان مشك ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً وغاية امرهم ان الذي يؤملونه منكم
لا يصلون اليه وانما يموتون كفاراً تحت رايتكم نسال الله العافية والحماية من ذلك
ومن العجب انكم تعلمون اننا وان كنا خاضعين لاميرنا فاننا ما طلبنا الصلح معكم
الا قهراً وامثالاً لامره فكيف الان نميل اليكم ونرغب في طاعتكم ثم لا يخفى ان
بلادنا تمتد غرباً الى حدود المغرب الاقصى وشرقاً الى حدود افريقية وشمالاً وجنوباً
من البحر الى القفر وجميعها مع اتساع اقطارها في ذاية الامن بالنسبة اليها فلا تفنوا انه
يلحقنا ضرر منكم او يرهبنا وضع عسكركم في معسكر ومليانة والمدية فان الضرر والخسارة
وامثالها في الحقيقة لا تعود الا على اولئك الجنود الذين لا نراهم لا اسرى في بلادنا اذ لا ياتيهم
ما يقتاتون به الا بشاق واتعاب يتلف فيها من اخوانهم عدد كثير ومن الذخائر اكثر

والمخلص ما نقول اننا واياكم عبيد الله تعالى والارض ارضه والبلاد بلادوه وهو الذي
 وطن فيها اباؤنا فان ابقانا فيها فله الفضل والطول وان اخرجنا منها وجعلها في ملككم
 وقبضة تصرفكم فهو تخار في فعله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . ثم ان ييجو بعد رجوعه
 من غريس الى مستغانم تفقد الجنود التي كانت قبله في الجزائر والتي حضرت معه وبعده
 فوجد التلف قد اتى على اكثرها فكتب الى دولته بذلك واستمدتها فامدته بالعسكر
 والذخيرة واقام اربعة اشهر ياخذ في الاستعداد ويتاهب لتجديد الحروب وكان في هذه
 الفترة يكتب القبايل والعشائر يدعوهم الى الطاعة ويعدم ويمنعهم تارة ويتهددهم
 ويوعدهم اخرى ويبالغ في الطرفين ولما استكمل اهبطه عقد مجلساً حربياً في وهران جلب
 اليه قواد الجيوش الفرنسية من الجزائر وغيرها وفاوضهم في تعيين مدينة من المدن
 الداخلية يجعلها مركزاً للعساكر وغزناً للذخائر فوقع اختيارهم على مدينة معسكر فخرج
 بسائر الجيوش اليها واتخذها مركزاً وبهذه الوسطة تيسر له الحمل على القبائل وادخالهم
 تحت السلطة الفرنسية لان اهل الوطن لما رأوا ما نزل بهم من الجائحة التي لا
 دواء لها ولا سبيل لزيوالها تحيروا في امرهم وشتموا من الفرار في الفياضي والقفار وملك
 ماشيتهم وفنى كراعهم وعلموا ان الامير لا قدرة عنده على حمايتهم والذب عن الوطن
 من سائر جبهاته لا سيما وقد تهاقت قبائل البربر الذين ليس عندهم من الدين الاسلامي
 الا النطق باسمه على اداء طاعتهم للفرنسيين واكبوا على النقاط ما ثره لهم من الذهب
 والفضة ونالوا من احسانهم ما لم يكن لهم في حساب ولم يعلموا ان السم في ذلك الدسم فبدلوا
 نفوسهم في نصرة عدوهم واعلاء كلمته واعانوه على المسلمين المستسكين بدينهم وطاعة اميرهم
 وكثروا عدده وبلوه على عورات المسلمين وارشدوه الى الطرق التي يتوصل بها
 للاستيلاء على الوطن وصاروا يكتبون الناس في الجهات ويرغبونهم في الخاق بهم
 والدخول في زميرتهم سبحانه لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه

﴿ ذكر مسير المارشال ييجو الى تلمسان ﴾

وفي الخامس عشر من ذي الحجة سنة سبع وخمسين والتاسع والعشرين من يناير
 سنة اثنتين واربعين خرج ييجو من معسكر بجيش كثيف الى تلمسان فطار الخبر الى
 الامير فامر باخلاؤها ونقل سائر المهمات الحربية منها فارتحل الناس ونقلت المهمات منها
 الا ما عسر حمله كآلات معمل المدافع وشبهها ودخلها العدو انبرني من يوثق به ان
 بعض اهالي تلمسان الذين بارحوها رجعوا اليها من الطريق ودخلوها ايلاً وقدموا

طاعتهم الى الجنرال واخبروه ان جيوش الامير قد سئمت الحرب ولانت قوتها
وكان في عزمه ان يتركها ولما سمع ذلك عقد النية على الاقامة فيها والاستيلاء
الدائم عليها وشرع في تحصينها خشية ان يسترجعها الامير منه واقام بها حكومة
وسلم ادارتها للجنرال بادو من مشاهير قوادهم ثم ارتحل الامير من ضواحي تلمسان
الى ندرومه وفيها اجتمعت عليه قبائل تراره وولصاة ومن اليهم من قبائل الساحل
في تلك الاطراف فاغزى خليفته السيد مصطفى بن التهامي على الدوائر والزمالة في
ساحة وهران فاتحن فيهم وغنم غنائم كثيرة ثم سار الى مضيق الجيرة من بلاد الغرابية
ومنها انتقل الى سيك واما الامير فانه استقر في نواحي تلمسان ينتظر الفرص المواتقة
لحرب الجنرال ولما اتصل خبر الخليفة بنائب ييجو في معسكر ارسل سرية من جنده
لتباغت الخليفة في موضعه من سيك فواصلت سيرها الى ان رأت مضارب العسكر ليلاً
فتوقفت قائدها عن الهجوم وبعد ان اخذ عسكره الراحة عدل عن الخيام ومضى في طريق
اخرى في حالة هدوء وسكون حتى لا يحس به العسكر الاسلامي وكان الحرس فطنوا
بهم ولكن ظنوا انهم من اخوانهم المسلمين جاءوا بخبيرة لم فلم يتعرضوا لهم بشيء ثم اقتنوا
اثرهم ولما طلع الفجر وعرفوا انهم من العدو حملوا عليهم وطيروا الخبر الى الخليفة فركب
في سائر الجيش ولحقوا بالعدو وعظم الامر واشتعلت نار الحرب واتصل ذلك من طلوع
الفجر الى وقت الظهيرة فانهمز العدو واستولى المسلمون على سائر مدافعه وذخائره واثقاله
ثم رجع الكرة عليهم فازاحهم عن موقفهم واسترد ما اخذوه منه وصمد العسكر النظامي
الاسلامي وحافظوا على موقفهم ثم حملوا على العدو حملة رجل واحد واختلطوا به دبراً
بالسيوف وطعنوا بالحراوب واستمر ذلك الى الغروب ومن الغد اصبح العسكر الفرنسي
سائراً الى وهران والمسلمون اخذ بهم التعب والاعياء ما اخذوه منه وصمد العسكر النظامي
بعسكره النظامي ومن بقي معه من الجيوش المتطوعة الى الجبل المطل على سيك ولما استولى
ييجو على تلمسان رجع الى الجهة الشرقية على طريق الخط الفاصل بين بلاد الصحراء
وبلاد التل فوصل الى قلعة سبدو وبعدها عن تلمسان نحو المرحلة وجرت بينه وبين
قبائل تلك النواحي حروب كان الظفر فيها له ثم لاذوا بطاعته ومنها توجه الى قلعة
سعيدة على مرحلتين من معسكر وقد كان خربها قبل تقدم الجعافرة والحسانة واولاد
ابراهيم واولاد خالد ومن اليهم مقاليد الطاعة اليه فافاض فيهم العطاء جالباً لغيرهم
ومنها سار الى القيطنة فاحرقها وهي بلدة عائلتنا اختطها جدنا السيد مصطفى بن
المختار سنة ست ومائتين والفي لجهة الشمال من معسكر تبعد عنها بمرحلة قال

القبطان دي مونرون في تاريخه وكنت تلك البلدة مبنية بوسط وادي يانع بالازهار
تندش منه الابصار وكان لا يظن انه يوجد في اقصى افريقية ابنية محكمة البناء
كبنيتها وفي هذه الايام خرج جيش من مدينة الجزائر قاصداً قبيلة بني مناد في
نواحي شرشال فاقع بهم ولما رات قبائل تلك الجهة ما حل بجيرانهم لاذوا بالطاعة
قال مؤرخهم روا ولما توجه المارشال ييجو الى نواحي شلف ضرب خيامه على
اطراف الجبال ملجأ القبائل التي كانت لم تزل تعسكر كس راحته وتناوشه
الحرب وباداء طاعتهم له حمل الامن في سهول متيجة الى مدينة الجزائر نوعاً ما
وصارت المواصلات بين المدينة ومليانة وشرشال قليلة الخطر في بعض الاوقات انتهى
واما الامير فانه سار بجنوده الى الجهات الصحراوية وسائر القبائل التي كانت قدمت
طاعتها للعدو لاذت بطاعة الامير واعتذرت بالعجز وارتكب اخف الضررين
فعنا عنهم وانتقموا في سلك جنوده وضرب معسكره في معبر الاطلس وهو من
المعقل القديمة ومنه كان يغزو على العدو ومن دان بطاعته من العرب والبربر
يتابع شن الغارات عليهم ويذيقهم النكال ويحلب اليهم الويل والوبال ويث السرايا
والبعوث الى الجهات فانمازت المنصورة الى ضواحي المدن وخت البلاد من اهليها
وانحصرت العمارة في الصحراء للساكنين والسواحل وما قاربها للعدو قال بالمار ان
الامير رأى ان من الواجب عليه ديانة ان يؤدب القبائل التي خرجت عن طاعته
وانضمت تحت راية عدوه وقصد بذلك قلع علائق الفساد وحفظ الشعار الدينية
والمحاماة عن الوطن فصار يتابع الغزو والغارات عليهم ولكن ذلك لم يجد الامير
نفعاً لان الناس توجهت قلوبهم لطاعة عدوه طلباً للراحة من مشقات الانتقال من
موضع الى آخر وغزا بني عامر وانغل وتلك النواحي فصدوه واظهروا عداوته والمارشال
يجو وان كانت انتصاراته متتابعة فانه لم ينفق بذلك لما هو معلوم من احوال العرب
والبربر قديماً وعلاوة على ذلك فان فرسان الحشم الشراقة والغرابية المشهورين
بالشجاعة واقتحام الشدائد لم يميلوا الى طاعته بل لم يفارقوا سيدهم واميرهم الذي بايعوه
على الموت وارتحلوا باهليهم واولادهم معه ونيموا حيث نيم باهله واولاده وجنوده
بمعبر الاطلس ولذا ترى ان المارشال كان دائماً يخشى الوقوع في مخدورات لا خلاص له منها
ولم تهدأ افكاره من اضطرابها ولا سيما انه رأى القبائل بعد ان بذلت طاعتها
اليه رابعت طاعة سيدها لما رآته وهرعت الى اعتابه تطلب العفو وتعتذر بعجزها
عن دفاع العدو الكثير الجنود فهذا الفعل وامثاله ادى المارشال الى الحكم بان

جمع ما يراه من العرب من اظهار الطاعة والقتال معه انما هو من قبيل الامور الخيالية التي لا اساس لثبوتها فعقد في معسكر تجلساً حريباً وقال لهم ان الامير كما ترون قد نزل بجيوشه في جبال وانشرىس قرب التل وسائر بلاد شلف ونهر مينه الجنوبية رجعت الى قبضة يده وجميع من يحاذيها من قبائل العرب والبربر لم تخرج عن طاعته فالاولى اننا نجتمع جيوشنا ونخرج بها دفعة واحدة من الجزائر ومستغانم ووهران كل الى ما يليه الى الداخلية فاجابه اهل المجلس ان فصل الشتاء قد اقبل فلا نتمكن من مطلوبنا فقال اذا يلزمكم ان ترتبوا الفرق الآن وبعد مضي الشتاء نجري ما يقع عليه اتفاقكم فاجابوه الى ذلك وقر قرارهم على ان سائر الجنود تنقسم الى ثلاثة اقسام قسم يكون تحت نظر المارشال بيجو ويكون مركزه في نواحي شلف والثاني تحت قيادة الجنرال شانكرني ويكون مركزه البليده والثالث تحت قيادة الجنرال لامورسير ويكون مركزه معسكر وفي اواخر الشتاء خرج كل قسم الى موقفه المعين له واخذ كل من القواد الثلاث يشن الغارات المتتابعة على ما يليه من القبائل فما نجح واحد منهم في عمله لان سائر الشعوب والقبائل تركوا اوطانهم وارتحلوا الى الصحراء كل الى ما يليه منها فاتبعتهم الجيوش الفرنسية فلم تدرك لهم اثرًا واستولى التعب والنصب عليهم والدير والنقب على دوابهم ونفذت ذخائرهم ورجعوا الى مراكزهم من غير طائل واما الامير فانه كان كلما توجهت فرقة فرنساوية على جهة يخالفها الى جهة اخرى فيصيب من المنصرة ولا تصيب الفرقة من المسلمين شيئاً وتوغل الجنرال لامورسير في الجنوب وشن الغارات على البسائط والجبال في نواحيها فخالفه الامير الى جهة معسكر فاكسح ما في قرية البرج من الامتعة والاموال واستاق ما شئت بها ثم اضرمها نارا وسار على وجهه الى الجبة الشرقية فمر بجيوشه ليلاً على معسكر بيجو في شلف وشن الغارة على قبائل تلك النواحي فغنم واثنى في القتل والاسر والسبي وتوجه الى الجنوب فلعجب الفرنسيون من امره وسرعة سيره وبلوغه ما قعده من الخوارج في ايام قلائل متوالية وفي اثناء هذه الحوادث حدث بين دولتي فرنسا والانكليز زراع في قضية تعلق بمدينة ارثاهيه احدى مدن الاوقيانوس فحسبها الامير فرصة يجب اغتنامها فارسل الى دولة الانكليز معتمداً من طرفه ليفاوضها في امره واثمس منها ان تشغل عنه وجهه الفرنسيين حتى يتمكن من مدافعهم عن الوطن فاحس الفرنسيين بذلك وتلافوا امرهم مع الانكليز ثم ان الامير كتب الى الدولة العثمانية يستنجدها ويخبرها بما وصل

اليه حال الوطن الذي هو جزء من ممالكها فلم ترد له جواباً وكتب الى صاحب
مراكش يستدعيه للمشاركة في دفاع العدو لاتصال المغربين الاقصى والاوسط وقال
ان اصحبت بلاد المغرب الاوسط في يد دولة فرانس فكيف تامن على بلادك وما
الذي يتبعها منها فتغافل عن الجواب وانتهت ايام سنة ثمان وخمسين ومائتين واثنين
واربعين وثمانمائة على ما ذكرناه من الوقائع المتتابعة ثم ان الامير لما راي ان العدو
قد استولى على المدن وانقلاع ظهر له ان يتخذ عاصمة كبيرة رحالة مؤلفة من خيام
كثيرة ومضارب اثيرة فباشر في ترتيبها وفي اقرب مدة ظهرت للوجود على احسن
الاساليب واجمل الترتيب وسمى ما يخصه منها الزمالة وما يخص الاعيان والعامة
بالدائرة وما يخص الجند بالحلقة واتخذ فيها جملة مضارب لمعامل السلاح واخرى
لوضع الميقات الحربية ومثلها للذخائر واعد فسطاطاً واسعاً لاجتماع المجلس العام وآخر
اتخذ مسجداً ورتب مضارب للباعة واهل السوق تضرب بعيدة عن الزمالة
والدائرة وما يتعلق بها فكانت تحبي اليها الذخائر وسائر ما يلزم الانسان ونقصه
بالتجارة في صنوف البضائع وما تدعو الضرورة اليه من الحرف والصنائع وبالجملة فقد
كانت الزمالة والدائرة ومعلقتهما على اتم ما يكون من الانتظام والانتظام المدني وكان
لما منظر جميل ترى منازلها من بعيد كأنها مدينة حافلة ذات قصور مشيدة وابنية
جليلة وكانت تعد مركزاً حريياً ومقرّاً مدنياً تشتمل على مائتي الف نفس وكان الامير
يبيت من هذه المدينة الرحالة غوازيه وبعوثه وفيها يستعد للحرب وكانت الجيوش
الفرساوية تتقيها وتتخذ منها ولم تزل تزدد كية واتسفاً وارتباطاً حتى صارت ملجأ
عظيماً وحصناً أميناً وقد عين لحراستها وحمايتها حوزتها اربعة قبائل من العرب وفرقة
كثيرة العدد من العسكر انطاني فمن ادخل على هذه المدينة الرحالة وترتيبها عرف ما
كان عليه الامير من الآراء المصيبة والتدابير العجيبة التي اتفرد بها في وقته ولم يسمع
فيما مضى ببلد اتخذ عاصمة ملأت النجود والاعوار تتردد بين الحول والاحمال والاقامة
والانتقال وحيث ان الفاعل المخنار في فعله قفى بان مصير كل شيء الى الزوال وانه لا
وسيلة لبقائه ولا احتيال فلا غنا ولا ملامة ولا تحسر ولا ندامة ان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده

﴿ ذكر ما كتبه الامير جواباً عن سؤال قدمه اليه ﴾

« بعض الاعيان من خواصه »

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ويكفي مزيده صلى الله على سيدنا محمد وآله ومن تبعه وجرى على منواله اللهم اني اعوذ بك من معضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن ونصرع اليك يا مقلب القلوب ان تثبت قلوبنا على ديننا المحبوب اما بعد يا اخي فاني رأيتك متعطشًا الى سماع ما لا نلنا من الكلام في هؤلاء الذين ركنوا للعدو فاحببت ان اذكر لك ما روي عنهم في ذلك ولولا اني رأيت شدة تعطشك وأوامك ما ذكرت لك شيئًا مما هنالك اذ ربما تنفي في نصيحة اولئك الجهلة باقي ايامك من غير طائل ويكون تعبك في علاجهم كتعب من رام اصلاح الفاسد او حياة الهالك وهل يصلح العطار ما افسد الدهر

واعلم ان الراكن الى الكفار الداخل تحت ذمة اهل البوار احد رجلين اما رجل كذب الله في ضمانه لرزقه نعوذ بالله من كفره وحمقه وقال ان هاجرت مت جوعًا وازداد بذلك هلعًا واعتقد ان وطنه هو رازقه لا ان الذي يرزقه هو موجدته وخالقه ولما خطر هذا في قلوب جماعة من الموءمنين في زمانه صلى الله عليه وسلم بعد ان نزل قوله تعالى آسرًا بالهجرة يا عبادي ان ارضي واسعة فاي اي فاعبدون انزل الله قوله وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم قال المفسرون في هذه الآية تحريض على الهجرة لان بعض الموءمنين فكر في الجوع والفقر اللذين يلحقانه في الهجرة وقال غربة في دار لا مال فيه ولا عقار ولا من يطعم الجار فضرب الله لهم المثل بحال الدواب التي لا تسعى في تحصيل قوت ولا تدخره واما رجل متكالب على الدنيا اسمه واعماه حبها يريد الظفر بها سواء كان ذلك بالاسلام او بالكفر وكلا هذين الرجلين لا يرجي صلاحهما ولا يوءمل نجاحهما ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئًا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزيٌ ولهم في الآخرة عذاب عظيم ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ان الله لا يهدي من يضل وهذه الفتن جرت بها سنة الله التي قد خلت في عباده وحكمته الجارية في ارضه وبلاده ليتبين الصادق من المدعي ومن تحلى بحلية ليست له فضحته شواهد الاتحجان الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاعدوا منكم يعني

ان الله تعالى يخبر عباده ويمتحنهم حتى يتبين للناس الذي لم يتخذ ولياً ولا نعييراً من دون الله ورسوله والمؤمنين من الذي يتخذ نعوذ بالله من المهالك ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولعل هذا هو الزمان الذي اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تاتي في آخر الزمان فتن يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً الا من اجاره الله بالعلم وفي رواية بعلمه ولقد ظهر في اهل هذا الزمان مصداق قوله صلى الله عليه وسلم لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدختموه قالوا اليهود والنصارى يا رسول الله قال فمن رواه البخاري في صحيحه لان اهل هذا الوقت كانوا يطلبون الجهاد ويتمنون مجيء النصارى فلما ظهر الجهاد نكصوا على اعقابهم فهم في هذا كبني اسرائيل اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا نقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب ثم بعد هذا ارادوا من سلطانهم ان يجاهد وحده ويتكفل برده العدو ويعرفه حده فهم في هذا كبني اسرائيل ايضاً اذ قالوا لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ثم بعد هذا صاروا ردم للكفار ومعينين لهم بالانفس والاموال على من بقي مستمسكاً بعروة الاسلام واعظم هؤلاء ذنباً واشدهم هلاكاً وابعدهم نجاة واكثرهم في الامر سقوطاً رجلاً واحداً رجل عرف الحق وعاند وهو اول من تسعر به النار اذ هو عالم لم ينفعه الله بعلمه وجحد الحق مع معرفته به انه حق وهذا اصل من اصول الكفر الستة ومنه كفر الموجودين في زمانه صلى الله عليه وسلم المشاهدين لمعجزاته قال تعالى فيهم انهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وهذا اعظم الضلال والداء المغال اضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فبعد الختم لا ترجى زيادة ولا نقصان في الشيء المخنوم عليه والآخر رجل قرأ بعض ابواب الفقه فعلم بعض احكام الصلاة والنكاح والبيع فظن انه وصل الى غاية استحق ان يسمى بها عالماً فصار يقول في دين الله ما ليس له به علم ويفتري على الله الكذب ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويستدل بآيات واحاديث وكلام الائمة وهم مع هذا لا يحسن النطق والتلفظ ببيانها فكيف

له الغوص على معانيها فالحمار احسن حالا من هذا اذ جيل الحمار بسيط وجيل هذا مركب

قال حمار الحكيم توما لو انصف الدهر كنت اركب
لان جزلي جيل بسيط وصاحبي جيله مركب

والجيل المركب اصل من اصول الكفر السنة بجميع هذا الصنف مع تبيع
ما هم عليه من الدخول تحت ذمة الكفر استحلوا ما حرم الله من ذلك والمستحل لما
حرم الله كافر وخرقوا الاجماع فان الاجماع منعقد على وجوب الهجرة ومخالف الاجماع
كافر وجعلوا ما ورد في القرآن والسنة من ذكر الهجرة ومدحها والامر بها عبثاً ومنسوخاً
وذلك باب لميلهم واقوالهم الكاذبة كيف والقرآن مملوء بذكر الهجرة ومدحها وذم
تاركها وقد قال عليه الصلاة والسلام لا تنقطع الهجرة حتى يغلق باب التوبة ولا
يغلق باب التوبة حتى تطالع الشمس من مغربها وقال عليه الصلاة والسلام انا بريء
من كل مسلم مقيم بين اظهر الكافرين رواه اصحاب الصحيح ما عدا البخاري وقال
آخر وهو ممن بلغ رتبة الاجتهاد الحافظ السيوطي في حسن المحاضرة في اخبار مصر
القاهرة لما ساق هذا الحديث ما تبرا منهم صلى الله عليه وسلم الا لكفرهم وفيه
الصحيح من جامعهم او ساكنهم فهو منهم قالوا لم يارسول الله قال الا ثرايا
نارها وقال مالك رضى الله عنه نجب الهجرة من ارض الظلم والعدوان فكيف يلد
يكفر فيه بالرحمن وتعبد من دونه الاوثان وقال تعالى قالوا فيم كنتم قالوا كنا
مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها قال ابو السعود
في الآية دليل على انه لا عذر في ترك الهجرة الا عدم اتساع الارض وقد وسعها
الله ولو كان هناك عذر يقبل في ترك الهجرة ما كانت في الآية تبيكت لتاركها
اذ ربنا يعنذرون بعذر آخر فلما ذكر الله اتساع الارض دل على انه لا عذر غيره
وقال الوانشرسي في كتابه المعيار الواجب الفرار من دار غلب عليه الشرك
والخسران الى دار الامن والايمان ولذلك قوبلوا بالجواب عند الاعتذار الم تكن
ارض الله واسعة فلا عذر للمستطيع بوجه وان كان بشقة في اعدل او الحيلة
او اكتساب الرزق في ضيق المعيشة الا المستضعف رأساً الذي لا يمد حيلة ولا
يهتدي سبيلاً وعجز المسلم عن حمل اهل بيته وولده لا يبيح له التخلف عن الهجرة
بل يهاجر بنفسه وقد هاجر صلى الله عليه وسلم لما تعذر عليه اخراج اهلته معه وما لحقوا
به الا بعد حين وكذا ان خاف ان هاجر يسلب ماله فان مفارقة الوطن او سلب المال

ليس بعذر في ترك الهجرة نص على ذلك صاحب المعيار وقد ذكر اهل الاحوال ان الضرورات التي تجب المحافظة عليها خمسة الدين والنفس والعقل والنسب والمال فكل واحد من هذه يجب حفظه ما لم يعارضه حفظ ما قبله فالمال هو آخر المراتب والدين اولها فهو مقدم على غيره وكذا تجب الهجرة على المرأة اذ لم يهاجر زوجها وقد هاجر كثير من المسلمات الى الحبشة قبل هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهما بعد هجرته صلى الله عليه وسلم وفيهن انزل الله تعالى قوله يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الآية ولم يعذر الله تعالى في المقام تحت ذمة الكافر الا الذي لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً كالأعمى الذي لا يجد قائداً والزمن الذي لا يجد حاملاً مع نيتيهما انهما متى وجدا ذلك هاجرا فان تركا النية وماتا ماتا على غير سبيل المؤمنين نص على ذلك غير واحد والكتاب العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تعذر من مخالطة الكفار وموالاتهم وموادتهم قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوتي وعدوتكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الى قوله ومن ينعله منكم فقد ضل سواء السبيل وقال انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون وقال بشر المنافقين بان لهم عذاباً أليماً الى قوله فان العزة لله جميعاً فين الله تعالى مراده في المنافقين في الآية بقوله الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين فالذي يتخذ الكافر ولياً منافق الى غير ذلك من الآيات والاحاديث القاطعة الصريحة الصحيحة التي لا تحتمل تاويلاً وقد ذكر صاحب المعيار في باب الجهاد ان هراء المقيمين تحت ذمة النصارى لا تصح لهم صلاة ولا صيام ولا حج ولا جهاد بوجه من الوجوه فانظره فانه قد طال عهدي به وما ذكره ان الزكاة شرطها ان تدفع الامام يعني سلطان المسلمين فاذا دنعها للنصارى ابتغوا بها على المسلمين كانت المصيبة اشد ومنها ان شهر رمضان في الغالب لا يثبت الا بروية عدلين ابتداء وانتهاء والعدالة انما تثبت عند الامام وقاضيه وحيث انه لا امام ولا قاضي فيكون رمضان مشكوك الاول والاخر الى غير ذلك من الوجوه ولا تجوز شهادة المقيمين تحت ذمة النصارى الا من له نذر مقبول شرعاً ولا تنفذ احكام قضائهم قال بعض العلماء هم اشد من اهل الاهواء وقد ردت شهادتهم واحكامهم قال ابن عرفة شرط قبول خطاب القاضي صحة ولاية ممن تصح توليته بوجه الشرع احترازاً من اهل الدجن كقضاة مسلمي بالنسية ومرسيه وقوصره من الاندلس ومرادهم بالدجن المسامون الداخلون

تحت ذمة النصارى وأهل الجزائر يسمونهم المنافقين وسئل المازري عن أحكام تأتي من
صقلية من عند قاضيهما فاجاب القادح في هذا وجهان الاول من جهة القاضى من حيث
العدالة فلا يباح له المقام في دار الحرب في قيد أهل الكفر والثاني من جهة الولاية اذ
القاضى مولى من قبل أهل الكفر ومن كان هذا حاله فلا يعتبر حكمه في الشرع وقد
بلغني عن هؤلاء الرؤساء الجبال الذين افتوا بغير علم فضلوا واضلوا المعنيين بقوله صلى
الله عليه وسلم وعلى آله ياتي على الناس زمان عالمهم اثنان من جيفة حمار انهم يتدلون
بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وهذا الحديث في صحيح البخاري وغيره ولا
حجة لهم فيه لان النبي صلى الله عليه وسلم قاله لسائل ساله عن الهجرة من مكة الى المدينة
بعد الفتح فاجابه بان الهجرة التي كانت واجبة من مكة الى المدينة قد انقطعت بالفتح
ونسخت كما نسخت حرمة رجوع المهاجر الى وطنه اذا عاد دار اسلام واما وجوب
الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام فهو باق الى طلوع الشمس من مغربها قال ابن
العربي الهجرة اقسام منها الهجرة من الخلف على الدين والنفس كهجرة النبي صلى الله عليه
وسلم وهجرة اصحابه المكين فانها كانت عليهم فريضة ولا يجوز ايمان بدونها ومنها الهجرة
الى النبي صلى الله عليه وسلم في داره التي استقر فيها فقد بايع صلى الله عليه وسلم من قدمه
على الهجرة كما بايع انصارين على الاسلام وهاتان الشجرتان انقطعتا بفتح مكة واما الهجرة
من ارض الكفر فهي باقية الى يوم القيامة وكذا الهجرة من ارض الباطل والحرام والهجرة
من ارض الفتنه وروى اشهب عن مالك لا يقيم احد في موضع يعدل فيه بغير الحق
وقال البرزالي في بعض اجوبته الاجماع على وجوب الهجرة ان وجد المسلم اليها سبيلا
وكذا يستدلون بقوله تعالى الا ان تنقوا منهم تقاة وهذه الآية منسوخة روى البخاري في
صحيحه من كتاب التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لا نفية اليوم لاتساع
البلاد الاسلامية وكذا يستدلون بقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان والآية
انما وردت فيمن يظفر به الكافر من غير اختيار كلاسير فاذا حملوه على معصية او نطاق
بكفر يسه غله ذلك لخوف القتل والصبر اجهل ما كونه متمكناً من الفرار ويبقى تحت حكمهم
نلم يقل به مسلم وكذا يستدلون بما ذكره البيضاوي في تفسير قوله تعالى نال اجمعاني
على سنزائن الارض اني حفيظ عليم فانه قال في الآية دليل على جواز النولية على يد
الكافر ولا حجة لهم في هذا فان البيضاوي قال بعد هذا اذا علم انه لا سبيل الى اقامة
الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وهذا الشرط معدوم اليوم وقد قال غير واحد ان
المالك كان اسلم قبل ذلك على انه انما يكون ما ذكره البيضاوي على تقدير صحته فيمن كان

تحت أسرهم فانه يجوز له ان يطلب منهم ذلك في التولية اذ بعض الشر أهون من بعض
ويوسف عليه السلام جده الخليل عليه السلام وهو اول من سن الهجرة قال الله تعالى
حاكياً عنه وقال اني مهاجر الى ربي ومعه سارا فدخل قرية فيها جبار من الجبابرة
الحديث بطوله وكذلك يستدلون بما نقل عن النووي والرافعي ان المسلم اذا كانت له
عشيرة تحميه او له جاه لا تجب عليه الهجرة ولكن تستحب في حقه نقل ذلك ابن النحاس
في مشارع الاشواق الى مصارع العشاق وهذا ايضا لا دليل فيه لان كلام النووي
والرافعي فيمن كان كافراً في دار الحرب ثم اسلم وكن لا يخاف الفتنة في دينه لحماية
عشيرته وتوفر عصابته او جاهه بحيث لو اراد الكفار ذلك لا يقدرين فيا من لذلك من
الفتنة وقد وقع من هذا النمط كثير في الصدر الاول كما ذكر ذلك اهل السير
والاخباريون اما من كان مسلماً في دار الاسلام ودخل عليه الكفار بالقهر والغلبة
فلا يتصور ان تكون له عشيرة تحميه او جاه يامن بهما من الفتنة في دينه مهما ارادها
الكفار منه وهل يوجد واحد من هذه الشعوب والقبائل الداخلة تحت ذمة الكفار من
له عشيرة تحميه من الكفار اذا ارادوا اجراء حكم من الاحكام عليه او يامن الفتنة
بواحد من هذين الوجهين اللذين ذكرهما الرافعي والنووي اللهم الا ان يكون احمق ضعيف
العقل والايمان فيا منهم وينق بعهودهم وموائيقهم وان الشارع الحكيم لا يقبل شهادتهم
وانوالهم بالاضافة اليها وكان هذا الاحق لم يصل اليه خبر الاندلس خصوصاً اهل قرطبة
فانهم تعاقدوا مع الكافر لما غلبهم على نيف وستين شرطاً اشترطوها عليه فلم يحل الحول
عليها حتى نقضوها عروة عروة وآثر الامر صار الكافر ياتي الى المسلم يقول له ان جدك
او جد ابيك واباك او جدك كان كافراً فارجع الى الكفر الذي كان عليه جدك واترك
دين الاسلام الى غير ذلك فالتعدي لا يوفون بعهد الا اذا كانت كلمة الاسلام هي
العليا وشوكنه قائمة كيف والله تعالى يقول لا يرالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان
اتطاعوا وقال كيف وان يظايروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة والال القرابة واولئك
هم المعتدون اي المتجاوزون اي لا يقفون عند شرط ولا عهد ومن شنيع حمق هو لاء
وضعف عقولهم ومرض ايمانهم انهم يسمون طاعتهم للكافر مهادنة وهل يسوغ لمن له
ادنى عقل وتميز ان ي تلفظ بهذا كيف واحكام الكافر وشرائه وتصرفاته جارية على
شريفهم ووضيعهم ويؤددون اليه المغارم ويحملون اثقاله اذا اراد الغزو على المسلمين
ويقاتلونهم معه في جملة عساكره وجيوشه هذا والله الهذيان الذي لا يعقل على ان
المهادنة خاصة بالامام او نائبه فلا يعقدها سواهما قال خليل والامام المهادنة يعني لا لغير

فقدم الخبر مع جره باللام وكلاهما يفيد الحصر والاختصاص واعلم ان هذه المصيبة التي
في ظهور الكفار على المسلمين حتي دخلوا تحت ذمتهم لم تكن في القرن الاول ولا في
الثاني ولا في الثالث ولا في الرابع وانما حدثت في الخامس وبعده ولذا لم يوجد فيها قول
ولا نص لواحد من الائمة رضي الله عنهم ولما حدثت ووقع السوء ال عنها قاسها ساداتنا اهل
النظر والاجتهاد المذهبي على مسألة من اسلم ولم يهاجر قال ابن رشد وهو قياس صحيح
وقد اختلف الائمة فيمن اسلم ولم يهاجر واقام تحت ذمة الكفار من غير ان تحصل منه
اعانة لم لا بالنفس ولا بالمال اما ان اعانهم بماله طوعا او كرها بان اخذوه منه مغرمًا او
بايعهم او شاراهم ولو في اقل شيء فنقل القاضي ابن الحاج التيجيني الاندلسي من القواعد
ان الاعانة بالمال تبيح المال والاعانة بالنفس تبيح النفس وقال الامام المغيلي في كتاب
له سماه مصابيح الفلاح ان هؤلاء المؤمنين يعني الذين طلبوا الامان من الكفار وامنواهم
واقاموا تحت ذمتهم ودانوا بطاعتهم توه خذ اموالهم ويقتلون ولو كانوا يقرؤون القرآن
وقال ابن القاسم واصبغ في مال المسلم المقيم في دار الحرب انه مباح وانه لا يد اصابه
وانما اليد للكافر وقد حرره في هذه المسئلة الامام ابن عباد شارح الحكم في جواب له
وانه حال المنتصرة على حسب فرقهم فان منهم من يلجأ لحصون العدو ليدافع بها عن
نفسه ومنهم من يكون معيناً له بنفسه وماله بمعنى انهم يقاتلون مع العدو ويدافعون عنه
ويغيرون على المسلمين فهؤلاء اشد ضرراً على المسلمين وحكمهم حكم اهل دار الحرب
في قتلهم وسلب مالهم واما اولادهم فلا يقتلون ولا يكونون فياً وانما ايج قتل البالغين
لكونهم ردةً للعدو الحربي معينين لهم بانفسهم وحكم الرداء اذا لم يقاتل مع العدو حكم
المقاتل فاحرى اذا قاتل قال بعض المحققين من علماء تونس في جواب عن اهل حصن
كانوا ردةً للكافرين المحاربين ما نصه وقول هرقل لو كنت ارجو ان اخلاص اليه
لتجشعت لقيه يعني دون خلع من ملكه وهذا التجشم هو الهجرة وكانت فرضاً على كل مسلم
قبل فتح مكة فان قيل ان النجاشي لم يهاجر قبل فتح مكة وهو موء من فكيف سقط عنه
فرض الهجرة قلنا انه هو في مملكة اغنى عن الله ورسوله وعن جماعة المسلمين منه لو
هاجر بنفسه فرداً لان اول غنائه انه حبس الحبشة كلهم عن مقاتلة النبي صلى الله عليه وسلم
مع طوائف الكفار هذا مع انه كان ملجأ لمن اودى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وردة الجماعة المسلمين وحكم الرداء في جميع الاحوال حكم من كان ردةً له وكذلك
رداء الاوص والمخاريين عند مالك والكوفيين يقتل بقناهم ويجب عليه ما يجب عليهم وان
كانوا لم يحضروا الزعم ومثله في المساواة تخلف عثمان وطليحة وسعد بن زيد رضي الله عنهم

عن بدر وضرب لهم النبي صلى الله عليه وسلم بسهامهم من غنيسة بدر قالوا واجرنا
 يا رسول الله قال واجركم انتهى فانظر قوله وحكم الردء الى آخر كلامه فيه الكفاية
 في تبين ما يجب العدل به ومنه تعلم ان من يدخل تحت جوارهم وامانهم من
 غير اعانة لهم بنفسه ولا بماله وانه لم يكن لهم عيناً ولا رداءً دونهم لا يباح قتله
 وانما هو عاص لا يباح ما عظمه الاسلام من دمه وماله وانما يباح سلب مال
 من يكون معيناً للعدو به على قتال المسلمين ومقاومتهم ومناهضتهم وقد افتى العلماء
 باباحة اخذ مال قوم كانوا بقرب حصن العدو وهم قادرون على منازلته بذلك المال
 ولم يفعلوا فجوزوا للقيام بالحق المتعين ان ياخذ الامام القدر الزائد على كفايتهم
 ويصرفه في منازلة ذلك الحصن لا سيما اذا علم انهم ينفعونه ويعينونه به مثل هؤلاء
 الذين نتكلم في امرهم وانما لم يباح قتل اولادهم ولا سبي نسائهم فلعدم تعلق الاثم
 بهم لغر الاولاد وضعف النساء واصالة اسلامهم بخلاف الحربى اذا اسلم واقام
 بدار الحرب حتى اخذ فولده وماله فيء مطابقاً لا يقاس المسلم بالاصالة عليه خلافاً
 لابن الحاج هذا هو التحقيق في هذه المسئلة ومنهم من لجأ للمسلمين وصار يقاتل
 العدو معهم وهو مع ذلك يعين العدو خفية ويعمله باحوال المسلمين ويطاعه على
 عوراتهم وكذلك ان اطاعهم على كتب يتبونها فان حكم هؤلاء حكم الزنادقة
 ان اطاع عليهم قتلوا ولا فامرهم الى الله انتهى كلام ابن عباد وقال القاضي ابن
 الحاج الارجح سبي ذراري هؤلاء ليعيشوا في دار الاسلام آمنين من الفتنه في
 الدين يعني لا ليملكوا واما الذين يستحيشون بالكفار ويطالبون عنهم الغزو على
 المسلمين فهم يرتدون قال البرزلي في نوزله استظ ان امير المسلمين يوسف بن
 تاشفين استنقى علماء العدو في العتد بن عباد فاتفقت قديما على ان مجرد
 الاستجاشة على المسلمين بالكفار ردة مقتضوهم بذلك ولو لم يحصل المطلوب والعتد
 ابن عباد هذا كان من ملوك الاندلس واستجاش بالطاغية على يوسف المذكور
 ونصر الله المسلمين فظفر به يوسف وقال بعض شراح رسالة ابن ابي زيد انقرواني الذرار
 من دار الاسلام الى دار الحرب ردة وقال الخطاب في باب الردء ادخال السرور
 على الكفار ردة ولا يجنى على كل حيز ما يدخل على الكافر من السرور عند دخول
 من يدخل تحت ذمته قال الأجهري في حاشيته على المختصر جعل البرنيطة على
 الرأس ردة هؤلاء المتعضدون بالدارى الداخلون تحت ذمتهم يجبون نصرة الكفار
 على المسلمين الذين يغيرون عليهم ويفرحون بذلك كلهم رجالاً ونساء وهذه ردة

نسأل الله السلامة والمرأة اذا ارتدت قال كثير من الفقهاء تقتل كل رجل وقال
اسهب تسترق ولا تقتل نقله التلمساني في حاشيته على الشفا لعياض قال انقاضي
ابو بكر ابن العربي ومنشأ الخلاف في ذلك ان قتل الكافر هل هو لكفره او لحراسته
فاما من قال لكفره قال تقتل المرأة واما من قال لحراسته قال لا تقتل لانها لا تحارب
واذا تاب احد ممن ارتد والعاذ بالله فالمشهور ان ماله يرد عليه ونقل ابن عرفة
في تخريره عن ابن شعبان انه لا يرد عليه بل يبقى فيئا كما كان في حال ارتداده
كما افتي به بعض العلماء في - بي نسائهم وذرائعهم خلاف فالذي ذهب اليه كثير
من الفقهاء انه لاسي في نسائهم وذرائعهم والذي ذهب اليه خليل حيث قال وان
ارتد جماعة وحاربوا فكالزنديق يعني يقتل ولا تسبي امراته ولاولده وقال ابن وهب
من المالكية وجمهور الشافعية المرتد يسبي كالكافر الاصلي وهو حكم ابي بكر الصديق
رضي الله عنه في اهل الردة فانه حكم بسبيهم واعطى عليا بن ابي طالب رضي
الله عنه ام محمد ابن الحنفية وكنت سبيت يوم حرب اهلها بني حنيفة وقتل مسيلة
الكذاب ووطئها على رضي الله عنه بملك اليمين قال ابن حجر في شرح الاربعين
قول ابن بطلال الاجماع على ان المرتد لا يسبي منقوض بما ذهب اليه ابن وهب
من المالكية وبما ذهب اليه جمهور الشافعية وخالف عمر بن الخطاب ابا بكر رضي
الله عنهما فانه اطلق سراح المرتدين بعد موت ابي بكر رضي الله عنه وقد كانوا
في اسره وقال بعض العلماء كما نقله الشيخ سالم لاختلاف بين ابي بكر وعمر رضي
الله عنهما في سبي المرتدين اذ الامام مخير بين الاسترقاق والمز - قابو بكر رضي
الله عنه اختار استرقاقهم وعمر رضي الله عنه من عليهم ولا تناقض في ذلك واذا
قتل الغزاة نساء هؤلاء المنتصرة الذين تحت ذمة النصارى وصبيانهم فلا حرج على
قاتلهم ولا اثم وقد عقد البخاري لذلك بابا في صحيحه قال باب اهل دار الحرب
يسبون وفيهم النساء والصبيان ثم ساق الحديث على انه صلى الله عليه وسلم سئل
عن ذلك فقال هم منهم وذكر في آخر الباب لاحي الا لله ولرسوله انتهى المقصود
بمحمد الله وحسن عونه من جواب سؤال المحبين قطعاً لشبه المرتدين ونحن في
الغرم رابطون ولا كتب عندنا ولا مواد وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين
ومائتين والف من هجرة حائز الفخر والشرف صلى الله عليه وسلم وعندما تغلب العدو
على الجهة الغربية من الوطن هاجر اخوان الامير الى المغرب الاقصى وبقي الامير
باهله وجيوشه في الجهة الشرقية لمداغة العدو ولما طال المدة كتب الامير الى

اخوانه يتشوق اليهم وذكرهم باسمائهم فقال

يا سواد العين يا روح الجسد	يا ربيع القلب يا نعم السند
كنت لي قرة عين وبها	راح قلبي لا ببال وولد
فرمى الدهر بعيني اسهلاً	مذ نأيتم لا ارى فيها احد
ايروق الطرف شيء بعدكم	لا ورب البيت في هزل وجد
مذ ترحلتم اذبتم مهيجتي	ودموعي فائزات من كمد
قد فنى صبري ولم يفن الجوى	ما اراه فانياً حتى الابد
وانزوى ما كان رطباً يانعاً	ووهى العظم ولم يبق الجلد
مذ تواريتم توارى فرحي	ما يسر القلب في اخذ ورد
فخيأتي بعدكم مذ غبتم	من مجاز مرسل عندي يعد
طالب ايلي يا احبائي ولا	يعلم الحال سوى الفرد الصمد
كم انادي حين يبدو صبحه	يا سعيد هل خيال لي يرد
فترد الروح للجسم ويا	مصطفى هل من دواء للكمد
شافني حب حسين شافني	ما لحكم الله في الخلق مرد
هل يجود الدهر من بعد النوى	باقتراب يحبي ميتاً لم يعد
فاذا لي تم ما املته	عاد انساني وروحي للجسد
يا ذوي القربي قريباً من اب	انتم ذخري وكنزي والسند
لي كونوا مثل ما كان الاولى	سلفوا لي اهل سعي لا يرد
فاذا ما اقبلت فلتبذلوا	واذا ما ادبرت فارضوا بود
وعليكم من سلام صيب	طيب يترى الى غير امد
يشمل الاحباب اني قد ثنوا	كل حب لي هو الصنو الاود

﴿ ذكر دخول الامير الى ارض منبجة الغربية ﴾

« وانتصاره على القبائل المنتصرة هناك »

وفي المحرم سنة ثمان وخمسين ومائتين الموافق سنة اثنين واربعين وثمانمائة توجه الامير وخليفتاه السيد محمد بن علال والسيد محمد البركاني في ثلاثة آلاف من العسكر المنظم وعدد كثير من المتطوعة واحتل بوادي شلف ثم تجاوز جبال مليانه الى ارض منبجة وبث البعوث في جبايتها وشن الغارات على نواحيها وحصلت بين المسلمين والمنتصرة

قائع عظيمة ثم لاذوا بالطاعة فقبلها الامير منهم وعفا عنهم ورد اليهم ما غنم المسلمون منهم واستولى الخوف والرعب على العدو وطار الخبر الى الجنرال شانكرني في الجزائر فخرج في جيوشه الى سهل متيجة الشرقي ومن هناك توجه الى ثنية الحد وواد الزيتون وقوى حاميتها بالجنود والذخيرة وكان الامير لاول دخوله اراضي متيجة الغربية اذ لم سائر الابنية الفرنسية نارا وقتل من الفرنسيين عددا كثيرا وسبي نساءهم وذراريهم فامتعض لذلك الفرنسيون وسرى الخوف في قلوب المنتصرة فهداهم على التوبة والندم وظهر الكثير منهم خضوعهم الى الامير ونصحوا له واجتهدوا في اصلاح ما كانوا افسدوه طالبا لرضاه وعفوه عنهم قل رؤا في تاريخه ان الامير عبد القادر كان لا يمل من التعب ولا يكل من الحرب ومشقاتها وكان يشاهد انتصارات فرانسوا ولا يشاهد نفسه مغلوبا لها وبعظيم حكمة وكل فطنته استمال قلوب الكثير من القبائل رغبة ورهبة فانغموا اليه وصاروا في جيوشه وقال شرشل لما رأى الفرنسيون ما اجراه الامير في نواحي شرشال من ارض متيجة مما كان سببا في رجوع القبائل الى طاعته وشاهدوا انقياد الناس اليه وبذل نفوسهم دونه في اقرب مدة بادروا بارسال بذر الذهب والفضة رشوة لأكبر القبائل كي يستميلوا بذلك قلوبهم ويردوهم الى ما كانوا عليه من الانقياد اليهم وتارة يتهددونهم فلم يبدى ذلك نفعا ولم يغلب لهم احد بل عكسوا على طاعة اميرهم وحافظوا على اموالهم ووطناتهم ولم تنزل غزوات الامير متتابعة وفرسانه الى قهر الاعداء متسابقة الى اول ايار ثم رجع بقوته الى الجبهة الغربية

ذكر ما اجراه الجنرال بيجو لمنع دخول الامير الى نواحي الجزائر

ولما اتصل بالحاكم بيجو ما اجراه الامير في بلاد متيجة وتحقق وقائعه فيها مع المنتصرة وما امكن فيه من قتل الفرنسيين وسبي نساءهم وذراريهم وحرق تحلاتهم في تلك الجبلات خرج من الجزائر بجميع الجيوش التي كانت فيها الى وادي شلف وقسم العساكر ثلاثة اقسام قسم عقد عليه لابن الملك الدوك دومال والثاني عقد عليه للجنرال لامورسير والثالث ابقاء تحت نظره وامر ابن الملك ولامورسير بالسير الى الامير اينما كان ثم توجه بمن معه من العسكر الى بلاد متيجة الغربية واجرى مع القبائل ما حمله على رجوعهم الى دناعه ولما رأى ان العساكر الموجودة في مليانة والمدينة من المدن البرية وفي شرشال ومستغانم من المدن البحرية غير كافية لحماية قبائل الجنوب من بطش الامير انشا مدينة بين نهر مينة ونهر شلف سمياها الدوك دورليان وكانت قديمة الاصل تسمى

الاصنام ثم شغنها بالعساكر والدخائر ووضع حامية في مدينة تاهرت في حدود النبل وحامية في مرفاتنس بين شرشال ومستغانم واما الجنرال لامورسير فانه سار بعساكره الى مدينة تاكدمت وجرى بينه وبين الامير وقائع وحروب تشيب لها الاطفال وكان الامير قبل ذلك في دائرته فاخبره بعض الجواسيس ان لامورسير قد سار قاصدا الدائرة فركب الامير لحينه ولقيه في تاكدمت ولامورسير لم يزل في نواحي معسكر حين بلغ الامير سيره الى الدائرة فاقام في نواحي السرسو في نحو الف وخمسمائة فارس ليس معهم زاد فكانوا يقتاتون بالبلوط ويعلفون خيلهم من اوراق الشجر والاغرب ان تلك المدة من ايام رمضان والناس على صيام واغرب منه ان بعض رؤساء العسكر جاءه مستبشرا وقدم اليه خاروقا وجده بعض انفار العسكر ضالاً عن اهله فقال له خذه للعسكر يقتاتون به وآثرهم على نفسه مع انهم في الاضرار سواء فقد تاسى بني الله داود عليه السلام حين ورد على بيت لحم وكان ظمأنا فقدموا اليه ماء فقال اليس هذا دم الذين خاطروا بانفسهم في سبيل الله ولم يشرب منه وماتل الاسكندر حين قل الماء على جيشه واتى بقليل منه فامتنع من شربه وقال كيف اشرب الماء واصحابي اضر بهم الظمأ

﴿ ذكر واقعة طاكين ﴾

منذ اتخذ الامير الزمالة ودائرتها عاصمة رحالة ياوي اليها الرايح والغادي ويؤمها الصادر والوارد اخذ الفرنسيون يدبرون في نكبتها وينظرون في وجه مضرتها ولما ساءداهم الوقت توجه الجنرال لامورسير بن معه الى معسكر ومنها الى تاكدمت فلقية الامير ووقعت بينهما وقائع تكفثوا فيها وتوجه الدوك دومال ابن الملك بن معه الى النواحي الشرقية ونظره الى الزمالة لانهم علموا ان قوة الامير المالية قد جعلها فيها فصارت مطمح انظارهم ومنتجع افكارهم فحاضوا لذلك بمرالاهوال واستعملوا الوسائل والوسائط حتى استمالوا قلوب بعض القبائل المنتصرة بالاموال الجسيمة والهدايا المظيعة وكان من جملة من تعهد لهم بترصدها ودلائتهم على موضعها المنتصر عمر العيادي فجعل يتبع مراحل الزمالة من موضع الى موضع حتى احللت في كوجيله من نواحي الجنوب الشرقي من تاهرت فطير الخبر الى ابن الملك وكان اقرب ما يكون اليه فانتهز ابن الملك الفرصة لان الامير وقتئذ مقابل للجنرال لامورسير في نواحي السرسو فسار من بوغار في الذين من المشاة وخمسمائة فارس من جنود فرنسا وخمسمائة من القبائل المنتصرة ووصل

سيره ليلاً ونهاراً الى ان احتل بكوجيلة فوجد الزمالة انتقلت الى القرب منها برحلة ونزلت في الموضع المعروف بطاكين وفي نهار السادس عشر من ربيع الثاني سنة تسع وخمسين ومائتين والخامس عشر من ايار سنة ثلاث واربعين وثمانمائة صبحها فاكسحها واستف ما فيها ولم يكن وقتئذ من حاميتها سوى خمسمائة جندي من ضعفاء العسكر وقد اغتروا بالمكيدة العظيمة التي اجراها ابن الملك باشارة عمر العيادي المرتد وهي لباس فرسانهم لباس الخيالة المسلمين فلما اطلعوا على الزمالة من بعيد ظن الناس انهم طلائع الامير فاستبشروا وخرجوا الى لقاءهم بالتكبير والتليل والتكبير فما قربوا منهم حتي اظهرت جيوش العدو بشانهم المعروفة فحينئذ فطن الناس للمكيدة وحاولوا ان يتداركوا امرهم فقاتلهم ما املوه ودافعوا ساعة زمانية ثم تكاثرت عليهم جيوش العدو وانتشرت على منازل الزمالة ودائرتها يقتلون وينهبون وينعلون النعائل الشذعة التي ينعلها العدو بعدوه اذا هو غلبه وملك قياده ولم يجد من يدافعه عنه وتفرق الناس شذر مذر في الشعاب وشعب الجبال وبالجملة فانها كانت من اعظم الوقائع التي لا تؤذي البارة تفصيلها ولا يدرك اللسان تحصيلها قال بعض المؤرخين ولذلك رسمها بعض مصوري فرانساً وقد نظرت صورتها في سراي فرساي ثم ان العدو استولى على اشيائه نفيسة واموال جسيمة احنوت على صنوف وانواع من الجواهر التي يكل عن وصفها اللسان وخزائن كلية وآلات حرية ومكتبة الامير قيمتها خمسة آلاف ليرة واللمحة نجوهرية وحلي نجوهر كانت ملك فرنسا اهداه اليه ولوفور الاموال وكثرتها اقسمت عساكر العدو الذهب والنفضة بالبرانيط واسر من المسلمين ثلاثة آلاف نفس كان فيهم عاال الخليفة السيد محمد بن علال وكتيبه السيد محمد الخروبي والسيد قدور بن الرويله هذا ما كان من امر الزمالة ودائرتها واما ما كان من امر الامير فانه ما نزل مقيماً في احراش السرسو حتي اخبره من فر من اهل الزمالة بما جرى عليها فاثرب فيه ذلك الخبر والحق به التأسف والكدر وفكر في تلك الثقبات الغريبة وصرف الناس واعتزل وبانصلاة والدعاء اشتغل وشاع الامر بين جيوشه فما منهم الا من تاوه وتحسر وتني ان يكون في تلك الواقعة حاضراً ليشفي عليل فواءه ويطفي اواره ثم ان قواد العسكر اجتمعوا الى الامير وهم باهتون حائرون لان عيالهم واموالهم استولى عليها العدو فخرج عليهم من خيمته فازدحموا عليه وحدثت ابدارهم اليه ولم يستطع احد منهم ان يبداه بكلام او يصحح بمرام ثم اتسهم وابتسم في وجوههم وقوى قلوبهم ولسان حاله ينشد وما نبالي اذا ارواحنا سلمت بما فقدناه من مال ومن نسب

فاللئال مكتسب والجاء مرتجع اذا النفوس وقاها الله من عذاب
وبعد ان هدأت قلوبهم وسكن اضطرابهم قال لهم سبحانه الله كل شيء كنا نحبه
وتعلقت افكارنا به كان يعوق حركتنا ويقف في صدورنا عن الوصول الى مطاوبنا والآن
صرنا احراراً متجردين لا شغل لنا الا مقارعة الاعداء ومصارعتهم ثم التفت الى بعض
الاعيان وكانت شدة الحزن اخذت منه مأخذها وقال له على اي شيء تحزن ما فقدناه
من الرجال فنحن نعلم انهم شهداء وهم الآن في الفردوس الاعلى واما الاموال فسيحلها
عليها الكريم الوهاب على ان هذا الخبر لم يبلغنا الا بعد وقوعه بثلاثة ايام وقد فات تداركه
ولو كنا حاضرين لحاربنا عن نساءنا واولادنا واموالنا ودافعنا الاعداء عنهم وأربنا
الترنيس ما لم يكن في حسابهم وامضينا عليهم يوماً سهوياً ولكن لا مفر من القدر وحكم
الله لا بد من نفوذه وهذا الامر الذي وقع بنا مدخول عليه منتظر الوقوع منذ دخل
العدو بلادنا ثم كتب الى خلفائه يخبرهم بما وقع وقال لهم حيث ان الله تعالى انقذ امره
في الزمالة ينبغي لنا ان لا نجبن بل نكون من الآن فصاعداً اشد ما كنا عليه من قوة
القلوب وكثرة الاستعداد للحرب ثم اخذ في النظر فيما تصالح به اموره ويرد قوة جيوشه
فصار يشن الغارات ويقرع الكنائس وينزل بن خاتنه من قبائل العرب والبربر انواع
البلاء والمصائب بعد ان ضم اليه خليفته السيد محمد بن علال بمن معه من الجنود وقد
انزل على الفرنساويين في هذه المدة ما فيه عبرة للمعتبرين واحل بهم من الويل ما تركهم
في حيرة ثم جمعوا جيوشهم واكملوا استعدادهم وتجهيئوا لتجديد الحروب

﴿ ذكر مهلك مصطفى اغا ابن اسماعيل رئيس قبيلة الدوائر ﴾

لما حل بالزمالة ما حل اجتمع فلأها بالقرب من موضع الواقعة وتلاحق بها من كان
اخذه الفرار الى الجهات فاتصل خبرها بالجنرال لامورسير وهو في نواحي تاكدمت
فجهز فرقة من جيشه وجعل امرها انظر المنتصر مصطفى اغا ابن اسماعيل رئيس قبيلة
الدوائر فسار الى الزمالة فلما بلغ الخبر الى اهلها ارتحلوا وساروا على سمتهم الى جهة الصحراء
فلحق ابن اسماعيل بمؤخرها وانتشب الحرب بينه وبين المسلمين ولما كانت جيوشه اكثر
واقوى انهزم المسلمون بين ايدي الاعداء فاشتقوا فيهم قتلاً واسراً ورجعوا فلقبهم جيش
الامير ووقع القتال بينهم والتهبت نيران الحرب فانهمزم الاعداء ولوا الادبار فلاحقهم
المسلمون يقتلون ويأسرون ويسلبون وكان فيمن قتل وشفا المسلمون منه انفسهم الرئيس
ابن اسماعيل وكان قتله سبباً في الهزيمة ووقف عليه بعض المجاهدين فوجده يختبئ في دمه

فاجهز عليه وقطع راسه واستمر العدو على هزيمته الى ان ابعد المفز واما المسلمون فانهم
رجعوا الى الامير بالاسارى والغنائم واعظامها واحبها اليه والى كل مسلم رأس مصطفي بن
اسماعيل قائد النتنة وموقد نارها وعين الفرنساوية واسانهم ويدهم ولما وضع الراس بين
يدي الامير نظر اليه واستعاذ بالله تعالى من غضبه وعقوبته وعندما وصل الخبر الى
الفرنسيين عظم عليهم الامر واشتد حزنهم وكدرهم على فقد اعز اصداقائهم عليهم واكبر
حلفائهم وانصارهم واشد اعوانهم على المسلمين

ذكر واقعة الجعافرة

وكان الامير قد بلغه ما اوقعه ابن اسماعيل بالزمانة قبل مهلكه فلما رجعت اليه
جيوشه ارتحل قاصداً الزمانة وهي في بلاد الاحرار في الجنوب فاقام فيها اياماً لتأنيس
اهله واولاده ثم ارتحل بها الى الجهة الغربية وانزلها في اطراف بلاد الحساسة واختار من
جنده خمسمائة فارس وستائة من العسكر المنظم المشاة وشرزمة من المتطوعة وسار قاصداً
نواحي معسكر فطار الخبر الى الامير لاي جرى في معسكر فجمع جيوشه وزحف بها
اليه وفي طريقه لقيه الجنرال بيدو والامير لاي تاميور ومعهما الفرق التي كانت في
تلسان في الجهة الغربية ولحقت بهم الفرق التي كانت في قنطينة ووهران واخبرهم بما عزم
عليه من ملاقات الامير ومخاربه فاجابوه الى ذلك وساروا نحوه الى ان ادركوه وهو في
قلة من الجيش وقلة من الذخيرة فلم يجد بداً عن ملاقاتهم فاجتمع الفريقان واشتعلت نار
الحرب فدافعهم الامير بمن معه ثم كاثروه واحاطوا به وبأشر القتال بنفسه وابلى فيه
بلاءً حسناً حتى ان ثيابه صارت مثل الغربال من كثرة وقع الرصاص عليه وقتل فرسه
ووقع بين الصفوف فشد عليه مائة جندي من الجنود الفرنسية كانوا من قبل هربوا
اليه من معسكرهم مع ضباطهم وحسن اسلامهم ولا زالوا يدافعون عن الامير الى ان
استشهدوا عن آخرهم وانتقل الامير الى فرس آخر ولم يزل الامر يتفاقم الى ان استولى
العدو على المعسكر ونجا الامير في لمة من خيله وحال الليل بينه وبين باقي جنده فظنوا
انه قتل ولحقوا بالدائرة واشاع المرجفون انه استشهد فركبت شقيقته السيدة خديجة
واستقبلت العسكر واخذت تسليمهم عن مصيبتهم وتقوي قلوبهم وتشجعهم وقالت لهم
ان فقد شقيقي وذهب فان مدافعتكم عن الدين والوطن باق ذكرها الى آخر الامس
وهو لاء اهله واولاده في كنف الله ثم كنتم فحافظوا عليهم الى ان يظهر الله ما في غيبه
ثم قدمت لهم ضيافة وبينما الناس غارقون في بحر التأسف والتحسر اذ وردت البشائر بقدم

الامير عليهم فانقلب الحزن سروراً قال بعض المؤرخين من الفرنسيين وكان من جملة ما عثر عليه الجيش الفرنسي في المعركة سرج الامير على جواده المقتول مع مهامه

﴿ ذكر واقعة الخليفة السيد محمد بن علال ﴾

وبعد رجوع العدو الى معسكر بلغه ان الزمالة نزلت في بلاد الحسانية من الجهة الغربية وقاربت التل وكان الخليفة السيد محمد بن علال فيها فخرج تامبور من معسكر قاصداً اليها فاجفلت الى بلاد الجعافرة والنقي الخليفة وتامبور بالقرب منها واشتد الحرب بينهما واتصل اياماً عديدة وفي اليوم الاخير منها استشهد الخليفة واختل مصافه وتمكن العدو من الاستيلاء على المعسكر وقتل من المسلمين في ذلك اليوم اربعمائة نفس واسر ثلاثمائة وستون وكان الخليفة السيد محمد بن علال من الشجاعة والسياسة بمكان لا يدرك احد شأوه فيه وله وقائع وخروب مع الفرنسيين في نواحي مليانة ومتيجة وشرشال تشهد له بذلك وناهيك برجل جمع الله له بين الجياد والشهادة كما جمع له بين النسب والحسب ولما اتصل خبره بالامير جاء الى الزمالة وولي السيد قدور بن علال في مكان عمه الشهيد واصلح خلل العسكر ونظر في احوال الزمالة ثم امرها بالانتقال الى حدود المغرب الاقصى من الجهة الجنوبية فارتحل بها الموكلون بشانها واقام بين معه من الجند يتنقل في المعلات ويواصل الغارة على المنتصرة وينتجز الفرص التي تمكنه من قهر العدو وشناء النفس منه قل بعض مؤرخيهم مفصلاً ما جملناه وما بلغ الامير خبر خليفته السيد محمد بن علال صعب عليه وكبير لديه وولي ابن اخيه خليفة في موضعه وهو السيد قدور بن علال ثم اخذ في التدبير لامره الخطير حيث ان اصحابه قد تبدد امرهم واكثر القبائل ارتدوا وصاروا له اعداء وبارزوه بالقتال واظهروا له صنوف العسف والاعتداء وغدت بلاده الواسعة الاطراف قريبة المأخذ لاعدائه ولا طاقة له على الدفاع عنها ومع هذا كله فانه كان على عزمه المعروف وحزمه المعلوم لم يلحقه ضعف فيها ولا نقصه شيء من دواعيها لا يبالي بالمصائب ولا ينزع من الشدائد والنوائب فجمع نحو الخمسة آلاف مقاتل واقبل يغزو بهم على القبائل والعرب المنتصرة ويذيقهم شديد النكال ويسطو على جيوش فرنسا فيوقع بهم البلاء المبين وكان يباشر القتال بنفسه ويخوض ببحر المعامع والشدائد حتى قمع بماضي عزمه كل معاند فقويت همة عسكره لذلك وخاضوا معه لظى الحروب والمهالك

﴿ ذكر واقعة سيدي يوسف ﴾

بعد انتقال الزمالة الى نواحي تخوم المغرب الاقصى عسكر الامير في الخط الفارق بين التل والتعراء في الثامن والعشرين من شعبان سنة تسع وخمسين ومائتين والثاني والعشرين من ايلول سنة ثلاث واربعين وثمانمائة ثم جرد من جيشه خمسمائة فارس ومثلها من العسكر النظامي وتقدم الى التل فاحس به بعض جواسيس لامورسير فيادر بالمسير اليه في جيوشه من غير ان يشعر به الامير حتى نزل بالقرب منه بنحو ستة فراسخ فجعل الامير العيون عليه وفي احدى الليالي نام الحرس وكان العدو سار على مهله ينسل كالسارق فما انصدع الفجر حتى وصل الى معسكر الامير وكان الامير من عادته انه يتلي الصبح ثم ينام بقصد الراحة من تعب قيام الليل فبينما هو نائم اذ سمع صراخ جيشه الفرنسي الرئيسي فقام وامر العسكر بالمدافعة وحاول ان يركب فرسه فلم يسعه الحال ولم يتمكن من ذلك فتناقم الامر واشتباك العسكر بالعسكر وبعد ساعة انكشف العدو وتمكن الامير من الركوب وصالت فرسانه صولة الاسود وهجموا على العدو فهزموه اقبج هزيمة وغنموا منه غنائم عظيمة ورجع العدو الى معسكرهم ارتحل الامير وقصد بجيوشه ارض بني عامر فوجد عندهم فرقة من عساكر الفرنسي حرساً لهم فصعدوا له ثم تقدم اليهم وصادمهم بمن معه من الفرسان والمشاة وكان في مقدمة العدو القائد بالحميدي الزائري فهجم على الامير فاخذ الامير البارودة من تايهه واقبل عليه بقوة ورماه بالرصاص فاصابه في صدره فوقع وبقيت رجله معلقة في الركب وفرسه يجره فاخذ الامير بزمامه حتى لحقه الاتباع فسلمه اليهم وكان هذا الرجل من صنائع الامير ولاه قيادة قبيلة اولاد الزاير ثم خان ودان بطاعة الفرنسي وقاد قبيلته اليهم فلما رأى بنو عمه واخوته ما حل بقائدهم قتلوا واختل مصافهم وانهزموا فانهزم لزميتهم عسكر الرئيسي الذي كان معهم وغنم الامير غنيمة عظيمة ورجع بها الى الزمالة وكانت في بلاد حيان الغرابة تجول في الخنايا ثم اجتمع امره على ان يدخل بها ارض المغرب الاقصى فسيرها امامه وبقي بعدها ردياً لها فاعترضه الجنرال لامورسير بجيوشه ووقع بينهما حروب اخذ السيف فيها حظه واشتد الامر حتى صار النساء يشجعن الرجال ويحرضن الابطال على القتال واظهر الامير وجنده من الشجاعة في ذلك اليوم والبسالة ما يعجز القلم عن وصفه واللسان عن ذكره وسقط في يد لامورسير ورجع خائباً

مقهوراً وما زال الامير حارساً للزمالة محافظاً عليها حتى ادخلها الى جبال بني زكري
ثم بلاد تكفايت قرب وجده في الجنوب الغربي ثم توغل بها الى عيون ملوك
ثم الى عين زوره قرب الاطلس الاكبر الممتد على سواحل البحر المتوسط والذي
حمل الامير على دخول بلاد المغرب الاقصى امران احدهما انه طمع في اهل البلاد
ان يقوموا معه في امر الجهاد وينجدوه بالطريف والتلاذد لما كان يبلغه عنهم من
القيام بامور الدين واتباع السنة والجماعة الثاني اطمئنان من كان يميل اليه من اهل
وطنه لوجوده في امن وحوز من العدو وربما يكون ذلك وسيلة لهم في الهجرة
اليه لما يعلمه من بغضهم للفرنسيس وتبهرهم منهم وليامن على الزمالة حتى اذا اراد الغزو
الى ارض العدو فانه يتركها في حوز حزيز ولما استقرت الزمالة في عين زوره
كتب الامير الى عبد الرحمن سلطان المغرب الاقصى يخبره بما جرى عليه من
الامور ويلج له بطلب المعونة والنجدة فكان من جملة جواب السلطان عبد الرحمن
الى الامير في كتابه . وانا نتمنى الحضور بانفسنا في غمار المسلمين ومباشرة القتال
بايدينا بين صفوف المجاهدين ولكن ما نحن فيه من قمع العتاة وكف البغاة جهاد
بل افضل من جهاد النصارى حسبنا نص على ذلك امامنا مالك رحمه الله ولو
كمل قتالهم وانتظم على الاستقامة حالهم لسرنا وايام لنصرة الدين وقمع الكفرة المعتدين
وبذلك ينال الموفقى غاية امله ونية المرء خير من عمله والسلام حرر في الخامس
عشر من ربيع الاول سنة ستين ومائتين والف

قال شرشال الانكليزي لما حصل للامير الامن على الزمالة اخذ يحرض الناس على
الجهاد ويدعوهم الى قتال اعدائه ويحمل على القبائل المنصرة ويهجم على الفرنسيين
فيما ثأروا قلوبهم رعباً ثم بداله فرحف على القبائل الخارجة عن طاعة سلطان المغرب
الاقصى منذ زمان طويل فاخضعها وكتب اليه يخبره بما اجراه ونيته في ذلك استنهاض
همته في اعانته على الجهاد فلم يرد له جواباً فعلم الامير ان هذه الوسائل لا تجديه
نفعاً فجمع ما عنده من الجند وعين منهم حامية للزمالة وسار بالباقي الى الصحراء
فاقام في ارجائها ينتقل شهوراً عديدة فلما نظر الفرنسي قلة حركات الامير وانقطاع
غزواته اعتقدوا ان شغلهم قد تم وان تردد الامير في الصحراء البعيدة عن الوطن
دليل على ضعفه فهنا المارشال ييجو نفسه وكسب لدولته يقرر بعد الوقائع الاخيرة
ان الجزائر قد غلبت وخضعت لاسيما وقد عدم الامير جنده من مشاة وفرسان
وقتل خليفته الشهير المرعب فبناء على هذا اقول بمسارة ان الحروب الخفيفة قد تهاوت

ومن المحال ان يقتحم الامير امراً ذا اهمية او يقيم شزيمة قليلة من الفرسان حرباً قوية حيث ان غبار خيله امسى كغبار شاة ضعيفة انتهى ثم بعد هذه المدة جرت محاربة عظيمة ومقتلة جسيمة بين السيد محمد بن السيد عقبة خليفة الامير في بسكرة وبين الجنرال بلراكو الذي كان يقود قيادة الجيوش الفرنسية في عمالة قسنطينة واتصلت الحروب والوقائع انماثلة بينهم اياماً وليالي بدون فطور وبعد ذلك توجه الجنرال بيبوشه الى كولو في حدود تونس فاستولى عليها

﴿ ذكر ما كتبه الخليفة السيد احمد بن سالم من جبال جرجرة ﴾

« الى الامير وما اجابه به »

الحمد لله وحده بعد الثناء والدعاء واداء واجب الاعظام والانغام فاننا معاشر عبيدكم متعطفون الى مكاتيبكم ومن المعالم ان ما تضره يدكم الشريفة يحبي النفوس منا والآمال وقد اشاع المرجفون ما لا تقدر على ذكره ودخل الشك على الناس في وجودكم الشريف واشاعوا ان والدكم تصدر المكاتبات والتحارير اللازمة باسمكم الكريم وقد بلغني ان الفرنسيين عازمون على الزحف الى بلادنا وليس عندي ثقة اكيدة بطاعة القبائل وانقيادهم الى كلمتي وان كان تاخركم عنا لظن ان الخليفة السيد محمد البركاني يساعدني وينجديني فهو مع ما هو عليه من مصادمة العدو بعيد ان يساعدني ويقوم بناصري كما انني لا قدرة عندي على مظاهرته وعلي كل حال فاننا اسالكم بالله تعالى ان تردوا لي الجواب عن هذا المكتوب بخط يدكم الشريفة . فاجابه الامير بخطه اني اطلعت على مكتوبكم تخبراً بان خبر موتي قد امتد في الشرق فاعلم ان الموت لا مفر منه ولا نعيد عنه اذ هو من قضاء الله الذي لا يرث ولا يبدل . واني احمد الله اذ لم تأت ساعتي بعد ولم يزل عندي من القوة والافتقار ما اعمل به مهاجمة اعداء ديننا فكيف في راحة ساكن البال صبوراً ومتي استقر الامر لنا دنا نتوجه الى نواحيكم انتهى . وفي هذه الايام انتهز الجنرال ييجو الفرصة لتتحم اعماله في الشرق فجهز الدوك دومال ابن الملاك في جيوش كثيرة وسيره الى نواحي بسكرة فالتقى مع الخليفة السيد محمد بن عقبة وجرت بينهما حروب عنيفة متوالية انتصر فيها العدو واستولى على بسكرة ثم بانه ووقع فيها حامية وذخائر ثم سار الى نواحي قسنطينة وكان احمد باي محمد له في جموع من العرب من نواحي الزيبان وناوشه الحرب ثم انكسر ورجع الى محل اقامته من الصحراء ولما توالى الخطب على المسلمين حارت العقول ووقفت الافكار ويثس كل من ملاقات

صاحبه في الحياة الدنيا حتى ان السيد قدور بن علاء كان في الجيلة الغربية مع الامير فكتب الى السيد احمد بن سالم وهو في محله من جبال زواوه شرقاً ان الخطوب المت بنا والمصائب انشبت اظفارها فينا فلذلك انقطع املي من اجتماع الشمل في الدنيا الا ان شاء الله والحق تعالى يظهر العجائب والخوارق . فاجابه ايها الاخ ان الشدائد لا تدوم والليالي حبالى لا يدري ما تلد واني اسأل الله تعالى ان ينصر امامنا ويؤممننا في اوطاننا ويرد علينا ما اخذ منا واعطاه لعدونا فكن ايها الاخ دائماً في كل حال ملتجئاً الى الله تعالى ولا تيأس فاني موقن باجتماعنا نحن الثلاثة مع ما نحن عليه الآن من مقاساة كثرة الاعداء وشدة الحروب . فاجابه ان ما ذكرته على حسب ما نشاهده من ضعف الحال وقلة المال والرجال غير مامول ان يكون . ثم ان الامير اخذ يتابع غزواته على البلاد ويسم اهلها بالخسف والدمار وفي اثناء ذلك حضر وفد من الخليفة ابن سالم الى الامير من الشرق فأكرم وفادتهم واطلمهم على سائر احواله وعند رجوعهم الى اوطانهم سير معهم مكتوباً الى الخليفة هذا نصه . اما بعد فاني اوصيك بتقوى الله تعالى وشكره في الشدة وكن صبوراً على المصائب فالصبر مفتاح الفرج وكن جسوراً واجمع عساكرك وعندهم برايك السيد وتحمل منهم هفواتهم ودبر امورهم حسبما يجب فان هذه الاحوال لا تدوم واني لارجو ان اكون عندكم ومن هناك تظهر لنا الجادة التي ننبعها ونسلك عليها وكتب الى جيوشه في تلك الجنات يتشوق اليهم ويمدحهم بقوله

يا ايها الريح الجنوب تحدي	مني تحية مغرم وتجملي
واقرب السلام اهيل ودي واشري	من طيب ما حملت ريح قرنفل
حلي خيام بني الكرام وخبري	اني ايت بحرقه وتبايل
جنني لقد الف السهاد لبيئكم	فلذا غدا طيب المنام بمعزل
كم ليلة قد بتها متحسراً	كبيت ارمدي في شقا وتعلمل
سهران ذو حزن تطاول ليله	فمتى ارى ليلى بوصلي ينجلي
ماذا يضر احبتي لو ارسلوا	طيف المنام يزورني يتمثل
كل الذي القاه في جنب الهوى	سهل سوى بين الحبيب الافضل
أدر الامانة يا جنوب وغايني	في جمع شملي يا نسيم الشمال
واهدي الى من بالرياض حديثهم	اذكي واحلى من عبير قرنفل
تهدي الى طرائف وظرائف	ولطائف بتعطر وتعمل
حاولت تنسي الدبر عنهم قيل لي	هـ ذا محال وبك عنه تحول

كيف التصبر عنهم وهم هم
 ايجل ريب الدهر ما عقدوا وكم
 ندمهم نفسي ونفدي ارضهم
 افدي اناسا ليس يدعى غيرهم
 يكفهم شرفا ونفرا باقيا
 قد خصهم واختصهم واختارهم
 هم بالمديح احق اكن ربما
 ان غيرهم بالمال شح وما سخي
 الباذلون نفوسهم ونفيسهم
 كم يضحك الرحمن من فعالتهم
 الصادقون الصابرون لدى الوغى
 ان غيرهم نال اللذائد مسرفا
 والد شيء عندهم لم العدا
 النازلون بكل ضحك ضيق
 لا يعرف الشكر صغير منهم
 ما منهم الا شجاع قارع
 كم نافسوا كم سارعوا كم سابقوا
 كم حاربوا كم ضاربوا كم غالبوا
 كم صابروا كم كابروا كم غادروا
 كم جاهدوا كم طاردوا وتجلدوا
 كم قاتلوا كم طاولوا كم ماحلوا
 كم ثبتوا كم بنوا كم شتوا
 كم ادجلوا كم ازعجوا كم اسرجوا
 كم شردوا كم بددوا وتعودوا
 يوم الوغى يوم المسرة عندهم
 فدماؤهم وسيوفهم مسفوحة
 لا يحزنون لهالك بل عندهم
 ما الموت بالبيض الرقاق نقيصة

ارباب عهدي بالعقود الكمل
 حات عقود بالمانا المتخيل
 ازكى المنازل يا لها من منزل
 حاشا العصابة والطاراز الاول
 حمل اللواء الهاشمي الاطول
 رب الانام لذا بغير تعمل
 ضاعت حقوق بالعدا والعذل
 جادوا ببذل النفس دون تعلل
 في حب مالكننا العظيم الاجمل
 يوم الكربة نعم فعل الكمل
 الحاملون لكل ما لم يحمل
 هم يبتغون قراع كتب الجحفل
 ودماؤهم كزلال عذب المنهل
 رغما على الاعداء بغير تهول
 ابداء ولا البلوى اذا ما يسطلي
 او بارع في كل شيء مجمل
 من سابق لفضائل وتفضل
 اقوى العداة بكثرة وتمول
 اقوى اعدائهم كعصف موكل
 للنائبات بصارم وبقول
 من جيش كفر شبه موج يعتل
 شمل الكوافر باقتحام الجحفل
 بتسارع للموت لا يتمل
 تشتت كل كشيبة بالثقل
 عند الصباح له مشوا بتلمل
 ممسوحة بثياب كل مجندل
 موت الشهادة غبطة المتمول
 والنقص عندهم بموت المهمل

يا رب انك في الجهاد اقمهم
يا رب يا رب البرايا زدهم
وافتح لهم مولاية فتحاً بيناً
يا رب يا مولاي وابقيهم قدى
وتجاوزن مولاي عن هفواتهم
يا رب واشملهم بعفو دائم
يا رب لا تترك وضعاً فيهم
متوسلاً مولاي في ذا كله
وجهت وجهي في الامور جميعها
صلى عليه الله ما سح الحيسا
والآل ما سيف سطا في الجحفل

ولما نظر ييجو اعمال الامير وتوالي غزواته على الوطن علم بانهم ان تغافلوا
عنه وبقي مستمراً على ما هو عليه لا بد ان ترجع اليه قوته الاصلية فجدح اعوانه
واملى مجلسه وقال لهم قد تعين علينا ان ننظر الى احوال الامير عبد القادر
وما هو بصدده الآن فانه اقلق اهل البلاد بتتابع غزواته عليهم من سائر الجليات
ولا يخفى ما انطوت عليه قلوب المغاربة المراكشيين من المحبة والتشيع له حتى انهم
يبدون ان يكونوا تحت طاعته وادارته لما راوه من اتباعه الشريعة الاسلامية وشاهدوه
من حسن سياسته معهم التي تركت قوافلهم تسافر من فاس ومراكش الى الاقطار
الجنوبية والشرقية في غاية الامن والسكون بعد ان كنت قل ان تسلم والذي
زادهم رغبة في طاعته ما كانوا يستمعونه عنه من حسن سيرته مع رعاياه فانه كان
لا يقرر عليهم خريبة ولا يجعل عليهم خراجاً وانما كان ياخذ من اموالهم ما امرت
به شريعتهم الاسلامية فاجابه اهل المجلس لا بد من الاستئذان من الدولة فكتب
الى دولته فبعثت الى سلطان مراكش عبد الرحمن بن هشام وعرفته بما يلزم اجراؤه
في هذا الشأن فاجابها ان بلاد الريف قد خرجت من يدي ودخلت في طاعة
الامير عبد القادر فلا يمكنني اجراء شيء من مغالبكم فكان هذا هو الداعي الاكبر
لفتح باب الخلاف بين سلطان مراكش ودولة فرنسا وجيز ييجو جيشاً كثيفاً لنظر
الجنرال لامورسير والجنرال بيدو وامرهما بالنزول في تخوم مملكة مراكش في محل
يعرف بقم السيدة مغنية في شمال تلمسان وهذه السيدة كانت من العابدات دفنت
هناك وكان مقامها معظماً عند اهل تلك النواحي فعمدت جيوش فرنسا الى هدم

مقامها وابنداله فوصل الخبر الى حاكم وجده من قبل سلطان مراکش وشاع في المغرب الاقصى فحصل من ذلك الميخان ووقع سلطانهم بين امرين خطيرين اما الخوض في تيار الحروب واما انتفاض الرعايا عليه لما حصل لهم من الاضطراب لاهانة ذلك المقام المحترم فبعث الى عامله علي وجده علي بن الكناوي ان يخاطب الفرنسيين في هذا الامر ويشير عليهم بالارتحال من مقام السيدة مغنية فلما بلغهم رسول العامل استهزاءوا به وازدروه ولما وصلت جيوش المغرب الاقصى وجموعه الى وجده زحف بهم ابن الكناوي الى المعسكر الفرنسي والتقى الجمعان واضطربت نار الحرب بينهما فكانت الدبرة فيها على ابن الكناوي وجموعه فانهمزوا هزيمة تفرقوا منها شذر مذر واستولت عساكر الفرنسيين على جميع اثقالهم وذخائرهم وهذه اول واقعة وقعت بين سلطان مراکش وفرنسا

﴿ ذكر خروج ييجو من الجزائر الى جبال زواوة ﴾

لما بعث الجنرال ييجو لامورسير ويبدو الى الجهة الغربية في الجيوش استكمل تعبئته وخرج الى جبال زواوة فلقية الخليفة السيد احمد بن سالم في جموع المسلمين بارض فليسة وجرت بينهما حروب شديدة ووقائع متتابعة احتاج فيها ييجو الى النجدة فانجده دولته بالجند والذخائر وقوي على المسلمين وكسره واحرق اربعين قرية ثم دان ابن زامون احد رؤساء القبائل بطاعة الفرنسيين فلما رأى الخليفة ذلك ترفع بجيوشه الى جبال اخرى ورجع ييجو الى الجزائر

﴿ ذكر مسير ييجو الى الجهة الغربية وما جرى بينه وبين ﴾

﴿ حاكم وجدة ابن الكناوي ﴾

بعد ان رجع ييجو من بلاد زواوة الى الجزائر توجه في المراكب الى وهران ثم سار الى مقام السيدة مغنية ولاول وصوله اليه دعا حاكم وجده للمخاطبة في اتفاق الكلمة فاجابه الى ذلك مع عدم اركان كل منهما الى الآخر ولما تقاربا تقدم ابن الكناوي في لمة من خيله نحو الجيش الفرنسي في صورة سلمية فامر الجنرال ييجو الجنرال يبدو بمقابلته فلقية في شرذمة من خياله وبينما هما يتحادثان اذ هجمت فرقة من جيش ابن الكناوي على جناح الجيش الفرنسي وابتداء وهم بالقتال خوفاً من ان يؤول امر المخاطبة الى الصلح وعند ذلك وقع بين الفريقين حرب شديدة كانت الدبرة فيها على جيوش ابن الكناوي فانهمزوا الى وجده . قال

بعض مؤرخي الافرنج وقد اندهل ييجو من تلك الاعمال الدالة على الخيانة وعزم على الاستيلاء على مدينة وجدة فكتب الى ابن الكناوي يستوضحه السبب الباعث على ما وقع فاجابه يعتذر اليه ويعترف بذنب جيشه ويتصل من عهدة ما وقع فكتب اليه ييجو ان جل المقصود الالم هو امر الامير عبد القادر وتحديد الحدود التي كانت بينكم وبين حكومة الاتراك الجزائرية وايس مقصودنا ما يخص بكم من البلاد واننا نلح عليكم ان لا تقبلوا اقامة عبد القادر في بلادكم وان لا تساعدوه علينا فان قبولكم لاقامته في ارضكم نعدده حرباً لنا وعداوة لا صداقة وبالجملة فالذي تريده دولة فرنسا منكم ان تخرجوا عبد القادر من بلادكم الى الجنوب الغربي هذا اذا لم تقدرُوا على ان تشتتوا شمل جيوشه وتريد منكم ايضاً ان لا تقبلوا من ينتقل الي بلادكم من رعاياها فان اجبتم الى هذه الامور فنحن نرتبط معكم ونجري الصداقة بين امتين مختلفتين وبها نفاظ على شرف السلطان عبد الرحمن وان انتم لم تفعلوا ذلك فنحن اعداء لكم ولا بد ان تردوا الجواب سريعاً . قال المؤرخ فلم تجد هذه المخابرة نفعا ولذلك هجم ييجو على وجدة فدخلها بعد ان فر اهله وتفارقوا في الجبلات قال شرشل ثم ان دولة فرنسا لم تكتف بهذا حتى ارسات مراكبها الحربية الى طنجة فاطلقت عليها نار مدافعها وهدمت قلاعها ونشأ عن ذلك ديجان في فاس عاصمة سلطان . راکش وفي الوقت جيز السلطان ابنه ولي عهده محمداً في عشرين الف من الجند فارسل اليه الامير عبد القادر يحذره من مقارعة الفرنسيس وحربهم فلم يقنعه ذلك اعتماداً على كثرة جيوشه واستمر سائراً الى وادي ايسلي بالقرب من وجدة فزيفت العساكر الفرنسية الى معسكر ابن السلطان في محله من ايسلي واشتبك الفريقان على النهر واشتعلت نيران الحرب وفي آخر النهار انكسر ابن السلطان وجيوشه ومنحوا اكتافهم للعدو فعمل فيهم السيف اعماله واستولى الفرنسيس على سائر المعسكر بما فيه من اموال وذخائر ومؤون وكراع وعلى اثني عشر مدفعاً وخيمة ابن السلطان وشمسيته وآب المغاربة بها شغواء الى آخر الدهر وهذه آخر وقائعهم مع الفرنسيس ولم ينتصروا في واحدة منها ومن غريب الاتفاق ان في هذا النهار اطلق البرنس ديجو نوفيل الاميرال مدافعه على الصورة وخرب اسوارها فكانت الغلبة على جيوش المغاربة برآ وبحراً في يوم واحد قال بعض المؤرخين وبهذه الواقعة تلقب ييجو دوك دي ايسلي ثم قال واشتغل لذلك شان سلطان المغرب الاقصى واجمع على المصالحة فالتسها من القائد العام فاجابه

الى ذلك على هذه الشروط (الاول) شرعة ارتحال العساكر المراكشية من
وجدة وما اليها في الحدود (الثاني) اجراء القصاص على الذين تعدوا الحدود
الفرنساوية (الثالث) اخراج الامير عبد النادر من البلاد وان بقي فيها فلا يحصل
له اسعاف من حكومة مراكش (الرابع) ان يصير تعيين حدود فاصلة بين حكومة
فرنسا وحكومة مراكش فقبل سلطان مراكش هذه الشروط ونقرر الصلح ولما شاع
هذا الامر في نواحي المغرب الاقصى وسارت الركبان بها وقع لجيوشهم وجمعهم
مع الفرنسيين كبر عندهم ذلك ونسبوا المعرة فيه الى سلطانهم وقواد الجيوش
وكثر القيل والقال واتفق اكثر القبائل على الانتقاض على السلطان واعطاء
الطاعة الى الامير لما كانوا يسمعون عنه من الاقدام والشجاعة والقيام بامور الجهاد على
ما ينبغي من اعظم الملوك فكاتبوه في ذلك فلم يقبله منهم وقال اني دخلت بلاد السلطان
لا لاكون ضده او لناخذ منه ملكه فهذا مما لا يقول به عاقل قال بعضهم ومن هنا
يتبين ان الامير كان مقصوده فيما يعاينه من قتال الفرنسيين مقصوداً على الذب عن
الدين والوطن لا تجرد الملك ولو كان كذلك لقبيل من رعايا سلطان المغرب ما نذبوه
اليه ولظفر به في اقرب وقت من غير كلفة وقال آخر ما كان الامير في جميع
ما تكبده من المشاق ومعاناة الحروب الاحبا في نصرة الدين واثقاظ وطنه من يد الاعداء
ولا بذل نفسه وماله وحوله وقوته ولا صبر على تلك الالهوال التي يعجز عنها اكبر
سلطان في العالم الا لاعلاء كلمة الله واثقاظ وطنه فتحمل لذلك من الامور التي تقصم
الظهور وتذكك الجبال وباع نفسه في رضى الله تعالى وحب وطنه بيع سماح قال شرشل
الانكليزي قد آل امر بعض من كان الامير يومئذ مساعديهم الى ان صاروا اكبر
الاعداء له وعخذوا اعداءه ونصروهم عليه وحاربوه معهم واعانوه في ذلك بالمال والرجال
فكيف يقبل بعد هذا قول القائلين او يجيب دعوة الداعين ولما احس سلطان المغرب
بما وقع من رعاياه من الاضطراب والتذمر منه ومن رجال دولته كتب الى الامير
يختبر ما عنده ويسبر نيته فيما طلب اليه ويستميله اليه واكد عليه في زيارته في فاس
ظناً منه انه ينخدع له او هو ممن يحمل مكره وغشه فاجابه ان الجيش منعه من الاجابة
الى ما طلبه منه واقبل على بعث الغزوات والسرايا على الوطن ووصلت جيوشه الى بالعباس
من بلاد بني عامر فاهتز المغرب الاوسط باهله واشرابت نفوس المرتدين الى التوبة من
الردة وارجاع الطاعة والخضوع للامير واسبق الناس في هذا بنو عامر واتبعهم نجاورهم
واظهروا للفرنسيين العداوة فاضطربت حكاهم الجزائر ووهران لهذا الامر وبذلوا وسعهم في

منع الناس من الخروج من بلادهم وجعلوا عليهم العيون فارتحل الكثير من بني عامر ولحقوا بدائرة الامير في وادي ملوية فيما وراء جبل بني يزنا سن غرباً قال المؤرخ روا واقام الامير يتابع الغزوات على بلاد الجزائر من اول الشتاء الى اواخر فصل الربيع وتوغلت بعوثة وغوازيه الى تيارت وتاكدمت وتلك النواحي فاضطرب الحكم الفرنسيون لذلك وكانوا سلطان مراكش في هذا الامر فارسل الى الامير يامره بالخروج من الحدود ولما وصل اليه الرسول بذلك وتحقق ان الامير لا نية له الا في الجهاد وتاديب رعاياه الذين تركوه واتبعوا دولة فرنسا وافق الامير على قصده واخبره بهاله في قلوب اهل المغرب الاقصى من الميل والمحبة وحسن الاعتقاد ثم ان الامير ارسل رساله تترى على القبائل يدعوهم الى القيام بوظيفة الجهاد المفروضة عليهم فاجابه الى ذلك خلق كثير واطهروا الخروج عن طاعة الفرنسيين ونادوا بطاعة سلطانهم تملصاً مما لحقهم منهم من المظالم والتكاليف الشاقة وبينما الناس على ذلك اذ ظهر محمد بن عبد الله المعروف بابي معزة في نواحي شلف داعياً الى نفسه مدعياً انه محمد بن عبد الله المهدي المنتظر وطفق يدعو الناس الى الجهاد ويحثهم عليه نحو سنة ودخل الناس في طاعته لامور شعوبية كان يظهرها لهم ووقع بينه وبين الفرنسيين عدة حروب انتصر فيها فايد له ذلك دعواه ثم انهم رجعوا الكرة عليه وشتتوا شمله وفرقوا جموعه وفر ناجياً بنفسه الى نواحي الصحراء قال بعض المؤرخين ومن اين لمثل هذا الرجل المدعي ان يجوز بعضاً من الصفات التي امتاز بها الامير عبد القادر من حسن الادارة وعلو الهمة وقوة الفروسية والنشاط في الحروب والحزم والعزم في ادراك الامور لاسيما في الوقائع الشديدة الطويلة المدا التي كادت تضعف بها قوة اعظم امة على وجه الارض في هذا العصر

﴿ ذكر وقعة الغزوات ﴾

وفي الحادي عشر من شوال سنة ثلاث وستين ومائتين والحادي والعشرين من سبتمبر سنة سبع واربعين وثمانمائة سار الامير من الدائرة وكانت بوادي تافنا قاصداً الى الغزوات وهي مرسى صغير في الحدود وارسل في مقدمته بعض رؤساء جيشه فلم يهجم احد المرتدين واخبر القائمقام الفرنسي دي مونتانيال فجمع جيوشه وقدم امامه بطليعة ثم خرج بعساكره وسار الى الامير فالتقى الحرس بطليعة العدو فاوقعوا بها ثم زحفت الجيوش الاسلامية والفرنساوية والتقى الفريقان عند تل قرب الغزوات واشتد القتال بينهما والتجعت الجيوش الاسلامية بجيوش العدو وخالطوهم فتركوهم

حصيداً واذاقوهم كأس الدمار والبوار ولم يفلت منهم سوى ثمانين جندياً التجأوا الى مزار كان قريباً منهم واغلقوا بابه عليهم فاتبعهم المسلمون واحاطوا بهم وقتلوا منهم نحو السبعين والباقيون سلموا انفسهم فقادوهم اسرى وفي هذه الواقعة اصيب الامير برصاصة مسحت طرفاً من اذنه اليمنى ولما احس بها نزل وصلى ركعتين شكراً لله تعالى على ما لحقه في سبيل الله وهذا اول جرح اصابه في الجهاد قال لي رضي الله عنه ان الذين كانوا معي ايام الجهاد يظنون اني كنت حاملاً حجباً لحفظ من رصاص العدو لما يرون من تأثيره في برسي وعدم وصوله الى جسدي مع اني لم استعمل ذلك قط وانما كنت احفظ نفسي بالتعاون الواردة في السنة فقط قال تعالى فانه خير حافظاً وقال لي ايضاً ان العسكر الفرنسي اذا انكسر يحصل له تلاشي ويختل نظامه وترتيبه ولا يلتفت لاوامر قواده لا سيما الخيالة فانهم اذا فروا لا يردون الكرة ابداً

﴿ ذكر وقعة تموشنت ﴾

وبعد فراغ الامير من وقعة الغزوات توجه بجيوشه الى بلاد بني عامر فالتقى بفرقة من الجيش الفرنسي معها معلمات حربية قاصدة بها تلبسان فلما تراءت لما الجيوش الاسلامية رفعت علامة التسليم فتقدم اليهم الامير في لمة من خيله فاستأمنوا له وانقوا اليه سلاحهم بدون قتال وكانت تلك الفرقة يزيد عددها على ستمائة جندي وكانت المعلمات الحربية كثيرة وافرة فانتشرت هذه الاخبار في سائر الاقطار المغربية وخفقت لها قلوب الفرنسيين والمرتدين وكذب الامير الى خلفائه في الجيوش الشرقية يخبرهم بما اسنى الله له من الفتح والنصر ويعدهم بالمسير الى نواحيهم وهذا نص ما كتبه الى بعض خلفائه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده من ناصر الدين عبدالقادر ابن محيي الدين الى خليفتنا حفظه الله ومكن سيوفه من رقاب عداه اما بعد فاني احمد الله على نصرة الدين اقوم وشريعة نبيه عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين افضل الصلاة واتم التسليم واخبركم بما احببنا الله به من النصر المبين في جوامع الغزوات وما ذاقته الجيوش الفرنسية من الوبال والبلديات فاننا قد حصدناهم في هذه الواقعة حصداً واذقناهم كأس الذنا والردا ولم ينبج منهم احد والذي نامركم به ونوء كد عليكم فيه ان تجمعوا جيوشكم وتنفقوا امورهم وتندفعوا على العدو في نواحيكم وانهاكم عن

تخريب الديار فان ذلك مما يؤذي اهلها ويكون سبباً في تاخرهم عن الطاعة ثم ابشركم بعد ان فرغنا من قضية الغزوات دخلنا بلاد بني عامر فالتقينا بنحو الستمائة جندي من جنود الفرنسيين معهم مهمات حربية ولاول ما رأونا رفعوا اشارة التسليم وتقدم قوادهم الينا في طلب الامان فامانهم وسلحوا لنا سلاحهم وجميع ما كان معهم واستولينا على الكل من غير قتال فكانت هذه النصرة نافلة على الانتصار العظيم في الغزوات ناله تعالى ان يمدنا بتأييده ويصلح العباد والبلاد والسلام عليكم وعلى من حواه نادبكم ورحمة الله وبركاته ولما بلغ الفرنسيون هذه الاخبار تكدر عيشهم واحسوا برجوع الكرة عليهم وعلموا انهم صاروا في خطر عظيم حيث انهم فقدوا ثمة خمس سنين في بضع ساعات واجتمع مجلسهم في الجزائر فاتفقوا على ان يرفعوا هذه الاخبار وما آلت اليه الحال الى دولتهم فحرروا وطلبوا النجدة والامدادات والحواء عليها في ارجاع المارشال ييجو الى الجزائر في اسرع وقت ولما اتصل ذلك بدولتهم هالها الامر وعظم عندها فعزلت المارشال فالاً من الجزائر وعينت مكانه المارشال ييجو وامرته بسرعة السفر وجيزت معه مائة الف من العساكر وما يلزمها من الذخائر والمهمات كذا نقل شرشل الانكليزي في تاريخه واما الامير فانه جمع جيوشه ودخل الى الساحل وجعل يتنقل فيه يميناً وشمالاً والقبائل تراجع الطاعة وتلوذ بها وتقدم اعذارها فيقبل ويعفو ويصفح ثم بلغ الخبر الجنرال لامورسير وهو في الجزائر فركب البحر في جيش كثيف الى وهران وتوجه الى تلسان فاجتمع بكافنيك وخرجوا الى الحدود المراكشية يطالبون الدائرة اياخذوا منها التار وكان رئيس حامية الدائرة بلغه خبرهما فارتحل بالدائرة الى الاطلس في الجهة الشمالية من الريف ثم عدل كافنيك الى جهة الصحراء فاغار على اولاد سيدي يحيى فحصل على عشيرة منهم وكانوا لما راوا الجيش دخلوا في غار قريب منهم يعرف بغار العقبة البيضاء وكانوا نحو الخمسمائة نفس بين رجال ونساء واطفال فجمع جيش الفرنسيين الحطب والتبن على فم الغار واخبروه نارا فدخل الدخان الى داخل الغار فاخنق به كل من كان داخله وحسب الجنرال انه اخذ التار بهذا القصاص المشين بالانسانية والمشعر بفقد الشقة والرحمة والحية واستمر الامير في جهات معسكر يحول فيها بجيوشه والقبائل تتوارد عليه لائذة بطاعته ولما رأى حاكم معسكر ان جميع القبائل التي كانت قدمت لأم الطاعة قد تركتهم ودخلت في يد الامير اهتز لذلك وجمع ما عنده من العسكر وخرج يطلب الامير فلقبه وجرت بينهما حروب شديدة واستمرت اياماً كثيرة ثم انكسر

حاكم معسكر ورجع اليها بخسارة جسيمة وأمسك العساكر الفرنسية محصورة من جميع الجهات واضطرب الوطن بأهله واشتد الميخان في نواحيه وأدمن الأمير على الغارات وبعث البعث والغوازي فلا يخلو يوم من هجوم عساكره على الجهات قال بعض مؤرخي الأفرنج قد اضطربت القبائل والفرنساويون لسرعة الأمير وتعاقب ظهوره وخفائه وحضوره وغيبته مع الأيام لأنه جعل دابه سرعة الحضور في سائر المقاطعات وأهاجة روح الحصار في كل المحلات فشباب حضوره السريع جعل الفرنسيين في حالة اضطراب وخيبة ظن وبذلك ثارت المنازعات واشتدت الحركات حتى أن الأمير في اليوم الواحد يظهر في غدوته في مكان وفي عشيته وروحه يظهر في آخر بعيد المسافة عن الأول حتى أنهم سموه أبا ليلة وأبا نهار ومن حركاته أنه سار في ستة آلاف من الفرسان إلى تالكمت ومنها إلى وادي شلف فبلغه أن أولاد شعيب وهم قبيلة عظيمة كثيرة البطون والعشائر عازمة على الاتحاد مع الفرنسيين فعدل في طريقه عن التوجه إلى وجهته التي كان قاصداً إليها وسار إليهم ثم هجم عليهم وكنوا في خمسة آلاف فارس فأخذهم أخذ عزيز مقتدر وألقى القبض على رؤسائهم ومشايخهم وأخذ جميع أموالهم ومواشيهم وغنم ما عندهم من الاثاث والامتعة

ذكر أبي معزة الثائر وما آل إليه امره

أصله من أولاد خويدم في جبة وادي شلف ادعى أنه المهدي المنتظر وسبب هذه الدعوى الكاذبة أنه جاء إلى قبيلة سنجاس فوجدهم مغاضبين لرئيسهم فزين لهم ما أضروه من قتله وقوى بطائرهم وقال لهم أن هذا كافر بالله تعالى وهو الذي أدخل الفرنسيين إلى بلادكم وقادكم إلى طاعتهم فاستحسنوا ما دلم عليه وبيتوا رئيسهم وقتلوه ثم جمع كلمتهم وغزى بهم فرقة من جيوش الفرنسيين كانت نخيمة في وادي الفضة قريبة من وادي شلف فأنصر عليها وغنم ما عندها من الذخائر وأتخن فيها قتلاً وأسرا ثم أخبرهم أنه المهدي المنتظر وأن سلاح العدو وحصاه لا يعمل فيه ولا في جموعه ودعاهم إلى بذل الطاعة له فاطاعوه ثم أن الفرنسيين تجمعوا له وكسروه وفر بنفسه حارباً وما زال يحول في تلك الجبال ينقل فيها من جبل إلى جبل ويدعو الناس إليه فلا يجيبه إلا الأوغاد منهم إلى أن غدرت قبيلة صبيح بسايجي قائد الفرقة الحامية بتلك الجهة فقتلوه وقتلوا أصحابه معه فانهز

ابو معزة الفرصة وآوى اليهم وقرر في عقولهم انه يقوم بامرهم ويحمي حواتهم من عدوهم فهاجت العشائر والقبائل ونادى مناديتهم بالجناد فارسل حاكم الجزائر القومندار موريلون في جيش كثير الى قبيلة صبيح لينتقم منها وياخذ بثار الحاكم واصحابه فزحفوا اليه مع ابي معزة فلما التقى الجمعان وانتشب القتال انهزموا وفر رئيسهم ابو معزة فلم يلو على احد وسكن الجبال الى ان لحق بالامير مع اهله واولاده

﴿ ذكر اعمال الجنرال ويجو بعد رجوعه الى الجزائر في المرة الاخيرة وما آل اليه الامر ﴾

وبعد ان وصل ويجو الى الجزائر وتلاحقت به العساكر من فرنسا وعددها مائة الف جندي جمع مجلسه الحربي للمفاوضة فيما هم يصدده نقر الزرار على اظهار الشدة والحزم وان هذه الجنود مع ما كان موجوداً في الجزائر وملحقاتها من العسكر تنقسم الى اربعة اقسام وتزحف دفعة واحدة على الداخلية كل قسم مما يليه وتعين لامورسير على القسم الاول ويبدو على الثاني ويوسف المنتصر العنابي على الثالث وانقسم الرابع يرأسه ويجو بنفسه ثم خرجوا جميعاً وفي ذلك الوقت كان الامير في جنوبي ايبالة وهران فقصده لامورسير وطير الخبر الى ويجو ويوسف يخبرهم به لانهم تواعدوا على ان يجتمعوا عليه ويحولوا بينه وبين الصحراء قال بعض مؤرخيهم ولشدة عزمه وقوة حزمه وسرعة حركاته كان يوجد في المكان المعين ثم ينقذ منه في اقرب وقت فلذا تركهم يجولون عدة اسابيع في نواحي شلف بدون طائل ثم بعد عناء وشدة اجتماع به ويجو ويوسف بجيوشهما في ابي الشطوط من بلاد اولاد شريف فوقع بينه وبينهما قتال شديد على وادي رهيو فقصدت فرقة من العدو الى مركزه فالجاته الى الوادي فشد على فرسه فارتمى به الى العدو الاخرى وكانت المسافة بين العدوتين في تجرى النهر نحو الثلاثين ذراعاً هاشمياً ولم ياحقه انزعاج ولا لحق الفرس ضرر فاعدها الناس من اعظم خرق العوائد وفي آخر القتال انتصر على العدو مع كثرتهم وغنم منه نحو الخمسين فرساً ثم سار الى فليته وينجو يتاثره ثم ارتد عنه لياسه من الحاق به فلقية يوسف في كوجيلة في جيبته وكان الامير في نحو التي فارس فاستجر له ليريه انه انكسر امامه ثم رد الكرة عليه ففرق شمل تلك الجيوش الكثيرة وبدد كتائبها وتحيز يوسف في ناحية من نخل المعركة فقصده الامير ليارزه فهرب وكانت اليوم شديد المطر والرياح فلم يتمكن منه ولولا ذلك لآخذه اسيراً او اصماه بسيفه واعدمه الحياة ونعم الحارس الاجل وفي تلك

الليلة سار الامير من محل المعمعة غازیاً على قبيلة صدامة في وادي العبد غير ملتفت الى
 ييجو ولا الى لامورسير مع قريهما من بلاد صدامة ثم غزی قبيلة الاحرار فاكتسح
 من لحقه منها ثم توجه الى الجهة الشرقية فلاذت كافة قبائلها بطاعته ولم يزل ينتقل الى
 ان وصل الى جبال زاوة واحتل بجبل جرجرة وفيها التقى بخليفته السيد احمد بن سالم
 وفي اثناء مسيره الى تلك النواحي بلغه قرب العدو منه فخشي منه ان يتعرض له في طريقه
 فاغز السير وقطع مسافة اربعة مراحل في ليلة واحدة وكان كلما وصل الى قوم ركبوا
 معه الى قوم آخرين الى ان وصل الى جرجرة ولذلك سمي بابي ليلة وبعد ان اخذ الراحة
 في تلك الجهة غزا بني هيدورة من القبائل الذين دانوا بطاعة الفرنسيس ومنزلهم بشرق
 المدينة ثم اجتمعت عليه قبائل زاوة وكانوا مستعدين للجهاد تحت رايته فانتخب منهم
 نحو خمسة آلاف فارس وغزا بهم نحو متيجة فاكتسح الاموال وفعل في تلك
 النواحي النعائل وهرب الفرنسيون امامه الى مدينة الجزائر واستمر على فعله الى ان
 وصل قرب المدينة كل ذلك وجيوش الفرنسيس تطايه في ايلة وهران وايلة مليانة
 وبينما هم كذلك بلغتهم اخباره وفككته في بلاد متيجة وانحاء الجزائر فنعجبوا من امره
 وارتاعوا من بطشه وبعد ان بلغ مراده من غزاته تلك وامتلأت ايدي جيوشه بالغنائم
 رجع الى جرجرة ومنها ارتحل الى الجهة الشمالية ونزل بارض فليسة من قبائل زاوة
 بالقرب من دلس وتبتعد عن مدينة الجزائر بمرحلة وصار يشن الغارات المتتابعة على
 سهول متيجة وقد مضى له اكثر من سنة بعيداً عن اهله فكتبت متشوقاً اليه متعطشاً
 للقاءه فاجابني بقوله .

بني لئن دعاك الشوق يوماً	وحنت للقا منا انقلوب
ورمت بان تنال منا ووصلا	يصح بعيدة القلب الكئيب
فاني منك اولى باشتياق	وناري في الفؤاد لها لبيب
وان اخفي اشتياقي في فؤادي	فان الشوق يكنده الاريب

✽ وقال ينتخر بنفسه ويجيشه ✽

لنا في كل مكرمة نجال	ومن فوق السماء لنا رجال
ركبنا للمكادم كل هول	وخضنا البحر لها زجال
اذا عنها تواني الغير عجزاً	فنحن الراحلون لها عجال
سوانا ليس بالمقصود لما	ينادي المستغيث الا تعالوا

وافظ الناس ليس له مسمى
لنا الفخر العميم بكل عصر
رفعنا ثوبنا عن كل لوم
ولو ندري بآء المزن يزري
ذرى ذا الجد حقا قد تعالى
فلا جزع ولا هلع مشين
ونعلم ان جنة السفهاء حقا
ورثنا سوؤددا للعرب يبقى
فبالجد القديم علت قريش
وكان لنا دوام الدهر ذكر
ومنا لم يزل في كل عصر
لقد شادوا الموءس من قديم
لهم هم سمت فوق الثرى
لهم لسن العلوم لما احتجاج
سأوا عنا القرائس تخبرنكم
فكم لي فيهمو من يوم حرب

ومما وجدته مقيدا بخط السيد قدور بن رويله كتب الامير قال ولما بلغ سيدي
وسندي ومولاي الامير عبد انقاد ابن سيدنا يحيى الدين نصره الله اني وصلت المدينة
المثورة كاتبي وهتاني بهذه الايات

اخني نلت الذي قد كنت تطالبه
وساعدتك الليالي لا شقيت قدم
قد طاب في طيبة الغرام مقامكم
يا هل ترى مثما فزتم افوز وهل
وفزت دني بآ ترجو وترغبه
قرير عين بوصل است تسابه
جوار محبوبنا من كنت ترقبه
تعلمو سعودي على نخسي ثقلابه

ثم انه نصره الله ذكر لي ايات ابن المبارك المروزي للفضيل بن عياض كني بهما
نصره الله عن امره لي بالقدوم الى حضرته العلية وكان حفظه الله جرح في بعض مغازيه
برصاصة اصابت طرف اذنه فلطف الباري والحمد لله على سلامته وهي .

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا
من كان يخضب خده بدموعه
لعلمت انك في العبادة تلعب
فمحورنا بدمائنا تلخضب

او كان يتعب خيله في باطل نفيولنا يوم الصبيحة تنعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا رهب السنايك والغبار الاطيب
فاجبته

بابي وامي اتديك من الردى وباحمد وباخته اتقرب
واحسرتي واضيعتي واخييتي ان لم اكن بفدائكم اتقلب
وحياتكم فلانني بفراقكم لعل لظي وجارها اتقلب
هل من قطا يوماً يعير جناحه صبا غدا بفراقكم يتعذب
حتى اراني في حماكم واهباً رحي فداكم في رضاكم ارغب

❖ ذكر واقعة نهر يسر وما آل اليه امر الامير ورجوعه الى دائرته ❖

ولما اتصل انصار الامير في تلك الانحاء واشترأت نفوس اهل الوطن اليه غص
به حاكم الجزائر فجهز اليه الجنرال جانفيل بعسكر جرار وكان الامير معسكراً على شاطئ
نهر يسر من العدو الذي قد سجد العدو في محله على حين غفلة فركب الامير فرسه
ودافع بن حضره من العسكر واشتد القتال بين الفريقين واخذوا هرباً بالسيوف
ووخزاً بالرماح ولا زال الامير يقاتل حتى وقع فرسه من تحته وركب فرساً آخر ثم
رجع القهقري بن بقي من جيوشه وقصد جهة نهر سباو قال بعضهم وبهذه الواقعة
انتهز ييجو الفرصة فوالى مسيره الى جرجرة واجتمع فيها بالجنرال جانفيل ثم زحفوا
الى بلاد فيلسة فاستولوا عليها ونفي الامير مع جيوشه من مصادمتهم مرة اخري ثم
سارت الجيوش الفرنسية الى نواحي الجنوب وتفرقوا في كل جهة واخذت القبائل
يلوذون بالطاعة والانقياد اليهم ورجع الذين كانوا هاجروا من بلادهم منهم اليها ثم
ان الامير لما رأى اضطراب الاحوال مع كثرة جيش العدو وعجز المسلمين عن المدافعة
والمهاجرة اعتزم على التوجه الى نواحي الصحراء مراقباً سنوح الفرص ولا زال
في طريقه يشن الغارات ويثب البعوث والغوازي يميناً وشمالاً على مستعمرات الفرنسيين
الى ان اجتمع عنده من الغنائم ما لم يدخل تحت حساب فعمد بالجميع الى جبل العمور
طالباً بلاد اولاد نائل وقدم اثقاله وعساكره وتاخرفي نحو السبعين فارساً يستطيع
اخبار العدو فطار الخبر الى الجنرال يوسف العنابي المنتصر فصار يجيشه يطوي الليل
والنهار حتى ادركه فالتفت الامير الى العدو بين معه وصدقه القتال واستمرت
نار الحرب تضطرم نحو اربع ساعات راس تشهد من المسلمين نحو الاربعين فارساً

ولم يبق مع الامير الا نحو الثلاثين فجمعهم ورد الكرة على العدو فتطايروا امامه ثم اخفى بن بقي معه في بعض الاودية القريبة من موضع القتال فطلبهم العدو فلم يجد لهم اثرًا قال شرشل فعجب الفرنسيون من بسالته وشجاعته وسرعة اخفائه حيث انهم طلبوه فلم يجدوه فكانه طار في الهواء او خرق الارض هو ومن معه ثم قال وقد اوردت هذه القصة في باريس بين الاعيان في المحافل السياسية في معرض التعجب والحيرة فشهد الجنرال يوسف الامير بالفضل على كل من عرفت بسالته وحماسه من رجال الامم والذي اذهل العقول تواريه السريع عن اعين الجميع بعد ان كان بينهم قال الجنرال ولقد رأيت من ثبات الامير وشدة هجومه ما يحير الافكار ولما رأى الامير كثرة الجيوش الفرنسية وانتشارها في سائر نواحي البلاد ورأى القبائل الذين كانوا يمدونه بالذخيرة وسائر ما يلزم له ولجيوشه تركوا طاعته ولحقوا بالفرنسيين علم ان الوقت غير مساعد على الوصول الى اجتماع الكلمة عليه والعدول عن طاعة عدوه الى طاعته سار بجيشه مغرباً على طريق الصحراء فنزل على اولاد السيد الشيخ ابن الدين البكري في بلدتهم المعروفة بالابيض فتناقوه بالتعظيم والاحترام واكرموا نزله ثم تقدم اليه كبيرهم وقال ايها الامير المعظم اما نسألك بالله تعالى ان لا تعرضنا للحرب والبلاء مع عدو ديننا ودياننا باقامتك عندنا في بلادنا فان الفرنسيين لا يخفي عنادهم وظلمهم ولولا انهم اشد الخلق عتواً وظلماً واعتداءً ما تسلطوا علينا واين بلادنا من بلادهم فهم في بر ونحن في بر آخر ومع ذلك فانهم اعندوا علينا وقصدوا ان يملكوا بلادنا ورقابنا فلما سمع الامير كلامهم رق لهم واشفق عليهم وارتحل عنهم مغرباً الى دائرته وكانت على نهر ملوية فيما وراء جبل بني يزنا من ولاول وصوله اخبره بقتل الاسارى الفرنسيين المستولى عليهم في واقعة الغزوات وتموشنت فاسف لذلك وتكدر ووبخ خليفته على الدائرة السيد الحاج مصطفى بن التهامي فاعتذر عن ذلك باعذار كثيرة اشدها دسائس السيد محمد البوحميدي وذلك ان الامير قبل واقعة الغزوات قد جعل امر الدائرة وما يتعلق بها الى خليفته البوحميدي فلما وقعت واقعة الغزوات واعتزم على السير لحمل القبائل على الرجوع الى طاعته سلم الاسرى الى صهره وخليفته السيد مصطفى وعهد اليه بامر الدائرة والنيابة عنه وفوضه تفويضاً مطلقاً باجراء ما يعود نفعه على الدائرة وان يمنع من اراد الخروج منها لان البعض وخصوصاً بني عامر اضمروا على الخروج منها والدخول الى مراکش لما نالهم من المشقة والتعب وامره ان يبلغ البوحميدي

ان يلحقه بنجدة الى جنوب اقليم الجزائر ولما بلغ البوحميدي ظن ذلك من عدم ثقة الامير به فاخذ يهيج بني عامر على العود الى اوطانهم او الحقوق بسطان المغرب الاقصى ويمنعهم من تقديم الطاعة لابن النهامي فخلق النهامي سببا من عدم توجهه بالنجدة للامير وامر بان الذي لا يريد ان يتوجه للنجدة يعطى فرسه الى من قتل دابته في الحرب فحصل من ذلك قلق عظيم في قبيلة بني عامر لان العرب تعز خيولها اكثر من معزة نفوسها فاخذوا في الخروج من الدائرة الى بلاد مراکش فخرج في ليلتين مقدار مائتي خيمة والتجئوا الى القبائل المجاورة للدائرة وتبعهم الناس فافتكر السيد مصطفى لعمل واسطة تخوفهم من الخروج فلم ير بحسب فكره احسن من ذبح اسرى الفرنسيين الذين سلمهم الامير له واوصاه بحسن معاملتهم وظن ان ذلك الامر يرد العرب عن الخروج من الدائرة خيفة من الفرنسيين حيث انهم ارتكبوا امرا فظيما في حقهم فمنعه الخوف من غضب الامير وعنايه له لما هو تحقق عنده من شدة اعتنائهم بامر الاسرى وبذل الاكرام وحسن المعاملة لهم وصار يقدم رجلا ويؤخر اخرى حتى ورد عليه الخبر بزحف جيوش السلطان عبد الرحمن لاتقاذهم من يده فازداد حيرة لوقوعه بين امرين خطرين اما سفك الدماء بين المسلمين لاجلهم واما ان يسلمهم لم اختيارا ويصعب عليه الاعتذار عند مواجهة الامر ثم قوى عزمه على ما كان مصرا عليه وقتلهم وكانوا مائة وسبعة وثمانين اسيرا وابقى احد عشر رئيسا وكانت هذه النقلة الشنيعة افزع شيئا وقع من هذا الخليفة في جميع تلك الحوادث والمواقع والحق يقال ان هذا الفعل خارج عن العدل ولولا ما اشتهر به الامير من حسن المعاملة للاسرى لظن الناس ان له دخلا في هذا الامر ولذا قال بعض مؤرخي الافرنج ان حسن المعاملة لما لوفة من الامير رفعت هذا الظن لانه كان ينزل اسراة منزلة الضيوف ويأمرهم بانخر الطعام واحسن الملبوس وكان مرتب كل واحد من خمس ريات الى عشرين على حسب مراتبهم وقد افرد شرشل الانكليزي الفصل السادس عشر من تاريخه بذكر ما كان يعامل به الامير الاسرى الواقعين في يده من المعاملة الحسنة والرحمة والشفقة وايد ذلك بحكايات صدرت من الامير في حقهم تتحقق ان تكتب على طروس المواقع بباء الذذب وملخص ما ذكره ان الاعتناء الموجود عند الامير عبد القادر لاسراة الزائد عن الحد لم يكن له مثال في اخبار الحرب ولذا يجب على كافة المسيحيين ان يخبروا عند قدميه نظرا لما ابداه من الرحمة والشفقة وحسن المعاملة لان الاسارى الذين يقعون في ايدي العرب المتوحشين كانوا معرضين للتهديدات البربرية ولعدم فهم لفظة اسير عند القبائل المتوحشة كانوا لا

يقفون على كل من قبض عليه في ساحة الحرب وكان جل مرامهم تكثير عدد الرؤوس من الاعداء افتخاراً بحملها على جوانب الخيول وطمعاً بما ينالهم على كل رأس من الجائزة حتى صار ذلك الفعل طبيعة لهم لا يمكنهم تركها فكيف وقد اضطروا نيران غيظهم مما لم بهم من الفرنسيين بيد ان مرحلة الامير وشفقته وبديع الحكمة والسياسة التي ابداهها يجعله لكل من اتى باسير سائماً ضعفي ما كان ياخذ على الرأس او ثلاثة اضعافه وكل من اتى برأس اسير يجازى بالجلد على رؤس الاشهاد واصدر الاوامر اللازمة بهذا الشأن في سائر مملكته وهذه المعاملة الحسنة واخراجه سر في سائر خلفائه وعماله واثر في العرب والبربر تأثيراً غريباً فغلبت مرحمتهم الانسانية على شدتهم البربرية غير انه لم ينق احد ما كان لوالدته من كمال الحلم والرحمة ولطف المعاملة والشفقة على اسرى النساء فقد اعنت بهن اعناء انساكن ما هن فيه وجعلت خيمتهن ملاصقة لخيمتها وعينت اثنتين من امائهن خفراً عليهن وفي كل صباح ترسل اليهن القهوة والنشاي والسكر والزبد واللحم وكافة ما تدعوهن اليه حاجتهن ومن شدة حرص الامير على الاعناء بشانهن كتب الى اسقف الجزائر ان يرسل اليهم كاهناً ليسليهم ويخفف مصائب الاسر عليهم ويكتب لهم ما يريدون ان يكتبوه لعيالهم ويكون ذلك الكاهن اميناً على نفسه وضيافاً مكرماً عنده ثم قال وان كان قلب الامير قاسياً عند لقاء الخطر لكنه يلين ويدوب شفقة عند مشاهدة حزن الاسرى وكان اشد كراهة عنده ان يرى الاسرى من النساء يضطرب عند تصويره وقوعهن فرائس الحرب وقد جاء اليه احد اعوانه باربعة من النساء اسرى فحوّل وجهه وقال له متبهماً الاسد يقنص الحيوانات القوية ويقع ابن آوى على الضعيفة واطلق مرة اربعة وتسعين اسيراً بلا فدية ولا عوض وارسل معهم خفراً يوصلهم الى رفقاءهم فقال احد قوادهم ينبغي لنا اخفاء هذا الامر وكتمه عن العسكر لانهم ان علموا به لا يتأتى لنا ان نحارب عبد القادر بالترتيب المناسب ولم يكتف بتحسين حالة الاسرى فقط بل كان يود المبادلة وقد طلب ذلك مراراً عديدة من الفرنسيين واصر عليه فلم يجده تنعاً ومما يوه كد عدم اطلاقه على ما وقع بهم ما ذكره رؤوا الفرنسيون في تاريخه من ان الضباط الباقين منهم ارسلوا الى اهليهم في فرنسا كتباً يبرؤنه بها ونص كتبهم ان معاملة الامير للاسارى لم تنزل معاملة حسنة بل عديدة النظير وان اكرامه لهم لا يقاس عليه لعزته وجميع ما جرى على رفقاءنا لم يكن باذنه ولا بعلمه بل لا يخفى في البال ان يصدر مثل هذا الامر منه لانه يخشى مقابلة الفرنسيين له بالمثل فيذبحون الاسرى من المسلمين الذين عندهم وهذا لا شك انه يهيج القبائل التي لما اسرى وعلى فرض انه امر به

صبره لما كان تأخر في انفاذ الامر تلك المدة الطويلة ولو قيل انه استشاره فيه بعد وصوله الى الدائرة فالوقت لا يقتضي ان يحصل على جواب في تلك المدة لان الدائرة كانت اذ ذاك في ملوية والامير في بلاد زاوة وبينهما مسافة ستائة وثمانين كيلومتراً نعم ان الامير تغافل عن اظهار التهمة وتوجيه المسؤولية على الرؤساء الذين فعلوا تلك النحلة الشنيعة وهم السيد مصطفى ومن وافقه ليبرني ساحتهم خوفاً عليهم من وقوع الخطر على احدهم ان وقع في يد الفرنسي كما هو مقتضى طباعه الكريمة انتهى . وبالجملة فان شرف نفس الامير وكرم اخلاقه مع ما عهد منه فيما مضى من المعاملة للاسرى بحققان عدم صدور ذلك منه حتى ان المارشال يجو قبل هذه الواقعة ارسل نيشان افتخار لبعض الاسارى الذين عند الامير اسمه اسكوفيه فلاول وصوله الى سموه امر باحضار اسكوفيه عنده وامر بعض اعيان العسكر ان يقلده النيشان بيده ثم احسن الى الاسير المذكور بما ملأ قلبه سروراً وكتب اسقف الجزائر يسأله اطلاق اسير من اقاربه وقال في كتابه ليس لي مال افديه به بل اقبالك بالدعاء والثناء والراحون يرحمهم الله فاجابه الامير الى مطلوبه واطلق له اسيره وكتب اليه حيث انك زعمت انك مشفق على اسيرك فكان ينبغي لك ان تعم باشفاقك سائر الاسرى فتطلب اطلاقهم وقال فاليت في تاريخه ان الامير كان في صورة عدو كريم الاخلاق فان كل من كان اسيراً في قبضة يده من الفرنسي قد اثني عليه الثناء الجليل وكان يامر باغنائهم من الخدمة يوم الاحد ملاحظاً في ذلك اعتبار الديانة المسيحية مع ان الفرنسي لم يلاحظوا اعتبار يوم الاحد بل هو عندهم كسائر الايام فاذا كانت هذه احواله في مبدأ امره فكيف يكون على خلافها في منتهى امره انتهى . ثم ان الامير بدا له ان يفادي بالاسرى الباقين ولما لم يحصل على طائل اطلقهم وكتب الى ملك فرنسا ما نصه

الحمد لله وحده من ناصر الدين عبد القادر بن يحيى الدين الى جلالة ملك فرنسا لويس فيليب احسن الله مقاصده في كل ما يؤل الى سعادته وجعله من الذين يتبعون سواء السبيل والمعروض لجلالتكم انني كنت مستعداً لقبول شروط الصلح وطالما تعاطيت اسباب تقريره وسعيت وراءها فلم يجد ذلك نتجاً لشدة ما انطرت عليه بواطن عمال الجزائر من الفساد والعناد وتشبههم بما يلقيه اليهم المنافقون من العرب والبربر الذين تورطوا في مهوى غيهم الداعي الى مكر الله تعالى بهم وغضبه عليهم وقد كتبت اياكم عدة مكاتيب فلم ياتي جواب منكم فتقويت البواعث الردية في الجزائر على استمرار الحرب الى الآن وفي اثناء الوقائع بيننا وبين عساكركم

كان يقع في ايدينا اسرى كثيرة منكم فنغادي بها اسرانا الذين في ايديكم وفي السنة الماضية كتبت لنوابكم بمبادلة الاسرى فلم يردوا لي جواباً فراجعتهم مراراً فما افادت المراجعة شيئاً بل سجنوا رسلي واهانواهم وهذا اعظم دليل عند العرب بين التجاربيين على نقض العهد من فاعله حيث ان الرسل شانها ان تعاد الى مرسلها بلا اهانة ولا ايداء وبعد ذلك شاع ان الفرنسيين عازمون على انقاذ اسراهم جبراً من ايدي العرب ثم فشا بين الناس ان سلطان مراکش عازم على انقاذهم من يد خليفتنا رغماً عنه فكان هذا مع سوء سلوك نوابكم سبباً لما وقع بالاسرى من غير اذن منا ولا علم لنا والآن قد اطلقنا عشرة ضباط مع الرئيس كورلى دي كوفري وهم يعلمون بما اجريناه من الوسائل والتدبيرات الحسنة لاجل الوصول الى الندية بما عندكم من اسرى المسلمين ويعلمون حسن معاملتنا لاسائر الاسرى الذين يقعون في ايدينا و يعرفون ان عدم رد جواب نوابكم عن مكاتبتنا في هذا الامر هو الذي عارض حسن المقاصد فيما بيننا وبينكم واوجب ما اوجب مما كان من غير اختيار ولا قصد انتهى . وبعد ان اطلق الضباط المذكورين ارسل معهم حرساً يوصلونهم الى مليايه وهي مرفأً لاسبانيا فوصلوا دلى احسن الاحوال وبعد وصولهم كتب كل واحد منهم بخطه بصورة الحال ونص ما كتبوه . حينما كنا اسرى عند الامير عبد القادر كنا نعامل احسن معاملة وكانت جرايتنا اليومية الخبز الخالص والقمح الجيد والسمن والسكر والقهوة وما اشبه ذلك ولم يحصل لنا ادنى اهانة من سائر الوجوه وعند ما كان الامير في الصحراء حرر خليفته البوحميدي الى المارشال في الجزائر في امر الدا فلم يرد له جواباً وعند ما اخذ العرب يقتلون رفقائنا من غير علم الامير سالنا عن السبب فاخبرونا انه قد عزم المراكشيون على اخذهم جبراً وبعد هذا كله انعم الامير علينا باطلاق سراحنا وارسلنا الى مليايه وكان هذا منه احساناً من غير عوض حرر في السادس من تشرين اول سنة ست وسبعين وثمانمائة والـف كاتبه . توما . باربوت . هابوس رئيس الفرقة الثامنة من معسكر اورليان . مينا كرينا . ماريسن . كورلى دي كوفري رئيس فرقة الفرسان . واطلاق هولاء الضباط لم تجتفل به فرنسا ولم تلتفت اليه وتمازت على غيها وغرائها لسلطان مراکش على الامير فارتاع السلطان عبد الرحمن وبعث الى الامير يامر به بالخروج من الحدود ويذكر له انه لا سبيل الى خلاصك الا باحد امرين اما ان تسلم نفسك الينا واما ان تخرج من الحدود فان ايت ان تجري احدهما طوعاً فنحن نجريه كرهاً ثم دس الى القبائل

القرية من الدائرة في التضييق عليها وقطع الميرة عنها والتجافي عن مواصلتها بكل ما يعود بالنفع عليها فوجم الامير لهذا الامر وكتب الى السلطان مانعه . اما بعد فاني كاتبكم اولاً والتمست منكم كف ضرر قبائلكم المجاورة لنا وتعديتها على من تبني وسوء معاملتهم لهم لانهم كلهم اولاد دين واحد وشريعة واحدة فلم ياتني جواب عن ذلك ولم يحصل لهم ردع من طرفكم ومع هذا كله انا صابر وتحمل لما يجرونه كراهة سفك دماء المسلمين مدة ستة اشهر طمعاً في رجوعهم عن البغي والطغيان الى العدل والاحسان مع قدرتي عليهم في كل آن فان لم تردعهم الآن عن افعالهم وترجعهم عن قبائح تصرفاتهم التزم المحاماة عن حقوقي والمحافظة على شرف اتباعي ولذا بادرت باخباركم والسلام عليكم . ثم جمع اعيان جيشه ودائرته واطلمعهم على حقيقة الحال فعلموا ان الرجل قد ضل رشده في التجلي عمن ينصره ويحمي حوزته وانه وافق العدو على اذلال المجاهدين في سبيل الله والغرض من شانهم ثم قالوا الامير اننا قد بايعناك على السمع والطاعة والجهاد الى الموت ونحن مستعدون للوفاء بالعهد من اتباعك والكون معك في سائر احوالك ثم اذقت كلمتهم على الإقامة في مواضعهم والدفاع عن حوزتهم . وكتب الامير الى علماء مصر يستفتيهم في ذلك ونصه . الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وارض اللهم عن الصحابة اجمعين وعن الائمة الراشدين من خديم المجاهدين والعلماء والصالحين عبد القادر بن محيي الدين الى ساداتنا العلماء الابرار الافاضل الاخيار رضى الله عنكم وارضاكم وجعل الجنة منازلكم ومثواكم وجوابكم عما فعله بنا سلطان المغرب من المنكرات الشرعية التي لا نتوقع من مطلق الناس فضلاً عن اعيانهم فامعنوا نظركم فيها شافياً واجيبونا جواباً كافياً خالياً عن الخلاف ليخاف قلب سامعه عن الاعساف وذلك انه لما استولى عدو الله الفرنسي على الجزائر وخلت الايالة عن الامير وانقطعت السبل وعطلت الاسباب وطالت شوكة الكافر اجتمع ذوو الرأي وتفاوضوا على ان يقدموا رجلاً من ساداتهم يؤمن السبل ويكف المظالم ويجمع المسلمين للجهاد لئلا يبقى الكافر في راحة فتمتد يده فاخثاروا رجلاً منهم وقدموه لذلك فنقدم وعمل جهده فيما قدموه له فتأمنت السبل بحمد الله وتيسرت الاسباب بعونه وجاهد في سبيله وذلك من لدن سنة الستة والاربعين الى سنة ثلاث وستين هذه ولن نزال كذلك ان شاء الله فاذا بسلطان المغرب فعل بما الافعال التي تقوي حزب الكافر على الاسلام وتضعفنا واخر بنا الضرر الكثير ولم يلتفت الى قول رسول الله صلى الله

عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه ولا الى قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن لاخيه كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضاً ولا الى قوله عليه الصلاة والسلام المؤمنون لشكفائهم دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم الى غير ذلك من الاحاديث الشريفة قال ما فعل بنا اننا لما كنا حاصرين الكافر في جميع ثغوره نحواً من ثلاث سنين وقطعنا عليه السبل ومادة البر من الحب والحيوان وغيرها تضيقاً عليه وتضعيفاً له خصوصاً من جبة الحيوان لان قانون عسكره انهم اذا لم يأكلوا اللحم يومين او ثلاثة يفرون عن طاعتهم ولا يقاتلون ولا يلامون حتى بلغت قيمة الثور عندهم مائة ريال دوروفاذا بالسلطان المذكور امدهم وهم في الضيق الشديد بالوف من البقر وغيرها الثاني انه غضب من عاملنا الفاً وخمسمائة بندقية انكليزية الثالث انه غضب من وكياننا اربعة كسوة جوخ اعددناها للمجاهدين الرابع ان بعض المحبين في الله ورسوله من رعيته قطع قطعة من ماله الخاص به ليعين به المجاهدين فاذا بالسلطان المذكور زجره ونزعها منه وقال انا احق بها والحال انه لم يجاهد الخامس ان بعض القبائل من رعيته عزموا على اعانتنا بانفسهم في سبيل الله فمنعهم من ذلك واعانتا آخر من رعيته بسيوف في سبيل الله فحبسه الى الآن زجراً له وردعاً لغيره السادس انه لما وقعت لهذا السلطان مقاتلة مع الفرنسيين اياماً قلائل ثم تصالحا واشترط عليه الفرنسيين ان لا يتم الصلح بينهما الا اذا حل امر هذه العصاة المحدثية المجاهدين ويقبض رئيسهم فاما ان يحبسه طول عمره واما ان يقتله واما ان يمكنه من يد الفرنسيين او يحمله من الارض فاجابه السلطان الى ذلك كله ثم امرني بترك الجهاد فايت لانه ليس له علي ولاية ولا انا من رعيته ثم قطع عن المجاهدين الكيل حتى هاجم جوعاً من لم يجد صبراً واسقط من المجاهدين ركناً ثم اخذ يسعى في قبضي لحفظني الله منه ولو ظفرتي لقتاني او لنعل بي ما اشترطه عليه الفرنسيين ثم امر بعض القبائل من رعيته ان يقتلونا وياخذوا اموالنا وكأنه استحل ذلك فابوا جزاهم الله خيراً فاذا تصورتم ايها السادات هذه الافعال التي تنمطر منها الاكباد وتتأثر عند سماعها العباد فهل يحرم عليه ذلك ويضمن ما غضب ويقتل بنا ان قتلنا حسبما نص عليه المعيار في اول باب الجهاد وزبدته انه اذا نزل الكافر بساحة المسلمين وقال لهم ان لم تعطوني فلاناً او ماله او يقتل استاصلتكم فانه لا يسعهم ذلك ولا يعطوه شيئاً مما طلب ولو خافوا استيصاله فان اعطى ماله ضمنه الامر به ونقل ذلك عن نصوص

المالكية والشافعية وكما نص على ذلك ايضاً الشيخ مياره في شرح لامية الزقاق في آخر باب
الامامة الكبرى ونصه قال ابن رشد اذا امر الامام بعض اعرانه بقتل رجل ظالماً ففعل فلا
خلاف انهما يقتلان معاً نقله المواق عند قول خليل في باب الجنائيات كمكرد ومكروه فان فعل
المأمور ذلك خوفاً على نفسه فانه لا يعذر بذلك قال ابن رشد ايضاً الاكراه على الانفعال
ان كان يتعلق به حق لمخاوق كالقتل والغصب فلا خلاف ان الاكراه غير نافع
نقله ايضاً عند قوله في الطلاق لا قتل مسلم وقطعه ونقله الخطاب في هذا المحل
الثاني ونصه في آخر معين الحكم ومن هدد بقتل او غيره على ان يقتل رجلاً او
يقطع يده او ياخذ ماله او يزني بامرأة او يبيع متاع رجل فلا يسعه ذلك وان
وان علم انه ان عصى وقع به ذلك فان فعل فعله القود ويغرم ما اتلف ويحسد ان
زنى ويضرب ان ضرب ويأثم اهـ وهل المهادنة التي اوقعها فاسدة ومنقوضة لان
الجهاد تعين عليه قبل ان يفجأ العدو بسبب قربنا منه وعجزنا عن الجهاد ولان
منفعتنا عائدة على الكفار ووبالها على الاسلام كما هو مشاهد حسبنا نص على
ذلك في المعيار ايضاً في باب الجهاد في الجواب عن سؤال التلمساني وحاصله ان
الخليفة اوقع الصلح مع النصارى والمسلمون لا يرون الا الجهاد فاجابه بما حاصله
ان مهادنته منقوضة وفعله مردود ونقل على ذلك نصوصاً وهل يحمل بيع البقر لم
في وقت حصرهم المسلمين على حرمة بيع الخيل لهم والشعير وآلة الحرب ام لا
وعلى انه لم تسعه مخالفة الفرنسيين فيما شرطه عليه من قتلنا وتفريق جماعتنا وما
ينشاء عنه من ترك الجهاد بالكلية واقتحم الامر وشق العصا وجنا بالجيش ليقننا
وياخذ اموالنا ويفرق جمعنا فهل يجوز لنا ان نقاتله بمقتضى ما نقله الشيخ مياره
ايضاً في شرحه المذكور في الباب ونصه انظر اذا خلا الوقت من الامير واجمع
الناس رايهم على بعض كبراء الوقت ليمهد سبلهم ويرد قلوبهم عن ضعيفهم
فقام بذلك قدر جهده وطاقه . والظاهر ان القيام عليه لا يجوز . والمعارض
له يريد شق عصى الاسلام وتفرق جماعته في صحيح مسلم رضي الله عنه عن
زيادة بن علاقة قال سمعت عرفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول انها ستكون هنات وهنات فمن اراد ان يفرق امر هذه الامة وهو جميع
فاقتلوه كائنات من كان وبسنده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول .
من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد يريد تفريق جماعتكم فاقتلوه اهـ ام لا يجوز
لنا ذلك وترك الجهاد ليس الا جوابكم تؤجرهون وتحمدون وعليكم السلام في البدأ

والختام والحمد لله رب العالمين

فاجابه العلامة الحجة الشيخ محمد عlish مفتي المالكية بالديار المصرية بقوله . الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله المهتدين . نعم يحرم على السلطان المـكـور اصلاح الله احواله جميع ذلك الذي ذكرتم حرمة معلومة من الدين بالضرورة لا يشك فيها من في قلبه مثقال ذرة من الايمان . وما كان يخطر ببالنا ان يصدر من مولانا السلطان عبد الرحمن وفقه الله تعالى مثل هذه الامور مع مثلكم فاننا لله وانا اليه راجعون وما قدر الله سبحانه وتعالى لا بد ان يكون خصوصاً وانتم جسر بينه وبين عدوه وان كنا في اطمئنان على اقليمه من استيلاء عدو الله عليه بما في الاحاديث الصحيحة من بقاء اهله على الحق - حتى تقوم القيامة . منها ما وجد بخط الشيخ المقرئ ونصه من خط الفقيه المحدث العالم ابي القاسم العبدوسي حفظه الله تعالى ما نصه وجدت في ظهير تقييد الشيخ ابي الحسن الصغير على المدونة بخط من يقتدى به . قال ذكر صاحب كتاب نطق العروس عن ابي مطرف . قال حدثنا محمد بن الموز . عن ابن القاسم . عن مالك بن انس . عن ابن شهاب . عن سعيد بن المسيب . عن ابي هريرة قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ستكون بالمغرب مدينة يقال لها فاس . اكرم اهل المغرب قبلة واكثرهم صلاة . اهلها قائمون على الحق . لا يضرهم من - اللهم يدفع الله عنهم ما يكرهون الى يوم القيامة . اه وكذا ضمانه لما غضب ضروري لا يشك فيه مسلم . وكذا استحقاقه القصاص منه بقتله مؤمناً عمداً عدواناً مباشرة او باكرهه غيره عليه معلوم من الدين بالضرورة والنصوص التي ذكرتم صحيحة صريحة لا تقبل التأويل والمبادنة التي اوقعها فاسدة منقوضة . وما نسبتم للمعيار هو كذلك فيه وبيع البقر وسائر الحيوان والطعام والعروض وكل ما ينتفعون به في النازلة المذكورة حرام قطعاً اجماعاً ضرورة لا يشك فيه مسلم سواء في حال حصر المسلمين اياهم وفي حال عدمه اذ قتالهم فرض عين على كل من فيه قدرة عليه ولو من النساء والصبيان من اهل تلك البلاد ومن قرب منهم كاهل عمل السلطان المذكور وفقه الله تعالى فكيف يتخيل مسلم ان معاملتهم بما يذفون به وينفقون به على البقاء في ارض الاسلام جائزة مع ذلك قال الخطاب واما بيع الطعام يعني للحربيين فقال ابن يونس عن ابن حبيب يجوز في الهدنة واما في غير الهدنة فلا قاله ابن الماجشون اه وظاهره ان هذا فيما يذهبون به لبلادهم واما ما يستعينون به على البقاء في ارض الاسلام وقتال اعدائهم اولى بالمع وان اقتحم الامر وشق العصا واتاكم بجيشه وجب عليكم قتاله وجوباً عينياً اذ هو -

كالدوة والبغاة المتغلبين الفاجئين القاصدين الانفس والحريم لعدوانه وتجاريه على ما
اجمع المسلمون على تحريمه وهو انفسكم وحرمتكم واموالكم ومنعكم مما هو متعين عليكم
بالاجماع من جهاد الكفار الفاجئين لكم والمقتول منكم في قتله كالمقتول في قتال
الكفار ليس بينه وبين الجنة الا طلوع الروح فصمموا على قتاله واعدوا له ما استطعتم
من قوة نصركم الله تعالى عليه وعلى اعداء الدين وبارك فيكم وفي كل من اعانكم من
المسلمين وخذل كل من عاداكم وخذلكم كائنا من كان وجعل كيده في نحره ونص
ما في المعيار وسئل بعض نقباء تلمسان جوابكم سيدي عما عمت به البلوى في بلادنا
وعظم من اجله الخطب واتسعت فيه المقالات وذلك ان الخليفة اطلع الله حاله صالح
هو لاء النصارى الذين اخذوا سواحلنا الى اجل معلوم والمسلمون يرون ان جهادهم من
اعظم القربات فصاروا يغيرون على اطراف بلادهم فيقتلون ويضيقون بهم هل ذلك طاعة
او معصية والقرض ان الخليفة لا يوافق على ذلك ويعاقب عليه اجيبونا ارشدتم
ووفقتم .

فاجاب الحمد لله الذي ايد الدين المحمدي بالجهاد . ووعده الساعي فيه بالوصول الى
اسنى المراد . والشهيد بالحياة المحفوفة بالرزق والحسن في برزخ الموت والامداد . فما من
ميت الا يتمنى العود الى الدنيا الا الشهيد . لما يرى من فضل الشهادة . من ذي العرش
المجيد . فيطلبها ليزداد له من الكرامة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر بعد المعاد فاعظم به من وصف لا تحصى فضائله اذ قدمت على نوافل الخير
العلي نوافله عند اهل الاجتهاد وصلى الله على سيدنا محمد النبي المبعوث لجميع الخلائق
المنعوت بحمائل الخلائق القامع بلسانه وسيفه وبرهانه اهل الباطل والعناد وعلى آله
 واصحابه الذين وازروه على اظهار الخزي عنه من الاخذاد فجلبوا ببركته لأمته المصالح
وبذلوا لهم النصائح ودفعوا العناد صلاة وسلاما نال ببركتهما من الخيرات والبركات ما
ينخرج عن المعتاد

اما بعد ايها الاخ الكريم محننه الجميل معتقده . فان جواب سؤالك يتوقف
على تقرير مقدمة بتقريرها يتبين ما يتضح به المسئول عنه فنقول الصالح الواقع بين
امام المسلمين واعداء الدين على ضربين الضرب الاول حيث يكون الجنايات فرض
كفاية والثاني حيث يكون فرض عين اما الاول فحيث يكون المسلمون طالبين
على الكافرين الحريين فالصالح لمصلحة يراها الامام بحسب اجتهاده جائز عند المالكين
ونقل ابن عبد البر عن سحنون انه قال لا يبعد في المدة ونقل ابن شاس عن ابي

عمران انه استحب ان لا تكون المدة اكثر من اربعة اشهر الا مع العجز واما الضرب الثاني فمهما تعين الجهاد في موضع لم يجوز فيه الصلح كما لو كان العدو طالباً على المسلمين وقد يفجأ موضعهم وهو ضعف عدد المسلمين فاقل لاشدة وعدة على المشهور عند المحققين فيتعين على من نزل بهم ومن قاربهم دفعهم في الحين ونقل اللخمي عن الداودي فرضية الجهاد على من بلى العدو ويسقط عمن بعد عنه وقرره المازري بانه بيان لتعلق فرض الكفاية لمن حضر محل تعلقه قادراً عليه دون من بعد عنه لعسره فان عصى الحاضر تعلق بمن يليه وحاصل كلام المازري ان فرض الكفاية الذي هو حكم الجهاد قد يعرض له ما يوجب على الاعيان في بعض الاحيان وفي تلقين القاضي عبد الوهاب قد يتعين في بعض الاوقات على من يفجأهم العدو وفي نوازل ابن ابي زيد عن سخون ان نزل امر يحتاج فيه الى الجميع كن عليهم فرضاً ولو سبي المشركون النساء والذرية والاموال وجب استنقاذهم على من قوى عليه مالم يخافوا على انفسهم او على اهلهم بروية سفيان او خبر عنها فكل ما نقل في تعين فرض الجهاد مانع من الصلح لاستلزامه لابطال فرض العين الذي هو الجهاد المطلوب فيه الاستنقاذ وفي العتبية سئل مالك اوجب على المسلمين قتل من اسر منهم قال نعم ليس واجباً عليهم ان يقاتلوا حتى يستنقذوهم قال بلى قال فكيف لا يفدوهم باموالهم وفي مثل هذا اعني حيث يتعين الجهاد حكى القاضي ابن رشد الاتفاق على انه اقوى من الذهاب الى حجة الفريضة لان الجهاد ان تعين كان على الثور والحج قد قيل فيه انه على التراخي ولما تقررت هذه المقدمة بما فيها من النصوص الائمة تعين بها ان الجهاد فرض عين في مسألة السؤال فيمتنع فيه الصلح على كل حال لا سيما ان طال مدة فقد عادت على العدو اهلاكه الله مصلحته وعلى المسلمين منسدة وان تخيلت فيه مصلحة فهي للعدو اعظم من وجوه مكلمة فانه يتحصن في تلك المدة ويكثر من آلات الحرب والعدة فيتعذر على المسلمين الاستنقاذ ويصعب عليهم تحصيل المراد بعد تيسره لو ساعد التوفيق ولكن المولى جل جلاله المسئول في هدايته الى سواء الطريق فما وقع من الصلح هو مفسدة على الاسلام فلا يكون له في نفس الامر ابرام فالصالح المذكور يجب نقضه لانه يقتضي الشرع غير مبرم فحكمه غير لازم عند كل من حقق اصول الشريعة قال في التلقين ولا يجوز ترك الجهاد لهدنة الامن عذر لا يقال الصالح المسئول عنه داخل في المستثنى من كلام القاضي عبد الوهاب والصالح من المسلمين لا يكون في الغالب الا من عذر على انه حكم اجتهادي من امام فلا سبيل الى نقضه لانا نقول وقع ذلك عقب الداهية الدهيا وهي انتهاز العدو دمره الله الفرصة في بلاد المغرب

مع توفر الاسلام والعدد والعدو ليس له فيها مدد والمسلمون لا يقصرون عن ضعف العدو فضلا عن ان يكون عدوهم ضعيفهم فاما ان يكون الصلح لخوف استئصال الكافرين ببقية المسلمين واما للخوف من المحاربين والاول باطل لمخالفته الفرض والثاني كذلك ايضا لان الخوف من المحارب بالفرض لا يتأتى مع امكان انتقام العدو واتصال المسلمين بحصول المدد فالواجب القتال وان كان العدو ذا جلد ومعه كثرة العدد فلا يدخل الصلح في المستثنى من كلام الفاضل عبد الوهاب وحكم الجهاد ينتقض اذا تبين فيه الخطأ كما نقل عن سخون وطول المدة في الصلح المذكور خطأ فيه فينتقض الصلح وذلك ايضا لان الصلح المذكور فيه ترك الجهاد المتعين وترك الجهاد المتعين ممتنع فالصلح المذكور ممتنع وكل ممتنع غير لازم والجهاد في الموضوع المذكور لم يزل متعيننا من زمن الخزنة الى الان وعن ابن القاسم ان طمع قوم في فرصة في عدو قريبهم وخشوا ان اعلنوا الامام بمنعهم فواسع خروجهم واحب الي ان يستاذنوه قال ابن حبيب سمعت اهل العلم يقولون ان نهى الامام عن القتال لمصلحة حرمت مخالفته الا ان يرحمهم العدو وقال ابن رشد طاعة الامام لازمة وان كان غير عدل ما لم يامر بمعصية ومن المعصية النهي عن الجهاد المتعين على ما تقدم والله سبحانه وتعالى اعلم . ومما ينبغي ان يذيل به ما وقع من جواب السوءال بيان حقيقة الصلح لغة وشرعا وبيان الممتنع منه والجائز بال او بغير مال وهو المعبر عنه في كتب الفقه بالمهادنة قال الجوهرى هادنه صالحه والاسم المهدنة واما حقيقته في العرف الفقهي فهو عبارة عن توافق امام المسلمين والحريين على ترك القتال بينهم مدة لا يكونون فيها تحت حكم الاسلام نقولنا الامام يخرج من سواءه من المسلمين فاذا حصل منه فلا يتم ولو كان امير السرية وبقية الرسم نخرج للامان والاستئمان وذكر المدة غير مقيدة فيه اشارة الى انها موكولة الى اجتهاد الامام ما لم تطل وينهم ذلك من تنكيرها فانها للنعوية واما حكمه فالجوار ان اقتضته مصلحة للمسلمين والمنع ان تضمن مفسدة عليهم قال ابن حبيب عن ابن الماجشون ان رجى الامام فتح حصون لم ينبغ له صلح اهله على مال وان على اياس منه فلا باس بصلحهم على غير شيء كصلح الحديبية وان لم يتضمن مصلحة ولا مفسدة فهو مكروه لما فيه من توهيم الجهاد فان نزل مضي ما لم تبين فيه مفسدة بعد عقده فينتقض قال الشيخ ابن ابي زيد عن سخون ولو هادتهم الامام على مال ثم بان له انهم غروا بالمسلمين لم ينبذه حتى يرد ما اخذ منهم وكذلك ان بان ذلك لمن بعده ولا يحبس من المال بقدر ما مضى من الاجل قال سخون واس الامام نقض الصلح لغير بيان خطئه فيه ولو رد ما اخذ الا برضا

من عاقده ونقل الشيخ ابن ابي زيد عن ابن المؤاز انه قال كره علماءنا المهادنة على ان يعطينا اهل الحرب مالا كل عام قال محمد وانما هادن النبي صلى الله عليه وسلم اهل مكة لقلة المسلمين حينئذ هذا ما يتعلق بالصالح على مال ياخذ الامام او بغير مال واما لو وقع بمال يعطيه لمسلمون فقال المازري لا يهادن العدو باعطائه مالا لانه عكس مصلحة اخذ الجزية منه الا لضرورة التخاص منه لخوف استيلائه على المسلمين وقد شاور النبي صلى الله عليه وسلم لما احاطت القبائل بالمدينة سعد بن معاذ وسعد بن عباد في ان يبذل المسلمون ثلث الثمار لما خاف ان يكون الانصار ملت القتال فقالا ان كان هذا من الله سمعنا واطعنا وان كان رأياً فلما اكلوا منها في الجاهلية قمرة الا بشراء فكيف وقد اعزنا الله تعالى بالاسلام فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عزمهم على القتال ترك ذلك فيوءخذ من هذه القضية جواز اعطاء المال على الوجه الموصوف للضرورة اذ لو لم يخير لم يشاور فيه الرسول عليه الصلاة والسلام لكنه قد شاور فيه فهو جائز وبيان الملازمة هو ان المشاورة في دفع المال ملزمة لهم بدفعه على تقدير الموافقة على اعطائه ولا يهم الرسول صلى الله عليه وسلم بممتنع واما بيان المقدمة الاستثنائية فيما ذكره اهل السير والله جل جلاله الموفق بنضله لا رب سواه

❖ ذكر نكبة ابي معزة ووقوعه في قبضة الفرنسيين اسيراً ❖

نقدم انه ظهر في نواحي شلف وادعى بانه المهدي المنتظر ثم انكشف عوارده وتلاشى امره ولحق بالامير وانخرط في سلك قواده واقام معه في الدائرة مدة وفي سنة ثلاث وستين ومائتين وسبع واربعين وثمانمائة انفصل عنه في لمة من اصحابه ولحق بقبائل الصحراء ثم اظهر دعوته في قبيلة فليمة فقام بها رئيسهم ابن جلول واستفحل امره في تلك الجهة وبلغ حاكم الجزائر خبره فجهز لقتاله الجيوش تحت نظر الجنرال مونيخ والجنرال هريليون وجرت بينهم وبينه في نواحي مينة حروب انكسر فيها ابو معزة ولحق باولاد نائل فشن مونيخ الغارة عليهم واكتسح اموالهم واستلحم منهم جموعاً كثيرة ثم انضم هريليون الى مونيخ وساقوا جيوشهم الى ابي معزة فادركوه في نواحي تاهرت وشتتوا شملهم ولما ضاقت به الارض واحس بالعجز من نفسه استامن الى القوهندار سنت ارنو فلم يجبه واخذه اسيراً الى الجزائر ثم اشغفه بالمرشال ينجو الى باريز فاقام بها مدة وفر هارباً الى مرسى برست فالتقى عليه القبض وسجن في قلعة هام وفي ايام الامبراطور لويس نابليون الثالث اطلق سبيله ولم يزل يتجول في بلاد فرنسا الى ان جرت الحرب بين الدولة العلية والروسيا

المشهورة بحرب القريم سافر الى الاستانة ودخل في سلك الجيوش العثمانية المتطوعة و بعد انعقاد الصلح خرج من الاستانة ولحق بالعراق واقام ببغداد مدة ثم انتقل الى باطوم وفي سنة خمس وتسعين ومائتين جاء الى دمشق واقام عند الامير شهوراً ثم توجه الى بيروت ومنها الى طرابلس الغرب ودخل افرقية ودعا الناس الى الجهاد ثم رجع الى باطوم من غير طائل .

✽ ذكر تسليم الخليفة السيد احمد بن سالم الى الفرنسيين ✽

لما طال الامر على الخليفة السيد احمد بن سالم وعجز عن مدافعة العدو ويئس من الانتصار عليه استأمن الى الحاكم الفرنسي في صور الغزلان وطلب منه تخليته سبيله الى اشرق فامنه ووعد به باجابة دولته الى ما طلبه منه وفي الثاني عشر من ربيع الاول سنة ثلاث وستين ومائتين والتاسع والعشرين من شهر فبراير سنة سبع واربعين حضر في لمة من ذويه الى صور الغزلان معاناً بذاغته وتسليمه فتلقاه الحاكم بما يليق بقامه من الاكرام لما عهد عنه واشتهر به من شدة البأس وقوة الجأش وحسن السياسة وطار الخبر الى الجزائر فاستعظم اهلها هذا الامر اكثر من امر ابي معزة ثم هاجر الى دمشق الشام وتوفي بها سنة ثلاث وسبعين ومائتين وبسليم هذا الخليفة ضف امر المسلمين في الجهة الشرقية وتلاشى عزهم واشربت نفوس رؤساء القبائل الى الدخول في طاعة الفرنسيين وتقديمهم في ذلك قاسم بن قاسي الرواوي واقتدى به جم غفير من الرؤساء وانتزح المارشال بيجو الفرصة فخرج في الجيوش الى الجبال البربرية ووقع باملها ثم سار في الجهات الجنوبية ووصل الى صطيف والزيبان وبسكرة ونواحي الجفنة واولاد نائل وجبل العمور ووقعت في تلك النواحي حروب جسيمة كانت النصر فيها لجيوشه وتمهدت له الطاعة في سائر الاعمال الشرقية ثم كتب الى القبائل الغربية ما ملخصه من المارشال بيجو والي مملكة الجزائر وسائر اعمالها الى كافة بني يزناسن واهل انكاد والاحلاف والمهاية والمطالسة وبني بويحيى والقلمية وكافة اعراش نواحي الغربية بين الجزائر والايلة الغربية اعلوا اني اكلم معكم بكلام يدل على الخير والمحبة البالغة ولولا المحبة لم اذكره وكنت افعل ما رمته فانصتوا لمقاتلتنا وتاملوها لانها نصيحة وارشاد وهي ان لكم مدة اربع سنين وانتم جادون في نعل الشر معنا ونحن نساخكم حتى كثر العيب ووقع منكم ما وقع كما هو تحقق لديكم وبعد الوقائع كلها المهدنا الله للسداد والرشاد

وكان اول الشروط التي وقعت بيننا ان لا يبقى الامير عبد القادر بين ايالتكم واياتلنا وان لا تقبلوه في ارضكم فلما ضاق عليه المجال في ارضنا فرّ منا وجر ذيله ببلادكم فقبضتموه واكرهتموه وبجائتموه وكان فعلمكم هذا سبب الفساد الذي وقع بيننا وبين المعظم الارفع محبنا وصديق دولتنا صاحب السياسة والرياسة مولاي عبد الرحمن ابن هشام اعزه الله فانتهبوا من غنائكم وفرقوا بين خيركم وتنعمكم واعلموا بان الامير عبد القادر كالحية الرقطاء لمها لين وهي قاتلة سماً وقد ذكر بعض الاوائل ان رجلاً وجد لعة في سياق الموت من الم البر فاشفق لحالها وادخلها بين ثوبه ولحمه فلما افادت وتحركت لسعته فمات وصار هذا مثلاً يضرب لثلكم ونحن جعلنا الحدود وسويتها ووضعناها بيننا وبينكم وبينها ولم تتم اربعة اشهر حتى افسدتم الامر وصار الامير عبد القادر يسير بخيولكم ورجالكم اعانة له واعراش بلادنا فرت اليكم وتحزموا معه وقد وصل لنواحيننا وغزا ولم يحصل على مراده ولما وقع ذلك عزمنا على الدخول لايالتكم بجيوشنا ولم يبق الا التحرك فاذا بصديقنا المعظم الارفع مولاي عبد الرحمن كتب لسعادة سلطاننا راي فرنسا وبعث له البشدر يقول له تربص ولا تعجل حتى ننظر امر هؤلاء الرعية ونكفهم عن فسادهم وربما ينصتون بعد النهي وقد مضى ستة اشهر ونحن نراقب ما يصدر من الخير لکم ولنا فاذا به نسمع جمعة ولا نرى طمناً والآت انا طردنا الامير عبد القادر وافسدنا امره ودخن ارض الفلات وقرب منكم وصار البوحميدي يمدد بخيل ورجال منكم ومن غيركم وهو يحكم بوسطكم ويصول عليكم مع امساكه الزكاة والعشور والمطالب المخزية ولم تكفه عن ذلك او نتجنبوا عنه وتبرؤا منه ومن حملنا وعدم عجلتنا بقي عسكرنا كانه في السجن منتظر لامرنا وهذا هو العجب وقد امتلأ القلب وفاض النكيال وكل شيء له نهاية وكال وان هذا والله لم يقع بين الاجنوس اصلاً في الماضي والمستقبل وصبرنا لم يكن عند ملك ابدًا لانا مراقبون امر هذا الثغر وقد اردنا ابشامه واطلعنا على جميع احواله وفيه حنا مراد اناسه ونظن احد امرين اولهما ان السلطان مولاي عبد الرحمن امركم بالكف عن الفساد وخالفتم امره فليس لنا كلام مع السلطان المذكور ولكن ندخل بلادكم بالجند الموفور واما ان يكون امركم بهذا خفية منا فهو العدو حيث قبل عدونا وحاشاه من ذلك ولا سيما ان الملوك اذا عاهدوا انجزوا واعلموا ان هذا ليس خوفاً منكم انما هو الواقع وفعلمكم هذا يوافق الشريعة وربما لم يوافق جميع الاديان لخروجكم عن طاعة اميركم وهو دليل شرکم بلا فائدة فاشروا بخبركم نطلب

من الله تعالى ان ينهبكم من غفلتكم ويعرفكم بطاعة اميركم ونطردوا الامير عبد القادر واتباعه وننسى كل ما فات ويتبدل الغضب بلرضى والجوار اوصى عليه الرسول وفي هذا كفاية والسلام في الرابع من جمادى الاولى سنة ثلاث وستين ومائتين . فمن نظر كتاب المارشال بيجو المرسل لهذه القبائل وتأمله ثم قابله مع الكتاب المرسل اليهم من السلطان عبد الرحمن الاقي ذكره وتأمل تأمل المصنف فعل كل من دولتي فرانس ومراكش وما اجرته ضد حركات الامير علم بداهة ما كان بينهما من المخادنة والمواطئة سرّاً وعاناً على ابطال حق الحق واطفاء نور الصدق وعند الله تجتمع الخصوم . ثم رجع بيجو الى الجزائر وامر حاكم وهران بالخروج في العسكر الى الصحراء الغربية فجال في جهاتها ووقع بقبائل حميان واولاد السيد الشيخ ابن الدين في تخوم الجهة الجنوب وصارت السلطة الفرنسية متمكنة في النواحي الغربية والشرقية من حدود مراكش الى تخوم تونس

❖ ذكر استعفاء المارشال بيجو من ولاية الجزائر وسفره الى فرنسا ❖

قد تقدم انه كان جنرالاً وقائداً للعساكر الفرنسية في وهران وهو الذي ابرم معاهدة تافنا مع الامير ولم يحسن الادارة بتلك المرة بيد انه تدرب مذ درس في مدرسة الامير الحرية احسن الادارة في المرة الثانية وظهر من الاقدام والشجاعة وتحمل من الخطوب ما لم يكن في حساب وكان في سن الشيخوخة فسماه الامير الاسد المهرم قال بعض مؤرخيهم ولذلك منخته دولته قوة لم تمنحها لاسلافه لاسيما انها اعتبرت عبد القادر بعد الحوادث الاخيرة رجلاً عظيماً في كل امر فامرت بتلاحق ارسال النجيدات العسكرية والذخائر الحربية ولما تم الامر المقصود للمارشال بيجو في بلاد الجزائر وتمهدت فيها الطاعة لدولته قدم استعفاؤه طلباً لراحة نفسه مما لحقه من اتعاب الحروب ومعاناة الخطوب مدة تزيد على ست سنين متوالية لم يسكن فيها روعه ولم يهدأ في سائر اوقاتها فكره فاجابته الى مطلوبه فترك الجزائر وسافر في الحادي والعشرين من جمادى الثاني سنة ثلاث وستين ومائتين والرابع من مائة سنة سبع واربعين وثمانمائة واقام الجنرال بار وكيلا فيها ثم ابدل بالجنرال بيدو وفي الخامس والعشرين من شوال والخامس تشرين اول جاءها الدوك دومال بن الملك حاكماً عاماً فاضبط امورها واقام الجنرال لامورسير على ولايته في وهران وعين الجنرال بيدو حاكماً على قسنطينة والجنرال كافيناك على الجزائر ثم خرج ينفق الحاميات والمسالح وخلا له الجو فلم يتعرض له احد ولله الامر من

قبل ومن بعد .

﴿ ذكر وقعة تافرسيت من بلاد الريف الغربي ﴾

قد تقدم ان عبد الرحمن سلطان المغرب الاقصى تعرض للامير باقامته في تخوم مملكته وطلب منه الخروج منها فغافل الامير ولم يلتفت اليه فاغناظ لذلك وارسل الى الشيخ بزيان يامره باستعمال الوسائل النعالة في اخراج الامير ودائرته من ايالة مراکش وكتب الى مشايخ بني يزناسن واهل انكاد ان يكونوا معه يدًا واحدة في اخراجه منها وصورة ما كتبه اليهم

﴿ الحمد لله وحده ﴾

خدائنا بني يزناسن واهل انكاد وفقكم الله وارشدكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد بلغنا ان الامير عبد القادر نهض في قومه ومن انضاف اليه من اخوانكم الذي استنفروهم وخدمهم بتمويهه وابطاله حتى نزل بجامع الغروات على من بها من النصارى وعسهم ووقع فيهم وقتل جالهم ولم ينج منهم الا من فر بنفسه وما مراده الا اثاره الفساد وجلب الشر والفتنة للمسلمين كما جلبها لايالة الجزائر وغديها حتى اوقعهم في الكفر والعياذ بالله وانقادوا بسببه لاستيلاء الكفار واسلموا انفسهم لاحكامهم وعاد عليهم شؤم فعله بالدين الذي لا يرضاه مسلم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد خدعكم باظهار الدين واحوال الصالحين وما في ضميره الا الفساد وايقاد الفتنة بين العباد ومن يتبعه على ذلك الا هو من الاخسرين اعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ونحن لا نكره الجهاد بشروطه ونكره ما يعود بالضرر والغلبة لجانب الاسلام ولكن هذا المشؤم اراد نقض ما اسنناه من الصلح الشرعي وايقاد الفتنة بعد اطفائها سعيًا في هضم جانب عزكم وانساد دينكم ودنياكم وتكدير خاطرنا عليكم واتم لا تشعرون فما نحن امرنا خائنا الا بحمد الشيخ بزيان بالقيام على ساق الجدة في اخراجه ودائرته من اياتنا السعيدة طوعاً او كرهاً وحسم مادة فتنهم وضلالهم فكونوا معه يدًا واحدة وشدوا عضده على ذلك حتى يقضي الغرض ان شاء الله تعالى وكفوا اخوانكم عن متابعته ونهوضهم عن مقاطعته فان من قاطعه ونبتذ متابعته فقد احاط نفسه ودينه ومن تبعه وشد عضده وكثر سواده فقد تعرض لخط الله ورسوله وسخطنا لا ينجح له زرع ولا خرع وقد اعذر من انذر اللهم اشهد وسيعلم الذين ظلموا ايَّ منقلب ينقلبون وما عقدناه من الصلح مع العدو الكافر اسنناه على قواعد الشرع العزيز ونيناها واقندينها

فيه برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه صالح كفار قريش صلح الحديبية حين صدوه عن البيت الحرام مع تدافع الصحابة وقوة عزيمتهم وقهر عدوهم ولم يكن ذلك غلبة وإنما هو تشريع ولو شاء عليه الصلاة والسلام لامرأتينك عليهم الاخشبين حتى قال سيدنا عمر لرسول الله انعطى الدنيا في ديننا السنا على الحق وهم على الباطل فقال بلى فقال ابو بكر الله ورسوله اعلم وقد صالحهم على ان من فر اليه يرد اليهم فقر اليه ابو هريرة ليلة فرد اليهم وفاء بعهد وامضاء لعقده وكان هذا الصلح هو الفتح بعينه فنجى برسول الله اقتدينا وبشريعته اهتدينا ونظرنا للمسلمين بما لم يضيّقوا به رفقا بهم ليتبنوا ويتمتعوا في سعة وعافية ونحن على سنة الجهاد وعقده عارفون ما اعد الله لاهله من اجره فكيف يأتي هذا البداع يعلم احوال الجهاد واحكامه ونحن اعرف به منه وما ورد فيه وما اعد الله لاهله ولو رأينا الخير للمسلمين في غير الصلح ما ارتكبناه فلا يفيدهم الا ذلك فاستأوا اهل العلم وما ورد في صحيح البخاري ومسلم في فضل الجهاد واحكامه والصلح واقسامه ليعلم حال عبدالقادر وجهله بالسنة وغيرها وان من تبعه فقد باء بالضلال والردى وحاد عن شريعة المهدي في الثالث من شهر رمضان سنة ثلاث وستين ومائتين والاف من المولى عبد الرحمن ابن المولى هشام فضايق الامير لذلك ذرعا ولم يجد بدا عن ان يحمي حوزته ويدوخ النواحي التي هو مقيم فيها فانذر واعذر واوعد وحذر ثم بطش باهل الفساد وسهد ما قرب منه من البلاد ومد يده الى اقامة الاحكام الشرعية فيهم واخذهم بالرهبة وبالغ في ذلك حتى لاذوا بالطاعة وتذرعوا بالخضوع فزال بذلك عن المهاجرين ما اهتمهم وغمهم وادركوا من رخاء العيش وبعد الصيت ما حرك من سلطان مراکش السواك ووقعه في الخوف على ملكه ثم بلغه ان اهل فاس قاعدة مملكته وغيرهم من اهل القنصية بعثوا الى الامير يدعونه الى الاستيلاء على بلادهم واخذهم بنصرته فازداد غضبا وجهز قائده الشهير بالاحمر في عسكر كثيف لقتال الامير واخراجه من البلاد وكان في تلك المدة وصل الى حضرة الامير مولاي عبد الرحمن بن سليمان سلطان المغرب الاقصى السابق ليكون في جملة فلما بلغ الامير خبر القائد الاحمر استعد للدفاع عن حماه وكان وقتئذ نخما بين ارض بني توزين ومطالس من قبائل الريف ولم يزل القائد الاحمر يطوي المراحل الى ان خيم بتافرسيت على مسافة مرحلة من الدائرة ثم بعث بعض لروءاء في شردمة من الجيش يستكشف احوال الدائرة يستطلع اخبارها ولما تراءى الرئيس لها ركب بعض فرسانها اليه فلما رأى الخيل قد اقبلت عليه امتلا قلبه رعبا ورجعوا الى معسكرهم لا يلوي احدا على الآخر

وقبض على عدة خيالة منهم ثم ان الامير بحث الى القائد يدعوه الى المسالمة ويعتذر اليه بالعجز عن الخروج بضعف المهاجرين الى الصحراء لبعده المسافة ويظهر له سلامة صدره ويؤكد له انه لا يخطر في باله ما بالغ السلطان عنه وانه لا يريد الا العافية واقامة المهاجرين تحت انظار السلطان فلم يجده ذلك نقعاً وبنى القائد الا الخروج او اقتتال فحينئذ اخذ الامير حذره منه واستعد للمدافعة عن الاهل والاولاد ثم بداه في مراجعة القائد ثانية فبعث اليه يقسم بالله تعالى انه ما اخمر للسلطان شراً قط ولا سعى في افساد القلوب عليه ثم حذره من قتال المسلمين المهاجرين في ارض لا تنالها الاحكام منذ احقاب فابي الا باجراء ما جاء لاجله وامر بتنفيذه فلما راي الامير انه لا محيد له عن المدافعة والنصوص الشرعية موافقة له بادر الى الاخذ بالاحتياط ثم اخذ من فرسانه مائتي فارس وسار بهم غازياً على العدو وهو في تافرسيت فصبحه واستولى على معسكره بما فيه وهجم بعض رؤساء جيشه على القائد فقتله واحتز رأسه وجيء بحريمه واولاده الى الدائرة وبعد مدة عين الامير لهم حرساً وارسله معهم فادخلهم الى فاس وقد قدر ما كان في المعسكر من المتاع والخيام والكرام والمهمات الحربية بالوف من الليرات وكان من جملة تلك الامتعة البسة فاخرة جاء بها النائد ليفرقها في رؤساء القبائل اذا اتانوه على الامير وقاموا بصرتهم فسقط في يده وخاب امله واهتز المغرب الاقصى لهذه الواقعة وخطأ الشعب سلطانه ونقموا عليه حيث بعث جيوشه لقتال المسلمين المهاجرين الذي التجأوا الى بلاده طالبين حمايته لهم من عدوه وعدوهم

❖ ذكر واقعة بني عامر في نواحي فاس ❖

لما ترك المهاجرون من بني عامر الدائرة ووقع بينهم وبين ابن التهامي خليفة الامير عليها بدسائس الخليفة السيد محمد البوحميدي وارتحلوا الى فاس مغاضبين فاكرم سلطان المغرب نزولهم وقطعهم ارضاً تشتمل على معرث عظيم وبساتين خصبة فاستوطنوها ولما رجع الامير من الجهة الشرقية الى الدائرة اشترأت نفوسهم الى الرجوع واقاموا ينتظرون سراح الفرصة فلما تمكن الاير في ارض الريف وثبتت قدمه فيها اعتزموا على الرحلة الى سيدهم وولي نعمتهم وكتبوا اليه ان يراقبهم في بلاد مكناسه فاجابهم الى ذلك وارتحل بدائرته الى كرم قريياً من جبل كاعيه ثم سار في نخبة من فرسانه الى بلاد مكناسه وكان بنو عامر ارتحلوا مشرقين ففطن بهم جيرانهم من اهل الوطن فطايروا الخبر الى سلاطينهم فسير

في اثرهم جيشاً كثيفاً من الشرارده عليهم القائد ابراهيم بن احمد الاكل ونا نزل
 بساحتهم ارسلوا الى رئيسه يقولون نحن قوم خرجنا من دائرة اميرنا لامر اقنضي ذلك
 والآن اردنا الرجوع الى اخواننا واهلينا فلا سبيل لكم الى منعنا شرعاً ولا قانوناً فما كان
 جوابه الا انه اغار عليهم فدافعوه يوماً كاملاً ثم كثرت الجيوش وحشود اهل الوطن
 واحاطوا بهم احاطة السوار بالساعد فاعنصموا برية وجعلوا يقاتلون عن حريمهم وكانوا
 رماة لا تسقط لهم رصاصة في الارض فكلما توجهت اليهم طائفة من الجيش استاصلوها
 بالرصاص وكانوا يجمعون موتاهم فينصبونهم اشباراً ينترسون به ويقاتلون من خلفه ولما
 اعيا الجيش امرهم حملوا عليهم حملة واحدة حتى خالطوهم في معصمهم وجالدهم بالسيوف
 وطاعنهم بالرمح والتوافل وانقطع البارود فكانوا يقتلون بناتهم ونساءهم بايديهم فراراً
 من السبي والعار ثم جعلوا يقتلون انفسهم حين تحققوا انهم في قبضة الاسر ومن بقي منهم
 من النساء والاولاد اخذهم المراكشيون وباعوهم في اسواقهم بالجس ثمن وباروا بها شتاء
 الى آخر الدهر لانهم استحلوا دماء قري موءنين موءنين باذلين انفسهم واموالهم في
 سبيل الله لاءلاء كلمة الدين لم يدخلوا بلاد هذا السلطان حتى اذن لهم وامنهم واجارهم
 فليت شعري بماذا استحل دماءهم على ان الشارع حرم قتل الموءن من الحربيين فكيف
 به اذا كان من الموءنين اما سمع قوله عليه الصلاة والسلام كل المسلم على المسلم حرام
 ماله وعرضه ودمه حسب المرء من الشرك ان يحقر اخاه المسلم اما بلغه ما روى ابن المبارك
 عن حمزة بن عبيد ما يحل لمؤمن ان يشدد على اخيه بنظرة تؤذيه وغاية ما اقول « لقد
 تعدى » وعند الله تجتمع الخصوم ولما اتصل الخبر بالامير وهو بمخيمه في بلاد مكناسه
 رجع الى الدائرة ووجد قبيلة كاعيه اغاروا على كراع الدائرة فاخذوا منه عدداً وافراً
 فاسرها بنفسه وبعد ان اقام للراحة اياماً ارتحل بدائرته ونزل على قبيلة كاعيه وبعث
 اليهم يرد ما اختطفوه من الدائرة فابوا ذلك واصروا على بيعهم واعندائهم فحينئذ سار اليهم
 في جموع فاشحن فيهم بالقتل والاسر واذاقهم شديد النكال ورجع الى دائرته وكان
 اكثر الاسرى من اعيانهم فنعبدوا برد جميع ما اخذته قبيلتهم من الدائرة وبعد الوفاء
 بذلك اطلق سراحهم واشتهرت هذه الواقعة فكانت من اعظم الوسائل لردع الدعار والغزاة
 من القبائل الغربية من منازل الدائرة وبعد مدة انقل الامير الى زاو وهو موضع مطل
 على سهل تريفه فجاء محمد بن عبد الرحمن رئيس قبيلة الاحلاف وفارضة في بعث احد
 خلفائه الى حضرة سلطان مراکش ليعتذر اليه ويستعطف قلبه فاجابه الى ذلك وعين
 لهذه السفارة خليفته البوحيمدي فسار ومعه الرئيس المذكور الى فاس فلم يحتفل به

السلطان ثم التي القبض عليه وبعد ايام قلائل اتلفه بسم اكرهه ناظر الحبس على شربه فمزق اعضاءه ولا اتصل الخبر بالامير علم ما في نية صاحب المغرب من جيته قال بعضهم وبما فعله سلطان المغرب بالخليفة البوحميدي يس الامير من مواسلته واعانته على عدوه وتبين له انه امسى وحيداً لا نصير له غريباً لا وطن له ومع ذلك فانه لم يلحقه جزع ولم ينله ضجر ولم يكن عنده وقتئذٍ من الجيش سوى التي مشاة والفي فارس وهم من الابطال الذين شاركوه في اقتحام الشدائد وصبروا معه على مقاساة الخطوب والمكاره ولازموه في جميع مدته التي اظهر فيها من الشجاعة والاقدام ما بهر الافكار وخلص له الذكر الجميل مدى الدهور والاعصار وهم الذين عملوا باشاراته وفازوا في خاتمة امره بصالح دعواته .

❖ ذكر آخر الوقائع في المغرب وما آل اليه امر الامير بعدها ❖

لما استحكمت العداوة بين الامير وصاحب المغرب وقوى ما عنده من الاحن والنخائن وبلغه ما لحق الامير من الضعف وقلة العدد والعدد جهز ولديه محمداً وهو ولي عهده واحمد في خمسين الف مقاتل وسيرهم اليه في الثاني من المحرم سنة اربع وستين ومائتين والعاشر من دسحبر سنة سبع واربعين وثمانمائة نزل بجيشهما في قلعة سلوان على مسافة ثلاث ساعات من الدائرة فرأى الامير ان يبادرهم بالهجوم وياخذهم بالرهبة قبل ان يزحفوا اليه فجمع جيشه وشد عزائمهم واخبرهم بما عزم عليه من مهاجمة العدو فنشطوا لذلك وبايعوه على الثبات معه الى الموت واثار بكيدة يستعينون بها على ارباب العدو فانحضر جملين وشد على كل منهما حزميتين من الخلفاء بعد ان لاشوهما بالقطران والزفت وامر ان يكون ايقاد النار في الحزمتين مقارناً للحمل على العدو في ليلة الرابع والثاني عشر من الشهرين المذكورين سار الامير بجيشه قاصداً سلوان ولما قرب منها رتب جيشه للهجوم وامر بتقدم الجملين امام الجيش ثم اضربت النار في الحزمتين فنفر الجملان وذهبا بجوسان خلال خيام العدو وحمل الجيش بعدها حملة رجل واحد فما راع القوم الا مشاعل النار تجول بين الخيام وامطار الرصاص تزل عليهم من حيث لا يحسبون فلم يسعهم الا الفرار وترك الخيام بما فيها من الامتعة والمهمات واستمر الامير وجيشه على هجومهم من غير ان يلتفت احد منهم الى الغنيمة حتى انتهوا الى سرادق اولاد السلطان فوجدوا العسكر قد احاطوا به واتخذوا الظاهر والاثقال وقاية لهم من الرصاص واشتد القتال

على السراق من نصف الليل الاخير الى ان لاح الفجر فحينئذ تاخر الامير بيزنده ونزل غير بعيد من منازل العدو وبعد ان صلى الصبح ركب راجعاً الى الدائرة بعد اثخن فيهم وفرق جمعهم وفعل بهم الفعائل حتى انه لم يبق مع ولي العيد واخيه الا حاميتهما وقد استولى القتل على اكثرهما وفي وقت الظهر تراءى الامير جيش اكثرهم من اهل الوطن مغيرين في اثره يطلبونه فعطف عليهم في نحو المائتي فارس فكسروهم مع كثرتهم وشتت شملهم ولا زالوا منهزمين لا يلوي احد منهم على احد الى ان دخلوا معسكرهم ثم انقلب راجعاً الى الدائرة وارتحل بها من زاو مع نهر ملوية ونزل بالقرب من مصبه في البحر واقام العدو في سلوان الى ان تراجع من جموعه من فر الى الجبال القريبة منه واما الذين ابعدوا المار فاستمروا على فرارهم الى مواطنهم وارسل في جبل كعية وكيدانه ومن قاربهم من قبائل البربر وعرب تريفه حاشرين فانشالوا اليه افواجاً افواجاً معتذرين اليه في تخلفهم عنه حتى وقع بجموعه ما وقع من قوم غرباء لا ناصر لهم وبعد ان استكمل تعبته ارتحل من سلوان ونزل بزاو فاتصل الخبر بالامير فاجاز بدائرته النهر ونزل بالعدوة الشرقية منه ثم جاء العدو فنزل في منازلها الاولى في العدوة الغربية فامر الامير ان ترتفع الدائرة الى ناحية عجرود وعين العسكر المشاة لمحافظتها وبقي فيمن معه من الفرسان ووقع المصاف على النهر وكان شائلاً وليس في تلك الجهة الا مجاز واحد فلما هجم العدو غرق منهم خلق كثير بخيلهم والذين اصطفوا على صفته الغربية اشتد القتال بينهم وبين الامير كل من ناحيته واضطربت نار الحرب وكثرت القتلى والجرحى من الجانبين واستمر القتال على النهر ساعات ثم تقدمت حشود البربر من اهل الوطن الى المجاز فجازوا منه واتبعهم العدو واخطلت الجيوش وخاض بعضهم في بعض والتحموا وكثر القتل قعصاً بالرماح وطعنًا بالسيوف وكان القائد الشهبين محمد بن يحيى قد استشهد في تلك المعركة بعد ان ابلى بلاءً حسنًا فاخذل مصافه واصيب فرس الامير فوقع من تحته وركب غيره وتكاثر العدو فترشح الامير عن النهر وصار القتال في السهل مناوشة ثم اصيب فرس الامير الثاني فنزل عنه وركب ثالثاً فاصيب ايضاً وركب رابعاً ولما تولى النهار اقبلت جموع بني يزناسن وغيرهم من الوطنيين نجدة لولدي السلطان فحمل الامير عليهم حملة صيرتهم فرقاً وملأت قلوبهم رعباً وما زال يوالي الكر عليهم الى ان ردهم الى النهر ثم انصرف وقد ايقن بانتشار سلكه وذهاب ملكه فلاحقه العدو في الكتاب العديدة من اليمينه فانكشف جنده لقلته ونقاد ما بيدهم من البارود واخذ الامير باعقابهم

بدافع عنهم فكان رداً لم إلى ان انتهوا إلى عجرود ثم مال العدو إلى الدائرة فدافعه العسكر المشاة بقوة وثبات إلى ان اجازت الاثقال والحريم والاولاد وادي عجرود وقد قتل من العسكر في تلك العشية نحو المائة واسر مثلها واستمر الامير سائراً باهله وخاصته تلك الليلة مانعاً لحوزته دانعاً للذل بعزته إلى ان بلغ جبل بني خالد من بني يزناسن ودخلت الدائرة وفيها بعض اخوته وافاربه في ارض الفرنسيس وبهذا انتهت خاتمة المحن وانطفأت نار الحروب والفتن

هذا الذي سبق القضاء به والدهر في الانسان ذو دول ما قرّ في ايدي قوابله حتى اذيق الصاب بالعسل وكان الجنرال لا مورسير حاكم ولاية وهران لما بلغه سوق صاحب المغرب جموعه على الامير سنار من وهران في نحو الخمسين الف جندي إلى الحدود الغربية ليراقب اعمال المراكشية ويمنع الامير من التخطي إلى الصحراء فيعطيه من ارض مسيرده على مسافة بضع ساعات من وادي عجرود واقام هناك إلى ان انتهى الامر بين الامير والمراكشية ولما اتصل به خبر دخول الدائرة في ارضهم بعث من قواد جيشه من ينظر في امرها ونصب العيون على الامير وفرق الجيوش فيما بين بني يزناسن ومعسكره وربط عليه الطرق حتى لا يتخطى تلك البلاد إلى الصحراء وكان المطر سحاً متصلاً بالليل والنهار وعميت عنه اخبار الامير فاضطرب لذلك وارتبك في امره وخشي ان يفوته ما خرج لاجله واما الامير فانه لما وصل إلى بني خالد نزل على استاذهم الشيخ مختار بودشنيش في بلده تفجيرت وكان قبل ذلك من اصدقاء الامير فظن فيه انه يقوم بشأنه فاذا به رأى منه ما انكره وبلغه عن قومه ما انذره وحذره وتبين له انهم داخلون في الجملة المخرفة والذئبة المتطلعة إلى الغالب جرت عادة الله في ارضه بذلك فلم يسهه حينئذ الا النظر في امره وانتهاز الفرصة في خلاصه من مكائد العدو ومكره فجمع خاصته وذويه وقال يا قوم ان الاحوال كما ترون والاخبار على ما تسمعون فما الرأي وما الحيلة فقالوا الرأي اسيدنا فالذي يراه نحن معه فيه فقال لا ارى الا التسليم لقضاء الله تعالى والرضى به ولقد اجندت نفسي في الذب عن الدين والبلاد وبذلت وسعي في طلب راحة الحاضر منها والباد . وذلك من حين اهتز غصن شبابي . وانتزع عن شياة الهندي ذلي واقمت على ذلك ما ينبغي على سبع عشرة سنة اقتحم المهالك . واملاً بالجيوش الجارية الفجاج والمسالك . استحققت العدو على كثرتة واستسهل استصعابه . وتوغل غير خائف اودينه

وشعابه . وأرتب له في طريقه الرصائد . وأنصب له فيها المكائد والمصائد . تارة
انقض عليه انتقاض الجارح . وأخرى انصب اليه انصباب الطير الى المزارح . وكثيراً
ما كنت ايده فافنيه . واصبحه فابرد غليلي منه واشفيه . ولا زلت في ايامي كلها
ارى المنية ولا الدنية واشمر عن اقوى ساعد وبنان . واقضي حق الجياد بالمهند
والسنان . الى ان فقدت المعاضد والمساعد . وفني الطارف من اموالي والتالد .
ودبت الي من بني ديني الافاعي . واشتملت علي منهم المساعي . والآن بلغ السيل
الربى . والحزام الضبتين . فسبحان من لا يكيد كائد . ولا يبيد ملكه وكل شيء بائد

ان يلب القوم العدا	ملصكي وتسلمي الجموع
فالقلب بين ضلوعه	لم تسلم القلب الضلوع
اجلي تاخر لم يكن	يهواه ذلى والخضوع
ما سرت قط الى القتا	ل وكان من املي الرجوع
شيم الاولى انا منهم	والاصل تتبعه الفروع

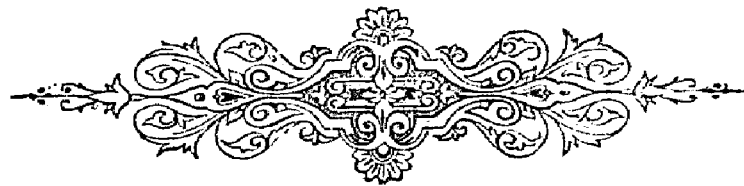
فاستكان القوم لهذا الخطاب وتذكروا ايام الله فيهم وانما يتذكر اولو الالباب ثم اخذوا
يتداولون الراي بينهم الى ان قر القرار على ان يكون التسليم الى الفرنسيين ثم ان
الامير عاجله الحال ان يكتب كتاباً في ذلك الى الجنرال لامورسير رئيس الجيوش
الفرنساوية فبعث رسولا من حاشيته ليخبر الجنرال باللسان ولما وصل الرسول الى
مناصب كيس وجد الدائري الشهير بابن خوبه بالمرصاد فاطلمه على الامر وسار معه
في لمة من خيله الى المعسكر الفرنسي فبلغ الرسول الرسالة الشفاهية الى الجنرال
فاهتز لذلك سروراً وبادر ببعث سيفه الى الامير مع ورقة ختمها بجتمه على يياض
ليشترط الامير ما اراد وارسلهم صحبة ابن خوبه وفي الوقت نفسه كتب الى
ملكه انني بهذه الدقية ممتطياً جوادي الذهاب لدائرة عبد القادر ولا يوجد عندي
فرصة لابعث اليكم بنسخة التحرير الذي اخذته منه اوجوابي له ويكفيني ان اقرر
باني قد اتفقت معه بانه هو وعائلته يذهبون الى عكا او الاسكندرية وهذان الخلان
هو الذي عينهما في شروطه وصادقت عليهما واني ملتزم بان اقوم بما اشترطه وقد
عملت ذلك بكمال الاعتقاد من ان جلالكم والحكومة تصادقون عليه ما دام
عبد القادر اعتمد على قولي وخطي وبعث البريد الى الدوك دومال ابن الملك حاكم الجزائر
فارتاح لذلك وركب من حينه بارجة وجاء الى مرسى جامع الغزوات ولاول وصوله اليها
بعث الى الجنرال يخبره انه قد وافقه على قبول ما اشترطه الامير وامره ان يزيده في ذلك

تاكيداً ويعطيه ميثاقاً غليظاً يطمئن به قلبه والامير وان كان في حالة يأس الا انه لقوة جاشه وصبره لم يظهر اليأس والجزع واظهر غاية التبرص والتأني ولذلك ترددت الرسل بينه وبين الجزال في ربط الميثاق واحكام العهد ثلاثة ايام بلياليها وبعد ان تم الامر بينهما على شروط منها ان يحملوه مع جميع عائلته الى عكا او الاسكندرية وان لا يتعرضوا لمن يريد السفر معه من الضباط والعساكر وان الذي يبقى منهم في الوطن يكون آمناً على نفسه وماله ثم سار الامير باهله وخاصته واتباعه من تفجيرات قاصداً المرسى حيث ان ابن الملك والجنرال لامورسير والجنرال كافنيك ينتظرونه فيها وعند ما وصل في طريقه الى مقام المرباط سيدي ابراهيم وهو الموضع الذي كان الامير انتصر فيه على جنود فرنسا ووقع بهم الوقعة الشهيرة منذ سنتين قبل ذلك وجد الكولونيل مونتبان في خمسمائة فارس ينتظره فواجه الامير بكل اعتبار واحتفال وبعد ان نزل الامير وصلى في المقام ركعات ركب وسار في ذلك الموكب الى ان قرب من مرسى الغزوات فاستقبله ابن الملك وفي معيته الجنرال لامورسير وغيره من القواد والاعيان في الابهة والاحترام وبعد ان استقر بهم المجلس قال الامير لابن الملك هذه الساعة التي قدّر الله تعالى ان يكون فيها ما نحن فيه الان وقد اخذت على الجنرال لامورسير عهداً وميثاقاً فلا اخشى ان ينقضه ابن ملك فرنسا وعظيمها فاجابه الدوك ابن الملك بما يوافق قول الجنرال ويشبه عهده ثم قام الامير وقدم له سيفه وقال له اني احسب هذا شرفاً قدم لفرنسا وفخراً عظيماً حصل لها وفي غد تلك الليلة توجه ابن الملك نحو الجنود الفرنسية المقبلة من مخيمها الى جامع الغزوات وعند رجوعه تلقاه الامير على جواده الادم وبعد ان نزل عنه اهداه اليه مع طبائجنه وساعنه فقبلهم ثم اجتمعوا اجتماعاً مخصوصاً جدد فيه ابن الملك العهد للامير وزاده وثوقاً واهدى الامير ايضاً طبائجنه وساعنه ثم سأله عن مرافقه في غربته الى المشرق فسمى له اهله واولاده وخليفته السيد مصطفى ابن التهامي والسيد قدور ابن علّال وغيرها من حشمه واتباعه في مائتي نفس قال بعض مؤرخيهم ان مما يجب الحيرة ويستحق التعجب ان عسكر الامير عبد القادر كاد ان يصل عدده الى الفين من الخيالة وعشرة آلاف من المشاة وقد قاوم به جيشاً عظيماً من جيوش اكبر دولة من دول اوربا يبلغ عدده مائة الف وستة الاف ما بين فارس وراجل مدة ست عشرة سنة واعجب من ذلك انهم كانوا يدخلون في معسكرنا ويقاثلوننا من وراءنا ومن ميمنتنا وميسرتنا ويهربون في الوقت الذي نتصور به القبض عليهم باليد والعجب كل العجب انهم كانوا يتعجبون عسكرنا بتجاوزاتهم الدائمة ويظهرون بالامنية التامة غير مباليين بما كان ولا مهتمين بما

سيكون فليت شعري بماذا يجاب من سأل عن الفرق بيننا وبينهم ومن الذي يستحق المدح منا ومنهم أه قال الاديب صاحب الجامعة بعد ذكر ترجمة الامير في مشاهير المتقدمين والمتأخرين فلا يسع المؤرخ الشرقي غير الوقوف بازاء عظيمته متفكراً وباسباب سقوطها معتبراً لان الصراع بينه وبين الجنود الفرنسية كان بين مبدئين لا بين قوتين حربيتين احدهما استقلال الممالك الشرقية والثاني اطماع اوروبا الاستعمارية غير ان قوة الطمع زعزعت استقلال الشرق واستشعرا هله انهم مطحونون برحاه فازداد باسهم ولو قوى المبدأ الاول لقوى رجائهم وزاد باسهم وايت شعري ما يقول المؤرخ الغربي بعد امعان النظر في دولة احكم اساسها منذ الف واربعائة سنة فقد استولت على مستعمرات امير عمر دولته سنة بعد ان قهر رجالها واباد ابطالها واشغلها خمسة عشر عاماً الى ان اراد الله انفاذ ما قدره وقضاه عاضدها اقرانه وساعدها عليه جيرانه فاستسلم لقضاء مولاه وسلم اليها نفسه برضاه على شروط موقع عليها من الجانبين وهذا هو سبب انهدام ملكه فليت شعري من يمدح ومن الذي يطعن فيه ويقدر ويذم ويغني لكل شرقي وقف بقبر هذا الامير ان يخضع لعظمته ويمرغ وجهه في تربته ويعلم ان هذا الاسد الريال محط رحال الآمال والانضال

سقى الرحمن قبراً حلّ فيه امير بالمفاخر لا يضاهها
همامٌ قد حمى الاوطان تما دهاها واقلدى باييه طاهها
به قرّت عيون الشرق نفراً واهل الغرب ما بلغت منهاها
ولكنّ الاله قضاء ماضٍ وكيف تردّ اشياء قضاها

وبتسليم سيفه انتهت سيرته السيفية وهي الجزء الاول وبلية الجزء الثاني في سيرته العلمية والله وليّ التوفيق



فهرست

❖ الجزء الاول من تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر ❖

❖ واخبار الجزائر ❖

صفحة	
٣	خطبة الكتاب
٧	المقدمة في ذكر جغرافية اقسام المغرب
٩	ذكر حدود بلاد الجزائر ومساحتها وما اشتهر فيها من المدن والجبال والانهار
	وصنوف نباتها وثمارها وصنائع اهلها وما يوجد فيها من الحيوانات والمعادن
١٩	ذكر ابتداء عمران المغرب وحوادث دول الاشراف والعرب والبربر فيه
٢١	ذكر البربر وشعائهم
٢٢	ذكر فتح المغرب وما جرى في ذلك من الوقائع بين المسلمين والبربر
٢٩	ذكر دولة الادارسة في المغرب الاقصى
٣٣	ذكر بني الاغلب امراء تونس
٣٤	ذكر دولة الادارسة بالاندلس
٣٦	ذكر دولة العبيديين وهم الفاطميون
٤٠	ذكر دولة المرابطين
٤٣	ذكر دولة الموحيدين
٤٧	ذكر دولة بني مرتين
٥٠	ذكر دولة بني وطاس وهم فرقة من بني مرتين
٥١	ذكر دولة السعديين
٥٥	ذكر امارة الشبانات من عرب المعقل
٥٦	ذكر دولة السجلمايين
٥٦	ذكر دولة بني زيان وهم بنو عبد الواد

صفحة	
٥٩	ذكر دولة الحفصيين امراء تونس
٦٠	» الدولة العلية في المغرب الاوسط وافريقية
٧٣	» فتح مدينة وهران
٧٥	» غير ذلك واخبار محمد بن الشريف الناصر على ولاية وهران
٧٧	» اخبار ابن الاحرش وغير ذلك
٨٠	» قيام السيد محمد التجيني
٨١	» ما كانت تؤديه الافرنج لحكومة الجزائر من الهدايا والاموال
٨١	» تسلط الفرنسيين على مدينة الجزائر
٨٤	» المعاهدة الواقعة بين قائد العسكر الفرنسي بوزموني وبين حسين باشا في الثالث عشر من المحرم سنة ست واربعين ومائتين والفس هجرية والخامس من يولييه سنة ثلاثين وثمانمائة والفس ميلادية
٨٥	» اخبار الفرنسيين بعد استيلائهم على الجزائر
٨٦	» خروج الماريشال بوزموني الى البليدة ورجوعه مهزوماً وما جرى بعد ذلك من الحوادث
٩٠	» حوادث المغرب الاوسط بعد تسلط الفرنسيين على مدينة الجزائر
٩٢	» واقعة خندق النطاح الاولى وفيها مقصورة الامير
٩٤	» واقعة خندق النطاح الثانية
٩٥	» واقعة برج راس العين
٩٦	» البيعة الاولى لسيدى الوالد
١٠١	» البيعة الثانية العامة
١٠٣	» تنظيم هيئة الدولة ورسوم الملك
١٠٤	» خروج الامير لتمهيد البلاد وما جرى بعد ذلك من الحوادث
١٠٤	» غزوة فليته وما اتصل بها من الحوادث
١٠٨	» استيلاء الفرنسيين على مستغانم وخروج الامير الى قتالهم وغير ذلك من الحوادث
١١٣	» رجوع الجنرال دي ميشيل الى المخابرة مع الامير واظهار رغبته في السلم
١١٤	» ابرام المعاهدة وما جرى في ايامها من الحوادث الداخلية

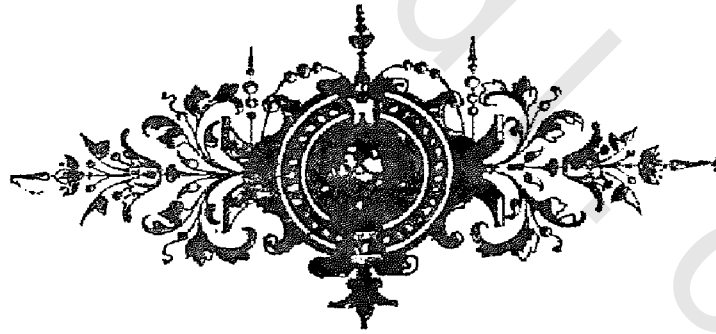
صفحة	
١٢٠	ذكر تنظيم الجند وما يتعلق به
١٢٥	« القوانين وهي اربعة وعشرون قانوناً
١٣٠	الخاتمة في انواع الجزاء
١٣٣	رسم احد خيالة جيش الامير
١٣٤	رسم احد عساكر الامير
١٣٥	صفة هيئة المعسكر وترتيبه في السفر
١٣٦	صفة رحيل المعسكر ونزوله
١٣٦	ذكر خروج الامير لتمديد البلاد
١٥٠	« انتقاض المعاهدة
١٥١	« وقعة المقطع وهزيمة الجنرال تريزيل وعزله وغير ذلك من الحوادث
١٥٤	رسم الامير وحملته على الفرنسيين
١٦٠	ذكر مسير الماريشال كلوزيل وولي العهد من الجزائر الى وهران واستيلائهما
	على عاصمة الامير وخروجهما منها
١٦٢	« خروج بوشناق التركي الى الحضرة ورجوعه الى مستغانم
١٦٣	« واقعة واصل في نواحي تلمسان
١٦٤	« مقتل الخليفة ابن فريجة وولاية السيد مصطفى بن التهامي على الحضرة
١٦٤	« خروج كلوزيل من وهران الى تلمسان وما آل اليه امره في تلك النواحي
١٦٦	« ولاية الجنرال بيجو على وهران وخروجه الى تلمسان
١٦٧	« حصار الامير تلمسان
١٦٨	« مسير كلوزيل الى قسنطينة وهزيمته ثم عزله عن الجزائر ولحقه بفرنسا
١٦٩	« البعوث الى الثغور
١٧٠	« انعقاد الهدنة
١٧١	« ولاية الجنرال دو مرمون على الجزائر والجنرال بيجو على وهران
١٧١	« انعقاد الصلح وما جرى في شأنه من المخابرات والمخاورات
١٨٠	رسم اجتماع الامير مع الجنرال بيجو
١٨٤	رسم مدينة تلمسان
١٨٥	ذكر ظهور محمد بن عبد الله البغدادي في جنوب ولاية تيطرى وقيام محمد

ابن عوده المخناري بدعوته

- ١٨٦ ذكر خروج الامير الى الجهة الشرقية وهزيمة محمد البغدادي ومصير امره
- ١٨٩ رسم المديـه
- ١٩٢ غزوة وادي الزيتون
- ١٩٣ ذكر خروج الجنرال دومريون الى قسنطينة ومقتله واستيلاء عساكره عليها
- ١٩٥ » استيلاء الامير على بلاد الزيبان وصطيف وما اليهما من البلاد الجنوبية والشرقية
- ١٩٦ » خروج التجيني في حمن عين ماضي من بلاد الاغواط ومسير الامير اليه
- ١٩٩ » المقاطعات والعمال وغيرهم من ذوي المناصب العلية وترتيب الاحكام وشؤونها
- ٢٠٣ » احتفال الامير للمولد النبوي والعيدتين
- ٢٠٤ » ماشيده الامير من الحصون وما انتهى اليه عدد العسكر النظامي مشاة وركبانا
- ٢٠٦ » توجيه السيد ابن عبدالله سقاط وفداً الى سلطان المغرب الاقصى وما ارسله معه من الاسئلة الى علمائها وما اجاب به شيخ الاسلام الامام التسولي
- ٢١٧ » ما وقع فيه الخلاف بين الامير والمارشال من مسائل معاهدة تافنا وما آل اليه الامر في ذلك
- ٢٢١ » خروج ابن علال خليفة الامير على مليانة لتحصيل الاعانة والزكاة من الاعراش
- ٢٢٢ » توجه ناظر الخارجية ابي محمد الحاج المولود بن عراش الى باريس
- ٢٣٣ » ما جرى بعد هذا من اشهار الحرب والمراجعات فيه وما آل اليه الامر بعد ذلك
- ٢٣٧ » بديء الحرب
- ٢٣٨ » غزوة متيجة
- ٢٣٩ » وقعة ابي بهير ووقعة بوفاريك
- ٢٣٩ » غزوة مستغانم
- ٢٣٩ » خروج حاكم الجزائر الى المديـه وصدّه عنها
- ٢٤٠ » مسير فرنساوية الى مرسى شرشال

صفحة	
٢٤٠	ذكر وقعة موزاية
٢٤٢	ذكر مسير فرنساوية الى مليانة
٢٤٥	ذكر احوال فرنساوية بعد الحروب السابقة
٢٤٩	ذكر عزل المارشال فالالا عن الجزائر وتولية الجنرال بيجو في مكانه
٢٥١	ذكر سوالات وجهها الامير الى قاضي فاس
٢٥٢	ذكر الاجوبة
٢٥٤	ذكر ما تكلم به الجنرال بيجو في المجلس الحربي في مدينة الجزائر
٢٥٦	ذكر مسير الجنرال بيجو الى مليانة وهزيمته في رجوعه منها
٢٥٨	» ما كتبه الامير عبد القادر الى المارشال بيجو
٢٥٩	» مسير المارشال بيجو الى ولاية معسكر
٢٦٣	» مسير المارشال بيجو الى تلمسان
٢٦٨	» ما كتبه الامير جواباً عن سؤال قدمه اليه بعض الاعيان من خواصه
٢٧٧	» دخول الامير الى ارض متيجة الغربية وانتصاره على القبائل المنتصرة هناك
٢٧٨	» ما اجراه الجنرال بيجو لمنع دخول الامير الى نواحي الجزائر
٢٧٩	» واقعة طاكين
٢٨١	» مهلك مصطفى آغا ابن اسماعيل رئيس قبيلة الدوائر
٢٨٢	» واقعة الجعافرة
٢٨٣	» واقعة الخليفة السيد محمد ابن علال
٢٨٤	» واقعة سيدي يوسف
٢٨٦	» ما كتبه الخليفة السيد احمد ابن سالم من جبال جرجرة الى الامير وما اجابه به
٢٩٠	» خروج بيجو من الجزائر الى جبال زاووة
٢٩٠	» مسير بيجو الى الجهة الغربية وما جرى بينه وبين حاكم وجدة ابن الكناري
٢٩٣	» واقعة الغزوات
٢٩٤	» واقعة تموشنت
٢٩٦	» ابني معزة الثائر وما آل اليه امره
٢٩٧	» اعمال الجنرال بيجو بعد رجوعه الى الجزائر في المرة الاخيرة وما آل اليه الامر
٣٠٠	» واقعة نهر يستر وما آل اليه امر الامير ورجوعه الى دائرته

- ٣٠٦ ما كتبه الامير الى علماء مصر من الاسئلة
 ٣٠٩ جواب الشيخ عايش عن الاسئلة
 ٣١٣ ذكر نكبة ابي معزة ووقوعه في قبضة الفرنسيين اسيراً
 ٣١٤ تسليم الخليفة السيد احمد ابن سالم الى الفرنسيين
 ٣١٦ استعفاء المارشال بيجو من ولاية الجزائر وسفره الى فرنسا
 ٣١٧ واقعة تافرسيت من بلاد الريف الغربي
 ٣١٩ واقعة بني عامر في نواحي فاس
 ٣٢١ ذكر اخر الوقائع في المغرب وما آل اليه امر الامير بعدها



❖ بيان الخطأ والصواب الواقع في هذا الكتاب ❖

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
القلمية	العلمية	١٢	٠٧
القطعة	القطعة	١٧	٠٨
وبسيطة	وبسيطة	٠١	١٠
للممكتين	للممكتين	١١	١٠
اشيدت	شيدت	٠٢	١٢
الجدار	الجداو	٠٦	١٣
النواحي	النواي	١٣	١٤
محلها	محلهم	١٦	١٥
التخيل اكثرته فيها	التخيل فيها	١٠	١٦
بناها	بناها	١١	١٦
تنيره	تديره	٢٠	١٦
آدوغ	اودغ	٢٧	١٦
الثل	المتل	١٠	١٧
كله	كله	١٢	١٧
الذرو	الزرو	٢٥	١٧
ونقل	ونقل	٠٥	٢٣
صقلية	صقلبه	١٥	٢٣
سوس	السوس	٠٤	٢٤
اليدار	البشار	٢٧	٢٤
املفار	ملفار	٠١	٢٥
ومن	ومن	١٢	٢٦
اليغرفي	اليغرفي	٢٧	٢٧
المصامد	المعامد	٠٣	٣١
في خطته	في خطه	٢٢	٣١

صواب	خطا	سطر	صحيفة
العبيد بين	العبيدين	٢٥	٣٢
يفص	بفض	٢١	٣٣
ابن	من	٠٥	٣٤
فجدل	فخذل	١١	٣٥
لمتونه	لمتونة	١٠	٤٠
غزاته	غزواته	١٨	٤٢
المعروف	لمعروف	١٩	٥٠
تاودنت	تاورت	١٣	٥١
تيلمست	تبلمست	١٦	٥١
بسلا	بسلى	٠٧	٥٥
السمالى	السمالى	٠٧	٥٥
واخلافهم	واخلافهم	١٣	٥٦
من عرب	عن عرب	١٤	٥٦
حروب	وحروب	١٧	٥٦
وارتحلوا	واتحلوا	١٩	٥٧
وبشره	ويسر	٠٨	٥٨
الهنثاني	الهنثاني	١٥	٥٩
تيسوادي	ينسوادي	٠٨	٦٢
نازعا	نازعا	٠٧	٦٣
قسطنطينه	قسطنطينيه	١٣	٦٧
النجون	النجون	٠٧	٧٢
جرت	حرب	٠٤	٧٤
محمد	محمود	١٥	٧٤
وجعه	وجعة	٠٣	٧٥
البرلقثال	البرلقثال	٠٧	٧٦
في معينه	في معيشه	٢٤	٧٧
مزرأك	مرزأك	١٣	٨٦

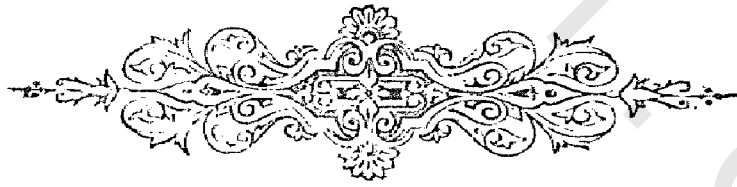
صواب	خطا	سطر	صحيفة
الجزائر	الجزائر	٢٠	٨٦
في القيطنة	في القيطنة	٢٦	٩١
ثمان	مراراً	٢٣	٩٢
عراها على النوى	دعها الى النوى	٢٦	٩٢
غيب	غياهب	٢٧	٩٢
فئمن	فانا	٠٩	٩٣
ونحن	وانا	١٦	٩٣
لهم	لها	١٧	٩٣
ثمان	مراراً	١٩	٩٣
قد شوى	يشتوي	٢٤	٩٣
القيطنة	القيطنة	١٥	٩٤
اتكالي	الاتكالي	١٧	١٠١
حيص بيص	حيص ويص	١٦	١٠٢
وجاعة	وجعة	٢٤	١٠٢
عيشهم	عيشهم	٠١	١٠٥
رتب	تب	١٦	١٠٥
راسلوه	ارسلوه	٠٨	١٠٩
من مسركين	في مسركين	١٨	١٠٩
فيثتهم	فثتهم	١٨	١٠٩
في الحرب احلى لا ذاتنا	في الحرب لا ذاتنا	٢٣	١١١
ادراك	درك	٢١	١١٣
المولود	الميلود	٠٦	١١٥
خلون	خلين	١٠	١١٥
بارجاع	بترجع	٢٢	١١٥
ان يسافر	يسافر	١١	١١٦
نصره الله	نصر الله	٠٩	١٢١
والسراويل	والسروال	١	١٢٢

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٢٢	٢	وسرواله	وسراويله
١٢٢	٢٥	وعن	وعين
١٢٤	١١	محل	محافظة
١٢٤	٢٥	احنچ	احنيج
١٣٥	٩	حداها	احدها
١٤٣	٧	عراس	عراش
١٤٣	١٦	ويجييه	يجييه
١٤٤	١٢	الاقاليم	الاقليم
١٤٤	٣٦	اجزؤه	اجزاؤه
١٤٥	٧	علم	اعلم
١٤٦	٩	العرب	عرب
١٤٧	١	ال معسكر	الى معسكر
١٤٨	١٢	بعضهم	المؤرخ المذكور
١٥٥	١٠	العسكري	المعسكري
١٥٥	١٣	الى الآخرة تجار	الى الآخر تجاره
١٥٥	١٥	المحده	الحدود
١٦١	٥	الامر	الامير
١٦٢	٥	اوارى	الهوارى
١٦٣	١٠	ينجح	ينج
١٦٣	١٥	رداء	رداء
١٦٥	٧	مفلولاً	مفلولاً
١٦٧	١٤	ذكر القائد	ذكر ان القائد
١٦٧	١٥	في قلعتها انه	في قلعتها كان
١٦٧	١٩	محمد	احمد
١٦٩	٢٧	واشفوا	واستفوا
١٧٢	١٨	حترامي	احترامي
١٧٢	٢٣	اشفاهاً	شفاهاً

صحيحة	سطر	خطا	صواب
١٧٤	٢٠	قلعتهما	قلعتها
١٧٤	٢١	التي بهما	التي بها
١٧٤	٢١	فيهما	فيها
١٧٥	٢٠	ويغود الشادر	ويغود الشارد
١٧٦	١١	المنية	النية
١٧٦	١١	امقاصد	المقاصد
١٧٦	١٦	مسا	مسلم
١٧٦	٢٧	حماده	حمادي
١٧٧	٠١	حضرة تلسان	الحضر في تلسان
١٧٧	٠٢	توسيع معين لحدود	التوسيع لحدود
١٧٧	٠٤	وعليه حررت	حصل الاتفاق على
١٧٩	٠٤	يتسربلين	متسربلين
١٧٩	٠٥	مسيره	يسيره
١٨١	٠٣	خاطر	خطر
١٨٢	١٦	كافيناك	كافنيك
١٨٣	١٢	سيدنا	سيدنا الامير
١٨٦	٠٣	السلطان	سلطان المغرب
١٩٢	١٠	المواصفة	الموصوفة
١٩٣	١٢	واقبيل	واقبل
١٩٥	٠٢	من الوف	مع الوف
١٩٥	١٨	والزواوده	والندواوده
١٩٩	٣٤	اربعه	رابعه
٢٠١	٠٩	الحاديه	الحاويه
٢٠١	١٥	والسيد	وعين السيد
٢٠٢	٢٧	والسيد عبدالله	والسيد ابن عبدالله
٢٠٣	٠١	الخروبي	الخروبي
٢٠٥	٢٣	سته عشر	ست عشرة

صواب	خطا	سطر	صحيفة
ظهر	اظهر	٠١	٢٠٦
بن ابي صفرة	بن صفرة	١٤	٢١٢
منصور	منظور	١٩	٢١٣
يحتسبون	يحبون	٢٦	٢١٦
دينكم	مدينتكم	١٠	٢١٨
الجدال	الجوال	٢٦	٢١٩
مطاطه	مطامطه	٠٤	٢٢٢
محمد بن فاخه	محمد فاخه	١٤	٢٢٢
شاره	بشاره	٠٢	٢٢٣
طاغيتهم	طاغيتكم	١٢	٢٢٣
العدو	العدل	١٣	٢٢٣
مخوصه	مخصوصه	٠٥	٢٢٦
واراؤها	واذاؤها	١١	٢٣٥
واقندار	واقندارا	٢٦	٢٥٤
قن	فمن	٠٧	٢٦٩
ردأ	ردم	١٧	٢٦٩
يستدلون	يتدلون	٠٦	٢٧٢
البرزلى	البرازلى	١٧	٢٧٢
اما	ما	٢٣	٢٧٢
خادم السيد	ابن السيد	٠٣	٢٨٦
وانحاز	وتحبز	٢٥	٢٩٧
المواز	الموز	١٢	٣٠٩
البرد	البر	٠٧	٣١٥
لا يوافق	يوافق	٢٧	٣١٥
بوز ياده	بز ياده	٠٥	٣١٧
عبد القادر الحشمى	الامير عبد القادر	١٠	٣١٧
احدم	احدم	٢٨	٣١٨

صوفيّة	سطر	خطا	صواب
٣١٩	٢٧	كلعيه	قلعيه
٣٢١	١٩	لاشوها	لا توها
٣٢١	٢٠	في ليله	وفي ليلة
٣٢٢	٠٣	بعد اثخن	بعد ان اثخن
٣٢٢	٢٧	بانتشار	بانتشار
٣٢٣	١٠	سنار	سار
٣٢٤	٠٧	الضبنين	الضبتين
٣٢٤	١٧	خويه	خويه



كتاب

تحفة الزائر

في مآثر الأمير عبد القادر واخبار الجزائر

الجزء الثاني

﴿ سيرته القلمية ﴾

قال ابو تمام

من الناس ميت وهو حي بذكره * وحي سليم وهو في الناس ميت

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بالمطبعة التجارية - غرزوزي وجاويش - بالاسكندرية

سنة ١٩٠٣

❖ فهرست الجزء الثاني من كتاب تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر ❖

❖ واخبار الجزائر ❖

ركوب الامير البحر الى طولون وما اتفق له مع فرانساً

٧	لطيفة
٩	ذكر قيام الجمهور في فرانساً على الملكيين وما لحق الامير من سوء المعاملة
١١	ذكر اخبار اخوة الامير وحملهم الى طولون
١٢	ذكر نقل الامير الى بوشم الى امبواز
١٨	حمل الشيخ الشاذلي الى امبواز لمؤانسة الامير وما جرى بينهما
٣٧	ذكر اخبار البرنس لويس نابليون وما اجراه من تسريح الامير واستيلائه على عرش المملكة وتسميته امبراطور فرانساً
٣٨	ذكر زيارة البرنس نابليون الثالث للامير عبد القادر في قصر امبواز
٣٩	ذكر توجه الامير الى باريس ولطائف اخباره وما هبت به نسيم رحلته المعطرة بنفحات آتاه
٥٠	ذكر وصول الامير الى القسطنطينية
٥٣	ذكر وصول الامير الى بروسه
٦٢	ذكر ما اجراه الامير في خنان اولاده وذكر حادثة الزلازل وما آل اليه الامر بعد
٦٥	ذكر انتقال الامير الى دمشق وما صادفه من الاحتفال فيها وفي طريقه اليها
٦٧	ذكر توجه الامير الى زيارة بيت المقدس
٧٥	ذكر قضية مدرسة الاشرفية المعروفة بدار الحديث النووية
٨٢	ذكر ما احدثه الامير في دمشق من الابنية وما اشترى من الاملاك داخلها وخارجها
٩١	ذكر حوادث جبل لبنان
٩٢	ذكر حوادث دمشق

- ٩٨ ذكر ما ورد على حضرته من مكاتيب الدول ونيأشينها وما قدمه الشعراء الى اعنابه من قصائد المدح والتهنئة
- ١١٢ ذكر ما نشرته بعض الجرائد الاوروبية من اخبار الحادثة الشامية
- ١١٦ ذكر توجه الامير الى حمص وحماه
- ١١٩ وفاة والدته رضى الله عنها
- ١٢١ ذكر توجه الامير الى الحجاز
- ١٢٤ ذكر السؤال الذي وجهه الامير لعلماء مصر وجواب العلامة الشيخ حسن العدوي عنه
- ١٣٧ قصيدة الامير في مدح شيخه الفاسي
- ١٤١ توجه الامير الى الطائف
- ١٤٢ ذكر سفر الامير من مكة الطاهرة الى المدينة المنورة الزاهرة
- ١٤٥ ذكر رجوع الامير الى مكة ثم الى دمشق الشام
- ١٥٣ ذكر توجه الامير الى الاستانة ثم الى باريس ورجوعه الى الشام
- ١٦١ ذكر ما اجاب به الامير عن اسئلة ارسالها اليه الجنرال دوماس الفرنساوي
- ١٨٥ ذكر توجه الامير الى مصر لحضور محفل فتح خليج السويس
- ١٨٩ ذكر بعض الرسائل والاجوبة
- ٢١٣ ذكر الارجاف بموت الامير
- ٢١٥ ذكر ما ادرجته الجرائد الفرنساوية
- ٢٢٤ ذكر ما اجاب عليه من اسئلة العلماء الاعلام
- ٢٤٦ ذكر مرضه ووفاته وما يتعلق بهما
- ٢٥٠ ذكر رسائل التعازي والمرثي
- ٢٩٧ خاتمة في ذكر نسبه الشريف



تِلْكَ الْحَرْبُ

❖ ذكر ركوب الامير البحر ووصوله الى طولون وما انتق له مع
دولة فرنسا

انذ في ثالث يوم وصوله الى جامع الغزوات سار باعله ومن بحره الى المرسى والناس على
اليمن والشمال يبكون وينتحبون ولم يزلوا على ذلك الى ان ركب البارجة الحربية المعدة
لركوبه واسمها احموده وتوجه نحو فرنسا ولسان الحال ينشد قول ابن ابي لبانة شاعر
ابن عباد

تبكي السماء بزن رانح غادي	على البهاليل من ابناء عبادي
على الجبال التي هدت قواعدها	وكانت الارض منهم ذات اوتاد
عريسة دخلتها النائبات على	اساود لهم فيبسا وآساد
وكعبة كانت الآمال تتخدها	فالיום لا عاكف فيها ولا باد
يا ضيف اقرب بيت الكرمات وخذ	في ضم شمالك واجمع فضلة الزاد
ويا موهمل وادبهم ليسكنه	خف القطاين رجف الزرع بالواد
وانت يا فارس الخيل التي جعلت	تختال في عدد منها واعداد
الق السلاح وخل المشرفي فقد	اصبحت في لحوات الضيغم العادي
لما دنا الوقت لم تخلف له عدة	وكل شيء بميقات وميعاد
ان يغلبوا فبنو العباس قد غلبوا	وقد غلت قبل حمص ارض بغداد
نسيت الا غداة النهر كونهم	في المنشئات كموات بالحاد
والناس قد مائوا العبرين واعتبروا	من لوءلؤ طائيات فوق ازباد
حان الوداع فضجت كل صارخة	وصارخ من مفدات ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها	كنها ابل يحدو بها الحادي
كم سال في الماء من دمع وكم حمت	تلك القطائع من قطعات اكباد

ثم ان المسلمين صاروا آسفين. نتصدع زفراتهم وتنسكب عبراتهم لا سيما شيعة واهل محبته
كيف لا وقد طار من بينهم من كانوا يستمطرون خيره و يقيمهم اعنداء العدو وشره ويحيطهم
من كل مكروه وينيل كل واحد منهم ما يؤمله ويرجوه

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كننا اهليا فابادنا صروف الليالي والجدود العواثر
وقد تذكرت هنا ما قاله خاتمة ادباء الاندلس صالح بن شريف

لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يغتر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول ولا يدوم تلى حال لها شان
اين الملوك ذوو التيجان من يمن واين منهم اكاليل وتيجان
واين ما شاده شداد من ارم واين ما ساسه في الفرس ساسان
واين ما حازه قارون من ذهب واين عاد وشداد وقحطان
اتى على الكل امر لا مرد له حتى قضوا فكان القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك كما حكي عن خيال الطيف وستان
دار الزمان على دارا وقاتله وام كسرى فما آواه ايوان
كانما الصعب لم يسهل له يوما ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر انواع متنوعة وللزمان مسرات واحزان
وللمصائب سلوان يهونها وما لما حل بالاسلام سلوان
دها الجزيرة خطب لا عزاء له ثوى له احد وانهد نهلات

ولما شاع تسليم الامير عند اهل الجزائر عظم الخطب عليهم واشتغلت المنادب في
المدن والقرى والبادي وكثر النواح من النساء في ولاية وهران فاخبر الحاكم وطلب
منه منع ذلك فاجاب الجنرال دعهم ييكون فان هذا عزنا وعزهم قد ذهب فاني حضرت
من فرنسا ضابطا صغيرا فترقيت الى هذه الرتبة بواسطة حروب الامير ومثلي كثير
ولولاه لما تحصلت على هذه الرتب والياشين وفي الرابع والعشرين من تحرم سنة اربع وستين
واول يناير سنة ثمانية واربعين ارست البارجة في مرسى طولون وكان ابن الملك عين
مع الامير الكرونيل لورو وموسيو روسو ترجائا واخبره ان البارجة تمر على هذه المرسى
فبينما الامير ينتظر اقلاعها ومسيرها الى الشرق اذ دخل عليه حاكم طولون واخبره انه
مامور بنزوله في برج لاملاك الى ان ياتي الامر من باريس فحينئذ احضر الامير بالخدمة
ولم يسه الا النزول ثم جاءه الحاكم ولاطفه وآنسه واخبره ان الإقامة هنا لاجل

المخابرة مع الدولة العثمانية وصاحب مصر في شأنك وبينما هو ينتظر انجاز الوعد اذ جاءه الكرونييل دو ماس معيناً من قبل الملك الاقامة عنده ولاول وصوله اليه اظهر له ما جاء لاجله واخبره ان كافة فرنسا عارضت في اتمام ما وقع التعهد به من بعثكم الى الشرق فلذلك يعتذر لكم الملك في عدم الوفاء والذي يحسن عنده ان تسكن بلاد فرنسا وتعلمي اما كن مناسبة لمقامك العالي ويرخص لاهل محبتك من اهل الجزائر في الحضور عندك والسكنى معك فاجابه الامير اني لا اقبل هذا ولو فرشت لي سهول فرنسا ومسالكم بالدياج وها انا بين ايديكم فافعلوا ما بدا لكم ولا يمكن ان اترك طلب الوفاء بالتعهد ما دمت حياً ومن عجيب ما يسمع انني كنت ارى نفسي ضيفكم فجعلتموني اسيركم واخذتم تعددون عليّ اموراً قت بواجبها ذباً عن ديني وحماية لبلادي ولا زال التفاخر بها ويا مثلاً قديماً وحديثاً فان القيام بها دليل على كمال الرجولية والعدول عنها برهان على ضعف الانسانية وعلى كل حال فالعار والعيب عليكم لا عليّ ولو لم الق بنفسي اليكم ما واصلم الى التحكم في امري والتخير في شائي والامر لله ثم عرض عليه التوجه الى باريس كما قصدها ابراهيم باشا خديوي مصر فقال ان ابراهيم باشا يرى باريس وغيرها من امصار فرنسا منتزهاً له يرح فيه كيف شاء واما انا فلا ارى فرنسا الآن الا سجنًا لي ولبن معي فلا فرق عندي بين طولون وباريس ثم كتب الى ابن الملك الدوك دو مال يخبره بما ارتكبته دولتهم من عدم الاعثناء بايفاء العهد وانجاز الوعد وان من اكبر العار عليها غدرها بمن سلم نفسه اليها على ان هذا مخالف للمروءة بجانب الدين لم يسمع بمثله في اساطير الاولين والآخرين ولو كنا نعلم ان الحال يؤول الى ما اليه آل لم نترك القتال حتى تنقضي منا الآجال فاجابه ابن الملك بما نصه

(الى) حضرة الامير عبد القادر بن محيي الدين ارشده الله آمين
السلام عليك ورحمة الله وبركاته اما بعد فقد وصاني كتابك وقرأته وفهمته فخواه ومسني اهتمام لاهتمامك ومن حقك توسع بالك ولا تضيق خاطرك عن شيء لا يدوم ولو فرض انه لم يعجبك لم تعلم ان الفرنسيين جنس قوي وسلطانه صاحب حسنة وعدل مقيم فلا تندم على رأيك حيث سلمت نفسك لديه وفوضت امرك اليه وقد شهدت فضله واحسانه عليك فلا بد ان تكون مطمئن القلب سلي البال كما تسلي اصحابك وكل من معك وما يكون الا الخير والسعادة ان شاء الله وها اني بعثت لك كتابين : زدا عليّ من اخيك ودمت بخير والسلام حرر في يوم السبت اواسط حفر الخير سنة اربع وستين ومائتين والف

(قال) بعض مؤرخي الفرنسيين ان الامير لما تعين الكرونيل دوماس لمرافقته انس به لانه كان ايام معاهدة تافنا بين الامير وفرنسا وكيلاً عنده في عاصمته معسكر وكان الامير يحسن السلوك مع رفقائه ويسليهم ويتلطف معهم في سائر الامور ويخالطهم بنفسه ويؤثرهم عليها بكل ما كان يخص به من لذائذ الاطعمة ونفائس الالبسة فقبل له في ذلك فقال الحال التي نحن فيها تقضي عليّ بذلك وعلى هذا كان اسلافي مع من يساكنهم ويصاحبهم فلا يقول احدهم حصاني وبرنسي ومالي بل يقول حصانا وبرنسنا ومالنا ولا اريد ان اخالف اسلافي في شيء وقد دخل عليه الكرونيل دوماس في يوم شديد البرد فلم يجد عنده ناراً فسأله عن ذلك فاجابه ان ما كان عندنا من الحطب قد نفذ من أمس ولا اريد ان اضيق على رفقائي باخذ ما عندهم منه فقال الكرونيل الذي اراه انك لا تشبه رؤساء اهل ملتك الذين اجتهدوا في هدم احوال الامم

(لطيفة) - دخل عليه الكرونيل وهو يضحك وقال له ان احد القسيسين السذج في ما كون طلب مني ان يقابلك لكي يعرض عليك الديانة المسيحية وقد تعهد لي بفرح شديد على اقناعك وفي اقرب وقت يدعك تعتنق المذهب الكاثوليكي فقال له الامير يقتضي ان يكون هذا الرجل من اصحاب الخير لان له مقاصد صالحة فقل له انه يأتي وانا ارشده الى الدين القويم ويعد لي ظفراً ان اقنع رئيس ديانة مسيحية ان يتدين بديني . قال بعض المؤرخين وبالحقيقة لم يكن الكاهن المذكور اكثر خلوصاً في ايمانه من الامير عبد القادر في ايمانه فالذي يكون نظير الامير متعمقاً في الديانة لا يكون منهجه في حياته السياسي الانفس منهجه الديني وكان يفكر دائماً في استمالة العرب الى المبادي الاسلامية واستدعائهم الى فضائل اهل القرون الاولى للهجرة وايقاظهم من الغفلة ولولا محاربة دولة فرنسا لسمم مقاصده انتهى . ثم اتى لزيارته وتقد احواله الكرونيل بوفورت نيابة عن الدوك دوماك حاكم الجزائر واخبره ان الملك عزم على الوفاء بالشروط تماماً

وبعد ايام بلغه ان قضيته رفعت الى مجلس الامة لبحث فيها فحصل بين رجاله اختلاف كبير وقال البعض ان الامير قد خرج عن الطرق المرعية بين التتجار بين بقتله الاسرى صبراً فلا عهد له عندنا يجب علينا الوفاء به فاعرض اهل المجلس عنه وفي اول ربيع الاول سنة اربع وستين وستة ايام من فبراير سنة ثمان واربعين تكلم وزير الخارجية في مجلس الامة فقال لو فرضنا باننا لا نتمكن من ارسال الامير الى عكا لكون الدولة العثمانية لا تعترف باستيلائنا

على بلاد الجزائر فانتا نتمكن من ارساله الى الاسكندرية فاجابه كبير الوزراء ان
المخاطبة جارية بيننا وبين محمد علي باشا صاحب مصر وقد طلبنا منه الكفالات اللازمة
لذلك فلما اتت هذه الاخبار بالامير سكن روعه وهذا فكره ثم جاء الجواب من محمد
علي باشا بعدم قبوله اقامة الامير في القطر المصري (وقال) ابن عمنا العلامة السيد الطيب
ابن المختار مادحاً الامير ومخسراً •

بكم السماحة والمروءة البست	ثوب اليها يا بضعة المختار
وتشرفت وتنورت وتزخرفت	احوالكم يا نخبة الاخيار
وترونقت وتزينت بمحاسن	وتماكت وتزودت بفخار
وتطهرت وتطيبت بل اشرقت	وتلايلات كتلائل الاقمار
واذا فقدتم من لنا من بعدكم	ومن الخليفة بعدكم في الدار
جاوزتم في المجد حد ذوي النهى	وسموتم في رفعة المقدار
ونحوتم آثار نوم قبلكم	بتعجد وتلاوة الاذكار
وملكتم فزهتكم وقدرتم	نعوتكم يا فاهري الكفار
عوفتم وشفيتكم وكفيتكم	وسلمتم دوماً من الاضرار
وحرستم ومنعتم وكنتكم	بقدس متعكر جبار
كم بالزمان احبتم واذيتكم	فصبرتم لتلاعب الاقدار
ولطالما غلبتم وظفرتكم	ونصرتم بتناصر الانصار
ولطالما اعطيتم ومنعتم	وبذلتم بقرارة الاكدار
جاهدتم في الله حق جهاده	حتى الامان اضا شمس نهار
دار السلامة والمبرة والبقا	لكم وللاعداء دار بوار
منذ غبتهم احبابنا ونأيتم	يا جبرتي والدمع كالانهار
واحسرتي وكثابتي وصباتي	وشكايتي للمالك القهار
وتاسفي وتكففي وتعففي	وتلطفني صبراً على التعار
جودوا بوصلكم الجليل فان لي	فيه الحياة مدى الزمان الجاري

❖ ذكر قيام الجمهور في فرنسا على الملكيين وما لحق ❖

❖ الامير من سوء المعاملة ❖

وبعد برهة يسيرة قام حزب الجمهور طالباً ادالة الملكية بالجمهورية واضطرت زار
الفتنة لذلك في سائر بلاد فرنسا ولما رأى الملك تفاقم الامر خرج من باريس نخفياً
ولحق بلوندره عاصمة الانكليز وانتصر حزب الجمهورية ونشرت راياتها في سائر مدن
فرنسا وامصارها وحدث للامير من سوء معاملة الحكومة ما اثار حزنه ودمع كربه
لانهم نظروا في امر الامير تخافوا ان ينصب لهم حزب الملكية مكيدة به فيحملونه الى
الجزائر وبذلك يمسون في ارتكاب عظيم من امرهم فبينما الامير ورفقاؤه ينتظرون ما
يراد بهم اذ جاء الموكلون بهم وحملوهم من البرج الى قلعة طولون والجنود تحيط بهم
واظهروا لهم غاية الوحشة وسوء المعاملة والامير مظهر التجرد الى رفقاءه امر لهم به ثم
دخل عليه الكرونييل دوماس واخذ يسليه ويخفف عنه فقال له نحن لا نحتاج الى هذا
وانظر الى سلطانكم فانه كان ذا قوة وسطوة كم امر ونهى وعزل وولى واقام واقعد
وعاهد وعاهد وما هو الآن قد انشط وعن عرشه سقط ونحن ما بذلنا انفسنا واموالنا
طالباً للدنيا وحرصاً عليها وانما كان ذلك امتثالاً لامر الله تعالى انا بالجهاد لحماية الدين
والوطن . وبعد ايام ارسات الحكومة الجديدة الكرونييل اوليفيان ليـ تتطلع احوال
الامير فهدى له وش واظهر له السرور بقدمه عليه وقبل رجوعه الى باريس دخل
اليه وادال الجلوس معه واظهر له ان الحكومة لا تاتي ان تطابق سراحه الى الاماكن
التي طامها غير انها تخشى من نقض عهده ورجوعه الى الجرائر فاجابه الامير ليس في
وسعي ان اعطي ميثاقاً للحكومة قوى من الميثاق الذي اعطيته للجنرال لامورسير واكدته
للدوك دـ مال ابن الملك والملك ايضاً ولولم ارد التسليم والنزول عن الامارة ما كنت
اليوم هنا عندكم في حال اسير مقهور (فقال) اوليفيان كلامك ايها الامير مقبول ولا
ضرر عليك اذا انت حلفت للحكومة بالقرآن على انك لا ترجع الى الجرائر ولا تتدخل
في مصالح فرنسا بوجه من الوجوه بنفسك ولا بواسطة فاجابه الامير الى ذلك وقال
ان دعيتي الحكومة اليه لا اتوقف في اجرائه فقال له اكتب اذاً مكنوباً للحكومة يشعر
بهذا فكتب ما معناه .

الحمد لله الواحد الاحد الذي لا يزول ملكه مدى الابد الى اركان المشيخة المستولين
على زمام ملك فرنسا اما بعد فقد حضر عندي رسولكم الكرونييل اوليفيان واخبرني

بان الرئيس اتفقت كلمتهم على ابطال الملك الاستبدادي وادالته بحكومة جمهورية
شورية فسرفي هذا الخبر لما اعلمه من ان المراد بهذا الامر نزع الظلم ومنع التسلط
وبناء على ذلك ارجو ان تكشفوا عني ما انا فيه من البلاء فانكم بنيتهم امركم على دعائم
العدل والانصاف والوفاء بالعهد والصدق في الوعد وان تقمتم على ما جرى بيني وبينكم
من الحروب التي اتصت عدة سنين فما اظن ان احدا ممن على وجه الارض من البشر
ينكره عليّ او يذمني به لانني رجل اوجب عليّ ديني ان ادافع عنه وعن ارض اهله
المتسكين بعروته الوثني فقمتم بذلك وبذات وسعي فيه ما استطعت ولما ظهر لي انتهاء
اجل قيامي بهذه العبادة التي حزت بها والله الحمد شرف الدنيا والآخرة وتلاشت المهمة
ونقادت العرائم ونفذ ما كان عندي من المواد والاسباب التي كان القيام بها سلمت
وقلت ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده فهو اقامني حيث شاء واقعدني حيث
شاء ثم اني طلبت من رئيس جيوشكم اني كانت ترصدني وتوقع وقوعي الدائب عنكم
في الجهة الغربية الجنرال لامورسير عهداً وميثاقاً على اني ان سلمت في امري الذي
كنت قائماً به فانه بالنيابة عنكم يحملني انا ومن معي الى الاسكندرية او الى عكا
فاجاب الى ذلك وتقبله واعطاني العهد والميثاق على ذلك وحرره وامضاه بخطه وختمه
كما اني اعطيته عهداً وميثاقاً على ان لا ارجع الى الجزائر ولا اتعرض للرئيس في
شيء بوجه من الوجوه وبعد الوثوق منه ومني جئت باهلي واولادي ومن اتبعني من خاصتي
الى مرسى الغزوات واجتمعت بالجنرال لامورسير حاكم الجزائر الدوك دومال ابن
الملك والجنرال كافنيك ثم حملونا في الباخرة الحربية من مرسى الغزوات على ان يبروا
بطولون لحمل لوازم الباخرة ثم يجددون السير بنا الى المشرق فلما وصلنا الى طولون انزلونا الى
البلد وتصرفوا فينا بما شاؤوا وكيف شاءوا وها نحن على ذلك ننظر الفرج من الله تعالى فاعلم بخبره
على يدكم فتخوذون به النخر العظيم والذكر الجميل في العالم باسره اذا فالوفاء بالعهود وانجاز
الوعد من خصال اهل الكمال ونعوت ذوي الفضل والافضال وان امرتم باي اقسام لكم
بالقرآن العظيم اني لا انقض لكم عهداً ولا اخلف وعداً ولا اتعرض لكم في شيء فلا
يشغل عليّ ذلك بل اقسام لكم بما تريدون فيما تريدون كتب هذا عبد القادر بن محيي
الدين في اول ربيع الاول سنة اربع وستين وستة من شهر فبراير سنة ثمان واربعين فاخذ
اوليفيان هذا المكتوب ورجع الى باريس وبقي الامير ينتظر الجواب بما يسره فاذا بخطابه
احدث في الجمهورية نقاراً وكان جوابهم ان الجمهورية لا ترى نفسها مرتبطة بعهد مع
الامير عبد القادر بل ترى انه اخذ اسيراً تركه كما تركته الحكومة السالفة فاشتد كرب

الامير لذلك فاخذ الكرونيل دوامس بلاطفه في الكلام وبؤنس وحشته فاجابه الامير اذا طال الامر على هذه الحال يموت اكثرنا حزناً بلا ريب واكون انا السبب الوحيد في ذلك اذ لم يستحسن المجيء الى الفرنسيين غيري والذي غرني ووقعني في يدهم دعواهم منهم قوم لا ينقضون العهد ولا يخلفون الوعد فاذا بهم لا عهد لهم ولا ميثاق بل عيدهم مكيدة وخديعة ولو علمت ان في فرنسا محكمة شرعية او سياسية تستمع دعوى المظلوم وتنصفه من خصمه ولو كان ملكاً ذا سلطة لرفعت اليها قضيتي فعماسها ان تاخذ بيدي وتقوم بناصري فلم يكن من الكرونيل الا اظهار الاسف والتوجع والامر لله

❖ ذكر اخبار اخوة الامير وحماتهم الى طولون ❖

وقد كان اخوة الامير معه في الدائرة ولما اقبلت الجيوش المراكشية زاحفة اليه استولى عليهم الخوف فاستامن منهم السيد مصطفى والسيد حسين الى الجنرال لامورسير فامانها وكتب لهما في ذلك ووعدهما ان يحماهما الى المشرق فارتحلا من الدائرة ليلاً وطلقا بارض الفرنسيين وبعد اجتماعهما بالجنرال قلها الى تسالمت قرب وهران واما اخوهم الاكبر السيد محمد سعيد فانه لم يفارق الامير الا في ليلة عجمود وكان معه ابنتا الامير وهما زوجتان لولديه فخالصت شدة الحول تلك الليلة دون اجتماعهم وبقي السيد محمد سعيد في قرية ابن ميره من قرى مسيرده ثم نقل الى تلسان وابقى باخويه في تسالمت ثم امر الحاكم العام ان يجدهم باخيههم وفي الحال يحبسهم الى الجزائر ومنها الى طولون ولما اتصل خبرهم بالامير ازداد كربه وغمه وبعد وصولهم وصل بعض اعيان فرنسا الى طولون واجتمع بالامير وكان الكرونيل دوامس حاضراً فتكلم لاميير معها في شان اخوته وقال ان حضور اخوتي الى هنا ليكونوا سري معي قد زادني غماً لانهم لم يماربوا معي جيوش فرنسا ولا شاركوني في الوقائع فلا يستوجبون الاسر فان وجدتم سبيلاً للكلام في شانهم مع الحكومة فافعلوا فاعل ان تترك سبياهم وتحمدهم الى الاسكندرية فوعده بذلك ثم جاء الامر بعزل من في معية الامير عنه سوى اخوته وخلينتيه السيد مصطفى بن احمد التهامي والسيد قدور بن علال وبعض الاتباع وحماتهم الى سنت ما كريت وهو موضع اقامة الاسرى فجاء الماوكون بتنفيذ هذا الامر بشرذمة من العسكر الى القاعة وعزلوا نحو المائة والخمسين نفساً ثم ساقوهم الى الباخرة المعدة لحملهم فغظم الكرب لهذا الامر الفظيع الذي لا داعي له الا اوهام واهية قال بعض مؤرخيههم والباعث على ذلك ان وزراء الحكومة لما اتفقت كلمتهم على نقل الامير من قلعة طولون الى بو وهي

مدينة شهيرة وفي وسطها سراية عظيمة لاحد ملوكهم في تخوم فرنسا مما يلي بلاد اسبانيا
وقع في قلوبهم انه ربما يخرج من السراية بالقوة اكثر رجالة ويلحق ببلاد اسبانيا
فقدوا بما فعلوه ضعف قوته وقلة عدده

﴿ ذكر نقل الامير الى بو ثم الى امبواز ﴾

ثم نقلوه بمن بقي معه الى سراية بو فوصل بها في السابع عشر من جمادى الاولى
والواحد والعشرين من ابريل وابدل الكرونيلى دواس بالقبطان بواسوني ولم تمض
سنة اشهر من وصوله الى سراية بو حتى بلغهم ان رجالات من الانكليز ينتظرون
سنوح الفرصة للتمكن من الفرار به الى بلادهم وانهم في اكثر الاوقات يقابلونه
من جهة المنافذ على بعد ويشير اليهم ويشيرون اليه فاضطرب رايهم واتفق ان الامير قعد ليلة
في احد المنافذ يقرأ القرآن فراه الطوف ولما اصبح جعلوا عسكاً مستتراً تحت المنفذ
وزادوا في عدد الحرس وبعد هذا لم يهدأ روعهم الى ان قرأ قرارهم على نقله الى
سراية امبواز التابعة لمقاطعة اورليان فحملوه بمن معه الى بوردو وهي من اعظم
مدنهم الواسعة على شاطئ البحر المحيط وقبل وصوله اليها استقبله اسقفها دوبيش
المشهور بغاية الاحترام والاكرام لانه كان من المحامين عن الامير ولم ينس الاكرام
الذي اكرمه به الخليفة السيد محمد بن علال حينما زاره بولايته وقد اشرنا الى ذلك
سابقاً ولا سافرت الى باريس سنة ثلاث وثمانين ومائتين ومنها الى بوردو ونزلت
بفندقها الكبير المشهور واحضر لي خادمه صبايحاً فنجاناً من الشاي والحليب على حسب
العادة رأيت كتابة على الفنجان والسحن ترجمها لي القبطان الذي عينته الحكومة
ترجماناً معي وهي ان الامير عبد القادر نزل بهذا الفندق سنة اربع وستين ومائتين
وشرب القهوة في هذا الفنجان ثم ان رئيس الفندق طالب مني ان اكتب تحت
الكتابة ان محمداً ولده الاكبر نزل في هذا الفندق سنة ثلاث وثمانين ومائتين
وشرب القهوة في هذا الفنجان فشكرت له ما ابدوه من اهتمامهم باحوال الامير
وتدوينها حتي على الفناجين . ثم سافروا منها الى تانت ثم الى تور ومنها الى امبواز
ولما دخل السراية قال له الضابط الآن قد استرحت وآمنت عليك لانه لا تخلو
عائلة من فرنسا الا ولها اثر عليك ولذلك كلما وصلنا لبلد نحاط بك العساكر
خشية من انهم يثار عليك ان يقتلوك . وامبواز مدينة في وسطها
سراية للملوك الاقدمين حصينة ذاتية في الجو مشرفة على بسائط وبطاخ يشق البلد

نهر عظيم واسع الاطراف تسير فيه المراكب الشراعية فاقام فيها اربع سنين لا يروع وان لم يكن آمناً ولم يتجدد له كرب وان كان في باطنه كامناً ولسان حاله يقول

الدهر خلخلني مثل النساء وكم شنت من قبل ذا آذان اكفائي
قال شرشل في تاريخه عند ذكره هذا الخبر ما معناه ان الامير عبد القادر ما زال ذا همّة غالية لم تؤثر فيه شدة انشاق التي احاطت به من كل ناحية ولو المت بغيره لاذلته اذلالاً واعدمته الصبر والتجملد تفصيلاً واجمالاً ثم قال وكان الناس يتقاطرون اليه من جميع انحاء فرنسا وغيرها لمشاهدة حاله في اسره فكانوا يعجبون من سمو همته وبعده عن اظهار الضجر وتسليمه لتصاريف القضاء والقدر ولا شك ان من كان مثله في القوة الفاضلة لا يبالي بالشدائد النازلة وقد قيل له في ذلك فقال

تعودت مس الضر حتى الفته واسلمني طول البلاء الى الصبر
وكان كثيرون من اصحاب المناصب وذوي السياسة وقواد الحرب يسابق بعضهم بعضاً لاظهار الاحترام والاعظام لذلك الامير المهام وكان يصرف ساعات كثيرة في مقابلة اولئك القاصدين والذي كان يدهشهم على الاكثر تظاهره بالبشر والافراح مع ما احاط به من المحن والاتراح وكان السنيور دويش اسقف الجزائر كتب الى الكرونييل دوماس بعد ان ترقى الى الجنرالالية يهنئه ويخبره بعزمه على زيارة الامير فكتب اليه الجنرال المذكور يقول انك ايها الاسقف المحترم ذاهب لترى الامير الاسير وحققاً ان سفرك هذا لا يذهب عبثاً ولا يخفى انك قد عرفت الامير عبد القادر حينما كان السعد خديمه والعز رفيقه وكانت بلاد الجزائر كلها تعترف بسيادته وسلطوته وستجده الان من حيث عزة النفس وقوة الجاش اعظم واكثر مما كان في زمان اقباله وستجده ايضاً ايناً ودوداً بشوشاً في وجهه من يزوره حزماً صابراً لا يظهر الضجر عاذراً لاعدائه متغافلاً عن اساءتهم لا ينطق في جنتهم ! ووبالجملة ستزداد علماً ومعرفة به فوق ما امتازت به حياتك . وكان هذا الاسقف ايام الحرب يكتب الامير ويظهر التردد اليه وكان الامير كثيراً ما يستشير في امور سياسية فيجيبه بما يطابق الواقع من غير حيف ولا مكر وقد كتب اليه الامير من بو ما نصه من عبد القادر بن محيي الدين الى محبة الاسقف دويش منذ ثلاث سنين كنت احارب الفرنسية وليس لي امل ان ارى نهاية حميدة لي في هذه الحرب

التي ابتدأت من سنة ثلاث وثلاثين مع اني كنت معتقداً اني لم اقم بالواجب الديني
 وحفظ بلادني واخشى ان اتلقى شبه الملامة من قومي الذين وثقوا بي وحلفوا ان لا يتركوني
 وفي هذه المدة عرضت الفرنساوية عليّ مقدمات كثيرة وهي ترك السلاح مقابل شروط .
 وزيادة على ذلك كان قد عرض عليّ المارشال بييجو بالواسطة مليوناً لترك السلاح فلم اقبل
 ذلك منه محافظة على عهدي وديني وقبل ذلك كتب لي خليفتي السيد احمد بن سالم
 عند سفره الى بلاد الشرق على باخرة افرسية بعد تسليمه الاجباري واكد لي انه كتب
 له من قبل الحاكم العام الذي كنت عارفاً باستقامته وشجاعته بانني اذا قطعت الامل
 واتبعته في عمله لاعامل باقل رعاية منه واجابة لطلبه نزل علي بواخركم الى بلاد بعيدة
 تفربها الوحدة الدينية الينا وقد بلغوه اني اذا كرهت السفر على باخرة مسيحية يستاجرون
 لي باخرة اسلامية ونفقتها على اسم فرانس على انه كان لي ثقة بعدالة الفرنسيين وانها
 تفي بما وعدتني به مقابل تركي السلاح وما ينشأ عنه من السلام العام وليس لي امل اذا
 ادررت على الحرب بالظفر لعلمي بنتيجته لكن حلفت ان ادافع عن ديني وادافظ على
 بلادني الى حد تضعف دونه قوتي واظن اني لم اعمل القدر الكافي ومع ذلك كان
 مركزي بالدائرة اواخر سنة ١٨٤٧ خطراً وخيماً فتحرك عليّ حاكم مراکش واظهر ما
 عنده من الخلق واظنه يتعقبني ويحاربني فصرت اتحسب من قبائل الريف المتوحشين
 اكثر من الفرنسيين الذين قوتهم كانت تزداد يوماً فيوماً مع ازدياد خوفي وقلقي ومع
 مذاكاه لم يحظر بنكري ان اعقد الصلح مع الفرنسيين لكنني لما رأيت اهلي في معسكر
 الدائرة على خطر عظيم من الجنرال اوست قررت ما يلزم ان اعمل محافظة عليهم من
 التعب على اني كنت قادراً على التخلص رغماً بهمة من كان حولي من الفرسان الصناديد
 الاشداء على الاعداء الامناء على الوفاء وان اضايق الفرنسيين مدة طويلة آوياً الى
 قبائل الصحراء الذين لا ييخلون عليّ بقليل من الشعير والحليب وكان في استطاعتي ان
 انهمز على حصاني الى المدن المقدسة لكنني تركت ذلك حباً لراحة اهلي والجرحى وضعفاء
 اصحابي وكتبت الى الجنرال لامورسير بان الحكومة الفرنسية اذا كانت باقية على نوايادا
 لي مما طالما حدثوني به وانها تاذن لي اذا تركت السلاح بالذهاب الى الشرق الذي هو
 مطمح انظاري تركت لها سلاحي فارسل لي لامورسير سيفه وخاتمه عهداً على انجاز جميع
 ما طالبه منه باسرع وقت فطابت منه تاميناً بالكتابة والا فلا فكان الجواب منه كالاول
 فعرفته ثالثة اذا لم اكن على ثقة من عهده فاني اسلم امري الى الله ولا يتم بيننا عقد
 اتفاق فبعث لي بالتأمين الخطي ممضياً باسمه الفرنسي مخنوماً بخاتمه بالعربي فاطمأن لذلك

قلبي حبث انه وكيل الحكومة الفرنسية وان كلامها اكيد يعمل به ولو كان صادراً من اقل رجل من رجالنا وحينئذ وصلت الى معسكره وبالوقت ذاته حضر الدوك دو مال الى جامع الغزوات فاستقبلني بكل لياقة وقال لي ان ما فعله قائمقامي وتعهد لك به فاني اجريه عند اللزوم واذا رغبت فاني اعهدك بكلامي الملوكي ان كل ما صار الاتفاق عليه يتم فتمت له حينئذ آخر ما ركبت من الخيل ايام حروبي فـالني الى اين قررت الذهاب ومن سيكون معك فاجبته الى القسطنطينية ارعكا او الاسكندرية والذي يسحبني اهلي والبعض من ضباطي وكان عدة من اراد ان يرافقني نحو المائة ولم يكن في وسعي ان ارد امهم في الذهاب معي فاجاب ابن الملك بانه لا يوافقني على الذهاب الى القسطنطينية ولكن عند وصولنا الى المرسى الكبيرة يرساني الى الاسكندرية اجابة الى طلبي ووفاء بوعده فقط ان السفينة التي اركب فيها ستقف قليلاً امام طولون فقبلت منه ذلك ولم ادرك له معنى الا ان السفر يقتضي ذلك ولما وصلنا الى طولون اخرجونا من السفينة واودعونا في السجن واسفاه كنت اظن ان نذهب الى نحل الراحة والسعادة لا الى الحبس والشقاوة حيث اني اتحمت على العهد الوثيق والوعد الاكيد من ابن الملك الدوك دو مال والجنرال لامورسير وكان الغالب على ظني ان دولة فرنسا لا تخلف وعدها ولا تنقض عهدها لرعما انها من اعظم الدول المحافظة على العدل والاستقامة بل كنت اقول في نفسي اذا اسرني الفرنسيون في الحرب لا انال منهم الا كل رعاية لانهم ذوو شهامة يعرفون قدر الغالب والمغلوب فكيف اذا سلمت نفسي اليهم عن طيب خاطر وكيف يكون اذا كن التسليم على عهد ووعد اكيد ونظراً لما اتاكده من كمال حبك وعقلك اخبرتكم بالواقع لتفرق بين الاخلاق العربية والافعال الفرنسية وتحكم بما تراه ولما زاره اسقف مدينة تور في فصل الشتاء قال ايها الامير اخشى عليك من شدة برد اقليمنا فاجابه نعم ان اقليمكم بارد لكن حرارة عنائكم دفعت البرد عنا . وزاره بعض القواد الفرنسيين الذين افنوا شبابهم في حروبه وعرفه بنفسه فبش في وجهه ولاطفه قائلاً قد سررت ايها الكرونييل بزيارتك وزيارة رفقاتك وتذكرت الحروب التي جرت بيننا في بلادي وان تضع اوزارها الا بنا قضى الله بهذا الانقلاب العجيب ولا شك ان اكثر اصحاب الوظائف الحربية يعترفون بشدة مقاومتي لهم ويشكرون فعلي حيث كنت سبباً لارثة لهم الى الرتب السامية وحصولهم على النياشين العالية ويغلب على ظني انهم لا ينسون ايامي معهم ولما تقلد الجنرال لامورسير وزارة الحرب واتصل خبره بالامير وهو في بوسر بذلك ظناً منه انه يوفي بعهده فكتب اليه يهنئه ويذكره بالميثاق والقيام بواجب الوفاء ومن

جملة ما كتبه . ان كثيراً ممن لا المام لهم بما وقع بيني وبينك يعتقدون انك غلبتني في الحرب واجبرتني على التسليم والقاء السلاح فينبغي لك ان توضح لهم القضية وتوقفهم على ما جملوه من امرنا وبذلك تجدد منهم من يسعفك وياخذ بيدك في الوفاء بعهدك الذي هو في الحقيقة عهد دولة فرنسا بل الشعب كله لكونك كنت وقتئذ رئيس جيوشهم وزئب ملكهم في كل ما تجريه وبالجملة فان وفيتم فانكم تنالون فخراً كبيراً بين الامم والدول وان نقضتم واخلفتم فلا شك انكم ترتكبون في ذلك امراً شنيعاً يسقط به قدركم ويقبح بارتكابه ذكركم في العالم كله حرر في سابع شعبان سنة خمس وستين ومائتين والسابع والعشرين من يونيه سنة تسع واربعين وثمانمائة فترك هذا المكتوب من دي لامورسير سواكن الاحن فامر بنقل الامير من بو الى امبواز فصار الحرس به وبمن كان معه الى مدينة بوردر ومنها حمل في البحر الاوقيانوس الى مدينة تانت وفي اثناء الطريق اظلمهم العيد فاخبر الامير بذلك قبطان المركب في مذاكرة كانت بينهما فلما كان صباح العيد امر القبطان بزيئة المركب واطلاق المدافع تطيباً لخاطر الامير وبعد وصوله الى امبواز جاء امر وزير الحرب دي لامورسير للموكلين بهم ان لا يكون للامير ولا لاحد من رفاقه علاقة مع احد من الخارج لا لسانية ولا قلمية . ان لا يجتمع الامير باحد من الزوار وان طلب احدهم مواجبه فلا تاذنوا له ببدون رخصة من وزارة الحرب فانظر الى هذه الانفعال والاقوال المنافية للشرف والانسانية وكان هذا الجنرال قد وقع عليه اللوم والتبكيت في مجلس النواب في قبوله تسليم الامير وخطووه على ختم الشروط متعللين بامكان جعله اسير حرب فقال الجنرال ان هذا اللوم الشديد قد وقع عليّ بمنحي للسلم في موضع يجب فيه الحرب بزعمكم وانا انحقق اني لو ركبت الخطر بالترحف على عبد القادر ما رجعت الا بضيئته وتجارده وانه ليذهب الى الصحراء بحيث لا يمكنني ان اصل اليه وهذا اكيد عندي من ان يقع في يدي لان عبد القادر ذو قوة وصلابة في دينه مشتهر بالصدق والامانة في وطنه شديد التمسك بمبادئه وهذا الامر الاوحد والسبب الاعظم الداعي لاجتماع القلوب عليه وان مبدأه الثريد هو الذي اشتهر في جميع الجهات ولا شك ان الظفر الذي حصل للرجل الذي جاء بناء في وقائعه هو ثمرة ما قررناه ومن كان هذا شأنه وسيره فلا بد وان يحدث خطراً عظيماً ان ترك في بلاده واظن اني ما سلكت الا جادة الصواب ومع هذا فارجعوه الى نخله مع القوة التي كانت معه فقط وامسكوه عنوة وانا والحاكم العام ما قبلنا تسليمه على شروطه الا اننا انتقلنا راحة فرنسا وعساكرها التي اضعفها التعب وكثرة المصارف

من غير طائل تحصل عليه من جهة الامير والقبض عليه فسكتوا وانقض المجلس فاقام
الامير بامبواز وهو متمسك بعري الصبر متجلد لنوائب الدهر قائم بواجب العبادة وكان
مطرات امبواز عند الاجتماع للوعظ في الكنيسة يقول لهم الا تنظرون الى الامير
عبد القادر وجماعته في بلدكم متمسكين بدينهم مواظبين على صلواتهم الا تسمعون نداء
قره محمد في كل اوقات صلواتهم ليلاً ونهاراً لان السراية كانت عالية على البلد وقره
محمد جهور الصوت فكان اذانه يسمع من بعيد . وداوم الامير في تلك المدة على
تدريس العلم وافادة الطلبة من جماعته فقرأ الصغرى للسنوسي في علم الكلام ورسالة
الامام محمد بن ابي زيد القيرواني في الفقه على مذهب الامام مالك وغيرها من
المصنفات المفيدة ثم سلك اخوه الكبير السيد محمد سعيد واخوه السيد مصطفى وخليفته
السيد مصطفى بن التهامي جادته وافادوا الطلبة افادته واجتمعوا لقراءة البخاري
على نية تفريج كربهم وكتاب الشفاء الامام عياض على تلك النية واستمروا على
التدريس الى ان انتهى اجل الاكدر والاتراح وجاء البشير بطلاق السراح على ما
نذكره في محله ان شاء الله تعالى ثم ان بعض امراء الفرنساوية تذاكره في الحضر
والبدو فبعضهم فضل الحاضرة وبعضهم فضل البادية ثم اتفقوا على ان يحكموا الامير
فيما بينهم لانه ممن سكن الحضر والبدو فحكم للفضل البادية واجابه بقوله

يا عاذراً لأمري . قد هاهم في الحضر	وعاذلاً لمحـب البدو والنـقـر
لا تـذـمـنَّ يـوـنـثـا خـف محـمـلـيـا	وتـمـدحـنَّ بـيـوت الطين والحـجـر
لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني	لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر
او كنت اصحيت في الصحراء مرثياً	بساط رمل به الحصباء كالدرر
او جلت في روضة قد راق منظرها	بكل لون جميل شيق عطر
تستشقن نسيماً طاب منتشقا	يزيد في الروح لم يمر على قدر
او كنت في صبح ليل هاجها تـهـ	عـاوت في مرقب او جلت بالنـظـر
رايت في كل وجه من بساطها	سرباً من الوش يرعى اطياب الشجر
فيالها وقفة لم تبق من حزن	في قلب مضى ولا ضنكاً لذي ضمير
نباكر الصيد احياناً فنبغته	فالصيد منامدى الاقات في دعر
فكم ظلمنا ظليماً مع نعامه	وان يكن طائراً في الجوّ كالصقر
يوم الرحيل اذا شدت هوادجنا	شقائى عمها مزن من المطر
فيها العذارى وفيها قد جعلن كوى	مرفعت باحداق من الحور

تمشي الحداة لها من خلفها زجل
ونحن فوق جياذ الخيل نركضها
نطارذ الوحش والغزلان نلحقها
روح للي ليلاً بعد ما نزلوا
ترايبها المسك بل اتقى وجاد بها
نلقى الخيام قد صفت بها فعدت
قال الاولى قد مضوا قولاً يسدقه
الحسن يظهر في بيتين رونقه
انعامنا ان اتت عند العشي تحل
سفائن البر بل انجى لراكبها
لنا المهارى وما للريم سرعتها
نفيلنا دائماً للحرب مسرعة
نحن الملوك فلا تعدل بنا احداً
لا نحمل الضيم ممن جار نتركه
فان اساء علينا الجار عشرته
تبيت نار القرى تبدو لطارقنا
عدونا ما له ملجأ ولا وزر
شرايبها من حليب ما يخالطه
اموال اعدائنا في كل آونة
ما في البداوة من عيب تدم به
وصعة الجسم فيها غير خافية
من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدى

اشهى من الناي والسنطير والوتر
شليها زينة الاكفال والخصر
على البعاد وما تنجو من الضمر
منازلا ما بها لطخ من الوضر
صوب الغائم بالاصال والبكر
مثل السماء زهت بالانجم الزهر
نقل وعقل وما للحق من غير
بيت من الشعر او بيت من الشعر
اصواتها كدوي الرعد بالسحر
سفائن البحر كم فيها من الخطر
بها وبالخيل نلنا كل مثلخر
من استغاث بنا بشره بالظفر
واي عيش لمن قد بات سيفه خفر
وارضه وجميع العز في السفر
نبين عنه بلا ضر ولا ضرر
فهي المداوات من جوع ومن خصر
وعندنا عادات السبق والظفر
ماء وايس حليب النوق كالبحر
نقضي بقسمتها بالعدل والنقد
الا المروءة والاحسان بليدر
والعيب والراء مقصور على الحضر
فنحن اطول خلق الله في العمر

(ثم) ان الحكومة الجمهورية ارسلت الى حكام الجزائر ينظرون من يصلح لمؤانسة
الامير ومجالسته من علماء تلك البلاد فوقع اختيارهم على العلامة الشيخ محمد الشاذلي
القسنطيني فحمل الى امبواز فلما وصلها اكرم الامير وفادته واجزل حرمة نظراً لعلمه
فانتج حسن السلوك بينهما مودة استحكمت نواحيها وشدت اواخياها واستمر الامر بينهما
على ذلك الى ان نعق في افقهما غراب البين وعادا ما كانا عليه اثرأ بعد عين وقد
وقفت لسيدي الوالد رحمه الله على رسالة اثبت فيها احاديث ائتلافهما وما جرى

بينهما من الظلم ايام اجتماعهما قال قدس الله روحه الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ
مزيده اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وارضى اللهم عن الصحابة اجمعين وعن
الائمة الراشدين اما بعد فهذا تقييد يشتمل على بعض ما كتبناه وكتبه اليانا اخونا
في الله العالم المتفنن السيد محمد الشاذلي القسنطيني ايام صحبته لنا في فرنسا ووروده
علينا للتأنيس فكان لنا خير انيس واحسن جليس ننس من همومنا باطائنه وطرائفه ما
لا تنفسه الصبا واجلى من احزاننا ما لا تجليه الصبا

فكنت به اجلي همومي واجلي زما في طلق الوجه ملتق الضيا
ارى قربه قربي ومغناه غنيتي ورويته ريا وتحياه لي حيا
ولما نلق غراب البين وصار الاجتماع اثرأ بعد عين انشدت قول بعضهم
وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الاحباب هينة الخطب
وقول الآخر

وقفنا ساعة ثم انترقنا وما يغني المشوق وقرف ساعة

كأن الشمل لم يك ذا اجتماع اذا ما فرّق البين الجماعة

نسأل الله ان يجمعنا في الجنة جمعاً لا يخاف بعده بالفراق تحنة وان يجعلنا من المتحابين
فيه الذين يظلمهم في ظلمه يوم لا ظل الا ظله وان يستعمل قلوبنا وجوارحنا فيما يحبه
ويرضاه ويلطف بنا فيما قدره وامضاه وان يحنم لنا بالسعادة التي ختم بها لاوليائه ويعمل
خير ايامنا واسعدنا يوم لقائه وان يلك الاسرى ويعقب الشدة يسرا متوسلاً في حصول
ذلك كله بخير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين له من امته النازنين بقربه آمين
فمن ذلك ما كتبته اليه حين الملاقاة لاول وصوله اليانا نزل الحبيب ومقدمة التناجي
والتقريب

اهلاً وسهلاً بالحبيب القادم	هذا النهار لدي خير مواسم
جاء السرور مصاحباً لقدومه	وانزاح ما قد كان قبل ملازمي
افديك بالنفس النفيسة زائراً	من غير ما من ولست بنادم
طالت مسائلي الركاب تشوقاً	لجمال رؤية وجنك المتعاطم
لا غرو ان احببتكم من قبل ما	شاهدتكم انتم جمال العالم
كانت علي سمعي تغار نواظري	حتى رأيتك وانت انت مكالي
عندي الايادي البيض حيث اريتني	ما كان قبلاً في يقين العالم
والآن صرت من اليقين بيقه	وبعينه انت السرور منادي

اسمي قطب العارفين لك العلا
انت الذي في الفضل اصبح مفردا
متبوعا منه اجل معالم
لعلاه ما من مدعي ومزاحم
لا زلت ميمون النقية طالعا
بالسعد ذا فضل وخذن مكارم
فلما اطاعته على هذه الايات وجدته قد كتب قوله

سلام عليكم طال شوقي اليكم
سلام يفوق المسك نشر عبيره
وقلبي سواكم في البرية ما احب
يعمكم والال يا سادة العرب
اتيتكم عبدا لقصد زيارة
لعلي اوعدي ما علي لقد وجب
فمنوا على العبد الدليل بدعوة
ينال بها حسن الختام مع الارب
وكان مرادي ان الاقيكم على
بساط عزيز الملك والحرب في نشب
وما كان في ظني اري سيدي كما
رأيت ألا الله ما تمنع النوب
فصبرا لحكم الله راج ثوابه
فان ثواب الله ياتي على التعب
وكتب الاخ المذكور بدعوني للمسامرة

ابا سيدا فاق الكرام تبجده
تراه يريح الهم حسن حديثه
وخلق كريم لم يزل طيب النشر
ويبري مكوم الفؤاد من الضمر
الا سمر مكم بذا الليل عندنا
فالفاظكم اشقى الي من القطر
وان كان عذرا لتخلف منكم
فحسي من اوصافكم طيب الذكر
عليك سلام الله ما قلب عاشق
لوصل حب راح بهوى مدى الدهر
فاجبته بقولي

نعم ولكم فضل باشراف دعوة
وقد قيل لا يابى الكرامة غير من
غدت بها يا صاح منشراح الصدر
لدهرق لؤم لم يزل في الخنايسري
لمجلسكم اعلى الكرامة عندنا
ولفظكم اشقى اليها من الدر
ورؤيتكم اجلى لهي ونفي
عليك تحيات القبول تكرما

ومن ذلك ما كتبه اليه نا مرض وعدته صباحا ولم اره مساء
خليلي قل لي كيف امسيت انني
تحمليت حزنا منك بعني له رضوى
لقد مرضت ارا واحنا وجسومنا
لشكواكم ياليت لا كانت الشكوى
فلا تبغ اتلافي فما لي طاقاة
على الصبر يا زوجي ولست لها اقوى
واني لارجو الله ينعم بالشفاء
عليك للنحط بالسرور كما نهوى

❖ فاجابني بقوله ❖

بخير لقد امسيت والقلب شيق للقاءكم شوق المحب لمن يهوى
احن لرواياكم وضري مانعي وذكراكم انساني الضر والبلى
لئن كان جسمي في الفراش فهمتي بساحتكم بامن هو الغاية القصوى
سألت الهي ان يخفف ضرنا ويجمعنا فيكم ويكشف ذا الشكوى
ومن ذلك ما بعثت به اليه صباحاً سائلاً عن حاله في ليلته

ياقرة العين قل لي كيف بت فقد والله بت وقلبي في لظى الحزن
مما عراكم عسى فيه افاستمكم او حمله كله لو كان يمكنني
حتى يتم لنا من وصلكم غرض قد كنت آمله من سالف الزمن

❖ فاجابني بقوله ❖

ياقرة العين عني ان سألت جوى قد بت في الم من شدة الوهن
اكابد الضر والاجفان ساهرة هيات ما ذاق طرقي لذة الوسن
والآن لم اك مثل الليل ياسندي الحمد لله ربي واهب المان
جزاكم الله عنا كل مكرمة من فضله ووقاكم سائر المحن
ومن ذلك ما كتبه لاخواني يعاتبهم في تاخرهم عن عيادته

مرضت غريباً بين قوم اعزة فكلمهم عن زورتي متمنع
كانهم في غنية عن ثوابها او الطرق لم يعرف لها الدهر ميع
اذا كنت معجوب السلامة أقبلوا وان كنت في سقم فربك بلقم
فهذي خصال البعض عند مريضهم فمن لي عند القوم بالعود يشفع
ولولا اصطباري واحترائي اليهم لكنت لم انعي بشعري السع
ولولا احترائي للاسير وآله لكان كلامي للجبال يزعرع

فاجبته عنهم

فدينك لا تعجل بلومك واصطبر وحقق ان العتب للقلب اوجع
لعل لنا عذراً يدافع عنبنا وصدرك في تلك المعاذير اوسع
وان من الاعذار ما ليس ذكره يليق ومنه مهجتي ثنقطع
ولست غريباً بين قوم احبة مكانك فيهم من بني الدهر ارفع
فكم من حزين من بلائك واله يبيت على فرش الضنى يتوجع
وجمعي بكم يقوت جمع سلامة بدار بها ما للفرق منزع

وجئت بلولا فاعلا لجوابها على انها في النحو قد قيل تمنع
وان كنت لساعاً فكن غير حية وكن نحلة ترياقيها السم يدفع
فاجاب معتذراً

سلام يفوق المسك والند عرفه يعم حمى قوم كرام المحافل
كرام اذا ما العبد بينهم جنى حبوه بغنو شامل ومامل
بقدر عظيم الذنب يعظم غنوم فاكرم بهم قوماً كرام الشمايل
على قدر نقصي عاملوني بفضاكم ايا كاملين الوصف لست بكامل
ندمت على ما كان مني ونادم عقيب وقوع النعل ليس بناعل
على ان عقل المرء يذهب للقضا فذو العقل ذو علم وليس بجاهل
فكتبت اليه محبباً عن اعتذاره

خليلي لاتندم على العتب للعب فان خفيف الحب انفع بالطب
فما ذك مكروه ولا تجرم بشرع الهوى بل ذاك فرض على العتب
سبيل الهوى هجر ووصل وفرقة وجمع وخلف في الزيارة والعتب
وهذى دواع للعتاب كثيرة لذا كان طول العتب الزم للعب
وقد قيل يبقى الود ما العتب قد بقي فله ما احلى مقال ذوي الالب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى فاين حلاوات الرسائل والكتب
واطيب ايام الهوى يومك الذي تروى بالتعنيف فيه وبالسب
ومن ذلك ما كتبت اليه ايام شكواه وقد خرج للتنزه ولم اشعر به
ياملوا لا يمل كيف كن اليوم حالك
يا كثير البعد عنا كان كالغدر ارتحالك
كنت من ذا في امان فبدا اليوم نحالك
فاجابني بقوله

لا امل الحب ان كان يمل لست انا به بعيداً او قريب
ليس يرضى الحب بالغدر ولم يهوى قلبي غيركم قط حبيب
حالك والحال مني واحد وعليكم سادتي مني رقيب
وقد كنا عودناه طعاماً فحصل ما اوجب قطعه عنه فكتب لي في ذلك مداعباً
فرضتم عليكم للتيم سنة تؤدونها بعد الفراغ من الفجر
طابتم بها خيراً ولا رمت فعلها واحسنتم والحسن من شيم الحر

وبعد فترتم والفتور مخالف طباع كريم خصه الله بالاجر
رزقتم مناكم لم ترومون قطعه ونظمي له لاشك احسن في الشعر

فاجبته بقولي

سلامٌ عليكم دائم متتابع له نفحة من دونها المسك والعطر
وبعد لعذر قد قطعنا عوائدنا تعودتها يا ايها الماجد الحر
والا فاثبات الرغائب شرعنا نرى تركها ذنباً له يطلب الغفر
ولو انني قاسمتكم كل ما لنا كما قاله الانصار والفاضل الخبر
لما جئت في معشار عشر حقوقكم ولا كان ذا شي ثم يودى به شكر

ومن ذلك ما كتبه اليه استدعاءً للاكل عندما يئسنا منه الصحة فانه لما مرض ترك
الاكل وكنت اواكله فيما اصنع له من الطعام الذي نعده لانفسنا كرامة وايئاساً

اما ان للخل المريض بان يبرا فان صحيح الجسم منه شكى الضرا
توالت عليه جوعة بعد جوعة اخوكم لها قد صار كالقلم المبرا
به وكل الجوع المضعف للقوى فله ما انكاه فينا وما اجرى
اذا نمت امسى لي ضجيعاً ملازماً وان قت اضحى كالغريم بنا مغرا
وقد عشت اياماً بظل جنابكم فله عيش ما الذ وما امرا
الى ان دهانا الدهر يوماً بجده بعادات بين ما احده وما افرا
ففرقنا جمعاً وكدر صفونا وجوعنا جوعاً فقدنا له الصبرا
فان شئت فلتبرا لملك مدركي والا فان الجوع قد هيا القبرا
بهذا اشار الناصحون لعلمكم ترقون او تاتي لنا منكم البشري

فاجابني بقوله

خليلي لا تنزع من الجوع انه الى كل معتل هو الغاية الكبرى
لانك مصدوع وان بت آكلاً يثير صداعاً ذلك الاكل والصفرا
وعبدك ان يشفيه مولاه في غد سياتكل اكل الفيل فاهناً بها بشري
ليقضي الذي قد فات اذ كان واجباً وفي الشرع نقض كل فائنة قسراً

ومن ذلك ما كتبه الي

ايا اهل فن الطب بالله خبروا ايوجد للصب الخيال دواء
نهكت سقاماً لم اجد لي شافيا وقاي من غير الخليل هواه
كلفت بها وهي الفريدة والتي تجمع فيها الحسن وهي ضياه

ولا عيب فيها غير فرط دلالها وفي القلب منها للتباعد داء
اريد وصلاً وهي تقصد ضده اممكن للضدين ثم لقاء
واسأل من ربي اللقاء فانه قد ير ولي في ذي الجلال رجاء
فاجبته

سالت رجال الحب اخبر كلهم وهم اهل تجريب واهل ذكاء
بان سقيم الحب هيمات ما له دواء اذا ما الحب اصبح ناء
عسى ولعل الله ان يبرد الاسبى فان رجاء الوصل بعض دواء
ولولم يكن للعاشقين تقرب لوقت وصال ما بقوا لمساء
وان دام هجر الحب او زاد بينه فذلك داء لم يزل بشفاء
وفين مضوا في شرعة الحب والهوى له اسوة فليصبرن لبلاء

كتب هذا خادماً للمجاهدين عبد القادر بن يحيى الدين كان الله له ولا حبه في
الدنيا ويوم الدين معتذراً لمحبه ومتصلاً من ذنبه عمداً كان او غلطاً آتياً او فرطاً
هذا واني اعترف باني ما اعطيت لآخي المذكور حقه ولا وفيت له -محققه اذ ليس
عندي لآخوتي من الحقوق مع الاخ المـ كور الا ما للاناث مع الذكر فانه لازمني ايام
نفور الحميم والقريب وأنسي حين لا انيس لي من الجنس او غريب وتجشم شقة دونها
اكبر مشقة في مكان لا يقتحمه الاسد المصور بل تنقطع دونه اجنحة النسر وكنا
قبل وروده علينا نناغي الحائم ونسامر الفرقدين والحائم وان كنت الحائم اذا صدحت لا
تفهمنا وتجيئنا بالشيء فتدثنا كما قيل

رب ورقاء هتوف في الضعى ذات شجو صدحت في فنى
ذكرت الفأ وعهداً في الحى فبككت حزناً فهاجت حزني
فبكائي ربما ارقها وبكائها ربما ارقني
ولقد اشكو فما افهمها ولقد تشكو فما تفهمني
غير اني بالجوى اعرفها وهي ايضاً بالجوى تعرفني

ويرحم الله ابا فراس الحمداني احد الادباء الشجعان وكان اسره الروم مرتين حيث قال
اقول وقد ناحت يميني حمامة ايا جازنا هل تشعرين بحالي
معاذ النوى ما ذقت طارقة النوى ولا خطرت منك الهموم بيالي
ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا تعالي اقسامك الهموم تعالي
تعالي تري روحاً لدي ضعيفة تردد في جسم يعذب بالي

الشيخك ماسور وتبكي طليقة ويسكن محزون ويندب سالي
 لقد كانت أولى منك بالدمع مقلتي ولكن دمعي في الحوادث غالي
 قال المحقق التفازاني كان بنو حمدان ملوكاً وجوههم للصباحة والستهم للنصاحه
 وايديهم للسماحة وابو فراس واحدهم بلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة حتى قال
 صاحب بن عباد بدا الشعر بملك وختم بملك يعني امراً القيس واما فراس وقد
 ادركته حرفة الادب واصابته عين الكمال فاسرته الروم في بعض وقائعها
 فازدادت روميته رقة ولطافة فنها ما قال وقد سمع حمامة قريبة منه تنوح وهي على
 شجرة عالية اقول وقد ناحت الابيات وهو القائل ايضاً

اسرت وما قوتي بعزل لدى الوغى ولا فرسي مهر ولا ربه غمر
 ولكن اذا حم القضاء على امرى فليس له بر يقيه ولا بحر
 انتهى وقد رايت للسيد محمد الشاذلي المذكور بعض ابيات فنها ما عزي به
 الامير في موت احدي سراريه وولدها وهو قوله

خليلي ان تجزع فحق لك الجزع بسردي مصيبات لما صدرنا انصدع
 حايلتكم ماتت كذا النجل بعدها وسجن بارض الكفر كل لكم قرع
 مصائب جلت بعضها يذهب الذهي ويفقد معه الصبر كيف بها جمع
 ولكن قضاء الله يلزمه الرضى وحيلته صبر يدوم بلا جزع
 وان جل خطب المرء فالله مفزع فما خاب ذو خطب الى ربه فزع
 اعزيكم والصبر فيكم جبلة رزقتم عظيم الاجر والفوز بالورع
 وقال مداعباً للامير حيث لم يحضر للعشاء معه لامر اوجب التخلف عنه
 تعشيت من غير رعي لحاجتي وما ذاك الا حيث لم تك لي عرس
 ولو حضرت عرسي لما بت طاوياً وتصنع لي والله ما تشتهي النفس
 سألت الهى ان يساوي بيننا ويمجدنا حيث المسرة والانس
 وقال وقد اكثر يوماً من اكل صفار البيض مع الامير فاثر فيه يقظة ومناماً
 ايا معشر الغراب اصغوا لناصح شفوق عليكم الامور تجرب
 واياكم اكل الصفار فانه يهيج طبعاً للنفوس معذب
 يحرك عضواً لا يطاق دفاعه اذا لم يكن صبر وذاك مجرب
 والشيخ الشاذلي المتقدم ذكره هو العالم الفاضل الشيخ محمد بن محمد بن ابراهيم
 ابن احمد الصوى النسب كان اجداده يسكنون طولقة من اعمال الزاب في ولاية

قسنطينه فارتحل جده الى قسنطينه وسكنها ولد سنة اثنتين وعشرين ومائتين واشتغل في تحصيل العلوم على مشايخ افاضل اجلا وتوفي رحمه الله في سنة اربع وتسعين ومائتين ودفن في تربة اسلافه وفي التاسع والعشرين من صفر سنة خمس وستين ومائتين والرابع والعشرين من ديسمبر سنة ثمان واربعين وثمانمائة انعقد مجلس خصوصي للنظر في امر الامير وكان رئيس هذا المجلس البرنس لويس نابليون الثالث رئيس الجمهورية والمارشال بيجو وشانكرني من اعضاء المجلس فتمكلموا في قضية الامير واختلفت الاراء وظهر البرنس نابليون ميله الى صحة العهد ووجوب الوفاء به فايده المارشال بيجو في جماعة من الاعيان وخالفه الباقون وكانوا اكثر عددا فلم يسع الرئيس الا السكوت ثم استحسن بعضهم ان تكتب الحكومة الى الامير في تغيير شروطه التي اشترطها على الجنرال لامورسير وقبلها ثم ايدها حاكم الجزائر الدوك دومال ووافق عليها والده فاستحسنوا ذلك وامر المارشال بيجو بان يتولى هذا الامر فكتب ما ملخصه «الى» الامير عبد القادر كان مرادي التوجه الى حضرتك لافاوضك في امرك الذي انت فيه ولكن منعتني اضطراب الاحوال وحيث ان الكتاب قد يقوم مقام كاتبه فيما يرومه فاني اقول انك قد قاسيت اهوالاً عظيمة وبسببك احتملت بلاد الجزائر مصائب حمة ولحق فرنسا منها اوفر نصيب ومن حين القيت بنفسك وبمن معك الى العساكر الفرنسية وصرت في قبضتها حدث في فرنسا اضطراب لم ينقل في التاريخ مثله فلا شك ان بلادك وبلادنا استحققتا هذا القصاص لامر ما فان الله حكم عدل ولا احد يدرك ما يريد فالملك الذي سقط في الايام الماضية كان وعدني وعداً وثيقاً باطلاق سراحك وارسالك الى مكة ثم جاءت الحكومة التي قامت عليه وخلفته فنظرت في امرك وجنحت الى ما جنح اليه الملك ولكن اجبرها الصوت العمومي على ترك ذلك والآن اخبرك اخبار صاحب حقيقي لك انه ربما تمضي سنون عديدة ولا يتيسر لك التوجه الى المواضع التي طلبتها وان سلمت نفسك بالاماني الباطلة فان ذالك تصير في اشد الكدر وبناء على ذلك اشير عليك ان تكون على حسب الحال التي ابرزتها حوادث الدهر على وفق الارادة الالهية وذلك بان توطن نفسك على جعل فرنسا وطناً لك فتطلب من الحكومة ان تعطيك املاكاً جيدة في ارضها ينتج لك منها ما تعيش به كواحد من كبرائها مع مداومتك على اداء وظائفك الدينية كما تريد وبلوغ مرادك من تربية اولادك حيث اني اعلم

ان امر المعاش لا يهتك وانما يهتك مستقبل اولادك مع حقوق الجماعة الذين هم في معيتك فانك تراهم يموتون كدًا مع انهم لو كانوا في ارض تخصهم لكانت ايامهم تمضي بكل سرور لان حرائة الارض الذ شي. عندهم ويمكنهم ان يتزهدوا ويتسلوا بالصيد متى شاؤوا فيكون لهم من روية اشغالهم كل يوم فرح جديد والحق تعالى لم يخلق شيئًا اعظم تسلية للانفس من منظر الاشجار والنباتات الغريبة الكون الحسنة اللون فهذا ما اشير به بحسب حقوق الانسانية وبالخصوص عليك لما لك من المصائب مع اتصافك بالصفات الحسنة التي وهبها الله لك راجيًا قبول تحياتي المقدمة مع الاحكام والاحترام في الخامس من ربيع واربعين الاول سنة خمس وستين ومائتين والثامن والعشرين من كانون الثاني سنة تسع وثمانمائة «فاجابه» الامير بقوله لو جمعت فرنسا سائر اموالها ثم خيرتني بين اخذها واكون عبدًا وبين ان اكون حرًا فقيرًا معدمًا لاخترت ان اكون حرًا فقيرًا فلا تراجعوني بثل ذلك الخطاب فانه ليس عندي بعد هذا الخطاب جواب والى الله ترجع الامور وبيده كشف هذا الديجور «قال» بعض مؤرخيهم ومن عجيب امر هذا الامير العظيم ان هذا الخطاب المرعب المؤذن لسامعه بالياس مما ينتظره من الفرج لم يوءثر فيه ولم يصرفه عما هو عليه يعني من الاشتغال بالعلم ومطالعة فنونه وافادة طالبيه والادمان على اداء الصلوات المفروضة في اوانتها والمعكوف على تليف الرسائل وتوضيح المسائل وما ألفه في مدة اقامته بامبواز رسالة سماها «المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الاسلام من اهل الباطل والحاد» ولما كانت هذه الرسالة عظيمة النائدة رغبت ان اثبت ما ذكره قدس الله سره من سبب وضعها ومجمل ابوابها واذكر من الباب الثالث جملة كافية لاشتمالها على المقصود منها ليكون المطالع على يقين في الدين قال رضي الله عنه بعد الخطبة اما بعد فاني في ايام اقامتنا في امبواز عند الدولة الفرنسية الفخيمة تكلم احد رؤساء الدين المسيحي في الاسلام وقال ان الغدر وعدم الوفاء فيه غير قبيح ولا منهي عنه فسمعه بعض من له له محبة ورغبة في اظهار الحق فجاء اليّ والح في الطلب على ان اضع في هذا الامر رسالة لتفهم بيان ما في شرع الاسلام مما يكذب قوله وينبذ سخفه فاعتذرت اليه بالحال التي نحن فيها ثم اعاد الطلب وشدد فيه وذلك حين افضت رئاسة الجمهورية الى فرع شجرة عظماء ملوكهم البرنس لويس نابليون بونابرت فاجبته معترفًا بانني لا اصلح ان اكون تلميذًا لعلماء

الاسلام فضلاً ان اكون من جملتهم ولما كان المقصود من هذه الرسالة بيان حكم شرع الاسلام في الغدر والوفاء وذلك مستلزم لذكر كلام المشرع وكلام الله تعالى المنزل عليه وكلام التابعين له حقيقة لازمة ضرورة تقديم كلام في اثبات الالوهية ثم فن اثبات النبوة والرسالة لان هذه الامور مرتب بعضها على بعض فحي كالاساس لما تذكره وقد رتب هذه الرسالة على مقدمة وثلاثة ابواب المقدمة في الكلام على العقل وما يتعلق به الباب الاول في اثبات الالوهية وفيه ثلاثة فصول الاول في النظر في خلق الارض وما يتولد منها والثاني في النظر في خلق السموات وما فيها من بدع الحكم الثالث في النظر في خلق الانسان الذي هو المقصود بالايجاد وكل شيء خلق لاجله الباب الثاني في اثبات النبوة مع الرسالة وفيه فصلان الاول في اثبات الرسالة على الاطلاق والعموم والثاني في ثبات رسالة مشرع دين الاسلام على الخصوص الباب الثالث في موضوع الرسالة وهو بيان ما ورد في الشرع من وجوب الوفاء والامر به وترك الغدر والنهي عنه وما يتعلق بذلك كالكذب والكذب وترتب هذه الرسالة وضعاً هو بحسب الترتيب عقلاً لان اثبات الالوهية مرتب على وجود العقل واثبات النبوة والرسالة مرتب على اثبات الالوهية وبيان ما يحمده وما يذم من الاقوال والافعال والصفات مرتب على اثبات النبوة والرسالة وسميتها ﴿ بالقرآن الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الاسلام من اهل الباطل والاحاد ﴾ ثم اخذ في تقرير مسائل المقدمة والابواب والفصول واتى في ذلك بفوائد لم يسبق اليها وفرائد لم يتقدمه احد الى الغوص عليها وبسط الكلام في الباب الثالث وقال فيه رضي الله عنه اعلم ان شريعة محمد عليه الصلاة والسلام مشتملة على محاسن الاخلاق وتعامد الآداب وكل ما يكون به الوفاق والائتلاف والاتفاق والخلوص بين العباد وتصلح به المعيشة الدنيوية وتعمر به البلاد سواء في ذلك اهلها او غيرهم فدين الاسلام يحثوي على كل شيء مستحسن لم ينكر منه عدو ذو عقل سليم شيئاً بل كل جاحد له وكافر به اذا سمع ما يدعو اليه صوابه واستحسنه دون طلب برهان عليه لوضوحه فهو دين جامع لكل ما تفرق في الاديان والشرائع السالفة كما قال المسيح عليه السلام ما جئت لابطل التوراة ولكن جئت لاكمله فكذلك محمد عليه السلام ما جاء ليطل التوراة والانجيل ولكن جاء ليكملهما فالتوراة جاء بالقصاص النفس بالنفس والانجيل جاء بالعفو اذا لطمك اخوك على خدك الايسر ضع له خدك

الايمن والقرآن جاء بالقصاص في قوله كتب عليكم القصاص في القتلى الآية
وبالعنف في قوله فمن عفا واصح فاجره على الله الى غير ذلك مما يطول نفعه
والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق تعريفاً
بان الانبياء قبله بعثوا بمكارم الاخلاق وبقيت عليهم بقية فبعث بما كان معهم
وبتمامها قاله الحكيم الترمذي فما من خلق حسن ولا صفة حسنة سواه يدرك
العقل حسنها اولاً مما يحصل به طيب الحياة الدنيا الاجاء الشرع بمدها والامر
بيها والوعد عليها بالجنة وما من صفة ذميمة او خصلة لثيمة مما يحصل به التنافر
بين العباد الاجاء الشرع بدمها والنهي عنها والتوعد عليها بالنار وبيان ذلك في
مثل الصدق والوفاء والاحسان والايثار والاقتصاد في الامور والاشتغال بعب
الفس عن عيوب الناس والانصاف من نفسك واتفاق المال اصابة العرض والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر واصلاح ذات البين واماطة الاذى عن الناس
والاستشارة والادب والاحترام والاجلال لافاضل الناس وادخال السرور على الناس
والارشاد لهم بالتعليم والتربية وفشاء السلام واكرام الجار واجابة السائل والاعطاء
قبل السؤال واستكثار قليل الخير من الغير واحتقاره من نفسك وبذل الجاه
وبذل البشاشة والبشر في وجوه الناس والتواضع والتعاون على الخير والتأني
والتواضع وتنزيل الناس منازلهم والصبر والتغافل عن زل الناس وتحمل الاذى
وترك الاذى وترك الكبر وتجنب العجب وترك معاداة الرجال والجدال والتكلف
وتجنب مواضع التهم وتجنب الظلم الى غير ذلك كالثبات في الامور وجلب المصالح
للعباد ودفع المفاسد عنهم والحلم والحياء وحفظ الامانة والعهود وحماية العرض والصمت
عما لا يعني والتعقل في المقال والتأمل فيه وحسن الظن وطيب المعاشرة وطلب
المعيشة ورحمة الضعفاء والصغار والرضا بالدون من المجالس والرقعة وخدمة الضيف
والاصحاب والفقراء والرفق في المعيشة والرأفة والزهد في الدنيا والسخاء والسماحة
والصفح عن المذنب والصدقة وصلة الرحم وطهارة الباطن والعفة والعبل والعفو
وعلو الهمة والقيام بحق الحق تعالى والخلق وقبول الحق وقول الحق وقضاء حوائج
الناس وكظم الغيظ والمداواة والمخاطبة بدين الكلام والمعاشرة بالمعروف ومعرفة
الحق لاهله ولمن عرفه لك والمكافأة وهضم النفس وترك الحق والحسد وحب المال
وتجنب العداوة والبغضاء وترك الدال الاغنياء وترك الشح والبخل وتجنب
الغل والكذب والغدر والغش والايذاء وتجنب الظلم والجفاء والجور والطيش وترك

العجلة والبغي وتجنب الحدة ويحذر الحق وانكاره وترك اثاره الفتن وتجنب ضيق الصدر وترك سوء الظن وتجنب قلة الرحمة وقلة الحياء وتجنب الحرص والحق وتترك حب الرياسة وتجنب كفران النعمة وترك طلب العلو على الناس وترك الطمع وتجنب الجهل وترك المكر والخيانة والمخادعة وغير ذلك فان الاخلاق المحموده والمذمومة غير محصورة فيما ذكرناه ❦ واعلم ❦ ان التحلي بالصفات المحموده واتخلي عن الصفات المذمومة هو المسمى بحسن الخلق وهو الذي عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله البر حسن الخلق رواه البخاري ومعناه النعل المرضي الذي هو جامع لخيري الدنيا والآخرة ❦ ثم اخذ ❦ في تعريف الخلق وتقسيمه وذكر ان امهات نحاسن الاخلاق اربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل وبين فروعها وثمراتها وقال بعد ان انهي الكلام فيها وفيما يتعلق بها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاخلاق المحموده الا الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام واكملهم مشرع دين الاسلام وهو نبينا ولهذا قال انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد شهد له القرآن بذلك قال الله تعالى مخاطباً له وانك لعلی خلق عظیم والناس متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق الحميدة فهو قريب من الله بقدر قربيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المسلم حقيقة وكل من فقدت منه هذه الاوصاف فهو بعيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمسلم - حقيقة فكيف يظن ظان او يتوهم متوهم فيدين خلقه الله مطبوعاً على كل خلق تسخسه العقول السليمة ان يكون فيما شرعه نقص تنكره العقول الكاملة ولا تسلمه الآراء المناضلة فهو رحمة ارسلها الله للعباد ولذا قال عليه الصلاة والسلام انما انا رحمة مهداة الى الخلق وقال تعالى يخاطبه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فهو رحمة لمن دخل في دينه ولمن لم يدخل فيه فان قلت هذا ينافي ما في شرع الاسلام من الجواد والقتال فانه ليس بحسن في وصفه ولا رحمة ظاهرة فيه لانه تعذيب عباد الله وتخريب بلاده وليس ذلك بحسن قلنا انما صار حسناً بواسطة دفع الضرر عن الاسلام وقمع اذاية المجاريين لان الله تعالى قفى بارادته ونا سبق في علمه ان تكون امة الاسلام اكثر الامة المخالفة لها حتى تكون نسبة كل امة اليها نسبة الجزء الى الكل والعقل حاكم من غير تردد بان رعاية الاكثر مقدمة على رعاية الاقل وبان حرمة الواحد ليست كحرمة الجماعة فالنفوس الهالكة بالقتال لقلتها ساقطة من الاعتبار فكأنها بالنسبة الى النفوس

الناجية شر قليل واقع بجنب خير كثير ولا يليق بالصانع الحكيم ترك خير كثير
لشر قليل واستمر رضي الله عنه ينسج على هذا المنوال الى ان قال فهاذا يقول
القائل في شرع الاسلام الذي احكامه كلها جارية على ما يستحسنه كل عاقل
ويستصوبه كل فاضل كامل ويتعالى ويتنزه مشرعه الذي جمع الله فيه صفات
الكمال ان يكون في شرعه نقص كالغدر والكذب والخيانة والخديعة هذا من
المحال قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود والعقود هي العهود الموثقة
فهذا امر منه تعالى لعباده بالوفاء فيما يعقدون وقال تعالى ليس البر ان تولوا
وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة
والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا
والصابرين في البأساء والضراء وبين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون
﴿ قال ﴾ البيضاوي البر كل فعل مرضي والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية
باسرها دالة عليها تصريحاً او ضمناً فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة اشياء
صححة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق
نظراً الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتباراً لمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق تعالى
واليه اشار عليه الصلاة والسلام بقوله من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان
وقال تعالى ان شرّ الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت
منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا ينقون اي لا يخافون سيئة الغدر
ولا يبالون بما فيه من العار والنار وقال تعالى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به
لعلكم تذكرون وقال تعالى خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين اي
لا تكافئ السفهاء بثل قولهم او فعلهم بل احلم عليهم وقال تعالى وأما تخافن من
قوم خيانة فانبد اليهم على سوء ان الله لا يحب الخائنين امر الله نبيه اذا عاهد
قوماً من العدو وظهرت منهم علامة نقض العهد ان يطرح لهم العهد ويخبرهم
اخباراً بيناً واضحاً انه نقض العهد الذي بينه وبينهم ولا يعاجلهم بالحرب وهم
على تربهم بقاء العهد حتى يعلمهم وياخذوا حذرهم ويستعدوا ومن لم يفعل هذا
يكون خائناً في العهد والله لا يحب الخائنين في العهود وقال تعالى براءة من الله
ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر كان عليه
السلام قد عاهد الكفار والمشركين الى آجال معددة فمنهم من وفى فامره الى الله

ان يتم له عهده ومنهم من نقض او قارب النقض فجعل له اربعة اشهر يسير فيها آمناً حيث شاء وبعدها لا يكرن له عهد وقال تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم احداً فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين ف قوله ان الله يحب المتقين تعليل وتنبية على ان اتمام العهد من باب التقوى وقال تعالى انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق الآية وقال ووفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً وقال ووفوا بالعهد ان العهد كان مسئلاً ولم يزل على هذا الاسلوب يسرد الآيات القرآنية والاحاديث الجوية واقوال الفقهاء وحكم الحكماء يـسس المباني ويوضح المعاني الى ان ختم الرسالة بما جبلت عليه الامة العربية من مكارم الاخلاق وذكر ما لها في مدح الوفاء والصدق وذم الغدر والكذب ثم قال وباقي الامم وان كنت تقي بالعهد وتسقيح الغدر والكذب فالامة العربية اكثر واشد من جميع الامم في ذلك فانهم في جاهليتهم كانت لهم نفوس زكية واخلاق مرضية وافعال كريمة وهم عظيمة وعقول راجحة وآراء ناجحة وشرف صميم واثقة من كل خلق ذمهم طبعوا على خصال الفضل والمرءة قبل ان تكون بينهم النبوة قال موهب الدرة والعقيدان الامام الحافظ التونسي روى عن شبيب بن ابي شيبة قل كنا في مجلس اجتمع فيه كثير من الاشراف فورد علينا ابن المقفع وكان من اشراف الفرس وحكماً وعلماء وعقلاء فقال لنا من افضل الامم فنظر بعضنا الى بعض وقلنا لعله يميل الى اصله فقلنا فارس فقال لي واذا هناك ملكوا كثيراً من الارض وحووا عظيمًا من الملك ولبثوا في ذلك دهرًا فما استنظوا بعقولهم شيئاً فقلنا الروم فقال اصحاب صنعة فقلنا الصين فقال اصحاب طرفة فقلنا الهند قال اصحاب فلسفة فقلنا السودان قال شر خلق الله فقلنا الخزر قال نعم سائمة فقلنا فمن قال العرب فضحكنا فقال ما اردت موافقتكم ولكن اذا فاتني حظي من النسب فلا يفوتني حظي من المعرفة والادب وذكر المؤرخون الاقدمون ان يزدجر بن سابور ذي الاكتاف لما ولد له ابنه يرام جور اخبره فنجده عن مولده وسعادته وجدته ومصير الملك اليه بعد شدة وتحنة وانه ينشأ بين امة نائية ذات همم عالية وحلم زكية ونفوس اية ففكر يزدجر في خصائص الامم ومزاياها فرأى ان الغرب اولى الامم بتلك الاخلاق التي وصفها له المنجمون ووقع اختياره عليهم فكتب الى النعمان الاكبر ابن امرئ القيس

فأتخضره مع جماعة وافرة من رؤساء العرب وساداتها فواصلهم وبرهم وسلم اليهم ابنه بهرام جور وامرهم بكفالتهم فاسترضعوا له نسوة الى ان كبر وكان من امره ما يطول ذكره نقله مظفر الاندلسي في كتابه السلوانات واذا كان طبعهم ما ذكر في زن الجاهلية فكيف بعدما هذب طبعهم الوحي والآيات القرآنية ولذا تراه في الجاهلية والاسلام اكثر مدحهم بالصدق والوفاء واشد ذمهم بالغدر والكذب ولهم اسجاع واشعار تخرج عن حد الاحصاء (فمنها) انه قيل لبعضهم ما قيمة الصدق قال طول العمر في الدنيا قيل له فما قيمة الكذب قال موت عاجل وقيل لبعضهم ما افضل المرأة قال رغبة الرجل في الوفاء بوعده وعنده وقال بعضهم من وفا بالعهد فاز بالحمد ومن عرف بالصدق قبل كذبه ومن عرف بالكذب لم يقبل صدقه وقال بعضهم اربعة من علامات اللؤم استعمال الغدر وافشاء السر واسائة الجوار وتجنب الاختيار وقال بعضهم من النفاق غش الصديق ونقض العهود والمواثيق وقال بعضهم علامة الايمان حسن الخلق وحفظ العهود والمواثيق وعلامة النفاق نقض العهود واخلاف الوعد وقال بعضهم لاسيف مثل الحق ولا عون مثل الصدق وقال بعضهم نعل المرء يعرب عن اصله وقوله يعرب عن عقله وقال بعضهم صونوا المواعيد من الاخلاف والايمان من حنث الاوغاد والاجلاف وقال معاوية يوماً لخالد السدوسي انك تحب علي بن ابي طالب حباً مفرطاً فقال احبه والله لخاله اذا غلب وعذله اذا حكم ووفائه اذا وعد وقال بعضهم لولده يا ولدي لا خير في قول الا بفعل ولا في مال الا بجود ولا في صدقة الا بوفاء ولا في حياة الا بصحة وأمن وقال بعضهم من كذب ذهب جماله ومن ساء خلقه كثير منه وقال بعضهم اعظم الناس قدراً رجل واحد وهو من لا يبالي بالدنيا في يد من كانت واجود الناس رجل واحد وهو من جاد عن قلة واسوأ الناس حالاً رجل واحد وهو الذي لا يثق باحد لسوء ظنه ولا يثق به احد لسوء فعله وقال بعضهم لازم الصدق جداً وهزلاً ولا ترض العبيد باستخاط المولى وقال بعضهم وجاهة العاقل الوقع في النفوس ونخالفة النعل للقول تنكس الرأس وقال بعضهم وعد الكريم نقد وتعجيل و وعد اللئيم مطل وتعجيل وقال بعضهم شر الناس من لا يعتد اداء الامانة ولا يجتنب الغدر والخيانة وقال بعضهم سعادة الانسان في سلامة الصدر وصدق اللسان وقال بعضهم الفاضل يعجل بالوعد قولاً ويعقبه بالانجاز فعلاً (ثم قال) بعد ان اكثر من الثقل في هذا المعنى وللعرب في المدح بالوفاء والذم بالغدر اشعار كثيرة منها قول امرئ القيس في المدح

وتعرف فيه من ايده شائلاً ومن خاله ومن يزيد ومن حجر
ساحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ونائل ذاك ذا صحاء وذا سكر
(وقول) ابن الزبيري يمدح قومًا

الخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكاف
والقاتلين بكل وعد صادق والظاعنين لرحلة الايلاف
(وقول الحسن) السبط رضى الله عنه

ولا اقول نعم يوماً فاتبعها خلفا ولو ذهبت بالمال والولد
وقول الآخر

علت مكانته فقر مكانه فتأكد التنزيه والتفضيل
يكتفيكم ما قد بدا من صدقه والصدق بالعز المكين كفيل
وقول ابن الخطيب

واحكمت عقد السلم لم تأل بعده وفاء فصع العقد واستوثق الربط
نقر لك الاملاك بالثيم انعلا اذ ابذل المعروف او نصب القسط
وقول ابى القاسم

ولا انسى العيود ولو جفاني عليها اقاربي طراً وناسي
ولا ادري لنفسي من كل سوى اني لعينك غير ناسي
وقول الآخر

ان الوفاء على الكريم فريضة واللؤم مقرون بذى الاخلاف
وترى الكريم ان يعاشر منصفاً وترى اللئيم بجانب الانصاف
وقول الخطيئة

قوم اذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
اولئك الأنف والأذنان غيرهم ومن يساوي بانف الناقة الذنبا
وقول الآخر

اعلم بان صداقة الابرار ان تجعل الاعلان كالاسرار
ان اللسان هو الضمير فوعده ووعيده دين على الاحرار
وقول الآخر

اذا قلت في شيء نعم فاتمه فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها لئلا يقول الناس انك كاذب

وقول الآخر

اناشدكم والحر اوفى بعهده ولن يعدم الاحسان والخير جازياً
خيالاً على بعد انزار يلم بي فيذكرني من لم اكن عنه سالياً
وقول ابن الحباب

ففضلك مشهور ووعدك ثابت وذكرك منشور ونعماك مرتضى
فكيف يحل المبطلون بافكمهم معاقد صدق احكمتها يد القضا

وقول الآخر

لا نقولن اذا ما لم ترد ان تتم الوعد في شيء نعم
فاذا قلت نعم فاصبر لها بوفاء العهد ان الخلف ذم

وقول حسان بن ثابت

هجوت محمداً فاجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمداً براً ثقيلاً رسول الله شيمته الوفاء

وقول ليبيد

وما حملت من ناقة فوق رحلها ابر واوفى ذمة من محمد
هذا آخر الرسالة ولولا خوف الاطالة والخروج عما اقتضته المناسبة لما نقاناه
منها لاثبتناها كلها (ولما) طالت المدة وازداد الامر شدة قال مستغيثاً بحضرة المصطفى
صلى الله عليه وسلم

لو ارسلوا طيف الزيارة في خفا	ماذا على ساداتنا اهل الوفا
ويكون مانع وصلنا ليلاً غمنا	يترصّد الرقباء حتى يغفلوا
ياقي مواعد وصلنا متلطفنا	فاذا تمكنت الزيارة خفية
خدي وطاء للنعال وللحفا	ويكون قبل حلوله انرشته
وحياتهم من حب غيرهم عفا	ويكون بيت نزوله قلبي الذي
كبد شواها البعد في جمر الجفا	ضيف له نزل لدي كرامة
فلقد اتيت على المسرة والوفا	يا سعد ان كنت البشير بوصله
واراه بذل مقصر ما انصفا	لو ان نفسي لي اليك بذلتها
من هجر من يهواه صار على شفا	وتكون يا سعد المساعد للذي
خلقا لتعذيب الاحبة مسعفا	لم يبق يرم البين والهجر الذي
ملقى كشن بالافلا ان يخلصنا	الا صباينه وجسماً قد غدا

زفرت قلبي جمر نار اجبت
هل من منام اللدغ بركة
يحاجر من حاجر افداء قد
مهما تالق برق سلع والحي
واراه سيفاً صارماً وسط الحشا
يحكي زفيري رعدة ورياحه
واذا جرى ذكر المقيق واهله
يا اهل طيبة ما لكم لم ترحموا
لا تجمعوا بين الصدود وبعدكم
لم ادر شيئاً قبل معرفة الهوى
ما بالهم يا صاح لم يتذكروا
ما قيل ذلك اسيرنا وقيلنا
قلبي الاسير لديكم والجسم في
حاشاكم لجميل ظني فيكم
واطالما لام العذول بجهنمكم
ولكم جنى كيما يصرف وجهتي
ويود لو افي سلوت هواكم
قلب الشجي كما علمت انه
يبغي الوصال ولو تمزق تالفاً
يسري ولو ان الظلام عداته

منها دموع العين فاضت ذرفاً
فضلاً عن المرات او هل من غفا
طردت ضيوف الطيف جاءت طوفا
كادت تفيض النفس منه تاسفا
فعل الافاعي او شهاباً ما انطفي
وبوبله حاكي دموعي الوكفا
اجرى العقيق تاسفا وتلففا
صباً غدا لنوالكم متكففا
حسي الصدود عقوبة فلقد كفي
حيي لكم ما كان قط تكلفا
صباً كثيباً في الحبة مدنفا
بين العوادي والاعادي مثقفا
اسر العداة معذباً ومكتفا
ان تشتموا في العدو المرجنا
واطال عتي ناصحاً ومعنفا
عن وجهه ودمكم ولم يك مصرفا
فيكون لي خلاً وفياً منصفا
لا ينثني عن حكم متخوفا
ويلذ بالتعذيب ان يك متلفا
ويسير لو كان النهار المرففا

(ولما) اتخب لويس نابليون لرئاسة الجمهورية وثبتت قدمه فيها وجه عنايته الى الامير
بالتوسعة عليه والخروج للتنزه خارج البلدة فكان الامير يخرج كل يوم خميس في
العريية محفوفة بالعساكر الخيالة وبقية جماعته يخرجون مشاة مع العساكر المشاة الى
الاماكن البهجة اللطيفة المنظر وعين لائواتهم مدفناً في طرف البستان داخل السراية
ودفن فيه نحو العشرين نفساً بين ذكور واناث فيهم للامير ابنان وبنت وام ولد مولدة
واخرى سودانية وجعلوا على تلك المقبرة حاجزاً من حديد وقد زرته سنة ثلاث
وثمانين ومائتين ولم تزل محفوظة الى الان

❖ ذكر اخبار البرنس لويس نابليون وما اجراه من تسريح الامير ❖
❖ واستيلائه على عرش المملكة وتسميته امبراطور فرنسا ❖

ولما تمكن البرنس لويس نابليون من زمام الاحكام واحس من نفسه القوة والترقي الى الملك انف من المساهمة واخذ يجمع انوف الاحزاب واهل العصبيات وياشر الامور بنفسه فاستمال قلوب العامة والعسكر واستجابهم اليه بلين الجانب وحسن السياسة وكان من جملة ما دبره في قضية الامير ثم ابرزه للعيان تفريق جماعته ليسهل عليه الوصول الى وفاء العهد الذي جعله الملك فيليب ورؤساء الجمهورية في زوايا الاهال فكتب اليه ان الانسان اذا وقع في وحل يتعين عليه في خلاصه منه ان يرفع رجلاً بعد اخرى وقد ارنا ان نطلق سراح من لهم اقارب في وطن الجزائر من جماعتك الذين هم معك في امبواز فان رجوعهم الى وطنهم اولى لهم وارجح لك من القيام بشؤونهم فاجابه الامير الى ذلك ولما جاء الامر بسفرهم اخبرهم الامير بذلك فصعب عليهم فراقه وبعد سفرهم تبدة اتى امر في سفر اخوة الامير واتباعهم فاخذوا الى مدينة الجزائر ومنها الى عنابه في تخوم بلاد الجزائر من جهة تونس ولما سافر اخوة الامير من فرنسا وبقي فيها قال

الا ان قلبي يوم بنتم وسرتموا	غدا حائماً خلف الظعون يسير
يقاسي مرار الموت من المالجوى	فما لي الا انة وزفير
رحلتهم ولو تدروا رحمتهم فيبينكم	لخطبي يوم للبلاء عسير
وكنت ليوم البين اعدت عدة	وفي الظن ما اعدته لكبير
نفحات الذي اعدته لفراقكم	وولت جيوش الصبر وهي غرور
فلو انكم يوم الفراق اعزتم	قلوبكم لي اني لصبور

(وبعد) ايام كتب البرنس يعتذر الى الامير عن فصل اخوته عنه وقال انما فعلت ذلك لاختبر احوال الامة الفرنسية فان جيتكم فان سكتوا ولم يتعرضوا بعد ايام قليلة اطلق سراحكم لتشرق والا فاقول ان غريكم والمقصود بالحكم هو نفس الامير ولا زال محبوباً ولما تبين لنا الآن رضا الامة بما فعلناه فابشر عن قريب يحصل لك الفرج وكانت المراسلات سرية بين البرنس والامير بواسطة القبطان بوا-ني الموكل بامور الامير

❖ ذكر زيارة البرنس نابوليون الثالث للامير عبد القادر ❖ ❖ في قصر امبواز ❖

ولما سحقت الفرصة للبرنس في انجاز وعده اعتزم على الخروج من باريس يتفقد احوال الولايات فلما مر بمدينة تور بعث الى القبطان بواسني يخبره بمروره على امبواز ويأمره ان يتلقاه في موقف السكة الحديدية التي ثقله وبيوتها له عجالات يتوجه فيها الى القصر ليجمع بالامير فلما كان اليوم المعين يوم الثلاثاء ثالث المحرم سنة تسع وستين ومائتين والسادس عشر من (اكتوبر) تشرين الاول سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة خرج البرنس من تور وفي معيته المارشال سانتارنو وزير الحرب والجنرال روغو والكرونييل فلوري ولما وصل لمحطة السكة الحديدية نزل وسلم على الجمهور الذي ينتظره ومكث قليلاً ثم ركب متوجهاً الى القصر ولما قرب منه نزل الامير عند باب القصر فلما رآه البرنس نزل عن العجلة فتلقاه الامير وسلم عليه ثم مشى البرنس ويده في يد الامير الى ان دخلوا القصر ولما استقر بهما المجلس في المحل المعد للاستقبال اقبل البرنس تلى الامير وساله عن حاله وضيق صدره وحبه بهذا المحل اربع سنوات ثم قال انكم قد جابته دقة نظري واسنارتم تحتي بما اشتهرتم به من الخصال الحميدة والبسالة والشجاعة وجميع ما ابرزتموه من انواع المرافعة عن وطنكم ولا انظر اليكم بنظر اسير بل بضيف تحترم فاجابه الامير انني كنت اسمع بحاسن اخلاقكم وعلو جنابكم المعلومين عند الجميع فتعشقتكم غيابة وتولد في قلبي لكم محبة عظيمة وبهذا اليوم قد ازداد حبي وتعظيمي لما اظهرتموه من اللطف والاحسان وانني مدة اقامتي بهذا القصر قد رأيت من اهالي فرنسا الحرمة التي لا انساها ابداً وكنت اعامل بعاملة ضيف لا بعاملة اسير فقال البرنس انه كان في خلدي من مدة انني لو اجد سبيلاً الى خلاصك من يد من لم يكتروا بوفاء العهد لك ما تاخرت عن ذلك ثم ان الباري تعالى وجه قلوب الشعب الفرنسي الى فاخاروني رئيساً لحكومتهم ولاول قبضي على زمام الاحكام سمحت على اظهار ما كن في الخيال الى العيان والان صار وقته ثم اخرج ورقة من جيبه وناولها للامير وقال هذه ورقة تسريحك تعلن بوفاء عهد فرنسا لك فاخذها الامير مستبشراً بما سمعه منه ودعا له واثنى عليه ونص ما في الورقة عبد القادر انني اتيت لاعلن لك بحريتك وانك ستحمل بمن معك الى عاصمة سلطان تركيا وذلك بعد الفراغ من الترتيبات المقتضية لسفرك وستعين لك الحكومة الفرنسية مرتباً يليق بمقامك واعلم ان سجنك قد كدرني كدراً

حقيقياً مدة طويلة وكنت احسب ان الحكومة السابقة قد قصرت جداً حيث انها لم تتم ارتباطاتها معك وعندي ان عدم الثقة بامة عظيمة من جهة تقض عهدها يحط قدرها وشانها واخبرك بما اعتمده فيك وهو انك لا تحرك ساكناً في الجزائر لعلني ان ديانتك توجب عليك الخضوع والتسليم لاحكام القضاء والقدر فان استيلاء فرنسا على الجزائر ما وقع الا بارادة الله تعالى واعلم ان دولة فرنسا بل الامة كلها لا تتخلى عن ذلك الاستيلاء وآخرها يموت قبل ان يسلم فيه واذا كنت عدواً لفرنسا فلا يمنعني ذلك من ان اشكر اخلاقك الحميدة وشجاعتك وصبرك على الشدائد ولذلك افتخر باطلاقك واثقاً ثقة تامة بقولك حرر في السادس عشر من (اكتوبر) تشرين الاول سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ثم قال البرنس للامير انني بعد عشرة ايام اراك في باريس لتحضرا الاحتفال المقرر اجراؤه ووجودكم بذلك الاحتفال يكون باعناً للافتخار ثم هيئت سفرة الغدا وكان الاكل جزائرياً وبعد الفراغ من الغدا قام البرنس الى المنتزه المطل على البلد ونواحيها وعند خروجه منه قدم له الامير والدته فقبل البرنس يدها وسألها الدعاء ثم قدم له اولاده وخليفته والاتباع فحيوه تحية اعظام واجلال واظهروا له السرور والحبور بما انعم على سيدهم وعليهم فقابلهم بالقبول والبشاشة واستمر ماشياً والامير معه حتى وصلا الى الموضع الذي استقبله فيه عند باب القصر قال بعض المؤرخين ولهذا القصر آثار تاريخية وهو انه كان مقراً لكثيرين من ملوك فرنسا واول من اتخذه مقراً لويس الحادي عشر الذي اصدر منه امر سن مشيل وشارل الثامن ولد وتوفي فيه وقلود دي فرانس زوجة فرانوا الاول ولدت اكثر اولادها فيه وزاد له لويس نابليون الثالث شرفاً عظيماً حيث اعطي الحرية فيه للامير عبد القادر

❖ ذكر توجه الامير الى باريس ولطائف اخباره وما هبت به نسيم ❖

❖ رحلته المعطرة بنفحات آثاره ❖

ولما مضت تسعة ايام من الموعد جاء الامر بتوجه الامير الى باريس وشاع الخبر في فرنسا فهرع الناس الى باريس من كل فج ليحضروا احتفال دخول الامير اليها وفي اليوم الحادي عشر الذي جعل موعداً للسفر وهو الرابع عشر من المحرم سنة تسع وستين والسابع والعشرين من اكتوبر سنة اثنتين وخمسين توجه الامير وبعبعته قره محمد والسيد علال شقيق خليفته السيد قدور بن علال والقبطان بواسني الموكل بأموره من امبواز وتبعد نحو اربع ساعات عن باريس بالسكة الحديدية وكان يوم وصوله يوماً مشهوداً بالاحتفال الذي اجرته دولة فرنسا لدخوله

الى عاصمتها قال بعض المؤرخين وصار الامير احتفال عظيم يستحقه مقامه السامي واستقبلته الوزارة ورجال الحكومة وغصت ازقة باريس على اتساعها بمجاهير الناس ولما شاهدوه استولى عليهم الطرب قال مسيو شارل اينار الفرنسي في بعض كتاباته على تصرفات الجنرال لاموريسير مع الامير وتقلبات الاحوال كيف جعلت الجنرال المذكور يمشي في طرقات باريس بدون ان يلتفت اليه احد وان المغلوب يعني الامير يدخلها دخول الانتصار والامالي جميعها تزدحم لمشاهدته وانفق ان صاحب ملعب باريس الكبير كان عازماً على تشخيص مجريه تلك الليلة يحضره البرنس وسائر الوزراء ورجال الدولة فبعث وزير الحرب نائبه الكرونيل هنري الى الامير يخبره بذلك فاعذر بالتعب من حركات سكة الحديد ولما اخبره بحضور البرنس الى الملعب اجابه الى ذلك وسار به الكرونيل الى المحل المعد له فتدافع الناس الى رؤيته واشتد ازدحامهم حتى سدوا عليه الطريق قال بعضهم ولما دخل الامير الى الملعب وجه كل من كان حاضراً فيه نظره اليه ولما بلغه حضور البرنس الى غرفته في الملعب بعث اليه يستأذنه في الاجتماع به فاذن له ولما خرج متوجهاً اليه قام ذلك الجمع الوافر رافعين البرنيطات تحية له وتلقاه البرنس عند باب الغرفة ثم اجلسه الى جانبه واخذ يساله عن احوال عائلته عموماً وعن والدته خصوصاً فكان الامير يجيبه عن ذلك مع كمال التشكر وقال له ان الوالدة كانت في خامس عشر اكتوبر تمشي متكئة على العصا وفي السادس عشر منه صارت تمشي مستقلة من غير عصا وأشار بذلك الى ما كانت عليه قبل البشارة باطلاق سراحهم من الضعف والوهن وما حصل لما من النشاط والقوة بعدها ولما انتهت الفرجة اقبل البرنس على الامير وودعه واخبره انه سيتوجه في غد تلك الليلة الى الصييد وبعد يومين يرجع ويجتمع به في قصر سانكلو وفي غياب البرنس جال الامير سيفه في انحاء باريس وساحاتها ورد زيارات الوزراء ورجال الدولة وفي اليوم الثالث رجع البرنس ودعا الامير الى القصر قال بالمار في تاريخه وكانت الدولة عينته لصبغة الامير مدة اقامته في باريس بينما كنت جالساً في محل الاستقبال اذ خرج الامير من حجرتي وفي يده ورقة وقال بلغني ان جرائد فرنسا ذكرت ان البرنس لما حضر الى امبواز اشترط علي شروطاً وعلق تسريحي على قبولها وانه استخلفني على الوفاء بها واني قد قبلت تلك الشروط وحلفت له على الوجه الذي امر به مع ان هذا لم يقع بيني وبين جلالاته اصلاً غير اني لما كنت في امبواز قبل سفري هذا عزمتم علي ان اجدد عهدي

الذي اعطيته للجنرال لاموريس وافعل ذلك بانثياري من غير ان يأمرني به احد ليعلم
الناس اني افعل ما افعله واترك ما اتركه بارادتي ثم ناولني الورقة وامرني ان اطالع عليها
وقال ان عثرت فيها على شيء ينافي المنقود ابدله بما يوافقه ولما اطالمت عليها وجدتها
مستوفية لما يريد ثم ترجمتها بالقلم الفرنسي ونص عايتها الحمد لله وحده اطال الله
بقاء سيد الملوك واعظمهم لويس نابليون الثالث واسعد ايامه وسدد احكامه انا المتكلم
بين يديكم في هذا المجلس الموقر عبد انقادر بن يحيى الدين جئت الى حضراتكم العلية لاجل
تأدية شكري لكم وثنائي الجليل على احسانكم اليّ وامنانكم عليّ على قدر طاقتي ولا فلا
اقدر ان اقابل صنعكم الجليل بشكر يوافيه ويكفيه ولو عشت الدهر كله ومما يدل على
كلامكم وصدق حدسكم وصفاء طويتكم انكم لما علمتم انني لست بمن ياتى العهد ويمحى
في يمينه وثقتكم بي واطلقتم سراحي ووفيتكم لي بعهد حمله من عقده وتقضه من ابرمه
وغدر فيه من اوثقه واحكمه ونعلمت ذلك من غير ان توقفوا امرى على شيء وباء على
ذلك فيها انا اقسم بين ايديكم في هذا المجلس الحافل بالله تعالى وصفاته اني لا
افعل شيئاً يخالف ثقنكم بي ولا انتقض سابق عهدي ان الذي اعطيته ولا ارجع الى
قطر الجزائر ولا اشوش على الفرنسيين فيها بفعل ولا قول فاني لما اقامني الله قمت
ودانعت عن ديني ووطني على قدر ما امكنتي ولما اعدتني قعدت خاضعاً لاحكامه
وتركت الملك وجئتكم ودينى وشرفى بأمراني بوفاء اعبد وصدق الوعد وهل يتصور
عاقل فضلاً عن فاضل بعد ان نلت احسانكم الذي لا ينسى وانا عاجز عن مقابله
بالشكر والثناء ان اخونكم او افعل شيئاً ينافي معروفيكم كيف والمعروف رباط معاني
باعناق اهل المروءة هذا مع كوني قد شاهدت عظم دولة فرنسا وقوة عساكرها
وكثرة غناها واتساع مملكاتها فمن ذا الذي يخطر في باله من العقلاء ان يقاومها
ويقاها هذا ليس بممكن لا لله الواحد القهار الذي قدّمها وملكها الآفاق والاقطار
وبعد هذا فاني اؤمل من كرمكم ان تجعلوني في عدد من تحبهم وتنظر اليهم بعين
الرأفة سواء كنت بعداً عنكم او قريباً منكم فان الانسان حيث قلبه لا حيث
جسمه حرر في اواسط نعرم سنة تسع وستين ومائتين واواخر اكتوبر سنة اثنتين
وخمسين وثمانمائة (ثم) توجه الامير في الوقت المعين الى قصر سانكلو في خدمه
وجماعة من الضباط الذين عينوا لخدمته وحراسته فوصل اليه قبل ان يحضر البرنس
نابليون فاستقبله الجنرال دوماس وادخله الى المحل الكبير فرأى فيه ساعة كبيرة
تعرف بها الاوقات في سائر البلدان الشهيرة في الدنيا فسال الجنرال عن حلول وقت

العصر في مكة المشرفة فأخبره انه قريب ولما حل الوقت اخبره فقام وصلى العصر وهذه اول صلاة اسلامية صليت فيه ثم اقبل البرنس تحاطاً بوزرائه مع اهل بيته فدخل الامير عليه في تجلسه فاستقبله البرنس ومن معه بالاحترام والبشاشة واخذ بالاطفء ويعرفه بالوزراء واحداً بعد آخر ثم اقبل الامير على البرنس وتكلم معه بكلام اوضح فيه ملخص ما كتبه في الورقة المتقدمة ذكرها وقال في آخر كلامه ان هؤلاء الوزراء الذين اراهم حولي قد وعدوا وعوداً لم ينجزوها وانت تفضلت بما لم تعد به فشكراً لكرمك وطيب محندك ثم ناوله الورقة وقال هذا صك كتبت به باختياري على نفسي بخطي فانظره فان كان كافياً فذلك والا غيرته على الوجه الذي يوافق مرادكم فاحذره البرنس ثم قال اعلم يا عبد القادر اني احببتك لثلاث خصال اولاً دافعت عن دينك ووطنك ثانياً لما عجزت استسلمت للقدر وقد احسنت بتسليمك لدولة عظيمة وان لم توف بعهدنا فانا قد وفيت به وازلت عنها ذلك العار الذي ارتكبته ثالثاً انه لما كان مجبوراً عليك صبرت وتحملت واشكر الله حيث كان مجبوراً عليك وانت بين عائلتك وحشمك واما انا فكان نخبوراً علي في حجرة وحدي لا ارى الشمس الا ساعة من النهار ولذلك اتق بك كل القة فلا احتاج الى هذا الصك الذي قرمته اليّ باختيارك ومن المعلوم اني ما طابت منك عهداً ولا يميناً ولا شرطت عليك شرطاً مئاً وحيث انك تبرعت بذلك من تلقاء نفسك فها انا قد قبلته وسررت به ولا شك ان صنعك هذا يبرهن الامة الفرنسية بانني ما اخطأت في حسن اعتقادي فيك وقوة ثقتي بك ولما انتفض المجلس اطاع الامير على دوائر القصر ثم مشوا به الى الاصطبل فرأى فيه فرساً عربياً من جياد الخيل فجعل الامير يكرر النظر فيه كالمتحسّن له فقال له البرنس اعدت هذا الفرس لك لتركبه غدا لاني قد امرت بعرض الجنود خارج باريس اكراماً لك واحتفالاً بقدمك وفي غد تخرج معي الى المعرض وتشاهد حركات الجنود فرساناً ومشاة فاجابه الامير الى ذلك مع اظهار التشكر ومن الغد قدم الفرس بسرج جزائري الى الامير فركبه وسار مع البرنس الى الميدان فاهتزت باريس باهلها لذلك واجتمع الناس في ساحة الميدان لمشاهدة الامير وهو راكب على الفرس العربي بهيئة جزائرية وشاهد الامير من الجنود الفرنسية وحركاتها العسكرية ما عجب منه واستحسنه ولما حان وقت الظهر استأذن البرنس في اداء الصلاة في ذلك الموضع خشية فوات الوقت فاذن له ونزل الامير وادى صلاته برأى ذلك الجلع ثم ركب فرسه ولم يزل ملازماً

للبرنس الى ان رجع الى محل ضيافته ثم ان البرنس ادب له مادبة حافلة في قصر
فرسالية حضرها سائر الوزراء فمن دونهم من اعيان الدولة قال بالمار في تاريخه ومنذ
دخل الامير الى باريس صار ينتقل من مادبة يدعى اليها ومنازه تعرض عليه فيجيب
لها وصناعة غريبة يطالع عليها وكان يخاطب الناس على حسب احوالهم ومشاربهم
فقواد العسكري يذاكرهم في امور الحرب وما يتعلق بها من الوقائع المشهورة والعلماء
يباحثهم في المسائل العلية والرزاء ومن شاكرهم في الامور السياسية وهكذا حتى جهر
العقول ومالات محبته وهيبته الصدور وكان من الزئرين من يقصده لاداء الشكر على جميل
صنعه معه في ايام ملكه لا سيما الذين كانوا اسارى عنده واباح لهم احسانه وقد
طلب بعضهم ان يكون في عدد خدمه واتباعه اينما كان نظراً لما شاهده من كماله وناله
من افضاله والحاصل ان ما رآه اهل باريس من محاسن الامير ومكارمه وما رآه
هو منهم من حسن المعاملة والمجاملة لا يصنع لسان ولا ياتي عليه قلم ومر يوماً في
بعض اسواق باريس والناس مصطفىون عن اليمين والشمال يحيونه بتحيات التبجيل
والتعظيم فقال له بعض الاعيان هؤلاء الزنايس الذين كانوا بالامس من اشد
الاعداء لك تراهم اليوم يحلون مقامك ويتبنون طول حياتك ويتأسفون على ما
تحملة من الصبر في بلادهم على الظلم الذي نالك من حكومتهم السابقة فانشح
الك صدر الامير وحمد الله تعالى وشكر صنيع البرنس نابليون وفي اثناء اقامته
توجه الى رئيس اساقفة باريس وشكر له قيام الراهبات بخدمته وخدمة من معه في
امواز اربع سنين فارتاح الرئيس الحديث الامير وقال ان هذا نراه من الواجبات
الدينية والوظائف الانسانية ثم توجه الى قبر نابليون الاول وعند الانصراف قال
ان هذا الرئيس وان كان شخصه قد زال فان ذكره لا يزال ينتقل جيلا بعد جيل
ثم توجه الى المارستان وعند دخوله اليه رآه رجل مسن من المرضى فتكلف القيام
له فلما رآه الامير على تلك الحال تقدم اليه شفقة عليه فاخذ الرجل يده وصفحه
ثم شكره ودعا له وكان هذا الرجل من الجند الذين حاربوا الامير ووقعوا في اسره
وغذوا باحسانه وبره ثم توجه الى معمل اندفع وانواع السلاح ومن الغد توجه الى المطبعة
الكبرى وكان البرنس بعث الصك الذي دفعه الامير اليه الى رئيسها ليطلبه فلما
جاء الامير اراد الرئيس ان يظهر مهارته في شيء يعد غريباً بين يدي الامير
فرسم الصك في مطبعة خط اليد فانطبع وارتسم على هيئته الاصلية وكتب على
بطاقة تحرير ايض ما صورته الحمد لله وحده الشريف المعظم والامير المنعم الحاج

عبد القادر اطل الله ايامه وسر حياته شرف بزيارته المباركة دار الطباعة الاميرية
الفرنساوية في سنة ١٨٥٢ المطابقة ١٢٦٩ فتعجب الامير لذلك ثم اطلع على جميع
اعمال المطبعة واشغالها وعند الانصراف منها ساله بعض الاعيان عما رآه فقال
بالامس رأيت صناعة المدافع التي تهدم بها الحصون والقلاع وفي هذا اليوم رأيت
الحروف التي تغلب بها امرة الملوك وتخرب دولهم وهم لا يشعرون وبعد انتهاء المدة
المعينة لاقامته في باريس استأذن في الرجوع الى امبواز ليتهاي للسفر الى بروسه
فاذن له البرنس ثم دعاه الى الحضور عنده وعند الدخول عليه تلقاه ببشاشة وطلاقة
وجه واحسن السؤال عن احواله في باريس وما رآه فيها من احتفال اهلبا به
واكرامها اياه ثم قال له ان دولة فرنسا ستعين لك مرتباً من الدراهم شهرياً يكفي
لنفقاتك ويغنيك عن التنازل من خزينة غيرها وقد كنت امرت ان يهباً لك
سيف يليق بقامك والآن تبين انه لا يتم العمل فيه قبل سفرك الى تركيا بناء
عليه سيصلك في بروسه علي يد السفير في الاستانة واعلم اني اقدم لك هذا السيف
وانا على يقين بانك لا تجرده على فرنسا فاجابه الامير اني الان ممن يستعمل انقلم
لا ممن يستعمل السيف فتبسم البرنس وقال حيث انك سلمت سيفك الى قائد جيش
فرنسا احببت ان تخرج من بلادها بسيف عوضاً عن سيفك قال بالماز وهذه الهدية
كانت عنواناً على ما في صدر البرنس من المودة الامير فلذلك تلقاها الامير بالقبول
وانصل هذا السيف قديم وقد رسم عليه من الامبراطور نابليون الثالث الى الامير
عبد القادر بن محيي الدين في شهر ديسمبر سنة اثنين وخمسين وثمانمائة والثاني ثم
ان الامير ودع البرنس وسافر الى امبواز وفي اثناء اقامته في باريس كان الاديب
الشاعر احمد انندي فارس الشدياق مقيماً فيها فامتدح الامير بقوله

ما دام شغرك غائباً عن ناظري	ليس السرور بخاطر في خاطري
يا من على قرب المزار وبعده	حيي له والشوق ملوّه ضمائري
ان كنت لي يوماً فديتك وافيّاً	ماضري ان كان غيرك غادري
فاذا رضيت فكل سخط دين	واذا وصلت فلم ابال بهاجري
واذا بقربك كنت يوماً نافعياً	لم اخش شيئاً بعد ذلك ضائري
يا فائتي بدلاله وثماله	وكماله وجهاله ذا الزاهر
عقلي سابت ومهجتي فارديها	لا جيد مدح شائلي لك باهر
وليعلم العذال اني صادق	في وصف حسن علاك وصفة شاعر

يا محرقى شوقاً بفاتر جفنه
يا بدر تم راع قلبي حبه
ياظبي انس شاق عيني شكله
هلا رثيت لحالي ورفقت بي
كلم الحشا مني وعيدك قسوة
لو كنت تدري ما القيت من النوى
مذغبت عنك ارتد عن طرفي الكرا
واهتاج وجدي واستثيرت لوعتي
اني وحق هواك غاية مطلبي
من يوم لحث لناظري ماراقتي
ما كان حسن سواك يوماً شائقي
اهوى لاجلك من حكاك بشكله
كيف اصطباري اليوم والاجل نقضى
وبهيجتي اني اراه ساءة
هبة اتى فلقه يراني ساهراً
انسيت عهدي حيث ملت مع الهوى
اما انا فكما علمت على النوى
شيئان است اطيع صبراً عنهما
هو ذلك الشهم الذي شهدت له
ومناقب محموده وشمائل
هو ذلك المولى الممدح سعيه
هو ذلك الفرد الذي افعاله
وهو المهيّب لدى الملوك نزاهة
من معشر العرب العربي بنجادهم
العاملين بحكم التنزيل وال
الناشرين اذا غشوا واذا دعوا
المؤثرين على خصاصتهم وقد
ولرب قوم يحبسون خلافتهم

ارأيت قبلي محرقاً بالفاتر
ياشمس حسن قد تملك ساثري
لكن له طبع الغزال النافر
ووعدتني عدة ولو في الظاهر
قبل الفراق بان تكون معاشرتي
لرحمتي ووددت انك زائري
من بعد ما هدى ارتداد الكافر
وبدا بحبك ما تكن سرائري
وسنا محياك الصبيح الناضر
شيء ولم يملأ جمالاً لناظري
كلا ولا لحظ لغيرك ساحري
لا شكله اذ ذاك دون النادر
وايت ارضائي بطيف زائر
قبل المات معانتي ومسامري
والطيف ليس براقد مع ساهر
ولقد عهدتك ما ذكرت ذاكري
والقرب صب فيك غير مغايري
ذكرى لفاك ومدح عبد القادر
كل البرية بالنعال الفاخر
مرضية ونحامد وماثر
عند الاله وعند كل مفاخر
امدوحة البادي ونغر الحافر
والنازح الصب الكريم الطاهر
اهل المكارم كابرًا عن كابر
تحريم والتحليل حزب الحاشر
بالبراز فنحرمهم للشاشر
نظروا الى الدنيا كشيء غابر
فيها وغار لهوها كالغابر

ولديهم رد التحية منة
يحبي الليالي بالدعاء تهجدًا
ويروع افئدة الرجال لقاءه
في قلب كل معتك من رعبه
وبكل حرف من بليغ كلامه
الفضل شيمته وسيمته النقى
يولى النداء قبل السؤال وبشره
يغنيهم عن ان يمنوا عنده
جهد الزمان غلاوة فكبا ولم
واقدا يكون النسر يومًا واقعا
فالله ينصر من يغار لدينه
والله عز يداول الايام ما
سكن الامير وطار في الدنيا اسمه
فالعجم بين موقر ومجمل
ياناصر الدين العزيز وجزبه
ياخير نام عن تعاظم منكر
لا تتش من بأس فربك قاهر
لك حيث كنت عناية حميدة
كن كيف شئت فان اجرک ثابت
فاذا مدت افانت اعظم حاذر

وبعد ﴿ فالمرجو من كرم سيدي المكرم الامير المعظم ان يسمح لي بالمثل
بين يديه ساعة من الزمان قبل سفره بالسلامة من هذا المكان فاني كثير الشوق
الى ثقيل راحته والى البرك يمين حضرته ولولا خوفي من الملام لوافيت بهذه
الايات وقدمتها بيدي لذلك المقام لكن خشيت من اساة الادب والجرأة على القدوم
قبل الطلب واني لامرکم العالي منتظرو دواع لجنابکم بالعرز المستمر في اواخر نوفمبر سنة
تسع وستين ومائتين والف نقابله الامير بغاية من الاكرام والاحترام وسر بقصيده
وزيارته واجزل جائزته وكنت دائما اسمع من الامير حينما ترد عليه النقائد من
الشعراء يتش قول النقال

اذا جهلت مكان الشعر من شرف فاي مغفرة ابقيت للعرب
وبعد وصول الامير الى امبواز اخذ يتبها للسفر وفي تلك الايام انعقد مجلس نوّاب
الامة الفرنسية للذاكرة في ادالة الجمهورية بالامبراطورية وبعد الاتفاق على ذلك
صدرت الاوامر الى ابلات فرنسا بالانتخاب ولما بلغ الامر الى امبواز بعث حاكمها الى
الامير يقول حيث انك اقامت في هذه البلدة اربع سنين فلك حق الاشتراك مع
اهلها في الانتخاب فاجابه الامير الى ذلك وكتب هو ومن معه انتخابهم للبرنس
نابليون وجعلت اوراقهم في درج مخصوص وبعثها الحاكم مع اوراق اهل البلد ولما تم
الانتخاب حكم المجلس للويس نابليون الثالث بالامبراطورية ونفذ الامر بذلك واصبح
امبراطور فرنسا وانتشر الخبر وفي العشرين من صفر والثاني من ديسمبر توجه
الامير الى باريس ليؤدي مراسيم التتاني فاكرم الامبراطور وفادته واعظم تهنئته وخصه
بمجلس حضرة الوزراء ورجال الدولة في قصر التيلري ولاول دخوله عليه تلقاه وصافحه
وقال له ارايت ايها الامير كيف كان صوتك ميمونا علي فاجابه الامير ان صوتي قد اعرب
عما في ضميري من ارادة الخير لك واني احمد الله تعالى الذي عجل لك بالجزء عني بما
تريد قبل خروجي من فرنسا فسر الامبراطور وتهلل وجهه لهذا الجواب وبعد ان
تحدثا مليا في امر السفر وما يتعلق به ودع كل منهما الآخر واقلب الامير
راجعا الى امبواز وبعد ايام كتب الى دوران دوليس وزير الخارجية فاجابه
بما نصه الامير الانجد قد اتصل بيدي كتابكم الكريم واعلم اني لو بذلت جميع
ما في وسعي في حصول مطالبك لا اري اني وفيت لمقامكم العظيم حقه وعلى كل
حال فاني الان اخبركم ان الاشياء التي اشرتم بها قد اجاب اليها الامبراطور وامر
بتنفيذها فاعدنا لك سائر ما يلزم لسفرك من امبواز الى مرسيليا ومنها الى بروسه والقومندان
بواسني ومن معه في خدمتكم من طيب وترجمان وغيرهم قد اجاز وزير الحرب ان يكونوا ببعيتكم
ويستروا في خدمتكم الى بروسه واقاربكم الذين حضروا من طنجة الى مرسيليا
ليتوجبوا معكم وهم السيد مصطفى ابو طالب والسيد الطيب بن الخنار ومن معهم
قد بعثت الى حاكم مرسيليا ان يقوم بشؤونهم الى ان يجتمعوا بكم وما اشرتم به
من اسعاف ام بولاد فانه حاز القبول وامر الامبراطور ان يثبت لها في كل
سنة ستمائة فرنك والمكاتيب التي بعثتها الى خادهم الحاج الحبيب بن المهر المقيم الان
في تونس قد وجئناها اليه واورزت الى قنصل فرنسا هناك ان يسعفه بما يحتاج اليه ويحمله
الى محل اقامتكم نجاة من غير نوال وما ذكرتموه عن النسيان ميلي الذي خدمكم

في هذه المرة من كونه نصح في الخدمة وصدق فيها قد بلغته الى وزير الحرب واكتسب الفسيان بذلك رضاه ولا بد ان يعامله بما تحبون له واعلم ان السفير في اسلامبول قد اخبرنا ان حضرة السلطان امر لكم بنزل يليق بكم في بروسة فسترون هناك ما يسرُّكم ويسر من معكم وبالجملة فان مطالبكم كلها حازت القبول وكنت اتنى ان اراكم عند السفر واجري الوداع مشافهة ولكن كثرة اشغالي حالت دون ذلك وحيث توفرت عندي اسباب المودة لكم وجب عليّ ان اخبركم بانني احبكم وان مودتي لكم تستمر دائماً على ما هي عليه الآن فلا تبرحون من بالي وستسير روعي معكم براً وبحراً حرر في باريس في الثامن والعشرين من صفر سنة تسع وستين ومائتين وفي اول ربيع الاول سافر الامير باهله ومن معه من امبواز الى الاستانة وما من بلد يمر عليها الا تلقاه اهلها بالمبرة والاجلال ولما قارب مدينة ليون الشهيرة تلقاه الجنرال مونتوبان بالكوا وكان حاضراً يوم تسليم الامير برتبة ضابط فابدى للقاءه الاحتفال الكامل واصطفت الجنود خارج البلدة وفي اليوم الثاني جمع الجنرال العساكر وكانت نحو العشرين الف ما بين خيالة ومشاة في سهل خارج البلد وخرج هو والامير وكنت تبعينه مع بعض جماعته وعند وصول الامير والجنرال الى مصاف العسكر سلمت عليه ثم باشرت في عمل ايقاع حربي باطلاق البواريد والمدافع وكانت تكرر على بعضها وتفر وتقبل وتدبر واستنقام ذلك من بعد الزوال الى قرب الغروب ثم دخلوا البلد وكانت مزينة بالمصابيح والاعلام بزينة كاملة وذلك اليوم مع ليلته كان من المواسم الممدودة وفي اليوم الثالث توجه منها في اعزاز واعظام الى ان دخل مرسيلية وقد امعن اهلها في حسن استقباله فاقام فيها الى ان تهيأ لركوب البحر وسافر في الباخرة الحربية التي اعدتها الدولة الفرنسية لسفره فجعلت مسيرها لارادته ولما وصل الى جزيرة صقلية نزل بسبيليه فتلقيه حاكمها واجل مقامه وخرج معه في جماعته الى المدينة وجال في ارجائها ثم سار على عربة الخيل وكنت فيمن كان تبعينه الى جبل النار وهو احد البراكين المشهورة وكان سيرنا ثلاثة ايام تارة على العربات وتارة على الخيل الى ان وصلناه ثم سعدنا الى اعلاه فرائنا النار ترمي بصخور موقدة امثال البخت الى اسفل ثم تصير ماءً جارياً يلتهب ناراً وجذا من اعجب ما يرى ويسمع من آثار انقدرة الباهرة ثم جعلنا ننظر الى نواحي الجزيرة وسهولها الممتدة المغطاة بشجر الليمون بانواعه ومخارثها الواسعة وجبالها الشاخنة المغطاة بشجر الزيتون ومناظرها الزاهية الباذخة فتذكرنا من سكنها وعمرها

من المسلمين كنهم ما برزوا في رباما ولا تحلوا بسناها وهذه الجزيرة واسعة كثيرة المدن والقرى والحصون واول من غزاها من المسلمين معاوية بن خديج والي افريقية في خلافة معاوية بن ابي سفيان ولم يفتحها ثم تنابح الغزو اليها في ايام بني الاغلب من اول امارتهم الى آخرها واستولوا على اكثرها ولم يزل الفتح فيها والغزو اليها الى ان انقضت مدة بني الاغلب سنة مائتين وست وتسعين كما تقدم في اخبارهم ثم تجدد الغزو اليها والفتح في ايام الفاطميين الى ان فتحها عاملهم احمد بن الحسين سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة واستمرت في ايدي المسلمين الى ان استردها الافرنج واستولوا عليها وذلك لما ضعف امر الخلافة وركد ريجها تفرقت كلمة امراء الجزيرة واستقل كل واحد منهم في امارته فوجد لافرنج سبيلاً للاجلاب عليها واخذوا ينتزعون تلك الامارات من يد المتغلبين عليها واحدة بعد اخرى الى ان بقي بايدي المسلمين منها مدينة قصر يانه ومدينة جرجت وهما من الامصار العظيمة فنازلها الافرنج سنة اربع وثمانين واربعمائة واتصل تضيقهم على من بهما من المسلمين شهوراً عديدة فلما اشتد عليهم الامر ولم يجدوا من ينجدهم من مسلمي وراء البحر اذعنوا للتسليم فاخذها الافرنج منهم وصارت الجزيرة كلها بايديهم ووقع باهلها مثل ما وقع باهل الاندلس وهي الان من ممالك ايطاليا والله الامر من قبل ومن بعد وقد وصفها وقتئذ العلامة سيدي الطيب بن المختار وذكر ما لحق بها ومن سكنها من المسلمين من انواع النوائب وصنوف المائب ثم تخالص الى مدح الامير . فقال

هذي حقلية لاحت معاليها	تجربياً فضول الربط من ام
دار اقر لها بالفضل ذو نظر	والفضل ما شهدت فيه ذوو الحزم
كانت منار هدى كانت تحطردى	كانت سماء شمس الفضل والكرم
هذي منازلهم تبكي ما اثرهم	بكاء طرف قريح بات لم ينم
هذي المساجد قد دكت قواعدها	هذي المآذن بالاقوس في سقم
هذي المحاريب قد عاد الصليب بها	هذي منابرها قفري من الحكم
هذي الكرامى على علم ومعرفة	دموعها بيت منهل وشمس نجم
اذا رأت مسلماً قد زارها فرحت	واستبشرت ثم باست موضع التقدم
فما هي الناس بالناس الاولى عرفت	والود يمتاز بالسما من السلم
فانظر لارجائها تلقى العجاب بها	قد اعلنت بسرور غير مكتمة
وازدان موقعها واقتر مبسما	والزهر منها غدا زاهر على الاكم
وكيف لا وحسام الدين حل بها	نحر الاكابر من عرب ومن عجم

صدر الافاضل في دنيا وآخرة
عبد لقادر ما اسنى سناه وما
رقي مراقي لم تصعد مصاعدها
اصل المروءة مبداهها ومنشؤها
عز الامارة مولاهها وروثها
لم تخف شمس الغنى في الجو طالعة
فاهنا بفضل عظيم غير منقطع
اولاك ربك عزاً غير منقطع
ذكرتنا يوسفاً اذ باب امركم
كانه قطر باريس حلت به
فجر ذيل فجار قد سموت به
ثم احمدته على الآلاء معترفاً
بشرى لنا يا اهيل الود ان لنا
هذي السعادة قد لاحت بدايتها

كف الاثمة في حرب وفي سلم
اعلى علاه حوى العليا من المصم
اسد الحروب وان ناموا فلم ينم
فرع النبوة لم يخضع ولم يضم
بجر الساحة كم اسدى من النعم
او تجهل النار ان لاحت على علم
ودم بلطف خفي غير مزدحم
وعز غيرك لم يثبت ولم يدم
لا غرور فالفضل منه غير منعدم
مصر وقد حابها الصديق في حرم
وقر عينا وثق بالله واعنصم
بما انالك من عز ومن عظم
بيتاً من المجد مطوياً على كرم
فاله يختمها في حسن مختتم

ذكر وصول الامير الى القسطنطينية

وبعد ان اخذ الامير راحته في مرسى تلك الجزيرة سار عنها واتصل سيره الى
الاسكندرية العلية فدخلها يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الاول سنة تسع وستين
وثامن يناير سنة ثلاث وخمسين واحتل بعاصمة الدولة العلية العثمانية ودار الخلافة
الاسلامية

كعبة اسست على الفضل لكن كل حين لها يحج الوفود
حيث المنازل في مطالع السرور باديه والمنزهات باشراف سعودها متلالية ولاول
وصولنا نزل الامير الى البر واستقر سائراً الى خريج ابي ايوب خالد بن زيد الانصارى
رغمي الله عنه عند سور القسطنطينية وقد كان قبره مخفياً الى ان اظهره الله على
ساكن الجنان السلطان الغازي محمد خان الفاتح للقسطنطينية مظهر اشارة مارواه الامام
احمد في مسنده والحاكم في صحيحه عن بشر الغنوي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لتفتحن القسطنطينية ولنعم الامير اميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش وهذه الاشارة
من معجزاته صلى الله عليه وسلم وعلم من اعلام نبوته ومنقبة عظيمة لذلك السلطان

الاعظم قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه كما اظهر قبر الشيخ الاكبر والكبير
الاحمر محيي الدين بن العربي على يد السلطان الغازي سليم ياووز خان في دمشق
الشام واشهر فيها قبر صلاح الدين ابن ايوب القرشي على يد مولانا السلطان الغازي
عبد الحميد خان الثاني ايد الله ملكه وابده وبعد فراغ الامير من زيارة ابي ايوب
الانصاري رضى الله عنه توجه الى جامع ايا صوفيا وفي اليوم الثاني زار الصدر الاعظم
المرحوم مصطفى رشيد باشا فأنسه وعرض عليه النزول للبلد بجميع العائلة فاعتذر
اليه بمرض والدته وبعض عائلته ثم توجه لزيارة المرحوم شيخ الاسلام العالم العلامة
عارف حكمت بك وسائر الوكلاء والشريف عبد المطلب ثم توجه الى سفارة فرنسا
فاجتمع بالماركيز دولافايت سفيرها وفي اليوم الثالث دعي الى المابين فتشرف بمشاهدة
حضرة السلطان الغازي عبد الحميد خان فرحب به واحسن السؤال عن احواله وشكره
على ما كابده في الدفاع عن الدين والوطن وحمده على صبره على ما قاساه ايام اقامته
عند الفرنسيين ومدح الامبراطور نابليون الثالث على وفائه بالعهد والقيام بشأنه وكنت
يومئذ في معية الوالد فرايت من تنازل حضرة السلطان وتعطفه واين جانبه ولطفه
ما يشهد له باستكمال ما كل من الخصال الحميدة ثم تنازل الى السؤال عني فقال له
هذا ولدي الاكبر وعرفه برفيقه في الجهاد وفي فرنسا الا وهو حضرة السيد قدور بن
علال وبخادمه قره محمد وعند الانصراف ذكر امر السكني في بروسة فقال له اختار ما
يختاره لنا مولانا امير المؤمنين فاجابه بانك مختار في السكني في اي بلد شئت من
ممالك العثمانية فشكر الامير فضله وحسن ترجهاته وخرجنا من تلك الحضرة السنية في
ارتياح وانتراح تحق على رؤوسنا الوية الحمد وتضيء علينا من سماء المكارم السلطانية
كواكب المجد ثم ان الامير قدم لاعتابه السنية قوله

الحمد لله تعظيماً واجلالاً	ما اقبل اليسر بعد العسر اقبالا
وما اتت نفحات الخير ناسخة	من المكاره انواعاً واشكالا
واشكر الله اذ لم ينصرم اجلي	حتى وصلت باهل الدين ايصالا
وامتد عمري الى نلت من سندي	خليفة الله افياء واظلالا
فالله اكرمني حقاً واسعدني	وحط عني اوزاراً واثقالا
قد طال ما طمحت نفسي وما ظفرت	لكن للوصل اوقاتاً وآجالا
اسكن فؤادي وقرآن في جسدي	فقد وصلت بحزب الله احبالا
هذا المرام الذي قد كنت تأمله	فطلب ما لا يلقاه وطب حالاً

وعش هنيئاً فانت اليوم آمن من
فانت تحت لواء المجد مغتبط
وته دلالاً وهراً العطف من طرب
امنت من كل مكروه ومظلمة
هذا مقام التهاني قد حالت به
ابشر بقرب امير المؤمنين ومن
عبد المجيد حوى نجداً وعزلاً
كهنف الخلافة كافيها وكافها
يارب فاشدد على الاعداء وطأته
واظهرت - زبه في كل نتجه
وابسط يديه على الغبراء قاطبة

يشير الى اهل الجزائر

فالمسلمون بارض العرب شاخصة
كم ساهر يرتجي نوماً بسطوته
فرع الخلائف وابن الاكرمين ومن
كم ازمة فرجوا كم غمة كشفوا
هم رحمة لبني الايمان قاطبة
انصار دين النبي من بعد غيبته

يشير الى فتح القسطنطينية

قد خصهم ربهم في خير منقبة
كم حاول الصخب والال الكرام لها
ما زال في كل عصر منهم خائف
حتى اتى دهرنا في خير منتخب
قد كنت مضمحل خفض ثم اكسني
وبالاضافة بعد القطع عرفني
هذا وحق علاه كم ازاح وكم
لا زال تخدمه نفسي وامدحه
اهدي مديحي وحمدي ما حييت له

ما خص صحباً بها قبلاً ولا آلا
والله يختص من قد شاء افضالا
يحمي الشريعة مقولاً ومنعالا
من آل عثمان املاً كآ واقبالا
رفعاً وقد عمي جوداً وافضالا
وخط عني تصغيراً واعمالا
ازال عني بمحض الفضل اثقالا
مستغرق الدهر ابكاراً وآصالا
افادني انما جلت واقبالا

جزاه عني اله العرش افضل لما جرى به محسناً يوماً ومنضالاً
خادم الغزاة والمجاهدين عبد القادر بن محيي الدين سيف غرة ربيع الآخر
سنة ١٢٦٩ (ثم) احتفل الصدر الاعظم وشيخ الاسلام وسفير فرنسا لضيافة الامير
فابدوا واعادوا واستقصوا واجادوا وكان شيخ الاسلام عارف حكمت بك رحمه الله
له علينا فضل عظيم لانه لما طلب نابليون الثالث من المغفور له السلطان الغازي عبد
المجيد خان كفالة عن الامير جعل مجلساً خاصاً للذاكرة في امر الكفالة فقال
شيخ الاسلام اذا لم تكن لمولانا السلطان حسنة مع كثرة حسناته الا هذه لكفى بان
يكفل هذا الرجل المجاهد وينقذه من الاسر فينئذ اجاب المغفور له بالكفالة ولعمري
ان الله عز وجل قد حقق ما اجراه على لسان المرحوم عارف حكمت بك من قوله في مدح
نفسه منقراً

الم تعلم بان سماء فكري تلوح بافقه شمس المعارف
تقرس والدي في المزايا ويوم ولدت لقبني بعارف
وكتب ناظر التياترو ميخائيل افندي نعوم يدعو الامير اليه بقوله
كريم السجايا تحتد المجد من سما ذرى الرتب العليا بفضل جناد
خفيراً لجاء العرب خوف ادثاره بسطوة ماض صيقل وجلاد
سلمت مدى الايام مستوف الثنا وفي نعمة تبقى بغير نفاذ
فانا من القوم الاولي ساقهم الى لقائك داعي حمية وبلاد
اجابة سؤل ان تزور مشرقاً لنزهة طرف وانشرح فؤاد
وكان الناس يزدهمون على مشاهدة الامير اثناء اقامته ورؤيته في الطرقات
التي يمر بها ورحاب منازل الوزراء والعظماء التي يقصدها

﴿ ذكر وصول الامير الى بروسة ﴾

وبعد ان اقام عشرة ايام يزور ويزار ودع الصدر الاعظم فمن دونه من الوزراء
والمأمورين ثم ودع سفير فرنسا وتوجه الى بروسة فدخلها يوم الاثنين السابع من
ربيع الثاني وتلقاه خارج البلد خليل باشا صهر السلطان مع سائر الوجوه والاعيان
بغاية التبجيل والاحترام حتى نسينا بما شاعدهاه منهم ما كان سبق لنا في فرنسا
والاستانة من الاعتبار وكان نزولنا في الدار التي اعدت لنا بالامر السلطاني بالخلعة
المعروفة بخلعة المحكمة فالقينا بتلك المدينة عما التسيار وتبوأنا منها خير دار وحمدنا

الله تعالى على هذه النعمة التي لا يحيط بوصفها فكر ولا نستطيع ان نقابلها ما حينئذ بشكر الله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ولما نظر الامير الى موقع المدينة واحوازها قال لقد صدق الذي اخبرنا انها تشبه مدينة تلمسان ثم اخذ يشير الى وجه الشبه بين المواضع والجهات وانشد

اما الخيام فانها كخيامهم وارى نساء الحلي غير نساءها
ولما استقر بنا الحال اخذنا نتجول في انحاءها ونتنزه في ارجائها فحصل لنا بذلك سرور وارتياح وناهيك ببلدة ازدهت بمبان عالية ومنتزهات ومعاهد عامرة بالانس والذات لا نرى الا كدرا اسباباً ولا للسرور حجاباً وحجاباً ولاول وصول الامير الى بروسة عرض عليه واليها باذن السلطنة العظمى تعيين مرتب شهري يقوم بشؤنه فسر الامير بذلك ودعا للدولة العلية وشكرها على اهتمامها بامرہ الشكر الجزيل ثم قال له ان الامبراطور نابليون عين لي من النقود ما يكفي من النفقة ولما مولانا السلطان المعظم فقد تفضل علينا بما هو اعظم من الدنيا بما فيها وهو تنازل عظمته وانعامه عليّ بالكفالة عند الدولة الفرنسية وهذه الكفالة هي السبب الاقوى في حياتنا الجديدة ولولاها ما خرجنا من قبضة الاسر وهذا الانعام لا يوازيه شيء ولا يقابله شكر فنحن عميد احسان الذات السلطانية خلد الله سطوتها وايد كلمتها وتلى كل حال فنحن منتقرون الى مكارم مولانا ومراحمه ما دمتنا وان حصل احتياج لذلك ارفعه الى الاعتبار فوق هذا الجواب عند الوالي موقع الاستحسان ورفعته الى الاعتبار العلية وكان رضي الله عنه يصلي الصلوات الخمس في الجامع التريب من الدار المعروف بجامع العرب ويقرأ فيه الدروس فقرأنا عليه الفية ابن مالك بشرح المصكودي والسنوسية بشرح المصنف والابساغوجي للفناري ويقرأ لنا في الدار الابريز في مناقب سيدي عبد العزيز الدباغ وفي تلك الايام اشهر الحرب المعروف بحرب انقزم بين الدولة العلية والروسية فقال مستغيثاً ومادحاً مولانا السلطان عبد المجيد خان

يا رب يا رب يا رب الانام ومن	اليه مفزعنا سرّاً واعلانا
يا ذا الجلال وذا الاكرام مالكننا	ياحي يا بولياً فضلاً واحسانا
يا رب ايد بروح القدس ملجأنا	عبد المجيد ولا تبقيه حيوانا
ابن الخلائف وابن الاكرمين ومن	توارثوا الملك سلطاناً فسلطانا
احي الجهاد لنا من بعد ما درست	وضاعف المال انواعاً والوانا

فانصره نصرًا عزيزًا لا نظير له
واحفظ علاه وارسل يا كريم له
وانصر به الشرع وارفع يارؤف به
واجمع الهي قلوب المسلمين على
به الصواب اصب واجعل له فرجا
واهدم وزلزل وفرق جمع شائته
وانصر وايد وثبت جيش نصرته
الباذلون بيوم الحرب انقسم
والضاريون ببيض الهند مرهفة
والطاعنون بسمر الخط عالية
والمصطلون بنار الحرب شاعلة
والراكبون عناق الخيل ضامرة
جيش اذا صاح صياح الحروب لهم
هم الرجال ثباتًا يوم حربهم
هم الليوث ليوث الغاب غاضبة
هم الاولى دأبهم شق الصفوف لدى
الدافعون عن الاسلام كل اذى
كم غمة كشفوا كم كربة رفعوا
يارب زدهم بتايد اذا زحفوا
الى السكينة ربي في قلوبهم
وجهت وجهي انلني ما دعوت به
من الاله لهم قال افعلوا وذروا
اعني الذي صرح الحفاظ ذكرهم
بقطيعهم احمد المختار من مضر
كذا خليفة الصديق لمجانا
وبالمكنى ابي حفص الذي انتحى
وبالخليفة ذي النورين ثالثهم
وبالامام اخي المختار ذاك على

حتى يزيد العدى هما واحزاننا
من الملائك حفاظًا واعواننا
عن دينك الحق لا تعدمه برهاننا
وداده واعله واعظم له شاننا
بطانة الخير اقطابًا واركاننا
واجعل فؤادهم بالرعب ملثاننا
انصار دينك حقًا آل عثماننا
لله كم بذلوا نفسًا وابداننا
تخالها في ظلام الحرب نيراننا
اذا العدو راها شرعت باننا
مطلوبهم منك ياذا الفضل رضواننا
تخالها في مجال الحرب عقباننا
طاروا الى الموت فرسانًا ورجلاننا
فصابر من عداهم صبره خاننا
واليث لا يلتقي ان كان غضباننا
حملاتهم صار جيش الكفر دهشاننا
بانفس قد غلت قدرًا واثماننا
وكم ازاخوا عن الاسلام عدواننا
واقطع بسيفهم ظلمًا وكفراننا
وزدهم يا اله العرش ايماننا
باهل بدر حماة الدين اركاننا
ما شئتم لكم اوجبت غفراننا
باسمهم تاركًا من خلفهم باننا
وسيد الخلق املاكًا وانساننا
واعظم الناس ايمانًا وايقاننا
به المغالقي حتى صعبها هاننا
اعني بذلك عثمان بن عفاننا
من في الوغى بالعدا نلقاه فرحانا

وبابن عثمان عبد الله سيدنا
وحاطب وبلال ثم حمزة ذا
بسطهم وابي طلحة وسهلم
بصنوه وعبيد الله ثم ابي
بابن الربيع المحي وبابن رافعهم
وبالزبير ابي زيد كذاك ابو
وبابن عوف وعمر وعقبة وكذا
وعامر وخنيس ثم عاصمهم
عويمر ثم عتياب وحق لهم
ومعوذ واخيه ثم مسطحهم
قدامة وهلال لا نظير لهم
اني توسلت يا رب الانام بهم
ثم الصلاة على المختار سيدنا

وابن البكير اياس ساد اعلانا
عم النبي كريم ساد قحطانا
كذا سعيد ظهير ساد عدنانا
حذيفة وحبيب زاد رضوانا
رفاعة ثم زيد سيدا كانا
لبابة الخير من قد عز اخداننا
عبيدة من لدين الله قد صاننا
ثم ابن صامتهم من زان اذعاننا
سيادة ومعاذ طاب ارداننا
كذاك مالكم مقدم ما شاننا
مرارة وابي فضلهم باننا
ارجوك فضلاً واحساناً وغفراننا
ما صارت الشيب يوم الحرب شباننا

خادم الغزاة والمجاهدين عبد القادر بن محيي الدين في غرة ذي الحجة سنة
١٢٦٩ (ولما) شاع في الآفاق خبر خروج الامير من فرنسا ووصوله الى بروسة
اخذ المهاجرون من اهل الجزائر يقعدونه من مواضع اقامتهم في تونس ومصر
والحجاز والشام ويتسابقون الى اعتابه راغبين في السكنى برحابه فقابلهم بالقبول
والاكرام كما ان علماء الانحاء صاروا يتواردون الى حضرته ويشدون الرحال الى
زيارته ومن جملة من قصد زيارته العلامة الشيخ يوسف بدر الدين المغربي
نزىل دمشق فاكرم الامير نزله وبالغ في احترامه لعله ورفعة مقامه وبعد ان
اقام اياماً توجه الى الاستانة وكتب الى الامير ما نصه . المقام العالي بالله ذي المجاهدة
والتمكن مولانا السيد عبد القادر بن محيي الدين كان الله له خير معين أمين
نحمده سبحانه وتعالى وهو اهل الحمد ونشكره راضين بقضاه فله الامر من قبل ومن
بعد ونصلي على انور الساطع بالآيات الباهرات . القائل انما الاعمال بالنيات . وعلى
آله الكرام . وصحابه السادة الاعلام . ما اشتاق خل خلله واهدى سلام

يهدي السلام محب لم يزل ابداً
ويسأل الله ان يبقيك تكمة
ما اشرقت في المعالي شمس ذاتك يا
يثنى عليك ثناء ليس ينحصر
للناس حتى بك المكسور ينحصر
بجر النداء وبدا من لفظك الدرر

بسم الله الرحمن الرحيم تيمنا بذكره القديم ينهي السلام تحب متمسكاً من الولا،
بوثق العرى متمسكاً بعطر الثناء الذي لا يزال الكون منه معبراً منشوقاً للقاء الذي
بالمهج يسام وبالنفوس يشتري متشوقاً الى ما يرد من الانباء التي تسر خيراً وتحدد
اثراً ويسأل الله ان يخلد حضرة وكفت بوابل جودها وكفت المهيم بنشائج سعادتها
مع اهداء دعاء ذكت اعطيت المسرات فتحاته وزهت في رياض البشر لمحاته واسنى
نحيات يشرق على الاكوان سناء نورها ويتمطر الملووان من شذا نورها طيبها مكتسب من
طيب المهدي اليه ولطفها مستفاد من لطفه كالبحر يحاطه السحاب وما له فضل عليه
واذكر اثنية تملي عنا رسائل الاشواق وتبئكم عما قاسيناه من تباريح انفراق
فكل جسدي عيون ذقت لوعتها تجري بماء كماء المزن منهمر
لا استريح نهاري مذناً ولا آنت طيب الكرى من لوعة السهر

فهي تظهر الوجد الكامن في الضدير ولا ينبئك مثل خبير تشرف بمجلس سيدي
ومولاي شقيق روعي وآسي بلطف دبه جروحي انيس وحدتي وسبب رفعتي
الناصر لدين الله البائع نفسه لاءاء كلمة الله

كانه في لظى الهيجاء حيدرة له مواقف حاكت يوم صفين
وعلامه اخلاصه ما بهر العقول من كيفية خلاصه فانه يثبه على نيته
ويحفظه في ذاته وذريته بجرمة سيد برينه السيد المحام بهجة العلماء الاعلام
مظهر آثار علوم الحقيقة المنورة ومحبي آثار رسوم الشريعة المطهرة موهيد دلائل السنة
ادلته القاطعة وموضح سبل الهداية بانوار علومه الساطعة كثاف اسرار المعارف الربانية
اوكنز دقائق اللطائف الحمداية من تنيات الفصاحة وبلاغة ظل اقلامه ووقفت
جيوش المشكلات خاضعة تحت اعلامه الفرد الرحلة الاجل ومن عليه في هذا العصر المعول
دمت لولاك في الزمان لقنا لبس الدهر من ذوبه السواد
مركز احاطة العلوم ونقطة دائرة المنطوق والمنهوم المتقدم بالفضائل على الناس تقدم
النص على القياس

اعز بني الدنيا واشرف من سما الى رتبته العليا بدون تردد
ولا بدع ان تهت به الايام وباهت بمدحه الاقلام فهو الصدر الذي ينشرح
بحاضرتة كل صدر والبحر الذي اذا امل فرائد فوائده فحدث عن البحر وبدر الكمالات
التي ظهرت فلا تحفى الا على اكمه لا يعرف البدر سلطان العارفين برهان الواصلين صفوة
المقربين وارث مقام الانبياء والمرسلين الجامع لجميع المحاسن والافاضات الذي احاطت

به الكلمات فهي لغيره لا تضاف السيد الامام والسند المقدم صاحب العز والتمكين المشار اليه
علاه متع الله بوجوده الانام ونفع به الخاص والعام ولا زالت منخ فوائده الجملة نوراً
لا بصار العارفين وفتح فرائده كافية بل شافية لغال الخائفين بحمد وآله ومن نسج على منواله
ما غردت ساجمات الورق صادحة فاطهرت من شجون القلب ما كنا

وبعد حصول ما حصل من التقصير وابداء عذر التأخير فان حبت نسمات اللطف
والقبول من تلقائكم بالسؤال عن الاحوال كما هو المأمول فان المحب المخلص والداعي
المتخصص مقيم على قدم العبودية وحفظ العهود في البكرة والعشية

اعد من صلواتي حسن عهدكم ان الصلاة كتاب كان موقوتنا
واما الاشواق فانها لا تحصى ولا يبلغ مداها الاستقصا ولا تنفي بها الارقام ولوان
ما في الارض من شجرة افلام ولو اخذ الداعي يصف شوقه لحضرتكم الشريفة وذاتكم
اللطيفة لم يجد لذلك سبيلاً ووقف دون ادرك غايته جملة وتفصيلاً وماذا يصف
من شوقه اليكم شوق الصادي الى الزلال والمهجور الى الوصال

وما فؤادي مشتاقاً بفردة بل كل عضو الى رؤياك مشتاق
ولو بعثت اشواقي لركبت اليكم اعناق الرياح ولطرقت بابكم الذي هو سوق الفلاح
لكن الامور باوقاتنا مرهونة وهي مكنونة في غيبها حتى يظهرها المولى مصونة وايضاً
فالوائت جمة والحوادث لا تراقب في سيرها الاً ولا ذمة ونبتل للكريم الخلاق بحرمة
من ركب البراق واخترق السبع الطباق ان يطوي شقة الفراق ويسهل اسباب التلاق
فيكون الخطاب من الشفاء الى الاسماع بدلاً من التراسل بالرقاع انه بعباده خير بصير
وهو على جمعهم اذا يشاء قدير والله يعلم ان بعد الدار عن القلوب لا يحول وصدق محبة
الفقير لا يزول

ان قلت غبت فقلبي لا يصدقني اذا انت فيه مكان السر لم تغب
او قلت ما غبت قال الطرف ذا كذب نقد تحيرت بين الصدق والكذب
وكتبت هذا الكتاب ليتشرف بلمش انامل الجنب متملاً بقول القائل من الامائل
كتبت كتابي يلثم اليد خدمة لعل كتابي ان يقوم مقامي
ويسجد بالباب الكريم تحية ويقرأ مني الف الف سلام
والمرجو من المولى الهمام لا زال في حرمة الملك السلام ان لا ينساني من دعائه الغيبي
وخبره السار الشافي للبي لطفاً بهذا الداعي بحميل المساعي فان الخبر بعض اللقاء وقد
يحصل للظمان من كفوف القراطيس الاسقاء

بالله لا تقطعوا عنا رسائلكم فان فيها شفاء السمع والبصر
 وآسرنا بها ان عزَّ قربكم فالانس بالسمع مثل الانس بالنظر
 ولئن كان في الطالب اساءة الادب فكاتبته العبد الى سيده مطلوبة وفيه الشرع
 والعرف مرغوبة والسلام التام على كافة الاشبال الكرام اقرَّ الله بهم العين على الدوام
 سروري اذا من الزمان بعودة لبروسة التي خصت باسني المشاهد
 امتع طرفي في محاسن روضها ومسك خنامي نظرة في المجاهد
 هذا وان سالتهم عن كافة الاحوال فندم على ارغد عيش وانعم بال كافة احبابكم
 لرؤياكم متشوقون ولروائح اخباركم متشوقون بلغهم تغيير هيئة اللباس وحصل لهم بذلك
 غاية الاستئناس وسر بقدومكم كافة اهل الاسلام من اهل الحجاز ومصر والعراق والشام
 فاشكر الله على ما اولاك لاسيما نعمة الانفكاك وبلغوا سلامنا للسيدة الوالدة حفظها
 الله من كل واردة كائنة وقد بلغني انه ازداد عندكم مولود فان شاء الله هو مبارك
 مسعود ولو عرفت مسماه لحنئناكم وارخنائه وقد كتبت شرح حال قدومكم الذي سارت به
 الركبان لكافة احبابك المقيمين في الشام على العهود في جواب الكتاب الوارد لبروسه
 من الشريف ابن المشرفي المعهود ودوموا سيدي في امان الله وحسن رعايته (وكاتبه مرة
 اخرى وادع كتابه قوله)

الله اكبر هذا التعب يبريني
 ومن عنائي به ناديت يا اسفي
 شوقي له جل ما باللفظ احصره
 جاد الزمان بوصل ثم عاجلنا
 حديثه وحديث عنه يطربني
 وكما رمت ان اللقاء تجتهدا
 صبرا على حكم مولى لا شريك له
 لكنني اتلى بالرجا فعسى
 وها انا صابر بين انقضاء فلا
 انا المعنى فلا ارتاح من ولبي
 ان قلت غبت فقلبي لا يصدقني
 او قلت ما غبت قال الطرف ذا كذب
 نعم بدت في خيال الفكر صورته
 من سيد بنواه كذب يبريني
 فالشوق ينحاي والوصل يبريني
 ولو جمعت الوفا من دواويني
 جرى على اصله في الغدر بالبين
 بذاك انسى وذا عنه يسليني
 ترى موانع خير عنه تلويني
 ما شاء ان وما لا ليس يثنيني
 يقضي بوصل به نفسي تهتني
 ادري اللقاء بداء او يلاقيني
 به نهارة ولا زار الكرى عيني
 اذ انت تاوى به والكاف والنون
 فقد تحيرت من حكم بضدين
 وان يكن شخصه ناء عن العين

فوجه قبلي والقلب مسكنه
روحي فداده وضمف ما قد حوته يدي
ان المودة في الارواح منشأها
ودي له خالص والله اعلم بي
احبه وارے فرضا محبته
وبغض اعدائه فرض بما اجترحوا
والله لن يصلوا ادنى مراتبه
يا سيداً خصه الولي بنقبة
والكل في غفلة عنها وقد ذهلوا
فاسقط الائم عنهم حيث حث على
فالله يحزبه في احيائه علناً
فقام لله في الاء كلمه
فكم وكم جندل الاعداء بسطوته
كانه في لظى الهيجاء حيدرة
سل ان جهلت وان ينكره ذو حسد
فالشمس لا يبصر المكفوف بهجتها
فقل له قف فان الحشر موعدا
هذا هو الفخر لا شاي ولا وتر
دليل اخلاصه ما في الخلاص بدا
عدوه السيف اهداه له علنا
فاشكر الملك اذ اسداك ما انبهرت
وفرعينا وطب نفساً فسوف ترى
واشهد الله اني عبد رؤيتكم
اني لارجوه في انجاز مسئلتني
مع ان لي فكرة جاد الاله بها
وطال ما كنت في فاس اروم لقي
ان قدر الله ذا مني فسوف ترى
ان الشهادة عندي والاله لهي

والورد ذكره بل صلى له ديني
والله بالفضل عن هذا سيجزيني
فالروح واحدة حلت بجسمين
فليساً ان قلبه عنه ويفتني
هذا اعتقادي فمن ذا عنه يثني
فالله يكفيه من كل ويكتفي
وهل يضاهي الحصاص كابداري
سماؤها ذروة العلاء على الدين
اذ كلهم اعرضوا عن وحي جبرين
فرض الجهاد بتدبير وتحمين
فرضاً اكيداً باجر غير ممنون
لا لمباهاة بل في نصرة الدين
يذيقهم كاس مر الموت في الحين
له موافق تحكي حرب صفين
مكابراً فهو من جند الشياطين
قطعا وينظرها ذو العين بالعين
سيظهر الله ما يخفي بلا دين
وقطع شرع وجمع بين اختين
بحكمة الله من بين الى بين
مع كونه جاهاً في بذل مضمون
منه العقول بسر الكف والنون
ما يصنع الله باليهم الملاعين
استقي عدك كؤوس الموت والبين
ونية الخير عند الله تنجيني
مع قوة العجز للخيرات تهديني
لكن قضاء الهي عنه يثني
ما الله يرضى له في نصرة الدين
احلى من العيش في الدنيا على ديني

فلست احسن من صعب بها ظفروا
والله اسأل مع حسن الختام بها
وسيدي عارف الدنيا يبشركم
وكل ما تشتهي باقي اليك فلا
والخبر نوري افندي قال ابلاغه
فانني في اشتغال زائد وعنى
وشوق زائد يدعو لحضرتكم
والسيد العلم القدسي ببالغكم
وكل من فيك قد صحت محبته
واقراً سلامي على الاشبال قاطبة
محمد صاحب الساطور وهو قرى
وكم بحلولى صذيع الغرب اتحنني
فنعلم ذا الجار يرعى الحق فيه ولا
فان الله بالبذل يجزيه الرضاء وان
سلم على المصطفى نجل التهامي كذا
وكل من في الورى حققت نسبته
واسأل الله قبل الموت يجمعنا
وعن قليل فذا الخروبي قال يجي
فان الله يحجبنا من كل صارفة

في جنة الخلد بالولدان والعين
دفنا بطيبة فضلاً بعد تكفيني
براحة في الدنا والفوز في الدين
تهتم الا بذكر او بتبيين
عني السلام فانت الآن تكفيني
عسى بجرمته المولى يهنييني
بما يسرك من خير بدارين
تحية منه لا تحصى بتبيين
فبالسلام عليك الان يوصيني
الله يحفظهم للنفع في الدين
من كان جاري ونفع الطيب يهديني
ان اشتيت فاكل الحلو يرضيني
كاهل شام اضاعوه تجانين
بالعود فوراً وبالنوعين يحزيني
نجل المبارك قدور ضياء عيني
اليك بالحب من عال ومن دون
على لطائف ترضيه وترضيني
نسعى به صحبة يا قرة العين
عن اللقاء بسر الكاف والذون

(وقد اشار) بقوله هذا هو الفخر الى آخر البيت الى المولى عبد الرحمن سلطان
مراكش حيث انه اشتهر بحب الشاي وآلات الطرب واتهم بانه جمع بين اخنين
من المولدات وبقوله عدوه السيف علنا الى السيف الذي اهداه له نابليون الثالث امبراطور
فرنسا وبقوله وسيدي عارف الدنيا الى حضرة عارف حكمت بك شيخ الاسلام قدس
الله روحه (وانا كان) الامير في باريس رأى الامبراطور نابليون يمدح الخليل
العربية ويقدمها على غيرها وحين استقر في بروسة بعث الى سوريا رجلاً من
اتباعه من اهل الخبرة بمحاسن الخليل يتنازع له من الخليل العربية ما يقع عليه اختياره
فاشتري له ثلاثة افراس من احسن ما شوهدها منها احدها كمت اغر تعجل والثاني
اشقر اغر تعجل والثالث احمر ثم بعثهم الى الامبراطور سنة سبعين ومائتين لنظر

القائد عبد القادر بوكليخه احد اتباعه المقربين فسر بها الامبراطور ووقعت لديه موقع القبول

ذكر ما اجراه الامير في ختان اولاده وذكر حادثة الزلازل
وما آل اليه الامر بعد

كان الامير كثيراً ما يجامل اهل بروسة بحسن نجاسته ويعاملهم باطف مؤانسته ويفيض عليهم سجال احسانه وامتنانه وفي ايام اقامته بينهم اجري ختان اولاده واحتفل له اياماً والتبس من اعيان البلد ان يقيدوا له اولاد الفقراء المحتاجين للختان فقيداً وضوا التمسائة فامر بختانهم جميعاً على نفقته قال شرشل في تاريخه وعند ما كان ختان اولاد الامير تعجب اهل بروسة لان من عادة اعيانهم يحتفلون للختان وسائر الافراح بضرب الموسيقى والطبول والزمور والامير احتفل بكثرة الصدقات والمبرات قدرى جماهير الفقراء والمحتاجين حول داره يتناولون انواع الاطعمة والالبسة والدرام وكانوا على كثرتهم يرفعون اصواتهم بالدعاء له وهو يقول اربعوا على انفسكم واشكروا الله تعالى انتهى باختصار (وينما) الامير واهل البلد في ارغد عيش وراحة مدة اذ نزلت بهم طامة الزلازل واستولى الهدم والحريق على البيوت والمساجد والتكيا والاسواق فخرج الامير باهله ومن معه من المهاجرين الى مزرعة جلته قرب البلد وقد كانت اشترها للزراعة وهي نخوية على اشجار متنوعة واكثرها شجر التوت وكان يشتغل فيه دود القز وابتنى فيها قصرًا عظيمًا احضر له مهندسا من الاستانة فعمره على هيئة قصورها جلب لها اشجار الفواكه المتنوعة ولما تفاقم الامر وثابت الهزات مع ثوابع الساعات ايلاً ونهاراً وخرج الاهالي الى البساتين والحدائق ومنهم من ابعث المنرخيم الامير بتلك الزرعة وكان خليل باشا والي بروسة توجه الى الاستانة وخلفه عليها عالي باشا الشهير فكتب اليه الامير متشوقاً لما كان بينهما من شدة المواصله

الا فاجر الخليل خليل باشا	سلاماً طيباً عبقاً نفيساً
له قل يا شقيق الروح مني	على م هجرت بلدنا بروسا
بكم كانت تنافر كل مصر	وتطلع من شمائلكم شمساً
فعادت بعدكم شمساً عجوزاً	وكانت تجلي بكم عروساً
وعهدي سوحها بالوفد ملائ	فاضحت بعدكم خلوا دروساً
وكنتم لنا بها غيثاً هتوتاً	وكفتم مانعاً ضرا وبوساً

وكان لنا الزمان بكم ضحوكا فصار لنا بفقدكم عبوسا
 بن اعناض عنك فدتك نفسي وكنت بقربكم فرحاً انيسا
 ثم بلغ الامير ان علماء باريس تذكروا في علماء الاسلام المشاهير وانتهى بهم الحديث
 الى ذكر الامير وموالاته التي اتصلت بايديهم ومواعظه التي كان يلقيها على من يجتمع
 به منهم واجوبته على اسئلتهم التي كانوا يعثونها اليه فوقع اتفاقهم على ان يثبتوا اسمه في
 ديوان العلماء من كل امة وملة من اهل القرون الماضية فاثبتوه وكتبوا اليه يخبرونه
 بذلك فكتب اليهم رسالة ضمنها علوماً حجة ذكر في خطبتها ما نصه الحمد لله
 رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين ورضي الله تعالى عن العلماء العاملين اما
 بعد فانه بلغني ان علماء باريس كتبوا اسمي في ديوان العلماء ونظموني في سلك العظماء
 فحمدت الله على ستره عليّ حتى نظر عباده بالكمال اليّ وقد اشار عليّ بعض المحبين
 منهم ان اكتب اليهم بعض الرسائل فكتبت هذه العجالة وسميتها ذكرى العاقل وتنبيه
 الغافل ورتبتها على مقدمة وثلاثة ابواب وفي كل باب فصل وتنبيه وخاتمة اما المقدمة
 في الحث على النظر وترك التقاليد وذمه واما الباب الاول في فضل العلم والعلماء وفيه
 فصل في تعريف العقل الذي به ادراك العلوم وتكملة في القوى الاربع التي اذا اعتدلت
 في الانسان كان انساناً كاملاً وتنبيه في فضل ادراك العقل على ادراك الحواس وفضل
 مدرّكاته على مدرّكاتها وخاتمة في انقسام العلم الى محمود ومذموم واما الباب الثاني في
 فضل العلم الشرعي وفيه فصل في اثبات النبوة التي هي منبع العلوم الشرعية وفيه تنبيه
 في معرفة النبي وما يتعلق بالنبوة وخاتمة في المكذبين الانبياء واما الباب الثالث في
 فضل الكتابة وبيان عدد كتابات الامم وفيه فصل في الكلام على كتابة الامم وواضعها
 وما ينجرّ الى ذلك وتنبيه في بيان حروف الكتابة العربية وخاتمة في احتياج الناس الى
 التصنيف وما يتعلق به ثم شرع في تفصيل ذلك على الترتيب بما يحسن عند سماعه كل عالم
 تحرير لبيب

(وقد مر) انه لما انتشر خبر خروج الامير من فرنسا واقامته في بروسة قصده
 المهاجرون من مواضع اقامتهم فمنهم من كان يزوره ويرجع ومنهم من ينتقل اليه
 باهله ليقم عنده وكان يتلقى الجميع بالبشاشة وبكرم نزلم فمن اتى بنية الاقامة
 عين له ما يعيش به على حسب عائلته ومن اتى بنية الزيارة فقط اعطاه ما يبلغه
 محل اقامته ومن جملة من قصده بنية الاقامة القائد الحاج عبد القادر بركليخة الذي
 ارسل معه الخيل الى الامبراطور نابليون ولم يزل عند الامير قائماً بسائر شؤنه

في بروسة الى ان توفي بها سنة احدى وسبعين ومائتين ومنهم العلامة السيد الحاج محمد الخروبي القلعي وكان كاتباً للامير في ابتداء امارته ثم جعله خليفة في ايلة صطيف ووقع في اسر الفرنسيين ثم اطلقوا سراحه ولحق بالمشرك فحج واستوطن دمشق ثم انتقل الى بروسة ولم يزل مع الامير فيها وفي دمشق الى ان توفي سنة تسع وسبعين والامير اذ ذاك في الحجاز ومنهم العالم الفاضل السيد قدور بن الرويلة وكان ممن اسر في الحروب الاخيرة واطلق الفرنسيين سراحه الى المشرق ولما بلغه وصول الامير الى بروسة جاء اليه واقام عنده في اعزاز واکرام الى توفي في بيروت يوم وصوله مع الامير اليه قاصداً دمشق ودفن في مقبرة السنطية في ربيع الثاني سنة اثنين وسبعين ثم ان الامير لما رأى رفاقه قد اشمذت نفوسهم من الإقامة في بروسة لتوالي الزلازل فيها طمحت نفسه الى سكنى غيرها ووقع انخياره على دمشق وفي اول ذي الحجة سنة احدى وسبعين سافر الى الاستانة ثم الى باريس وفي الثامن عشر منه وصل الى مرسيلية على حين ابتداء الوباء بالفتك في اهلها فاصيب به اصابة خفيفة وكتب اليّ منها يخبرني بوصوله وباعرض له وذيله بقوله

احباب قلبي كم بيني وبينكم	من ابر وصفها قد صين عن حد
تحرار فيها القطا والعي يدركما	حتى الجهات بها تخفى عن القصد
ما كنت ادري بان الدهر يبعدكم	عني وباركني من بعدكم وحدي
قد خاني الصبر ما اجدى بمنفعة	سوى المدام قد سالت على خدي
والطيف مثل لي اوصافكم فبدا	بشرى ومذقت غير الحزن اعندي
هل الغزال الذي اهواه يسعني	بالوصل يوماً كما قد كان في العهد
هل النفور الذي اهواه يسعدني	بالقرب من بعد ما ابدى من الصد
ياذا النفور الذي في القلب مرتعه	ارتع به لا ترع فالصب في بعد
اني وان كنت مني نافرًا فلقد	ارضى بطيف خيال منك لا يجدي

(ثم) توجه من مرسيلية الى باريس فلتقاء الامبراطور ورجال دولته بالا جلال والاكرام ووقع نجيته الى باريس بعد ان وصل الى بلاد الاسلام مؤمناً حسناً عند كافة شعب فرنسا ولاول وصوله جاء خبر فتح سواستبول وانتصار جنود الدول المتحاربة الثلاث على الروس فعظم السرور ثم انقلب راجعاً الى الاستانة ورفع امر انتقاله من بروسة الى دمشق الى الباب العالي فوافق وصدرت اوامر الدولة

العلية الى محمود نديم باشا والي دمشق ان يستعد لملاقاته واعداد نخل لائق لسكنائه
وكتب ايام اقامته في الاسنانة الى ابنة عمه والدتي قوله .

اقول لمحبوب تخلف من بعدي
اما انت حقا لو رايت صبايتي
وقلت اري المسكين عذبه النوى
وساءك ما قد نلت من شدة الجوى
فاني وحق الله دائم لوعة
غريق اسير السقم مكموم الحشا
غريق حريق هل سمعتم بثل ذا
حنيني انيني زفرتي ومضرتي
ومن عجب صبري لكل كريمة
ولست اهاب البيض كلا ولا القا
ولا هالني زحف الصفوف وصوتها
وارجاؤه اضحت ظلاما وبرقه
وقد هالني بل قد افاض مدامعي
فراق الذي احواه كمالا ويافعلا
فخات نخل لم يكن حل قبلها
وقد عرفتني الشوق من قبل والحوى
وقد كفتني الليل رعي نجومه
فلو حلت رضوى من الشوق بعض ما
الا هل لهذا البين من آخر فقد
ألا هل يجود الدهر بعد فراقنا
واشكوك ما قد نلت من الم وما
لكي تعلمي ام البنين بانه

عليلا باوجاع الفراق وبالبعد
شان عليك الامر من شدة الوجد
واثمله حقا الى منتهى القصد
وقلت فما للشوق ارمالك بالجد
ونار الجوى بين الجوانح في وقد
حريق بنار الحجر والوجد والصد
ففي القاب نار والمياه على الحد
دموعي خضوعي قد بانوا لما عندي
وحلي لا ثقال تجل عن العد
بيوم تصير الهام للبيض كالغمد
بيوم يشيب الطفل فيه مع المرد
سيوف واصوات المدافع كالرعد
واضني فؤادي بل تعدى عن الحد
وقاي خلي من سعاد ومن هند
وهيات ان يحلل به الغير او يجدي
كذا والبكا يا صاح بانقصر والممد
اذا نام المرناع بالبعد والصد
حملت لذاب الصخر من شدة الوجد
تطاول حتى خلت هذا الى الحد
فيجدعنا والدهر يجري الى الضد
تحمله ضعفي وعالجه جهدي
فراقك نار واقترابك من خلد

﴿ ذكر انتقال الامير الى دمشق وما صادفه من الاحتفال ﴾

﴿ فيها وفي طريقه اليها ﴾

وبعد ان اتم الامير ما ربه في الاسنانة اتى الى بروسة وفي خامس ربيع الآخر

سنة اثنين وسبعين ومائتين خرج بمن معه وكانوا مائتي نفس فركب بهم باخرة فرنساوية الى بيروت فهرعت اهلها لاستقباله واحتفل واليها وامق باشا به احتفالا عظيما وطار خبره في انحاء سورية فاجتمع الامراء آل رسلان حكام الدروز ومشايخ من تلك الطائفة للاقائه في جبل لبنان ولما بلغهم خبر خروجه من بيروت رتبوا جمعهم على الطريق التي يمر فيها ولما قرب منهم اقبلوا عليه يهرولون واكبوا على يديه ثم اخذت تلك الجموع في اطلاق البنادق وساروا عن يمينه وشماله وبين يديه يرتجزون وينشدون المدائح على حسب عادتهم وكان الكلونيل شرشل الانكليزي اعد للامير ضيافة حافلة في تلك الليلة فنزل عليه ضيفا كريما وبات عنده في محله في الجبل وطلب منه امراء الدروز ان يقيم عندهم اياما فاعتذر اليهم وشكر ضيعةهم وعند الوداع قام الامير امين ارسلان حاكم الدروز وقال ايها الامير الجليل ان حسن صيتك جعل الوجود وهتف به الوالد والمولد وكانت نفوسنا ترتاح عند سماع اخبارك وذكر وقائعك وحروبك والان لله الحمد قد ابتهجت نفوسنا برويتك وعظم سرورنا بمشاهدتك فاجابه الامير بما ملأ صدور جمعهم حبة وقلوبهم مسرة ثم ودعهم وودع الكلونيل وشكر ضيعة وسار في طريقه الى دمشق ووصل الخبر الى واليها محمود نديم باشا فخرج هو وعزت باشا رئيس العسكرية وغيرها من ذوي المناصب والمأمورين واشرف البلد وعلمائها واعيانها الى قرية دمر وهناك استقبله الجميع بالاجلال والاحترام واتصلت الجموع من اهل البلد وقرائها من ذلك الموضع الى الصاحبة وسار الامير في ذلك الموكب العظيم بين تلك الجموع التي يقف الناظر دونها الى ان نزل عند ضريح العارف بالله تعالى الشيخ الاكبر والكبيرت الاحمر سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه وبعد ان زاره وتبرك به توجه الى المحل المعد لنزوله بدار عزت باشا الرئيس واصل هذه الدار لبنت القاضي محيي الدين ابن الزكي ولما قدم الشيخ الاكبر من بلاد الروم الى الشام نزل على بني الزكي وتزوج منهم وساكنتهم في هذا البيت وتوفي فيه سنة ثمان وثلاثين وستائة ودفن في مقبرتهم في سفح قاسيون وبالجملة فقد دخل الامير الى دمشق في يوم اخذ زينته من حسنه ولم يبق احد الا والمهابة ملء عينه وقد ذكر بعضهم انه لم يدخل دمشق امير عربي منذ مئتين من السنين مثل ذلك الدخول وكانت الدولة العلية اصدرت امرها الى والي الشام ان يتخير الامير دارا لاقامته لائقة بقامه فلما وصل الامير اخذ والي ينظر في الدور الشهيرة حتى وقع اختياره واختيار الامير معاً على داري القباقيي محل اقامة الحكومة وهما داران متلاصقتان بينهما باب من داخلها وبعد انتقال الحكومة منها واتمام لوازمها

سكنها الامير بعائلته وكنت ضيافة الامير وعائلته في ولايتي بيروت ودمشق جارية من الولايتين بامر الدولة العلية ثم كتب الى الصدر الاعظم مصطفى رشيد باشا يخبره بوصوليه ويشكر فضل الدولة على ما حصل له من الاكرام والاحترام فاجابه بما نصه بعد حمد الله والصلاة على نبيه وعلى آله واصحابه والسلام على السيادة السنية حضرة الامير المجاهد عبد القادر فقد اخذنا بايدي الاعزاز والتكريم كتابكم الكريم بوصولكم الى دمشق الشام بخير وسلامة وتوفيق وحزنا منه على الفرح التام حيث اشتمل على اعز مقاصدنا من بقاء محبتكم وتوجيهاتكم الخيرية جزاكم الله عنا خيراً فآخراً والسلام عليكم من مخلصكم اولاً وآخراً في اثني عشر شوال سنة اثنين وسبعين ولما فرغ الامير من لوازم السكنى التي في دمشق عصا المآثر خال واتخذها دار اقامة في الحال والاستقبال وحمد الله تعالى الذي انعم عليه وجعل مآب امره الى دمشق الفيحاء فانها بلدة خيم فيها الاسلام من اول وهلة واستوعب من مواردها العذبة عله ونهله ونا رأى اهل دمشق ما عليه الامير من العلم ومكارم الاخلاق والكرم والفضل والاحسان ومعالي الهدى سارعوا اليه فكان يبشرهم بنجاح مقاصدهم باشارته قبل صريح عبارته واستخلص الاشرف واهل العلم لولائه وربطهم باحسانه وتوالي نعمائه فما تواتل لهم في التردد عليه قدم ولا نعطل لهم في مدحه والثناء الجميل عليه قلم

﴿ ذكر توجه الامير الى زيارة بيت المقدس ﴾

وبعد ان رتب شؤونه وانتمها تحركت نفسه الى زيارة بيت المقدس فخرج اليها سنة ثلاث وسبعين ومائتين وكنت تبعيته وجعل طريقه على صفد بلدة نبي الله سيدنا يعقوب عليه السلام فزار آثاره فيها ووقف على جب سيدنا يوسف عليه السلام ومر على حطين حيث كانت الوقعة الكبرى بين صلاح الدين والمصلبيين ثم توجه الى يافا اجابة لطلب مفتيها العالم العامل التقي الكامل السيد حسن الدجاني الحسيني فتلقاه عيان البلدة خارجها ونزل في داره فخل لديه حلول صديق غائب ووقع عنده وقوع صائب فافاض الامير عليه وعلى اقاربه سواكب انعامه واراها عجائب افضاله واكرامه ومن لازمه اذ رأى انعطافه عليه ومدح فاجاد وبلغ من الاجادة ما امل وأراد العلامة السيد حسن افندي اخو المفتي المذكور فقال

عهدنا بغرب مطلع البدر مشرقا وانا نراه الان قد لاح مشرقا
والغرب اصل الفضل اذ هو مطلع وان بك بدر التمي في الشرق اشراقا

رعى الله بدراً قدسرى محمد السرى
 فله من يوم به وصل الحنا
 واشرفت الدنيا بطلمته التي
 بروحي افدي من عقلت بحبه
 سما في سما العليا كمالاً وبهجة
 لطلمته تعزى المحامد مثل ما
 ومرآه عيد للتماني بقدم
 امام محاريب الافاضل جامع
 هام بيوم الحرب اثنت حرا به
 طويل نجاد واقر الفضل كامل
 وما هو الاسيد وابن سيد
 ملك اذا ما ام ساحة جوده
 حوى البأس والمعروف والمجد والذكا
 رلا عيب فيه غير ان عطاءه
 سل الصارم الهندي عنه فانه
 وليس لما في عزمه من مضارع
 زهت جلق مذ رامها منزلاً له
 واضحت دمشق مذ اناخ بسرحها
 وكم ما سمعت عن ما اثر فضله
 فكان عيلاً فوق ما وصفوا لنا
 وحاشاه ان احصي بهدي نعوته
 وما الشعر من دأبي ولا انا اهله
 ولكن اياديه التي عم فضلها
 دعاني الى هذا القريض وانني
 امولاي يحيى الدين والسيد الذي
 هنيئاً. هنيئاً بالقدوم الذي به
 ووافى الوفا يافا بكم وتشرفت
 فبشراك يا بدر العلا بزيارة

الى الحرم القدسي وهام تشوقا
 وجاد بشير الانس بالوصل واللقا
 بدت شمس حسن نورها قد تألقا
 واضحي لديه اللب بالرهن موثقاً
 ولطفاً وظرفاً فوق عرش البهاراتى
 لحضرة يحيى الدين حمدي تحققاً
 لمولاي عبد القادر الساي مرتقاً
 لكل كمال في الانام تفرقاً
 عليه وفي المحراب اضحي موثقاً
 بسيط الندا قد فاق فهما ومنطقاً
 له المحمد العالي من الدر مثقاً
 اسير العنا في الخال من واعثقاً
 وحاز المعالي والمكارم والتقى
 ابان لعجز الشكر لما تدفقاً
 يحدث عن فضل به الضد صدقاً
 لعليائه الامر انتهى وتعلقاً
 فرد بروج البدر في العد حلقاً
 كجنة خلد نشرها قد تعبقاً
 فهدينا على حب السماع تعشقا
 وشاهدت فرداً بالكمال تخلقاً
 وهل يحصى ودق في البرية اغدقاً
 وان الك احياناً به متعلقاً
 وحبي لآل المصطفى العروة الوثقى
 مقر بتقصير به اطلب العنقا
 على فضله الاجماع قام واطبقاً
 لقد اقبل الاقبال واستدبر الشقا
 وفاق على الامصار فخراً ورونقاً
 بها فتح تقرب لما كان مغلقاً

ولا زلت في اوج السيادة راقياً
وهاك عروساً في مديحك قد حلا
على خجل وافت توءم رحابكم
وصلي وسلم يا الهي تكرمأ
وآل كرام ثم اصحاب هديه
وما حسن نجل الدجاني قد شدا
واضحى ليمن بالقدوم مورخاً
ودام لك الاسعاد والعز والبقا
بجلي ثنائكم جيدها وتمنطقا
فمن عليها بالقبول تعدفا
على المصطفى خير الخليقة مطلقا
مدى الدهر ما غصن المسرة اورقا
وقال يهني من كنجم السهي رقا
الى المسجد الاقصى سرى يطلب التقى

١٢٧٣

(وصادف) الامير في يافا قيام اهله ومن يليهم بمولد نبي الله روييل عليه السلام عند مشهده الكريم على مسافة من البلد فاقام عند المفتي ثلاثة ايام ثم خرجا معاً في ذلك الجمع الغفير الى حضور المولد برسم الزيارة والتبرك واقاما يومين ثم ودع المفتي هناك وتوجه الى زيارة سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وفي معيته السيد حسن الدجاني فتشرف بمقام ذلك النبي الجليل واقام في اعتابه ثلاثة ايام ثم توجه الى القدس الشريف لزيارة المسجد الاقصى الذي تنجلي بمشاهدته سائر الموموم وتزول بها عن انقلب الغموم وينشرح فيه الصدر وتصفو به مرآة الفكر

ولما قرب من تلك البلدة المعظمة خرج اعيانها لاستقباله ونزل في دار ناظر اوقاف سيدي ابي مدين الغوث قدس الله سره واقام هناك اياماً ينعاظي كوءس العبادة رثقه وتوالت على اهل ذلك البلد الشريف هباته ومبراته وزار القامة وبيت لحم وقبر سيدنا موسى عليه السلام ثم توجه الى بحيرة لوط لزيارة مسجد الياقين ومنها الى نابلس واستنوع من بلاد فلسطين كافة الاماكن المباركة والعالم المقدسة ثم توجه الى الغور فزار قبر سيدنا معاذ بن جبل وقبر سيدنا ابي عبيدة بن الجراح ومن معهما من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومن هناك رجع الى دمشق على طريق حوران فزار قبر الامام النووي وحمد الله تعالى على هذه النعم المتوالية عليه وشكره شكر من عرف المنة فعظمت لديه وكان قبل سفره الى بيت المقدس حضر الى اعتابه الاديب المسيحي سليمان افندي الصولة وقدم الى حضرته ما نصه . الحمد لله الذي جعل مكارم الشيم داعية الفصاحة سيف العرب والعجم حمداً يستحقه بعوا شأنه وسبوغ احسانه وبعد فلما اجمع البشر من البدو والحضر على مدح آية الحرب والمحارب والقلم والقرضاب السيد الشريف المستغني لشهرته عن التعريف الاشهر من علم تسريل بالنار والاضح من الشمس في رابعة النهار صاحب

الوقائع المشهورة والمآثر المخبورة والمزايا الهاشمية والمكرم الحاتمية مولانا وسيدنا الامير عبد
القادر ذو السيف الباهر والفضل الباهر والحلم السافر والحزم الوافر رب المفخر والوقار والسماح
المدرار المغربي التجار والمشرقي الانوار القاطن الآن بالكنانة قمر حفه الجمال وزانه
احببت ان اتشرف بدمحه السامي كما تشرف كعب بمدح جده التهامي فنظمت ما هو
بالنسبة لمقامه الرفيع لا يعد الا من سقط المتاع ولكن بدمحه البديع اصبح يهدر على
عواتق السماع واحمري لا يفتخر السيف بقرابه والمراء بجبابه انما يفخر القشر بلبابه
والدن بشرايه . والله در القائل .

ماذا يضرب السيف كون قرابه رثا او البازي حقايرة عشه
وهذا ما جادت به القريحة الجامدة . وتالقت به الفكرة الخامدة . قبل تحريك
ركابه المنيف . لزيارة الحرم الاقصى الشريف . وتالله لقد قصرت بمدح الهام
الفاضل . واين الثريا من يد المتناول . فارجو العذرة من ذوي البعائر . والحمد
لله في الاول والاخر .

شقت دجى فرعها عن فرقها السعري	فسجت ايكه الوادي على الشجر
واقبلت تعجلى في غلائلها	كالغصن لو يتجلى الغصن بالدر
يزفها بلبل الخلل مبهجاً	زف المبشر بالاقبال والظفر
نقول قد رنقت بالوصل ما فتقت	ايدي الزمان وشقت شقة الكدر
نقمت الثم موطاها ولو سححت	بلثم اخمصها قبلت بالبصر
اقول والشمس شمس الراح باسمه	بالكاس ان التي امتدت يد القمر
وقلت للراح لما افتر مسمها	هذا هو الحبب الدر فافترسيه
روحي الفداء لما انثى مكرمه	نصال ناظرها امضى من الذكر
ثقل بدراً على غصن . يلقاها	بحر من النور في زق من الخبر
رود علقت بها درم مرافقها	يكاد اوسطها يخفى عن النظر
كان ما بين عينها واخصها	مد الصراط فلم نأمن من الخطر
بيضاء صبح نحيها يشوقنا	لاصطباح براح المبسم العطر
ما اطلعت مثلها الجوزاء نيرة	ولا حوى مثلها الا كليل من بشر
تظال الورد في نسر ين وجنتها	باسة اللاز ورد الرطب في الشعر
ترنو بعين مهابة كحلها حور	واعين العين لا تحلو من الحور
تزهو بجيد تروق العين طلعته	كانه جيد خشف خائف دعر

يخشي الكمي بعيداً قوس حاجبها
 ويتقى جفنها المكسور واحربا
 علقته هونة الاخلاق طوع يدي
 فما ظفرت بتكدير لرقتهما
 تركت بالصرف عني المم منصرفا
 وبت ما بين خلخال واسورة
 اقول هل رحمة تقضي بتكملة
 لولا غرامك ما احبي الدجى طمعاً
 ولا تناوم الاطيفاف يخدعها
 فوسدني وثيرا من ترائبها
 وكان ما كان مما لست اذكره
 حتي اذا انقبض الديجور وانسطا
 وبادر الصبح معجلاً بمجيلة
 مدت صحيفة كافور تودعني
 فقلت للعين لما آت مر تحلي
 فصير القادر الاجفان في لعج
 الثابت العرم والابطال في قلق
 الماهب الاملد الخطار من مهج
 المنهل السيف يوم الكرمهله
 التارك البطل التعمق منقرأ
 افديه من اسد للحق منتصر
 سيف يذب عن الدين الحنيفي ولم
 يغشى الوغى باسماء والخليل عابسة
 هنك السوابغ من عاداته خدم
 وذابل ركب الموت الزوام به
 يفض بالفتك ابكار القلوب على
 وصافن من جياذ الخليل مبتدر
 كانه تحت ملك فوقه ملك

فرا خليفته قوس بلا وتر
 لا يحمل الشهم سيفاً غير منكسر
 طوع العناق وطوع اللهو والسمر
 لكن ظفرت بصغو غير منكدر
 فاقبل الانس يسعى سعي معتذر
 احاول الوصل بين الخوف والحذر
 لاني منتقر للوصل منتظر
 بزورة منك يؤتاها على قدر
 برقدة الزور لما خط في السمر
 هو اللجين اذا كان اللجين طري
 فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر
 شحور و انتفض العصفور في الشجر
 تنبه النرجس المكحول للسفر
 بها نقر عقيق الدمع كالاكر
 بانث سعاد ولاح الفجر فانتجري
 حكمت ندى عبده السمع الابي مضر
 والبيض تقذف للجيشين بالشرر
 حراء مملوءة بالحدق والاشر
 من قمة الراس اذ من قلة البصر
 بعيدا كاديم الليل معتكر
 نقر المنخر غوث لمصطبر
 يخش الملام فما في الدين من خفر
 بصارم كقضاء الله منحد
 من نمل جوهره الآساد في حذر
 سن المنون فلم يترك ولم يذر
 كبد السوابغ فضا غير مستر
 يقول للبرق سر مهلا نلى اثري
 لا ياخذ النفس الا اخذ مقتدر

من الثرى فترى نبلاً من الحجر
عن المرام ولا جمالة الدثر
يجحفل من ليوث الغاب منشتر
يفرى اديم الدجى في مهبه قفر
رعد العدا ودم الابطال كالمطر
تفري السباب نحو الركن والحجر
تقع الدجى لا اولى طيش ولا خور
سواء للدين من بدو ومن حضر
يرجو الجهاد حديثا طيب الخبر
بنور شمس افتخار غير مندثر
وقيد الحزم بالتقوى فلم يجر
والجن كالانس ما جال في الفجر
ولم يبع نصرة المظلم بالبدر
الا جلاه جلاء السيف من وضر
ميم الممات على الصادات في الطر
من الاسارى قصيص الريش لم يطر
وعالم عامل بالنص والخبر
الله بالغة في لجة الاثر
وبالتفاسير فضل غير منحصر
يرى لدى علم هذا البحر كالقدر
بحر المحيط افضت اصفر الاكر
فلا تفرق بين النطق والدرر
يرضى الاله واضحى خير معتبر
وصاحب القلم الالهى من القدر
يا كنز مدخر يا خير مفتخر
في ساحة الحسن ترجو نقد معتبر
عندي وايس لما الاله من وطر
وان ضنت فمن حظي وانت بري

يرى العداة بما تدرى حوافره
هناك لا الخودة البيضاء تمنعه
نراه وهو فريد من مهابته
لا يلقى لب البارود منحدرًا
ولا يهاب بريق البيض يتبعها
الاية بالمجان الشدقمية اذ
والصافنات عليها القوم يعتنقوا
ما اولد المجد من بكر العلاء اسدًا
سيف سنين به سن التقديم لمن
قد صير الغرب شرقًا مشرقًا ابدًا
لاقى الخطوب بصدر العزم فانقرجت
حتى غدا الوحش كالاطيار في طرب
لم يتبع دعوة الباغي لمظلمة
ولم يدع برؤوس القوم من طمع
بادهم طبع فيهم سنا بكه
كان نسر الدياجي فوق غرته
فعال اصيد قوم فاضل حكم
فصل الخطاب له حتمًا وحجته
له على الزقه في التاليف خير يد
علم الخليل الذي باهى بالبحر
بحر من الجود لو ضمت سواحله الى
يجود وهو يحينا بنسطقه
يا كعبة الجود من اباك فاز بها
يا مكسب السيف فخرًا لا زوال له
يا ابن الكرام وانتى الخلق قاطبة
اليك جارية عذراء جارية
ترجو القبول فلا شيء يعادله
فان سمحت به فالجود عادتك

دامت لطلعتك الاعوام باسمه
وجادك الحرم الاقصى بنيل مني
ونشقتك نسبات القبول شذا
ودمت في كل آن تاج كل سري
ما قبل المزن وجه الروض بالمطر
ريحانة اقليل او نسرينه السحر

ولما رجع الامير من سفره الى دمشق قدم له قوله

من مجيري من العيون السكارى
ومقيلي من البعاد بقبل
يا حداة المطي ان فؤادي
مائل ضاع في الرحال ولكن
فارفقوا بالفؤاد يا مالكيه
وارحموا من غدا وحيداً فريداً
آه من لي بوصل ريمة خدر
صيرت مقلة الغزالة خالاً
يا غواني حذار ان دموعي
من اصب بينكم متفان
من مديد البعاد وافر سقم
اكبت ضعفاً بالجفون انتصاراً
يا بدور الحى ارفقوا بأسير
وانجدوا يال نجد ميت هواكم
واضطهاري اضحل من جل نار
ومناهي الذي عتبت عليه
يا لقيس من قوس حاجب ليلى
بدل انوم بالسهاد واعدى
طال ليلى وهجرها وغراي
طال ليلى كفرع ليلى ومالي
كلما ابتعت للتصبر درعاً
جار فينا وعاد عنا سقيماً
قل لمن يجهل المحبة من لا
ونصيري على القدود الخدارى
يصرف الروح عن قلوب الحيارى
ضالع في ضعونكم يتواري
ما ارى من يعيده فتمارى
انما الرفق واجب بالاسارى
نازحاً نائماً مضاماً مضارى
ريقها يترك القراح عقارا
واذا طوقها الهلال سوارا
اوسعت كل عاشق اندارا
يرسل الدمع خلفكم تيارا
غيركم كامل الملاحه مسارا
اكثر الله في الجنون انكارا
يطلق الغيث دمه استعبارا
مسنى الضر بعدكم يا غيارى
صورت في خدودكم جاننارا
شام سهم الجفون ثار فطارا
ملكتم سهمها على فجارا
من وريدي لقوسها اوتارا
ومن الوصل لم اجد انصارا
عن هواها البسيط قط اقتصارا
اشهرت من لحاظها بتسارا
بعد ماصير القلوب فجارا
يعرف المسك بحسب المسك قارا

نحن قوم نرعى المحبة ديناً
 كل من فاز بالمحبة منا
 كيف اسلو المهابة لحظاً وجيداً
 ارفقتني وفارقوني فمعني
 دمع عيني اذا جرى خلت عبد الله
 الطويل النجاد سمع الايادي
 باسم الشجر والزمان عبوس
 فاقد التدند روح المعالي
 عقد فضل به الفضائل فازت
 نير الفكر لو ألم بليل
 اكرم الصيد حل اكرم الرمي
 ازهرت من علومه واضاءت
 ياله الله من سحاب سماح
 امطرتني بداه دراً ثقيلاً
 فله الفضل لا امن عليه
 عالم عامل خبير خطير
 تحسب السيف واليراع بكف
 تحسب الطرس في يديه عيوننا
 نطقه حكمة وفعل خطاب
 حطر الشعر ذكره فلاننا
 وسعدنا حديثه فعدونا
 ماجد صير العتاف مقراً
 ساد اهل الزمان خلقاً وخلقاً
 فانك فاعل خالق دونه
 ذاته النطق التي اوتى المجد
 آية الحسن والكلم عليها
 لم نزل خاتري الزمان الى ان
 شام في سبته خضر زفاف

واللاهي عن الاحبة عارا
 حبة منه ترجع القنطارا
 والثقات غنة ونصارا
 ترسل الدمع بعدها مدرارا
 قادر السمع اورد الابحار
 خير من ساد عنصراً ونجارا
 والضواري من الخطوب ذعاري
 فاضل الجد امنع الخلق جارا
 بانتظام وكان فيها انتشارا
 صير الليل بالضياء نهارا
 اطلقت من سماحه البحارا
 هكذا الشهب تبعد الانوارا
 بغياب الملال لم يتواري
 صفته في مديحه اشعارا
 يبحور من كفه تقجارا
 في ميادين فضله لا يجارى
 ه خيولا الى العلا تنجاري
 والمداد الذي عليه احورارا
 ومناجاة تبيد الخوارا
 بجوالي مديحه الاقطارا
 يقدم من السلاف سكرارا
 ومن الخير قد تخير دارا
 منها الكون غدا معطارا
 من علوم تخير الافكارا
 يد عليها وثبت الانوارا
 ارسل الله لطفه زخارا
 شام في الشام سيفه فتواري
 فاقني ان يغفل فيه اخضرارا

قل لمن فيه قد تباله جهلاً
ذا الذي اشبع الوحوش لحوماً
احرق العتي بالجهاد واورى
شم محياه فهو آية حسن
ودع الحاسد الذي يتعلمى
لا تضر الشمس عين حبود
ايها السيد الذكي الذي كا
والنبية النبيل والحكم الفر
يا مريش الجناح مني بارض
ان بعد المزار ابعد نوني
فازجر البين لاعدمتك عني
لا تدع غير سيل قربك يهني
قد حي جدك الآله باسرى الاله
لا سباك الآله حلية حزم
وبقيت الدوام تزجي البلايا
قانتك عبدك العيون فنادى
ويك لا تشرق البدور سرارا
غضة من عداه والاطيارا
بقلوب العدا من الفتك نارا
ابدعت من بهائه انوارا
عن ثناء البديع او يتوارى
انكرتها ترضاً ونوارا
د ذكاه يصير الماء نارا
د الذي جل عن مقاتل دارا
لم يناني سواك منها قرارا
عن عيوني وارمد الابصارا
انه ظل كافراً فخارا
فوق هامى مؤبداً مدرارا
ل سحابة من حباك نهارا
لا يشق الهجاء منها شعارا
عن ارقاك قادراً منوارا
من مجبري من العيون السكرى

❖ ذكر قضية مدرسة الاشرفية المعروفة بدار الحديث النووية ❖

كان رجلاً من الاروام القاطنين في دمشق اسمه يانكو قد استولى على الدار التابعة لمدرسة دار الحديث الاشرفية ثم مد يده الى الزاوية الغربية من المسجد واقتطعها منه واعدها لوضع دنان الخمر فقام عليه العلامة الشيخ يوسف بدر الدين المغربي المتقدم ذكره ورفع امره الى الحكومة المحلية فلم تسمع دعواه فتوجه الى الاستانة وتعاطى الاسباب لاتقاذه هذه البقعة المباركة وبعد الجهد النام احرز فرماتاً سلطانياً في ذلك ولما قدمه الى والي دمشق طرحه في زوايا الاهمال وبقي الامر الى ان جاء الامير الى الاستانة من فرنسا فاجتمع به الشيخ يوسف وشكا اليه امره وجاء معه الى بروسة ثم توجه الى الاستانة بقصد الهجرة الى المدينة المنورة وحصلت بينه وبين الامير مكاتبات ومن جملة ما كتبه له في شأن المدرسة المذكورة قوله جناب السيد الهمام والبطل السعيد الهمام شقيق الروح واسي الجروح

من محبتنا فيه كما يعلم الله ورسوله خالصة وهي مع البعد متزايدة غير منقصة مولانا السيد الشريف الامير سيدي عبد القادر بن نجي الدين لطف الله بنا وبه وكافة المسلمين في كل سكون وحركة آمين وبعد فاهدي اوفر تسليمات زكية واسنى تحيات متوالية الى الخصرة العلية والطلعة السنية تؤم المغنى وتعم المعنى هذا والمعرض بعد اداء الدعاء المقروض انه وصلني من الجنب كتابان قرئت بكل منهما العينان حيث استفدنا منهما صحة مزاجكم وراحة بالكم فنسال الله لكم دوام ذلك وابلاغكم فوق ما هنالك وان يسلك بنا وبكم احسن المسالك وما نفضلتم به على سبيل البشارة ثم توقفت في تطبيق معناها على قضيتنا باتحاد البشير والمبشر ثم خطر بالبال المعلوم انه من باب تنزيل الخلاف الاعباري منزلة الذاتي كما هو مبين في الاصول ويمكن ان يكون من باب السراية على اعداء الزمان ثم اهم ما سررتني عزوك مسألة عمورية الى نص القاموس اذا قالت حرامى فصدقوها ولا عطر بعد عروس فاني قبل تنبيهك كنت مرتبكاً في اي النقلين هو الصواب حتى اتى جواب الجنب اكثر الله فوائدهم وادام عوائدهم وارسلت لكم سابقاً جواباً مشتملاً على قصيدة بائية من بحر الطويل حمل عليه صدق المحبة واخبرتهم فيه اني الآن والله الحمد في سعة عظيمة واحوالي بفضل الله عز وجل من قبل الصحة والدنيا مستقيمة قاصدين سكنى المدينة حتى ينزل بنا على ملة الاسلام ان شاء الله الهام وباسيدي قد نصحتم واجدتم وهذا من صدق محبتكم المحقة التي لا تحتاج الى اسنهاد يقول القائل ليس يصح في الاذهان شي، الخ فيها انا ابسط عذري وهو اني قاسيت بالشام من المصائب العظام ما لا يصدر على مثلي لو كان بين عبدة الاصنام وذلك مشهور لدى الخاص والعام فاولاً دار الحديث مدرسة اسست على تقوى وكان بها النعل المنيفة التي مستها قدمه الشريفة صلى الله عليه وسلم وكانت تحط رحال العلماء العاملين اساطين الاسلام وائمة الدين فاولهم الحافظ بن الصلاح ثم الامام ابو شامة ثم القطب الكبير الامام النووي الشهير ثم الحافظ المزي ثم تجتهد الدنيا في عصره السبكي الكانس لما ابحته وقال في شأنها وفي دار الحديث الخ الى الحافظ بن حجر شارح البخاري بفتح الباري واخبرهم ومن البين ان التبرك باثار الصالحين من سنن التبيين والمرسلين وفعله صلى الله عليه وسلم ليلة مسراه باشارة سيدنا جبريل حيث صلى في مكان سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام مع ثقاتهم في درجات الكمال بشهادة تلك الرسل تنبيها لامته على انه سنة قديمة بلغتموها

ثواب هذه المنقبة الفخيمة فمدرسة هذا شأنها خبرها مشهور متواتر امتلأت به بطون
الدفاتر قصدتها الاكابر من سائر الاقطار لا غننام بركة ما فيها من الآثار يليق
ان يكون بجوارها خمارة لاجتماع الفسقة فضلاً عن كونها في قاعة درسها ودار
وقفها سبحانه هذا بهتان عظيم ويحسبونه حيناً وهو عند الله عظيم واعجب من
هذا ان اهل الكتابين الذين تحت الذمة في ظاهر الحال مع نقضهم للعهود الدينية
والشروط العمرية هل سمعنا او رأينا انه خربت لهم كنيسة كانت معدة لعبادتهم
جعلوها خمارة او تجاسر بعض سفهائهم وشرب بها خمرًا مع استغلالهم لذلك وازيد
من هذا ما شهدته بعد توجي في العام الماضي من عندك من تزوير الحجج الباطلة
بعد كتب الحججة لنا ان الدار للوقف بشهادة الجهم الغفير من اهل الاسلام وختم
عليها رؤساء المجلس واعلماء والقاضي وادعوا ان النصراني حماية وهو رعية ووضع
جزية عشر سنين الآن فما بالهم لا يرجعون الوقف الى اصله فقوم هتكوا حرمة
شريعتهم وكسروا ناموس دولتهم فعلى اي حال يكون المقام بينهم ثانياً مالي بينهم
معاش ولا مرتب وكلهم له ذلك وهو مع ذلك في الزيادة يرغب وكسبهم بقراءة
القرآن والتهايل ودخول المحاكم للتوكيل واصلاح بين رجلين على اي وجه كان
الاكل من الطرفين وما اعدنا والله الحمد شيئاً من ذلك وقد عودنا الحق سبحانه وتعالى
الرزق من حيث لا نحسب مضائق عليّ بين اظهرهم الاحوال مع اني ببلدتهم ذو
عيال فمعاشي بزولة الاسفار ومع ذلك يقول بعض سفهائهم الشيخ لا ثبات له
ولا قرار راكباً في شامنا متن عين عمياء خابطاً خط عشواء بدون بصيرة ولا
استصبار وما درى الغبي اني في نفسي مبهوم بشاني وشان عيالي ومن يقدم عليّ من الاحبة
فاي فكرة تنقدح لادراك البديهي فضلاً عن النظري من العلوم مع انه لم يكن في البلدة عالم مستعد
ولا طالب اذهن متقد ولا يشغلون بهات العلوم اغماض يغفلون بصغار كتب بعض الفنون بدون اتقان
وتحقيق فلا حول ولا قوة الا بالله ونسأله سبحانه اللطف فيما جرت به المقادير فخرجت
معتقداً ان الهجرة واجبة للمناكر الشائعة والمعائب المتعاقبة على الحال الذي رايت
جنابك فصارت الدنيا في وجهي كالخاتم مع سعتها وسدت الابواب دوني الابواب من هو
للانبياء ختام فتوسلت به الى الله فتخلصت والله الحمد ببركته من كل شدة يحول الاله
وعلمت ان ذلك تاديب لي منه سبحانه بتركي التشريف بجواره صلى الله عليه وسلم ونشر
شريعته في بلده على قدر عجزني حسب الامكان مع الاستراحة التامة فلما صممت العزم
على ذلك تيسرت اموري كلها عامة ثم ان الحق تعالى ساق الامير الى سكنى دمشق

فرأى الامر كما بلغه فحركته الحمية الاسلامية والغيرة العلوية فاحضر الروي عنده واشتراها منه ثم اوقفها بموجب حجة شرعية على الشيخ يوسف وعلي عقبه واذا انقطع نسلهم يرجع ريعها للمدرسة وذلك في الثاني من جمادى الاولى سنة اثنين وسبعين وما اثنين والف وامر بترميم المسجد والمدرسة على نفقته وجعل الله تعالى انفاذها وتطهيرها من نجاسة الخمر على يده وهذه من اعظم المبرات ونوافل الخيرات وبعد ان اتم ترميمها واصلاحها كتب للشيخ يوسف واخبره فحضر من المدينة المنورة وسكن في الدار واستلم المدرسة وفي اول يوم من رجب سنة اربع وسبعين ومائتين افتتح الامير فيها التدريس بصحيح البخاري رواية بحضور الشيخ المذكور وكان يجلس لاقرائه بعد صلاة الظهر الى ان يصلي العصر وكان درسه منورا مفيدا يحضره العلماء والاذكياء من الطلبة ووافق ختامه في آخر يوم من رمضان وحضر ختمه جماعة من العلماء واجاز كل من كان حاضرا في ختامه من طلبة العلم وفيهم الشيخ يوسف بدر الدين المغربي فقام في ذلك المجلس وانشد بين يدي الامير قوله .

باب القبول لهذا الختم قد فتحنا	فلاح من بينه بدر السعود ضحى
وهب من روضة الرضوان عارفة	اضحى بها القلب مسرورا ومنشراحا
اما ترى اعدا قد لاحت بشائره	وطائر الين في ادواحه صدحا
وهذه اوجه الاقبال مسفرة	والوقت بالبشر والآمال قد سحبا
فذل الملك ما ترجوه من امل	واضرع اليه فوجه القرب قد وضحا
وابسط يديك الى مولاك مبتهلا	فان من ام باب الله قد نجحنا
ان البخاري معلوم الاجابة في	ما امه المرء في اقرائه ونحنا
فما توسل تحزوت به ورجا	الا وابدل من احزانه فرحا
ولا تاله لكشف الضر ذو حرج	الا تباعد عنه الضر وانفسحا
ولا اترب مكروب خالقه	بسره مخلصا الا اغتدا فرحا
ولا تنفس من انقاسه ارج	الا اتى فرج بالالطف منتحنا
فالهج به ورواة فيه قد وصلوا	به حديث رسول الله منضحا
هم الاء تجلى كل داجية	بنورهم وهم الاقطاب والصلحا
وهم الو القرب في دنيا وآخرة	والسادة القادة الهادون والنتحنا
اهل الحديث حماة الدين تابعهم	في متجر الحق والتحقيق قد ربحنا
فازوا بدعوة خير الخلق ما وجدوا	الا ونور الهدى من وجههم لمحا

رووا حديث رسول الله عن زمر
وقد نفوا كل شك عن شريعته
جزاهم الله خيراً عن نبيهم
وقد تسامى ابن اسماعيل في شرف
ادى اليها صحيحاً من حديثهم
اتاه مولاه اجر المحسنين فقد
قد اعثنى كل ذي دين وذي رشد
ورددوا سره في كل آونة
وحاز قصب سباق في دراسته
في مسجد الاشرف السلطان ما وسما
ضبطاً وبجته مع الاتقان مقتنياً
مثل الامام النواوي والمضاهي له
فانه يتبعنا فضلاً بجاههم
مولى به ملة الاسلام باسمه
فسيبه انعش المحتاج واكفه
وصيته البس الاسلام عزته
نور النبوة يبدو في اسرته
قد اكسب الدين رفعةً والعلوم حلي
وعمر العمر بالطاعات تجتهدا
ادم الهي لعز الدين عبدك من
هو الامام ابن نجي الدين من ظهرت
من قام لله في امر الجهاد ومن
في عصرنا ما سمعنا من سواء حي
اضحى له وزراً في كل نائبة
وجاء للدرس والاملا جهابذة
قد لازموه ونالوا من معارفه
فليهناء الحاضرون نيل مقصدهم
ويسال القوم ما شاؤوا لانفسهم

غشنا طرباً عليه الصدق متضحاً
فارغموا انف من للشك قد جحماً
ودينه وحباهم اجر من نصحاء
بهم فتال العلا والفخر والمدحا
يجامع فاسق ترتيباً ومصطلحاً
اهدى المحدث عقداً ما له طمحا
به فحاز به التقديم والمنحاً
يرجون من يمنه اقريب ما نزحاً
وفهمه عارف بالفضل قد رجحاً
دار الحديث بدرس ابهر الفصحاً
آثار من حليها من سادة صلحا
ممن على منهج الارشاد قد سجا
ويكشف الكرب عن ذالجمع والترحا
والدين عال وحال الناس قد صلحا
وسينه اضلال الكافرين تحا
وعلمه لماني الدين قد شرحا
وسرها من حلي اخلاقها وضحا
فالكفر اصبح والعصيان منطرحا
في اشهر الخير للغيرات مقترحا
للقادر انضاف وامنحه العلا منحا
منه الكمالات في الدنيا كشمس ضحي
غدا به صدر دين الله منشرحا
مثل الذي نال او طارفاً كهو لمحا
تعرو وحصناً حصيناً كلما سنحا
للبحث ان عن اول لفهم ان جنحا
ما يخرس اللسان او ما يهر النعما
من الفوائد ان الباب تد نتحا
من فضله الجم ان الله قد منحا

والعلم افضل ما ازدان اللبيب به
واسعد الناس من كانت بضاعته
واسند العلم اخذاً عن ائمة
والبخاري رجال يستغاث بهم
بجاههم اسأل الرحمن مغفرة
ونكبة لعدو الدين عاجلة
بك انتصرنا وانت الله ناصرنا
انزل بهم يا شديد البطش قارعة
وامدد بنصرك والتأييد عبدك من
وانظم به شمل هذا الدين واكسبه
واجعل بطاعته يارب عصمتهم
وزده حلماً وتوفيقاً وعافية
وارفع عماد الهدى والدين واحم به
واحفظ بطانته اركان دولته
ولا تدع لذوي الثلاث قائمة
بجنايتهم الرسل المختار سيدنا
ما خاب من جعل المختار واسطة
فانه باب فضل الله ما برحت
ما نال ذو مطلب دنيا وآخرة
صلى عليه اله العرش ما طلعت
والآل والصحب ما انجاب الظلام وما
او قال يوسف بدر الدين مبهلاً

وخير ما اعقب التحرير واصطبجا
علم الحديث الذي قد صح واتضحا
فنال من علية الاسناد ما اقترحا
في المحل ان حل او في الخطب ان فدحا
ورحمة تذهب الاحزان والترحاً
تدير بالملك والتدمير كل رحاً
فالتصر منك لمن يدعوك ما برحا
تكسوم الذل والتبديد والبرحا
اضفته لمجيد القدر ممتدحا
جماعة المسلمين الامن والفرحا
والف الكل واهد كل من نرحا
واجعله افضل من امسى ومن صبحا
شرع النبي وخذ من زاغ او جمحا
من اعان على خير ومن نفعا
وطهر الارض ممن عاث او مرحا
محمد من به باب الهدى انفتحا
ووصلة للذي يرجوه واقترحا
سجائب الجود منه تطار المنحا
الاستعار من المختار ما منحا
شمس وما سار عيس بالحجيج ضحى
ورق على غصن ايك ناح او صدحا
باب القبول لهذا الختم قد فتمحا

وقال ايضاً يمدح الامير بهذه الابيات

بك المسرات قد نالت امانها
ان كان عيداً لها تمنى بيمينه
يا نجل فاطمة الزهراء من فضلت
اني احنيك بالعيد المبارك بل

يا نعمة مالها شيء يدانيها
فالعيد كونك يا اقصى امانها
طرا نساء الدنيا من ذا يضاهاها
بكون مثلك في الدنيا احنيها

نعم اخي دمشق الشام اذ ظفرت
لما بدا وجهك الابهى بساحتها
لا سيما سيدي ما كان مدخراً
بك استنارت واحي الله مربعها
تلاوة ما سمعنا من تلاه بها
فاشكر آلهك اذ اولاك منه يدا
وابشر بخير فان الله ذو كرم
في علمه غيب اسرار اذا بلغت
والله ينصركم نصراً كنصرته
لا زلت يا نجل محبي الدين مرتقياً
ودام اشراقكم في افقها ولكم

بثلثك الان تغدو في ضواحيها
ترادف الخير فيها مع نواحيها
من فك دار حديث من خناقيها
لما تلوت البخاري وسط ناديتها
من عهد يحبي النواوي في مغانيها
ليست لغيرك جل الله معطيها
يحفي مقادير اشياء ويبدتها
اجالها فلذا المخلوق يغشها
اصحاب بدر الاولى ثم المضاهيها
اوج الكمالات باديتها وخافيتها
باليمن ارخت عدي في مغانيها

١٢٧٤

واجعل دعاً بظاهر الغيب جائزتي ولا تسل لي الدنيا اذ لست بخيرها

فاجابه الامير بقوله

انت مهيئة فليهن مهديها
تدل بالحسن والادلال حق لها
ودب في الجسم من انفاسها طرب
ليهننا بك عيد انت شاهده
يا يوسف ردلي من قربكم نظراً
لينشرح صدرك المملوء من حكم
فانت بين اخلاء لم ارب
ولتعطنا من زكاة العلم واجبه
ابقاك رب العلا لشر حكمته

جلت تراكيها دقت معانيها
فما حوت مثلها يوماً مغانيها
ديب حي لهذا الخبر منشيها
عيد النفوس اذا نالت امانيتها
كرده بقميص انت مهديها
وطيب النفس شهيداً ونيها
تبقى وان مات قاصيها ودانيها
انت المشيد دار العلم بانيتها
رغماً لانف معاديتها وشانيتها

فاجابه العلامة المذكور بقوله

تطيب نفسي يا اقصى امانيتها
من حبيها ما عن الخيرات افقدها
بحكمة منك يا مولاي تشفيها
من المعاصي التي للنار تهديها

واحتفل الامير ايضاً لتدريس كتاب الانقاف في علوم القرآن الامام السيوطي
وكتاب الابريز في مناقب سيدي عبد العزيز سيدي احمد المبارك بـ مدرسة الجقمقية

وكتاب الشفا للقاضي عياض والعقائد النفسية وصحيح مسلم في المشهد الحسيني والمشهد
السفرجلاني من جامع سيدي يحيى وأكثر اجتهاده في ذلك حال اعتكافه فيه فانه
اقام سنين يعتكف في الجامع المذكور شهر رمضان من اوله الى آخره وبعد رجوعه
من رحلة الحجاز جعل التدريس في منزل الضيوف من داره وسنذكر ذلك في محله
ان شاء الله تعالى

✽ ذكر ما أحدثه الامير في دمشق من الابنية وما اشتراه من الاملاك داخلها وخارجها ✽

تقدم ان مولانا السلطان الغازي عبد المجيد خان انعم على الامير في بروسه بدار على
وجه التملك ولما جاء الى دمشق انعم عليه بالف كيس بدلا عن الدار المذكورة
فاشترى في دمشق دارين واسعتين بينهما دار صغيرة ومدخل الجميع واحد في
زقاق النقيب من خطة العمارة فهدم احدها واعفى آثارها وابتنى في موضعها دارا
جميلة وفق مراده ولما تم بناؤها وتم اصلاح الدارين الملاصقتين لما انتقل من الدار
التي استأجرتها الدولة العالية له اليهن وكان العالم الفاضل حسن افندي الدجاني اليافي
اذ ذاك زائرا عند الامير فقال مهنثا وموخرخا بناء الدار الجديدة بقوله

يا حسن ما انشاه عين الاكرمين	من دار نجد نزهة للناظرين
هو عبد مولى قادر بل سيد	في عصره والحق في ذامستبين
دار زهت وبها المحاسن كملت	وغدت مطافا كعبة للقاصدين
وبدا لسان الحال منها قائلاً	اهلا وسهلا فادخلوها آمين
لا زال مولاه بدار سعادة	يهنا ويهنا بالصفاء مع البنين
وحماه ربي من مكائد حاسد	ومن الوقاية دام في حصن حصين
ما السعد قال مهنثا وموخرخا	نال الحنا فنعم دار المنقين

١٢٧٤

وقال موخرخا له ايضاً

ان هذا بيت نجد قد خلا	وعن المهوم غماً قد جلا
يا له مقعد صدق قد سما	وعلى الحسن البديع اشملا
شاد عبد لمولى قادر	وهو مولى سيد سيفي ذا الملا
من به قد اشرق الشرق كما	نار فيه الغرب حقا اولاً

منزل قد خيم الدعد به ولن فيه السرور اقبالا
ان يكن جده الآت فكم سابقاً بالفضل شاد منزلا
دام بانيه بعيش رغد وملاذا للعناة موءملا
ما له الاقبال قال ارخوا ساد هذا سيد مأوى العلا

١٢٧٤

✽ وارخها العالم الاديب امين افندي الجندي رئيس ديوان

القلم العربي بدائرة العسكرية بقوله ✽

دار الامير الشهم عبد القادر كهف الدخيل وملجأ للحائر
دار بها دار السرور ومنزل بالعز منزله لبدر سائر
مولي جليل القدر اوحده عصره حاز المعالي كبراً عن كابر
شمس اضاء الكون نور سنائها صبح جلا ظلمات ليل كافر
ليث الوغى يلقي الكتيبة وحده فيبيدها ضرباً بسيف باتر
في نصرة الدين المبين حروبه تذكراها سمر لكل ماسر
قد حاز كل فضيلة باقلها يسمو الفتى اقراؤه بنفاخر
عين الكمال وجوده ونظيره في الكون منقود بحكم النادر
بجر العلوم فليس يدرك غوره كنز التقى علم الهدى للسائر
من آل بيت المصطفى ولجده باز الرجال اجل نجل طاهر
عرفت ملوك الارض رفعة قدره بل كل بادر في الانام وحاضر
بشاهد شهدت بقوة عزمه ومواقف وقفت بكل محار
قد طار بين الناس طائر صيته يرويه فينا حامد عن شاكر
لما توطن جلقا غبظت به وغدت لاهل الكون كعبة زائر
زادت به ارجاؤها شرفا كما قرت بطاعته عيون الناظر
وافاض للعافين من احسانه وزاد يديه اجل بحر زاخر
احيى المساجد والمدارس بالتقى والعلم ثم يبذل مال وافر
واختار في خط العماره منزلا لجناحه ولنتم وموازر
وبنى به غرقاً زهت واما كنا بالظرف اضحت بهجة للخاطر
من تحتها الانهار تجري دائماً حول الرياض وكل غصن ناخر
والطير ساجدة على افنانها سجعاً يكاد يفوق نظم الشاعر

نشني على عليا الامير فتشني
مولاي يا انسان عين زمانه
خذها اليك خريدة رعبوبة
عربية عربا رشيقة منطق
تهدي الى كفوء كريم ناقد
جاءت تهنيكم بابهي منزل
لا زلت مرفوع المقام معظما
ما فاه باليمن الامين مؤرخا
تهتز من طرب كحال الذكر
واجل ناه في الانام وامر
بكرأ تزف بقدر فاخر
تسي العقول بغنج طرف ساحر
ترجو القبول وتنتهي بعاذر
كلمات محاسنه بلطف ظاهر
دنيا واخرى عند رب غافر
دار الامير انشهم عبد القادر

(وارسل) مع هذه القصيدة كتاباً نصه بسم الله الرحمن الرحيم احمد الله تعالى على آلائه واساله جريلاً نعمائه . واصلي واسلم علي سيد الانام وآله واصحابه الكرام ما اخاص عبد في السرى النجوى . واسس عبد بنيانه على التقوى . وبعد فالتهم يدي حضرة مولاي العالم العامل والجهيد التحرير الكامل مجمع بحري السيف والقلم . ومطلع نيرى الحكم والحكم . الكريم الماجد والامير المجاهد . الحائز فضيلتي الحسب والنسب . والفائز بجده في الدارين باسنى ما طلب . المشار اليه بالبنان في جميع الافاق . والقامع بهيمته العلية عمبة الكفر والنفاق بمدد سميحه وجده باز الرجال . وبلغه الدرجة القصوى من مراتب الكمال . وشملنا بانظاره العلية . وتوجهاته السنية آمين واعرض لحضرته الشريفة . وسدته المنيفة . ان انتمء العبد الى حضرة المولى امر غني عن الاثبات بالدليل . لدخوله في عموم قضية من القلب الى القلب . بيل . ثم اني قد تجاسرت بتقديم هذا القصيد الى رحابه الكريمة . معتذراً عن القصور الذي هو لهذا الخفير شية . ارجو النظر اليها بعين القبول . واسبال ذيل العنق عن عثرات الجبول . كما اني التمس لاجل حصول الافتخار والشرف . واحياء سنة الموالي ممن سلف . تنقيطها بشيء من الحلى المباح . او تقليدها بقطعة من السلاح . والحمد لله في البدء والختام . وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام فاجابه الامير بقوله وارسل معه خاتماً نفيساً

احلى المديح مديح خل فاخر
عما اجن من الوداد جنانه
تكبرو الملاحه والطلاوة وجهها
يا صاح خاتمة الافاضل كلهم
عندي لكم بين الضلوع مودة
كن كيف شئت فانت انت امينها
اقواله تزييه بدر باهر
الفاظه تترى كشهد قاطر
فالود من ارجائها كالاماطر
من كل شهيم كاتب او شاعر
محفوظة ومصونة للغابر
ما بين بادي عربها والحاضر

ما الدر الا ما اتانا منكم انا مخلص للود اول شاكر
فكتب اليه امين افندي نجيباً ومتشكراً

فضلك يا مولاي لا يحصر
يا كوكب الوقت ومن باسه
يا شبل باز الله عالي الذرى
يا مركز النظرة من جده
تعنوا لك الآساد من هيبة
اعطيت ما لم يعطه سيد
ما قيس في الراي وما حاتم
صيرتهم دونك حتى ولو
عن مثلك الدهر عقيم ولم
انى لهم ذاك وهل صور الـ
لا غرو فالباري له حكمة
هم اشرف الناس بلا مزية
وهم نجوم المكون اقماره
انت اما شمس فلا غيبت
انت لنا ركن اذا اقبلت
اهديت لي دراً نظماً به
وجوهرأ حلّى بناني فقد
فلا برج الدهر في نعمة
ما كبر صبح وجرى جعفر

❖ وجاء مرة لوداع الامير فوجده نائماً فكتب قوله ❖

جاء الامين مودعاً ولبعض فضلك شاكر
لكن عذر النوم قد اضحى جمالك ساترا
ارجوك ان لا تنسني اذ لم ازل لك ذاكرا

(ثم اشترى) على التوالي سبع دور اخرى جعل احدها منازلاً لاضيافه ومن يقصده من اصحاب الحوائج وعدة دور في محلة العمارية البرانية جعل بعضها جنينة مقابلة للدور وبين الدور والجنينة نهر بردا واشترى مزرعة دير بجدار بارض الغوطة وهو بستان نضر وعمر به حوشاً واشترى ارضاً اخرى في قرية اشرفية

صغانيا ثم اشترى حوش البويضية وباعه واشترى قرية فرحنا ومزرعة بلاس وعمر فيها حوشاً واشترى الطاحونة المشهورة بالاحدى عشرية وخان الصعب في العمارة وارضا بوادي قرية دمر ابنتي فيها قصراً لمضيفه ولما اتم بناءه دعا اليه العلماء والاعيان وصنع لهم وليمة وبعد الاكل قرأوا شيئاً من صحيح البخاري لاجل التبرك وكان من جملة من دعى العالم الشيخ عبد الغني الرانعي الطرابلسي فانشأ بالحضرة يقول

يهنيك	يا فرد	الزمان	دار	المسرة	والتهان
دار	السيادة	والسما	دة	والعبادة	والقران
دار	بها	دار	وصرى	السرور	بكل آن
دار	تصافحها	الأكف	كانها	الركن	اليمان
اياتها	بيت	القرى	وديارها	دار	الامان
هي	جنة	الدنيا	التي	قد	اذكرت
حيث	النفث	وجدت	رو	ضا	ناضراً
او	جدولا	او	منهلاً	عذب	الموارد
فتبارك	الله	العظيم	م	وما	يشاء
عوذت	رونق	حسنها	بالذكر	والسبع	المثان
واعيذ	بانها	برب	الناس	من	انس
مولاي	عبد	القادر	ال	شهم	السري
علامة	الدنيا	الذبي	ما	ان	له
رب	المكرم	والنقى	بدر	الكرام	بلا
رب	البلاغة	والبرا	عة	والبراعة	والبيان
سهل	الخليقة	ماجد	سمح	الحيا	والبنان
مر	المشاهد	واللقا	عذب	الموارد	واللسان
ما	ضن	قط	بما	له	اوجاهه
وعلى	المداد	لم	يستعن	في	حادث
مولى	اجل	من	ارتد	حل	الثنا
مولى	حماء	كعبة	يسعى	لها	قاص
مولى	عن	الاغيار	بال	اسرار	والعرفان
لا	تذكروا	في	بابها	يوماً	موافقة
					الحسان

من آل بيت حبيبهم
 آثارهم مشهورة
 ما بين علياهم وبين
 وكفاك اكبر شاهد
 الفاتح الامصار با
 والقاهر الاعداء با
 لو شمته يوم الوغى
 والطوب يرشق والرصاص
 والهوام شبه كرمي لها
 والنسيف والخطي في
 والموت يختطف النفوس
 والحرب تدع نارها
 لرأيت ليتها ضارياً
 ينقض في الميعاد فو
 ويخوض بحر الحرب كالا
 خطاره وجواده
 لله ذلك كله
 اشهى اليه من الدنيا
 وقع انصارهم في الوغى
 والكتب تدرس والكتيب
 ولكم مشاهد قامها
 شيخاً وكهلاً في الموا
 لم يلق وقع اذى فلا
 واليكها عريية
 رقت بحسن صفاتكم
 فاقبل بفضلك رقتها
 واعذر محباً عجزه
 ما استطاع ذاك ولو له
 فرض على طول الزمان
 وبفضلهم شهد العيان
 ن الفرقان الفرق دان
 السيد السند المصان
 ابطال والحرب العوان
 رمح المقف والبيان
 والقرن قد قلب المجان
 ص الى مدى يتجاربان
 ظبة المهند صولجان
 نقط وشكل كاتبان
 س من الصدور بلا توان
 والجو اظلم بالمدخان
 ثبت القوى ثبت الجنان
 ق اقرب مطلق العنان
 معطى من الموت الامان
 نحو العدا فرسا رهان
 لا للدغائم وانغان
 والد من عزف القيان
 يوم الكريمة والطعان
 بة باليمين او اليان
 لله محفوظاً مصان
 قف والصبا في العنفوان
 نامت اذا عيت الجبان
 حوت المعاني والبيان
 معنى فما بنت الدنان
 وافتح لها باب التدان
 في مدح عليك استبان
 في كل جارية اسان

لا زلت في اوج الفضا تل والعللا بدر الزمان
ما امتد الاحسان في ابواب جودكم يدان
او ما بني الآمال ال تموا في جواركم الجران
او انشدت دار الصفا بيتاً حلى الاوزان زان
يسمو به التاريخ في ال حسن على عقد الجمان
ان الديار باهلاً وبربه شرف الممكان

١٢٨١

وانشد ايضاً

دار اليها السعد دان وحكى سناها الفقدان
دار بدمر فالها بالخير دم مر الزمان
قد شادها مولاي عب بد القادر الشهم المصان
كهف العنقاء وملجاء ال قصاص من قاص ودان
ولقد اتى تاريخها دار الفضائل والامان

١٢٨١

واهدى الامير ماء زهر وارسل معه قوله

ولما رمت ان اهدي اليكم قلباً من جني بعض الجنان
نقاطر زهرها عرقاً حياً ولاح البردقان ببردقان
وارسل مرة اخرى ومعها قوله

وقائلة لما رأني مهدياً الى البحر بحر الفضل مستقطر الزهر
سمعنا بمن يهدي الى الروض ورده ولم نر من يهدي المياه الى البحر
وقد حضر الاديب عبد المجيد انندي الخاني الى القصر في جماعة لزيارة الامير فقال
اوقاتنا بسعودكم اعياد وسرورنا بشهودكم يزداد
يا سادة ملكوا العباد بفضلهم وغدا الزمان لامرهم ينقاد
قد خصكم رب الورى بنباقب حارت بوصف جمالها الانجاد
علم وحلم نعلم ومكارم وسيادة وولاية وجهاد
ماذا اقول بنظم جوهر مدحكم ما يفعل الانشاء والانشاد
لو اتفق المداح كل علومهم في حصر قدس صفاتكم ما كادوا
لله يوم ورودنا لمقامكم اذ حفنا الاقبال والامداد

في قصر دمر منشأ الافراح قد
قصر بانواع الجمال مرونق
لا زلت شمس المعارف والاعلا
ومقامكم حرم المراد وكعبة
وبفضلكم تحي الانام وعزكم
ما لاح كوكب سعدكم بكماله
او قال عبدك ارخا عزاً له
لنا الحظوظ وعمنا الاسعاد
حاز التزاهة مالها انقاد
يهدي الخلائق منكم الارشاد
تاويى الى امداده القصاد
تسمو به الانجال والاحفاد
اوفاح في روض الهنا الاوراد
لا زال قصرًا بالسرور يراد

١٢٨٧

والاديب الفاضل العالم الكامل امين افندي الجندي منفي دمشق وكان مدعوا
بالقصر المذكور حين راي نوفرة بسنانه النازلة من نهر يزيد الى نهر بردة
ونوفرة يرقى الى الجو ماؤها فتطحنه الارياح طحن دقيق
يعود الى حوض به كان اصلها كطالب عليا وهو غير عريق
(ولنجل الامير) اخينا محبي الدين باشا في وصفها
انظر الى فوارة في حسننها قد شابهت خوداً تمايل قدحا
رقصت وقد لبست يياضاً ناصعاً من عظم ما وثبت تناثر عقدھا
وطلب الامير من الاديب الشاعر محمد افندي الهلالي وصفها فاجابه ارتجالاً
انظر لنوفرة نحو السماء سعت بعزم ماء بدیع الصنع للرأي
فالجو يعطي مطير الماء بركتها منه بقدار ما اعطته من ماء
(والامير في وصف هذا القصر وموقعه)

عج بي فديتك في اباطح دمر
ذات المياه الجاريات على الصفا
ذات الجداول كالاراقم جريها
ذات النسيم الطيب العطر الذي
والطير في ادواحتها مترنم
مغنى به النساك يزهو حالها
ما شئت ان تلقى بها من ناسك
اين الرصافة والسدير وشعب بو
(ثم) امر الشيخ عبد الرزاق افندي البيطار والشيخ محمد افندي المبارك
ذات الرياض الزاهرات النضر
فكانها من ماء نهر الكوثر
سبحانه من خالق ومصور
يغنيك عن زبد ومسك اذفر
برخيم صوت فاق نغمة مزمر
ما بين اذكار وبين تفكير
او فاتك في فتحه متطور
وان اذا انصفتها من دمر

بتشطيرها فقال الاديب الشيخ عبد الرزاق

عج بي فديتك في اباطح دمر
وأدر لحاظك في حلا ربواتها
ذات المياه الجاريات على الصفا
فيها الشفاء لشارب من سقمة
ذات الجداول كالاراقم جريها
وانظر اقدره باري ذي حكمة
ذات النسيم الطيب العطر الذي
واريج ازهار بدت برياضها
والطير في ادواحيها مترنم
يدعو الانام لحسن طيب سماءه
مغنى به الناسك يزهو حالها
ازقاتهم معمورة بعبادة
ما شئت ان تلقى بها من ناسك
او ذائق شهد الوجود بذاته
اين الرصافة والسدير وشعب بو
اين الرياض الزاهرات بحسن ال
قد زانها قصر الامير الفرد عب
قطب الهدى مردى العدا بجراندا
لو انصف المداح واقتصروا على
قسما بطلمة بدره الساي الذرى
ان عد سمح قبله او ماجد
لا زال سامي الذكر تاجا لاله لا
ما دامت الدنيا وانشد منشد

وقل الاديب الشيخ محمد افندي المبارك في تشطيرها

عج بي فديتك في اباطح دمر
وندير صرف الانس في ربواتها
ذات المياه الجاريات على الصفا
تزهو بها طربا باهبي منظر
ذات الرياض الزاهرات النضر
كفرائد من لؤلؤ او جوهر

احلى من الضرب المصفى طعمه
ذات الجداول كالاراقم جريها
هي جنة مولاي ابدع صنعها
ذات النسيم الطيب العطر الذي
وبحسن نشر عبيره واريجه
والطير في ادواحها مترنم
كم هيح الاشجان من اهل الهوى
مغنى به النساك يزهو حالها
اوقاتها ابدًا تراها تنقضي
ما شئت ان تلقي بها من ناسك
او سالك نهج السعادة والهدى
اين الرصافة والسدير وشعب بو
بل ما بها من حسن افنان والوا
ماوى تفرد بالمحاسن كيف لا
بدر العلا والمجد عبد القادر ال
عين النداء علم المدا الساسي له
مولى به روض المعارف ازهرت
منه ودلمته اتى في حسنها
من لي بان احظى بها متمتعًا
ابقاه ربي للوجود وصانه
ما ناح قمرى وغنى بابل

ذكر حوادث جبل لبنان

هذا الجبل شهير لا يحتاج الى تعريف يسكنه طوائف من المسلمين والنصارى والدروز اكثرهم النصارى واقليم المسلمون وكان النصارى والدروز مودة تالفين الى ان وقعت العداوة بين الفريقين بعهد ابراهيم باشا المصري حين تغلب على سورية وذلك انه طلب من الدروز جندا يستعمله في اموره فابوا وتعصبوا واشهروا الحرب عليه فحرت بينه وبينهم حروب عديدة في وادي التيم وجبل حوران ثم استعان عليهم بالنصارى والقي بهم الى قناهم ودان الدروز بطاعة ابراهيم باشا فاخذ

منهم جميع اساحتهم وقوى بها النصارى نكاية لهم ولما خرج ابراهيم باشا من سورية ورجع الامر الى الدولة العلية اظهر الدروز ما كان كامنا في ضمائرهم ووقع بينهم وبين النصارى الخلاف والثقاق وما زال يزداد ويتضاعف الى ان جرت بين الثريقين حروب عظيمة ووقائع جسيمة في سنة خمس وخمسين ومائتين واربعين وثمانمائة وبعد قبض الدولة على المير بشير الثاني وتعيين عمر باشا المجري خلفا له على الجبل في سنة ثمان وخمسين ومائتين واثنين واربعين وثمانمائة قويت شوكة الدروز وتغلبوا على عمر باشا واستبدوا بامور الجبل دونه فامرت الدولة العلية بالقبض على المشهورين من امراءهم فقبض عمر باشا عليهم واعتقلهم في بيروت وفي مقدمتهم الامير احمد ارسلان ثم تجددت الفتنة بينهم وبين النصارى سنة خمس وسبعين ومائتين وتسع وخمسين وثمانمائة وشبت الحرب بينهم فقام والي بيروت خورشيد باشا وتلافي امرهم واصلح ظاهر فسادهم وفي سنة ست وسبعين ومائتين وستين وثمانمائة عدا جماعة من الدروز على رئيس دير عميق وهو من القسيسين القائمين برهبنة الروم الكاثوليك فقتلوه فاحتاج لذلك غلب النصارى وشكوا امرهم الى الحكومة والى القناصل ثم عدا النصارى على درزي في خان انشراح فقتلوه وثار الفتنة بين الطرفين واعتدى الدروز على نصراني في قرية عيناب واشتد خرابها وسدت الطرق وعم الخوف سائر الجهات وتناذر الدروز من لبنان وحوارن ووادي النعم واحواز دمشق وتجمهروا وجمع النصارى جيوشهم ووقع المصاف واضطربت نار الحرب واتصلت ايامها فانصر الدروز على قلة عددهم واشتد قتلا وجراحا واحرقوا قراهم وانتهبوا اموالهم وكان الامير عندما بلغه خبر استعداد الدروز لقتال النصارى وتجهزهم كتب اليهم يحذرم سوء عاقبة امرهم من جهة الدولة العلية ويرشدهم الى ترك ما عولوا عليه فافضت الحال الى ما اليه الامرا

ذكر حادثة دمشق

ثم سرى سم هذه الفتنة الى دمشق فتحركت احن المسلمين فيها على النصارى جيرانهم وتذكروا ما نالهم من حنا بك البحري وطائفته من الاعتداء ايام المصريين وصاروا يتحدثون في الاندية والجامع بما وقع في جبل لبنان وكثر اللغط والقال والقييل فخاف النصارى على انفسهم ورفعوا امرهم الى المرحوم احمد باشا وكان واليا ومشيرا للمعسكر الخامس وطلبوا منه ما يوء من خوفهم فبعث فرقة من العسكر الى محلتهم للمحافظة عليهم وفي تلك الايام اخذ صبيان المسلمين يصودون الصليب في الطرقات ويرسمونه على

الاوراق ويلقونها في المحلات انقدرة ولما بلغ الامير ذلك علم ان العاقبة وخيمة واذا وقع في دمشق نظير ما وقع في لبنان يجعله الافرنج لا محالة ذريعة لخراب البلاد فتوجه الى الوالي وتكلم معه في ذلك فاجابه ان ما بلغك تحض ارجاف من النصارى وكان هذا من الباشا على ما يعتقد من اذعان اهل البلد وما يتلقاه من اعيانها ثم تفاقم الامر في جبل لبنان وتغلبت طائفة الدروز على النصارى واحرقوا زحلة ودير القمر وغيرهما من القرى الشهيرة فازداد بهذا مرض قلوب سفهاء دمشق فبعثوا الى الدروز يغرونهم على نصارى بلادهم ويعدونهم بمساعدتهم ويرغبونهم في اموالهم فوعدوهم بالاجابة بعد فراغهم من امر الجبل فاتصل هذا الخبر بالامير فوجهم له ثم استاذن الوالي في طلب مشايخ الدروز الى بعض القرى خارج البلد والاجتماع بهم ليعظهم ويحذرهم سوء عاقبة ما عزموا عليه فاذن له وخرج اليهم وتكلم معهم بما اثر فيهم وجعلهم يذعنون لنصائحه ووعدوه بانهم لا يجر كون في دمشق ساكنوا ولا يثيرون فتنة ولما كان امر الله لا يرد وقضاؤه لا يصد قويت بواعث الفتنة ولم ينجع فيهم نهى الحكومة السنية ولا اثرت فيهم شدة انتقامها ممن يفعله وفي يوم الاثنين الحارثي والعشرين من ذي الحجة سنة ست وسبعين ومائتين والعاشر من يولييه سنة ستين وثمانمائة اخذ شرطي صبياً يلعب بصورة الصليب الى الحكومة فامرت بتعزيه واهانته في الاسواق فساقه الشرطي ومر به في سوق باب البريد فراه اخوه فغاب عن احساسه ورمى بنفسه من دكانه على اخيه وقام جيرانه لقيامه واخذوا الصبي من يد الشرطي وماج الناس وكثر الصرخ والغط في انحاء البلد وجعل السفهاء ينادون في الازقة والطرقات هلموا الى الجهاد واخذ الناس يتقاطرون الى محلة النصارى وينساون الى جهاتها من كل ناحية بلا تامل في العاقبة ولا روية ومدوا ايديهم الى اهلها بالقتل والى اموالهم بالنهب والى ديارهم باضرار النار فيها ولما اتصل الخبر بالامير قال هذا ما كنا نحاذره ونحذر الناس منه قد وقع انا لله وانا اليه راجعون ثم ركب الى محلة النصارى فوجدها في هرج ومرج وراي السنة اللهيبة ممتدة من المنازل والغوغاء بين ناهب وقاتل بفعل ينهي وينصح فلم تسمع له نصيحة وتماذى الذعار على ما هم عليه ولما يش من رجوعهم عن غيهم اخذ ينقذ من النصارى من يصل اليه ويتمكن من انقاذه ثم رجع ببعض قاصل الدول وجم غنير من الاعيان وغيرهم وصار يبعث المغاربة شردمة بعد اخرى الى المحلة واحرافها لياتوا بكل من عثروا عليه من غير استثناء وكان الامير اخبر الباشا ان المغاربة ليس عندهم

سلاح كذا للمحافظة فوعده بان يعطيهم ما يحتاجون اليه عند اللزوم فلما كان
اليوم الثاني من الواقعة بعث اليه فيما وعده به فارسل في الحل عدداً وافراً
من البنادق والفشك واستقصى المغاربة بامر الامير في جمع النصارى من الكنائس
والاقيية وداخل البيوت الملتببة بالنار وفي اليوم الثالث اجتمع السفهاء من البلد والصالحية
عند باب الحديد بالمعارة فاصدين المحجوم علينا فتوجه الامير اليهم والى الله
الرب في قلوبهم عند رؤيته ورجعوا على اعقابهم ثم ذهبوا افواجاً افواجاً الى
بيوت بعض الاعيان الذين اقتدوا بالامير في جمع النصارى عندهم بقصد المحجوم عليهم واخذ
النصارى منهم قهراً فبعثوا الى الامير يستغيثون به فارسل اليهم فرقاً من المغاربة لحمايتهم من
الذعار ولما غصت دور الامير بالنصارى مع تعددها واتساعها أخذ يرسلهم الى القلعة
باذن الحكومة فاجتمع عنده وفي القلعة نحو الخمسة عشر الف نس وكان الامير يقوم
بنفقات الجميع ولما طال الامر وضقت نفوسهم طلبوا من الامير ان يرسلهم الى بيروت
فاجابهم الى ذلك وصار يبعثهم اليها فوجاً بعد آخر بمحافضة المغاربة واستمرت الفتنة
قائمة ونارها موقدة اربعة عشر يوماً كل ذلك والامير مشغول باخذ الوسائل
ليتوصل الى اطفائها باذلاً جهده في حسم اسبابها ولم يدخل الى بيته في ايامها بل
كان يجلس على سجادة في دهليزه لا يخرج من الليل الا قليلاً والباعث له على حمل
تلك المشاق تايد الدولة العلية والدفاع عن حوزتها اذ لو لم يقف في وجوه الغوغاء
لاستأصلوا النصارى واستلحدوهم وتفاقم الامر اكثر مما وقع وبذلك يحصل للدولة من
الارتباك ما لا يحصى ولعنانية الله تعالى بعاحب الخلافة العظمى ورعايته لسلطنته لم يقع
ادنى خال يتشبث به الاعداء للاحاق الضرر بالدولة العلية ولم يزل الامير يعاني المشاق
الى ان حضر صاحب الدولة فواد باشا وزير الخارجية الى دمشق ولاول وصوله اجري
فيها حكومة عرفية خارجة عن القوانين المعتادة فقبض على الوف من اهلبا حتى امتلاءت
بهم السجون وامر برد المسلوبات وعين لذلك تجالس مخصوصة في محلات البلدة
واشائها فجمعوا اغلبها واجرى ما امر باجرائه من ايعان النظر وتحقيق الدعاوي ثم
فعل ما رآه صواباً واقتضته السياسة فقتل من ثبت عليه القتل او قامت عليه البينة
بانه اثار الفتنة او وافق عليها ونهى جماعة من الاعيان والعلماء لتقصيرهم عن تدارك الامر
وكف ايدي الغوغاء واشخص عامة الزنار ومن جرى مجراهم الى الاسنانة ثم عقد مجلساً
عسكرياً للنظر في امر احمد باشا وجماعة من رؤساء الجند فحكم عليهم بالقتل ونفذ امر
الله فيهم وما ارتع احمد باشا شهيداً الا اغتراره باقوال من كان يسبغ ان يقع في دمشق

ما وقع في الجبل لدعوي وجود البواعث المقضية لذلك بين اهاليه وعضدها في دمشق وعلى كل حال فلا راد لقضاء الله ولا معقب لحكمه وقد اجري فؤاد باشا اموراً قسرية واحكاماً قهرية توصل بها الى تدوين البلاد واصلاح ما فسد منها وتمكن من الاخذ بمقادها الى الطاعة والخضوع وبعد ان اتم ما اقتضته الحال في دمشق توجه الى بيروت وقبض على امراء الدروز ومشايخهم واعتقلهم ثم ارسلهم الى الاستانة ولاول وقوع هذه الحادثة ارسلت دولة فرنسا عشرة الاف جندي الى بيروت تحت قيادة الجنرال بوفور وخيمت في الحرش وارسلت بقية الدول مراكب حربية ومعتمدين ليراقبوا ما يجريه وزير الخارجية من الاعمال وفي اثناء وجود العساكر الفرنسية في بيروت حصل اختلاف بين فؤاد باشا والجنرال الفرنسي فبعث الجنرال رسولاً خصوصاً للامير يخبره بانه اعتمد على ضرب دمشق من الصالحية فليخرج باهله ومتعلقاته منها فانغم الامير لذلك وبعث للجنرال بان يوافيه بالبقع وعين له قرية قب الياس محلاً للاجتماع وركب معلناً توجهه الى الاشرفية احدى قراه ومنها سار ليلاً الى البقاع واجتمع بالجنرال وظهر له سوء عاقبة ما اعتمد عليه فاصر الجنرال على ذلك فهدده الامير وعظم له الامر حتى عدل عن ذلك ورجع كل منهما لمحله وحفظ الله دمشق واسرها الامير في نفسه وجعلها خالصة لوجه الله تعالى ثم ان الدولة العلية استحسنت باتفاق الدول المتحابة على وضع نظامات وقوانين لاهل جبل لبنان وان يكون المتصرف الحاكم عليهم مسيحياً غريباً عنهم ويخابر الباب العالي راساً فتوجهت يومئذ المتصرفية على داود باشا الارمني واستأبنت الراحة وعم الامن في سورية والهدوء والسكون في سائر انحاءها واراحت جنود فرنسا من بيروت ولحقت ببلادها واقلعت المراكب الحربية الى مرافئها ثم ان فؤاد باشا لما استأبنت له شجاعة المغاربة وما جيلوا عليه من قوة الجاش وشدة الاقدام فافوض الامير في ان يعين منهم كتيبة ليكونوا في خدمة الدولة العلية فاجابه الى ذلك واختار منهم اربعمائة فارس وجعل السيد محمد بن فريجة احد اقرباءه رئيساً عليهم ولم يزل فؤاد باشا يقرر الاحكام ويرتب الشؤون الى ان تمكن من مراده ثم اخذ السلاح من اهل دمشق ووضع عليهم الضرائب اتعويض ما اتلفه سفهاؤهم من امتعة النصاري وما دمروه من ديارهم وخصص يوماً للقرين العساكر باطلاق البنادق والمدافع خارج دمشق في سهل القدم ودعا اليه وكلاء الدول المرسلين لاجل هذه الحادثة وكان من جملة المدعويين حضرة الامير وعد اجراء فنون الحرب من قبل العساكر خرج جميع المدعويين من خيامهم التي

اركرت لجوسهم بذلك المحل الا الامير فانه بقي جالساً بحمله فاقبل عليه فؤاد باشا ودعاه ان ينظر التمرين الجاري فاجابه اني شاهدت ذلك فعلاً وعملاً وكنت اتلقى الرصاص والكلل بصدري فلا لذة لي الآن برويته تمثيلاً ولما اتصل بحضرة سيدنا مولانا امير المؤمنين ما اتفق في هذه الواقعة المائلة وما اجراه الامير في سبيل طاعة عظمته واداء واجب خدمته اظهر رضاه العالي بفعله وانعم عليه بالنيشان المجيدي العالي الشان من الرتبة الاولى عنواناً على حسن توجهاته وجميل التفاته . وصورة الفرمان . قد احاط علي الشريف السلطاني بحال الحمية الدينية الثابتة في اصل فطرة الامير عبد القادر الجزائري زيد فضله وخلوصه الاكيد الوطيد لطرف دولتي العلية وقد اضطره كل منهما لاستعمال الحمية والغيرة الكلية الفائدة في الخدمة المرغوبة وهي تخليص عدد كثير من تبعة دولتي العلية الواقعين بايدي الاشقياء الظالمين عند وقع الفتنة والعناد مؤخرًا في الشام من بعض ذوي التوحش الجاهلين بالوظائف العلية الاسلامية والاحكام الجليلة الشرعية وحيث ان حركته الحسنة قد استوجبت له سائرنا في زيادة المحظوظية ووقعت موقع الاستحسان ولاجل حسن توجهاتي السلطانية الحاصلة في حقه والمكافأة العلية على خدمته الخيرية الواقعة احسنت اليه بنيشاني المجيدي الهاموني من الرتبة الاولى واصدرت له فرماني السلطاني المعلوم المؤذن بالماكرم الملوكانية في اول صفر الخير سنة سبع وسبعين ومائتين والاف . ثم حضر مكتوب من الصدر الاعظم عالي باشا وصورته لما طرق مسامع الحضرة السلطانية خبر الفتنة التي وقعت من ارادل الناس في الشام الشريف وذلك بهجومهم على الاهالي النصاري الطائعين الذين نفوسهم واعراضهم واموالهم يقتضي الشريعة الغراء الاسلامية هي نظير نفوسنا واعراضنا واموالنا وتجاسرهم على اجراء حركات كاية قبيحة مخالفة للشرع كسفك الدماء وهتك الاعراض ونهب الاموال فالتأثر العظيم الذي طرأ على القلب الشريف المملوكي من اجراء ذلك كان في الدرجة القصوى ولذلك اقنضى الامر ارسال حضرة دولنا ناظر الخارجية بالرخصة الكاملة والقوة الكافية ابتغاء اجراء التاديبات القانونية والشرعية وعمل ترضية لئمة ولاهل الانسانية فلما وضمها نكل بهم بعون الله تعالى اي تشكيل وارايم جزائهم الذي استحقوه وبنا انه قد تحقق وشاع ان ذاتكم المتخيلة بالفضيلة في اثناء اشتغال التبتة توفقت والحمد لله لتخليص الوف من التبعة السلطانية المظلومين من ايدي القتل الخاسرين وكنت غيركم التي تكرمت بها دليلا ليس له مثيل على حميتكم الدينية وخلوصكم

لطرف السلطنة السنية فاستحيتم لدى الحضرة الملوكية على وجه الجدد والحقيقة فرط المخطوطة والتحسين ولذلك جعلت علامة علنية لهذا التحسين وبرحمتنا جليلة على التوجهات السنية بحق حضرتكم فجادت عليكم باحسان الوسام المجيدي الهايوني من الرتبة الاولى وقد ارسل لطرفكم الشريف وصحبته الزمان المنيف ومن ثم بمقتضى مودتي القديمة لطرف سيادتكم قد غدوت بغاية الممنونة لوجودي واسطة لتبليغ المكافاة السنية وعلاوة على ممنونتي فانني اختم مقالتي بالتهنئة الخالصة والتأمينات الاحترامية افندم في السابع من صفر سنة سبع وسبعين ومائتين والفسر الامير بهذا الانعام السلطاني غاية السرور ثم رفع الى الاعتبار عريضة العبودية وصورتها . احمذك اللهم حمد . معترف بالتقصير عن شكر ما اوليت من النعم . واصلي واسلم على نبيك سيدنا محمد افضل العرب والعجم . وعلى آله واصحابه الذين شيّدوا منار الاسلام . ودعائم الدين بالعدل والحسام . ثم ارفع ايدي الضراعة والابتهال . الى ربنا القدير المتعال . ان يديم النصر والتأييد لحضرة مولانا الخليفة الاعظم . والملك الاعدل الانخم . سلطان سلاطين الامم . ظل الله الممدود في العالم ناشر لواء العدل على البرية . حافظ احكام الشريعة بالهمة العلية القوية . امير المؤمنين ايد الله تعالى دولته العلية الى يوم الدين . ثم اتوجه اليه سبحانه بقلي وتضرعي ان يوفق كافة وكلائه ووزرائه وعماله في جميع الاقطار الى تحصيل مرضاته بالتزام ونفي الصدق والاستقامة في السر والاجهار وبعد فان العبد لم يزل قائماً بوظائف الدعوات الخيرية للدولة العلية في كل بكرة وعشية متحدثاً بنعم الله الظاهرة والباطنة شاكراً لآلاء امير المؤمنين المترادفة في كل دقيقة وثانية مقرراً بالعجز عن ايفاء بعض ما وجب عليه وعلى كل موحد في هذا الباب . سائلاً من ذي الجلال العظمة عن الزيف والاتياب . ثم لما وقعت حادثة الشام وانتهكت تحريم الله بلا احتشام وتعين على كل فرد من العباد بذل المجهود في دفع ذلك الفساد قمت باداء ما قدرت عليه من هذه الفريضة العينية والنية الصحيحة في ذلك تحصيل رضا . الله تعالى ثم طاعة الدولة العلية . ولما صدرت الارادة السنية بسفر صاحب الآراء الصائبة الاممية حضرة الوزير فؤاد باشا ناظر الخارجية قدم الى دمشق وهي تغمر كالمرجل وارجاؤها من تميز نار الفساد تكاد ان تنزلزل فرتب العساكر النظفورة في المواقع اللازمة على مقتضى الحال وبادر بتمهيد قواعد الحكمة بلا امهال وفي اقرب وقت وقل مدة ساعدته القدرة الالهية والتوجه السلطاني امدده فابرز ثمرة تدابيره من القوة الى الفعل وازهد من المدينة بنور الهدى ظلام الجهل واطهر عدل امير المؤمنين لكل باد وحاضر حتى اعلنت بذلك خطباء الاسلام على المنابر ورضي به كافة الملل والنحل من القاصي والدان وظهر ذيل

الشريعة المحمدية من لون اهل البغي والعدوان فجزاه الله عن امير المؤمنين والمسلمين خيراً هذا وان سيدنا ومولانا ابداه الله ما برحت نعمة تجدد على تجدد الاناء والاذهان ولم يكتف بذلك دام علاه حتى طوقني بعلامة الانتخار وهي نعمه شكرها ليس في حيز الامكان ورفع قدر مملوكه بما لست له اهلاً من العنايات والتلطيف مع انه يكفيني نحر النسبة بالعبودية الى مقامه الشريف

ولم ار اعظم من نعمة منحت ولم تك لي في حساب
ساكرها شكر وقت السرو ر واذكرها ذكر وقت الشباب
ايا سابقا بالذبي لم يحل بفكري ثوابا ونعم الثواب
كذا فلتكن نعم الاكرم ن تفاجي بلا منة او طلاب
وبناء على ذلك ناني ابتهل الى الله تعالى بكل دعاء مستجاب ان يجعل كافة آراء
دولته العلية مقارنة للسداد والصواب ويديم بقاء ذاته الكريمة الملوكة بالنايد مشمولاً
بكمال الصحة والعافية الى امد مديد يجاه سيد الوجود عليه الصلاة والسلام والحمد لله
دعاء المتقين في البدء والختام في اوائل ربيع الاول سنة ١٢٧٧

﴿ ذكر ما ورد على حضرته من مكاتيب الدول ونياشينها وما قدمه ﴾

﴿ الشعراء الى اعتابه من قصائد المدح والتهنئة ﴾

ولاول وقوع هذه الحادثة العمياء طار خبرها في اقطار الدنيا وشاع ما اجراه
الامير من السعي في اطفاء نارها وتسكين نيارها فاخذت مكاتيب التشكر من سائر
الدول ونياشينها العلية الاولى ترد على حضرته اقتداء بالدولة العلية وهذه نصوص
المكاتيب المذكورة

﴿ نص ما كتبه وزير خارجية فرنسا ﴾

ايها الامير السامي ان خبر الحوادث الشامية قد طرق مسامع الدولة الفرنسية واجابة لطاعة
مولاي الامبراطور وارادته بادرت الان باعلان اعتباره السامي والتشكر الوافر من طرف جلالته
على السعي الذي تكرمتم به على الاهالي المسيحيين والراهبات والمبعوثين الفرنسيين وجمهور
القناصل بتلك الواقعة المحزنة والمزينة العظيمة في ذلك هي مشاهدة همتمكم العلية التي جملةكم وقاية
لحياة الوف من المساكين وجعلت محلكم ملاذا لم في وقت كان الاشقياء الخارجون عن
الطاعة يرتكبون القبائح المخالفة لاوامر الباري تعالى ولما تقتضيه الانسانية اما الامبراطور
نظراً لمعرفته بعلي همتمكم وكرم اخلاقكم فانه لم يتعجب مما اظهرتموه من الاقدام في

ذلك الوقت الضنك وهو الآن يشعر بداع ذاتي يدعوه الى ان يخبركم عن فرحه الشديد الذي اثر فيه تأثيراً قوياً باجراء ما اجره بتمره وانا ارجوكم قبول التهاني الشخصية مني التي اضيفت اليها الامير السامي تأكيدات سمو اعشاري لحضرتكم في ٣١ اغسطس سنة ١٨٦٠ ثم حضر رئيس المترجمين في دائرة الوزراء الفرنسية مبعوثاً من لدن الامبراطور الى حضرة الامير وقدم اليه نيشان الليجون دونور المرصع من الرتبة الاولى وبلغه اعتبار الامبراطور وسائر الفرنسية لمقامه العظيم

﴿ صورة المرسوم الممضي بخط ملك بروسيا صحبة النشان ﴾

نحن غليوم بنعمة الله تعالى ملك بروسيا الى آخر الانقلاب قد منحنا الامير عبد القادر بن يحيى الدين نيشان صليب النسر الاحمر من الطبقة الاولى وقد اعطينا ارادتنا هذه لاجل تملكه الحقيقي لهذا الوسام حاوية توقيعنا وامضانا مع الختم الملوكي من بالسبيرج في الثاني عشر من اكتوبر سنة احدى وستين وثمانمائة

﴿ وهذه صورة المرسوم الممضي بخط يد قيصر الروس المرسل صحبة النشان ﴾

نحن اسكندر الثاني امبراطور وافطر كراطور جميع الروسيين الى آخر الانقلاب الى الامير عبد القادر افنضت رغبتنا ان نشهر التفاتنا اليكم بشهامتكم وعملكم بما افنضته الانسانية واجتهادكم في انقاذ الوف من المسيحيين من اهالي دمشق الذين وجدوا في خطر عظيم اقبضى الحال انا سمينناكم من اعظم فرسان رتبتنا الامبراطورية الملوكانية المشهورة بالنسر الابيض وهذه علامتها واصلة اليكم ونحن لم نزل باقين على المحبة لنحوكم بالاعتبار الامبراطوري الملوكي حرر في بطرسبورج في يناير سنة ستين وثمانمائة

﴿ وهذا نص تحرير ملك ايتاليا ﴾

ان عظيم تصرفكم في امر المسيحيين في الحوادث الشامية قد اثبتت امام اوربا انكم ممن حاز المرايا الحربية العظيمة خصوصاً في الحادثة الدمشقية التي انقذتم فيها النفوس الكثيرة فكان ذلك حلية لنفسكم الكريمة المصطفاة ثم انه يوجد بيني وبينك ايها الامير العزيز مواصلة افرح بذكرها وهي محبة الحرية التي تجعل تابعيها محافظين على العدالة الحقيقية واذا كنت في ايامك السابقة لم يمكنك الحصول على النجاح التام على حسب مرغوبك فهذا لا يكون مانعاً لاكتسابك بالنظر اشجاعك القوية الاحترام والاعتبار من جانب اهل الحرب المعاصرين

لك والذين يقانون في صالح استقلالية الشعوب ونظراً لشهادتي بهذا الاحترام
المختص لشخصك الكريم فانا مرسل اليك الان الشريطة الكبرى نيشان موريس
والعاذر وهو اقدم نياشين الحيولية والفروسية وهو يسلم لك على يد اثنين من
ضباطي وهما الكاواليردي كاستياونيو والكونت دي كاستيلونيه القادمين الى حضرتك
لاجل هذا الامر واني اوصي بهما شديد اعتنائك وارجو ان تصادفك السعادة
فجاء بين يديك ايها الامير السعيد نظير الندا الذي يقطر من السماء ليعطي الاقبال
الى الارض والمأمول قبول هذا الدعاء مني لاجلك في المستقبل كما اني ارجو
ان تعتقد تمام محبتي حرر في مدينة تورين بتاريخ سبتمبر سنة ستين وثمانمائة
محبك فيكتور عمانوئيل

❖ نص ما كتبه ملك اليونان ❖

نحن اوتون بنعمة الله ملك اليونان قد اعطينا للامير عبد القادر النيشان
الكبير رتبة اولى من صنف نيشاننا الملوكي المذغوب نيشان المخلص المؤرخ يولية
سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة والف وارسلاه اليه ليحمله ويستعمله بقتضى امرنا
وبناء على ذلك اصدرنا له هذا المرسوم ممضياً منا ثم من وزير بلاطنا الملوكي
والتعلقات الخارجية حرر في اثينا بتاريخ سبتمبر سنة ستين وثمانمائة

❖ نص تحرير قنصل دولة انكلترا في دمشق ❖

الى عظمة الامير السيد عبد القادر المعروض لسعادتك انني قد امرت من الحكومة
الانكليزية الفخيمة ان ابين لكم حاسيتها الفائقة نظراً لما اظهرتموه من - حقوق الانسانية
بتخليص حياة جماعة كبيرة من المسيحيين الذين لولا ذلك لهلكوا بين ايدي اهل
القساوة في المذبحة الاخيرة بدمشق وبسلوك عظمتكم عرفت الحكومة الانكليزية
مقامكم الرفيع للغاية ثم اعرض ان هذا الشرف الذي صيرني واسطة لتقديم حاسيات
دولة انكلترا الفخيمة الى حضرتكم اعتبره شرفاً عظيماً لا مزيد عليه وقد كنت شاحدت
اجتهاد عظمتكم في تخليص عدة اناس كانوا مضطهدين حتى انني حصلت بذلك على
حاسيات التعجب والان لي الشرف بان اكون مبلغاً لكم ماسطرتة وداعيا لعظمتكم حرر
في الرابع والعشرين من اغسطس سنة ستين وثمانمائة من قونصلاتو دولة انكلترا في
دمشق وبعد هذا بعثت الملكة بندقية هدية الامير مكتوباً على ظهر صندوقها من
حضرة جلالة ملكة المملكة المتحدة بريتانيا العظمى الى صاحب السمو الامير عبد

القادر تذكراً للمساعدة الخيرية المبذولة للمسيحيين في دمشق سنة ستين وثمانمائة
﴿ نص تحرير الجمعية الفرائمونية بفرنسا ﴾

الى الامير الاجل عبد القادر في دمشق اعلم ايها الامير ان العالم المتمدن قد
كلل هامتكم الشريفة المقدسة باكليل الشرف والافتخار ونحن نقدم اليكم فرحنا بكونكم
تسميت من المحكوم لهم بحسن السيرة من اي فرقة كانوا او دين الذين اظهروا انفسهم
بكمال الانسانية وانت قد اظهرت نفسك انساناً قبل الكل ولم تسع الا الى الهامات
ربانية في قلبك امرتك بمقاومة نار مشتعلة من الهيجان البربري والتعصب الجاهلي
نعم انك النائب الوحيد للامة القوية العربية التي اوروبا مديونة بقسم عظيم من تمدنها
وعلمها التي استنارت بها ولقد اثبت باعمالك وبكرمك ان هذا الجنس لم ينحط اعتباره
السابق وهو وان كان الان في سنة من النوم فسيستيقظ الاعمال العظيمة باستدعاء
نفس قوية نظير نفسك وانظر فرانس التي كانت خصيمتك فانها الآن عرفت كيف
تعتبرك وتتهمل بك وما ذلك الا لكونك اعطيت للمتمدن حقه ايها الامير لك المجد والشكر
تكراراً فالاله الذي نسجد له جميعاً والذي عرشه في داخل قلوبنا وقلوب كافة الكرماء
يقيم عمله بكم في الخير افلا ينظر الى العناية الالهية بعد ثقلبات عديدة كيف انت بكم
الى تلك البلاد لاجل تبديد ظلمات الجهل واطفاء نار التعصب الجاهلي وانقاذ تعيسى
الحظ من يد الجهلة واعلم ايها الامير الاجل اننا واثقون بان ثقلوا منا هذه الرسالة وان كانت
لا قيمة لها حرر في باريس في الثاني من اكتوبر سنة ستين وثمانمائة واثبات هذا القدر
من المكاتيب الواردة على حضرة الامير كفاية ولو تتبعنا تحرير جميعها لافضى الى
ما يوجب السآمة والملل ومن مدح الامير على ما اجراه في هذه النازلة من الشعراء
العالم الناظم النائر الشيخ ابراهيم الاحدب نائب المحكمة الشرعية في بيروت فقال

قلب بنار الاسى والوجد حيران	لجيرة من حما جيرون قد بانوا
بانوا فباتت مسراتي بهم اسفاً	فلا اتثنى بعدهم في روضة بان
عرب باحسنهم قد اعربوا كافي	غداة تطربني بالوصل الحار
بذلت روحي لادنو من منازلهم	ان المعالي لها الارواح اثاث
وقد الفت بهم خلع العذار ولم	يقبل عذارى فامسى وهوشيان
يا حبذا عهد نعمان الارك بهم	ايام انعم لي بالقرب نعمان
ريم اروم التسلي عن هواه ومل	يسلو عن الماء بالنيران ظمان
لا سالت بعده آرام ذي سلم	ولا غزني بالاحداق غزلان

بالؤلؤ الثغر منه كنت ذا فرح
 هل تنطفئ نار احشائي بزورته
 كما بهمة عبد القادر انطفأت
 شمس من الغرب وافتنا فكان لما
 سر من الله قد احيا الانام به
 حلت اياديه جيد الكون من عطل
 اثاره شامة في الشام قد افحت
 ذو طلعة فوق نجم المشتري شرفا
 الى النبي غدا بيدي لنا نسباً
 يا مرتجى الغيث يم فيض انمله
 يدنيه للمرتجى لطف الجنب كما
 وفي العوالم التي ساد الانام بها
 يا من على البدر ارجى نور طلعت
 من بعد بعدك شمس الغرب قد غربت
 والشرق اشرق فيه من سناك لنا
 هل تنكر الشام فضلاً قد خصت به
 اذ يوقظ الشر قوم -اء جهلهم
 بذمة المصطفى المختار قد غدروا
 شككت في امنهم ناس بما فعلوا
 علمت عقبي الذي ابداه جهلهم
 فقامت تمنع ما ابدوه بجهتد
 ورحلت تظهر في حجب الدما شياً
 كما حميت العذارى بالظبا كرمأ
 اذ قد نهى المصطفى عن خفر ذمته
 ماذا عليك وقد راعيت سننه
 هذا هو الشرف المحض الذي اشتهرت
 على السماع بما قد شاع عنك غدت
 امسى لي الشعر سهلاً حين قام به

فالآن دمعي بالياقوت مرجان
 وتستكن من الاشواق اشجان
 في الشام من حادث الايام نيران
 في الشرق نور به الآفاق تزدان
 ان كان يبدو لسر الله اعلان
 وما نعتقد في الدين ايمان
 طيبا به ارتاح نسرين وريحان
 وهمة دونها في الافق كيوان
 في وجهه شاهد منه وبرهان
 فتلك للمرتجى جدواه خلبان
 يعلو به فوق هام النجم سلطان
 لها اياديه بالتحريز اتقان
 والنجم فيما حوت عليه حيران
 وعطلت منه اوطار واطوان
 بدر منير به للعق تبيان
 غداة كل كسيف البال وطان
 اعلمهم عن منار الحق طغيان
 وان ذلك الاحسان كفران
 اذ ليس يفعل هذا الفعل انسان
 وان ذلك في الدارين خسران
 ما فوق ذلك يا مولاي امكان
 ما حازها قبل قحطان وعدنان
 مطهر النفس ما استغواك شيطان
 وان يكون لوالي الامر عصيان
 ان راح ينكر نشر الورد جعلان
 له ما أثر قد امسى لها شارب
 مشوقة قبل رؤيا العين آذن
 يدي ما ترك الحسنة الاحسان

فاستجلبها عادةً رقت محاسنها
على ابن سهل معاني لفظها صعبت
مع اني في زمان لا يقام به
لكن جدك قد سن القبول له
وانت خير امرىء يقفو مآثره
وجالها عن صوى عليك منصان
كما ابن هاني بما ابدته منها
للشعر سعر وان زانته اوزان
ايام احسن فيما قال حسان
لا زلت بدرًا به العليا تزدان
وقال ايضاً

ماذا نقول بوصفك الشعراء
والله قد اثني عليكم بالذي
آل الرسول بكم يبين لنا الهدى
نسل كمثّل الصيغ لاح لناظر
نفحت مآثرك الزكية في الورى
وخلائق المختار فيك تجمعت
فنظرت بالنور المبين الى مدى
وعداك قد شهدوا بفضلك في الورى
وبانت بالهمم العلية غاية
يدنيك للراجي التواضع مع علا
الله اكبر هذه الشيم التي
اسني على ما حل بالشام التي
بلد له الشرف الرفيع وحسنه
اني التفت ترى اغن مهفمًا
او عادة يبدو لنا من فرعها
يا ويح قوم ايقظوا الشر الذي
حذرتهم عقبي الفساد فما ارعوا
فسلت من غمد العزيمة صارمًا
ووضعت اوزار الوغى بحمية
وفلت حد الخطب منك بهمة
ومهابة وشهامة وحماسة
ما ادرك الجهلاء رشذك فيهم
وعلاك ترفع اصله الزهراء
قد شرف الثقلين منه ثناء
ويزول عن عين اليقين غشاه
ما للصباح عن العيون خفاه
وتأرجت بثنائك الارجاء
فتشابه الابناء والاباء
ما ادركت لثرائه الزرقاء
والفضل ما شهدت به الاعداء
عن درك وصفك تعجز البلغاء
عين السهي لماله خوصاه
نقفو معالي فضلها الخلفاء
هي في البلاد الجنة الخضراء
قد افصحت بمديحه الفصحاء
تجلو سناه روضة غشاه
وجبينها الاصباح والامساء
قد امّ عمّ الشرق منه بلاه
فكأنما تحذيرهم اغراء
يمضيه في فل الخطوب مضاه
بحمى سطاها لاذت الوزراء
تصبو لنعت علوها الخطباء
كل له فوق النجوم لواه
عين الجهول عن الهدى عمياه

ما عذر من لم يشكر المولى الذي
شمس من الغرب استنار بها الورى
آيات موسى اظهرت اياته
حسن الطوية مخاض في فعله
متمسك في الدين في افعاله
يا ابن الذي بسناه شرف آدم
اعرفت سحب الغيث فهي من الحيا
اني قد استشعرت طوق نذاك لي
وشعرت بالسر الذي اوتيته
ولقد وقفت على علاك قصا دي
واليك قد وجهت قبلاً عادة
والان قد ارسلت شافعة لها
حررتها فتت اليك رقيقة
لم يبق في العلياء مطمح ناظر
فلذا ندعو ان تدوم مغلداً
وقال عند حضور نيشان نابليون امبراطور فرانس

بسمه رأيك يا من عز سلطانا
وحزت بالحزم فخراً عز نائله
قدر اشم ومجد قد علا شرقاً
عداك ما انكروا فضلاً سموت به
بل كلهم قد غدا يثني عليك بما
في الشام هممة عبد القادر اشتهرت
ما حيلة الشرق الا نشر سودده
بفضله معجزات المصطفى نشرت
يا بحر علم مزاج الدهر صبح به
ختام تعلو وهام النجم تحت ثرى
اذاً فما الرتب العليا وان عظمت
لم يخط سهمك مرماه لذلك قد

اصبت من غرض العلياء نيشانا
اثار في مهبج الاعداء نيرانا
يستوقف النجم في معناه حيرانا
وما استحلوا لما ابديت كفرانا
تأرجت منه يامولانا ارجانا
تبدي لسر الذي اوتي به اعلانا
فليفخر الغرب علياه به الانا
اذ جاءنا بالهدى للعق برهانا
غدا ذكل يعافي منه بجرانا
نعليك مع انه قد جل اركاننا
تزيد قدرك يامولاي امكانا
اولئك دولة نابليون نيشانا

رأت مسامحك الحسناء قد نجحت
مع ان يبيض اياديك الحسان لقد
لو كافؤك على فعل الجميل بهم
لكن قصدك نشر العرف تبذله
يا ليت مثلك يوم الدار كان بهم
او كنت في يوم صفين توءمهم
او كنت في قوم نوح داعياً لهم
او شام فرعون نورا من سناك بدا
يا ابن النبي بكم ابدي الغلو وان
ما قدر قولي في مدح غلوت به
آل الرسول بكم تهدي الانام كما
احسنت في مدحكم ارجو النجاة به

ومنهم العالم الفاضل السيد امين الجندي فقال

اليك انتهي المجد الرفيع الموءثل
تفردت في الآفاق بالسؤدد الذي
سموت سمو البدر في برج عزه
الست ابن سلطان الرجال ومن له
اما انت من آل النبي كدره
اما انت كشف الكروب عن الوري
حماك غدا للناس آية كعبة
وموردك السامي صفا عن كدورة
ظهرت باوصاف الكمال وانما
ومن ظن يستوفي المديح او الثنا
ولا عجباً فالله جل جلاله
ملكتم زمام المجد فانقاد مسرعاً
مات قلوب الناس لطفاً وهيبة
جمعت الندى للعلم والبأس للثقي
تهاب ليوث الغاب في آجامها

وعنك احاديث المكرم تنقل
على فضله بين الانام المعول
ونورك للاكوان مولاي يشمل
على كل قطب في الوجود التفضل
تجل فلا يجري عليها التمثل
ونجدهم ان حل خطب ومعضل
فما عنه للعايفين يوماً تنقل
فمنه ذوو الآمال باليشر تنهل
لديك انطوى ما بعضه اللب يذهل
عليك اذا عند التامل يخجل
عليم يرى حيث الرسالة يجعل
اليك وقوم حاولوه فحولوا
وكل اذا في بابيه جاء يحمل
فانت لمن وافاك ركن ومنهل
سطاك ويرجو البر منك المؤمل

وقفت على سر الحقيقة فانجلت
 وبرزت من كنز العلوم دقائقاً
 حفظت بلاداً كنت فيها مملكا
 وحاربت قوماً اهل باس وشدة
 وكنت عليهم ظاهراً في مواقف
 اقر بذنا خضم هتمت ذراعه
 وفي الشام لما ان بغى الناس واعندى
 نهضت لاختماد الفساد بهمة
 حققت دماء حرم الشرع سفكها
 بذلت من الاموال وفراً بثله
 صنيعة هذا ليس يقدر قدره
 قصدت به مرضاة ربك تخلصاً
 ملوك الوري طراً حبك علائماً
 وصيتك عم الخائفين فلا يرى
 كفى اهل هذا العصر عزاً ورفعة
 وحق لي التشریف اذ كنت سيدي
 وجدك في سلمان قال مقالة
 لارفل في قومي بثوبي كرامة
 اقل عثراقي واتخذني لمحككم
 فما كان من النى الدراري يصوغها
 واني وان قصرت فالعذر وضح
 فلا زلت ملحوظاً بعين رعاية
 وما بسط الداعي الا كف لربه
 وما اشرفت شمس وما هبت الصبا
 ومنهم الشاعر الاديب سليمان افندي قوله فقال

شقيقة الروح ما اجرى الدموع دماً
 ولا اطار منامي عن موطنه
 وساق بينك لي روعاً نفى ورعاً
 كنت الصؤل به طفلاً وتحتلماً
 الا فراقك دن الآل والندما
 غير الصدود الذي سرت به الخصما

سقام لم ادر تعذبي بايهما
حكمت لي بالهوى والجور عادته
الله بي فاقدر اصيحت سيفه وجار
هيات لا صبر بعد الهجر يسعني
ان كنت سالية عهدي فقد شئت
اما انا فكما تدرين مكتئب
رضيت بالثوق قوياً والغرام ردا
ان كان بينك ضيقاً فاللقا فرج
حاني الشام وقد دارت دوائرها
وكشف الضر عنها بعدما عاثر
الامعي لابي العبقري ابو ال
السيد السند الفرد الذي انقسمت
وجاءه من ملوك الارض كل ثنا
وانجم من نياشين مكرمة
تسمو الملوك بها قدراً فتحملها
يا من تخوف دهرًا عاث اذله
هو الامير الذي فلت صواره
فذا الزمان وحيد العصر خيره
المشبع اقوم اطيّاراً اذا التمسوا
در الغمامة الا ان صيبه
لو لم يكن اوحدا لواحدا ما اجتمعت
الله يا ابن المعالي بي فقد نهبت
وقل صبري وما صبري وقد باغ السيل
كانت جوائز شعري عندكم ذهباً
فاردد بجاهك كيد الحاسدين على
فامن علي بها يا سيدي كلما
نخورهم وعلى مداحك النعما

ومنهم الاديب نقولا افندي النقاش البيروتي قال

دع عنك تشبيهاً بوصف محاجر
ودع التغزل في ظبا وجآذر
واطرب بوصف مناقب ومكارم
والهج بذكر محامد ومفاخر

شرف الفتى يهوى جميل مناقب
واقصد حما الفخياء واجثو خاشعاً
وقل السلام على ربوع غيثها
مولى به كملت صفات سميته
مولى له الآساد ترجف خيفة
هذا الامام لكل مفضل وكم
مولاي انت الى البرية كوكب
يا كوكباً بالغرب اشرق لامعاً
نعم الزيارة سيدي نلنا بها
وسماء فكرتك السخية امطرت
يا سعد عبد تابع ارشادكم
يا صاح ان رمت السعادة فاتبع
واسلك سبيل العدل لاتعدل الى
وعن اكتساب المجد لا تغفل ولا
واسلك بطوع الله لا تهوى الى
نعم الفتى من ليس يحفل بادل
ما يجد ذي الدنيا وزينة نفخها
والواثق المغرور في اوغادها
وموءل منها دوام سعادة
كبحاول بين البرية ان يرى
هذا الامير ابو المعالي والنهي
ملك حوى النسب الصحيح مسلسل
ذو همة عربية وطهارة
حاز الفضيلة والرصافة والحجى
واذا توالى الحرب يوم كريمة
يلقى العداة بكل اشهب ضامر
فكانهم خلقوا لوطأة نعله
تشكرو رقابهم الى صمصامه

من ان بيت اسير طرف ساحر
في باب كعبة بيت فضل ذاخر
فضل الامير الشهم عبد القادر
فانار فضلاً كل نجم زاهر
وتراه يرجف خوف رب قادر
عزت بوطئته رؤس منابر
تهدي الانام بنور فضل باهر
وسرى لافق ديارنا كالزائر
من جود كفك بحر خير وافر
غيثاً من العلم الشريف الطاهر
يهدي بنبراس العلوم الزاهر
آثاره تحظى بحسن ماثر
طرف الضلال سبيل عبد فاجر
تشغلك عن مولاك ذات اساور
طغيان ابليس اللعين الكافر
وعداً جليلاً بالدفى الحاضر
غير التلاهي بالضمير القاصر
مثل الحريض على الخيال الغابر
وثبات موعدها الخوئن الغادر
نداً الى مولاي عبد القادر
الطاهر ابن الطاهر ابن الطاهر
وعلا انعالي كابرًا عن كابر
حسنية ومهابة كالناصر
وجمال خلق عن كمال سافر
رد الخميس بعزم زند قادر
ينساب فوق جماجم ومغانر
او تربهم من ترب وقع الحافر
شكوى الجريح الى العقاب الكاسر

والنسر صام اذا دنا من جيشه
تجتو لسطوته الصفوف مهابة
سل عنه آل الشام يوم مصابهم
يوم به مطر السحاب مصائباً
والبيض تلح والاسنة تشرع
والقوم بين مهرول ومجنبدل
ومواقع ومدامع ومعامع
او نادب او هارب او غارب
والنار تبتلع الديار باهلها
وحسام مولانا الامير يصونهم
تلقاه يخترق المعامع منقذاً
حتى اذا ما فاه داع باسمه
داوى يحكمته الجراح وقد غدا
حقن الدماء وصبان عرضاً عالياً
ابدى بهيمته العجائب وانما
سل امة الافرنج عنه في الوغى
قعدته من اقصى البلاد كبارها
ما عدت ماجورا فتى ما زاره
ياتون سدته الشريفة خشعاً
فيرهم الوجه المكلل باليهما
فيرون شهماً بالمحامد رافلاً
يسري ويوميء بالانامل نحوه
وملائك الرحمن حول جنبه
فبعيدهم يتسابقون لحده
يصفونه وسنا الصواب دليلهم
اني لهم تعداد كل صفاته
وبحصرها قد اعجزت كل الورى
مولاي هب طال الكلام بمدحك

يكفيه من قتلى العدو الخاسر
واذا هم وقفوا فوقفة صاغر
لما حاسم بالحسام الباتر
ظلموا وشمس العدل تحت ستائر
ما بين ذباك العجاج النائر
ومذافر وتخاوف وتخاطر
او هاجد او شارد او نافر
او صائح او نائح او حاسر
حتى غدت لجسومهم كمقابر
من كل فتاك ظلم غادر
غنا غدت في قم ذئب كاسر
فرت جيوش الظلم مثل الطائر
لعظيم ذاك الكسر اعظم جابر
طوعاً لدين بالايانة آمر
عجب العجائب فعله بجزائر
ان لم تفه افواه ضرب الباتر
لتفي بسمعها فروض الزائر
هب طاف بالقدس الشريف الطاهر
والقلب يخفق فرحة كالطائر
لطفاً ويشملهم بحسن مآثر
يخنال بالمجد الرفيع الزاهر
فوق المعالي تحت عقد خناصر
لتقيه من عين الحسود الغادر
ولمده بلسان افصح شاكر
ما بين اقران وبين عشائر
وعداهم ادراك بعض الظاهر
من حاسب او ناظم او ناثر
فبوصفكم ما زال اقصر قاصر

وانا الذي في وصف غيرك قاصر
هذي صفات منك تهديني الى
رصعها درراً انت كقلادة
واتيت اهديها الزمان واهله
يتسابقون لحفظ نظم بديعها
وسناء مدحك ضاء في ابياتها
يملي فتكتب والعيون قريرة
لكن بمدحك صرت اول شاعر
مدح وترشد للفصاحة خاطري
ترصيع نقاش خبير ماهر
فغدت لهم كجميل طوق فاخر
يتنافسون بكل بيت عامر
يجلو عن الابصار كل سنائر
هذا سنا مولاي عبد القادر

❖ ومنهم الاديب اسكندر اغا اباكار يوس البيروتي ❖

فانه الف كتاباً سماه نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان وقدمه الى حضرة الامير ونص
ما كتبه بعد الديباجة وترتيب ابواب الكتاب وقد قدمته خدمة الى اعقاب نجر الموالي .
وبهجة الايام والليالي . وحيد دهره . وفر يد عصره . عمدة الامراء . وتاج الكبراء . من شاعت
فضائله في الآفاق . وامتلات بمدائح و ذكر اوصافه الحسنية بطون الصحف والاوراق .
ذو البأس الشديد . والرأي السديد . الذي شمله الله بالنعمة . وخصه بالفراسة والحكمة .
ومكارم الاخلاق وعلو الهمة ورفعته على اقرانه بالشرف والسيادة . وجعل ايامه السعيدة قرّة
عين السعادة . الامير المنعم . والهام المكرم . والشجاع المقدم . والليث الغششم . معدن اللطف
والكرم . صاحب الجند والعلم . الجامع بين شرفي النسب والقلم . مولانا عبد القادر بن محيي الدين
الحسني ابقاه الله مدى الدوام . وحرسه من نوائب الليالي والايام . ما غنى الهزار وناح
الحمام . بجاه الانبياء . عليهم الصلاة والسلام . وبناء على ما شوهد من حسن خصاله .
وجودة اخلاقه . وكثرة افضاله . قلت مادحاً مناقبه الفريدة . ووصافه الحميدة بهذه القصيدة

لباب مولاي عبد القادر ابتدرت
هذا الامير الذي باهى الزمان به
انعم به من امير ماجد فطن
هذا الامير الذي صارت فضائله
مرلى له في سماء المجد منزلة
فريد عصر تساني عن مثاله
حلوا الشائل ممدوح الخصال وكشـاف
تري المعارف في اعنابه اجتمعت
ايات مدح اصابت اصدق الكلام
والطاهر الاصل والاباء والشيم
قد خصه الله بالاحسان والكرم
في الارض اشهر من نار على علم
رفيعة الشأن لم تدرك ولم ترم
في الحزم والعزم والآراء والنعم
المعاصل ما خفي السيف والقلم
وكل فن من الآداب والحكم

الجاعل العلم مثل الروض مزدهراً
والجاعل الخير نوراً للعيون فما
لجوده في البرايا كل مكرمة
تثني عليه دمشق الشام ما انتشرت
زهت بهيمته العلياء واكتسبت
اقام ذكراً الى يوم النشور بها
احيي النفوس باذن الله حين كفى
اتي به الله كنه المستجير فمن
يا ايها السيد المرحوب جانبه
هاك الكتاب الذي لو كان يمكنه
يرجولديك قبولاً طاب مورده
لا زلت في درجات العز مرتقياً
واسلم ودم ماسرى نجم وما طلعت

لما جرت فوقه ايديه كالديم
تخشى الضلال بداجي ليلها العتم
وللثناء عليه كل مزدهم
في سفع قيسون ليلاً نقمة الخزم
نحراً على كل مدن العرب والعجم
تكاد ثقروء الاموات في الرحم
شر العتاة ولم يسبح بسفك دم
يحمي نجا الحكماء حل في حرم
والمرتجى غوثه في الاعصر الدم
سعى على الراس طوعاً لا على القدم
فذاك يحسبه من اعظم النعم
في صفو عيش رغيد غير منصرم
شمس وما غرد الشحرور بالانعم

﴿ واهدى اليه الاديب رزق الله افندي حسون ﴾

﴿ ديوانه المسمى بالنفثات وكتب له في ذلك ﴾

امولاي عبد القادر السيد الذي
كتابي وقد اهديته تحفة الى
واضحى جميل الشعر فيه الثناء على
هدية عبد يرتجيك قبولها
وان كانت النذر القليل فانها
وكتب في آخر هذا الديوان قصيدة ذكر فيها رحلته الى القوقاس وختمها بدم الامير

وقانا لوجه الله شانيك ابر
علاك ليحظي في الوري حين يشهر
مكارمك الغراً مدى الدهر تشكر
لسنة جود عن سليمان تذكر
لجملة مالي والمقل ليعذر

﴿ ومن نوه بذكر الامير في هذا الخصوص الجمعية المعروفة بجمعية ﴾

﴿ عمل الخير واعانة المصابين في البر والبحر ﴾

وهذا نص ما بعثت به اليه : ان جمعية المصابين المؤلفة من اعيان الامصار
ووجوه المدن الشهيرة في فراسا قد اتفقت كلمتها على ان يكون الامير عبد القادر
رئيس شرف لها وانما فعلت هذا لتوه كد له عظيم اعتبارها لجنابه الشريف وجزيل

تشكراتها الذائقة لما ابداه من اعمال الخير الجسيمة في سورية سنة ستين وثمانمائة وبناء على ذلك بعثت اليه هذا الرقيم كالشاهد على عقدتها لما اتفقت عليه وذلك في باريس آخر يونيو (حزيران) سنة احدى وستين وكانت الجمعية الاميركانية الشهيرة بالشرقية القائمة بتأليف تاريخ العالم سبقت هذه الجمعية الى مثل ما فعلته وارسلت الى الامير نسخة من تقريرها وصورته بناء على تقرير الجمعية الاميركانية الشرقية وعلى قرار المجلس قد اعلنت بتعيين الامير السيد عبد القادر بن محيي الدين عضو شرف لها تشرف بذكره وبعثت اليه بهذه النسخة المطابقة للاصل اعلانا بما قررته في باريس في الثاني عشر من لوليو (تموز) سنة ستين وثمانمائة . والف .

✽ ذكر ما نشرته بعض الجرائد الاوروبية من اخبار الحادثة الشامية ✽

ذكرت جريدة مندا بولس نمري الفرنسية في رابع اوجسطس (اب) سنة ستين وثمانمائة تحت عنوان عبد القادر امير معسكر سابقاً ما نصه ان حوادث سورية المحزنة قد اظهرت للوجود اسماً كان محجوباً بغياهب الغربة وهو ذاك الاسم الذي طالما كررته السنة الامة الفرنسية بالرجفة والاضطراب هو ذلك الاسم المرسوم باحرف دموية من شاطئ نهر شلف الى رمال الصحراء في الجزائر وقد ايدت له قناصل الدول ونصارى دمشق الشكران الجميل في سورية وبذلك انكشف عن زياه الحجاب الذي كان ساتراً لها وغدونا جميعاً نتبارك باسم عبد القادر وهو الذي اقتحم الاخطار لاجل اوائك المساكين من ايدي سافكي الدماء ثم جمعهم في قصره وافاض عليهم من سجال كرمه وبره وقام فرسان المغاربة الامناء بمساعدته احسن قيام فبذلوا وسعهم في انقاذ المسيحيين وحمايتهم من اعتداء سفهاء الشام والدروز هو ذلك الرجل الذي كان يلوح على وجهه من امارات الثبات وعلامات الحزم والفطنة ما يدل على شرفه واتصال نسبه بالرسول هو ذلك الرجل الذي اقام في منفاه سنين ولم يتغير عما كان عليه من المحافظة على الاوامر الشرعية واداء الحقوق الثابتة للانسانية هو ذلك الرجل الذي كان عدواً لدولة فرنسا واقام مدة سبع عشرة سنة ينادى بالجهاد فيها ثم ان ما نسبته اليه اعداؤه من الانعمال الغير اللائقة كقتل الاسرى والخنث في اليمن الى غير ذلك مما نسبوه اليه وياً باه طبعه الكريم قد كذبه تحريره الشهير الذي بعثه الى لويس فيليب ملك فرنسا الدال على كرم اخلاقه ولطف جانبه وكانت وقتئذ نيران الحرب مضطربة بشدة لا مزيد عليها ومن جملة ما ذكره في ذلك المکتب قوله اني اريد منك ايها الملك ان توافقي على اجراء الفدية في

اسرانا واسراكم فلم يجبه الملك ثم أعاد طلبه هذا ثانيًا وثالثًا فلم يجبه ثم بعد سنين في آخر امره شاع في فرانس ان جنودًا فرنسوية وقعت اسرى في يد العرب وانهم قتلوا اشرف قنلة وان ذلك كان بأمر الامير وهذه الحادثة كانت في دائرة الامير في بلاد مراکش وهو غائب عنها في الجبهة الشرقية من بلاد الجزائر ولما بلغه خبر هذه القضية واتصل به ما نسب اليه من الامر بالقتل كتب الى حكام الجزائر يقول من العجب انكم تنسبون الينا ما وقع بالاسرى مع انكم تعلمون علم اليقين ومشاهدة العين بانني بعيد عن الدائرة بمسافة مائة وثلاثين ساعة للراكب المجتهد في السير فظهر من هذا ان الامير لم يأمر بقتل الاساري وان ناخره عن قصاص الذين قتلوه في غيبته بغير اذنه انما كان لعجز سلطته اذ ذاك وعدم طاعة العرب لكلمته وغاية الامر فان مزايا الامير واخلاقه الكريمة كانت دليلًا على شرف نفسه وتقدمه في الجزائر كما هو الان في سورية وبرهانًا قويًا على طهارة قلبه وارادته الخير الى سائر عباد الله وعند انتهاء امره وطى بساط ملكه كتب الى الجنرال لاموريس قائد الجيوش الفرنسية يقول انني حاربتكم مدة طويلة والان يكتفي ان الحق ببلاد الصحراء واستمر فيما كنت عليه من قتالكم وشن الغارة على البلاد التي تغلبتم عاينها الا انني تخليت عن ذلك فان كان يكتفي ان تحاربني باهلي ومن معي الى الاسكندرية او الى عكا فانا اسلم لكم سبيل فاجابه الجنرال الى ذلك واعطاه فيه ميثاقًا وعهدًا باسم فرانس وموافقة ابن الملك حاكم الجزائر وقنصل الدوك دومال ثم اتفق له نظير ما حصل ل نابوليون الاول فانه لما انكسر في الحرب وسلم ذاته الانكليز عدلوا به عن مدنها وامصارهم ونفوه الى جزيرة القديسة هيلانة وفيها مات والامير عبد القادر بعد ان استند الى عبيد ابن الملك وسلم نفسه اليه اخذه اسيرا الى طولون ولكن الباري تعالى اتاح له احد ورثة نابوليون الاول فبادر عند جلوسه على عرش امبراطورية فرانس الى تسريحه وتخليه سبيله وفاء بعهد فرانس وحفظًا على شرفها وعلى كل حال فنحن نبذل الجهد في اداء الشكر للامير على ما اظهره من العناية في حق المسيحيين والحضرة الامبراطور نابليون الثالث لمحافظة على شرف فرانس

وذكرت جريدة اخرى ما نصه انه يوجد في ذات عبد القادر شخصان احدهما امير الجزائر والعدو الخفيف للفرنسيين من ثلاثين وثمانمائة الى سنة سبع واربعين والثاني الامير الموجود الآن في سورية المخلص لالوف من النفوس في حادثة دمشق المبهولة سنة ستين فالامير هو الرجل الوحيد الذي ظهر في مكاتين بعدين بصورتين

مختلفين وامسى الفرنسيون مديونين له بدين هم مجبورون على ادائه له الامير عبد القادر هو ذلك الرجل الباسل الذي ابدى امورا واعمالا لم يكن احد ينصورها ولذلك كانت جديرة بان تدون في اجمل تواريخ العالم واخر ما نقول ان عدونا القديم في الجزائر قد جعله الله الان سببا لانتقاد المسيحيين في الشام

(وذكرت غيرها) ما صورته الامير عبد القادر هو رجل مشهور في العالم دافع عن وطنه وحرية ثم حكم عليه القدر الالهي فسلم لاعدائه فنقلوه الى بلادهم على خلاف الشرط الذي اشترطه عليهم وجعلته حكومتهم اسيرا آيسا مدة سنين غير ان شهما من سلالة ملوكهم المشهورين كان يضاھيه في النباهة اعطاء حين رآه برمانا وثيقا وعيدا متينا على ان يخلصه ثم وفي بعده وخلصه من تقلبات الايام وذلك عند انقلاب الحكومة وارثقائه على كرسيا فبسلطة ذلك البرنس الذي صار امبراطورا ارجعت الامير الى حرية التي طالما دافع عنها ثم اصبح نائما للاسلام واطفا عن اهله نار فتنة عظيمة وذلك بواسطة دوران دولاب سعده واضحى في مركز قوي في العالم وركنا بين عظمائه وصار يخاطب من الملوك باللقاب الموضوعة لاعظم المشاهير وكيف لا وقد دافع عن الزمار والذمة وحافظ على مقام الوفاء بكرامة كما عمل في بداية امره في وطنه وباجملة ان سيرته الحميدة لا شبهه لها في التاريخ

(وفي هذا) القدر من كلام الجرائد كفاية وقد كان بين الامير والشيخ شمويل الداغستاني مواصلة ومراسلة ولما بلغه خبر الحادثة كتب اليه يعسوب فعله وهو اذ ذاك مجبور عليه عند دولة روسيا ونصن كتابه الى من اشتهر بين الخواص والعوام وامتاز بالمحاسن الكثيرة عن جملة من الانام الذي اطفأ نار الفتنة قبل الهيجان واستأصل شجرة العدوان رأسها كونه رأس شيطان المحب المخلص السيد عبد القادر المنصف السلام عليكم وبعد فقد قرع سمعي ما تجبه السماع وتفرغ عنه الطباع من انه وقع هناك بين المسلمين والمعامدين ما لا ينبغي وقوعه من اهل الاسلام وربما كان يفضي الى امتداد العناد بين العباد في تلك البلاد ولذلك عند سماعه اقشعر منه جلدي وعبست طلاقة وجهي وقلت ظاهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس وقد تعجبت كيف عمي من اراد الخوض في تلك الفتنة العظيمة من الولاة عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من ظلم معاهدا او انقصه حقه او كلفه فوق طاقته او اخذ منه شيئا بغير طيب نفس فانا نجيجه يوم القيامة وهو حديث حسن ثم لما سمعت

انك خففت جناح الرحمة والشفقة لهم وضربت على يد من تعدى حدود الله تعالى واخذت قصب السبق في مضمار الثناء واستحققت لذلك رضيت عنك والله تعالى يرضيك يوم لا ينفع مال ولا بنون لانك احيت ما قال الرسول العظيم الذي ارسله الله رحمة للعالمين ووضعت من يتجرأ على سنته بالمخالفة نعوذ بالله من تجاوز حدود الله ولكوني ممتلاء بالرضى عنك كتبت هذه الرسالة اليك اعلاماً بذلك والسلام
حرر سنة سبع وسبعين ومائتين والف شمويل الغريب

فاجابه الامير بقوله الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر اخوانه من النبيين والمرسلين انه من الفقير الى مولاه الغني عبد القادر بن نجي الدين الحسيني الى الاخ في الله تعالى والمحب من اجله الامام شمويل كان الله لنا ولكم في المقام والرحيل وسلام الله عليكم ورحمته وبعد فانه وصلني الاعز كتابكم وسرني الالد خطابكم والذي بلغكم عنا ورضيتم به منا من حماية اهل الذمة والعهد والذب عن انفسهم واعراضهم بقدر الطاقة والجهد هو كما في كريم علمكم مقتضى اوامر الشريعة السنية والمرؤة الانسانية فان شريعتنا متممة لمكرم الاخلاق فهي مشتملة على جميع المحمد الموجبة لائتلاف الاشغال الاعناق والبعني في كل امل مذوم ومرته وخيم ومرتكبه ملوم ولكن

يقضى نلى المرء في ايام تحننه حتى يرى حسناً ما ليس باحسن
فانا لله وانا اليه راجعون على فقد اهل الدين وقلة الناصر الحق والمعين حتى صار يظن من لا علم له ان اصل دين الاسلام الغلظة والقسوة والبلادة والجفوة فعبر جميل والله المستعان ومنذ زمان بلغنا وصولكم عند ملك روسيا وانه فعل معكم ما هو اهله من الاحسان وازلكم من الاكرام ارفع منزل ومكان وسمعنا انكم طالبتهم منه تسريحكم الى الحرمين الشريفين فسال الله ان يجيب مطلوبكم وينياكم مرغوبكم وامبراطور روسيا من اعظم ملوك الارض شائناً واحرصهم على تخليد المناخر في بطون الدفاتر فترجوكم من حضرته الفخيمة حصول الارب بلا نصب ولا تعب كما فعل معنا الامبراطور نابليون الثالث فانه فعل معنا من سني الافعال ما لم يخطر لاحد في بال والمرجو في الحقيقة هو الله المعبود لا معبود سواه

حرر في اول جمادى الاولى سنة سبع وسبعين ومائتين والف وفي سنة اثنين وثمانين فكتب الى الامير ما نصه

الى ذي النسب الطاهر واللب الباهر السيد عبد القادر عليكم السلام الاسنى

ولكم الدعوات الحسنى اما بعد فقد بلغنا مכתوبكم الشريف فرضيت عنكم والله تعالى يرزى عنكم حيث انكم ذكرتموني بخير ثم ان ما بلغكم من طامي من الامبراطور النخيم ان يأذن لي في زيارة الحرمين الشريفين والسكنى في الحجاز او القدس الشريف هو كما بلغكم واني متروقب دائماً حصول اربي هذا من جانبه السامي ومشتاق الى المواطن المباركة طول عمري وخصوصاً الآن حيث اني بلغت من العمر سبعين سنة وضعفت قوى نفسي وانا خائف من حلول اجلي قبل حصول اولي مع انه ليس لي مقصود آخر من الدنيا اعلا واهم من ذلك ثم الموت على الايمان في الحرمين مهيبط الوحي والغفران واني اوصيكم بالدعاء لنا والسلام كتبه في بلدة كالوكه اخوكم في الله تعالى الشيخ الهرم الداعي لكم كشرًا محمد شمويل وتدا اجاب الله دعاءه حيث انتقل الى الحجاز وتوفي في المدينة المنورة ثم في سنة ثلاث وتسعين بعث ولده الى الامير مانعه

(بعد) حمد الله والصلاة على رسوله وآله الى اكرم الكرماء وشرف الشرفاء والمائز لشرفي الحسب والنسب سلالة سيد المرسلين المخلص بزيد العناية من الملك العين الغازي السيد عبد القادر بن نحيي الدين السلام عليكم والرحمة من الله والرضوان بجرمة سيد الانس والجان آمين اما بعد فلما طال انقطاع تغاربتنا وعدم اعلاننا على احوال ذاتكم العلية واخباركم الشريفة البهية ارسلنا هذا مستخبرين عن احوالكم الكريمة عسى الله ان يحفظكم مما يوجب الحزن مدى الدهور والاعوام بجرمة سيد الانام وكنا قبل هذا ارسلنا مکتوبًا في مقابلة مکتوبكم السامي الذي تشرفنا به في السنة الماضية فاعل الله ان يجمعنا عن قريب هذا واننا نتوقع المحاربة بين الدولة العلية والروسية بالنظر الى القرائن الظاهرة فسال الله ان يرزق النصر لاهل الاسلام لاحياء شريعة سيد الانام وان وقعت هذه المحاربة فعسى الله ان يرزقنا فيها اللقاء بالملاء الادلى ويجعلنا من اهل الجهاد والسلام من الفقير الغازي محمد بن محمد شمويل

﴿ ذكر توجه الامير الى حص وحماء ﴾

لم يزل الامير منذ قدم الى دمشق متعطشا الى زيارة السيدين الجميلين سيف الله خالد بن الوليد وخامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وكثيراً ما كان اهل حص وحماء يدعونه الى ذلك وهو يعدم ويصف لهم ما هو عليه من التشوق الى زيارة تلك المشاهد المباركة والذبك بها الى ان تهيأت الاسباب ولما بلغ اهل حص

خبره استقبله خارجها الخواص والعوام واحتفلوا لقدمه ولاول وصوله فاتحه العالم الفاضل
السيد خالد افندي الاناسي بقصيدة امتدحه بها وهي قوله

حمد ربي بدت بافق المناء	شمس انس جلّت دياجي العناء
وغدا الروض ذا افترار يف	تر اذا ما بكت عيون السماء
فكان القرنفل الاحمر الغض	اذا فتقته ايدي النداء
جنت من ياقوتة فوق غصن	ينثني من زيرجد مصفاء
ليت شعري وليتني كنت ادري	ما بذا الروض قد بدا للرأي
اعيون ام نرجس ووجوه	ام بدور ام نجوم الجوزاء
وغصون تمايلت ام قدود	ووجينات ام شقائق الرماء
لا تلمني اذا خلعت عذارى	يا عدولي فذاك عين اهتداء
كيف لا اخلع الاعنة جهراً	طربا بين السادة النداء
ومدام السرور في كوهوس البش	ر سقينها من اكف الظباء
لو ترى النهر يصفق من ابر	ناسه ما عدلتي بغناء
او ترى الكون راقصاً من سرور	كنت اولى بجمع ثوب الحياء
انني مذ رأيت اكناف حمص	تجلى بايكم المقياء
وثغوراً لها تبسم بشراً	وهي تيهاً تجر ذيل الهناء
وهزاراً بها يغني حبوراً	في راض لها برصد الصباء
سأها عن تجاهل لا جاء	ل فشمس الفعي بدت عن خفاء
ناشدتها علام تيهك قالت	حق لي حق لي ورب السماء
انت يا منشدي اناشدك الله	ه فنادي مصرحاً بالنداء
مرحباً مرحباً وهلاً وسهلاً	بالامام الهمام ذي العلياء
هو بحر العلوم درة عقد ال	مجد نخر الوجود كنز العطاء
جبيذ قد زكا زكاه وابدى	من سنا هديه ضياء ذكاء
قد سما نسبة لبيت رسول الا	ه نحى بعين سين وراء
هو مغني اللبيب في قطر لفظ	يمنح الدرّ للربد الشائي
من مراقي فلاحه نور ايضاً	ح بدا كالمنار في الظلماء
قد كسا منطق البديع بياناً	ليس يتحوه انقه البلاء
فاذا عنعن الحديث يقول ار	ويه عن جدي سيد الانبياء

يا لله سيداً واکرم به مو
يا هاماً بدا لمقدمك الزا
عش سعيداً انت المجاهد في الا
ليس ينسى العدا منك ماذا
طالما اذقتهم كأس حشف
يارعى الله راحتيك فكم
جئت مستمطراً سخابك ارجو
فالسما قبلة الدعاء ولكن
جل من اوجب المحبة فيكم
حبكم سرى في دمي نغسى اح
يا هلالاً نراه في الارض يبدو
هاك بكرة من خدر فكر تبدت
قد تغنت بمدح عليك لكن
خاب فكر اليب ثم وحات
فاقبل العذر سيدي من عبيد
فهي بكر لك زفت تنادي
وصلاة الصلاة تهدي دواماً
مع اصحابه الصباح وآب
ما شدا خالد الاناسي جهراً

لى له طائأت روهوس العلاء
هي هلال الصفا بنور الهاء
ه ولا زلت اسعد السعداء
قوا وينسون طعم كأس الرءاء
من يد البيض والقنا السمراء
ادارت لتزيقهم رحي الهيجاء
ك دعاء في الغيب يا مولائي
انت افديك قبلة للسماء
آل طه وخصكم بالثناء
شرع مع من احب يوم الجزاء
وحواليه انجم الاهتداء
تجلى وبرقت بالحياء
ترتجي العفو عن قصور الشناء
في مزاياك السن البلاء
ما له طاقة للسماء
ان مهري تجرد الاغضاء
لني نحي سطور العناء
اطلعوا طالع الهدى والنقاء
حمد ربي بدت بافق المناء

وبعد ان زار مشهد سيدنا خالد رضي الله عنه توجه الى دير سيمان فزار
ضريح سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ثم سار الى حماه فدخلها في احتفال
عظيم ونزل عند مفتيها الفاضل شيخ السجادة القادرية بها السيد محمد افندي
الازهري بالمنتزه المعروف بالطيارة ولما رأى الامير الناعورة الموجودة فيه انشد قائلاً

وانعورة ناشدتها عن حنينها
فقلت وابت عذرها بقلما
الست تراني انقم الثدي لحفة
وحالي كحال العشق بات مخالفاً
يطاطى حزناً رأسه بتذال

حنين الحوار والدموع تسيل
وللصدق آيات عليه دليل
وادفع عنه والبلاء طويل
يدور بدار الحب وهو ذليل
ويرفع اخرى والعويل عويل

وقد حصل له في حمص وحماء ونواحيهما من جميد الذكر وجميل النشر ما لا
تزال الرواة تدرسه والتواريخ تحرسه وبعد ان اقام في حماه اياماً في اكرام واحترام
عند اهلها خصوصاً اولاد القطب الغوث الرباني سيدنا عبد القادر الجيلاني ثم توجه
الى بعلبك وهي مدينة قديمة شهيرة فرأى من ابنية هيكلها وآثار الاقدمين فيه
ما بهر افكاره وعند وصوله اليها اتى الخبر بانتقال ساكن الجنان السلطان الغازي
عبد المجيد خان وارنقاء اخيه السلطان عبد العزيز خان على سرير الخلافة فحصل
له من الحزن والكدر على هذا المصاب العظيم والرء الجسيم ما يعجز عن وصفه
القلم واللسان وتذكر نعمته عليه واحسانه اليه وسر بادالته باخيه ولما اجتمع اهل
البلدة واصطفوا العساكر السلطانية المخيمة فيها وقتئذ للقيام بشعائر التعزية ثم التفتة
تقدم حاكم البلد واعيانها الى الامير وقدموه للدعاء فدعا بما يناسب الحالين وندب
الى الصبر والرضى وعزى في امير المؤمنين خليفة الله ثم هنا بامير الذي اعطى خلافة
الله والعاقل من قبل من الله افضل العطية وصبر له على اعظم الرزية وبعد ان
اقام في تلك البلدة اياماً رجع الى دمشق وفي آخر سنة ثمان وسبعين توفيت الى رحمة
الله تعالى والدته جدتي السيدة الجليلة الشريفة الاثيلة الصالحة الطاهرة السيدة زهرا
ابنة السيد محمد بن دوحه الحسنية عن ثمانين سنة فعظم عليه مصابها وبعد رجوعه من
دفنها بقبرة الدحداح جلس في الطريق للاستراحة فقال له بعض من كان معه ارفق
بنفسك قال له كيف ذلك وانا نقدت من كان يحبني على وجه الارض وقدم الاديب
سليمان انندي صوله الى حضرته مرثية وهي قوله

جـورت يالهدا في الشام يحياها	وانت ياروحيا بشرالك في طه
ولا اقول اخفي في الرمس هيكلها	لكن اقول سماء لشمس موطاها
وهل تغيب الثريا في الثرى ومنى	اقول هذا الثرى للشمس وارها
وكيف تحتجب الاملاك في جدث	وقد يراها على الافلاك مولها
يا يوم ام امير المؤمنين لقد	اجريت وابل اجناني كجدواها
كنت دموعي من الياقوت جامدة	اذبتا من جوى قلبي فاجراها
ما كنت احسب ان الشام تنقدها	ولا افوه به حتى نقدها
وكنت اعجب من سير الجبال اذا	تسير يوماً فقد سارت رأيناها
ياويل نفس دليها لا تدوب اسي	ومقلة لا يذيب الدمع جنناها
ان النفوس التي تنفى اسي وجوى	في طاعة الله تسموان مدحناها

وحق ما قدمت لله من عمل
لو شاهدت حالنا من بعدها لبكت
من كان يعلم ان الموت غايته
تباً لغرارة تباً لزائلة
تذيقنا المشرب المسموم نحسبه
ومن يحقق بان الموت موعده
كما جفت بضعة المختار ما كرهت
وكيف تدهشها الدنيا بزيبتها
ان التي انتقلت كالشمس واخترق
تلك التي تمنح الاقمار طاعتها
اضحى التراب بديلا عن غلائلها
واعتاضت الطيب عن طيب الحياة وما
يا بضعة المصطفى الدنيا وما وسعت
على ضريرحك ما ناحت مطوقة
ولا تعدى السحاب الجون معشبة
وانت يا كوكب الدنيا وبهجتها
صبرا كما صبر الابرار لا برحت
نالله ان عيون المجد قد رمدت
على مصاب كهاب صابنا فكوى
ما حيلة المرء والايام غادرة
هذا الفراق فراق الدهر اجمعه
فراق والده سمحاء طاهرة
تسعى ملائكة الباري برحمتها
فأت بنشاتها الاولى مكرمة
وخلفت خلفا احبي ما اثرها
ليعمل العالمون العز ما عملت
كفاك مولاي في الاسلام تعزية
ابوك آدم والهادي ترشفها

لو جاورته الليالي السود ازهاها
عنا وقالت كفى فليبك من تاها
كيف استراح لها يوما وآذاها
تباً لدار تساقينا رزاياها
شهداً وما هو الا سم افعاها
يحفو الدنية لا يهفو لغناها
اباؤها وابيت عنو مولاها
وجدها ترك الدنيا والقها
كواكب الزهر واخنارت لها الله
وتودع الطيب طيباً ما ذكرناها
وجامدات الحسا اسني خباياها
طيب الحياة باذكي من سجاياها
تاقت بليل حداد عم اجزاها
تبكي السماء باسناها وانقاها
من رحمة الله تحواك طواياها
وخير من شق للرحمن افواها
علاك تحترق الدنيا ببيهاها
ولوث بدم الاكباد انقاها
منا انقلوب فاشواها واقلاها
هذي عوائدها ساءت سجاياها
فراق من بعد طول العمر تلقاها
غراء لا ينكر المحراب نقواها
سعي العفاة التي تبغى عطاياها
والله يكرم فرعا اصله طه
ولو يشاء باذن الله احيائها
من صالحات لعل الله يرضاه
ان المنية كاس الحق نقاها
وسوف ترشف الدنيا بقاياها

فتقى بربك عادات عرفت بها وافسرع تنال من الخيرات اوفاهها
كفالك يا خائف الاعلام واحدها شر اللئام واعمى عنك اعناها
ولا ازال الردى من عمرنا اجلاً حتى نراك على الاعداء تياها
ولا يرحت طويل العسر وافر تثاب خير ثواب يا فتى طه

﴿ ذكر توجه الامير الى الحجاز ﴾

كان اهم شيء عند الامير بعد خروجه من فرنسا حج بيت الله الحرام وزيارة نبيه الكريم عليه افضل الصلوة واتم السلام والتبرك بتلك المعاهد الشريفة والمشاهد المباركة المنيفة وما كان يمنعه من المبادرة الى ذلك الا ما كان من اسر والدته المسنة فانه كان يخدمها بنفسه ويغتني مشاهدتها وتجالسها وانقيام بشؤونها اثناء الليل واطراف النهار ولم يزل على ذلك الى ان توفيت رحمها الله راضية عنه داعية له ثم انه تفرغ الى ما كان مهتماً به وبعد استكمال ادية السفر خرج من دمشق واصحب معه السيد سليم حمزة والشيخ عبد الغني الميداني وقره محمد وعبد القادر بن رابح قاصداً الحجاز في اول رجب سنة تسع وسبعين وركب البحر من بيروت الى الاسكندرية فاستقبلته اعيان الحكومة وقناصل الدول بغاية الاعظام والاكرام ومنها توجه الى مصر لزيارة المشهد الحسيني وخرج الامام الشافعي رضي الله عنهما وغيرهما من مشاهد اهل البيت والاولياء والعلماء المشاهير فاستقبله اعيان الحكومة والعلماء وقناصل الدول وانزله خديويها سعيد باشا عنده واجزل ضيافته واکرامه واحفل طوسون باشا ابن سعيد باشا بآداب عظيمة اتخذها لوالده ودعاه اليها فكتب سعيد باشا الى الامير يخبره بذلك ويدعوه الى الحضور معه عند ولده

ونص ما كتبه : الى حضرة الامير والسيد الافضل المجل ذي المناخر والمآثر السيد عبد القادر بسم الله خير الاسماء وحمداً على نعمه لا تحصى ثناء كاثني هو على ذاته الاسمي الذي الف قلوب المؤمنين ودّاً ورحماً وصلوة وسلاماً على نبيه الذي لم يسمع في تبليغ ما امر به لومة لائم وسن لامته اخلاص المودة فيما بينهم بصنع الولائم وعلى آله واصحابه المتأدبين بأدابه وبعد فان ولدنا طوسون باشا حلاه الله بحلمة الادب والاخلاق الكريمة احب استجلاب حسن الرضا منا فصنع لنا وليمة شكراً لله على ما بلغه من العمر العام العاشر وتشكراً لنا على توسيع ثروته بالايثار الوافر وحيث ان حضرتكم لكم من مودتنا اوفى نصيب وحضوركم يحصل منه ما يحصل

من اقاء المحب للعيب فان تفضلتم بالاجابة فانه المشرف والمجيب ويكون تشریفكم
غداً يوم الجمعة التاسع عشر من رجب فصغوا الود هو الذي حمل على تحرير هذه
التمیقة واوجب حرر في ثامن عشر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين والالف
ثم لم ينشب سعيد باشا ان توفي وتولى مكانه اسماعيل باشا وقد دعي الامير كثير من
الاعيان والوجوه واحتفلوا اضيافته ودعاه رئيس شركة ترعة السويس مسيو فرديناند
دوليس وجماعته وامعوا في اكرامه واحترامه وبعد ان اقام اياماً في تلك النواحي
في اعزاز واجلال توجه الى القنال وركب منه الى الاسماعيلیة ثم ركب الدواب
الى مرسى السويس وتوجه الى جدة في الباوير وعند وصوله الى جدة بعث اليه
شريف مكة واميرها السيد عبد الله باشا يخبره بانه مستعد لاستقباله في الانتقال
والابهة خارج مكة المشرفة فاجابه الامير انه لا يقبل ذلك وانما يريد ان يدخلها دخول
عبد منكر الى بيت مولاه فدخلها وعلامة القبول لائحة واشارات الدنو والزلفى واضحة
وتلقاه الشريف عبد الله باشا بعد ان اتم عمرته وانزله بالمدرسة المجاورة للحميد
الحرام المعظم من الناحية الجنوبية القريبة من التكة المصرية وفي اليوم الثاني جاءه
الاشراف والعلماء الاعلام والافاضل والاعيان للسلام عليه ولاول وصوله كتب اليه
يخبرني بما اتفق له في رحلته كلها من الشام الى مكة المكرمة وكتب الى سائر
الاحباب ومن جملتهم صاحب السيادة السيد محمود افندي حمزة مفتي دمشق
فاجابه بما نصه

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده من النقيير صاحب التقصير محمود
الى مولاي وتقدوتي العارف السيد عبد القادر اعلا الله في مقام المعرفة درجاته
وامدني دنيا واخرى بامداداته واعاد علي وعلى المسلمين من صالح دعواته آمين اما
بعد حمد الله تعالى بمحامد تليق من عظمتة اكمله والتضرع له سبحانه وتعالى ان
لا يحرمني بواسطتكم مشاهدة جماله فاني تشرفت بورود كتابكم وتمتعت بلذيد خطابكم
حيث وافى وكنت اشتكي الم الفراق الصوري منوجعاً من وحشي وقصوري فسرى
به نوع مما بي وخفف بعض اوصابي وكان وصوله لدي قبل وروده الى الشام
بخمسة ايام وذلك انني رايت نفسي في عالم المنام كنتي اعطيت كتاباً ورد من
حضرتكم بخط مغربي وانا اقراه وافهم معناه من منطوقه وخفواه فاتميت وعند الصباح
اخبرت نجل مولانا السيد محمد بذلك فقال نعم قد تبهرت الرؤيا بورود كتاب لنا
البارحة بعد المشاء من اتباع مولانا يخبرون به عن وصوله وتم ما هنالك ثم بعد

مرور خمسة ايام حضر السيد محمد وافاد ان تعبير الرؤيا الان صحيح وهذا هو المكتوب فلما فككته وتشرفت بتلاوته ومبانيه ووقفت فكري في الفاظه ومعانيه قلت الان صحت الرؤيا وحصلت الامنية العليا وتمايت من عباراته وفتمت على قدر طائفتي ما تيسر من اشاراته وحمدت الباري سبحانه وتعالى أن كنت في خاطرهم ملحوظاً بعين توجهاتكم اذ ذلك بفضل الله ذخري وارجوه سبحانه التوفيق للعمل بقتضاه وسلوكاً على نهج قضاء ورضاه

ببذل نفوس في المرى شاد سادتي
لقد وهبوا منهم نفوساً زكية
واقعدني امساك نفسي حقيرة
فمن لي بنفس يا خليلي كريمة
فانهلوا نقدًا لوصول كرام
فاه ثم آه لو حصل انتشط من رباط ولكن الواثق احكم والامر اعظم والقلم
جنب والوسائط ترغب وانقاهر اغلب والعذر مردود تأباه العهود والسبب موجد والعجب
انه منقرد اذا ساقني اشاقني او ادناني ناداني واذا قصدت نقر وجدت كل ذلك
حق واعلقد انه صدق . مفاوز حارت في تيهها عقول الفحول ودانت لما مدعنة
بالعجز عن ادراكها اعتناق المعقول والمنقول فارجو من احسانكم ملاحظتي دائماً
والدعاء لي بالهداية وحصول العاية والوصول الى الغاية فهو تعالى جواد كريم ذو
الفضل العظيم ادام الله تعالى تنعمكم للعموم والخصوص من المسلمين وكان لامير لما وصل
الى جدة كتب الى رئيس شركة السويس ونائبه وغيرها يخبرهم بوصوله اليه فكتب
اليه نائب الرئيس وهو المباشر الاعمال في القنال ما نصه : الى حضرة نجر الاماجد
الكرام وقدة ذوي الفضل الفخام الامير السيد عبد القادر بن يحيى الدين حفظه
الله تعالى مدى الدوام غب بث اشواق وفيه لمشاهدة طاعتكم البهية اعرض انني
بينما كنت مترقباً لاستماع اخباركم السارة اذ في ابرك وقت ورد علي طرسكم
الكريم حاوياً بشائر سلامة افنومكم الفخيم ووصولكم الى جدة فحمدت الله على ذلك
وشكرت افضال سيادتكم على ما ابدىتموه لتخوي من اللطف العظيم بشحيركم
الي ذلك الرقيم ولا يخفي انني دائماً اترنم بحسن اخلاقكم وكمال اوصافكم بحيث
انكم لم تبرحوا من بالي ولم يفتر لساني عن ذكركم والان واصلكم طي هذا الكتاب
مكتوب من جناب مسيو دولسيس ومن اطلعكم عليه يتضح لديكم ان حضرة
مقدم سيادتكم الارض المدعوة ببيرو بلح وفيها قصر للسكنى وجنبنة ومزارع

متسعة وهذه الارض هي المكان الذي تلاقى فيه نبي الله يعقوب مع ابنه نبي الله يوسف عليهما السلام وهو مبارك لما فيه من التذكرة التفضيلة ومسيو دوليسبس لحسن اعتقاده في سيادتكم يحكم بان بحضوركم تحضر البركات والخيرات العظيمة فلذلك اراد ان يهديكم الارض المذكورة لتكون مسكناً مباركاً لكم ولذريتكم ويكون هو قريباً منكم وسيادتكم ما رأيتم الارض المشار اليها لما مررتم في البرزخ فهي كائنة في التربة الحلوة من النيل المبارك بالقرب من الموضع المعروف بالتمساح فاذا حسن موقعها عندهم فائناء سيادتكم بها والبشرى لنا بجواركم ثم واصلكم صورة ذاتكم وجرنال فرناوي مصور به ايضاً مروركم في البرزخ وسعادة والي مصر الجديد قد اظهر الميل الكلي الى نحو تربة السويس اكثر من سلفه سعيد باشا ونخبركم ان الامبراطور نابليون لما بلغه انكم مررتم في البرزخ سر بذلك كثيراً والله تعالى يحفظكم حرر في شوال سنة تسع وسبعين ومائتين والف

﴿ ذكر السؤال الذي وجهه الامير لعلماء مصر ﴾

ثم ارسل الى علماء مصر ما نصه : الحمد لله المالكية قالوا ثبت بالتواتر ان ستة اذرع او نحوها من الحجر من البيت والشافعية قالوا ثبت ظناً لا تواتراً ووجود التواتر عند احدي الطائفتين دون الاخرى مستبعد في مثل هذا وايضاً نقل القسطلاني عن ابن رشيد ان الشاذروان لم يرد له ذكر في خبر صحيح ولا سقيم ولا يذكره احد من قدماء المالكية واول من ذكره منهم ابن شاش وتبعه ابن الحماجب قال وهو مأخوذ من الشافعية بلا شك فهل هذا مسلم من ابن رشيد ام لا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(فاجاب عنه العلامة الشيخ حسن العدوي بقوله) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل بيته الحرام مثابة للناس وامناً . فحن اليه منهم في عالم الاشباح من اب في عالم الارواح فضلاً ومناً . والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبدك ونيبك ورسولك صفوة مخلوقاتك حسناً ومعنى . وعلى آله واصحابه الذين اخرزوا قصبات السبق في مضمار تلبية الاجابة فصاروا نجوم الهدى كفاحاً وضمناً . وعلى انصاره الذين بذلت اطفالهم مهجهم في تحبته واطهار دينه القويم علماً لا ظناً . فانتدبوا بالسيف ابا جهل وهو في صف الكفر حتى نظموه في سلك الرميم وما ضنت كبارهم بذلك ضمناً . ولا سيما من اقفى اثرهم في ذلك الجهاد الاصغر مع الاكبر فرن مجد عزه في

الخافقين رنا . وبعد فيقول اسير الشهوات . وكثير الهفوات . حسن العدوي الجزاوي
انه لما كان من اعظم المن الربانية والمواهب الرحمانية الوقوف على اصول السنة
المحمدية . انبعث خاطر ذي الهمة السامية العلية . والنفس الحيدرية الزكية . سيد
علماء زمانه . وبدر بدور اقرانه . انسان عين العرفان . ورافع لواء . عالم الشريعة في
السر والاعلان . الاستاذ المعظم . وامير الامراء المفخم . السيد عبد القادر ابن السيد
نحي الدين المغربي الواسطي الراشدي منشاء المجاهد في سبيل الله لاءلاء كلمة الله
طالباً منا الجواب عن مسلتين شرعيتين على سوءال ورد منه الينا مرسل من
مكة المشرفة بخطابه الشريف . وخطه المنيف . فقتشرفت وسررت حين اطلاعي عليه
وفيق الرحمن لسرعة تحرير المقصود له ليكون عدة بين يديه وقبل تبيض الجواب
على السؤال تصادف الاجتماع مع بعض الافاضل الاعلام . وكان عنده اشعار بحضور
السؤال فبادرني هل حررت المقصود من الجواب فقلت نعم غير انه الان مارسم
وكان ذلك بحضور ذي المجد الاثيل . والقدر الجليل . جرثوم الحسب والنسب الاصيل .
بدر بدور العصاة الصديقية . وشمس نقباء السلالة الهاشمية . نقر الاشراف السيد علي
انندي البكري فحمله حسن ظنه فينا حين وقف على حقيقة السؤال الوارد من
حضرة السيد المشار اليه آنفاً على ان اجعل لذلك الجواب رسالة مستقلة كما هو
الالقي مع ذاك الجنب الفخيم ورجاء ان يكون بها النفع المسلمين فانشرح لذلك
صدري وقلت سمعاً وطاعة ولا سيما اجابة لسيدني فلعل وعسى ببركتها تكون
وصلة عند سيد الكونين ورتبتها على ثلاثة ابواب وحائمة جاءلاً لكل مذهب من
الثلاث مالك والشافعي وابي حنيفة النعمان فصلاً يخصه في كل باب من البابين
الاولين . وسميتها كنز المطالب في فضل البيت وفي الحجر والشاذروان وما في
زيارة انقبر الشريف من المآرب . الباب الاول فيما يتعلق بالحجر الحرام وبيات
حده وهل هو من البيت او خارجه وهل كونه من البيت ثبت تواتراً او ظناً . الباب
الثاني فيما يتعلق بالشاذروان هل هو من البيت او خارجه وهل ورد في السنة ما
يدل عليه وهل ما نقله الامام القسطلاني في شرحه على البخاري عن ابن رشيد تدغير
رشد من المالكية ان الشاذروان لم يرد له ذكر في خبر صحيح ولا سقيم ولم يذكره
احد من قدماء المالكية غير ابن شاش وتبعه ابن الحاجب قال وهو مأخوذ من
الشافعية مسلم عن ابن رشد موافقاً لمذهب مالك او المذهب على خلافه وهذا مضمون
السؤال الوارد الينا من الاستاذ ولنظنه الشريف بخطه المنيف الحمد لله الى آخر

السؤال المتقدم بحروفه ثم قال ثم استطردت باباً ثالثاً في بيان اول من بنى البيت
وكم مرة بنى وذكر بعض الآثار الدالة على فضله وما يتعلق باركان الحج وواجباته
وسننه في المذاهب الثلاث المتقدم ذكرها نتمياً للفائدة وخاتمة لتعلق بفضل الحرم
المدني وزيارة سيد العالمين وصاحبيه المطلوبة على وجه الكمال والادب واسأل
الله العظيم متوسلاً اليه بوجاهة وجه نبيه الكريم ان يتفضل عليها بالقبول وان
تكون لجواب السؤال هي المامول ولنشرع الآن فيما قصدنا على الترتيب السابق
فاقول وبالله التوفيق لاقوم طريق

﴿الفصل الاول من الباب الاول﴾

في تحقيق جواب ما ذكر على مذهب مالك اعلم ان الذي عليه التحقيق والمعول
في مذهبه ان الحجر كله من البيت وان تحديده من الامام خليل بستة اذرع
يقتضي صحة الطواف عند غايتها ولو كان خارجاً ومعمد المذهب خلافه ونص العلامة
الامير في مجموعه وخروج جميعه اي الطائف عن الحجر واقتصار الاصل على ستة
اذرع ضعيف اه ونص الشيخ عبد الباقي علي قول العلامة خليل وخروج كل
البدن عن الشاذروان وستة اذرع من البيت تبع المصنف في التحديد بالستة اذرع
الامام الخفي ولكن الظاهر من قول مالك في المدونة ولا يعتد بما خافه داخل
الحجر انه لا بد له من الخروج عن جميع الحجر لان ذلك شامل للستة اذرع
وما زاد عليها قال وهو الذي يظهر من كلام اصحابنا ولطوافه عليه الصلاة والسلام
من ورائه وقال خذوا عني مناسككم اه قال المحقق البناني في حاشيته عليه فعلم ان ما درج
عليه الامام خليل في مختصره تبعاً للامام الخفي طريقة مرجوحة والراجح وجوب الطواف
من وراء الحجر اه وقال صاحب الطراز سئل مالك عن ممر الطائف في الحجر
فقال ليس ذلك بطواف فان الطواف انما شرع بجميع البيت اجماعاً فاذا سلك في
طوافه الحجر او على جداره او على شاذروان البيت لم يعتد بذلك وهو قول الجمهور
لانه لم يطف بجميع الكعبة قال وقد صين ذلك بالحواسر لاستكمال الطواف اه
ولعل اشارة الامام السيد عبد القادر الى زيادة او نحوها بعد تحديد الامام خليل
بالستة اذرع جري منه على المعتمد فله دره ما اكمله في دقة فهمه مع ادبه في
شان الائمة اقول ولكونه من البيت قيس عليه في صحة النفل فيه دون الفرض قال
الامام خليل وصح فيها وفي الحجر اي النفل لاسي جهة ومعمد المذهب رجوع التعميم

للبيت لا للحجر فلذا قال الامام عبد الباقي ناؤلاً عن الخطاب قال الذي ادين الله به واعتقه انه لا يجوز لاحد ان يستدير القبلة اي الكعبة ويستقبل الشام ويجعله عن يمينه او عن يساره وطريقة الامام الخمي الصحة لمن استقبل من الحجر القدر الذي تواتر انه من البيت وهو ستة اذرع واحتج بذلك بعض الشراح ردّاً على الخطاب القائل بعدم الصحة وقال بصحة من صلى النفل داخل الحجر ولو استدير القبلة او شرق او غرب قال وهو مردود لما نقله ابن عرفة عن الخمي ان صريح كلامه انه صلى خارج الحجر مستقبلاً له وكلام الخطاب في الصلاة داخله على ان ما قاله الامام الخمي ضعيف ولا يجوز ولا يصح النفل مستقبلاً للحجر مستديراً للبيت فاولى من صلى فيه قال ولا يحسن الرد على الخطاب بكلام الخمي لما علمت من اختلاف الموضوع بين المقيس والمقيس عليه على ان ما قاله الخمي ضعيف والقول بعدم الصحة هو المعتمد اه وقال الامام البناني على قول خليل وفي الحجر لاي جهة قال الامام الرماضي متعباً بكلام الخطاب قد يقال لا وجه لعدم ظهور الصحة لنص المالكية كابن عرفة وغيره على ان حكم الصلاة فيه كالتيت وقد نصوا على الجواز في البيت ولو لبابه مفتوحاً وهو في هذه الحالة غير مستقبل شيئاً وكذا يقال في الحجر على ما يقتضيه التشبيه اه قلت وفيه نظر لان ما نقله الخطاب صريح في ترجيح منع الصلاة الى الحجر خارجه كما دل عليه كلام عياض والقرافي وصرح ابن جماعة بانه مذهب المالكية خلافاً للخمي وح فمنع الصلاة فيه اولى من الصلاة خارجه والله اعلم اه وقال العلامة الدسوقي في حاشيته على عبد الباقي صرح الخطاب بعدم صلاة من صلى في الحجر لغير الكعبة مستديراً لما فقال له الشيخ سالم السنهوري كيف هذا مع ان الخمي صرح بان من كان -ارجاً عن الحجر يجوز له ان يستقبل في صلاته ستة اذرع من الحجر المقطوع بكونها من ظاهره ولو كان مستديراً للكعبة وح فيقاس عليه من كان في الحجر فيجوز له استدبار القبلة والصلاة فيه الى ان قال لكن يقل ان كلام الخمي ضعيف فما قيس عليه كذلك وح فالحق ما قاله الخطاب اه الى هنا انتهى تحرير المقام في كون الحجر من البيت واما قول الاستاذ السيد في أوّل سورة المالكية قالوا ثبت بالتواتر ان ستة اذرع او نحوها من الحجر من البيت والشافعية يثبتون ذلك ظناً مستبعداً لوجود التواتر عند احدي الطائفتين دون الاخرى لان التواتر يفيد القطع فلا يكون ظناً فهو مبني على طريقة مرجوحة في المذهب الامام الخمي

والراجح انه ظني لكونه لم يرو الا عن السيدة عائشة ولم يثبت في الصحيحين ولا في باقي السنن المشهورة نقله عن غيرها فهو حديث آحاد ونص الامام المحقق البناني على قول الشيخ عبد الباقي حكاية عن اللخمي استقبل من الحجر القدر الذي تواتر انه من البيت الخ قوله تواتر انه من البيت فيه نظربل كلام ابن رشد الذي في الخطاب صريح في عدم تواتره ولذا قال الشيوخ لا نعلم انه رواه من البيت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير السيدة عائشة رضي الله عنها مع البحث عنه اه وقال العلامة الدسوقي علي عبد الباقي قد يقال ان قول اللخمي سابقاً من استقبل القدر الذي تواتر الخ يقتضي القطع لكونه قبله لان التواتر يفيد القطع وبعد ذلك فالحق ان كون الستة اذرع من البيت انما ثبت بالآحاد لا بالتواتر اه فتخصيص السيدة عائشة في الموطأ والصحيحين وباقي السنن المشهورة برهان قاطع على عدم التواتر ونص الموطأ عن مالك عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ام المؤمنين ما ابالي اصليت في الحجر ام في البيت وحديث البخاري ومسلم عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الجدر بالفتح لغة في الجدار اي الحجر من البيت هو قال نعم قال الحافظ المسقلاني ظاهره ان الحجر كله من البيت قال وبه كان يفتي ابن عباس كما رواه عبد الرزاق ورواية الترمذي والنسائي وابي داود وابن عوان بطرق كلهم عن عائشة قالت كنت احب ان اصلي في البيت فاخذ صلى الله عليه وسلم بيدي وادخلني الحجر وقال صلى فيه فانما هو قطعة من البيت ولكن قومك اقصروه حين بنوا البيت فاخرجوه من البيت الى ان قال الحافظ والاحاديث المطلقة متواترة على سبب واحد وهو ان قريشاً قصروا عن بناء ابراهيم وان ابن الزبير اعاده على بناء ابراهيم وان الحجاج اعاده على بناء قريش قال ولم تأت رواية قط صريحة ان جمع الحجر من بناء ابراهيم في البيت اه وفي الامام الزرقاني على الموطأ اتفق العلماء على وجوب الطواف من وراء الحجر كما حكاه ابن عبد البر ونقل غيره انه لا يعرف في الاحاديث المرفوعة ولا عن احد من الصحابة فمن بعدهم انه طاف من داخل الحجر وكان عملاً مستبراً قال العلامة المذكور وهذا لا يقتضي ان جميع الحجر من البيت فاعله احتياطاً والعمل لا يقطع بالوجوب لاحتمال الندب اه اذا علمت ما تحرر وبالنصوص نقرر لك ان ثبوت كونه من البيت ظني لا تواتراً وح فما بناه الاستاذ في اول سؤاله من كونه ثبت عند المالكية تواتراً جري على طريقة مرجوحة للامام اللخمي وح فلا خلاف بين مالك والشافعي فلا تناقض ولا استبعاد حينئذ والله تعالى اعلم

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في تحقيق ما ذكر على مذهب سيدنا وولي نعمتنا الامام الشافعي)
 فنصوص المذهب قاطعة بان الحجر جميعه من البيت وكذلك الشاذروان وعبرة
 المنهاج للامام النووي ولو مشى على الشاذروان او مس الجدار في موازاته او دخل من احدى
 فتحتي الحجر وخرج من الاخرى لم تصح طوافه قال المحقق ابن حجر في تحفته عليه وهو اي
 الشاذروان بعض جدار البيت نقصه ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما من عرض
 الاساس لما وصل ارض المطاف لمصلحة البناء ثم سئم بالرخام لان اكثر العامة كان
 يطوف عليه ومن ثم صنف الحب الغيري في وجوب ذلك التسنيم صوتاً لطواف العامة
 وهو من الجهة الغربية واليمانية وكذا من جهة الباب قال كما حررته في الحاشية
 قال واستثناء ما عدا الركن اليماني منه لانه على انقواعد يرد بان كونه كذلك لا يمنع
 النقص من عرضه عند ارتفاع البناء وهذا هو المراد بالشاذروان في الجميع فهو عام
 في كلها حتى عند الحجر الاسود وعند اليماني وقوله او مس الجدار في موازته اي
 الشاذروان اي مسامته له او دخل شيء من بدنه قال وكذا ما يوسه على حد
 التأويلين والراجح عدم الضرر وقوله او دخل من احدى فتحتي الحجر بكسر اواؤه
 ما بين الركنين الشاميين على جدار البيت اصين بينه وبين كل من الركنين
 فتحة كان زريبة لغنم اسماعيل وروى انه دفن فيه ويسمى حطيماً لكن الاشهر ان
 الحطيم ما بين الحجر الاسود ومقام ابراهيم وقوله وخرج من الاخرى اي فلو وضع
 انملته على طرف جدار الحجر القصير كما يفعل كثير من العامة لم تصح طوافه
 اي بعضها الذي قارنه ذلك المس او الدخول لانه ح طائف في البيت لانه
 المذكور في الآية اما في الاولى فلا لأن هواء الشاذروان من البيت كما علم من
 التعريف واما في الحجر فهو وان لم يكن فيه من البيت الا ستة اذرع او سبعة
 لكن الغالب على الحجج التعبد وهو صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون ومن
 بعدهم لم يطوفوا الا خارجه فوجب اتباعهم فيه اه بلفظه قلت وليجرر الجمع بين
 قوله نقصه ابن الزبير مع ما سبق لك عن الحافظ العسقلاني في الفتح ان الاحاديث
 متواترة على سبب واحد وهو ان قريشاً قصرُوا عن بناء ابراهيم وان ابن الزبير
 اعاده على بناء ابراهيم وان التجاج اعاده على بناء قريش اه فصرح الاحاديث على
 ان النقص منها وقع في بناء قريش لا بناء ابن الزبير ولعل الجمع بان الذي نقصته

قريش فقط هو الحجر ويشهد له حديث البخاري ومسلم المتقدم عن السيدة عائشة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الجدر بالفتح لغة في الجدار كما تقدم اي الحجر كما صرح به شراح البخاري والامام الزرقاني على الموطاء حيث فسروه بذلك فقط فيحمل اعادة ابن الزبير له على قواعد ابراهيم على الحجر خاصة واما الشاذروان فابقاه على ما كان عليه من قريش فيكون معنى نقصه ابن الزبير اي ابقاه على نقصه غاية الأمر انه سمي بالرخام خوفاً من طواف العامة عليه وهذا صريح قول ابن حجر في تحفته وفي حاشيته عليها في قوله السابق نقصه بن الزبير رضي الله تعالى عنهما من عرض الاساس لما وصل ارض المطاف لمصلحة البناء ثم سمن بالرخام الى آخر ما تقدم له ونصه في حاشيته ان قريشاً لما ثبت البيت على هيئته التي هو عليها اليوم نقصوا عرض الجدار لما ارتفع على وجه الارض لانهم لم يجدوا من الاموال الطيبة ما يغني بالنفقة وتركوا من جانب هذين الركنين بعضاً واخرجوهما عن قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وجعلوا على ذلك البعض وما زاد عليه جداراً قصيراً وهو المسمى بالحجر فهما ليسا موضوعين على قواعد الاركان التي وضعتها كما في اليمانيين وان كانا موضوعين على اساس البيت بوقوع البناء الذي حصل التركيب به على الاساس الذي اسسه اذ الركن عبارة عن ملتقى طرفي جدارين وكل منهما موضوع على اسـ سيدنا ابراهيم كما هو جلي وانما لم يراعوا ذلك لان الاستلام بالاركان المخصوصة لا لنفس البيت ولما وضع من الاركان على اساسه ومن ثم لما بناه ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما من جهة الحجر على القواعد استملت الاركان فنقص الجدار عن عرضه لا سيما بعد ارتفاعه ولا يخرج كون اليمانيين موضوعين على قواعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم اه وعبارة شيخ الاسلام في منهجه وشرحه عليه وثالثها جعل البيت عن يساره ماراً تلقاء وجهه فيجب كونه خارجاً بكل بدنه عنه حتى شاذروانه وحجره الاتباع مع خبر مسلم خذوا عني مناسككم قال فان خالف شيئاً من ذلك كان استنقيل البيت او استنديره او جعله عن يمينه او عن يساره ورجع القهقري نحو الركن اليماني لم يصح طوافه والحجر بكسر الحاء ويسمى حطيماً المحوط بين الركنين الشاميين بجدار قصير بينه وبين كل من الركنين فتحة قال المحشي الجبيري قوله بكل بدنه فلو مس البيت بيده مثلاً او ادخل جزءاً منه في هواء الشاذروان او هواء غيره من اجزاء البيت لم يصح بعض طوافه وليس الثوب كالبدن على المعتمد خلافاً للشويزي وقوله شاذروانه بفتح الذال المعجمة وهو الخارج عن عرض جدار البيت مرتفعاً عن وجه الارض قدر ثائي ذراع تركته قريش عند بنائهم له لضيق النفقة اي لقلة الدراهم

الحلال التي يصرفونها في البناء والله اعلم اه فصرح بهذا من شيخ الاسلام قاطع بان نقص الشاذروان كان حاصلاً في بناء قریش كما نقصت الحجر غير ان الذي اعاده ابن الزبير هو الحجر فقط ويقوي هذا الجمع قول الامام الزرقاني على الموطأ فلما قتل ابن الزبير شاور الحجاج عبد الملك بن مروان في تقض بناء ابن الزبير فكتب اليه اما ما زاد في طولها فافره واما ما زاده في الحجر فرده الى بنائه وسد الباب الذي فتحه فنعل كما في مسلم عن عطاء اسال الله الكريم ان يتفضل علينا بالعطايا الربانية بجاه خير البرية صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وازواجه وذريته وآل بيته وسلم وشرف وعظم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

﴿ الفصل الثالث ﴾

في مذهب الامام الاعظم ابي - حنيفة النعمان رحمه الله
فالحجر عنده باتفاق المذهب من البيت ويجب ان يكون الطواف وراءه وح فقد توافق فيه المذاهب الثلاث وانما الخلاف في نهايته هل ستة اذرع او سبع او ست وشبر ومع ذلك يجب ان يكون الطواف من ورائه باتفاق الجميع لحديث مسلم - ندوا عني مناسكتكم ولم يطف صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون الا من خلفه وعبارة الدر قالوا ويمر بجميع بدنه على جميع الحجر جاء لا قبل شروعه ردائه تحت ابطه ملقياً طرفه على كتفه الايسر استسناناً وراء الحطيم وجوباً لان منه ستة اذرع من البيت فلو طاف من الدرجة لم يجوز كاستقباله احتياداً وبه قبر اسماعيل وهاجر وعبارة المحقق ابن عابدين عليه قوله قالوا الخ . قال في البحر ولما كان الابتداء من الحجر واجباً كانت الابتداء في الطواف من الجهة التي فيها الركن اليماني قريباً من الحجر الاسود منعيناً ليكون مائراً بجميع بدنه على الحجر الاسود وكثيراً من العوام شاهدناهم يتدرون الطواف وبعض الحجر خارج عن طوائفهم فاحذروه اه . فان قلت هذه الكيفية عن اللباب وانها مستحبة لا متعينة وبه صرح في فتح القدير ايضاً وفي الشرنبلالي بعد ما مر عن البحر هذا اذا لم يكن في قيامه مسامتاً للحجر بان وقف جهة الملتزم ومال ببعض جسده ليقبل الحجر اما من قام مسامتاً بجسده الحجر فقد دخل في ذلك شيء من الركن اليماني لان الحجر ركن وركنه لا يبلغ عرض جسد المسامت له وبه لا يحصل الابتداء من الحجر اه . قلت لكن لا يحصل به المرور بجميع بدن على الحجر لكن قد علمت انه غير لازم عندنا وامل الشارح اشار الى ضعفه

بالنظر قالوا وقوله وراء الحطيم قال المحشي العلامة المذكور ويسمى حظيرة اسماعيل وهو البقعة التي تحت الميزاب عليها حاجز كمنصف دائرة بينها وبين البيت فرجة مسمى بالحطيم لانه حطم من البيت اي كسر وبالحجر لانه حجر منه وقوله لان منه ستة اذرع من البيت لفظة من خبران مقدما وستة اسمها مؤخرًا ومن البيت صفة ستة والتقدير بان ستة كائنة من البيت ثابتة منه او من حال من ستة مقدم عليه ومن البيت خبره وهو جائز كقوله لمية موحشًا حلال قلت والثاني اظهر فافهم قال في الفتح وليس الحجر كله من البيت بل ستة اذرع منه فقط لحديث عائشة رضي الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستة اذرع من الحجر من البيت وما زاد ليس من البيت رواه مسلم قوله لم يجوز بفتح اوله وخم ثانيه من الجواز بمعنى الحل لا الصلة او بضم اوله وسكون ثانيه من الاجزاء اي على وجه الكمال قال القاري في شرح النقاية ولو طاف من الفرجة لا يجوز في تحقيق كماله ولا بد من اعادة الطواف كله لتحقيقه وان اعاد من الحطيم وحده اجزاء بان يأخذ عن يمينه خارج الحجر حتى ينتهي الى آخره ثم يدخل الحجر من الفرجة ويخرج من الجانب الآخر او لا يدخل الحجر وهو افضل بان يرجع ويبدأ من اول الحجر هكذا يفعل سبع مرات ويقضي صفته من رمل وغيره ولو لم يعد صح طوافه ووجب عليه دم اه قوله كاستقبله اي فانه اذا استقبله المصلي لم تمنع صلاته لان فريضة استقبال الكعبة ثبت بالنص القطعي وكون الحطيم من الكعبة ثبت بالاحاد فصار كانه من الكعبة من وجه دون وجه فكان الاحتياط في وجوب الطواف وراءه في عدم صحة استقباله والتشبه يمكن تصحيحه على الوجهين اللذين ذكرناهما في قوله لم يجوز مع قطع النظر عن المفهوم فافهم قوله وبه قبر اسماعيل وهاجر عزاء في البحر الى غاية البيان وذكر بعضهم ان ابن الجوزي اورد ان قبر اسماعيل فيما بين الميزاب الى ما بين الحجر الغربي ام اذا علمت هذا تبين لك في المذاهب الثلاث انه يجب خروج جميع البدن عن جميع الحجر ولو على القول بانه ستة اذرع فقط لما علمت انه عليه الصلاة والسلام واخلفاء الراشدون فمن بعدهم الى وقتنا هذا لم يطف احد منهم داخل الحجر فهو امر تعبدي وقل عليه الصلاة والسلام خذوا عني منا سككم وان كونه من البيت ثبت بالاحاد عند المذاهب الثلاث لا تواترًا والله اعلم

❖ الباب الثاني ❖

فيما يتعلق بالشاذروان

هل هو من البيت او خارجه وهل ورد في السنة ما يدل عليه وهل ما نقله الامام القسطلاني في شرحه على البخاري عن ابن رشيد تصغير رشد من المالكية ان الشاذروان وان لم يرد له ذكر في خبر صحيح ولا سقيم ولم يذكره احد من قدماء المالكية غير ابن شاس وتبعه ابن الحاجب قال وهو مأخوذ من الشافعية مسلم عن ابن رشيد موافقاً لمذهب مالك او المذهب على خلافه وهذا مضمون السؤال الثاني الوارد اليينا من الاستاذ وفيه فصول ثلاث

❖ الفصل الاول ❖

في تحقيق ذلك على مذهب مالك فأقول وبالله التوفيق ان جمهور المذهب على ان الشاذروان من البيت فمن طاف ببعض شيء منه من داخله بان ادخل يده في هويه بطل طوافه وهذا هو الذي عليه الاعتماد والمعول في المذهب وخلافه لا يلتفت اليه فلذا اقتصر عليه العلامة خليل في متنه وخاتمة المحققين الامير في مجموعه ولم يذكروا فيه خلافاً بل اقتصر جميع الشراح مع المتن قديماً وحديثاً على وجوب خروج جميع البدن عن الشاذروان ونص العلامة خليل وخروج كل البدن عن الشاذروان ونص العلامة الخري عليه قال والمعنى انه يجب على الطائف بالبيت ان يعمل بدنه في طوافه خارجاً عن الشاذروان وهو البناء المحدودب في اساس البيت وذلك شرط في صحة طوافه والعمد عند المؤلف ان الشاذروان من البيت معتمد على ما قاله سند وابن شاس ون تبعهما كابن الحاجب والقرافي وابن جزى وابن جماعة التونسي وابن عبد السلام وابن هارون في شرح المدونة وابن راشد في الباب وابن معلا والتادلي وابن فرحون ونقله ابن عرفة ولم يتعقبه وتبعه الابي وهو المعتمد عند الشافعية قال وانكر كونه من البيت جماعة من متأخري المالكية والشافعية فمن بالغ في انكاره من المالكية الخطيب ابو عبدالله بن رشيد معفر رشد اه ونص المجموع وخروج جميعه اي الطائف عن جميع الحبر والشاذروان فيعتدل المقبل اه ونص العلامة الدسوقي على الشرح الكبير على قول العلامة الدردير لو طاف ويده على الشاذروان لم يصح اي لدخول بعض يده في هوي البيت وما ذكره من ان الشاذروان من البيت هو الذي عليه الاكثر من المالكية والشافعية وذهب

بعضهم الى انه ليس من البيت قال الخطاب وبالجملة فقد كثر الاضطراب في
 الشاذروان وصرح جماعة من الائمة المقلدي بهم بانه من البيت فيجب على الشخص الاحتراز منه
 في طوافه وانه اذا طاف وبعض بدنه في هويه ان يعيد مادام بككة فان لم يذكر ذلك حتى
 بعد من مكة فينبغي انه لا يلزمه الرجوع مراعاة لمن يقول انه ليس من البيت اه اذا علمت هذا ظهر
 لك ان ما نقله الامام القسطلاني عنه انه لم يقل به احد من قدماء المالكية غير مسلم لابن رشيد
 لما علمت مما نقله الامام الحرشي عن الائمة الاعيان وقول الخطاب وصرح جماعة من الائمة المقلدي
 بهم بانه من البيت فكيف ينظر لقول ابن رشيد انه لم يذكره احد من قدماء المالكية مع هؤلاء
 الائمة المتقدم ذكرهم آنفاً ولذا اقتصر عليه الامام خليل بقوله ونروج كل البدن عن الشاذروان
 ومثله الامام الامير والامام الدردير ولم يذكره الا خلافاً فضلاً عن اعتباره مرجوحاً فلو
 كان لقول ابن رشيد قوة في المذهب لنبهوا على وجود الخلاف في المتون كما هو انقواعد
 المقررة في ذلك فعدم التفاتهم اليه راساً دليل على عدم اعتباره في ارتكاف الامام
 القسطلاني على القول بانه ليس من البيت تعويلاً على ما لابن رشيد نظراً لما اطاع عليه
 فقط والافها هي شروح المذهب ومتونه ناطقة بكونه من البيت وهم حجة في النقل فالواجب
 علينا اتباع ما نقلوه واعتمدوه ولم يعملوا على خلافه والله تعالى يرشدنا جميعاً لاتباع الحق
 والصواب بجاه سيد الاحباب صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم

﴿ الفصل الثاني ﴾

في تحقيق ذلك على مذهب الامام الشافعي

قد سبق لك ما يفيدك بالنص الصريح ان الشاذروان من البيت وعبرة المنهاج
 السابقة للامام النووي ولو مشى على الشاذروان او مس الجدار في موازاته اي مسامته
 له او ادخل شيئاً من بدنه لم تصح طوفته وعبرة شيخ الاسلام في منهجه فيجب كونه
 خارجاً بكل بدنه عنه حتى شاذروانه وحجره للاتباع مع خبر مسلم خذوا عني مناسككم
 قال فان خالف شيئاً من ذلك لم يصح طوافه قال المحشي المجيرني قوله بكل بدنه فلو
 مس البيت بيده مثلاً او ادخل جزءاً منه في هواء الشاذروان او هواء غيره من اجزاء
 البيت لم يصح بعض طوفته وليس الثوب كالبدن على المعتمد خلافاً للشويري وقوله
 شاذروانه بفتح الدال المعجمة وهو الخارج عن عرض جدار البيت مرتفعاً عن وجه
 الارض قدر ثلثي ذراع تركته قريش عند بناءهم له لضيق النفقة اية قلة الدراهم
 الحلال التي يصرفونها في البناء والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

❖ الفصل الثالث ❖

في تحقيق كون الشاذروان من البيت او خارجه عند الامام ابي حنيفة النعمان وعلى كل هل يجب خروج بدنه عنه ولو على القول بانه ليس منه قال المحقق ابن عابدين الشاذروان هو الافريز المسم الخارج عن عرض جدار البيت قدر ثلثي ذراع قيل انه من البيت حين عمرته قرش كالحطيم وهو ليس منه عندنا لكن ينبغي ان يكون طوافه وراءه خروجاً من الخلاف كما في الفتح والباب وغيرهم اه اذا علمت هذا تبين لك انه في المذاهب الثلاث يجب خروج جميع بدنه عن جميع الحجر والشاذروان غير ان الشاذروان عند ابي حنيفة ليس من البيت وانما وجوب خروج جميع البدن عنه عنده احتياطاً مراعاة لمذهب الغير وان ثبوت كون الحجر من البيت ظني عند المذاهب الثلاث لا تواترنا علمت سابقاً انه لم يرو الا عن السيدة عائشة فح توافق في الحجر مالك والشافعي وابو حنيفة على انه من البيت وثبتنا وكذلك الشاذروان عند مالك والشافعي وعند ابي حنيفة ليس منه ومنشأ الخلاف مبني على الخلاف في فهم قوله عليه الصلاة والسلام للسيدة عائشة ان قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم فالذي عليه الجمهور من مذهب مالك والشافعي ان الاقتصار عن قواعد ابراهيم شامل لما ترك من الحجر ومنع الشاذروان وخصه الامام الاعظم بالحجرون الشاذروان وحديث الصحيحين رضي الله عنهما يشهد بظاهره لابي حنيفة بالتخصيص ونصه عن عائشة رضي الله عنها سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الجداري الحجر أمن البيت هو قال نعم قلت فما له لم يدخلوه في البيت قال ان قومك قصرت بهم النفقة قلت فما شأن بابه مرتفعاً قال فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا وحديث مسلم عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة اذرع من الحجر من البيت وما زاد ليس منه ورواية الترمذي والنسائي وابي داود بطرق كلهم عن عائشة قالت كنت احب ان اصلي في البيت فاخذ صلى الله عليه وسلم بيدي وادخلني الحجر وقال صلى الله عليه وسلم فيه فانما هو قطعة من البيت ولكن قومك اقتصروا حين بنوا البيت واخرجوه من البيت وفي شرح الامام الزرقاني على الموطأ رواية عن صحيح مسلم قالت قال صلى الله عليه وسلم ان قومك اقتصروا من بنيان البيت ولولا حداثة عيدهم بالشرك اعدت ما تركوا منه فان بدا لقومك من بعدي ان يبنوه فلهي لاريك ما تركوا منه فاراها قريباً من سبعة اذرع وفي الشرح المذكور انه لا تنافي بين رواية سبعة اذرع ورواية ستة اذرع وخمسة اذرع فان رواية الاقل

اريد بهما ما عدا الفرجة التي بين الركن والحجر قال وهذا الجمع اولى من دعوى الاضطراب والطعن لان شرط الاضطراب ان تتساوى الوجوه بحيث يتعذر الترجيح او الجمع ولم يتعذر هنا واطلاق اسم الكل على البعض شائع نجازاً قاله الحافظ في الفتح فهذه الاحاديث ظاهرة تقوي ما لامام ابي حنيفة ورواية الاطلاق استند اليها مالك والشافعي كما في الصحاحين ونصهما لولا ان قومك حديثوا عهد بجاهلية لامرت بالبيت فهدم فادخلت فيه ما اخرج منه والزقته بالارض وجعلت له بابين باباً شرقياً وباباً غربياً فبلغت به اساس ابراهيم قال خاتمة الحفاظ الامام العسقلاني في الفتح وفي الحديث فوائد منها انه يترك ما هو صواب خوف وقوع مفسدة اشد ومنها استئلاف الناس الى الايمان ومنها اجتناب ولي الامر ما يتسارع الناس الى انكاره وما يخشى منه تولد الضرر عليه في دين او دنيا وتآلف قلوبهم لما لا يترك فيه امر واجب كساعتهم على ترك الزكاة وشبه ذلك وتقديم الاهم على الاهم من دفع المفسدة وجلب المصلحة وانهما اذا تعارضا بدى بدفع المفسدة ويؤخذ منه ايضاً حديث الرجل مع اهله في الامور العامة وفي رد الذرائع ونقل الامام ابن بطال عن بعض العلماء ان الحامل له عليه الصلاة والسلام على الترك خشية ان ينسب به الى الانفراد بالفخر دونهم بدليل رواية الشيخين اخاف ان تنفر القاع وفي رواية ان تنكر قلوبهم ان ادخل الجدر في البيت وان الصق بابه الى الارض ورواية مسلم عن الزبير وليس عندي من الثقة ما يقويني على بنائه فادخلت فيه من الحجر قدر خمسة اذرع اذا علمت هذا تبين لك ان الشاذروان مندرج في عموم ما اخرجته قريش من البيت عن قواعد ابراهيم عملاً بالاحاديث المطلقة في الافتقار عن اقواعد ونصه الامام الاعظم بالحجر عملاً بالاحاديث المقيدة ولكل وجية رضى الله تعالى عنهم وعنا بهم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه وازواجه وذريته وآل بيته وسلم وشرف وعظم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون اه المقصود من الرسالة (ثم اقبل الامير) على عبادة الله تعالى عند بيته الحرام في مسجده الحرام وتفرغ لما من كل شيء يتعلق بالدنيا واهلها واختار الشيخ محمد الفاسي المجاور في مكة المكرمة استاذاً له فاخذ عليه الطريق وتلقى شؤونها عنها ولازم الرياضة والخلة والاجتهاد وعكف على ما في تلك الطريقة المبدونة من الوظائف والاوراد الى ان رقي معارج الاسرار الى حظائر القدس ذات الانوار ووقعت له كرامات وخوارق واحرز بقوة سعده احوالاً سنية وانفاساً

محمدية وما تم له الارتقاء الا وهو في غار حراء لانه انقطع فيه اياما عديدة الى ان جاءته البشرى بالرتبة الكبرى ووقع له الفتح النوراني وتنجرت ينابيع الحكم على لسانه وفاضت عيون الحقائق بين ادواح جنانه واقتح له باب الوردات واستظهر من القرآن العظيم آيات ومن الحديث النبوي احاديث صحيحة فكتب من خلوته الى حضرة اسناذه يعف بدايته ونهايته ويثني على الله بما اولاه على يده بقوله

امسعود جاء السعد والخير واليسر
ليالي صدور وانقطاع وجفوة
فايامها اضمحت قناما ودجنة
فراشي فيها حشوه المم والضي
ليالي انادي والفؤاد متم
امولاي طال الهجر وانقطع الصبر
اغث يا مغيث المستغيثين واله
اسائل كل الخلق هل من تغبر
الى ان دعنتي هممة الشيخ من مدى
فشمريت عن ذيلي الازار وطار بي
وما بعدت عن ذا المحب ترامة
الى ان أنخنا بالبطاح ركابنا
بطاح بها البيت المعظم قبلة
بطاح بها الصيد الحلال محرم
اتاني مربي العارفين بنفسه
وقال فاني منذ اعداد حجة
فانت بني منذ ألت بربكم
وجدك قد اعطاك من قدم لنا
فقبلت من اقدامه وبساطه
والقي على صغري باكسير سره
واعني به شيخ الانام وشيخ من
عياذي ملاذي عمدي ثم عدتي
غياثي من ايدي العداة ونعمدي

وولت جيوش النخس ليس لما ذكر
وهجران سادات ولا ذكر الهجر
لياليها لا نجم يضي ولا بدر
فلا التذ لي جنب ولا التذ لي ظهر
ونار الجوى تشوي لما قد حوى الصدر
امولاي هذا الليل هل بعده فجر
الم به من بعد احبابه الضر
يحدثني عنكم فينعثني الخير
بعيد الا فادنو فعندي لك الذخر
جناح اشتياق ليس يخشى له كسر
ولم يشنه سهل هناك ولا وع
وحطت به رحلي وتم لما البشر
فلا فخر الا فوقه ذلك الفخر
ومن حاما حاشا يبقى له وزر
ولا عجب فالشان اضحى له امر
لمنظر اقبالك يا ايها البدر
وذا الوقت حقا ضمه اللوح والسطر
ذخيرتك فينا وبا حبذا الذخر
فقال لك البشرى بذا قضى الامر
فقبل له هذا هو المذهب التبر
له عمة ذي عذبة وله الصدر
وكفي اذا ابدى نواجذه الدهر
منيري تجيري عندما غمني العمر

ومعني رفاتي بعد ان كنت رمة
محمد الفاسي له من محمد
بفرض وتعصيب غدا ارثه له
شائله تغنيك ان رمت شاهدا
تضوع طيبا كل زهر بنشره
وما حاتم قل لي وما حلم احذف
صفوح يغض الطرف عن كل زلة
هشوش بشوش يلقى بالرحب قاصدا
فلا غضب حاشا بان يستفزه
لئلا منه صدر ما تذكره الله لا
ذليل لاهل النقر لا عن مهانة
وما زهرة الدنيا بشيء له ترى
حربص على هدي الخلائق جاهد
كساه رسول الله ثوب خلافة
وقيل له ان شئت قل قدمي علا
فذلك فضل الله يؤتيه من يشا
وذا وايلك الفخر لا نفخر من غدا
وهذا كمال كل عن وصف كنهه
ابو حسن لو قد راه احبه
وما كل شهيم يدعي السبق صادق
وعند تجلي النقع بظهر من علا
وما كل من يعلو الجواد بفارس
فيحمي ذمارا يوم لا ذو حفيظة
ونادى ضعيف الحي من ذا بغيثني
وما كل سيف ذو الفقار بمجده
وما كل طائر طار في الجوفاتكا
وما كل من يسمى بشيخ كمشله
وذا مثل للمدعين ومن يكن

واكسبني عمرا لعمرى هو العمر
صفي الاله الخال والشم الغر
هو البدر بين الاوليا وعم الزهر
هي الروض لكن شق اكمامه القطر
فما المسك ما الكافور ما الندما العطر
وما زهد ابراهيم اوهم ما الصير
لهيبته ذل الغنفر والنمر
وعن مثل حب المزن تلقاه يفتر
ولا حدة كلا ولا عنده ضر
ووجه طليق لا يزياله البشر
عزيز ولا تيه له به ولا كبير
وليس لها يوما يجلسه نشر
رحيم بهم بر خبير له القدر
له الحكم والتصرف والنهي والامر
على كل ذي فضل احاط به العصر
وليس على ذي الفضل حصر ولا حجر
وقد ملك الدنيا وساعده النصر
فمن يدعي هذا فهذا هو السر
وقال له انت الخليفة يا بحر
اذا سيق للميدان بان له الخسر
على ظهر جرد بل ومن تحته حمر
اذا ثار تقع الحرب والجو مغبر
وكل حماة الحي من خوفهم فروا
اما من غيور حانني الصبر والدهر
ولا كل كرار عليا اذا كروا
وما كل صياح اذا صرصر الصقر
وما كل من يدعي بعمرى اذا عمرو
على قدم صدق طيبا له خبر

فلا شيخ الا من مخلص هالكاً
ولا تسألن من ذي المشايخ غير من
تصفح احوال الرجال نجرباً
فانعم بمصر ربّ الشيخ يافعاً
فمكة ذي خير البلاد فديتها
بها كعبتان كعبة طاف حولها
وكعبة حجاج الجذاب الذي سما
وشتان ما بين الحجيجين عندنا
عجبت لباغي السير للجانب الذي
ويلقي اليه نفسه بفنائنه
فيلقى مناخ الجود والفضل واسعاً
ويلقى رياضاً ازهرت بعارف
ويلقى جناناً فوق فردوسها العلا
ويشرب كأساً صرفة من مدامة
فلا غول فيها لا ولا عنها نزفة
ولا هو بعد المزج اصفر فاقع
معنقة من قبل كسرى مصونة
ولا شانها زق ولا سار سائر
فلو نظر الاملاك ختم انائها
ولوشمت الاعلام في الدرس ريجها
فيا بعدهم عنها ويا بشس ما رضوا
هي العلم كل العلم والمركز الذي
فلا عالم الا خير بشر بها
ولا غبن في الدنيا ولا من رزيئة
ولا خسر في الدنيا ولا هو خاسر
اذا زمزم الحادي بذكر صفاتها
وقال اسقني خمراً وقل لي هي الخمر
وصرح بمن تهوى ودعني من الكنى

غريقاً ينادي قد احاط بي المكر
له خبرة فافت وما هو مغتر
وفي كل مصر بل وقطر له امر
واكرم بقطر طار منه له ذكر
فما طاولتها الشمس يوماً ولا النسر
تحجيج الملا بل ذاك عندهم الظفر
وجل فلا ركن لديه ولا حجر
فهذا له ملك وهذا له اجر
تقدس سرالا يجند له السير
بصدق تساوى عنده السر والجهر
ويلقى فراتا طاب نهلا فما القطر
فيا حبذا المرأى ويا حبذا الزهر
وما لجنان الخلد ان عبت نشر
فيا حبذا كاس ويا حبذا خمر
وليس بها برد وليس بها حر
ولا هو تبل المزج فان وتحد
وما ضمها دن وما نالها عصر
باحمالها كلا ولا نالها تجر
تحات عن الاملاك طوعاً ولا قهر
لما طاش عن صوب الصواب لم فكر
فقصدهم قدس وسيرهم وزر
به كل علم كل حين له دور
ولا جاهل الا جهول به غر
سوى رجل عن نياها حظه نزر
سوى واله والكف من كاسها صفر
وصرح ما كنى ونادي نائي الصبر
ولا تسقني سرّاً اذا امكن الجهر
فلا خير في اللذات من دونها ستر

تري ذائقها منها هامت عقولهم
وتأهوا فلم يدروا من التيه من هم
وقالوا فمن يرجى من الكون غيرنا
تميد بهم كأس بها قد تولهوا
حيارى فلا يدرون اين توجهوا
فيطر بهم برق تألق بالهما
ويسكرهم طيب النسيم اذا سرى
وتبكيهم ورق الحمام في الدجى
يجزن وتلعين تجاوبنا بها
وتسببهم غزلان رامة ان بدت
وفي شمسها حقاً بدلنا نفوسنا
وملنا عن الاوطان والاهل جملة
ولا عن اصحاب الدواب من غدت
هجرنا لها الاحقاب والحب كلهم
ولا ردنا عنها العوادى والعدى
وفيها حلالي الذل من بعد عزة
وذلك من فضل الاله ومنه
وقد انعم الوهاب فضلاً بشربها
فقل لملوك الارض انتم وشانكم
خذ الدنيا والاخرى اباغيها معاً
جزى الله عنا شيخنا خير ما جزى
امولاي اني عبد نعمائك التي
وصرت مليكاً بعد ما كنت سوقة
امولاي اني عبد بابك واقف
فمر امر مولى للعيد فاني
هنيئاً لنا يا معشر الصحب اننا
فنحن بضوء الشمس والغير في دجى
ولا غرو في هذا وقد قال ربنا

ونازلهم بسط وخامرهم سكر
وشمس الضحى من تحت اقدامهم غفر
فتحن ملوك الارض لالبيض والجر
فليس لهم عرف وليس لهم نكر
فليس لهم ذكر وليس لهم فكر
ويرقصهم رعد بسامع له زار
تظن بهم سحرًا وليس بهم سحر
اذا ما بكت من ليس يدري له وكر
تذوب له الاكباد والجلود الصخر
واحدافها بيض وقاماتها سمر
فهان علينا كل شيء له قدر
فلا قاصرات الطرف ثني ولا القصر
ملاعبيهم مني الترائب والنحر
فما عاقنا زيد ولا راقنا بكر
ولا هالنا قفر ولا راعنا بحر
فيا حبذا هذا ولو بدو به من
علي فما للفضل عدو ولا حصر
فالله حمد دائم وله الشكر
فقسمتكم ضئى وقسمنا كثر
وهات لنا كاساً فهذا لنا وفر
به هادياً فالاجر منه هو الاجر
بها صار لي كنز وفارقني الفقر
وساعدني سعد فحسبنا ونا در
لنبيضك محتاج لجدواك مضطر
انا العبد ذاك العبد لا الخادم الحر
لنا حصن امن ليس يطرقه زعر
واعينهم عمي واذانهم وقر
تراهم عيون ينظرون ولا بصر

وغيم السما مهما سما هان امره فليس يرى الامل ساعد انقدر
الا فاعملوا شكراً لمن جاد بالذي هداانا ومن نعمائه عمنا اليسر
وصلوا على خير الورى خير مرسل وروح هداة الخلق حقاً وهم ذر
عليه صلاة الله ما قال قائل امسعود جاء السعد والخير واليسر

وبعد ان اتم الحج وادى المناسك في تلك السنة توجه الى الطائف واقام
بها نحو ثلاثة اشهر ثم رجع الى مكة المشرفة على ما هو عليه من الاجتهاد في
العبادة والانقطاع اليها ومن حين توجهه الى الطائف انقطعت عنا مكاتيبه وعميت
علينا اخباره ولما طال الامر ونشوش الفكر كتبت الى حضرة سيادة المولى الشريف
السيد عبد الله باشا امير مكة المكرمة اسأله عنه واطلب الافادة منه فكتب لي في السابع
والعشرين من ذي الحجة سنة ثمانين ومائتين ما نصه . غب اهداء سلام يفوح
شذاه المسكي من سوح الكعبة الغراء والحرم المكي وتحيات صادرة من مهابط
التنزيل مخنوفة بزيد التعظيم والتبجيل الى جناب قدوة الاكابر جابر كمالات المفاخر
الاعز الاكرم السيد محمد ابن السيد عبد القادر سلمه الله تعالى ورحمة الله وبركاته
عليه لتوالى وبعد لا يخفى ان الموجب لتحريره السوءال عنكم لما يبلغنا من حميد سيركم
فوصل والدكم الفاضل السيد عبد القادر وحقق لنا طيب حالكم فحمدنا المولى
الكريم على ذلك وشكرناه على ما هنالك ثم انه وصلنا صندوق فيه آلة الشاي
السفري وما هو برفقة المرسل صحبته من طرفكم وحل محل القبول وصار لنا بذلك
مزيد الممنونية حيث انه كان سبباً للمكاتبة ووالدكم المشار اليه قد قضى وطره من
اداء حج بيت الله الحرام والتلي بهذه المشاعر العظام وها هو متوجه للتشرف بزيارة
سيد الانام عليه افضل الصلاة وازكى السلام نسأل الله ان يحمله بالسلامة ويمن
عليه بالوصول الى الاوطان بعد بلوغ كل مقصد ومرام ودمتم في حفظ الله وحسن
رعايته آمين . والصندوق المذكور كانت زوجة الامبراطور نابليون الثالث اهدته
لسيدي الوالد وكان الامير بعض الاحيان يجتمع به اهل تحبته واخوانه في الله
في باسطهم ويداعبهم . ذكر لي حضرة الاديب الشيخ احمد الخضراوي ان كان معهم
في الطائف انه جال معه في الحديث يوماً وافضت بهم المناسبة الى ذكر شروط
اهل مكة على الحدود قال فمدحتها له واشدت فيها قول بعضهم

رأيت لها شرطاً على الخد قد حوى جمالاً وقد زاد الملاحاة بالقرط
نقلت مرادي اللثم قالت بخولة فقبلتها الفأ على ذلك الشرط

فانكر ذلك واستعجبه وقال

اقول لقوم لا تفيد نصيحتي
ألا فاتركوا ورد الحدود وشانه
ايحد ذو لب الخلد مورد
ومادح شرط الخلد بالسود صادق
أما يخشي من ان يكون مخدداً
فباللحظ لا الموسي تخدش وجنة
واني لاهوى كل خد مورد
فاجبته بايات منها

قد عمت البلوى بذلك سيدي ولقد نصحت عبيدكم بحيلة

✽ ذكر سفر الامير من مكة الطاهرة الى المدينة المنورة الزاهرة ✽

وفي ازل يوم من رجب سنة ثمانين ومائتين توجه الى جدة ومنها الى مرمى
الرائس ثم الى بدر ثم بئر عباس فوجد هناك حافظ باشا حاكم المدينة وشيخ الحرم
النبوي تخيا بعسكره ينتظر القوافل القادمة الى المدينة المنورة من الجهات فاحتفل به
للغاية وضرب له خيمة الى جانب خيمته واتصل خبره بقبيلة حرب الشهيرة وغيرها من
قبائل تلك الدواحي فجاءه الشيخ فهد في جماعة من الاعيان فاكرم نزلهم وعرضوا ان
يكونوا في خدمته الى المدينة فدعا لهم وشكر توددهم اليه ولما تلاحقت القوافل
ارتحل بها الباشا والامير فدخلوا المدينة المنورة في السادس والعشرين من رجب
واستقبله اشرفها وعلماؤها في وادي العقيق وكان الشيخ محمد الدرايزلي المعروف بالشيخ
المنتظر تمهيا لنزوله عنده فاجابه الى ذلك وقام في ضيافته اياماً ثم استاجر منه بيته
الكائن في طريق الحمام النبوي بالقرب من المسجد وانتقل اليها ثم طلب محلاً لخلوته
في الحرم الشريف فهبأ له السيد احمد اسعد افندي محلاً لصيقاً بجدار المسجد وهو في
الاصل بيت سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه وله خوخة في المسجد وهي التي قال
فيها صلى الله عليه وسلم كل خوخة في المسجد تسد الا خوخة ابي بكر فانقطع الامير في
ذلك المحل المبارك مدة شهرين فقويت بها معارفه وزكت عوارفه وانكشفت له الحقائق
القرآنية والاحاديث النبوية ومن طالع مواقفه في الحقائق وقف على ما اشرنا اليه واطلع
على ما لا مزيد عليه ولاول وصوله الى المدينة المطهرة مدحه بعض ادبائها بقرله

بشرى لطيفة بالهام الزائر
 وافي حماها وهي في شوق له
 فتمايلات اعطافها لوصوله
 وبوطئه شرفت رحارجها كما
 وتارجت ارجاؤها من طيبه الـ
 وغدا لسان الحال ينشد قائلًا
 فلطالما قد كنت في شوق الى
 فالان مني العين قد قرت كما
 وبقدرة المنان زاد تشرفي
 نجلى النحول ابن البتول خلاصة الـ
 حبر كسى خبر الفضائل والتقى
 وروى احاديث المفاخر والمعالي
 بجر من الاحسان يقذف جوهره
 شهيم تقضى منه شرح شبابه
 واقام احقابًا بصيرة ساج
 وجفا عشائره وفارق ربه
 نال المعالي بالعوالي والظبا
 ولكم بصارمه اباد كتائبًا
 ان اضحك البيض الرهاف بكفه
 وادا انتفى يوم الكريهة غضبه
 بطل اذا لمس القنا في جمفل
 واذا احس الجيش رجع زئيره
 والليث ان يسمع صهيل جواده
 وحسامه ان لاح برق فرنده
 يلج الخميس بصافن وبعامل
 يلقي الكماة الصيد فردًا في الوغا
 ويداه ان هزت انايب القنا
 الفتة عقبات الفلا ونسوره
 اكرم به من ليث غاب زائر
 من بعد طول تباعد وتهاجر
 فرحًا ونور كل روض ناضر
 شرفت بجده في الزمان الغابر
 زكى وعرف شذا يديه العاطر
 اهلاً بمن هو ليث غاب كاسر
 رؤيا جمالك ان يلوح لناظر
 بايابه قرت عيون مسافر
 اذ حل سوحى الشهم عبدالقادر
 اشراف بل شبل الرسول الطاهر
 عطف الخبير بكل فن ماهر
 لى مساسلات كابرًا عن كابر
 لغفاته اكن بغير تفاخر
 في نصرة الدين الحنفي الزاهر
 يرمي الطغاة بصاعقات بواتر
 طالبا لمرضاة المليك الغافر
 فلذاله خضعت رقاب الكافر
 ذهبت هباءً مثل امس الدابر
 بكت الرقاب لنجى دمع هامر
 تجددت له قمم الظلوم الجائر
 طارت جناحاه بدون تشاور
 بلغت قلوب سراته يتناجر
 يغدو بقلب في جناحي طائر
 بغمام تقع فتر قلب الغادر
 فيعود يقسم خمسه اعسكر
 فيرد وردهم بدون مصادر
 قطعت قلوبًا في صدور قساور
 مذ ابصروه بكل تقع ثائر

انى يسير تسير كىما تبغى
وشعالب الخطي بعد اوامها
مولاي اني في الثناء مقصر
وبجلمة الادباء يوم رهانهم
لكن قصدي من جنابك دعوة
من لي وفضلك كيف احصى عدّه
انت المجدد للبرية دينهم
لوجئت في العصر الغواير في الورى
لكن عصرك قد تاخر وتسه
فالصبر افضل ما يكون لذي النهى
فاشكر الحك ان حباك يزورة
والسعد قد وافى حماك مهنثا
واتى القبول اليك منه موخرخا

عاداتهن بشلو عاج كاشر
وردت حياض طلى العدو الفاجر
انى مثلي غوص بحر زاخر
لست المجلي بل ولست بشاعر
بصلاح حالي جنح ليل عاكر
وصفات ذاتك ما لها من حاصر
بالكتب والسيف الطير الباتر
لم تلق منهم غير شهم ناصر
واتى نجيتك في الزمان الآخر
وكفى الكتاب مبشرا للصابر
لثنام رسل الله افضل شاكر
لك بالوصول الى النبي العاطر
بشارك انت اعز حب زائر

١٢٨٠

واستمر الامير مدمنا على اداء وظيفة اوراده في الخلوة والجلوة لم يلحقه في ذلك فتور وفي الشهر الاخير من اقامته في المدينة المنورة كان يكثر من زيارة احد وقبور الشهداء والصلاة في مسجد قبا ويحجب من دعاه الى الضيافة فكان اهل المدينة يتسابقون الى ذلك واكثرهم فيه السيد احمد انندي اسعد واقاربه ودعى يوما الى البستان المعروف بالقائم في قبا ايام الزهر وكانت المائدة حاملة والمجلس مشمولا بانواع الطيب فانشا الامير يقول

بخر بعود الطيب لا زلت طيبا ورش بماء الزهر يا خلي والورد
وما بغيتي هذا ولكن تفاؤلا بعود الى عود وورد الى ورد
ودعى اليه مرة اخرى فحانت منه التفاتة الى جبل احد فاطرق ساعة ثم رفع راسه وانشاء يقول

تذكرت وشك البين قبل حلوله فجادت عيوني بالدموع على الخد
وسيف القلب نيران تاجج حرها سرت في عظامي ثم سارت الى جلدي
ومالي نفس تستطيع فراقهم فياليت قبل البين سارت الى اللحد
الى الله اشكو ما الاقي من الجوى وحلمي ثقيل لا تقوم به الابدي

بطيبة ظاب العيش ثم تمررت حلاوته فالتحس اربى على السعد
 اردد طرفي بين وادي عقيقها وبين قباها ثم الوى الى احد
 منازل من اهواه طفلاً ويافعاً وكهلاً الى ان صرت بالشيب في برد
 * وفي مدة اقامته في الحجاز توفي ملك اليونان الاسبق وانعقد مجلس نواب الامة
 اليونانية في اثينا للنظر فيمن يولونه عليهم ملكاً فكتبوا اسم الامير في المنتخبين لذلك
 ونادى كثير منهم باسمه واهل اسبانيا قد انتخبوه في جملة من انتخبوه للملك عليهم
 حين وقوع الفتنة بينهم قبل ان يتولى ملكهم المتوفي اخيراً فتشكر الامير اللامنين
 على اعتبارها لمقامه بما دل على ما تكنه صدورهم من احترامه واعظامه

❖ ذكر رجوع الامير الى مكة ثم الى دمشق الشام ❖

ولما حضر الركب الشامي الى المدينة المنورة توجه فيه عائداً الى مكة في
 السابع والعشرين من ذي القعدة واحرم بالبحج من ذي الحليفة وبعد الفراغ
 من اداء مناسك الحج وظواف الوداع توجه الى جدة في الرابع عشر من ذي
 الحجة وفي التاسع عشر ركب الوابور المصري الى السويس ومنها الى مصر فاجل
 مقامه خديويها اسماعيل باشا واجزل في ضيافته واکرامه ثم دعت شركة السريس
 الى الاسماعيلية فتوجه اليها على طريق الزقازيق وسر على التل الكبير ثم على بولج
 الذي اهدته اليه الشركة المذكورة فراه واستوعب حدوده ثم توجه الى الاسماعيلية
 واقام اياماً في ضيافة الشركة ثم رجع الى مصر وتوجه الى الاسكندرية وبمد خمسة
 ايام من وصوله اليها توجه الى بيروت وفي التاسع عشر من المحرم سنة اثنين وثمانين
 وصل الى دمشق واسقبلته في جم غفير من الاهالي والمهاجرين في محطة المامة وقرت
 عيوننا برويته وامثالاً صدورنا سروراً بشاهدته وتوات علينا وعلى كافة المهاجرين
 الافراح وزالت عنا وعنهم بوجوده المحموم والاتراح وتوارد على بابه اهل البلد على
 اختلاف طبقاتهم يسلمون عليه ويهنئونه بما اسداه الله من النعم اليه فكان يقابلهم بما جبهه
 الله عليه من الانس واللف ولين الجانب ورنع اليه حضرة العالم العلامة الحبر
 البحر الفهامة شيخنا الشيخ محمد افندي الطندائي الازهري قصيدة يهنئه فيها بحج بيت
 الله الحرام وزيارة نبيه الكريم عليه افضل الصلوة واكمل السلام وهي قوله

يا سيداً فاق الورى بما جباه ذو الجلال
 من همم عالية تدرك صفراها الجبال

من بين ارباب الكمال	حتى تجاوزت السها
قد اجمعت همم عوالم	فخضت بجرأ دونه
تنظر لجأه او لمال	في طلب الاخرى ولم
وكم سهرت من ليال	فكم هجرت مضجعا
مع رغبة وصدق حال	وكم تركت لذة
حتى ظفرت بالوصال	وكم بذات مهجة
بما يناله الرجال	ونلت اعلا رتبة
من ذلك الورد الزلال	وقد شفيت غلة
لم ينلها ذو دلال	اعظم بها من نعمة
ل المصطفى من خير آل	وكيف لا وانت نج
شرف المزايا والخصال	مع الذم حويت من
والمنطق السحر الحلال	علم وحلم وندا
بشاشة مع الجمال	ولطف زهد وثقى
وفاء وعد صدق قال	شجاعة تواضع
يفوق عدها الرمال	محاسن جميعها
فقد تصدى للمحال	فمن اراد حصرها
اعمالكم على الكمال	بشراكم قد قبلت
من رقت ومن جدال	فالحج حقاً سالم
مال اتي من الحلال	والقصد وجه الله وال
ولا يرد الجد آل	والمصطفى جدم
حويت هاتيك الخصال	يا ايها الخبر الذي
الى النساء والرجال	ابقاك ربي ملجاء
بما حباك ذو الجلال	ممتعاً منعماً

وللاديب سليمان الصولة يهنئه بالقدوم بقوله

فكيف اينع فيه الاؤلؤ الرطب	حتى الطلا شهدت ان الما عذب
وما تعاورة من برده عطب	وكيف جاوره جمر فاثله
برد الرضاب ولم يفتر لهاهب	واحر قلباه من نار يؤججهما

بي ظمئة وبها ايامي سارية
 من لي بعانسة في فيك يدخرها
 بحق معطيك هذا الحسن لاتي
 يبيتته الشوق احيانا وينشره
 قد حزني الضر يا ليلى وعاذلي
 وعاورتي همومًا خففت همي
 جودي بوصلك لي والمهر يا املي
 لم يبق لي نشب اما اذا رجع ال
 حبر بدعوته الاوزار تنقضب
 تهز نقمة اشعاري مناكبه
 لذاك والله خير الناس قاطبة
 كأن عيني به والحى مبهج
 يقله فرس من فوقه اسد
 ان صال قطع اوصال الرجال وان
 ياقاصد البيت لو لم تات تجرته
 انت ابن يس بيت الله يعرفكم
 لم يبق جودك لي في المال من ارب
 عودتي الخير في حل وفي سفر
 انت الذي تقبل الدنيا بدعوته
 عسى يبدل اعساري ببسرة
 زر حج طف واعتمر وارم الجمار على
 لازلت افضل من حجوا واورع من

وكتب الامير الى ابن عمنا الفاضل الناظم
 بما اسنى الله له من الفتح المبين والحصول على التمكن . فاجابه بقوله . الحمد لله
 الذي بحمده تفتح الامور وهو الفتح العليم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد
 صاحب الخلق العظيم والكرم العظيم . وعلى آله وصحابه ذوي الشرف الباذخ والفخر العظيم
 يا قادمًا عمّت الدنيا بشائره
 ابدى بك البشر باديه وحاضره
 قدمت والخلق في نعمى وفي جذل

امارة الدين والعلم الذي رفعت اعلامه والندى الفياض زاخره
الامارة التي اشرق في سماء العدل شهابها . واتصلت باسباب المجد اسبابها . واجيلت
قداح المفاخر فكان الى جهة الله انديابها . واشتملت على المغاف والطهارة اثوابها . المداخل
عن مرضاة الله اصيل نفجره . المتسم بالمرباط المجاهد على اقتبال سنته وجدة عمره
مخدوم الملوك على شدة بأسها ومعظمها على اختلاف اجناسها

ملك نتوج بالمهابة عند ما لم يستجز في الدين لبس التاج
ماضي العزيمة والسيوف كليله طلق الحيا والخطوب رواج
سيدنا ووسيلتنا الى رب العالمين . مولانا عبد القادر ابن شيخ الاسلام . قدوة الانام
مولانا يحيى الدين . رزقكم الله تاييداً تبدي له الجياد الجرد . والرماح المله . ارتياحاً
واهتزازاً وعزاً يطاء . من اكناف البسيطة وارجائها المحيطة سهلاً وعزازاً ويمنا يشمل
من بلاد الله اقطاراً نازحة ويعم احوازاً ونجداً يحوب الآفاق جوب المثل
السائر عراقاً وحجازاً

لازلت ترقى وترقى في العلا ابداً مادام للسبعة الافلاك احكام
وسلام كريم طيب عميم . ختامه مسك . وزاجه تسنيم . على ذلك الجانب الرفيع
الظاهر في اقصى المغرب والمشرق في زي بديع . من عبد افعده ذنوبه . وابعده
عن حضرتم عيوبه

صب يحث مطاياهم بذكرهم فليس ينسأكم ان حل او سارا
لكنه حادثات الدهر تمنعه وقد اقامت له الايام اعذارا
وبعد فان كتابكم الصادر من طابه . المشحون بالانفاظ العذبة المستطابه . المشرق
شمساً في سماء الفصاحة والبلاغة المنسبك تبراً في صناعة الصياغة . الميدي لنظاره
دلائل الاعجاز . المظهر بلطفه عين الحقيقة في خيال المجاز . قد وافانا ونحن في
غاية الارتقاب . لما يصل اليها من ذلك الجانب . فعظم موقعه من نفوسنا . وقبلناه
اجلالاً ووضعناه فوق رؤسنا . وانشدنا عند ازالة اللثام وفض الختام . لشبه الحال
بالحال قول ابي تمام

فضضت خنامة فتبلجت لي	غرائب عن الخبر الجلي
وكان اغض في عيني واندي	على كبدي من الزهر الجني
واحسن موقعاً مني وعندي	من البشرية انت بعد النعي
وضمن صدره ما لم تضمن	صدور الغانيات من الحلي

فكائن فيه من معنى خطير وكائن فيه من لفظ بهي
رسالة من تمتع منذ حين ومتعني من الادب الشهي
ثم نتبعنا غرائب واسطاره . وحللنا تراكيبه واشطاره . واقفنا بواجبه القيام الحسن .
واحتفلنا به احتفال المؤمن بينت الحسن . فتساقط علينا رطباً جنياً . وهى ودقه على الربع
من افكارنا وسمياً . فجاد واروى . واجاد فيما روى . واجي من القرىحة ميتاً كان
حديثاً يروى

ستكشف من سر الكتائب مثل ما رايناك عن سر البلاغة تكشف
فوالله لقد سرت معانيه في الجسد روحاً . واشرقت في سويداء الفوائد بوحاً . وما
عسى ان نقول وما هو الا لطافة نسيم . او سلافة نديم . فلذا سكر كل رقيق طمع برحيقه
وشكر . وآمن برسالة محمد ولو انه المتنبى وما كفر . فتلقينا منه حقيقة الحال بعد الالتباس .
واخذنا وجه الخبر من نصه المغني عن القياس . فاستفدنا منه ما حصل لكم من النعم
الوافية . والاستمدادات الكافية . زيادة على ما لديكم من المواهب . وتكملة لاعلا المراتب
واسنى المطالب . وانكم لا زاتم مترددين بين مكة والطائف . وطيبة ذات المحاسن واللطائف .
اونة في حرم الله . وؤنة في حرم رسول الله

ربوع بها تلو ملائكة العلى افانين وحي بين ذكر وقرآن
وعرس فيها للنبوة موكب هو البحر طام بين هضب لجان
مضالع آمان مثابة رحمة معاهد املاك مظاهر اعيان
وانك طالما وردت من تلك الحياض . ومنتعت ناظرك في تيك الرياض . لنفحاتها
متنسماً . واسكانها مقبلاً ومعظماً . وانت سائح بالاحبة وبالمحبوب راض . وجدير كما
قال القاضى ابو الفضل عياض . لمواطن عمرت بالفضل والتزليل . وتردد فيها جبريل
وميكائيل . وعرجت منها الملائكة والروح . وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح . واشتملت
تربتها على جسد سيد البشر . وانتشر فيها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر . مدارس
آيات . ومساجد وصلوات . مشاهد الفضل والخيرات . ومنبع البراهين والمعجزات . ومناسك
الدين . ومشاعر المسلمين . ومواقف سيد المرسلين . ومنبأ خاتم النبيين . ومنها انفجرت النبوة
بدين فاض عبابها . ومواطن مهيطة الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها . جديرة بان
تعظم عرصاتها . وتنسم نفحاتها . وتقبل ربوعها وجدرانها

يحق علينا ركوب البحار وجوب القفار اليها ابتدارا
فيافوز من فاز في طيبة بالثم المغاني جداراً جدارا

والحق خدًا على تربها واكل حجًا بها واعتارها
واهدي السلام لخير الانام على حين وافى عليه مزارا
مثلي اذا سارت الركاب . تعلق بالاسباب . وانشد ممتثلا . وعلى النية الصادقة ان
شاء الله تعالى معولا

يا سائرين الى المختار من مضر سرتم جسرا وسرنا نحن ارواحا
انا افندا على عجز وعن قدر . ومن اقام على عجز كمن راحا
والحق ان الحازم من اخذ على كل حال بقول حازم في تصدير اعجاز لامية الضليل
نخرجًا لما عن ذلك السبيل

وفي طيبة فانزل ولا تغش منزلاً بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وزرروضة قد طالما طاب نشرها لما انسجتها من جنوب وشمال
واثوابك اخلع تعزماً ومصداً لدى الستر الا لبسة المتفضل
لدى كعبة قد فاض دمعي بعدها على النحر حتى بلّ دمعي محلي
ومثلكم من يراعي امر الله حق الرعاية . ويحري في معاملاته على ما اسس من
حسن البداية . فقد انقطع والحمد لله رجاء الحاسد وسلم المعاند . وتساوى في
ذلك الغائب والشاهد . وافرّ بفضل الله الجاحد

ومليحة شهدت لما خربتها والحسن ما شهدت به الاعداء
فاني يجاري الضحاح قاموساً . ارباري السعرة عصي موسى . فليتطاول
المتطاول . واساجل الساجل . فالكمل دون تلك الغاية وقف . وشهد بالعجز عن
ادراك ذلك الشاؤ واعترف . وبان الانتزاد بالفضل وظهر . وانتشر الاختصاص بالتجد
انتشار الغزاة واشتهر . وسد الحال في ذلك مسد الخبر

فالوصف اغنى وما اغنت شهادتهم لكنها زادت التبيان تبياناً
فهنيئاً لك ثالث العمرين الجامع بين فضيأتي عالم المدينة وعابد الحرمين . ذلك
الشرف الصميم . والفخر العميم . والفوز العظيم . وعمل سلفك القديم . فكم مفازة في
ارض الله عبروها . ومدارس بيت قواعد الدين عمروها . انساب طاهرة . وعلوم
فاخرة . وايد غامرة . وسيوف الاعادي قاهرة . ووجوه ناضرة . الى ربها ناظرة

لا ينتهي نظري منهم الى رب في المجد الا ولاحت فوقها رب
فكم انشوا من ارماق . وفكوا من وثاق . ودروا على الخلق من ارزاق . بهذا
نمت لهم البرية وشهدت وما قلت الا بالذي علمت فما هي والله الا طرقتهم المثلى

سكنت . وشمائهم الفضلى ورثت فمنكت . وقد اشار العبد الى هذا في القديم .
وسبق قوله فيه وان كان لجهله بقواعد القريض غير مستقيم

شيم هيز الراسيات سماعها . ويجر في انف الزمان غوال
اوصاف والدك الامام المرتضى للدين والدنيا بحسن خلال
لك فيهم الفخر الكبير وان يكن لك في العلي نسج على منوال
كل الكمال لهم وانت مقره والفرع عين الاصل عند مآل

هذا وقد بلغنا عن السنة الوافدين من الحضرة الحجازية . والديار التبرامية .
انك اجتمعت في سفرك هذا بشيخ عارف اخذت منه فما كدت اصدق فيما سمعت
بعد ان علمت من فضل الله الذي لديكم ما علمت . ولقوة اعتقادي فيك وحصول
العلم الذي لا يقبل التشكيك . فقد جلت في مغارب الارض ومشارقها . وسبرت
الرجال وكشفت عن حقائقها . وجالست بقصد الاستفادة علماءها . وجالست برسم
التبرك شيوخ الطريقة وكبراءها . فلا بحر الا ورفعت شراعه . ولا بر الا وطئت
كما هو في علمك ذراعه . فحصل لي من انواع الاغتراب ومشاق السفر ما لا اصفه
من العناء ثم رجعت وانا بعد ذلك كله فما رأيت من ذهب بظاهره مع الشريعة
ووقف بباطنه مع الحقيقة مثلك . ولا من تعرف نعرف من صدور الكراسي
والمنابر . والسنة الاقلام وافواه المخابر معرفتك . فقامك مقام عارف لا مقام مرید
ومثلك من يفيد لا من يستفيد . وان كان فمن عجائب الدهر . ومن باب يوجد
في النهر ما لا يوجد في البحر . وسبيل المزية تكون في المفضل دون الفاضل . وشاهد
ذلك كله حديث ما المسئول باعلم من السائل . اقول هذا والحق ان طريقة التسليم
اسلم . ففي صنع الله ما لا ادري وفي علمه ما لا اعلم . والان سيدي لحج مبرور . وعمل
مقبول . وسعي مشكور

فاهناً امير الواصلين لامة افواههم ما ان بغيرك تنطق
هذا ولا زائد بحمد الله تعالى سوى ما عندنا لكم من الصنائع التي تشام بوارق
التشيع من خلالها . وتدل مخائل بدايتها على حسن ما لها . والود الذي يحل موقعه في
النفوس . وتضييق على حمل بعضه هذه الطروس

فلا تنسي من اهل ودك انني اخاف الليالي ان تطول فتناسي
وقد اقتضى المقام ختم هذه الرسالة بقول ابن خاتمة . ختم الله اا واكم بحسن
الخاتمة . ومثل ذلك مما يرتاح له اللبيب . ويستحسنه الاديب . وللارض من كاس الكرام

نصيب . مع ما في ذلك من وضع النقل في محله بلا مرا . ومطابقة الحديث لاصله كما ترى
 قدمت بما مرّ النفوس اجنالاؤه فبهنت ما عم الجميع هناؤه
 قدوماً بخير وافر وعناية وعز مشيد بالمعالي بناؤه
 ورفعة قدر لا يداني محلها رفيع وان ضاهي السماء اعنلاؤه
 عنيت بامر المسلمين فكلمهم بما ترقيجه قد توالى دعاؤه
 بلغت الذي املته من صلاحهم فادركت مامولاً عظيماً جزاؤه
 فياواحدآ اغنت عن الجمع ذاته وقام باعباء الامور غناؤه
 بقيت وصنع الله يدني لك المنى ويوايك من مصنوعه ما تشاؤه

هذا ما سمعت به الفكرة التي ركضها الدهر فاخذها . واستشفها الحادث الجلل
 وثقصاها . والمرجو من المخدم للخادم الغفوعا هو من عثرات القلم لازم فالقلب بلواعج
 الشوق مشغول والفكر بترادف الاهوال مشغول والعذر عند خيار الناس امثالكم
 مقبول والا فلسان الشكر وان طال قصير وتحرير جميل المحامد وان حصل الاطناب
 فيه يسير والله لو جاز ان تسافر نفس عن انسانها او ترحل عين عن انسانها
 لكنت اول من سبق الكتاب بنفسه لتفوز العين بشاهدة جمانكم المازي بيدر الافق
 وشمسه وما كان المملوك يخنار الخطابة بالقلم عن المشافهة بالفم لكن لاحيلة مع المقدور
 والله ميسر الامور ودمتم سيدي في عز وامان . ما استجد الجديدان كتبه عن ود
 صادق وقلب بشدة الاشواق خافق تلميذكم المفتخر بالانتساب اليكم اي افتخار مجلكم
 الطيب ابن المختار اصلح الله احواله واجري على وفق الشريعة المطهرة اقواله وافعاله
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

ما غنى المشتاق طرس رسالة بحديث اشواق وبث غرام

حرر في ربيع الثاني سنة احدى وثمانين ومائتين والف

ولما وصل الامير الى دمشق توالى عليه مكاتيب اهل مكة المشرفة والمدينة
 المنورة يتأسفون على فراقه وبعده عنهم ومن جملتهم شيخ الخطباء في طيبة السيد
 محمد مدني فاجابه الامير بقوله . الحمد لله - حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا
 محمد رسوله وعبده وعلى آله وصحبه وجنده وجيران مضجعه الشريف ولحده . اما بعد فاني
 اهدي لحضرة المحب الا في المصافي الاصفى ذي انفضائل الجبلة والفواضل فحبة الكرام الاماثل
 السيد محمد مدني شيخ الخطباء . وتاج الادباء . اوفى تسلمات وازكى تحيات . وانغى
 بركات الطف من التسميم . واعذب على كبد المحب من التسنيم . هذا وانه بلغنا

عزيز كتابكم . وانتعشت الروح بلذيد خطابكم . واشتشفينا بوروده . وبرد غليل
الشوق بعذب موروده . واثقيننا حر النوى بجواشي بروده . فانه اظهر مالنا عندكم من
رعي الذمام واعرب . واتى بالسحر الحلال واعذب

كتاب كوشي الروض خطت سطوره يد ابن هلال عن فم ابن هلال
وانا لهاتيك الحضرة الشريفة وجيرانها . والمعاهد المنيفة وسكانها لني اعظم
اشواق . وفيض اماق . وتمنى عود وتلاق . وما عسى يغني عنا تعليل النفس بالتلاق
وكادت الروح تبلغ التراق

بعد المزار ولوعة الاشواق حكا بفيض مدامع الآماق
امعالي ان التواصل في غد من ذا الذي لغد فديتك باقي
ولطالما اردنا ترويح النفس بذكر ايام الوصل . واجتماع الشمل . فيشتد قلقها
ويزيد ارقها

وقفنا ساعة ثم افترقنا وما يغني المشوق وقوف ساء
كان الشمل لم يك ذا اجتماع اذا ما البين شئت بالجماء
فالقلب عندكم مقيم . والجسم في عذاب اليم . اذ المراقبة مع المباشرة . ليست
كالمشاهدة والمعانية

لئن اصحبت مرتحلاً بجسمي فروحي عندكم ابداً مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى لذا سأل المعانية الكليم
وانكم بشرتمونا بانكم ناثبون عنا في تقبل تلك العتبات . ومعكفون على الدعاء
لنا واستجلاب الرحمت . فجزاكم الله عنا افضل الجزاء ووفر حظكم بين الحظوظ
والاجزاء . وكافة الاحباب . لا زلتم تحفظون بعناية الحفيظ الوهاب

﴿ ذكر توجه الامير الى الاستانة ثم الى باريس ورجوعه الى الشام ﴾

وانا رجع الامير من الرحلة الحجازية تعلقته همته بزيارة حضرة السلطان
الغازي عبد العزيز خان وفي السابع والعشرين من ذي القعدة سنة مائتين واحد
وثمانين والثاني والعشرين من نيسان سنة خمس وستين وثمانمائة توجه الى بيروت
ومنها الى الاستانة فاكرمت الدولة العلية نزله وظهرت من الاحتفال به اكمله ومن
الاكرام اجرله وعند وصوله تلقاه مامور الفشريفات في البابور وبعد اداء ما يليق
نزل به الى البرفسار في جماعته بالعربات المهيئة لركوبه الى المحل الذي اعدته

الدولة لنزوله ثم جاء الوكلاء والوزراء والاعيان وسفراء الدول للسلام عليه وكان
احضر معه من الشام ثلاثة من جياد الخيل العربية فحصل تقديمهم وحازوا القبول
ثم تعطفت الحضرة السلطانية فارسلت اليه تدعوه الى الحضور وكانت المقابلة على
غاية ما يكون من الانس والمجاملة وظهر له من اللطف الملوكوني ما اطلق منه اللسان
بالشكر له على ما اولاه من الاحسان ثم اخذ الامير في رد زيارات الوزراء وارباب الدولة
وسفراء الدول وغيرهم من الاعيان وزار الخوقة الشريفة وانعم السلطان عليه بالنيشان
العثماني من الرتبة الاولى جاء اليه به الصدر الاعظم فؤاد باشا ثم انعم السلطان
عليه وعلى الاخوة برتب ونياشين وعينت له الدولة وابوراً صغيراً للتنزه في البوغاز
وعربات يركبها اين اراد واحتفل الصدر الاعظم لضيافته احتفالاً ملوكياً ودعاه
الشريف عبد المطلب ثم تناهت الضيافات والمآدب

وفي ليلة الجلوس السلطاني دعاه فؤاد باشا الى حضور الاحتفال في منزله ومن عناية
السلطان به وحسن التفاته اليه ما ترك له حاجة رفعا الى اعتابه الامر بقضائها على
اكمل الوجوه وفي جملتها شفاء في اعيان دمشق الذين حكمت الدولة عليهم بالنفي في
حادثة دمشق ونفوا الى قبرص ورودس وصدرت الارادة السنية بتسريحهم ورجوعهم
الى اوطانهم فقال في ذلك مفتي اللاذقية السيد عبد الرزاق افندي فتاحي الحسيني

لازمة

سليت انتكي من الاحداق هنديا خود حكي قدها بالميل خطيبا

دور

رشيقة القد بالاعطاف تسبيني تسمو بظلمتها حسناً علي العين
رضابها العذب منه الرشف يحيني وقد دعائي بفرط الوجد مسميا

دور

يا بانه اللطف كم ذا تهجرين الص مني بطيب اللقاراعي حقوق الحب
متي تجودين يا اخت المعى بالقرب لمغرم قد غدا بالشوق مضنياً

دور

مالي اذا ماجفا الاحباب او بعدوا سوى الامير الذي وافي به الرشد
السيد الشهم عبد القادر السند مولى غدا مدحه في الكون عطرياً

دور

سليل ذي الفضل محيي الدين والحسن في نسبة منتهاها صاحب السنن
بدر الجزا من وافي على سنن غدا به عند رب العرش مرضياً

دور

في فتنه الشام كم وفي من الممم حتى حكى صنعه ناراً على علم
وقد حبته ملوك الارض بالنعمة وللخار نياشيناً زهت زيا

دور

وقد اتم صنيع الخير حيث سرى لباب سلطاننا الاسي الرفيع ذرا
يرجوه اطلاق من في النفي فاعتبرا منه المقام وبالبشرى له حيا

دور

وقد بلغنا جميعاً غاية الامل بحسن اقدام هذا السيد البطل
من فاق فينا بحسن العلم والعمل لا زال دهرًا من الاسوا محيا
وله في ذلك ايضاً

شرى فقد نلنا المني والغم زال والعنا

دور

الله عودنا الجميل من فيض احسان جزيل
لا بد للخطب الجميل من منحة فيها المننا

دور

كم شدة ذاب الفؤاد منها وجافانا السهاد
قد حفيها لطف فعاد فيها لنا يسر دنا

دور

صبراً اخا العقل السليم وارضى بتقدير الحكيم
فالله ذو الفضل العظيم بفضلته قد عمنا

دور

بالصبر قد حزنا الفرج وبه لنا فاح الارج

والغنى زال كذا الحرج مع كل كرب احزننا

دور

قد فاز عبد القادر رب الكمال الباهر
بجزيل اجر وافر لما بدا الخير اعتنى

دور

بدر الجزائر ذو العلا من فاق قدراً في الملا
بجر لوارد حلا وفي العطا مولى الغنا

دور

ليث الوغى رب الندا سامي الذرى شمس الهدى
اهل التقى نور بدا يحو الدياجي بالسنا

دور

في فتنه الشام الشريف قد سكن الخطاب المخيف
بجزمه الوافي المنيف خف البلا عن قطرنا

دور

الوسع اضحى باذلاً وقد رقى منازل
وله الملوك عاجلاً اهدوا نياشين الشا

دور

ثم انتضى العزم الوفي لرد من منا نفى
فتحا حى الليث الصفي بدر الملوك عزنا

دور

سلطاننا عبد العزيز غوث الملا الحرز الحرير
سامي الذرى الغوث المجيز من بالمراد امدنا

دور

الى حماه قد ورد قد فاز منه بالمدد
واجابه فيما قصد وعنا له عمن جنا

دور

وحباه نيشان افتخار واحله اوج الوفار
فسمي له ذكر وسار مع ما من الخير اقتنى

دور

ندعوك رب العالمين بالمصطفى طه الامين
ايد امير المؤمنين سلطاننا غوث الدنيا

دور

واحفظ له اشباله وامنحهمو اقباله
يسر له آماله وافتح له يا ربنا

وله ايضاً

اثن انكر الوغد اللئيم صنائعاً بدت بدمشق من امير الجزائر
فتلك لعمرى سطرته يد العلا على جبهة الدنيا مدى دهر داهر

(وبعد) ان اقام الامير في الاستانة شهرين توجه في الخامس من صفر والثامن والعشرين من حزيران الى فرنسا وفي الثاني عشر من صفر والخامس من تموز دخل مرسيليا فاستقبله حاكمها بالاحترام واهتزت البلد باهلها لقدمه فاذا خرج من نخل نزوله تبعته زمر الاهالي ينظرون اليه احتفالاً به واحتفاءً وكانت جماعات كثيرة تجتمع في ساحة الدار النازل فيها ويصرخون فليعش الامير عبد القادر وبعد ان اقام اياماً عزم على السفر الى باريس وعين اليوم الذي يسافر فيه ثم ظهر له في التاخر الى اليوم الذي يليه فاتفق ان قطار سكة الحديد في اليوم الذي عدل عن السفر فيه صادمه قطار آخر ملاقياً له فمات فيه نحو الخمسة عشر نفساً وجرح كثيرون فظهر من تاخره ما دل على عناية الله به ورعايته له وفي ثاني ذلك اليوم توجه الى مدينة ليون الشهيرة ومنها الى باريس فاستقبله اعيان الدولة وخرج اهل باريس لرويته وحصل في طرفاتها مع اتساعها من شدة الازدحام ما لحق به الضرر للضعفاء ولاولاد وكان نزوله في المنتزه الذي اعدته الدولة له وبعد اخذ الراحة اجتمع بالامبراطور نابليون الثالث فرأى من انسه ولين جانبه ما يحجز الواصف ان يصفه واستمر جلوسه عنده نحو الساعة ثم اجتمع بوزراء الدولة وامرائها وقادة الجيوش

فمن دونهم من المأمورين وكلهم فرحون بمبتجئون بمشاهدته معجبون بحسن مجالسته ولذيد
 محادثته وكان اذا خرج الى محل تسابق الناس الى الطريق التي يسلكها وكلما مر
 بجماعة يصرخون ليعش الامير عبد القادر ودعاه سائر امراء العائلة الامبراطورية
 النابليونية الى منازلهم واحتفلوا لضيافته بانواع الزينة وغيرها من دواعي السرور وفي
 العاشر من ربيع الاول واول اغسطس توجه الى لوندرة فاستقبله وزير الخارجية في جماعة
 من الاعيان بالاعزاز والاعظام وكانت الملكة وولي العهد وقتئذ في اطراف الجزيرة
 وظهر اهل لوندرة السرور بوفادة الامير الى بلادهم ولحجت به جرائدهم واطنبت في
 مدحه بما شاهده الاهالي من لطفه وكيله وافتخرت بزيارته بلادهم على غيرها من مدن
 اوربا وبعد ان اقام اربعة ايام رجع الى باريس ثم توجه الى سراية فرسالي فجال فيها
 وجاس خلال منازلها العظيمة ونظر الى ما فيها من الصور الحديثة والقديمة ثم دخل الى
 محل فيه صور الحروب التي جرت بينه وبين جنود فرنسا فتتبع بنظره تلك الصور
 فرأى في جميعها نصرة الجيوش الفرنسية وغلبتها فالتفت الى الجنرال المحافظ على
 ذلك القصر وقال له ولم لم تثبتوا صور الحروب التي انهزمت فيها جيوشكم وكانت
 الدبرة فيها عليهم فضحك الجنرال ومن كان حاضرا معه من الاعيان وايدوا كلام الامير
 وصوبوه ثم نزل الامير الى الجنيئة في ساحة السراية وصلى الظهر بن معه من رفاهه ثم
 ودع الجنرال وركب العربية المعدة له وتوجه الى غابة بلونيا وصلى العصر برأى من جموع
 كثيرة اجتمعت لرؤيته . اخبرني بعض من كان حاضرا معه ان جميع من كان موجودا
 في ذلك اليوم بتلك الغابة من الفرنسيين وغيرهم وقفوا صفوفا ينظرون الى صلاته
 ويمدحونه على اظهار شعائريته ثم قال والحق يقال ان منظر الامير منتصباً للصلاة
 امام الجميع خاشعاً لحضرة الحق تعالى لمن المناظر التي تحرك بها القلوب وتصرفها الى
 جانب الحق تعالى وبعد ان اتم صلاته توجه الى محل نزوله واتخذت الحكومة على محل
 صلاته سياجاً من حديد احتراماً له وهو موجود لهذا العهد ثم دعاه الامبراطور الى
 معسكر شالون ليحضر معه موسم عيده فاقام عنده يومين في اعزاز واكرام ثم رجع الى
 باريس وتوجه الى يرست وحضر الاحتفال البحري وكانت الدواير الفرنسية
 والانكليزية راسية في ميناء تلك البلدة فجري للامير الاستقبال العجيب من الوزراء
 وقادة البوارج وضباطها وخبروا له المدافع واجروا الحركات الحربية ولم يتركوا شيئاً
 من انواع الزينة البحرية الا اجروه ثم رجع الى باريس وفي الثامن والعشرين من الشهر
 المذكور ركب سكة الحديد الى مدينة امبواز التي اقام فيها اسيراً اربع سنين ولما وصل

مخبطتها وجد جميع سكانها ينتظرون وصوله فقابلوه بالفرح والسرور ومشى الاعيان والوجوه بين يديه الى محل نزوله ثم قام احد الاعيان وتلا خطبة مدح فيها الامير وفي اليوم الثاني دعاه حاكم البلد الى محله واحتفل لضيافته باسم كافة اهل البلد فكانت وليمة شائعة حافلة حضرها جميع وجوه المدينة واعيانها وتليت خطب الشكر للامير والثناء الجميل عليه حيث شرف مدينتهم وراعي ما كانوا عليه ايام اقامته عندهم من الخلوص والمودة له ثم شيعوه الى المحطة مظهرين شعائر الاسف على سفره وايام اقامته في باريس دعى الى منازل الوزراء ورجال الدولة والقسيسين وكان اكثرهم يطالبون منه ان يكتب لهم شيئاً يذكرونه به فكان يكتب لكل واحد ما يناسب حاله ومقامه فيكتب لهذا بيت شعر في المدح ولهذا في الموعظة وللآخر حكمة من حكم الاقدمين وهكذا فكانوا لذلك من الشاكرين له متعجبين من المناسبات التي يقفون على سرها ويصلون بفهامهم الى المراد منها وفي اثناء المحادثة كلم الامبراطور في شان الشيخ شمويل الداغستاني بقوله ان الناس لما علموا شدة اعتنائكم بشؤني وحسن التفاتكم اليّ صاروا يتعلقون بي في مصالحهم الجسيمة وهذا الامام شمويل المحبوس عند ملك الروس قد كتب اليّ مراراً لما كنت بالشام وفي مكة المكرمة يريد مني السعي بيهتكم في خلاصه الى بلاد الاسلام والآت ارسلك اليّ رسولاً مخصوصاً لهذا الامر وقال ان عمره قارب السبعين فهو يجب ان يموت عند المسلمين ولما كنت في الاستانة تذاكرت مع سفير روسيا في امره فاجابني بان شمويل طلب منذ اربع سنين من الملك ان يطلقه من حبسه الى مكة وان الملك اجابه بان يصبر الى نهاية الحرب في داغستان والحرب انتهت الآن واحوال داغستان قد انصلحت واستقامت فلا مانع من اطلاقه ولكن لا يكون ذلك الا بعد انتهاء مهاجرة الجراكسة من بلادهم الى بلاد الدولة العلية وربما يتم ذلك في مدة ستة اشهر ثم اني تكلمت مع الصدر الاعظم ووزير الخارجية في مدة اقامتي في الاستانة في هذا الامر فقالا اذا اطلق ملك الروس سراح الشيخ شمويل فالدولة العلية تقبله في ممالكها وبناء على هذا فاذا حسن عند حضرتكم فاني اذهب برسم الزيارة الى قيصر الروس ولتقديم الشكر على النيشان الذي ارسله اليّ ثم اطالب منه تسريح شمويل واني لم اعتن في امره الا لكونه سلك في الطريق الذي سلكته وكل انسان يميل بالطبع الى شبيهه ولا سيما انه اسير كما كنت اسيراً مدة طويلة ولولا ان العناية الالهية استعملتكم في خلاصي واطلاق سراحني لما كنت تخلصت. ولما بلغ الامير تاسف ملكة انكثرتا على عدم حضورها في لوندري حين شرف اليها كتب الي ولدها ولي عهدا ما نصه

المعروض منذ زمان اترقب فرصة احضر فيها الى عاصمتكم الملوكية واجتمع فيها بحضرة الملكة وحضرتكم ولما انتهت الاسباب توجهت نحوكم فلم يقدر الله لنا ما نؤيناه من الاجتماع وبعد ان اقمنا في لوندرة اربعة ايام وقام بضيافتنا فيها وزير الخارجية وغيره من اعيان الدولة رجعنا الى ياديس شاكرين لهم وقد ارسلت مكتوبي هذا الى سموكم لينوب عني بما امكن في تقرير الحال لديكم حرر في رابع اغسطس سنة خمس وستين وثمانمائة

ولما علم الامبراطور نابليون ان المرتب المرسوم للامير غير كاف لمصارفه الكثيرة امر له بزيادة خمسين الف فرنك في السنة من خزينته الخاصة ثم بلغ الامير ان زوجة الامبراطور كانت السبب في هذه الزيادة فكتب لها يشكر فعلها وشدة اعتنائها باموره بقوله اما بعد فان وزير الخارجية اخبرني بان حضرة الامبراطور وفقه الله زاد في مرتبي خمسين الف فرنك ثم اخبرني الجنرال فلوري بان حضرتك كنت السبب الاقوى في حصول هذا الخير الجسيم لنا فحملني ذلك على ان اشكر صنيعك معنا وسعيك في عمل الخير زادك الله توفيقاً الى مثل هذا المبرات التي لا شك انها تتخلد لكم ذكراً حسناً في العالم وفي ايام اقامته في لوندرا قدمت الى حضرته الجمعية المؤسسة لحماية بني الوطن فيها تقريراً صورته

الى سمو الامير عبد القادر اما بعد فنحن الواضعون اسمانا في هذا التقرير عمدة جمعية حماية بني الوطن قد سررنا وابتهجنا عند ما سمعنا بوصولك الى عاصمتنا لاننا نحب شخصك ونحترمه نظراً لما نعرفه من حسن اخلاقك وصفاء طويتك اسائر عباد الله ولا يخفى ان مبادي هذه الجمعية التي نحن مرتبطون بها توجب علينا ان نحب ونحترم ابناء الشرف وتلزمنا بمراعاة مصالحهم وقد رجح ميلنا لنحوك لانك مملوء بالشفقة والرحمة على عباده تعالى وبرهان ذلك ما ابديته مع الوف من مسيحي دمشق حين التجؤا اليك فانك آويتهم وبالغت في الاحسان اليهم مع انهم ليسوا من ابناء دينك فنحن الان بالنيابة عن نصاري هذه العاصمة نوذي لك الشكر والثناء الجليل حيث انك جبرت المنكسرين ثم نشورك اننا قد تمثلنا بين يدي امبراطور فرنسا وادينا له ما يليق بعظمته من الشكر على احسانه الى سكان الجزائر ونفرح الان بكوننا نخطبك ايها السيد المحترم ونسأل الله تعالى ان يديك رحمة للمساكين زمناً طويلاً وقبيل سفره زاره رؤساء بلدية باريس وقدموا له ثلاث مادلينات الواحدة مموه بالذهب والثاني مموه بالفضة والثالث نحاس ففي الجهة الواحدة نصف صورة الامير مكتوب على دئرتها عبد القادر بن يحيى الدين امير افريقيا الشمالية نحامي المسيحيين المظلومين

ولد في معسكر سنة ٨٠٧ ومكتوب في الجهة الثانية جيكورتا الثاني قاوم اقوى امة في الارض ستة عشر سنة سلم سيفه في ديسمبر سنة ٨٤٨ اعطاه نابليون الحرية سنة ٨٥٢ حامي مسيحي الشام سنة ٨٦٠ فرانسوا التي حاربها تحبه وتنتخر به وبعد هذه الكتابة صورة يدان يتصافحان وجيكورتا اسم رجل من افريقية حارب الرومانيين ودافعهم عن وطنه وبعد ان قضى الامير جميع مآربه في باريس ودع الامبراطور ووزراءه واعيان باريس ووجوهها وخرج منها في الثاني عشر من ربيع الثاني والثاني من سبتمبر قاصداً دمشق وحصل له في الطريق مزيد الاكرام والاحترام لا سيما في مدينة ليون الشهيرة فان حاكمها جمع عساكرها واجرى في ساحتها بين يدي الامير حركات حربية عجيبة قسم فيها العسكر الى برية وبحرية واتفق ان البرية انكسر جانب منها نامدها الجنرال مونتويان وهو القائد الاكبر بكتيبة من البحرية وكان نهر ليون العظيم حائلاً بين الطائفتين فلما امر العسكر بالجواز الى العدو الثابتة النجدة المنهزمة وضع كل واحد منهم دفعة كانت معه على متن الماء بازاء دفعة الآخر فصاروا جسراً واجازوا عليه وفي اقرب وقت كانت تلك النجدة حاضرة في الميدان دافعة للنفثة الغالبة فغضب الامير من تلك الكيفية الحربية الغريبة في سرعة الحركة ولما وصل الى مرسيليا استقبله حاكمها واعيانها استقبالا بهر عقل من شاهده ومنها ركب البحر الى بيروت وتوجه الى دمشق على احد من الاحوال واكملها فدخلها على اكمل الهيئات واجملها

﴿ ذكر ما اجاب به الامير عن اسئلة ارسالها اليه الجنرال ﴾

دوماس الفرنسي

وهذا الجنرال من اكبر قواد الجنود الفرنسيين في الجزائر الذين اشتهروا بالاقدام في حروبها العظيمة ووقائعها الجسيمة مع الامير وكان تعين عنده وكيلاً بام عسكر في المعاهدة الاخيرة وتعلم اللسان العربي واطلع على اشياء من احوال اهل الوطن فكتب اسئلة تتعلق بذلك وبعثها الى الامير وطلب الجواب عنها ونحن نذكر كل سؤال منها مع جوابه فنقول

﴿ السؤال الاول ﴾

قد راينا المسلمين يتزوجون من غير ان ينظر احدهم الى من يريد ان يتزوج بها وربما عند الاجتماع يجد كل منهما الآخر منافياً لمطلوبه فيقع النفور من احدهما او منهما

معاً وهذا يؤدي الى سوء المعاشرة مدة حياتهما او الى الفرق لا عمالة

﴿ الجواب ﴾

ان المسلمين لا يتزوج احدهم الا بعد النظر الى من يريدتها من النساء او يرسل امرأة عاقلة عارفة بما يستحسنه الخاطب ويستقيمه من صفات النساء واحوالهن فتنظرها ثم تخبره بما رآته من صفاتها واحوالها واعلم ان شرع الاسلام لا يمنع من النظر بل يجوز للرجل اذا اراد ان يتزوج بامرأة ان ينظر الى وجهها ويدها ورجليها كما يجوز للمرأة ان تنظر الى الرجل الذي تريد ان تتزوج به وقد ورد في الحديث الشريف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد احدهم ان يتزوج بامرأة فلينظرها فان بذلك تدوم الائمة والمحبة بينهما ومن كلام العرب في هذا المعنى كل نكاح وقع من غير رؤية فعاقبته هم وغم فالتزويج من غير رؤية غرر والغرر يكون في الجمال وفي الاخلاق فالغرر في الجمال يزول بنظر كل من الرجل والمرأة الى الآخر والغرر في الاخلاق يزول بسؤال الجيران ومن يخالط كلا منهما ولا يصدق في الخبر عن الجمال والاخلاق الا من كان عالماً بهما صدوقاً في خبره لا يميل الى احد الطرفين فيزيد في المدح ولا يحسدها فيقصر في الوصف دون ما هو كائن ومن كلام العرب اربعة لا تقدم عليها حتى تسأل الخبير بها عنها المرأة لا تخطبها حتى تسأل عن منصبتها وخلقها والطريق لا تسلكها حتى تعرف انها مأمونة او مخوفة والبلد لا تستوطنها حتى تطالع عن سيرة سلطانها واخلاق اهلها والسوق لا تقصدها حتى تعلم نفاقها من كاسدها ومن كلامهم الندامة ثلاثة ندامة يوم وندامة سنة وندامة العمر فندامة اليوم بان يخرج الرجل قبل الغذاء وندامة السنة بترك الزراعة في وقتها وندامة العمر بان يتزوج من غير نظر ولا سؤال خبير

﴿ السؤال الثاني ﴾

ان المسلمين يتزوجون من غير ان ياخذوا من الزوجات مالا وانما الزوج يدنع للمرأة الصداق وبذلك يحسبها ملكه ويجعلها بمثابة الاشياء التي تشتري

﴿ الجواب ﴾

ان المرأة اذا كان لها مال فان شرع الاسلام يلزمها ان تأتي منه معها بقدر صداقها الذي دفعه الزوج لها فان لم يكن لها مال فلا يلزمها شيء ولا يتزوج المرأة لاجل مالها الا اخساء الناس فاكثر المسلمين لا يتزوجون النساء لمالهن ويقبح على الرجل الكريم ان يخطب امرأة ويسأل عن مالها ومن كلام العرب اذا خطب الرجل المرأة وسأل

عن مالها فهو سارق لص وقالوا هذا فعل يشبه التجارة وليس من مقاصد النكاح ولا من مكارم الاخلاق فاذا كان الحامل للرجل والباعث له على تزويج المرأة مالها فقط فلا شك انها لا تدوم الالفة بينهما لان المال عرض زائل فاذا زال المال زالت الالفة وكذلك اذا منعت المرأة مالها من الزوج ومن كلامهم يلزم ان يكون الرجل فوق المرأة بثلاثة اشياء المال والسن والشرف والا احقرته ومن كلامهم اياك ان تزوج المرأة التي تنظر لما في يديها بل تزوج من تكون هي تنظر لما في يدك فاذا كان المال تابعا للجمال والشرف دامت الالفة واعلم ان العرب لما كانوا يحبون النساء محبة شديدة كانوا لا يسألون عن مال المرأة ولا تجد امرأة بلغت حد التزويج وهي بلا زوج بخلاف غيرهم فانك تجد المرأة التي لا مال لها في سن الثلاثين والاربعين وهي من غير زوج لانهم لا يحبون النساء لدنواتهن بل يحبونهن لدراهمهن ولودفع الرجل العربي للمرأة قناطر الذهب والفضة لا يحسبها ملكه ولا يجعلها بثابة الشيء المشتري كما زعمتم وانما يرى ان الفضل له عليها لان الله فضل الذكر على الانثى فاول ما خلق الله الذكر ثم خلق الانثى منه فالذكر اصل والمرأة فرع والاصل اشرف من الفرع وفي العهد القديم في سفر التكوين قال الله لحواء تكونين تحت سلطان الرجل وهو يتسلط عليك فاذا خالف الرجل هذا وصار تحت قهر المرأة فقد خالف حكمة الله واستحق الغضب من الله لان الله جعل الرجل متبوعا لا تابعا وآمرا لا مامورا وناهيا لا منهيّا وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن عند الزفاف كيف يختبرن ازواجهن فنقول الام لا بنتها يا بنية اختبري زوجك قبل الافدام والجراءة عليه فنزعي زج رحمه فان سكت فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسيفه فان سكت فاجعلي البرذعة نلى ظهره واركيه فانه حمارك

﴿ السؤال الثالث ﴾

من عادة المسلمين انهم يتزوجون اربعة من النساء ويتخذون ما يقدرون عليه من الجواري فتحن تنعجب من الحرة كيف تعيش مع الجارية وربما تكون هذه العادة سبباً في فساد العشرة ونزاع الورثة وقوة الغيرة ومباغضة الاولاد بينهم فينقلب الامر المطلوب ويفسد العيال والذي ينبغي للرجل ان لا يحب امرأة اكثر من الاخرى فكيف يعمل اذا فسدت العشرة وبماذا يصلح فسادها وما الذي عندكم في الشرع حين تقع المنازعة بين النساء اعني ما الذي يفعله الرجل في

﴿ الجواب ﴾

ان الله تعالى خلق النساء لتكثير الاولاد وتفرقهم في اقطار البلاد ومن اراد تكثير الغلة يكثر المزارع ويجعلها اكثر من الحارث والله تعالى ما اقترض على الرجل تزويج اربع نسوة وانما اقترض عليه سلامة الدين والكف عن الزنا فمن كانت سلامته في واحدة فهو افضل ومن لم يسلم دينه بواحدة اذن له في ان يتزوج اكثر من واحدة فالله تعالى لا ياذن لعباده في فعل ما فيه ضرر فلو كان في فعل ما ذكرته ضرر ما فعله الانبياء عليهم الصلاة والسلام ففي التوراة في الاصحاح التاسع والعشرين ان يعقوب تزوج ليا وراحيل وفي الاصحاح السادس والعشرين ان عيصوا اتخذ نساء منهم يهوديت وبسات وفي سفر التكوين في الاصحاح الرابع فاخذ له لاملك امراتين اسم احدهما سادي واسم الاخرى صالى والجماع اعظم اللذات الجسمانية رأيت في بعض الكتب ينفق ذو المال ماله في ثلاثة وجوه في الصدقة ان اراد الآخرة وفي مصانعة السلطان ان اراد الدنيا وفي النساء ان اراد لذة العيش ومن كلام العرب ذهبت اللذات الا من ثلاث الخلوة بالنسوان وشم البنين وملاقات الاخوان ومن منافع الجماع انه ييسط النفس ويفرحها ويطرد الغضب ويذهب الافكار الرديئة والظنون السيئة ولا يكون لذيقا في الغالب لان ملازمة الشيء الواحد يوقع في الملل والقرف وقد اثنى الاطباء على ان اشد ما يساعد على تنبيه الشهوة بعد اليأس منها تجديد النساء والجماع عظيم النفع لاصحاب الابدان القوية ولما كانت الشهوة تغلب على مزاج العرب كانوا اكثر الناس نساء لانهم يقدرون على كثرة الجماع واكثرهم لا تكفيه المرأة الواحدة بل تبقى نفسه مشوشة فيلزمه ان يزيد حتى تستريح نفسه ولا يتشوق للزنا ومن المعلوم ان كثيراً من نساء العرب يشتكون ازواجهن من كثرة الجماع ويدعونهم الى القاضي للمحاكمة ومن العرب من يكرر الفعل مرات عديدة في ليلة واحدة وربما تقول ان هذا شيء سمعت به لا انك رأيته فيحتمل الصدق والكذب فاخبرك عن نفسي فاني اكرر الفعل في الليل والنهار ولا تمضي علي اربعة وعشرون ساعة من غير جماع الا في القليل النادر من الزمان وذلك لعذر كسفر ونحوه ومن كانت هذه حالته فهو محتاج لتكثير النساء فاذا كانت له امرأة واحدة وحاضت او نفست او مرضت او سافرت فلا يقدر

على الصبر واذا لم يجد محلاً حلالاً يدعو الشيطان الى الزنا فيهلك ومن المعلوم عند
الاطباء انه اذا حصل للرجل ما يوجب انزال الماء الى الاوعية كتذكر واحذام وكان
الانسان قوياً وترك الجماع وقع في الامراض العسرة البر فاذا كان عند الرجل اكثر
من واحدة لا يحصل له ضرر ولا يزني في الغالب وما غير العرب فيكفي الرجل منهم
امراً واحدة وربما لا يقوم بحمها ولا يشبعها نكاحاً ومن الاسباب التي اوجبت كثرة
النكاح في العرب خلق شعر العانة من الرجل والمرأة فان عدم الخلق ينقص الشهوة ويضعفها
ومنها استعمال نساء العرب للروائح الطيبة كالمسك والعنبر فان الطيب من اقوى الدواعي
للوطى، ومنها الختان فان الفصن اذا قط وزبر قوي واشتد وغالظ وما دام لا يفعل به ذلك
لا يزال رقيقاً ضعيفاً كما هو مشاهد وهذه الاشياء لا يستعملها الا العرب وقولكم
ويتخذون ما يقدرون عليه من الجواني كذلك هو حلال في شرع الاسلام وفي الشرائع
القديمة وفعله الانبياء عليهم الصلاة والسلام في التوراة في الاصحاح السادس عشر ان
سارة امرأة ابراهيم كانت لها امة مصرية اسمها هاجر فقالت لبعائها هوذا حرمني الرب
الولد فادخل على امتي فدخل بها فحبلت وفي الاصحاح الثلاثين ان راحيل اعطت امها
نبيها الى يعقوب وولدت له ولدين وكذلك امرأته ليا اعطته زلفا وولدت له ولدين وفي
الاصحاح الثاني والعشرين ان سرية ناصور اخي ابراهيم اسمها روما ولدت له طابخ وحاجم
وناخس ومعكا وكان لنبي الله داود عليه السلام عدة كثيرة من الجواني ولائنه سليمان
سبعائة امرأة وثلاثمائة سرية والعرب يحبون اولاد الجواني ويقولون ليس قوم اكيس من
اولاد الجواني لانهم يجمعون بين عز العرب وعلو هممتهم وبين دهاء العجم وكمال عقولهم
ومن كلامهم اذا كانت المرأة لا تلد واتخذ زوجها جارية فانها تلد بسبب الغيرة وقولكم
ونحن نتعجب من الحرة كيف تعيش مع الجارية فاعلموا ان الجارية لا تصل في المقام
والمنزلة الى مقام الحرة ومنزلتها بل دائماً تكون في قبضتها وتحت امرها تقبل يدها ورجلها
وتخدمها ولا تخرج عن طاعتها وامرها ونهيها ولا تحدثها نفسها انها تساوي سيدتها ولا
يمكن ان يقر بها سيدها الا سراً من الحرة ولذلك تسمى سرية اخذاً من السر وقولكم
ينقلب الامر وتفسد العشرة الخ هو حق ولكن في حق النقيير واما اذا كان الرجل غنياً
يجعل لكل امرأة دارها وحدها ويعطيها ما تطلبه من الامور اللازمة فلا يحصل كبير
ضرر وقولكم ينبغي للرجل ان لا يحب امرأة اكثر من الاخرى وهل يقدر على ذلك
جوابه ان التسوية بين الزوجات في المحبة ليس بالازم في الشرع لان الحب لا اختيار
الانسان فيه حتى يقدر على فعله وتركه بل هو امر ضروري لا قدرة له على دفعه ولا

على الزيادة فيه ولا النقص منه بل هو على حسب ما يضعه الله في القلب والمحبة اسباب في المحبوب اما جمال او احسان والقلوب تجبولة مقهورة على حب الحسن والاحسان ولا يقدر الانسان ان يبغض الوجه الحسن ولا من يحسن اليه قال بعض الشعراء
 في وجهه شافع يحجو اساءته من القلوب وجيه اينما شفعا
 مستقبل بالذي يهوى وان كثرت منه الذنوب ومعدور بما صنعا
 ولا يقدر الرجل ان يسوى بين زوجاته في الحب ابدًا ولا يعاقبه الله على ذلك ولا يلزمه التسوية بينهما في الجماع وانما تجب التسوية في المبيت فقط ببيت عند هذه ليلة بنهارها وكذلك عند الاخرى وتجب عليه التسوية ايضًا بينهن في اللباس والاكل والفرش والكلام والمباينة وفي كل ما يرضيهن ويطيب قلوبهن واذا ظلم امرأة بليتها قضى لها ليلة اخرى واذا اراد السفر يجعل القرعة بينهن فمن خرجت قرعتها سافر بها واذا رجعت من السفر لا يحاسبها ضرائرها بايام السفر وقولكم وما الذي عندكم في الشرع حين تقع المنازعة بين النساء اعني ما الذي يفعله الرجل في اصلاح بينهن اقول انه يلزمه ان يبحث عن الظلمة من نسائه فيعظها ويخوفها فان تابت فذلك وان لم تبت فانه يهجرها ويترك الكلام معها واذا نام عندها في الفراش يوليها ظهره يفعل معها ذلك ثلاث ليال الى عشر ليال والى شهر فاذا تابت وطلبت العفو حصل المراء والا فالطلاق والفراق

« السؤال الرابع »

رايت الناس يلومون العرب على ضربهم نساءهم وعلى استعمالهن في الخدمة فوق طاقتهن وعلى قلة المبالاة بهن وهم مستريحون لا يخدمون ولا يعملون شيئاً

« الجواب »

لا يضرب النساء الا او باش الناس والسفهاء الذين لا دين لهم ولا مروءة واما افاضل العرب واهل الدين منهم فانهم لا يفعلون مع النساء اذا فسد حالهن الا ما يطيب قلوبهن ويرضيهن من حسن الكلام ولين الخطاب والمدارة والتلطف حتى ان الرجل يجوز له ان يكذب على زوجته ويعدّها وينيبها اذا رأى ذلك يكون سبباً في طيب قلبها ورضاها واذا فسد حال المرأة ولم تنفع فيها المدارة ولين الجانب فانه يفعل معها ما اذن فيه الشرع من الوعظ والهجر ثم الضرب الخفيف الذي لا يغير جلدًا ولا يسيل دمًا وقد نهي شرع الاسلام عن ضرب النساء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا

يضرب النساء الا اشرار الرجال وكان صلى الله عليه وسلم عند موته يوصي بالنساء ويقول استوصوا بالنساء خيراً حتى ثقل لسانه وخفي كلامه وقد جاءت الوصية بالنساء في القرآن في مواضع كثيرة فيلزم الرجل تحسين خلقه مع النساء واحتمال الاذى منهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صبر على خلق امرأته اعطاه الله من الاجر ما اعطى ايوب على بلائه وليس حسن الخلق بالمرأة كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند غضبها واما خدمة النساء وتكليفهن فوق طاقتهن وعدم خدمة الرجال فهذا ما رايناه ولا نعرفه بل الذي رايناه وعرفناه هو ان الرجل اذا كان غنياً فزوجته لا تخدم شيئاً وان كان ولا بد فانها تخدم الخدمة الخفيفة داخل البيت بشرط ان لا يحصل لها بها ادنى ضرر وان كان الرجل فقيراً فهو يخدم الخدمة التي تناسب الرجال كخدمة الفلاحة والمواشي والتجارة والمرأة تخدم الخدمة التي تناسب النساء كالغزل والنسيج والخياطة والطبخ في الحاضرة وسقي الماء والاحتطاب في البادية واذا كان الرجل صاحب دين ومروءة فلا يكلف زوجته بخدمة خارجة عن البيت ولو كان فقيراً فهو يسقي الماء ويحتطب على ظهره ولا يمكن زوجته من الخروج من البيت

﴿ السؤال الخامس ﴾

بنات الاكابر من المسلمين لا همة لهن الا في زينتهن وتبرجهن بحيث انهن لا ينظرن الى غير ذلك ولا يحسن بالمرأة ان تهمل اوقاتها وتفوتها في البطالة فان ذلك ينشأ عنه شرور كثيرة

« الجواب »

ان المرأة عند المسلمين لا تترك الخدمة كما سبق سواء كانت من بنات الاكابر او بنات الاصاغر فاذا كان زوجها فقيراً تشتغل بالخدمة دائماً واذا كان زوجها غنياً تشتغل بالخدمة في اوقات مخصوصة لا في سائر الاوقات وما سمعنا بامرأة معرضة عن الخدمة مقبلة على اللهو والبطالة الا اذا كانت صغيرة لا تدرك ولم تصل الى حد التكليف بشؤون الخدمة ومن اخبرك بخلاف هذا فقد اخطأ وقد كان والدي من الاشراف الاغنياء وكان في بيته نحو الستين نفساً بين خادم وخادمة ومع ذلك فان بناته ونسائه لم يتركن الخدمة اللائقة بهن في اوقاتها المخصوصة . حكي ان امرأة من العرب كان ابوها اميراً وزوجها اميراً وهي تغزل الصوف فقيل لها لم تغزلين

وانت شريفة غنية عن الغزل فقالت انه يطرد الشيطان ويقطع حديث النفس ومن اقوال العرب خير لعب المرأة بالغزل والابرة واما اشتغال المرأة بالزينة في اوقات مخصوصة فهو مطلوب منها لان التزين من الاسباب التي تدوم بها الالفه والمحبة بين الزوجين قال بعض العرب ان المرأة تنال محبة زوجها بعد تمام حسن خلقها وكال خلقها بان تكون مداومة على الزينة عارفة بما يزيد في حسنها من انواع الحلي واختلاف الملابس وبما يستحسنه زوجها واتفق حكماء العرب والعجم على ان اثاره الشهوة لا تكون الا بالموافقة التامة من المرأة ولا شك ان تزينها لزوجها مما يتم به الموافقة ومن كلام العرب في الامثال عقل المرأة في جمالها وجمال الرجل في عقله ويلزم الرجل ان يتزين لزوجته بما هو من زينة الرجال فان المرأة تحب ذلك ولا تطمع نفسها الى غير زوجها اذا رأت رجلاً جميلاً فكما ان الرجل اذا كانت له زوجة وسخة قدرة ورأى امرأة متزينة نظيفة الثياب يشتهيها قلبه كذلك المرأة اذا رأت زوجها قدراً وسخاً ورأت رجلاً آخر نظيفاً جميلاً تشتهيها نفسها

«السؤال السادس»

ان المسلمين نرى الرجل المسن منهم يخطب البنت الصغيرة وياخذها وعند النصارى هذا عيب ووقاحة وقليل من يصبر على هذه الوقاحة وياخذ بنتاً صغيرة وهو كبير هرم

«الجواب»

هذا غير مسلم بل فيه عيب كبير عند المسلمين وقليل من يفعله منهم نادر والنادر لا حكم له اذ الغالب فيه عدم الالفه والمحبة من البنت الصغيرة للشيوخ غير مرجوة بل لا بد ان تكرهه وتنفر من شبيهه ومن طبع النساء النفور من الشيب قال امرؤ القيس ان تسالوني عن النساء فاني خير باحوال النساء طيب اذا شاب رأس المرء او قل ماله فليس له في ودهن نصيب وقال بعض العرب وقد كان شيخاً شائباً رأيت امرأة جميلة فقلت لها ايتها المرأة ان كان لك زوج بارك الله لك فيه والا فاخبرينا فقالت له في شيء لا تحبه قال قلت ما هو قالت شيب في راسي وتبسمت ضاحكة من قولي فذهبت عنها فقالت لي ارجع والله ما بلغ سني عشرين سنة وهذا راسي ولكن الشيب في راسك فاعلمت اننا نكره منكم ما تكرهونه منا وقيل لامرأة من العرب ما نقولين في ابن عشرين سنة قالت ريحانة يشم قيل لها فابن ثلاثين قالت قوي متين قيل لها فابن اربعين قالت ابو بنات

وبنن قيل لما فابن خمسين قالت يجوز في جملة الخطابين قيل لها فابن ستين
قالت صاحب سعال وانين وعندنا اذا صبغ الرجل شبيه وتزوج المرأة واوهما انه
شاب فان الشرع يعاقبه ويفسخ النكاح ويبطله وكان رجل خطب امرأة وصبغ
شبيه فعرفت المرأة ولا مته فقال

قالت اراك خضبت الشيب قلت لها سترته عنك يا سمعي ويا بصري
فقهت ثم قالت من تعجبها تكثر الغش حتى صار في الشعر
وكذلك المرأة العجوز اذا تزوجت شاباً صغيراً يتخذها الناس هزواً وسخرية

« السؤال السابع »

المرأة عند النصارى تحب على ما فيها من الخصال الحميدة التي حصنتها وافعلاها الجميلة
واما عند المسلمين فانها لا تحب الا على حسب جمالها في الكثير وفي القليل على حسب اصلها
« الجواب »

ان المسلمين يحبون المرأة الجميلة اذا كان مع الجمال دين وصيانة وانما يرغبون في
المرأة الجميلة لان الالفة والمحبة لا يحصلان في الغالب الا مع الزوجة الجميلة والطبع لا
يكتفي بالمرأة القبيحة المنظر واما الجمال الذي لا صيانة معه فهو مذموم وقلماً توجد
الاخلاق الجميلة والآداب الا تابعة للحسن لان الظاهر عنوان الباطن والبدن بما
فيه مطابق للنفس وصفاتها فحسن الخلق والخلق لا يترقان في الغالب ومن امثال
العرب حسن الصورة اول السعادة والنظر الى الوجه الحسن يورث الفرح ويزيد في
نور البصر والنظر الى الوجه القبيح يورث العبوسة ويضر البصر وللجمال سلطان على
النفوس الشريفة تخضع وتذل له واما النفوس اللثيمة فلا فرق عندها بين جميل
وقبيح وهي النفوس البهيمية . يحكى ان احد ملوك الفاطميين قال شعراً من جملته
نحن قوم تديننا الاعين النجس لى على انسا نذيب الحديد
وترانا لدى الكريمة احرا راً وفي السلم للغواني عبيدا

فاتفق انه غزا الشام وحاصر مدينة بها فلما اشرف على اخذها قالت لاهلها
امراة منهم كانت مشهورة بالجمال انا ارحله عنكم فخرجت اليه متنقبة وقالت انت
القائل نحن قوم تديننا الاعين النجس الى آخر البيتين قال نعم فازالت النقاب عن
وجهها وقالت له أجمالاً ترى قال نعم والله فقالت له ان كنت صادقاً في قولك
انك عبد للحسان فارحل عن هذه المدينة فرحل من يومه والجمال الذي تحبه العرب

هو ان يكون في المرأة اربعة سود واربعة بيض واربعة حمراء واربعة كبار واربعة صغار واربعة واسعة واربعة ضيقة اما السود فشعر الراس وشعر الحاجبين واشقار العينين والحدقتان واما البيض فاللون وبياض العينين والثغر والظفر واما الحمر فالوجنتان والثفتان واللسان والثثة واما الكبار فالثديان والفرج والركبتان والعجيزة واما الصغار فالاذنان والتم واليدان والرجلان واما الواسعة فالجبين والعينان واصول الثديين والسرة واما الضيقة فالنحران والاذنان والخصر والفرج وكانت العرب تحب المرأة الزرقاء العينين ويتتبعون بها وقولهم وعلى حسب اصلها في القليل فاعلم ان العرب كانوا يرغبون في الجمال والاصل معاً ولما جاء الاسلام رغبوا في المرأة ذات الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لجمالها ولما لها ولحسبها ولدينها فعليك بذات الدين اي اخترها وقربها من بين سائر النساء وقال لا تنكحوا المرأة لما لها فلفل ما لها يطغيها ولا لجمالها فلفل جمالها يريدونها وانكحوا المرأة لاجل دينها فاذا كانت المرأة جميلة متدينة من بنات الاصل فهي الغاية عند العرب لانها اذا كانت اصيلة تربي اولادها مثل تربيتهن ولا ينها تلد مثل ابيها واخيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحيروا لنطفكم فان العرق نزاع وقال بعض العرب انا لا اتزوج المرأة حتى انظر الى ولدي منها فليل له وكيف ذلك مقال انظر الى ابيها واخيها وعمها فانها تلد مثل ائحدم لا محالة والحاصل ان الخصال المطلوبة في المرأة المطيبة للمعيشة التي لا بد من مراعاتها ستة الديانة وحسن الخلق والجمال والولادة والبكارة والنسب فاذا كانت دينة صانت فرجها وصانت وجه زوجها من المعرة بين الناس واذا كانت حسنة الاخلاق كان زوجها في راحة بخلاف ما اذا كانت سيئة الاخلاق جاحدة للنعمة كان الضرر منها اكثر من النفع واذا كانت حسنة الوجه كفت نظر زوجها عن النظر الى غيرها وحقت فرجه من الزنا لان الطبع لا يكتفي بقبيحة الوجه واذا كانت ولوداً حصل منها اعظم فوائد النكاح وتعرف انها ولود بان تكون شابة صحيحة فانها تكون ولوداً في الغالب واذا كانت بكراً فانها تحب الزوج وتالفه لان الطباع تجبولة على الانس باول ما لوف لها واذا كانت بنت اصل ولها حسب كانت موهوبة مهذبة وتربي اولادها مثل تربيتها

« السؤال الثامن »

بلغنا عن العرب ان ائحدم لا يحترم زوجته ولا يحسبها الا كخادمة له ولا يشاورها ولا يقربها الا عند قضاء شهوته ولا يعتد بكلامها ونحن عندنا الامر بخلاف ذلك فنشاور

المرأة على كل شيء، وهي رئيسة البيت وكيف بالعرب يؤخرون المرأة عن كل الامور

« الجواب »

الامر على خلاف ما سمعتم فان المرأة لها حرمة عظيمة عند العرب وذلك انهم يحبون النساء كثيراً ومن لازم المحبة الاحترام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اكرم النساء الا كريم ولا اهان النساء الا لئيم وقال عليه الصلاة والسلام لاصحابه خيركم خيركم لامراته وانا خيركم لنسائي وقال بعض حكماء العرب يلزم الرجل ان يفعل مع امراته كل شيء يحبه اليها حتى يكون هو احب الناس اليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع امراته على يديه حتى تركب على البعير وكان امير المؤمنين معاوية يقول النساء يغلبن الكرام من الرجال ويغلبهن اللئام منهم وكان الاحنف التميمي من سادات العرب يغضب لغضبه مائة الف سيف لا يسئلون عن سبب غضبه فاذا اراد حرباً نقول العرب غضبت زيرا يعنون امراته لانه كان يمشي على رايها وكان الخليفة هرون الرشيد يقول اريد القرب من زوجتي ام جعفر واهابها واهاب الجلوس على فراشها تعظيماً لها وكان ابنه المأمون كذلك يروى عنه في هذا المعنى ما هو اعظم منه مع كونه سلطان اهل الارض وفي ذلك يقول

عجباً يهاب الالـث حدّاً سنائي واهاب سحر فواتر الاجنـان
ما لي تطاوعني البرية كها واطيعينّ وهنّ في عصيان
وكن نساء النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه في الكلام ويصبر اكراماً لمن وانا
عبد الله كانت ابنة عمي تغضب عليّ وتواجهني بما يكره واصبر لها وفي حقها قلت
من قصيدة

واخضع ذلة فتزيد تيهّاً وفي هجري اراها في اشتداد
فما تنفك عني ذات عز وما انتك في ذلي اناذي
ومن عجب تهاب الاسد بطشي ويمنعني غزال عن مرادي
وقولكم وزوجها لا يشاورها اعلم ان العرب يحبون النساء محبة عظيمة ويطلقون لهن
التصرف في البيت بحيث تكون المرأة في بيتها مثل الحاكم الذي اطلق له التصرف في
الرعية ولا يخاف تعقّباً في حكمه ولا بد للرجل ان يشاور زوجته في امور بيته و يسلم
لها شؤنها لتتعمق بها وتربها ومن عادة العرب يجتمع العيال الكثير في البيت الواحد
الى عشرين نفساً واكثر وتحكم في جميع العيال امرأة واحدة وتدبر لهم امورهم وكان

في عيال والدي رحمه الله أكثر من ستين نفساً ووالدتي هي التي تحكم فيهم وننظر في أمورهم من أكل وكسوة وغير ذلك ووالدي لا يدخل في شيء من ذلك وإنما يمثل أمرها وأما الأمور التي هي خارجة عن البيت وهي من وظائف الرجال فالعرب يكرهون مشاورة المرأة فيها لأن الغالب على النساء الجبن والبخل وهما من أحسن صفاتهن ومن أجمع صفات الرجال إذا المدح والمزايا لا ينالها الرجل إلا بالشجاعة والسخاء والنساء لا يشرن بشيء فيه اتلاف النفس والمال قال بعضهم

لا يبلغ المجد إلا سيد فطن لما يشق على الأيام فعال
لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والافدام قتال

« السؤال التاسع »

الذي يظهر أن غيرة المسلمين غيرة زائدة حتى أن نساءهم لا يخرجن إلا متلحفات ولا يظهرن لأصدقاء أزواجهن ولا لأقاربهم ولا لأقاربهن كإبن العم وابن الخال مثلاً ونحن عندنا النساء يخرجن باديات الوجوه وبحضورهن مع الإحباب والأقارب يتم البسط ويحصل السرور وبذلك يعشن مع أزواجهن في دعة وهناء فكيف الأمر عندكم وما الأفضل عادتنا أم عادتكم

« الجواب »

أن غيرة المسلمين ليست بزائدة وإنما هي في ميزان الوسط والغيرة إذا كانت كذلك فهي محمودة ممدوحة وهي أن لا يتغافل الرجل عن مبادئ الأمور التي يخاف عاقبتها ولا بالغ في إساءة الظن بزوجه ويراقب حركاتها وسكناتها أو يتجسس عليها فإن هذا ليس من مكارم الأخلاق ومن كلام العرب قولهم لا بالغ في الغيرة على زوجتك فيرميها الناس بالزنا من أجلك والغيرة الممدوحة لا تكون إلا في إشراف الناس وإعلامهم همة لأن الله تعالى جعل الغيرة في الإنسان سبباً لحفظ الأنساب قال الحكماء كل أمة كانت الغيرة في رجالها كانت الصيانة في نساءها والغيرة في القلب مثل القوة التي في البدن تدفع المرض وتقاومه فإذا ذهبت القوة كان الهلاك وإذا ذهبت الغيرة كان الفساد رأى بعض العرب امرأته أكلت بعض تفاحة ورمت بياقها إلى خادمها فضربها وأكثر الحيوانات غيرة حمار الوحش فإنه إذا رأى الولد ذكراً قطع لثته وأنثيته وقولكم نساء المسلمين لا يخرجن إلا متلحفات أعلم أن المرأة يجوز لها في الشرع أن تخرج لقضاء حوائجها بادية الوجه واليدين ولو كانت شابة جميلة ويجوز للرجل أن يرى من المرأة الأجنبية الوجه واليدين إلا إذا

قصد برؤيتها الشهوة واللذة فيحرم عليه ولما كثر الفساد وقلت المروءة وكثرت الفاحشة صار اشراف الناس واهل الديانة يأمرون نساءهم بتغطية وجوههن دائماً وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رأى امرأة ملتحفة مغطية وجهها بامرأها بكشف وجهها له فان رآها جميلة قال لها غط وجهك وان رآها قبيحة قال لها اكشفي وجهك وقولكم ولا يظهرن لاصدقاء ازواجهن ولا لاقاربهم ولا لاقاربهن لعلم ان العرب كانوا في الجاهلية يتحدث الرجال منهم مع النساء ويجتمعون معهن حضر ازواجهن او اغابوا وليس عندهم في ذلك عيب ولا عار الى ان جاء الاسلام فمنع ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة فان مبدأ الزنا معاودة النظر وقال عيسى بن مريم اياكم والنظر فانه يزرع في القلب الشهوة واول العشق النظر واول الحريق الشرر وقال حكيم اصيد رآه يتكلم مع امرأة يا صياد الوحوش احذر ان تصيدك هذه المرأة وقال بعض الحكماء النظر الى المرأة سهم والكلام معها سم ومعلوم ان النساء لحم يشتهي كل رجل واذا دعا الرجل المرأة الى نفسه فالغالب عليها الاجابة لا سيما اذا كان الرجل شاباً جميلاً صاحب مال فخصه الله بالحجاب وقطع الكلام معهن وامر بمعاودة اجسادهن عن اجساد الرجال وفي المثل ثلاثة لا تؤمن على ثلاثة شاب على امرأة وامرأة على سر وفقير على مال وقال بعض الشعراء لا تامنن على النساء ولو احباً ما في الرجال على النساء امين

وقولكم النساء عندنا يخرجن باديات الوجوه ويحضرن المحافل مع ازواجهن اعلم ان محبة العرب للنساء شيء عظيم وما اظن ان جنساً في الدنيا يحب النساء كمحبة العرب لمن فلا يمكن ان يرى الرجل المرأة الجميلة ويبقى قلبه مستريحاً ابداً فاذا كان يخاف الله وصاحب مروءة فانه يبقى مع نفسه في قتال دائم ويحصل له تعب عظيم واذا كان لا يخاف الله ولا مروءة له فانه يبقى مشغول الفكر في معاودة النظر اليها والتحدث معها والقرب منها وكيف الحيلة في الوصول الى قضاء وطره منها وربما لا يتمكن معاودة النظر اليها مرة اخرى لاسباب تمنعه من ذلك فيبقى حيراناً وتضيع مصالحه كلها وعندنا في الشرع اذا لبست المرأة الثياب الجميلة ومرت على الرجال لينظروا اليها فانها زانية آثمة لانها تشوش افكار الرجال بسبب نظرهم اليها وذلك يوءدي الى حصول المعصية من الرجال وكذلك المرأة اذا حضرت مجالس الرجال ربما يكون زوجها قبيح المنظر او شيخاً وتري شاباً جميلاً فان قلبها يتعلق به وكذلك اذا حضرت مواضع الرقص والغناء من الرجال فان ذلك يفسدها ويحرك شهوتها ومن المعلوم عند كل احد ان الحصان اذا صهل اصغت له الحجرة ورمت الماء من فرجها واذا هدر الفحل قامت الناقة

وبركت بقربه واذا غنى الرجل اصغت له المرأة وتمنت ان تكون هي التي يغني بها قال بعض الحكماء ليس بشيء اضر على النساء من الخروج وليس شيء خيراً لمن من البيوت والغالب ان المرأة اذا خرجت الى مجامع الرجال والنساء ومحافل الزهو لا ترجع سالمة القلب واقل مفسدة في ذلك ان ترى المرأة غيرها لابسة حلياً وثياباً احسن مما عندها فتسخط على زوجها وتكره عيشتها عنده فلماذا كان المسلمون اهل الدين والمرءة يجنبون نساءهم سماع الغناء من الرجال وحضور اللعب والرقص من الرجال والنظر الى الرجال الاجانب وسماع حكاياتهم ومجاسة النساء اللواتي يملحن ذلك لاسما العجائز وقال بعض الحكماء الوجه الذي يغني عن الغيرة هو ان لا تخرج المرأة الى مجامع الرجال ولا يدخلون عليها ويحكى عن امرأة من الصالحات قالت كنت جالسة مع زوجي في طاق على الرقاق فمر رجل شاب جميل الصورة فكنت انظر اليه والى زوجي فصار زوجي في عيني مثل القرد او الخنزير او الكلب ثم تبت الى الله تعالى من الجلوس في الطاق من ذلك اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها اي شيء خير للمرأة فقالت هو ان لا يراها الرجال ولا تراهم فقبل ما بين عينيها استحساناً لكلامها ولكن انتم معشر الافرنج لما كنتم من حين ينشأ الرجل منكم الى ان يشيب يجتمع مع النساء ويجالسن ليلاً ونهاراً في البيوت والاسواق ومواقع اللعب وفي الطرق والنساء كذلك ضعفت تعبة الرجال للنساء والنساء للرجال وقلت الشهوة لان الشهوة انما تنور بقوة الاحساس بالنظر واللمس والاحساس انما يقوى بالامر الغريب الجديد فاما الذي دام النظر اليه مدة فانه يضعف الحي عن تمام ادراكه فلا تنور به الشهوة فانتم مع الاجتماع الدائم في راحة من العشق

« السؤال العاشر »

كيف بالعرب يزوجون بناتهم صغاراً وربما يكون ذلك قبل البلوغ والمراد من التزويج الذرية والصغيرة التي لم تبلغ لا تحصل منها ذرية فهل ذلك جائز في شرعكم ام لا وربما تلد المرأة وهي بنت اثني عشر عاماً او ثلاثة عشر فلا تقدر على ترقية الولد وتربيته وعندنا البنات لا يزوجن صغاراً بل كباراً حتى لا تفسد صحتهن ولا شبابهن وليكون اولادهن صحاح الاجسام وقد رأينا المسلمين يتزوجون كثيراً ولا نرى لهم كثرة اولاد ولا رعية بخلاف غيرهم فانهم يتزوجون قليلاً ومع ذلك تكثر اولادهم وبكثرتهم تكثر الرعية

« الجواب »

اعلم ان العرب لا يزوجون بناتهم صغاراً الا لفائدة وهي اما ان تكون للزوج او لولي البنت فاما فائدة الزوج فان البنت اذا كانت ابنة اكابر اما بالشرف او بالمال فان الرجال يرغبون في نكاحها ويتسابقون اليها فكل واحد يخاف ان يسبقه اليها غيره فيبادرون الى احرازها ومن مقاصد النكاح وفوائده عند العرب التعزز بعشيرة المرأة فان ذلك مما يحتاج اليه في دفع طوارئ الشرور وطلب السلامة ولهذا يقولون ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه المضار سلم حاله وفرغ قلبه من الهموم فان الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع لذلك واما فائدة ولي البنت فان الرجل قد يزوج ابنته صغيرة لاحد امرين احدهما ان يكون له اولاد غير البنت فيخاف اذا تزوجها غريب ان يضر باولاده من جهة ان البنت تشاركهم في مال ابيهم والمشاركة في الدار والبستان ونحو ذلك يصير في الغالب منها ضرر بين الشريكين ورأي المرأة في يد زوجها فلماذا يبادر الرجل ويزوج ابنته من ابن اخيه او ابن عمه او من يظن فيه انه يرفق باولاده ولا يضرهم. الثاني ان بعض الناس يخاف من الطعن في ابنته وتهمتها بالقبيح فيزوجها ويستريح وتزوج الصغيرة جائز في شرعنا اذا لم تكن يتيمة اما اذا كانت يتيمة فانها لا تتزوج صغيرة الا اذا خيف عليها الفساد وتزوج الصغيرة جائز في الشرائع القديمة في التوراة اذا بلغت الفتاة اثنتي عشرة سنة فلم يزوجها ابوها فأممت البنت ائماً فأم ذلك عليه لانه هو السبب في تاخير تزويجها وفوائد التزويج ليست محصورة في طلب الذرية فقط بل له فوائد كثيرة منها التعزز بعشيرة المرأة كما تقدم ومنها ترويح النفس وابتناسها بالمجالة والنظر والملاعبة وفي ذلك كله اراحة للقلب وتقوية له على الاعمال التي تشق على النفس ومنها التحصن عن الشيطان ودفع مهلكات الشهوة وغيض البصر وحفظ الفرج ومنها رياضة النفس ومجاهدتها برعاية الزوجة والقيام بحقوقها والصبر على اخلاقها ومنها تفرغ القلب من تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ وتهئية اسباب المعيشة ولوازم البيت وبنات العرب يسرع اليهن البلوغ فكثير منهن يتباغ في تسع سنين ويأتيها الحيض قال الامام الشافعي رضي الله عنه رأيت امرأة ابنة احدى وعشرين سنة وهي جدة وكذا الرجال يسرع اليهم البلوغ كان عبدالله بن عمرو بن العاص بين ولادته وولادة ابيه احدى عشر سنة ولتساء العرب خصوصيات فتحمل المرأة العربية

وهي بنت خمسين سنة وتحمل المرأة القرشية في سن الستين ولا يوجد هذا في غير نساء العرب ومن قریش الشيخ عبد القادر الجيلا في قدس الله سره ولدته امه فاطمة وهي في سن الستين ومنهم موسى بن عبدالله الكامل ابن الحسن المثنى ولدته امه هند وعمرها ستون سنة وهم كثيرون لا يحصون وقولكم ربما تلد البنت في اثني عشر عاماً فاعلموا ان البنت لا تنزوج صغيرة في الغالب الا اذا كان ابوها او زوجها صاحب مال كثير واذا ولدت صغيرة لا نعتب في تربية الولد وتكون لاولادها مربيات ومرضعات وقولكم وعندنا البنات لا يتزوجن صغيراً الى آخر كلامكم هو كما قلتم ولكن المرأة اذا تأخر تزويجها الى عشرين سنة او نيف وعشرين يحصل منها الزنا غالباً لا سيما اذا كانت تخرج وتري الرجال وتجالسهم وكذلك الرجل اذا تأخر تزويجه لان الانسان سواء كان رجلاً او امرأة اذا اجتمعت شهوته ولم يجد لوضعها محلاً حلالاً بالتزويج يطلب لها محلاً حراماً بالزنا ولا يقدر على الصبر الا القليل من الرجال والنساء وعادة العرب اذا تزوج الرجل المرأة على أنها بكر ثم وجدها غير بكر يطلقها في الحال واذا استحي من اهلها يبقئها ولا قلب له فيها ولا محبة منه اليها وقولكم وقد رأينا المسلمين يتزوجون كثيراً ولا نرى لهم كثرة اولاد ولا رعية اعلم ان قلة الرعية ليست لقلة ولادة نسائهم وانما ذلك من عدم استعمال الاسباب التي يكون بها بقاء اولادهم ومن عدم معرفتهم بحسن تربية الاولاد ومداراتهم حتى تطول اعمارهم وهذا بارادة الله تعالى

« السؤال الحادي عشر »

ان الطلاق عند المسلمين كثير وعندنا لا يكون ابداً ونحن نلومهم على ذلك لما فيه من الضرر على النساء وعلى الاولاد ايضاً لكونهم يقعون في يد من لا يرحمهم كوالدتهم

« الجواب »

الغالب خفاء بعض عيوب الزوجين من الرجل والمرأة اما في الخلقة او الطبيعة فاذا ازدوج الرجل والمرأة وتعاشرا او اطالعا على ما كان خفياً مغيباً ربما يظهر بعض العيوب لاحد الزوجين فجعل الله الطلاق راحة للذي يحب الفراق منهما وجعل الله الطلاق بيد الرجل اشرفه واذن الله للمرأة ان تطلب الطلاق من زوجها اذا حصل لها من جهته ضرر والطلاق مباح في الاديان القديمة نبي التوراة في الاصحاح الحادي والعشرين في سفر الخروج ان استقبح سيدها زوجها فليطلقها وفي سفر الاحبار في الاصحاح الثاني والعشرين ان طلقت بنت الكاهن ولم يكن لها اولاد ورجعت الى بيت والدها تاكل من القدس

فعلم من هذا ان الطلاق ليس خاصاً بالمسلمين وفي الطلاق منافع واضرار اما المنافع فكما ذكرنا واما الاضرار فكما ذكرتم وهو مباح اذا لم يحصل منه ايذاء للمرأة بالباطل وعلى كل حال فانه لا يخلو من الاذى ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وقال تزوجوا ولا تطلقوا فان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات لان المقصود من النكاح النسل ودوام العشرة وحصول الالفه والطلاق يهدم جميع ذلك ومن منافع الطلاق من جهة ان الرجل ربما لا توافقه المرأة لعيب في خلقها او طبيعتها فاذا لم يطلقها يبقى معذباً بها مشغولاً ظاهراً وباطناً بسببها يقول العرب في المثل اذا لم يكن وفاق ففراق ويقولون دواء ما لا تشفيه النفس الفراق والعيش لا يطيب بين اثنين من غير اتفاق ويقولون قلع الضرس المسوس يريح ومن طلق امرأة السوء يستريح فالطلاق راحة للرجل ان كانت امراته خبيثة او معيبة وراحة للمرأة ان كان زوجها خبيثاً او معيباً والرجل اذا طلق امراته وكان بينهما اولاد فان الشرع اوجب على الزوج ان ينفق عليها وعلى اولادها منه حتى يبلغ الولد ان كان ذكراً وحتى تتزوج البنت ويدخل بها زوجها فلا ضرر على الاولاد اذا طلقت امهم وكان ابوهم متبعاً للشرع

﴿ السؤال الثاني عشر ﴾

ان المسلمين لا يورثون البنت مثل الذكر وكيف ذلك والمكل اولاده

﴿ الجواب ﴾

ان الله تعالى هو الذي قسم الميراث ونزل به القرآن العظيم فجعل للذكر قسمتين والانثى قسمة واحدة وبذلك فضل الله الذكور على الاناث كما فضلهم بالقوة عليهم والصبر على المشقات وفضلهم ايضاً بعظم الامور كالسلطنة ومباشرة القتال وتولية الاعمال والمناصب الدينية والدنيوية والرجل يحارب ويدافع عن بلاده وعشيرته فهو محتاج الى زيادة القسمة ليستعين بها على ذلك ولان الرجل اذا كان في قسمته زيادة ينفق على النساء من اقاربه اذا احتجن الى ذلك بخلاف المرأة فانها لا تنفع الا نفسها في الغالب واما في غير الميراث فانه يجب على الرجل ان يسوي بين اولاده في العطية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واعدوا بين اولادكم وجاءه رجل قال له اشهد علىّ اني اعطيت لولدي فلان كذا وكذا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت اولادك كلهم مثله قال لا فقال اننا لا نشهد الجور

﴿ السؤال الثالث عشر ﴾

ان نساءنا يدخلن المدارس ويتعلمن الكتابة ويحصلن المعارف والآداب بخلاف نساء العرب وان العربية اذا تلاقى مع غيرها تكون غير عارفة ولا كيسة والموسمات من العرب ما اوقعن في الفساد الا عدم معرفتهن وان نساء العرب هن اعرف النساء بآداب المحبة

﴿ الجواب ﴾

اعلم ان الكتابة مثل السيف من وظائف الرجال لا من لوازم النساء فالكتابة انما يحتاج اليها الرجال يجمعون العلوم ويقيدون الحكم ويضبطون الخراج ويحفظون تواريح الامم واخبارهم فالكتابة قيد للعلوم وما يحتاج فيه الى النقل والرواية فان عقل الانسان الواحد لا يقدر على استنباط العلوم الكثيرة ولا على حفظها فصار اذا استنبط مقداراً من العلوم قيده وكذلك اذا استفاد شيئاً من غيره واما النساء فلا يؤلفن كتاباً ولا يستنبطن صناعة ولا فائدة فيحتاجن الى اقييدها بالكتابة لينتفع بها الناس ولا يتولى النساء قبض خراج ولا صرف مال في مصارفه ولا بشيء من الوظائف التي تحتاج الى الكتابة فلا فائدة في تعليم النساء الكتابة بل فيها ضرر كبير لان الكتابة عين العيون بها يبصر الشاهد الغائب وفي الكتابة تعبير عن الفهم بما لا ينطق به اللسان بل الكتابة ابلاغ من اللسان فان الانسان يقدر على كتابة ما لا يقدر ان يخاطب به غيره ويبلغ المقصود حيث لا يمكن الكلام مشافهة فقد تكون المرأة لا تقدر على لقاء من تهواه ولا تقدر على ان تتكلم معه بحضرة الغير وكذلك الرجل قد لا يجد سبيلاً الى لقاء من يهواه والكلام معها بحضرة غيره فاذا كانت المرأة عارفة بالكتابة سهل طريق الزنا بينهما بسبب الكتابة فلماذا نهى شرع الاسلام عن تعليم النساء الكتابة وهو حق لا ينكره عاقل فتعليم الكتابة واجب على الرجال مكروه في حق النساء قال بعض حكماء العرب ليس للنساء الكتابة والخطابة بل هما ماثلهما للرجال

واما النساء فلن على الرجال ان لا يبيتوهن الا على جنابة وقولكم ان العربية اذا تلاقى مع غيرها تكون غير عارفة ولا كيسة فاعلموا ان العربيات انما يتعلمن الادب الذي يليق بازواجهن وتصلح به العشرة بين الفريقين وتجلب قلوب الازواج اليهن فكان نساء العرب يعلمن بناتهن الادب مع الازواج قالت امرأة لابنتها يا بنية لو

استغنت امرأة عن زوجها لغناها فكانت اغنى النساء عن الرجال ولكن النساء خلقن للرجال كما ان الرجال خلقوا للنساء كوني لزوجك ارضاً يكن لك سماء وكوني له وطاء يكن لك غطاءً واصحبيه بالقناعة وعاشريه بالسمع والطاعة ولا تغفلي عن موضع نظره ولا موقع انفه فلا تقع عينه على قبيح منك ولا يتم منك الا ريحاً طيبة ولا تغفلي عن وقت طعامه ولا عن موضع منامه فان حرارة الجوع تلبيه وتنقص النوم ينقصه واحفظي ماله وتفقدي خدامه وعياله ولا تقرحي اذا كان حزيناً ولا تحزني اذا كان فرحاً وعلى قدر تعظيمك له يكون اكرامه لك وقدي ما يحبه على الذي تحبينه انت وقالت امرأة اخرى لابنتها يا بنية ان الوصية لو تركت لزيادة ادب لترك لك ولكن الوصية تذكرة للغافل ومعونة للعاقل يا بنية لا تعصي لزوجك امرأ ولا تنشي له سرّاً وكوني اكثر الناس لزوجك اعظاماً يكن اكثر الناس لك اكراماً وكوني اكثر الناس له موافقة يكن لك احسن الناس مرافقة ولا تصلين الى رضا زوجك حتى تقدي ما يحبه هو على الذي تحبين انت ومن قول العرب يلزم ان تكون المرأة فوق الرجل في ثلاثة اشياء والا احقرها الادب والجمال والدبر وثالث امرأة لابنتها لا تقربي من الرجل دائماً فيملك ولا تبعدي عنه فينساك ان دنا منك فاقربي منه وان نأى عنك فابعدي عنه واحفظي سمعه وبصره فلا يسمع من كلامك الا حسناً ولا ينظر منك الا جميلاً ولا نتكلمي عند غضبه وكوني دائماً في قعر بيتك ملازمة لشغلك ولا تكثري الكلام مع جيرانك ولا تدخلي عليهم الا الحاجة واحفظي زوجك في غيبته وحضوره في نفسه وماله ولا تخرجي من البيت الا باذنه ولا تطلبي معرفة اصحابه وكوني قصيرة اللسان عن سب الاولاد والخدام ومراجعة الزوج في الكلام وقالت امرأة لابنتها لازمي الانقباض اذا غاب زوجك والعبي وانبسطي اذا حضر ولا تتكبري عليه بالجمال ولا تحقريه لقبح وجهه واطلبي ما يفرح زوجك في جميع الاقوال والافعال ولا تجعلي همك الا في اصلاح شأنك وتدبير بيتك فهذه الآداب ومثالها هي التي نتعلمها نساء العرب واما الادب مع الرجال الاجانب فان نساء العرب لا يعرفنه وذلك لانهن لا يجتمعن بالرجال الاجانب في الملاعب ومواضع الرقص والغناء كما يفعل نساء الافرنج ولا يفعل ذلك الا الزانيات قال بعض حكماء العرب شر خصال الرجال خير خصال النساء الكبير والجبين والنجل فان المرأة اذا كانت متكبرة اتقت ان تكلم كل احد من الرجال بكلام لين واذا غلب عليها الجبن خافت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واذا كانت بخيلة حفظت مالها

ومال زوجها وقولكم المومسات من العرب ما اوقعن في الفساد الا عدم معرفتهن اعلم ان الزنا انما يقع من النساء التي ينتسبن الى العرب ولسن بعربيات اصليات فان نساء العرب في الجاهلية كن لا يعرفن الزنا راساً وانما يزني عند العرب الاماء حتى انه لما نزل قول الله تعالى في القرآن اذا جاءك المؤمنات يبائعنك على ان لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين قالت امرأة من الحاضرات او تزني الحرة يا رسول الله فقد استبعدت وقوع الزنا من الحرة وكان العرب في الجاهلية لهم عفة عن الزنا رجالاً ونساءً فلا تخون المرأة زوجها ولا يخون الرجل زوجته فكيف بهم في الاسلام الذي جاء بتحريم الزنا وشدة العقاب لمرتكبه وقولكم ان نساء العرب هن اعرف النساء بأداب المحبة سالت ام البنين زوجة عبد الملك بن مروان ليلي الاخيلية عن عشق العرب فقالت لها يرى الرجل المرأة وتراه فيعشقها وتعشقه فاذا ساعدهما الوقت وتلاقيا لا يشتغلان الا بذكر ما لقيا من الحب لبعضهما بعضاً ويشكو كل منهما الشوق الى صاحبه ويتناشدان الاشعار فقالت لها ام البنين ولا يكون بينهما زنا فقالت لها النكاح شأن من يطلب الولد لا شأن المحبين واذا وقع الجماع فسد الحب وبالجمله فان نساء العرب في هذا المعنى لهم حكايات عجيبة تدل على ان تحبتهن قلبية روحانية لا جسمية كما زعمتم ولولا خوف التطويل لذكرنا لكم جملة منها

﴿ السؤال الرابع عشر ﴾

نساء المسلمين لا يدخلن المساجد للصلاة واما نساء النصارى فيدخلن الكنائس ويتعبدن مع الرجال

﴿ الجواب ﴾

ان شرع الاسلام ما نهى النساء عن دخول المساجد ولا منعهن عن الصلاة فيها وكانت النساء في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلين معه في المسجد الشريف وكان يقول لاصحابه رضى الله عنهم لا تمنعوا اماء الله من مساجد الله فيجوز للنساء الخروج الى المساجد والصلاة فيها ليلاً ونهاراً لكن بشروط منها ان لا تكون المرأة متطيبة بطيب له رائحة يشمها الرجال ومنها ان لا تكون متزينة بشيء من انواع الزينة ومنها ان لا يكون لها خلاخل تسمع صوتها الرجال ومنها ان لا تكون مختلطة بالرجال بل تكون منفردة عنهم ومنها ان لا تكشف وجهها اذا كانت شابة جميلة يعشقها من رآها من الرجال وبهذه الشروط كانت النساء يخرجن الى المسجد ويصلين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا انعدم شرط واحد من هذه الشروط حرم على المرأة الخروج الى المسجد وكان عمر بن الخطاب

رضى الله عنه شديد الغيرة وكانت زوجته تخرج الى الجامع في الليل والنهار لاجل الصلاة ولم يقدر على منعها ظاهراً لثبوت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منع النساء من الخروج الى المساجد كما قلنا فعمل الحيلة في منعها وذلك انه تعرض لها في طريق الجامع في ليلة مظلمة وقبض يده على ثديها ولم نعرفه فكانت بعد ذلك لا تخرج فيقول لها لما لا تخرجين الى الجامع لتصلي فيه فتقول لا اخرج فقد فسد الزمان ظاناً منها ان الذي تعرض لها وقبض على ثديها رجل اجنبي

« السؤال الخامس عشر »

يقال ان المسلمين يمنعون نساءهم من الدخول الى المساجد اذا كن صغيرات وحيالات ولا يمنعنهن من السفر الى الحج

« الجواب »

قد ذكرنا لكم انه لا يجوز منع النساء عن الدخول الى المساجد بالشروط التي قدمنا ذكرها واما تسريحهن الى الحج فلا تسافر المرأة الى الحج الا اذا كان معها زوجها او رجل محرم لها وهو الذي يحرم عليه ان يتزوج بها شرعاً كابنها وابيها وعمها واخيها وخالها وابن اختها وابن اخيها واما اذا لم يكن معها زوجها ولا محرم فلا تحج ولا يلزمها حج ولو كان عندها مال كثير

« السؤال السادس عشر »

بلغنا ان بعض الناس يقولون ان النساء لا يدخلن الجنة فلا بد ان توضعن لنا هذا الاشكال

« الجواب »

ان هذا القول كذب بحت واقتراء صرف فالنساء يدخلن الجنة ويكن مع ازواجهن في منازلهم اذا كان زوجها من اهل الجنة واما ان كان زوجها من اهل النار وهي من اهل السعادة فان الله تعالى يزوجه رجل من اهل الجنة واذا تزوجت المرأة في الدنيا برجلين او ثلاثة فان كان الازواج كلهم من اهل الجنة فان الله يخيرها فالزوج الذي تختاره تكون معه وان كان بعضهم في الجنة والبعض الآخر في النار فانها تكون للذي في الجنة

« السؤال السابع عشر »

بلغنا ان المسلمة اذا ماتت لا يخرج الناس في جنازتها مثل الرجل فهل لهذا صحة ام هو محض كذب

« الجواب »

هذا كذب من قائله بل لا فرق في الخروج مع الجنازة بين جنازة الرجل وجنازة المرأة وانما الممنوع خروج النساء مع الجنازة سواء كانت جنازة رجل او امرأة لان النساء لا يحفرن قبرا ولا يحملن تابوتا ولا يغسلن ميتا فلا فائدة في خروجهن بل فيه تشويش قلوب الرجال بالنظر اليهن والى محاسنهن والقبور تحل موعظة يتذكر الانسان فيه كيف يفارق الاحباب وكيف يصير الى التراب وحضور النساء يشغل عن هذا

« السؤال الثامن عشر »

ان كثيرا من المسلمين لا يأثمون من تزويج المرأة المومسة اذا تابت ولا ينقص ذلك من قدره بخلاف النصارى فان الذي يتزوج بالمومسة منهم يتنذل بين الناس ولا يبقى له اعتبار عندهم

« الجواب »

انه لا يتزوج بالمرأة المومسة عندنا الا اخس الناس وارذلهم والشرع نهى عن تزويجها قال الله تعالى الخبيثات للغيثين اي الزانيات للزانيين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء معناه باعدوا المرأة الفاسدة ولا تزوجوها شبه المرأة الجميلة الفاسدة بالخضرة التي تنبت على المزابل ومواضع القذر فان ظاهره زين وباطنه شين ومن كلام حكاء العرب لا تزوجوا العاهر ولا المختلعة ولا المبارية ولا الناشز ولا الانانة ولا المنانة ولا الحنانة ولا الحداقة ولا البراقة ولا الشداقة اما العاهر فهي الزانية واما المختلعة فهي التي تطلب الطلاق من زوجها كل ساعة واما المبارية فهي التي تنتحر على زوجها بالها ونسبها واما الناشز فهي التي تعلو على زوجها في الكلام واما الانانة فهي التي تكثر الزاني والنسكي وتعصب رأسها كل ساعة واما المنانة فهي التي تمن على زوجها فتقول له فعلت لاجلك كذا وتركت كذا واما الحنانة فهي التي تمن الى زوج آخر واما الحداقة فهي التي ترمي بمحدثتها الى

كل شيء وتشهيه وتكلف زوجها شراره واما البرافة فهي التي تكون طول النهار في تصقيل وجهها ليكون له بريق ولا تشتغل بمصالح بيتها واما الشداقة فهي التي تكثر الكلام والتصنع فيه واذا كانت المرأة متولدة من زنا فالشرع يمنع من التزوج بها

« السؤال التاسع عشر »

هل العرب يطلقون المرأة التي لا يرجون عليها بغير سبب آخرام ذلك كذب

« الجواب »

ان هذا كان في العرب وقت الجاهلية ويقولون اقصاص او نواص او بعض الذراري يعنون بذلك ان الرج واليمن والخسران والنفس يكون على قصة المرأة وناصية الفرس والمولود ولما جاء الاسلام ابطله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طيرة ولا عدوى فقال رجل يارسول الله فما بال الابل تكون كأنها الغزلان فاذا دخلها بعير اجرب جربت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اعدى الاول ولكن بقيت هذه العادة الجاهلية عند بعض الجهلة من المسلمين الذين دينهم ضعيف واما اهل الدين الصحيح القوي فانهم يعتقدون أن الله تعالى يفعل ما يريد بالعبد من ربح وخسران ومن خير أو شر لا مدخل للمرأة ولا للفرس ولا للولد ولا للدار ولا لشيء من المخلوقات فيه فلا ينفع ولا يضر الا الله تعالى

« السؤال المو في للعشرين »

المرأة عند النصارى يسرها ما يسر الجنس ويمحزنها ما يحزن الجنس وكلامها مع زوجها يقويه على الحرب وعلى فعل الخير مع جنسه والدفاع عن بلاده واما المسلمة فقد بلغنا انها لا تلتفت الى ذلك ولا يؤثر فيها

« الجواب »

ان هذا الذي ذكرتموه في نساء النصارى هو موجود في نساء العرب اكثر بما لا يتقارب حتى ان العريبات اذا وقع لرجالهن هزيمة او حصل فيهم قتل لا تترك الواحدة منهن زوجها يقبلها ولا يجامعها حتى ياخذ بثأره من عدوه وكانت نساء العرب لا يبيكين المقتول الا بعد ان يؤخذ بثأره تحريضاً للرجال على الحرب وكان الحارث بن عوف من اشراف العرب وكانت له اليد الطولى في عقد الصلح بين عيسى وذيبيان اولاً وآخراً والسبب في ذلك انه قال يوماً لخارجة بن سنان

اترافي الخطب الى احد فيردني قال نعم قال ومن ذلك قال اوس بن حارثة بن
لام الطائي فقال الحارث لعلامه اركب فركبنا حتى لقينا اوساً في بلاده ووجدناه
في فناء منزله فلما رأني الحارث بن عوف قال مرحباً بك يا حارث قال وبك
قال وما حاجتك قال جئتك خاطباً قال است هناك فانصرف ولم يكلمه ودخل
اوس الى امرأته مغضباً وكانت من عبس فقالت من الرجل الذي وقف عليك قال
سيد العرب الحارث بن عوف قالت فما لك لم تستنزه قال انه استحق قالت
وكيف قال جاءني خاطباً قالت اقتريد ان تزوج بناتك قال نعم قالت فاذا لم
تزوج سيد العرب فمن قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال بماذا
قالت بان تلحقه قردته قال وكيف وقد فرط مني ما فرط اليه قالت تقول انك
لقتني وانا مغضب بامر لم يكن لي تقدم فيه قولاً فانصرف ولك عندي ما تحب فانه
سينعل فركب اوس بن حارثه في اثره قال خارقة فوالله انا لنسير اذ حانت مني التفاتة
فرايته فاقبلت على الحارث وما يكلمني غماً فقلت له هذا اوس بن حارثه فقال وما
تضع به امض فلما رأنا لا نلتفت صاح يا حارث اربع علي فوقف له فكلمه بذلك
الكلام فرجع مسروراً فبلغني ان اوساً لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة
لا كبر بناته فائته فقال يا بنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب وقد
جاءني خاطباً وقد اردت ان ازوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال لم قالت لاني
امرأة في وجهي ردة وفي خلقي بعض العهدة واست بانية عمه فيرعى رحمي وليس
بجار لك في البلد فيستحي منك ولا آمن ان يرى مني ما يكره فيطلقني فتكون
علي وصمة فقل قومي بارك الله فيك ثم دعا الوسطى فاجابته بمثل ذلك او بقريب
منه ثم دعا الصغيرة فقال لها كما قال لاختيها فقالت انت وذاك فقال اني عرضت
ذلك علي اختيك فأبته فقالت لكني الجميلة وجهاً الصناع يداً الحسينة اباً فارت
طلعتني فلا اخلف الله عليه قال بارك الله عليك ثم خرج الينا فقال قد زوجتك
بهية بنت اوس قال قد قبلت ثم امر امها ان تهيأها وتصلح من شأنها ثم امر
بيت فضرب له وانزله اياه فلما ادخلت اليه لبث هنية ثم خرج الي فقالت أفرغت
من شأنك قال لا والله لما مدت يدي اليها قالت مه اعند ابني واخوتي هذا
لا يكون قال فامر بالرحلة فارتحلنا بها فسرنا ما شاء الله ثم قال لي تقدم فنقدمت
فعدل بها عن الطريق فما لبث ان لحقني فقلت أفرغت قال لا والله قالت لي كما
يفعل بالامة الجميلة والسبية الاخيذة لا والله حتى نحر الجزر وتذبح الغنم وتدعو

العرب وتعمل ما يعمل لمثلي قلت والله لارى هيئة عقل وارجو ان تكون المرأة النجبة ثم سرنا الى ان دخلنا بلادنا فاحضر الابل والغنم ثم دخل اليها وخرج فقلت افترغت قال لا والله قلت ولم ذلك قال دخلت عليها اريدها وقلت قد احضرنا من المال ما ترين قالت والله لقد ذكرت لي من الشرف ما لا اراه فيك قلت كيف قالت انتفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضاً يعني بني عيسى وذيان قلت فتقولين ماذا فقالت اخرج الى هؤلاء القوم فاصالح بينهم ثم ارجع الي واني است فائتتك قلت والله اني لارى عقلاً وهمة وقد قالت قولاً لا يرد فاخرج بنا فخرجنا حتي اتينا القوم فمشينا بينهم بالصالح فاصطلحوا علي ان يحسبوا القلي من الفريقين ثم يؤخذ الفضل ممن هو عليه فحملنا عنهم الديات وكانت ثلاثة آلاف مير وعاش الحارث الى ان ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ووفد عليه واسلم وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الانصار في جواره يدعو قومه الى الاسلام ومن شعر الحارث قوله

فان اكبر فاني في لداتي وعاقبة الاصاغر ان يشبوا

وما كثرت فائدتني بعذر كفاني في الفوائد ما يطيب

انتهت الاسئلة والاجوبة وقد قصدنا بذكرها ازالة الاشكالات التي لم تزل افكار الافرنج المتخاملة على دين الاسلام تحوض وتوجه الاعتراضات على المسلمين في تعاطيها وتزويق سهام الطعن عليهم للعمل بها ولقد اوضح الامير في اجوبته الصبح لذي عينين واطهر الحق لاهله من العقلاء هذا مع المناسبة للمعصود من التاريخ والمرغوب فيه

﴿ ذكر توجه الامير الى مصر لحضور محفل فتح خليج السويس ﴾

وفي رجب سنة ست وثمانين وماتين وتشرين الثاني سنة تسع وستين وثمانمائة دعي الامير الى حضور فتح خليج السويس كما دعي الى ذلك اعيان العالم فتوجه الى بيروت ومنها الى الاسكندرية فاجتمع هناك بامبراطورة فرانسفا عظمت لقاءه واجلت -ضره ثم توجه الى بورت سعيد في الباخرة الحربية التي اعدتها الامبراطورة لركوبه فاستقبله الاميرال الفرنسي بالاعظام والاحترام ثم جرى الاحتفال بكال الابهة والزينة وجلس الامير مع امبراطور النمسا وامبراطورة فرانسفا وابني امبراطور المانيا وملك ايطاليا وغيرهم من الامراء واعيان العالم المشاهير تحت المظلة التي اعدت لجلوسهم ثم ان الامير سار في الخليج في باخرته الى السويس ثم عاد الى بورت سعيد واجتمع بالامبراطورة وشكر فعلها ثم ودعها

واجتمع اليه رؤساء الكومبانية يقدمهم الرئيس الاول مسيو فردينان دولابس وفوضره في امر ارض بوبلح التي كانوا اهدوها له فاخبرهم بان اسماعيل باشا خديوي مصر غير موافق لهم على هذه المنحة واطلمهم على ما كتبه اليه في ذلك فصمموا على تنفيذ امرهم باي وجه كانت فابان لهم انه لا يريد وقوع الشغناء بينهم وبين اسماعيل باشا بسببه ثم تبين ان اسماعيل باشا انما قصد بمنعه هذا وانكاره ان يستأثر بهذه الارض دون غيره فلما اطالع الامير على الحقيقة سمح فيها للكومبانية وسقط في يد المانع المنكر ونص كتاب اسماعيل باشا الى الامير في هذه القضية

جناب الامير المحترم والملاذ المكرم الامير عبد القادر
بعد اهداء السلام التام وكمال الاحترام اللائق بالمقام نبدي لجنابكم انه قد بلغنا تشريف حضرتكم وتوجهكم الى ترعة السويس بقصد الاستيلاء على قطعة الارض التي كنتم موعودين بها من طرف الكومبانية على ما قيل وبما انه لما كنتم مشرفين هذا الطرف وحصلت المقابلة مع جنابكم واخبرتمونا بان الكومبانية ستعطيكم قطعة ارض وانكم انتم ترغبون في التوطن هناك وفي ذلك لوقت جاوبنا حضرتكم مشافهة بان الكومبانية لا يمكنها تمليك شيء من تلك الارض حيث انها الى الان لم تثبت لها حيازتها واشترنا وومينا لجنابكم بالطف اشارة واليق عبارة اننا لا نوافق على توطنكم هناك لما في ذلك من مخالفة الافكار وبما ان عقب اخبارنا لجنابكم بما ذكرناه كنا تحدثنا ايضاً مع جناب قنصل جنرال دولة فرنسا وبعدهما جنابه اخبرنا رسمياً مشافهة ان ذات حشمة الامبراطور لا ياذن في اقامتكم هنا ما دام ذلك مخالفاً لرغبتنا وضداً لافكار الاهالي والحكومة كما والحالة هذه ايضاً مضمون الحكم المحترم الامبراطوري الصادر في حق مادة هذه التركة لم يصرح بالترخيص للكومبانية انها تملك ارضاً من هناك لاحد ما ومن حيث ان توطن جنابكم بهذا الطرف لا تساعدنا عليه افكار الاهالي والحكومة معاً كما ان حكم الامبراطور المفخم لا يساعدكم على استلاك ارض في هذا الطرف فمع غاية التأسف صرت مجبراً على اخطار جنابكم عن ذلك ونؤمل عدم ائواء اخذة ودمتم ثم ارسل اليه آخر ونعه

حضرة المحترم الامير الميجل المكرم بعد السلام وكمال الاحترام اللائق بالمقام قد وصلنا عزيز مكتوبكم الذي ارسلتموه على يد حضرة الباشا باش معاً لنا وبه عرفتم عن حضور حضرتكم لاجل استلام الارض التي اعطتها الكومبانية لجنابكم الى غاية ما ذكر فيه صار معلوماً والحال انه قبل وصول مكتوبكم هذا لما بلغنا تشريف حضرتكم الى الاسكندرية والتعجيل بالتوجه الى جهة القتال ثاني يوم تشريفكم لنجاز المقصود

بوقته حرراً لحضرتكم مكتبة واضحة عن الحقيقة وبها عرفنا جنابكم ان الكومبانية لم يكن لها اذن ولا صلاحية في ان تعطي اراضي ولا املاكاً في تلك الجهة لاجد كما هو مصرح عن ذلك بالحكم الصادر من ذات نخامة الامبراطور المعظم المتعلق بمادة الاراضي الكائنة في تلك الجهة ولا يجوز لها في تملك شيء منها لاحد ثم افهمنا حضرتكم ان مقتضيات الاحوال لا تساعد على قبول توطن حضرتكم في هذه الجهات كما ان نخامة الامبراطور ما اجاز توطنكم هنا مع عدم رضانا وقبولنا ومن تايخ مكتوبكم يعلم ان وصول تحريرنا كان بعد تحريره ولا بد انه علم لديكم منه ما يكفي عن الاطالة في الشرح والاطناب في الاعتذار بهذا الخصوص نظراً للضرورة ودمتم وقد ذكرناها بنصها ليعلم الواقف عليها ما كان عليه هذا الانسان من الشدة والبذخ وما ارتكبه فيها من الصلف والعسف ومع هذا لما نكب وأبعد عن اوطانه واعوانه كتب الى الامير يطلب منه ان يستأذن له من الدولة العلية في سكنى الاستانة عسى ان يتغطف عليه مولانا امير المؤمنين الخليفة الاعظم ويدنيه ويعفو عنه ويحبيبه ونص ما كتبه وهو في نابلي من بلاد ايطاليا منقياً جناب نحر السلالة الهاشمية وفرع الشجرة النبوية حضرة السيد الانجيد سيدي الامير عبد القادر الحسيني دامت معاليه الا وهو السيد المعول عليه في المهجات والمستضاة بنبراس رأيه في دياجي الملأت ابقاه الله تعالى متسماً غوارب المجد متسماً بنسائم المدح والحمد سعده مقبل ومجد غير منتقل وما قيل ونقل في مدائح الكرام فهو بالنياس الى قدرة الجليل وان كثر يقل ولا زال الخائف والضعيف مأمناً ولكل مشروف وشريف حصناً حصيناً وموثلاً

وعاش في عز وفي بهجة وصفو عيش سعده مقبل
كتبت له ابقاه الله وحرسه وثبت قدمه في مقام المحبة واسسه واكد حبه في القلب وغرسه وارغم حاسده ونحسه وحط قدره ونحسه وابقاك الله مورياً زنده
الامل وارداً صفو العيش نهلاً وعلاً لا يابساً من الثناء الجميل ايهي حلل
لا يابساً مادحكم ولا يمل

والناس كلهم لسان واحد يتلو الثناء عليك والدنيا فم
هذا وقد بعثت هذا الكتاب لينوب عني في الخطاب مضمون ما احتوى عليه وخلاصة ما انطوى عليه هو اني وعائلتي من مدة سنة ونصف في ضنك ونصب ننتظر من الله تعالى عز وجل الفرج والفرج ثم ارجو ان لا تقطعوا عنا المراسلات

والدعاء مع بذل الحمة لنا ولعائلتنا المسلمة في انقاذنا من هذه البلاد وبرجوعنا الى الاستانة العلية لخطى بالاقامة بين ابناء جنسنا ونتمتع بالرعاية في ظل سلطاننا ادامہ الله تعالى وابقاه ووفقنا جميعاً لما يرضاه آمين بجاه طه ويس والسلام التام في المبدأ والختام . حرر في شهر صفر سنة ثمان وتسعين ومائتين والف

فكتب اليه الامير في موضوع هذه القضية فراجعها بما صورته . الى مقام سيادة الامير عبد القادر المعظم نحمد الله الذي به يستكشف الكرب ويضمحل بالانتجاع اليه كل خطب وبالصلاة والسلام على اشرف خليقته وافضل بريته نبلي عن القلوب المهوم وتنفرج الغموم فعليه صلاة الله وسلامه الدائم وعلى آله وصحبه ما تولى الملوان اما بعد فقد تشرفت بخطابكم السامي ولا زلت اتشكر توجهاتكم العلية ومساعدكم السنية ثم قال . وها انا متوكل على الله ثم عليك في نجاح هذا الامر ومنفوض امري الى الله ثم اليك . حرر في جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين

وكان شاهين باشا كنج بعث بعض الطلبة المجاورين في الازهر الى حضرة الامير في هذا الخصوص وتكررت بينهما المراسلات والمكاتبات فيما جرى بينه وبين الامير من المداكرات فكتب اليه في بعضها ما نصه :

والحاصل ان المهمة المطلوبة هي من حضرة السيد الامير وحده فان افدينا مستند على حضرته دون خلافه والقصد والرجاء من حضرته هو ارسال عريضة من طرفه عن عجل الى الاعتاب السلطانية لتكون مساعدة لعريضتنا التي قدمناها اليها والسلام ختام . . . ثم كتب الى الامير قوله نبتل الى الله تعالى بالادعية الصالحة الناطق بها كل لسان وجارحة متمسكين في المحبة بوثق العرى مواظبين على البناء الذي لا يزل منه الكون معتبراً للحضرة التي سمت بالفضائل ربوعها وزكا عنصرها فطابت اصولها وفروعها لا زالت كعبة للآمال فتقصد من كل فج عميق وحمى لسائر العناية فيأتونها من كل مكان سحيق وابدلها السعد والمجد فتسعي الوفود اليها كسعي العرب الى ربي نجد هذا وما نعرضه على المسامع الكريمة ونهز به اريحية تلك الشئائل المستقيمة هو ان الداعي قد تشرف بورود امرم الكريم السامي ولا يمكن ان اعبر عما حصل لي من الفرح والسرور وقد شكرت مولاي في الثانية والاولى وها انا قد ذكرت تفصيل ما يلزم في مكتوب محسوبكم الشيخ فلان المقيم الآن عندكم ودمتم في عز سالمين آمين بحرمة النبي الامين . حرر في صفر الحار سنة ثمان وتسعين . واني اقدم بكل احترام مزيد سلامي الى كل من

سعادة الانجال حفظهم الله وحرسهم

﴿ ذكر بعض الرسائل والاجوبة ﴾

منذ خرج الامير من بلاد فرنسا الى بلاد الاسلام كان يكتب الملوك فمن دونهم من الوزراء والامراء لداعي تهنئة او غرض لازم عرض او تشكر على احسان حصل فتاتيه الاجوبة على حسب ما يكتبه وكذا كان الشأن مع العلماء الاماثل . والادباء الافاضل ولما كان استيعاب ذلك متعذراً . اقتصرنا على البعض منه ولا يخفى ان البلاغة هي الدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى وكما ان للعرب في ذلك اليد الطولى فان لغيرهم منه نصيباً ومن اطلع على رسائلهم وكتاباتهم وجدها على السنان العربي عارية عن الفساد والتكلف فيكتبون المراد على حسب الواقع لاول وهلة فوافقوا العرب في ذلك غير ان العرب اتوسعهم في لغاتهم وتجردهم في الفصاحة حازوا قصب السبق في مضمار الكتابة فتجدهم ينوعون الخطاب ويتفننون في اساليبه بما يسحر الالباب وكلا الفريقين ينزلون الالفاظ على قدر الكاتب والمكتوب اليه فلا يخاطبون الوضع من الناس برفيع الكلام ولا رفيهم بوضيعة الى غير ذلك ومن المعلوم ان الامير من مشاهير العالم واعيانته والناس على اختلاف مللهم ونحلهم لهم به تعلق ومواصلة فلا يخلو يوم من كتاب وارده وجواب صادر فمن رسائله التلغرافية الى الباب العالي في تهنئة عيدية

اسعد الله ايامكم بهذا العيد المبارك سعادة تسمر استمرار الزمان وتعم جميع الرعايا في ظل الامن والامان

ومنها في عيد الجلوس

هذأ الله مولانا وايده بهيد الوارد عليه وعاده كيف شاء اليه مقروناً بالعز والنصر والهناء وطول العمر

ومنها في التهنة بمنصب الصدارة العظمى

هناكم الله بالمنصب العالي وقرنه باليمن والبركة اقتران الايام بالاليالي

ومن اجوبة الباب العالي التلغرافية عن التهاني بالعيد وتوجيه الصدارة لمن وجهت اليه

الى حضرة الامير عبد القادر بالشام

قد اخذت بكمال الممنونية تلغرافكم المتضمن التهنة بالعيد السعيد ومقابلة لئذا جعلت

التشكر وارداً بلسان المودة المخصوصة

ومنها في سبتمبر سنة سبع وثمانين

ان مزايانا تلغرافكم العالي في التبريك بتوجيه مسند الصدارة لعهدة داعيكم
اوجبت محظوظيتي

ومنها في اكتوبر سنة ثمان وثمانين
قد تشرفت بتلغرافكم الحاوي التبريك بأمواري الجديدة فحصل لنا غاية المحظوظية
والسرور نرجو أدعيتكم الخيرية

ومنها في افريل سنة تسع وثمانين
قد اخذت تلغرافكم العالي وعليه فاني اقدم الثناء والتشكر لمحمدكم الجميلة الفائزة
بايناء رسم التهنئة

ومنها في ديسمبر سنة اثنتين وتسعين
اخذت تلغرافكم العالي فاستلزم كل الممنونية وتشكراً لمعاليتكم اكرر الدعاء بالزيادة
في عمركم ودوام عافيتكم

وفي ذكر هذا القدر من اجوبة الباب العالي كفاية وعليه يقاس باقيا
وما كتبه الامير الى حضرة شاه العجم في رسالة بعث بها اليه عندما ارسل اليه
النيشان العالي من الرتبة الاولى وكان الشاه وقتئذ زار المشهد الحسيني المعظم في كربلا
ثم المشهد العلوي المنعم في الكوفة وآب الى دار ملكه طهران . قد وافاني من حضرة
السنية النيشان الاعلى من الرتبة الاولى ولولدي من الثالثة صحبة وكيهكم المحترم في دمشق
فجئت حنّادس المموم كما جلت نوازعه فوارس المناخر في تحفل مشهود في يوم معلوم جمعتم
فيه لنا انواع المبرة والكرامة وجعلتموه على رنعة مقامنا عندكم علامة فلا عقدن على علاكم
من الثناء الجميل اكليلاً واجعلن دعائي الصالح لكم ورداً بكرة واصيلاً الى ان قال وقد
حدثنا وكيهكم المشار اليه عما شاهده من احوال المحفل الاكبر الذي حشر الناس اليه
حشراً وطابت اليه الآمال عرفاً ونشراً وشاع امره وذاع وملاء خبر محاسنه وبدائعه
الاسماع فالتذت بانباته المسامع وتعطرت بذكره الاندية والمجامع فليهنكم الاياب والزيارة
التي هي اعظم غنية واربح تجارة

ومن اجوبة وزير الشاه المذكور عن تلغراف وصله من الامير . قد اطالعت على
تلغرافكم العالي وقدمته لحفزة الشاه وشاهد منه ما اوجب ممنونته ارجو ان لا
ننسوني من صالح دعائكم . ولما آل امر مصر الى توفيق باشا في لواء سنة تسع
وثمانمائة وسبعين بعث اليه الامير تلغرافاً بهنئة بذلك فاجابه اني اقدم تشكراي عما تكرهتم
به من التهنئة بناسبة ارتقائي للسلطة الخديوية . ومن رسائل الامير الى لويس

نابليون الثالث امبراطور فرنسا بعثها اليه من دمشق . منها ولو اعطيت نفسي منها
وسوغتها هواها لاوردت على حضرتك في دور كل يوم جديد وافر الشكر وجددت
لكم مع كل خاطر جميل الذكر وحسي من ذلك ان اخباراً تواترت وانتقالاً
تظاهرت باطباق سكان اليايسة على ذكر مزايكم الباهرة وبدائعكم الزاهرة ونشر
نتائج عدلكم وشكر وافر فضلكم حتى لقد صار للناس فيما اجريتموه معنا من الخوارق
محافل تعقد ومشاهد تشهد ولم يزل ذلك مستمراً الى الآن وبهذا الحال التي طاب
مستمها ولد موقعها استفزنا فوط الارتياح وصدق الانشراح الى بعث هذه الرسالة
نهنيكم بالتوفيق الذي قسمه الله لكم في شأننا والتيسير الذي اظهره الله على يديكم
لتسريحنا والاحسان الينا وقد جرت عادة الامير مع الامبراطور المذكور من بعد
خروجه الى بلاد الاسلام ان يهنئه بدخول كل سنة كما يهنئه بعيد جلوسه على
تحت الامبراطورية في امثال اليوم الذي نهياً له فيه ذلك ولكثرة الرسائل
ووفرة الاجوبة في هذا الخصوص اقتصرنا منها على بعض اجوبة الامبراطور حيث ان
مؤدى الجميع واحد فمن اجوبته عن تهنئة سنة خمس وخمسين وثمانمائة . قد وصلني
تلغرافكم مسفراً عن صادق المودة وموضحاً شدة ارتياحكم لتهنئتي بالسنة الجديدة فحصل
لي بذلك سرور عظيم وبمثل هذه التهنة اهنتكم واؤكد اني احبكم وارجو لك الخير
وعن التهنة بعيد الجلوس اطلعت على تلغرافكم وضجت الالسن فرحاً بعباراته وصادف
منا غاية الارتياح والقبول وعن سنة ستين قرأت رسالتكم واهتزت سروراً بها
لكونها جاءت نائبة بما امكن عن شخصكم الكريم لدينا وعن سنة احدى وستين
حين اطلاعي على رسالتكم في التبريك بالسنة الجديدة انشرح صدري وانبسط
فكري وانبعث شكري وعن سنة اثنين وستين سرتي تلغرافكم جداً صحتي جيدة
دائماً اذكركم واتفكر في محاسنكم ومزايكم وعن سنة ثلاث وستين تهنتكم صار
لها في قلبي موقع عظيم جداً كما يقع في قلوب الاحباب بمثلها وعن سنة اربع
وستين وردت علينا التهنة من حضرتكم فتلقيناها بالقبول والسرور وهكذا في كل
سنة وعيد جلوس الى ان عرض للامبراطور ما عرض في حرب المانيا من الامر
ثم الموت بعد خلاصه منه في بلاد الانكايز ولما شاع خبر موته بعث الامير الى
زوجته اوجيني بعزيها فاجابته بما ملخص ترجمته : ان القادر على كل شيء قد
منحني تعزيةً وصبراً جميلاً في اثناء المصائب التي اصابني والنوائب التي نابتني
ونحن وان كان كثير من الناس تركنا فانه يوجد في العالم من يفكر في شأننا

مثلكم ثم ان اظهار ميلكم الينا قد اثر فينا تأثيراً حسناً قليلاً فالله الذي ضربنا بايدي الشر اسألك منه القوة على الخضوع لارادته واني اشكر من معروفكم باسم الامبراطور واسم ابني فكنت ايها الامير واثقاً بمودتنا في كل الاحوال واستمر الامير معها على ما كان عليه في ايام زوجها من المواصله والمراسله ومن اجوبتها عما يصلها منه من التهاني في الاعياد ودخول السنين ما كتبته في رابع فبراير سنة ثمان وسبعين وثمانمائة ان انواع التهاني التي ترد على وعلى ولدي من لدنكم تجعلني واياء في غاية السرور لانها تبرهن لنا على انكم وان كانت الاحوال قد تغيرت علينا فان حسن عهدكم وجميل ذكركم الامبراطور لم يطرأ عليه ضعف ولا نسيان وهذا مما ينبئني ويدل على صفاء طوبيتكم وثبات قلبكم مع كثرة العوارض التي من شأنها تغيير الاحوال بحيث انه لم يمسه ادنى انخراط بل قاومها وانتصر عليها فاشكركم على ذلك وعلى جميع ما اشتمل عليه تحريركم ومنها ان تجديد التهئة لي ولولدي بحلول كل سنة لا تحالة انه يجدد لنا سروراً لا مزيد عليه لان ذلك يؤكّد لنا ان الحوادث وان كانت قد غيرت احوالنا وشان حظوظنا فانها لم تؤثر في مودتكم ولا انستكم احسان الامبراطور وهذا يدل على عظم نفس وثبات قلب ومن شأنكم المعروف عنكم انكم دائماً تنتصرون على تقلبات الزمان وصروفه مع سلامة الطوية وصفائها فلذلك اشكركم واظهر عظيم اعتباري واحترامي لقدركم دائماً ومنها في رابع افريل سنة تسع وسبعين وثمانمائة ان البواعث الشريفة التي تحرك القلوب العظيمة لمعالي الانسانية فبقدر ما تكون عزيزة تكون دائماً وثابتة وهذه البواعث التي حركتكم للسؤال عنا وتقديم الدعوات لنا ولولدنا قد وقعت منا موقعاً حسناً جداً ولذلك اقدم لاجابها بلساني ولسان ولدي انواع التشكرات القلبية ولولدي قد سافر مع الجنود الانكليزية الى الرجاء الصالح ودون وصول تحريركم اليه صعوبات شتى وبناء على ذلك ابقيته عندي لاسلمه اليه عند رجوعه ومن اجوبة ولدها البرنس امبريال المذكور ان التهاني الواردة علي وعلى والدتي من حضرتكم قد اثرت فينا تأثيراً حسناً لكونها اظهرت لنا ما انتم عليه من حفظ الوداد لوالدي والوفاء بحسن العهد واكدت لنا صدق ميلكم الحبي الذي نعتبره امراً عظيماً صادراً من رجل عظيم ظهر في العالم متصفاً بالبسالة في الحروب مستقيماً في سلوكه عادلاً في شؤنه اميناً في حاسياته ومن الامور المؤكدة ان البازيئ تعالى جعل قلوب الرجال العظام مرايا تظهر فيها صور الكمال الانساني فلذلك لا تغف عني المودّة بينهم ولا تنقسم

ثم اني اشكركم على عدم انحرافكم عن طريق تعلقكم السابق وانعطافكم لنحو والذي
وارجو الباري سبحانه ان يحفظ وجودكم ثم ان هذا البرنس سافر مع عسكر الانكليز
فقتل في بعض حروبهم مع الزولوس ولما اتصل خبره بالامير كتب الى والدته يعزيها
فيه فاجابته ان التأسف الذي اظهرتموه لنقد ولدي العزيز الذي قتل واسلمته في يده مقاوماً
لاءداء كثيرة قد وقع عندي موقعاً عظيماً واوجب عليّ اداء الشكرات العظيمة لاشتراككم
معني في هذه المصيبة التي اصابني وفي احزاني العمومية راجية من الحق تعالى ان يحفظ
وجودكم ولما ادبلت الدولة الامبراطورية بالحكومة الجمهورية انتهر رجالها الفرصة في
احكام عرى المواصلات مع الامير خشية ان تذهب بذهاب الامبراطور فبعث وزير
خارجيتها الى قنصلها بدمشق رسالة تلغرافية ونصها من الواجب على الامير عبد القادر
انه لا يشك في ميل الحكومة نحوه بل هي تعامله بالمجاملة والمكرمة على ما كان عليه الامر
سابقاً وارجوكم ان تبلغوه ان المرتب يتصل عطائه له في اوقاته واستمرت المواصلات جارية
بينهم وبين الامير على هذا يكاتبهم ويكاتبونه في المواسم وغيرها وفي سنة سبع وسبعين
وثمانمائة كتب الماريشال مكماهون دوك ده ماجنتا رئيس الجمهورية الى الامير جواباً
عن مكتوب منه اليه

ايها الامير المعظم قد اخذت تحاريركم في اوقات مختلفة باعظم السرور ولا اقدر ان
اناخر عن افادتكم عما حصل لي من الاتياع لما اشتملت عليه من انواع التهناني ولما
ابديتموه من الميل لفرانسا هذا وان الصفات الحسنة التي ميزتكم عن جميع الناس نحن نعتبرها
ونفوه بقدرها ولذلك لا احتياج الى اقامة دليل على شدة ميلي للحكوم وبناه عليه فثقوا
بمحبي وخلصي القلبي للحكوم وفي سنة ثمان وسبعين كتب ما نصده ان مبادرتكم لتقديم
التهنئة بدخول السنة الجديدة والدعاء بنجاحي فيما اسعى فيه من الخير لعباد الله تعالى قد
سرفني واثر في تأثيراً حسناً جداً ولهذا لا اريد ان اناخر عن اظهار مسرتي لكم بذلك
وانني اسعيد بتمكني من هذه الفرصة التي اوضحت لكم فيها ما حصل لي من الانشراح ثم
اني اتني لكم من قلبي ان الحق تعالى يصون حياتكم ويحكم الحظ الحسن والسعادة ولما تولى
جول كريفيه رئاسة الجمهورية خلفاً للماريشال مكماهون كتب اليه الامير يهنئه فاجابه
ايها الامير المعظم ان حسن اعتقاد ابناء وطني دعائي لرئاسة الجمهورية الفرانساوية
ولكونكم بادرتم بتقديم التهناني وانواع التبريك لشخصي بهذا المنصب الوطني لا اريد ان
اناخر عن تقديم الشكرات لكم على ذلك واعلم ان خلوص مودتكم قد اثار في كثير
واوجب عليّ ان اؤكد لكم صدق مودتي واعتباري بتمامكم السامي ولذلك اقول اني مستعد

دائماً للسعي فيما يعود بالخير العظيم على شخصكم الشريف وارجو من الله تعالى ان يحرسكم
 ويفيض نعمه عليكم وفي سنة اثنين وثمانين كتب اليه الامير بهيئته بالعيد الاهلي في جوايو
 فاجابه ايها الامير الكريم قد قابلنا التهانى التي قدمتموها لنا بالعيد الاهلي بمسرة عظيمة
 واهتمامكم بهذه الامور يدل على خلوصكم للمشايخة الفرنسية ولذلك نجعل ل عبارات
 التبريك التي تقدمونها لنا اهمية عظيمة ثم اننا نكرر لكم تأكيد اعتبارنا وصدق نخبنا
 وندعو لكم بدوام الصحة والسعادة وفي سنة ثمانين وثمانمائة عرض لملك ايتاليا فكتور
 عمانوئيل مرض شاع خبره ثم بعد مدة شاع انه عوفي منه فكتب اليه الامير يستفسر
 عن احواله وبهنيئته بالشفاء فاجابه ان ما انا عليه من شعائر الوداد والخلوص لكم يشهد لي
 به ضميركم الشريف وما لنا عندكم من المودة يشهد به تحريركم المحبوب ثم ايدتموه باظهار الاشفاق
 من مرضنا فاستوجب هذا ممنونية فائقة وتشكرات اكدية قلبية كما استوجب ذلك تهنئتكُم لي
 على الفوز بالصحة التامة فالباري تعالى يحفظ عالي وجودكم ويوفر سعودكم ولم تزل المواصلة
 جارية بينهما الى ان توفي الملك المذكور ولما تولى مكانه ابنه ولي عهده الملك
 همبرت كتب اليه الامير يعزبه وبهنيئته بما نص ما تمس الحاجة اليه ولا يخفى ان
 الاقدار الالهية من شأنها انها تختلف بين مكروه ومحبوب وتصرف بين مسلوب
 وموهوب وكثيراً ما اخذت بيد ثم ردت به باخرى واحزنت بكرة ثم احدثت بالمشي
 سروراً وبشرى هذا وان حكم الله تعالى بموت عظيم ايتاليا وملكها والدم واقضاء
 امر الملك اليكم قد جمع بين ما يوجب الاسف والتعزية وما يوجب المسرة والتهنئة
 ولا شك ان الله تعالى اسى بكم حادث الكلام وسد بشخصكم العظيم العظيم الثلم ورد
 النفوس بعد انزعاجها الى محالها والآمال الى محط رحالها فلذلك ترى النفوس الى
 التهنئة اميل منها الى التعزية اذ الموت امر لا بد منه وسهم لا تحيد لكل
 مخلوق حي عنه فالله يصلح بكم البلاد والعباد ويوفقكم الى سبيل الرشاد والسداد
 ثم لا يخفى ان عيون العائلة الملوكية ترمقكم في هذه الحال لتسلك على سبيلكم
 وتأخذ بصبركم فيها وتحملكم فينبغي لكم استعمال الوسائط اللازمة في تهوين ما نزل
 بها حتى تفرغوا الى القيام باعباء ما اسداه اليكم الباري تعالى من الملك العظيم
 ثم ارجو قبول ما اشتملت عليه هذه النيقة الودادية من التعزية والتهنئة . وكان
 الفرانديك بن قسطنطين شقيق الاسكندر الثاني امبراطور روسيا جاء الى الارض
 المقدسة ودخل دمشق واجتمع بالامير وعند سفره كان الامير منحرف الصحة فلم يتنق
 لها اجتماع لاداء سنة الوداع وبعد وصوله الى بطرسبرج عاصمة ملكهم بعث تلغرافاً

الامير يخبره بوصوله فاجابه الامير تلغرافياً سرفى جداً وصولكم بالسلامة لمقركم .
صحتي جيدة دائماً اذكر ما انتم عليه من الاخلاق الحسنة ان تحسن عندهم قدموا
اسنى تحياتي الى حضرة الامبراطور واقبلوا تهنئتي بالسنة الجديدة وهي سنة اثنين
وسبعين وثمانمائة . وفي فبراير منها جاء الجواب من الغراندوق ونصه ايها الامير
الماجد المعظم قد سررت كثيراً بتلاوة الرسالة التلغرافية التي اتحفتموني بها
وجاءت شاهدة على دوام ذكرى عندهم وكانت من احسن الوسائل لدي لتجديد
انبساط قلبي بذكر اجتماعنا في دمشق وما كان من سياحتي في المشرق التي لا
يتطرق اليها عندي نسيان وما كان لبعد المشقة ولا لطول المدة ان ينسياني ما
رأيت في ذلك القطر الكريم من اكرام النزل وحسن اللقاء ومن جملة ما بدا لي
منكم ومن جميع اهل دمشق ثم ان من محاسن نيةتكم هذه اتحافى بمصوولكم على
كل العافية والصحة فان اسلامتكم شأنًا عظيمًا لدي لما اعلمه من انبعاث افضل
والفضائل من افعالكم ورائكم فاحياكم الله الى امد بعيد وامدكم بفضل المديد
وقد اجبت سؤلاكم بعرضي عنكم لدى السدة اقيصرية تحية الاسترام والاختلاص
فارتاح جنابه الرفيع الى ذلك بمسرة ثم تكرم بالثناء عليكم واذن لي ان ابلاغكم السلام من لدن حضرة وان
اعرفكم بانه يحبكم وانه لا تزال تترنح اعطافه لشدة مسرته بحسن صفاتكم وحميد سيرتكم
ولذلك اهني نفسي وافرح بالفرصة التي اتيت لي لتبليغكم هذا التعطف من لدن مقامه
انقيصري وحيث اني اود ان ابث اليكم واظهر لديكم ما عندي من المودة فقد
ارسلت اليكم داخل هذا الرقيم رسم صورتي لتكون تذكراً لي عندهم فاقبلوها
واحفظوها علامة على بليغ ودادي وصدق ولائي وبني سلام مستمر على سموكم ولن
ازال بلى عواطفى اتنى لكم كل خير وغبطة وكن الوزير السيامي غورتشاكوف
الروسي جاء سانحاً الى هذه البلاد ولما رجع الى وطنه بعث الى الامير مكتوباً
ملخصه اعد نفسي سعيداً حيث اني رأيت شخصكم المعبد وسمعت خطابكم اللذيذ
ولم يرك فكري يحول في رياض محاسنكم الفاخرة ويستشقى نعيم كريم اخلاقكم
ولا ابرح على هذا مدة حياتي وانحراف مزاجكم الشريف هو الذي منعنا من
وداعكم عند السفر واوجب لنا الاسف الشديد والان نحمد الله على اعتدال
مزاجكم وكال صحتكم وقد اتصل بالامبراطور ما انتم عليه من الميل الى جانبه
الرفيع وغدا بذلك ممنوناً متشكراً ارجو عدم ابراحي من الذكر الكريم ومن اجوبته
قوله ايها الامير الاكرم ان مسيو مكاييف قد سلم الى التحرير الذي كلفتموه بحمله

اليّ من لدنكم واني اجل ما تحسن عندكم اظهاره من المودة ولا يخفى ان تمسكي العظيم بكم واحترامي لمقامكم نظراً لما اتصفتم به من الاخلاق الكريمة الخالصة الشرعية يقابل عظيم تلك المودة وشهادتكم له باظهار شعائر المحبة والخلوص لحضرتكم قد سرتني كثيراً وفي الحقيقة ان ما اجراه من ذلك هو مراد للعظمة الامبراطور والذي اعلمه بوجه التأكيد ان خلفه يحذو حذوه وبذلك يكون قد قام بما تقتضيه ارادة ملكنا المعظم من الميل ولانعطاف لنحوكم كما انه يكون بذلك قد تمكن من استجلاب تعطفكم لنحوه فاقبل ايها الامير الفائق الاحترام تأكيد مودتي القلبية لسموكم واعتباري الفائق لمقامكم

ومن اجوبة سفير الدولة الانكليزية في الاستانة العلية السير هنري الى مفخر الاما جد الكرام ذوي القدر والاحترام الامير عبد القادر

غب اهداء واجبات الاكرام بيزيد الاحترام نبدي انه وصلني عزيز كتابكم واطلعت على ما فيه حرفياً وعلما انكم بذلت غاية المحمة والغيرة في وقت الفتنة العظيمة في حق تبة الدولة الانكليزية وهذا يدل على مودتكم لنا وهو امر لا بد ان يكون في حقل عظيم معتبراً ثم ان اقتضى لكم غرض من الاغراض في طرفنا اخبرونا به فانه يحصل على وفق مرغوبكم وكان بين الامير وبين الحكومة التونسية مراسلات ودادية ومواصلات حيية ولما انجز الوزير خير الدين باننا تاليف اقوم المسالك بعث الى الامير نسخة منه واصحبها بكتوب فاجابه بما ملخصه وقد ورد علينا من حضرتكم كتاب سني يشتمل على خطاب لذيذ شهبي فاستدعي شكري وحمدي واستخلص في صفاء المودة ما عندي عرفتمونا فيه من خبر سلامتكم ما نرجو له الدوام وندعوله بالحفظ من حوادث الايام هذا وقد اطلعنا على اقوم المسالك فراينا فيه ما بهر العقول وادى الافكار الى الذهول من قضايا المعقول والمنقول فاتفقت القلوب على تفضيله واختلفت الالسنه في تمثيله اما نحن فقد تركنا التشبيه وقلنا ما له في فنه مثيل ولا شبيه قد ارانا من الرجال بقايا وفي الزوايا خبايا كتاب تنفس الدهر به تنفس الروض في الاسحار وتبسم عن ثغور النور والازهار كتاب يزرى بتاج تراجم الاعيان وكأنه مرآة انعكست فيه رسوم اخبار الملوك وافاضل الزمان فاتخذته مرتع ناظري ومنعش خاطري ولا يخفى انه لا بد لكل عصر من رجال يقومون باعبائه ويهيئون في اودية انبائه وبالجملة فقد انتم في هذا التاليف من كلامكم العالي المنيف ما يجب على كل عاقل ان يتخذة سميراً ويجعله على كل كلام اميراً فلقد ابشدرت ايها

الوزير الخطير الى احرار المعالي وسبقت وحزت قصب السبق في مضارها وفزت فله درك ودر ما به الممت وما قربت من فنون المعارف وبعدت ثم انك حميت ذمار الشرع المحمدي وعضدته وقطعت عنه ضرر الملحدين وخضدته وذلك بما قررتوه من ان الشريعة المطهرة لائقة بكل زمان صالحة للحكم بها في كل اوان وذكركم ان بعض من خالف الحكم المحمدي فتاخر نسبت جنايته اليه وما احتشم ولا تبصر ولم يعلم ذلك المخدول انه انما اتى من قبل تخالفته واصيب في عين بصيرته من جهة اساءته

والشمس ان تخفي على ذي مقلة نصف النهار فذاك تحقيق العمى
نسأل الله العافية . ولما تكرم صاحب تونس بالنيشان العالي من الرتبة الاولى عززه وزيره الاكبر مصطفى الشهير بجزينة دار بكتوب منه الى الامير فاجابه برسالة منها ان ما بيننا من الود متين عرى الحقائق فلا يحوله عن مركز ثبوته عائق قد ارتبطت في الله معاقده واسست على المحبة لاجله قواعده ولقد اوليتم فاخلفتهم وعرفتم حقوق الاخوة فايدتموها وباعبائها فتمت ثم تكرمتكم بما يدل على ذلك دلالة الروض على الزهر والشاطئ على النهر وهو النيشان العالي الشان الذي تفضلت به الحضرة الصادقية ايدها الله على ولدي الاكبر السيد محمد ولكونه من الرتبة الاولى صار شكركم عندي من كل شكر احق واولى نسأله تعالى ان يبقي تلك الذات السنية سامية الركاب عالية القباب بمنه تعالى وكرمه ومن رسالة اخرى الى الوزير المذكور قد رفعتهم للعدل الراية وبلغتهم من الكمال الغاية حتى احبكم البعيد والقريب ودان بودكم المتوطن والغريب ولم تزل السن المهاجرين بطرفكم تلجج بما لكم من الخصال الحميدة والمزايا العديدة وفي هذه الايام وردت علينا رسائلهم تترى طالبين ان نحدث لكم من امرهم ذكراً فجعلنا هذه النسيقة تذكرة حسنة لنعاملوهم بقتضى معاليكم المعاملة الحسنة على نحو ما سبق من احسانكم وانفوه من افضالكم وامتنانكم ولا يخفى ان ذلك من اسنى الاعمال الصالحة وابهى المساعي الناجحة وانتم ابقاكم الله بكل فضيلة احق والى كل منقبة فاخرة أسبق فكتب اليه في الجواب . قد بلغنا كتابكم الكريم مبشراً بنعمة عافيتكم التي هي مبتهج الامل ومنهج الرغبة ونستوهب الله تعالى على ذلك من الشكر ما يكافي مزيد نعمائه ويوافي عظيم آلائه وما سنح لخاطركم الشريف من توكيد الوصية على من لهم تعلق بجنابكم من المهاجرين القاطنين بالمملكة التونسية فانهم لا يزالون بحمده تعالى في ظل نعم مولانا وسيدنا دام عزه وعلاه في امنه ورعايته مانوسين معروسين ثم المرجو ان تبقى صلة المودة بالمكاتبة موصولة لتزداد النفوس مسرة والعيون قرة . وفي سنة ثمان وثمانين جاء الوزير خير الدين باشا الى الاستانة في امور

لتعلق بحكومته وعندها اتصل خبره بالامير كتب اليه رسالة منها . ونا بلغ خبر
مروركم الى دار السعادة قلنا لعل الاقدار الالهية تجذبكم الى هذه المواطن المباركة
الطاهرة لتفوزوا بمشاهدة المشاهد النبوية الزاهرة وتتمتعوا عرف انفسها الزكية العاطرة
ولتتمتع بشاهدتكم نراظرنا ونشرح بطيب مذاكرتكم خواذرنا ونترقى في معرفتكم من
العلم الى العيان ومن مخاطبة القلم الى مشافهة اللسان وح تتمكن النفوس من صقلها
والعقول من حل عقالها والالسن من فصل مقالها فان ساعد القدر في حصول
هذه الامنية وحظينا بمشاهدة ذاتكم البهية فيا حبذا والا فله الامر من قبل ومن
بعد وله الحكم في القرب والبعد . فجاء الجواب الا انه غير مطابق من كل
جهة للخطاب وهو قد اتصل بنا عزيز كتابكم المتضمن التعريف بعافيتكم واثاب
نفسكم الشريفة التي هي قرارة كل فضيلة وبكل مكرمة كفيلة فحمدنا الله تعالى
على ذلك باللسان والجنان وعلى ما انعم به ايضاً علينا وارانا اياه في وجهتنا هذه
المنتظمة في سلك مراحم الخلافة العثمانية ومرضاتها في تسهيل المصلحة العمومية
الاسلامية وتبديد اسبابها وثبيت دعائمها التي خلدت للاسلام فخراً وادامت له من
مكarmها ذخراً ونستودع الله شكراً يوفي ما انعمت به السلطنة العلية خلد الله
عزها من الامور المرضية الشخصية التي كانت فوق الظن ونرجو دوام صلة المودة
اذ هي بين الاحبة مسئولة ولديهم مقبولة وما برحت منح الله تعالى تفاح جنابكم
وترتاح بكل مكرمة مثابكم بانه تعالى وكرمه . وفي سنة اربع وتسعين بعث اليه
الامير هدية سنية من الحنف الدمشقية وذلك ايام وزارته الكبرى ومعها كتاب
فاجاب بما نصه المقام الذي لمعت في الخافقين كمالاته وسطعت فيهما آياته الامام
العارف انيس المعالي والمعارف جناب الامير السيد عبد القادر الحسني لا زال العلاء
سميره وعين المجد به قريره اما بعد السلام الاتم وزيد الثناء على ذلك المقام الانعم
فقد تشرفت بعزير كتابكم الوارد وكرمت منه في اصفي الموارد مشتملاً من الحسن
بطراز متوثخاً من الود بالحققة لا المجاز وقد وقع مني ما التحيتوني به موقعاً
عظيماً حتى انه لم يبق لزيادة الاستحسان موضع ولا من طرف الاعجاب يبيع
برأيانها من اعظم المنح وان راها جنابكم لجلالاته اقل من ان تمنح ولا سيما انها
من بلدة مباركة ومن جناب سابل الاكرام فكيف ان تدع لاسد معه مشاركة
فاكدت تذكاري مع شقة البين وان كان نصب العين نسأله تعالى ان يجعلها
وسيلة يستعان بها على قضاء الاوطار المحدودة باعثة على نهج الطرق التي هي بالتوفيق

مدعمة وبالمهدي معضودة واني وان اجهدت نفسي في شكر مودتكم وعائد صلنكم
فما اذني حقها ولو اعارني السماء مداداً وارجو من مكارمكم العديدة وشماثلكم الوحيد وحسن
الالتفات للمتمسم بؤدكم بصالح الدعاء حتى ارى الاجابة تخرج من خلاله وارثوي من
زلاله فان تعطشي لذلك مديد وشوقي اليه عتيد وكتب الامير الى رستم باشا
امير الامراء يوصيه باولاد مقرات حين التجئوا الى المملكة التونسية فاجابه بقبول وصيته
والسعي في مراده وبغيته فكذب اليه الامير ما نصه

اما بعد فقد ورد علينا كتابكم الاعز وخطابكم الالذ الاوجز مشتملاً على
الفاظ فائقة ومعان رقيقة رائقة وتخبراً بما انتجته العناية السنية الصادقة بالفتنة المتجبهة
المقرانية من عميم احسانها وفيض امتنانها وانها انزلتهم فيما تخيروه من اوطانها
ورغبوا فيه من اعطانها فنسأل الله ان يديم رفعتها ويؤيد سطوتها ويبقيها للآبدين
ملاذاً وللعائدين معاذاً هذا ونحن نعلم ان ما ابزته مراحمها وجادت به مكارمها ما
وقع الا باشارتكم ولا ظير للعيان الا بواسطةكم فجزاكم الله جزاء الدال على
الخير واعاذكم من كل فتنة وضير وادام توفيقه اياكم لمثل هذه الاعمال السنية
والنزايا الالهية انه جواد كريم برّ رحيم ولا نحتاج مع وفور فضلكم الى تجديد الوصية
بكافة المهاجرين وتكرار التذكرة بملاحظة الاولين منهم والآخرين والله تعالى يبيقيكم
ومن كل سوء يقيكم فاجابه بقوله جناب الفذ العريق في الرياسة والسيادة الحقيق
بارتداء ملابس الفخر والسعادة الذي ارجى عزيز جابه على سائر اقاربه واترايه
وشكرت مساعيه الحسنة واتفقت على كمال وصفه الآراء والالسنسة حضرة الامير
الجليل الاير سيدي عبد القادر بن محيي الدين لا زال وجه الايام بسناء سعادته
ساطعاً وضياء نورها بسيادته لامعاً اما بعد سلام يتمسك بذبل عرفه النسيم ورحمة
يشملها سلام قولاً من رب رحيم فان كتاب جنابكم الاعلى وخطاب سيادتكم
الاغلى ورد علي فكان اعظم وارد واكرم وافد وانشرح صدري عند تناوله وقبلته
قبول مبتهج اكراماً لمرساله وشكرت الله تعالى على تعطفكم علينا وحسن التفات
سيادتكم اليينا واعظم ما سرننا به عافية حضرتكم الشريفة وانبارها السارة اللطيفة
فالله تعالى يسمعنا عنكم دائماً ما يتعاضم به السرور وتزدهي به الخواطر وتثلج
الصدور والمرغوب من الجناب العالي الزاهر المتتالي ان تمدوني بصالح دعاءكم والله
سبحانه وتعالى يديم شمس سعادتكم مشرقة واغصان سيادتكم مورقة بنبه وطوله
ولما تولى حسين امير الامراء التونسي رئاسة مجلس الشورى سنة اربع وتسعين

كتب الى الامير يخبره بذلك ويذكر اعتناؤه بامور المهاجرين في تلك المملكة فاجابه الامير ان السنة المهاجرين لم تزل تلجج بكمالكم وتقوسهم بتهيج بحميد خصالكم فاجبتكم على السماع وتمنينا ان يحصل بيننا وبينكم اجتماع ثم لما ورد تحريركم علينا ثبتت محبتكم في قلوبنا بالوسائل الموء كدة على ما يقتضيه حديث الارواح جنود مجندة ثم انا نقدم لحضرتكم انواع التهناني بالمقام الذي ترقية اليه والمنصب الذي دارفلكم نفركم عليه وفي الحقيقة التهنئة للمنصب حيث انه بجمالكم تجمل وبكمالكم تكل لكن جرينا على الظاهر المعروف وسلكنا في ذلك السبيل المألوف ونسأله تعالى ان يديم ترفيقكم ويوفقكم لما يريكم آمين

وفي سنة خمس وتسعين كتب الى الامير في عناية باحد اصحابه ما نصه
ادام الله تعالى عز الكف الهام مجمع الكلمات المتفرقة في الانام ذي المآثر المسطرة على جبين الدهر والحائز في مضمار الشرفين غاية المجد والفخر سيدنا وملاذنا الوحيد سيدي عبد القادر لا زالت الافئدة تتظافر على وده والاندية تارج بشذا مجده اما بعد اهداء تحية يرنح قبولها الاريجية فان توفر حظ العبد من مودة السيادة يسع مقترحي وهو ان حامل الكتاب فلان عن له ان يزور موطن الشام وربما يبلغ في سياحته الى بغداد دار السلام فأمل من عبدكم وشيعي ودكم ان يصحبه بكتوب الى اعنابكم السامية ليتشرف بزويتكم ويكون تحت حمايتكم وعليه فالمرجو ان توصوا به سائر العرب الذين يكون مروبه عليهم في طريقه حتى يكون في حلوله وارتحاله آمناً مطمئناً فاسعفته براده لسابق وداده ولا زال حماكم المحمي مراح المعاني ومطمع نظر القاصي والداني آمين وكتب اليه ايضاً في عناية اخرى ما نصه

تستقبل هاته المحيفة نخراب جامع اشات الكال والشم الشريفة جناب رئيس المهتدين وقاهر المعتدين مولاي عبد القادر ابن المولى محي الدين حرس الله كمله وانجح بسديد رأيه آماله اما بعد اهداء تحية ترنح قبول قبولها عذبات الاريجية فالداعي الى تسطيره بعد التشرف بارتسام صور هذه الكلمات في مزايا افكاركم ان المحترم الانجب محبنا فلان حامل هذا المكتوب لسيادتكم العلية بالله قد اقام عندنا نائباً عن فنصل ايتالي بنغر حلق الواد من محروسة تونس مدة سنيين والان امرته دولته بالانتقال لفضلية دمشق الشام المحروسة فاعلم السنيور المشار اليه بنشيعي بالمودة الى جنابكم رغب بان اصحبه بتحرير لسني - حضرتكم حتى يتشرف بعرفة ذاتكم الشريفة فوافقه العبد على رغبته ودو في نفس الامر من اظرف واكيس بني الجنس حتى انه لم يفارق بلادنا الا وكل من

عرفة يتقنى عوده اليها وارجوا انكم حفظكم الله تجدون من نعرفه بجنابكم فوق ما وصفناه به من تحاسن الشيم والله يحرس حماكم مناخ الاكياس وملاذ سراة الناس ودمتم في من الله والسلام من شيعي ودمكم وعبد كلكم حسين ولما تولى امير الامراء محمد المعروف بالكوش وزارة الخارجية بنونس كتب اليه الامير يهنئه بها فاجابه بما نصه

الجناب السامي فخاره الواضح افتخاره المشرق مناره الحميد في المكرم ايراده واصداره نخبة الاعيان اهل المعرفة والشان سيدي الامير عبد القادر الحسني لا زال بكل فضيلة سني اما بعد اداء ما يجب لعزير جنابكم من التعظيم والتكريم نقد بلغني كتاب سيادتكم متفهماً الافادة عن نعمة عافيتكم لا زالت ضافية الاذيال بادية الاجلال ومعرفنا بمسرة جنابكم بولايتنا وزارة الامور الخارجية فشكرنا مكرم اخلاقكم الجليلة التي هي نخل الشكر وقرارة الفخر ونسأل الله عوناً على مرضاة حضرة سيدنا ادام الله عزه وعلاه كما اننا نسأله تعالى ان يديم حفظ ذلك الجناب على ممر الاحقاب بمنه تعالى وكرمه آمين . ومنه اليه بتاريخ سابع رجب سنة خمس وتسعين ما نصه : الجناب الذي ضربت عليه العليقة قبابها ورفعت له المسرة نقابها وامتدت به شجرة المجد اغصانها وكانت الالسنه على الثناء عليه اعواناً معجز الاقلام عن تعداد تحاسنه والالسن عن عد احسانه المفرد العلم وحيد الشمال والشيم الامير السيد عبد القادر لا زالت الاسماع لما أثره واعية واجياد الزمان بفضائله حالية والكمال من رياض معاليه يرتاد والانس بوجوده على الدوام يزداد اما بعد اهداء تحية يطير بها الشوق الى ذلك الناد وليس له الا اكد الحب حاد . فقد بلغ السرور بكتابكم العزيز المنتهى حتى كدت اصير به مغرماً ولما جاء مبشراً بما عمتكم من النعيم الكافي والفضل الوافي ومقرراً لما عليه جلالكم لنا من الود الفائق والاعناء الرائق فحمدنا الله على ذلك وشكرنا فضلكم لما هنالك والمطلوب من حضرتكم اللطيفة الشمال النجيحة الوسائل حسن الالتفات للعبد بصالح ادعيتكم التي هي للاجابة اسرع من هطل سمابة والله يمد سيادتكم من خزائن فضله ما انتم من اهله آمين ولما تولى مصطفى بن اسماعيل التونسي الوزارة الكبرى كتب اليه الامير يهنئه . فاجابه بقوله

المقام الذي ما زال الهدى يورده والجود الالهي يسدده من حاكاه البدر في هالاته وعجزت الاقلام عن تعداد كلالته جناب الهام التحرير والاكير الرباني سيدي عبد القادر بن محي الدين الحسني لا زال للاعين قره وفي جبين الزمان غره اما بعد

اتم السلام على ذلك المقام والثناء بلى اللسان على خصائلكم الحسان فقد اتصلت
يدي باعز كتاب جنابكم وتيمنت باعز خطابكم وعلمت ما عليه اجتوى من التهنئة
بولايي الوزارة الكبرى والمسئول من ربنا سبحانه ان يتفضل عليّ بالاعانة في
القيام باعبائها واستنتاج نتائجها حتى يكون السعي سديداً والرأي بفضلته رشيداً
وقد تضمن كتابكم الكريم انه كان عرض لجنابكم مرض اوجب تاخير كتاب
التهنئة فحمدته تعالى على شفائكم ونصرع اليه في دوام عافيتكم وارجو من جنابكم
ان اكون ممن يشملهم دعاءكم ولا ينساه علام ما برح المجد بجنابكم مصوناً واليمن
بوجودكم مقروناً

(وكتب الامير) في سنة احدى وتسعين الى امير مكة وشريفها الشريف عبدالله
باشا يعزيه في بعض اقاربه فاجابه برسالة نعمها . غب اهداء جزيل سلام اطيب
من عرف النسيم واعذب من رحيق تخوم ختامه مسك ومزاجه من نسيم وازكي
تحيات لبسم بالحنة تغور سطورها وترقم بصدق الاخلاص احرف منشورها الى
حضرة فريد الذات والصفات حميد الحاصل والسمات قدوة الافاضل والاكابر وعمدة
ذوي المعالي والمفاخر الاجل الاكمل السيد عبد القادر الحسيني وبعد فاننا لم نزل
نتطلب ورود الاخبار المسرة عنكم بما يطمئن به خاطرنا عليكم وفي اشرف الساعات
ورد علينا مכתوبكم الشريف المشتمل على الخطاب اللطيف المتضمن التعزية فيما
جرى به القضاء المبرم والقدر المحتم بوفاة من نعمه الله بالرحمة والرضوان واسكنه
فسيح الجنان ولقد احسانكم فيما بلغت من حسن العزاء ولا زلتهم موفقين لتسلية المحبين
المخلصين فانه تعالى يجمعنا ممن يتلقى قضاءه برضاه وافدتم انه بلغكم ما حصل
لنا من التأثير فله مزيد الحمد قد تفضل المولى سبحانه باللطف فيما قدر ودمتم
سالمين في حفظ الملك المعين ولما توفي الشريف عبد الله المذكور وتولى مكانه
شقيقه الشريف حسين باشا كتب اليه الامير يعزيه ويهنئه فاجابه بما نصه . غب اهداء
اصفي تحيات وافرة واوفى تسليمات عاطرة يفوح نشرها العبيق من سوح الكعبة الغراء
والبيت العتيق الى جناب صاحب الاخلاق الحميدة ونحاسن الاوصاف الرشيدة قدوة
الافاضل وعمدة ذوي الفضائل الاجل الاكرم السيد عبد القادر الحسيني زيد فضله وبعد
فبينما نحن في البحث عن صحة ذاتكم والسؤال عن كمال صفاتكم اذ ورد إلينا كتابكم
المسفر صبح مضمونه عن صدق اخلاص وموضح عن اكيد مودة ليس لرائدها انقاص
متضمناً التهنئة بما من الله سبحانه به علاناً من اكرام السلطنة السنية بتوجيه الامارة الى

عهدتنا فله مزيد الحمد على ما انعم وله كمال الشكر على ما تكرم ونسأله سبحانه وتعالى التوفيق والاسعاد والهداية الى سبيل الرشاد انه سبحانه جدير بالسؤال وقدير على تبليغ الآمال وقد سرنا ذلك منكم وشكرنا صنيع هممتكم لا سيما ما تضمنه من الادعية الخيرية المرجوة القبول لصدورها عن المحبة الصادقة القلبية ودمتم سالمين على الدوام والسلام ومن رسائل الفاضل السيد عبد الرزاق مفتي اللاذقية الى الامير قوله

الحضرة التي نستجلب رضاها ونستجلي ضياها حضرة المكارم التي لاح سناها وعطر الآفاق طيب رباها والدوحة التي تستظل الانام بظليل حمادا والروضة الغناء التي تنتجت ازهار رباها وجرت جداول فيضها ونداها لا زال شائخا في رب لمعالي بنائها ولا يرح الكون مبتهجا بجلالها آمين يعرض الداعي الذي لا يزال في مركز انتسابه ولا يتحوّل عن خصوصيته في اتعاده واقترابه انه قد تقدم قبلا من الداعي عريضة لم يرد عنها جواب يشفي جوى حشاشة غدت للبعد مريضة مع ان الداعي على ما كان عليه لا يحضر بحفل في افاضل الناس حافل ولا يجلس مع مذاكر ومساجل الا ويملاّ الاسماع من جريان هاتيك المعاني المروقة في اواني الباني ويبرز من كواكب تلك المناقب ما يملأ ضوءه ما بين المشارق والمغرب وتلي من مسايع خلائق الساطعة الانوار ما هو ازكى من عبر العنبر المعطار فله في كل ديوان لسان شاكر لاحسانك وفي كل لسان ديوان ذاكر لامتنانك بتلو من آيات عرفانك وبينات مجدك وفضلك ما يقرط بדרره المسموع وتأخذ فرانده من القلوب المجامع فما من ناد الا وعطره بنفحات شذى اخلاقك النديه ولا من زاد الا وافعمه برشحات ندى راحتك النديه ادام الله عماد المجد قائما بوجودك وليل هذا الدهر مشرقا بيد سعادك آمين

ومن رسائله ايضا قوله

الى مقام مكارم الاخلاق والشم والماثر العالية القيم مقام المعارف الربانية ومورد الحقائق العرفانية مقام حل الرموز ومفتاح الكنوز والسر المطلسم المرموز والمنج التي لا يحل انكارها ولا يجوز مقام الوراثة المحمدية والمواهب الصمدية والفيضات اللدنية والعنايات الربانية مقام علامة الآفاق ومن فضل اهل عصره وفاق كيف لا وهو ابن سيد العالمين على الاطلاق والنور الذي كسا الاكوان حلة الاشراق مقام ناصر الملة والدين وقرة عين الموحدين من قام في تاييد كلمة الاسلام بما عم ذكره وعبق في آفاق البرية نشره ببأس يطير شرره وادراكه ثبلج غرره وذهن يكشف الغوامض ويسبق البارق الوامض وطعن بالصارم الفاتك والسنان الباتك حتى قهر الاكاسرة

بأساً وعزماً وحير القياصرة شائناً وحزماً مع قوة شكية ونفاذ عزيمة وايد حكت الدمية
واخلاق مستقيمة وخصال قوية ومشاهد رواياتها عميمة بانواع الثناء عند ملوك
الدنيا موصوفة موسومة ذو الورد الاصفي والمورد الاهني اقر الله بطول بقائه عيون
الامة وكفاه بفضل كل ملة ومهمة آمين والذي يعرضه المحسوب بلسان الحجل وهو
بمقتضى التصرفات الالهية في اضطراب ووجل اني من محبتكم في مكان فيه لا اشارك
يعلم الله تعالى وتبارك والمجبة هي النسب الاقوى الملحقة بالسابقين ولو مع القصور
في التقوى فارجو دوم قبولي وملاحظتي بعين العناية وشمولي فانني ممن لا ينفك
عن عهده ولا يخرج من دائرة حبه ووده ومثل عرفانكم لا يقدم لديه الزيف حتى
الله شمائكم من كل سوء وحيف وبلغنا من معاليكم الآمال واقر منكم العيب
بسادتنا الاشبال بجمرة جدك الاعظم والال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما لمع
سراب وآل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ومن رسائله العجيبة الى الامير
رسالة ادمج فيها اسماء السور القرآنية وهي قوله اوشح فاتحة عريشتي برفع البنان
والضراعة لمن انزل البقرة واصطفى آل عمران ببقاء انسان عين الانسان والآية
الكبرى التي زين الله بها الزمان المولى الذي جاءت به ام المعالي بدرًا في سمائه
وآلت ان لا تلد النساء بعده مثيلاً له في علائه والغوث الذي من حل ساحة
نعمائه فاز بمائدة انعام فضله وآلائه واحتسى من حياض اعراف نعمه انثال طوله
وكرمه حتى لزم التوبة بانه لا يرد غير سوارده بهي شيمه وان يشد ركاب العزم لغير
رفيع حرمه وسعد من الطائفة بما يؤنس الافئدة المرتاعة وينسى خلال الاكارم من
عهد هود الى قيام الساعة ورأى ان مواهب ما سواه هي ما كان لاخوة يوسف من
البضاعة وان انتمى لغير رفيع حماه اضاه كيف لا ومن ساء علاه سبج رعد الجنان
لكل من امه من ذوي العثرات ببلوغ الامان واحرقت صواعق بأسه شياطين
الطغيان ذو المهجة التي منحت عطف ابراهيم وبأس موسى بن عمران ولاحت لها
رقبة خدر المعارف من حجر العوارف فاقبلت عليها وفود الحقائق كالنحل بكل تليد
وطارف وفازت مذ اسرى بها الى كهف الاسرار باشق ما هزت مريم بجنائز الجزع
من اللطائف الا وهو سلالة سيد المرسلين طه سراج الانبياء الذي فرض الحج وبه
افلح المؤمنون النور المنقلب في اشرف افلاك الاصلاب واطهر رياض البطون
المؤيد بالفرقان الذي اعجز الشعراء عن ان ياتوا بآية من مثله وغدوا بكماً فهم لا
ينطقون فاقبل الناس كفواج النمل في دين الله يدخلون حتى دهشت لقصص

آثاره افئدة ملوك الارض وغدا سلطانهم اوهن من بيت العنكبوت وامتد ملكه حتى بلغ الروم
والهند والصين وثبت اي ثبوت صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المستكملين النعوت
وامد الله بروحانيته المحمدية درة صدفة آله المولى عبد القادر بن محيي الدين من
احيى بحكمة لقمان شريعة جده سيد المرسلين ونصر دين الله في قطر تسمى به امير
المجاهدين وتلقب بناصر الدين وادت له جباه القلوب سجدة الشكر مذ تسامت
باقدامه احزاب الدين هذا وان سببا بلقى السامعة طالما تليت عليها آيات
تلك الصفات التي من بها فاطر الارضين والسموات وما هي الا كيس في صافات
رياضها وكم مشوق صاد لورد حياضها وزمر متوجهة لغافر الذنب بحفظ تلك المآثر
والسجاي التي تضيق عنها اذا نقلت بطون الدفاتر مآثر من انتخبته شورى المعالي
لدين الله عماداً فوهى زخرف الباطل مذ عنده الحق اسعاداً ونالشى دخان
الجهالة رياح الحق من تلقاء مدين عرفانه ونادت فرق الضلال جاثية في احقاف
التذلل آية من الزمان بخذلانه امدده الله بروحانية جده سيد المرسلين المؤيد من
ربه في القتال بالفتح المبين

آمين آمين لا ارضى بواحدة حتى اضم اليها الف آميناً

ولم يزل الداعي متربحاً فرصة الانتساب ودخول حجرات المديح من الباب وهو وان
يكن في قعور عن حصر تلك الاوصاف السامية شائعاً على قاف فقد قيد نفسه بوظيفة
مدح سيادتكم مدة المحيا الى الممات بل وتثنى اعظمه برمسها وان ذررتها الذاريات ادام الله
طور عركم الخطير يزهر بزاهر نجمه على القمر المذير مشمولين بالطفاف الرحمن في كل
وافعة يذوب لها الحديد تذيبون الضد في المجادلة بمحشر الامتحان والتشريد ودام صف
مجدكم نحنوظاً من الاضاعة بجرمة من خص بالجمعة والجماعة على انك ايها المولى حنظ من
المنافقين وتغابنهم قدرك الفخيم ولا برحت نعم اعدائك عنهم في طلاق وتحريم قد فقت
بالشيم الحميدة السابقين واللاحقين وفضلت بالهمم المقارنين والمعاصرين فتبارك من خصك
بزايا لا يحصرها القلم وجعلك اذا حققت الحاقة في معارج الفضائل كنار على علم فكركمك
الهامية تزري بطوفان نوح والكمالات جسم وانت لها روح وكم لك من ثناء يطرب
الانس والجن ثره وكم من مزمل مدثر برفدك يبت مديحاً زكا نشره فماثرك البهية
عطرت عراق الكون وشامه وحيث ان مراسلات احسانكم شاملة للقاصدين وسحائب
نوالكم عمت العفاة والواردين استمتع هذا الرقيق فك اسره من نازعات المحوم وكف
اصره في زمن عيس وجهه المذموم واستجدى عناية بها تكوير الاسا وانقطار ليل كذر

جنح عسا على ان بضاعة الادب في غير اعتابكم كيت بمكيال المطففين فاجوب
 انشفاق بروج حصنها المتين طارق الجهل المكين وقد حططنا الرحال بالرحاب الاعلى
 مستمدين كشف غاشية الكدر بفجركم الاجلى لنخل من بلوغ المراد في البلد الامين وتزيل
 عنا شمس مكارمكم ايل الاسا بضحاها المبين فينشرح الصدر ويقسم بالتين والزيتون وبين
 صور العاق في الارحام والبطون ان نفحة رضاكم ليلة القدر تزيل بعنايتها القيعة زلزلة
 عاديات الاحزان والاصر وتهزم قارعة تكاثر الاوهام فيطوى عصر الاسر غم عداة
 همزة لمزة طغام نسأله تعالى ان يجعل كيد حاسديكم في تضليل ويدم لعشيرتك قريش
 ظلك الظليل ويبقى حماكم مؤثلاً للقاصدين ويخذل بسطوتكم من يكذب بالدين
 ويغدق كثر ندكم الذي اثرى به الصادرون والواردون ويرفع للملة بكم شأناً تذلل له
 الكفرون والمعاندون فلا يرون نصراً وتبت ايديهم فهم خاسرون وان يكلائكم باسمه
 لاحد الصمد ويحفظ سيادتكم من شر حاسد اذا حسد وقيقكم شر الوسواس الخناس
 ويدم بكم للبرية السرور والايناس

يا رعى الله الاحبة عهدا	حيث منت بوصلها العذب سعدى
كم ادرنا كاس الصفا فيه دهرًا	ولبسنا من المسرة بردا
عهد انس قد فاح عرف شذاه	في رياض السرور آسًا ووردا
هل الى عودة سبيل لمضى	كاد يقضي من الصبابة وجدا
جيرة المي منوا بحسن التلاقي	وامخوفي من التواصل رفا
وارحموا مغرما حليف سقام	يشتكي لوعة اليكم وسهدا
في هواكم عن كل عذب قراح	طالما استعذب المدامع وردا
اي شجو عاينت بعد نواكم	فيه ضيعت من جنائي رشا
وزماني بسهم خطب زماني	ودعاني بعد السيادة عبدا
ودعاني بنائبات توالى	قدحت بالاسى بقلبي زندا
ورحى الكرب حين دارت بجسمي	طحنت بالخطوب عظام وجلدا
ليس لي من يجيرني من عنائي	غير مولى غدا بعلياه فردا
ملجاء القاصدين من بتراه	كحلت اعين من النوائب رمدا
هو عبد القادر من تساني	رتبًا اوجبت لعلياه حمدا
بهجة الكون مستقر المزاي	مظهر اللطف عز شأنًا ومجدا
يلتق الضد في الوغى بصفاح	ويلاتي الورى بوجه تندى

فرع فضل من حيز اصل كريم
 كيف لا وهو من سلالة طه
 بعلا باذخ ونخر صميم
 واحاديث في المعالي حسان
 للذبي للجدى يروح وبغدو
 عاقداً صفقة العلا كل حين
 ملكي السمات برّ وفيه
 احرز العز في الملمات سيفاً
 انقذ الدين في الجزائر دهرًا
 وغدا الحق ساطعاً بذراه
 يا هام ان جاد انجل غيثاً
 ان حسن الاراء منك اعادت
 وسما قدرك الرفيع بمنع
 دمت للدين ملجاء وعماداً
 ما يمدح الجناب قال محب
 قد تسمى ابا كريما وجداً
 درة زينت من المجد عقداً
 وخلال حكت عبيراً ونداً
 تمنح السمع نشأة حين تبرا
 يا بروحي له رواحاً ومفداً
 فائزاً ناجحاً مراماً وقصداً
 لم يشم ناظر لعلياه ندّاً
 وحوى الحزم في المهمات عمداً
 بعد ان كاد فيه ان يتردّاً
 ثابتاً بالرفاء رسماً وحدّاً
 وهزبر ان جال ارباب اسداً
 نار شر الطغام في الشام برداً
 قد حبا في الانام ذكرك خلداً
 مبهجاً ذكركم عراقاً ونجداً
 يا رعى الله الاحبة عمداً

ومن راء ائيل صاحب الفضيلة السيد ابى الهدى الصيادي نقيب اشرف حلب رسالة
 بعثها الى الامير في صفر سنة ست وتسعين وهي قوله

الحمد لله رافع منار اهل البيت المحمدي على دعائم التقوى واشرف الاخلاق ومطلع
 كواكب سعدهم في سموات المعالي باسنى المواقع واجمل الاشراق والصلاة والسلام على
 على جدهم باب الله الاعظم ووسيلة الخلق على الاطلاق ورضي الله تعالى عن اصحابه نجوم
 لاقداء الداخلين بقيود شريعته الى حضرة الاطلاق ورحمة الله وبركاته على ساداتنا اهل بيته
 وذريته المفخرين باتباعه والمبشرين بسر الاخلاق اما بعد فهذا رقيم من خويدم النقاء
 محمد ابى الهدى الى السيد الجليل ذي الشرف النبيل والمجد الاثيل والحسب الاصيل عنقاء
 مغرب الغرب وصبح مشرق الشرق صاحب الفتوحات الباطنة ورب المنن المحمدية المنافع
 لله والتمسك بسنة جده سيد انبياء الله مولاي وسيدي السيد عبد القادر الحسيني متعني
 الله والمسلمين بدوام بقاءه واعزنا الله بتأييده الحفي وحسن ارتقائه امين مولاي حياكم
 الله واحياكم ولا اعدنا نجد علياكم ولا حضرنا قط في تجلس مستحسن الا ذكرناكم دائماً
 نستأنس بسماع مناقبكم الجليلة وبذكر مناهج سيادتكم الجملة ولا يرحنا تقرب جعل

الوسيلة والذريعة لاكتساب توجهاتكم الشريفة الرفيعة واذا بالنعمة المأمولة وردت
بلا وسائل وقال لسان الحال هكذا عطف الاماجد على المساكين بغنة والرقيب غافل
وقد خفق جناح النجاح ولمع باذن الله بارق الفلاح ولاح وظهر من مطوي الودائع الغيبية
منشور عنايتكم الباطنة الحسنية وقد قيل

ان حياة الفؤاد وصال المحب على الغفلة
وتلوته اذ اخذته متعجباً من حسن توجهاتكم عليّ بلا استحقاق مني معتقداً ان
مناجيتكم يرعى مثلي وزلي لا يلويكم عني

اخلاصت فيك سرائري والمخلصون على خطر
وصبرت لكون صح ان الصبر عقباء الظفر
فنظركم في الداعي المسكين منعكس من مرآة قلوبكم الطاهر وكذا شأن العارفين
فارجوكم ان تلاحظوني برقائق رابطتكم في خلواتكم السعيدة وان تمدوني بمددكم العالي
حالة جارتكم في شطحات موافقكم الحميدة جعلكم الله سلماً للوصال ومحجة الى بلوغ الآمال
ولا ريب انتم معادن الكمال والى الشرف جرثومة وآل

رجال اذا الدنيا دجت اشرقت بهم وان انحلت يوماً بهم ينزل انقطاع
وان وطئوا قفراً زهت بريعبها واخضر واديبها كما اعشوشب انقفر
ايد الله بثبات اقدامكم شوكة الشريعة الطاهرة وجعلكم المولى منجاً للوصول الخالصة
في المسالك الباطنة والظاهرة والصلاة والسلام على ملجاء الانام وباب السلام والحمد لله
مسك ختام المبدأ والختام وله اليه في عناية باحد اقداره بسم الله والحمد لله والصلاة
والسلام على العلة الغائية ختمت الفروع الكونية حبيب الله ورسوله وعلى آله ائقياء
اولياء الله واصحابه نجوم الارشاد خلق الله اما بعد فالدعاء الوافر والغرام واشوق المتكاثر
والهدية القاينة الناشطة من الحيلة السرية تعرض وتهدي الى المولى السيد الشريف
والحبيب النسيب المبارك المنيف عمدة اعيان السادة وقدوة ارباب الشرف والفضل
والسيادة الامير الحسني الاصيل الطاهر مولانا السيد الجليل عبد القادر اعز الله بحمل
الحقيقة بارشاده وايد عنصر الطريقة بقوة استعداده آمين اعرض ان مرسومكم الاول
الجوابي ومرسومكم الثاني الخطابي وصلاً لهذا العويجز المشوق اليكم الموعول في صدق
الاخلاص وحسن الرابطة المعروفة عليكم وفي والله لمكتف بقول من قال فاجاد رابطة
الفائدة رابطة النوائد

تطير بنا انقلوب الى بلاد فتشهد ما توقع في البلاد

وافئدة الرجال لما عيون^١ وريش والمجائب في الفؤاد
وان قلبكم الكريم يشهد بما انا عليه لسيادتكم من الشوق العظيم والدعاء الخالص
ان شاء الله النقي السليم فارجو ان تمنوا عليّ وان قصرت بدوام المراسلات اكراماً
لقارئ المرسلات وان تفضلوا عليّ بالدعوات الخيرية والنفحات الهاشمية وان
تشملوا ابن العم حاملها السيد محمد افندي الكيالي بنظركم الاكسيري العالي فهو
من مشاهير السادة ومثله علي مثلكم من موائد العطف والحنان عاده اسبغ الله نعمه
عليكم وواصل بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مدد محمدى اليكم آمين
والحمد لله رب العالمين

ومن رسائل الشيخ محمد الدرايزلي المعروف بالشيخ المنتظر قوله
الحمد لمن اخرج احرف الكلم من نور الجمع الذاتي الاقدم بالفيض الاقدس
الاقوم وفتق من الرنق الاحدي^٢ وجمع العمائي الابهيم صور الاعيان المعدومة في
العلم بنفسه الرحماني المقدس الاحكم فظهر انتظار صور كلمات الحقائق العلمية وصور
تعيينات الاسماء الالهية بحروف الاعيان الثابتة في العدم احمده حمداً يكشف
لي به عن حقيقة ذاتي وعن استعدادي وعن اي اسم كنت نجلى له فاشفق
بحقيقة حقي واعرف نفسي فاعرف ربي وصلى الله على النور الاعظم المسمى بالنون
والقلم سيدنا محمد من أوتي جوامع الكلم ومن هو نقطة حروف الوجود واحدى
كلمات الرسل هداة الامم صلى الله عليه وعليهم وسلم اما بعد فاني اهدي سلاماً
ابى من التسليم وارق من النسيم واضوع من عرف المسك الشميم صدر من
صميم الفؤاد ممتزجاً باكيد المحبة والوداد معطراً من عطر شذا البيت المعظم الحرام
والحجر والملائم الى حضرة مولانا الكامل منبع المجد والفضائل الخير الذي سما نوره
واشرق في سماء المعالي بدره الغني بشرف ذاته عن تسميته بالتصريح لما حازه من
بدائع الثناء وكمال المديح ادام الله تعالى اجلاله ويسر بفضلله وكرمه مقاصده وآماله
آمين اما بعد فالبعث لتحريره والداعي الى تسطيره اولاً كثرة الاشواق الى مشاهدة
الذات العلية والطاعة السنية وثانياً ان حامل هذه الاسطر الاخ في الله الشيخ فلان
من اعظم مشايخ الطريقة العلية الرفاعية ومن اكبر الهائمين في حب تاج العارفين
الشيخ الاكبر سيدي يحيى الدين توجه من هنا قاصداً الى الشام ليتشرف بزيارة
من هناك من الانبياء العظام والاولياء الكرام وقصده ايضاً ان يتشرف بقبيل
الاعتاب وينج نجات آماله بفسيح الترحاب فلما مول من هممكم العلية ملاحظته

بالانظار الاكسيرية وشموله بالفتحات العرفانية والفيوضات المدنانية
ومن اجوبة ابن عمنا السيد الطيب ابن المختار جواب اشار فيه الى ما آل اليه
امر اهل الجزائر من الجهل بفنون العلم والسياسة واسناد الاحكام الى غير اهل
الرياسة وهو قوله

سيدي الذي استند في جميع اموري بعد الله تعالى اليه ومولاي الذي اعتمد
بعد الاعتماد على الله عليه رب المحاسن التي صورها على منصة التنويه تجلي والامانيث
التي لا تمل على كثرة ما تمل

لسنا نسميك اجلالاً وتكرمة وقدرك المعلي عن ذاك يغنيننا
اذا انقردت وما شورك في صفة فحسبنا الوصف ايضاحاً وتبييناً
عبدكم الداعي الى الله سبحانه ان يدلل غلدمتكم وطاعتكم انف الاسد المحصور
ويبقى العز في عقبكم وعقب عقبكم الى يوم ينفخ في الصور

يسلم مشتاقاً الى ذلك الحما	سلاماً مسير السائرت يسير
سلاماً على قدر الجلالة والاعلا	وانه سيف جنب العلي يسير
سلاماً بني بالمكرمات وفي النهى	وكيف بني بالمكرمات كثير
سلام امرى يشكو الصباية والنوى	ويهوى الازار والمزار عسير
يكاد يطير عند نشر كتابكم	واني يطير والجناح كبير
فيثني عنان العزم نحو جوابكم	وماذا عسى والباع منه قضير
لذا صدرت من طيب يندي طيبها	مدادها مسك والقضايا عبير
وموردها المختار من آل هاشم	كما القدر سام والمقام كبير
وان تلك من وصف الفصاحة قد خلت	فبالعذر حال الارتجال يشير
على ان بسط القول بالصدق مقصدي	لاهل البيان والامير خبير

اما بعد حمد الله الذي بحمده ثم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد
المؤيد بالآيات البينات والمعجزات الباهرات فانا كتبنا هذا عن ود صادق وقلب
خافق جواباً عما صدر من حضرتكم العلية. وسمحت به نفسم الشريفة الطاهرة الزكية
مفيداً ما مولاي عليه من الصحة والعافية والنعم النبوية الضافية وذلك أسنى مما ضادنا
ومبلغ آمالنا ومعدود لدينا من صالح اعمالنا شهد الله علم الله اذ بصلاح حالك
يصلح الله احوالنا ونحن بخير ما بقيت لنا وان سأل المولى عن حال عبده فاكثر
عباد الله وزراً واثقلهم ظهراً واخسرهم تحراً وخصوصاً لمجالسة الجهال فجراً والحال

انه ذهب من العمر اكثره ولم يبق من الجسد الا ايسره اشكو بشي وحزني الى الله وردنا فتعذر الصدر واخطانا وما اخطأ القدر والله فينا علم غيب نحن صائرون اليه فمن استعاذ من شيء فليستعذ مما نحن فيه كيف وقد اسند الشيء لغير اصله ووسد الامر لغير اهله وجرت الصفة على غير الموصوف مع فقدان الشرط فجاء الامر على غير المعروف وقد تصدى من هذا الجنس اقوام لالحاق الفرع وهيبات باصله ووضع الشيء وليت شعري في محله فعدموا التوفيق وحادوا عن سواء الطريق لتعاطيهم الرواية وما رواوا ودعواهم الدراية وما دروا فأروا اقامة الجمعة في غير الجامع وراموا انقياس بقطع النظر عن الامر الجامع فكان الاخذ عنهم ضلالاً والافتداء بهم وبالاً ومعالجة الداء بهم ثقلاً في غير ضرم والعدول عمن سواهم اليهم غسل دم بدم والتعزز بهم ذلة على ذلة والاستكثار بهم قلة على قلة والجناب الكريم بصير بان كل عز لم يوطن بعلم فالى ذل يصير وهكذا فلا زال ينسج على هذا المنوال ويقرر الاحوال بلسان المقال الى ان قال

ولربما ساق المحدث بعض ما ليس النداء اليه بالمحتاج
والا فاني اعلم ان هذا النحو مما يشق على سيدي سماء وتجه اسماء لكن
الانين طبع المتالم والكلام صفة المتكلم وما في الانسان يظهر على فيه والانا يرشح بما فيه
ولا بد من النفث للمصدر والله عليهم بذات الصدور

وجمع بعض الادباء ديواناً مما نظم في مدح الامير ثم ارسله اليه واصحبه بقوله احمدك
يا من منحت عبادك اراحة البيان وذلت لهم ما تصعب من الفصاحة والبلاغة حتى اقبلتنا
وهما منقادتان بامتن عنان والصلاة والسلام على البدر التمام النبي العربي المكي المدني
شفيع الامة ومنير الظلمة سيد المرسلين والمبلغ ما انزل اليه من رب العالمين بلسان فصيح
ودين صحيح محمد المصطفى صاحب الصدق والوفا صاحب الدين الاشهر والفضل الاظهر
والوجه الاقمر والجرم الانور وعلى آله الغر الميامين وصحبه الذين شادوا دعائم الدين
السالكين مناهج الحق الصادعين معارج الصدق الراضين لما يرضى به والمستسكين بحبل
جنابه ومن كانت هذه الصفات صفاتهم فهم المؤمنون اولئك على هدى من ربهم واولئك
هم المفلحون اسأل الله العظيم بجرمة نبيه الكريم والصحابة النجباء اهل الفضل والوفا ان يمدنا
برقائق اسرارهم ويجعلنا من الفائزين بجوارهم والمغترفين من بحارهم والمقتبسين من انوارهم
اما بعد فان اكرم الاخلاق واكمل اوصاف اهل المذاق هو التوسم بسماء الفصحاء والدخول
في سلك البلغاء وقد اجمع اهل الرتب ان ذلك هو علم الادب فكثيراً ما يتضح به منهمج

السالكين الى معرفة رب العالمين ولهذا المنهج القويم والصراط المستقيم بابان جليلا يظهر منهما
 لمن سلك نجران جليلا ان فكهما القلوب والضائر ومسلكهما العقول والخواطر وهما النثر الباهر
 والنظم الزاهر ومن المعلوم لدى اهل الحس والانتقان ان ذلك دائر الاثر في هذا الزمان ولما اشرقت
 بوارق اسرار الحضرة القدسية وبزغت سواطع انوار الشمس الالهية المتجلية على هذا العالم
 الضعيف من الآلاء غرة الملك الشريف المغترف من بحار اسرار قطب المالكوت الاعظم
 الاصل الظاهر باكرم مظهر والفرع الباذخ من اطيب عنصر اظهر العارف بالله المتمسك
 منه باوثق عراه ذي الاصل الباهر والبرهان الظاهر المعروف من اطيب العناصر والمستعبد
 بجميل آلائه الاصاغر والاكابر الشهم الفاخر والنجم الزاهر السيد عبد القادر لا زالت
 سخائب بره مواطر وبوارق اخلاقه زواهر ملك قمع العدا وجمع البأس والتدا فاستنار
 الظلام بنير جهاه واستضاء الكون بلوامع ضياه وقد رأيت النفس تائقة الى انشاء مدحه
 راغبة في الاقتباس من انوار صحبه اردت ان اخدم تجلسه الساي بزف قلائد شعري
 واتبعها بجواهر نثري مرتجيا من مكارم ذاته العفو عن تقصيري في حصر غرر لآلى صفاته
 وان يمدني بيد اليسر وينقذني من ربة العسر اذ لا تخفى ينتمى الا اليه ولا اعتاد في
 هذا العصر الا عليه فهو الخلاصة المصفاة من سلاله الانبياء والحضرة المعلاة فوق معارج
 الاصفياء ادام الله ايامه ونكس لثائه اعلامه فاقول وارجو القبول ثم ذكر ما نغمه في
 حضرته ولنختم هذا الفصل بكتوب العلامة الحجة الفهامة الامام محمد القصي المصري
 ونصه

حفظ الله وابقى واعان بنه وارقي مقام السعادة ومعدن الجود والسيادة سلالة
 الاشراف ونخبة آل عبد مناف حامي حمى المسلمين حجة العلماء العاملين
 سيدي الامير عبد القادر بن محيي الدين رعي الله بنه سيادتكم ومتعنا والمسلمين
 بوجودكم آمين وسلام عليكم تنوالى تفحاته ورضوان الله الاعم وتحياته وبعد فاننا بغير
 ونسأل الله ان تكونوا كذلك ولما اراد ولدنا فلان زيارة بيت المقدس وانبياء الله
 الكرام والتشرف بالمثل بذلك المقام ارفقته هذا الخطاب رجاء ان اظهر بدعوة شريفة
 من ذلك الجنب لعل ابلاغ بها المرام وتحفني بها السعادة في المبدأ والختام وليعلم الناظر فيما
 نقلناه من الرسائل والاجوبة اننا قد ابقيناها بحروفها بحيث لم نتصرف فيها بتبديل ولا تحويل



﴿ ذكر الارجاف بموت الامير ﴾

وفي سنة ست وتسعين اشاع المرجفون وفاة الامير وانتشر هذا الخبر في سائر
الممالك وابتدر اهل الجرائد والمعتنون باخبار العالم الى نقل ذلك ووردت علينا رسائل
الرتاء ورقاع العزاء تدرى من جميع الجهات وفي الوقت نفسه طارت رسائل التلغراف
بتكذيب هذه الاشاعة الى سائر الآفاق ولما اتصل هذا الخبر بالامير واطلع على ما
ذكره اهل الجرائد وغيرهم من بهي كماله وسني خصاله سر بذلك وقال ان الموت لا بد
منه عند نهاية الاجل والحمد لله الذي اراني وأممعني ما يقال في جانبي من الخير بعدي
وهذا نادر الوقوع وغريب الاتفاق واول ما وصلنا من المراثي مرثية الاديب محمد اسحاق
افندي الادهمي الطرابلسي ونصها

هذا المصاب الذي قد كنت اخشاه	وفي فـما حيلتي فيما قضى الله
في ذمة الله احباب فجمعت بهم	يا طيب عيش بهم ما كان اهناء
ابلى النوى بعدهم جسعي فقلت له	يا بين حسبك ما قد رحى القاه
ا-بابنا ضاق رحب للفضاء على	خطب الم بكم جرعت بلواه
يا عين جودي بسحب الدمع وابكي على	من كان نور سنا عينيك مرآه
روحي فدا قمر رهن التراب غدا	من بعد ما حل من قلبي سويده
اضى بعادك يا سمعي ويا بصري	عبد لقادر بالاحسان ترعاه
قد كان للعبد بالابر الجميل وبال	رضاء معتمد واليوم خاناه
ما حيلتي في قضاء الله ما عملي	ما ثم لي حيلة ما ثم الا هو
فمن يوم مل المعروف بعدك يا	نعم المجير لمن خاتته دنياه
قد كنت للدين والدنيا وكنت لنا	حصناً حصيناً اذا خطباً خشيناه
فليرثك اليوم من قد كنت حيلته	بكل مدح بديع راق معناه
ولتبكك الشام اذ قد كنت شامتها	وليبيكك الغرب اذ قد كنت مولاه
واتبكك العاديات الموريات بـ	دان الحروب الذي قد كنت تغشاه
تنعى النعاة ابن محبي الدين من حزن	يا خير من شكر الرحمن مسعاه
يا خير من قام في محراب طاعته	مناجياً في دجى الاسحار مولاه
من للرياضات او من للعفاة ومن	لابن السبيل اذا ما ام مغناه
اني لابي على تلك المآثر والـ	خلق الحميد وما اولته كفاه

يا صاح دعني من دنيا تنفصها لم يبق لي املا الا واقصاه
 فيما التمسك بالدينيا وسيدهما قد بان عنا وما بانث سجاياه
 جرى القضاء بن محي الدين تاج بني الزهرا فدعني باسم الله بحراه
 افنيت من بعد عبد القادر الحسني كنز اصطباري فيا قلبي لك الله
 العالم العامل الخبر الاصيل ومن مديح اوصافه قد طاب نخباه
 بدر بافق سما العرفان بحر ندا اهل الحقيقة ما للترب واره
 له لواء من الذكر الجميل له ال وصف الذي عطر الاكوان رياه
 فرع لاشرف خالق الله منتسب اصل تسمى على النسرين اعلاه
 ليث العريكة في يوم الطراد ومن يقصر الليث عنه حين يلقاه
 ان غاب عنا فما غابت مآثره عنا ولا قد نسينا طيب ذكراه
 وفي بنيه الكرام الصيد سادتنا سارت سريره العظمى وثقواه
 هم الائمة ابناء الكريم على الله المجاهد في مرضاة مولاه
 قطب الحقيقة غوث الواصلين ابو تلك المواقف حيث الله اعطاه
 ظنونه نجحت والعفو ارحمها لحسنها اكرم الرحمن مشواه
 يارب برد يعطر العنود تربته يارب اوليه فضلا ما تمناه

وغب وصولها كتبت الى الاديب المذكور واخبرته بصحة الامير وانه على احسن
 الاحوال وشكرته على ما ابداه من دلائل المحبة الصادقة والمودة الثابتة فاجابني بما
 نصه : سيدي ومولاي ومالك رق ولاي ادامه الله وابقاه المعروض لناديكم من
 بعد لثم ايديكم هو انه وصل كتابكم الكريم وتلقيته بالتكريم والتعظيم وسرني به
 سلامة سيدي الامير وحمدت الله على ذلك ومن خصوص ما تفضلتم به وصل
 شكر الله فضلكم وايد عزكم ومن خصوص انقصيدة التي كنا ادرجناها بالسلام نحن
 صنفنا ضدها قصيدة ثانية واردا نشرها كذلك ولكن حيث الاولى انشدت بحضرة
 مولانا الشوكلي وقيل له رجل من اهالي طرابلس صنفها وهو يتخجل بسبب ذلك
 فقال لا ينبغي له ان يتخجل وانما اتى بما يدل على وفائه ومطامع القصيدة

وافي البشير فحيا الله مسراه نعم على قدم الاجلال تلقاه
 اليوم روض التهناني فاح مجده والكون قد عطر الاكوار رياه
 الحمد والشكر لله العلي على هذا السرور الذي قد طاب نخباه
 بالله يا راحلا يغني دمشق ولي بها ولي له من ربه جاه

عرج على حرم حل الامير به فدته انفسنا من قول اعداه
واهده السلام من الله السلام الى السمولى الامير عيون الله تراه

ومنها

المنجد المنعم المعطي المنيل حما من أم ساحتها العليا وداناه
سلالة الطيبين الطاهرين بنى السزهره حياهم المولى وحياء
وهي طويلة جداً ولولا الشيخ ظافر والشيخ ابو الهدى افندي اشارا علينا بعدم
ادراجها لمضي الوقت لكننا ادرجناها

وهذا تعريب ما ادرجته الجريدة الفرنسية المسماة لالبرتنا في عددها تاريخ
١٢ نوفمبر سنة ٧٩

توفي الامير عبد القادر في الشام وهو ذاك الامير ذو البطش والعظمة والاقنذار
الذي حارب الدولة الفرنسية مدافعاً عن بلاده الجزائر مدة تنوف عن الخمس
عشرة سنة وهو فارس الامة العربية وامامها النقي العالم المبيج ضدنا افكار قبائل
افريقية وغيرهم الوطنية الذي صادم جيوشنا وثبت امامها وحده وجعلنا بوجوده
لا تقنط ثمة افتتاحاتنا وغزواتنا فكان تملكنا في تلك البلاد كانه لم يكن ولم
فحصل على السلم ولم نتوطد الراحة ولم نتملك حقيقة تلك الاراضي المخصبة ولا نتمكننا
من تنظيم ادارة بلاد افتحتها اسلحتنا الا بعد تسليمه لنا والامة العربية التي كانت
تحت سلطنته ما خضعت لنا خضوعاً تاماً الا بعد ان نظرت تسليم قائدها وسلطانها ولو قبل
انه بعد تسليم الامير لم يخل الامر من حدث بعض ثورات طفيفة اقلنا نعم كان ذلك لكنهم لم تعمر كاس
الراحة العمومية لان اهم الثورات واعظم الوقائع قد رافقت الامير الى حيث توجه والان
لا بد ان نبين ما لذلك الشريف الخفيف الذي كاد ان يقهر الدولة الفرنسية في بلاد
الجزائر من الاعمال العربية والافعال الحميدة الذي افتخر بها تاريخ عصره وزمانه وهو انه
عندما توطدت منا الافكار وتعلقت بنا الآمال بافتتاح مدينة الجزائر والاستيلاء عليها
صادمنا ذاك البطل المهيّب ولم يكن له وقتئذ من العمر اكثر من خمسة وعشرين سنة
وذلك سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وانما قوة عقله العربية ولقواه الشهيرة وبغضه الشديد
لتملك الاجانب على بلاده اكسبته بين عموم الامة العربية صيداً حسناً وذكرًا مخلصاً
وسطوة فائقة ولذلك عندما نادى بالجهاد بعزم ثابت ونقوى تخالفاً عرب افريقية انها الهام
من الله لا يوحى به الا للمرابطين اجابته كافة عربان وقبائل ولاية وهران ونهضوا مجيئين

ولم يتلفظ بكلمة واحدة تشير الى نكث عهوده نظراً لعمالتنا له ولو شاء ذلك فما من مانع يمنعه لان كافة قبائل العرب في بلاد الجزائر كانت مستعدة للدعوة باسمه ثانيا بعزم وثبات قد الجأ فرنساوية لعقد معاهدة اقرروا فيها بسلطنة عربية ممتدة فيما بين سلطنة سراكش ومدينة الجزائر وشطوط الشلف وجعل عاصمتها مدينة معسكر وذلك في سنة اربع وثلاثين وثمانمائة لكنه لم يكتف بمملكته هذه ولم يقنع بها لانه لم يحركها لمحاربة فرنساوية الالهة الدينية العربية وغيرته الوطنية لانقاذ كامل بلاد الجزائر من المحاولين افتتاحها وتحرير اهاليها من رق العبودية وارجاع رونق وافتخار سلاطين العرب وجعلها سلطنة تتداول اجناد عزها ونفورها الى اخر الزمان ولذلك لم يرض على تلك المعاهدة عام واحد حتى افتتح الحرب ثانياً بشدة ونشاط اكثر من المرة الاولى وهاجم الجنرال ديزميشيل وبعد موقعة دموية جرت بينهما على شطوط نهر المقطع انكسرت جيوش الجنرال وتشتت شمل من بقي منهم ودامت الحرب لمدة سنة سبع وثلاثين وثمانمائة حتى ايقنت فرنساوية ان لا سبيل لها على مقاومة الامير والتخلص من ايدي عدو نظيره لذلك عقدوا معه معاهدة اخرى تسمى بمعاهدة تافنا اقرروا فيها ثانياً بسلطنته وضم مقاطعات اخرى للملكه فكانت هذه المعاهدة ايضا كلالوى لم يرض عليها الا ايام قليلة حتى دارت رحا الحرب بشدة تفوق المرتين الاولين ودامت تسع سنوات متوالية حيث الدوك دورليان والمارشال فاله والمارشال ييجو والدوك دومال حاربوا في كل تلك المدة ذاك العدو المهول ومع كونهم فازوا بانتصارات قوية لم يتمكنوا من هدم قوته العسكرية واخذت جيوشهم تغزو القبائل وتضر بواشيهم وحاصلاتهم وتضايق عليهم امر تعيشتهم فاشتر ذلك جداً في العرب واضنك التعب ومشقات الحرب رجال الامير وجيوشه وهو لا يكمل ولا يتعب فتركوه جميعاً ونا بقي وحده الجأه الحال الى التسليم فسلم للجنرال لامورسير بشرط ارساله مع عائلته الى الاسكندرية الى عكا فلم توف الدولة فرنساوية بعهودها لانها عوضاً ان ترسله الى احدى المدينتين المذكورتين وضعت مع عائلته في قلعة لاماك ثم بو ثم امبواز فبقى مقيماً فيها الى ان استقر نابليون الثالث على كرسي الامبراطورية ففكر حالاً في امر ذاك الاسير العظيم الشأن وحضر بذاته لمحل اقامته واطلق حريته مكثفياً بوعد منه انه طالما وجد متمكناً مما يريد حراً ومع ذلك فانه لم يشهر سلاحاً على الدولة فرنساوية وقد صيرنا عبرة لمن اعتبر وعلمنا كيف الوفاء بالعهود واما نحن فقد نكثنا عهودنا معه وهو لم يحنث بقسمه وعهوده معنا ولقد اتى بدليل يؤكد ذلك وهو انه من حين ما اطلقت له الحرية لاخر نسمة من حياته لم يبد ادنى عمل سيء

نداءه كرجل واحد وانتظم تحت قيادته جيوش كثيرة قد سنت لم حكمته الشهيرة نظامات يساكونها ومحاربات يقتحمونها واكاليل انتصارات يتتوجونها وهكذا بعد محاربة سنتين لسلطانها ومنقذها والآخذ بثارها وعلى قبوله تلك المناداة ونداءه بالجهاد يعود الحال الى ما كنا عليه لا بل اكثر شدة وصعوبة فكان منتصراً عظيماً في ساحة القتال وموقراً محترماً بعد ذلك في مدينة باريس . لقد نظرت به برهة بعد اطلاق سبيله ووجدته فر يدعصره واسد زمانه وكل من اقترب اليه كان يعجب ويندهش من منظر ذاك الرأس العربي الجميل المملوء من تلك الحكم العربية المبنية على علو افكار اديبة تشير اليها بالفاظ مبهجة وحديث ممتليء من روح الديانة جامع بين الفطنة والسياسة اه

ولتقارب ما ذكرته الجرائد الافرنجية مع كون المؤدى واحد اقتصرنا واكتفينا بما ذكرته هذه الجريدة ولما انتشر في العالم كذب تلك الاشاعة جاءت رسائل التهناني الى حضرة الامير من كل جهة ومن يادر بذلك من الافاضل الشيخ ابراهيم الاحدب ونص ما بعث به

زال ما كان على المجد عرض	وعدا جوهرة ذاك الغرض
واشتفى جسم الندى مما به	وتعداه الى العاديه المرض
وازهت روح العلى وانتعشت	فشفت ارواحنا مما اعترض
ومريد الفضل والجود غدا	ذا انتعاش بعد ما كان دحض
وانبرت سوربة تشكر من	بعد شكوى ما عناها او ومض
واسيم البشر بالبشرى لنا	من مغاني شامها للمسك نض
وجنى وجنتها ابدى لنا	زهر الانراح ولاقبال غض
حيث قد نال الشفا سامي الوفا	سيد المجد وللعليا نبض
الامام المرتضى المولى الذي	في حماه اسد العز روض
والامير الشانخ القدر بما	سن من مشروع فضل وفرض
حسني شرع الاحسان في	مذهب الجود بما لا يعترض
وهو للقادر عبء طالما	اقدر العبد على المجد ووض
سيد لا سعد الا من سنا	وجهه رغما لمن كان امتعض
لاح في الشرق من الغرب بما	اشرق الثاني الذي امسى حرض
وعلى شيعته الفضل له	لا ترى سنة عادى قد رفض
يرتجي القاضي عياض ان يرى	عنه في نعت القضا خير عوض
موجب الشكر له سلبا لمن	جاء بالعكس بلا علم نقض

وقضايا مدحه تركيها
 راج سعر الشعر فيه للذبي
 ونداء طالما طوفني
 فلساني مبضع في مدحه
 وقرضي بعانيه سرى
 ويراعي قد جرى في حمده
 حبذا طلعت الغراء في
 واياي برها في البر قد
 ولحى غصت بها الدنيا كما
 لا يرى الوعد لهذا نعمة
 حجة الشكر له بالغة
 قد شكا فاشتكت الدنيا أسي
 وشفاه الله والبشرى سرت
 وملا كل الملا نشر الصفا
 فلقد تمت له اهدى الهنا
 واجتليت الدر من شكري بها
 وهو يدري ان ابراهيم في
 رق شعري فهو فيه درة
 طالما صوبت منه حجراً
 ايها المولى الذي لا يـ
 لا شكيت الدهر سقماً وعدا
 فاقبل بز الشنا من عرض من
 وبلا من نخذ من مدحي ما
 واغفرن ما قد جناهُ غزلي
 من بني الترك بوصل عينه
 ثغره فيه رحيق برده
 لا يرى للصب فرضاً حسناً
 شمت ضوء المشتري من وجهه

منتج للمجتدي اسمي غرض
 كفه بالبسط للجدي قبض
 بعقود ما لها يوماً فضض
 قاطع عرق عدو قد نبض
 مثلاً يضربه من قد قرض
 وعلى خيل معانيه ركض
 وجه راجيه بتعريض عرض
 مد بجرأ رغم من كان برض
 في الله ساع بعناها الجرض
 مع طيب النخ للسائل نض
 بيلاغات مباديها دحض
 وعناها بعنا الوجد مضض
 بنغاض نظم شكر منترض
 ووفى الانس بها لا ينتقض
 رافعاً صوتاً لثانية خفض
 لماني زبدة المدح نخض
 حمده المقبول للود تحض
 وهو صخر هامة الاعداء رض
 نحو هام كان بالكبر نقض
 متجع الفضل وقد كان أمض
 للعدا كل عناء ومرض
 لك مع طول بتقصير عرض
 هو يوفى حق ما كان افترض
 بغزال ناعم الملمس بض
 ضيقها مع سعة للقلب مض
 دونه في مهجتي اشكو رمض
 حسنه عندي جزاء ان قرض
 لورأى ريجي له طرف غدض

بسهم الجفن قد حاسبني فغدا قلبي لمرماها غرض
وتسنون له اوجب ما ندب العاني الى ما قد فرض
عشت انى بنسبي فيه ما التجي عند عناء لي جوض
عالم الكون الذي في عصره فضله للعار عنا قد رخص
مدن العلم له قد فتحت والسوى لم يدن من ملك الرخص
غض طرفاً عند مرآه اذا ما تجلى واطرح من فيه غض
دام من لائه قطر الندى للصدى ينفع ما برق ومض

ثم اتبع هذه القصيدة بقوله عريضة هذا الداعي لدى حضرة السيد السند والمولى الذي اروي امل راجيه بالعز لما اعلمه التمد تقوم بشروع التهناني على نيل الشفاء والصحة وزوال تلك المحنة بما عاد علينا باعظم منحة حيث شفي جسم المجد بذهاب ما كان عرض وسلم جوهره مما ألم به من ذلك العرض وانتعشت روح الفضل بما كان انتعاشاً لارواح المعالي وابتهاجاً لوجوه الايام اذا فتحت بنض الطيب من شامات الليالي حتى سرى ذلك الى النسيم فصيح وهو مريض واعتدل مزاجه فقوى لتعليل من اوقعه الحب في الطويل العريض فسرى في رياض الشام ينض لدهائم البشرى وينفخ من رسائل التهناني بما ملا وجوده الكائنات بشراً فعرف بذلك خايل العرف ابراهيم وافاض عليه ما لا ينكره من طيب ذاك الشميم فاخذ يرتل سور الشكر بالتجويد وانطلق يعيد ما بيديه وهو سار على تقدم التجريد ولم يقتصره على المد المتصل من ثنائه باللسان بل جعل لذلك باظهاره اعظم ديوان واهمل الاخفاء والادغام من تلاوة تلك الآيات وترك القلقلة لمن لا يميز بالقلب بين الحسنات والسيئات ولم يسكن الى المد العارض للسكون بعد اللازم المثلث بوفاء أجر غير ممنون وان لم يستعمل المد المخفف الذي زلت به النعل فتطرب بغنة المنع لسانه بفضول القول بلا فضل ورغب عن الاحتجاج في كلامه بالاماله واتبع النقل في حديثه بالمد الطبيعي لرجائه بلا ملاله فهو ايها الامير الجليل من القراء العظام لايات شكرك اليبينات بما يوجب على السامع عند تلاوتها وان لم يتكرر المجلس سجدة فلا يفوق عليه في ذلك ابو عمرو ولا ابن عامر كما لا يشعر بعصيته في الشكر باخلاص حمدك عاصم وهو شاعر فاحمد الله تعالى على ما انعم علينا من عود السراء بعد ما ألم بنا من معاناة الضراء والشكر له على عافية غير عافية وصحة كافية لنحو آمالنا ولا مراض الفضائل شافية حيث عوفي بذلك المجد والكرم وعداك الى اعدائك السقم فلا انحرف لك ايها السيد الكريم مزاج ولا ننجح

في مرض شانيك الابرءلاج ولا اشتكت جميع دهرك من مس عرض ولا كان لسهم
النوائب الى جهتك اقل غرض فقد رغب الاسد ان تدوم حماه ولا يكون لها اليك سبيل
والف النسيم علقته حتى لا يكون لك في الكون وصف عليل كما اصبح المرض طبعاً لجنون
الحسان كيلا يعتل بما يمك لأمسك الفضل والاحسان ولعمري انك في سوريه انسان
عين حدقتها وطيب تقع صباها اذا نحت وجنة شامتها بمسك شامتها فكيف لا تغل بما
يمسك من العال وتنتعش بما يكون لعطف الصحة من البدل واني بصفة كوني شاعر اياديك
الجميلة لا اتفك انتجع حمدك والدعاء لك من وجوه جميلة واهنى الشرف العريق بشنائك
وانشىء ما يخاطب الايام بما انا خليق به من جديد ثنائك فلذلك نسجت حلة هذه الايات
بعزي بك على ابداع طرز برزت به كل شاعر يذهب ما يلحمه سدى ومن عزّ بزه
وشفعتها من رياض المعاني بهذا المنشور الرائق وان شققت به على ما في الوجنات من
الشقائق فانيل ذلك ايها المولى بالاقبال حسب عوائدك التي لا تخلف ودام قيد ابراهيم
في سبل معروفك الذي لا يقبل التنكير من بطييه تعرف والله تعالى يطيل لك العمر
بنعيم عيش دائم ويديم حياتك باطيب صحة حتى تدوم صحة الندا والمكارم ويبقى كعبك
سامياً على كل هام ويؤيد حمدك منتجعاً لحاجات الانام ويخلد عزك ملجأ عند كل حادث
فيسمو بحمايته ابناء سام وحام ويا فت اللهم آمين

وقال الفاضل الشيخ عبد الرزاق افندي البيطار

نحمدك يا منعم على احسانك ونشكرك على جزيل امتنانك حمداً وافياً بوافر آلائك
وشكراً مكافياً لمتكاثر نعمائك يا راحم المتضرعين ما اراؤك ويا ممان على المنقطعين ما
اعطفك ويا ذا الرحمة والجود ما احلمك ويا دافع النعمة بلطفك ما احكمك واعظمك
قد غمرتنا بحمىل المعروف واغرقتنا في بحر لطفك الموصوف واسبلت علينا سترك الجميل
وادمت لنا حصنك الجليل من انقذتنا به من اودية الغواية الى فسيح الرشاد والهداية
وعرفتنا به المطلوب وهديتنا بهدايته الى الصراط المرغوب وكشفت به لنا عيوباً كنا
نعتقدنا طاعة ودللنا به على نهج السنة والجماعة الاتجد الاوحد والعلم المفرد ببحر الاكارم
وحبر العوالم خطيب منبر المعارف وامام تحراب العوارف المرتضع در ثدى المعالى فى
حجر القضايل والمرتفع في ذرى العوالي الى عرش الفواضل العاكف في حرم الشهود
والواقف على اعلا نقطة كرة السعود من عجنت شريف طينته بماء الوحي والنبوة وغرست
بنعت ذاته المنيفة في ساحة المجد والفتوة

من جوهر منه النبي محمد زين العلا نغرت به الآباء

ورث المكارم والشمال والندى فعليه من نور الآله بها
 يد الساحة لكل طالب وباب الدخول لكل راغب الرفع بفضائله اعلام الرايات
 الدينية والقامع بدلائله معاندي الشريعة الاحمدية امير الامراء وقطب مدار الفضلاء
 الحبيب النسيب والشريف الماجد الارب حضرة سيدي الملاذ الاعظم والاستاذ الاسنى
 الانعم السيد عبد القادر الحسيني ادام الله بقاء وجوده الهني وخلد طلوع شمسهِ في سماء
 الاقبال والبس جسم الدنيا به خلعة الجمال وجل الوجود بوجوده وانار ظلمة الكون بطلمعة
 سعوده واعلا لواء جوده المنشور وحفظه الى يوم البعث والنشور ولا زالت مخدرات
 الذم بحيامه مقصوره وبانباؤه سائرة وسادات الامم بانعامه مشمولة وباعدائه ساخرة ولا
 برحت الاكابر تخضع لعظمة شانهِ وتنقاد تحت سلطانه واضمح برهانه ما طلع النيران
 وتعاقب الملوان فالمنة لك يا مولانا حيث عافيته من المرض وازلت عن جنباه بعنايتك
 العرض وانتلتنا به المنى والبستنا بصحته حلل الحنا واعدت لنا ايام السرور وجددت علينا
 ليالي الفرح والحبور فوجب على العموم تقديم التهاني لكي يحظو ببلوغ الاماني فاقول
 متطفلا والقبول مناملا يهنئك سيدي بعافية شرحت الخواطر وسكنت على الانام هامل
 غيث فضاها الغامر والبستك جلباب العافية والفرح واماطت عنك لباس البأس والترح
 ونقلت لشانك العلل والقتهم في تخاوف الكمد والوجل واقد صبح لك قول من قال واجاد
 المجد عوفي مذ عوفيت والكرم وزال عنك الى اعدائك الالم
 صحت بصحتك الآمال وابتهجت بها المكارم وانهل بها الديم
 وما اخصك من بره تهنئه اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

فلقد امرضت بمرضك الوجود وشغلت بعرضك الآمال عن نيل المقصود فوحي من
 رفع مقامك ونشر في الخائفين ذكرك واحترامك وطوى القلوب على صادق حبك وانار
 بك منار خدمك وحزبك انه لمن حين انحراف مزاجك واحتجابك لعارض علاجك قد
 توجهت قلوبنا في محاريب الطلب للابتهال واجسامنا رفعت اكف الضراعة والسؤال
 وعيوننا صرفت دنائرها ودراهمها رجاء القبول ومن لاذ بنا واطفالنا يؤمنون بقلب كبير
 ودمع مهيول فحمد الله الذي قد تفضل وتغن وتكرم على هؤلاء العبيد وتحنن وبارك
 عليهم الرد الجميل وردم بك الى الاحترام والتبجيل فحيث ختم الله بالخير فلا ضرر ولا ضرر
 وعند الله مقامات فوق الامل لا تنال بفعل ولا عمل ولا عنب على العبيد بتقديم عريضة
 التهاني وان كان معدودا من الاداني لان البحر يقبل كل وارد وهو للجميع مراع ومساعد
 على ان المضاف يشرف المضاف اليه والخدام يعظم بن يعول في خدمته عليه ولذلك قلت

مَشْكُورًا اللهُ وَمُهِنًا لِسَيِّدِي اِدَامَ اللهُ عَلاَهُ

بشرى لنا حيث رد الله سيدنا
شكرًا جميلًا على احسانه وثنا
عافيت يارب تطب الكون من عرض
ان الوجود به قد صبح من علل
ابقى الاله دوامًا شمس طاعته
هذا الذي نور الدنيا بهجته
فخرًا دمشق لك العليا به ابدًا
ان رمت تدري صفات المصطفى العربي
والله لو انصف السادات انفسهم
ذا سيد ماجد حبر وبحر ندا
فداه روجي واولادي وملك يدي
لا زال محفرف لطف دائمًا ابدًا

منا علينا وبالالطاف اتحننا
واف بنعمائه اللائي حفن بنا
فالحمد لله حمدًا يقنضي المننا
والناس قد اصبحت تبدي الهنا علنا
ولا ارانا بفضل المصطفى المخنا
هذا ابن نور الهدى المختار احمدنا
هذا الذي فضله افق العلا سكننا
بادر الى ذاته ان الصفات هنا
للازمونه وفاتوا الاهل والوطنا
من أمه نال ما يرجو وكل منا
وكيف لا ومن الاشراك انقذنا
ما لاح بدر على ام القرى وني

❖ وقال الاديب الشيخ عبد المجيد الخاني ❖

« مضمناً ثلاث ابيات من نظم الامير »

عطف الحبيب علي بعد الياس
فعرفت من الم النوى قدر اللقا
وسحرت من الحاظه وسكرت من
والوصل يجمل موقعًا كالورد ان
واشد ما يجيد المحب من الاسي
والقلب احسن ما يكون اذا جثا
والناس اما ذائق طعم الهوى
فالاول الاولى بكل سعادة
الروح في احيائه والصدر في
رب السمات الباسمات وحسبه
علم وسلطان وحلم في نفى
ومواقف شهدت بفضل معارف

والعطف شأن قوامه المياس
خير اللقا ما كان بعد الياس
الفاظه وصحوت بالايناس
كان المتيم صبره كالآس
سهل اذا كان الحبيب الآسي
لغرام ريم لم يكن بالناس
او عالم او عادم الاحساس
مثل الامير الفرد بين الناس
احيائه والقلب يوم الباس
شرف النبوة طيب الاغراس
وولاية واقامة القسطاس
ضاعت على الاكوان كالنبراس

نعم الامير لقد تمنطق بالهدى
 غوث لدى محرابه غيث على
 ملك اذا اوليته ملك اذا
 يقظ الحافظ اذا تكون فضيلة
 ولع باخلاق النبوة كلها
 بحر المكارم لا يقول لاله
 خاض المنايا غير هياب لها
 يحنو على يرض الظبا فكانها
 ذو صارم ماء الحياء فرنده
 حذر الملوك الصيد سطوة باسه
 كم غادر البطل القطوب لدى الخطو
 ولكم محي جيش الفرج به كما
 واسئل فرنسا في الجزائر عندكم
 والدار الاقفار والانتقال لا
 جمعت سبحايا الناس فيه فقال من
 الحمد لله الذي قد خصني
 الجود والعلم النفيس وانني
 وتحدي شكريا لنعمة خالقي
 خطب المعارف وهو كفوء جاهلها
 ومقامه كم عفرت فيه الملو
 في حسن سيرته التي بنيت على
 سارت مسير الشمس في الدنيا سيا
 كم الجأ العقلاء حصر صفاته
 ولكم تمنوا ان يفوا بتديحه
 حتى رأوا عدد النجوم صفاته
 افدي شريف وجوده فلقد شكا
 عم البرية من بشائر برئه
 والى الرحاب عقيله في جيدها

وغدا له العرفان خير لباس
 احبابه ليث على الافراس
 عاليته طود الوقار الراس
 فكانها خلقت بغير نعاس
 لا حلم احنف او ذكاه اياس
 ما في وقوفك ساعة من باس
 وبني رفيع المجد فوق اساس
 آرام رامة او طباء كناس
 وذبابه قبس من الاقباس
 واتى الزمان له ذليل الراس
 ب يجده حلسا من الاحلاس
 تمحو المياه كتابة القرطاس
 التي كتائبها الى الارماس
 انتال والاطفال النحاس
 باب التحدث عادة الاكياس
 بصفات كل الناس لا التسناس
 لانا الصبور لدى اشتداد الباس
 فهو الذي بي جامع للناس
 واستخدم الايام للاعراس
 ك جباهها ذلا بغير شماس
 تقوي سريره اتم جناس
 دته على رغم الحسود القاسي
 ان يضربوا الاخماس في الاسداس
 ان التمني صنعة الافلاس
 وهل النجوم تعد في القرطاس
 من سقمه بالنفس والانفاس
 فرح زيادته بغير قياس
 عقد تنظم من كبار الماس

تهدى التهاني للسيادة بالشفاء والمدح بالانواع والاجناس
شفعت ثلاث وسائط من نظمها لقبولها بزيادة استئناس
ونقول يوم البشر في تاريخه ملك شفاه رحمة للناس
وفي آخر جمادى الثانية سنة تسع وتسعين خرج الامير من دمشق الى طبريا
ونواحيها للتنزه وتبديل الهواء لامراض لازمته وكان في معيته بعض اولاده وجماعة من
الافارب والعلماء ومرّ في طريقه بعين الحامية الشهيرة في كتب الاقدمين قرب قرية
نوى في ارض حوران فاغسل فيها على قصد التبرك والتداوي ومنها توجه الى طبريا
وبعد ان اقام فيها ثلاثاً دعاه المهاجرون الجزائريون الى قراهم في ارض الشقا فاجابهم الى
ذلك ومن هناك توجه الى الناصرة واقام فيها يوماً عند مفتيها الشيخ الفهمي ثم انقلب
راجعاً على طريق صفد ثم ديشوم ثم القنيطرة ثم دمشق وحصل له في هذه الحركة ارتياح
وانشراح وبعد ان اخذ الراحة في داره خرج الى قصره بدمر على نهر يزيد وانفرد فيه
للعبادة ومطالعة كتب الحقائق الالهية وتعليق مسائلها وحل مشاكلها وكان الناس
يزورونه ويترددون اليه في حوائجهم على عادتهم فيبشّ بهم ويهشّ لهم كما هو دأبه وعادته
مع عباد الله تعالى منذ النشأة

﴿ ذكر ما اجاب عليه من اسئلة العلماء الاعلام ﴾
فمن ذلك سؤال العلامة الشيخ سليم العطار ونصه

الحمد لولايه والصلاة والسلام على نبيه وعلى آله وصحبه اما بعد فاني لما قرأت كتاب
الابريز في مناقب السيد عبد العزيز قدس سره جمع الفاضل الشيخ احمد المبارك رحمه الله
تعالى بعد العشاء بحضور جماعة من الافاضل ووصلنا الى ما وقع في اواخره من سؤال
الشيخ عن قول الامام الغزالي قدس الله روحه ليس في الامكان ابداع مما كلف وجدت
ابن المبارك انتقد هذه العبارة وخذش الاجوبة التي اجاب بها العلماء عما رد على ظاهر
العبارة فخطر لي ان اسأل عنها حضرة الامير الجليل المعظم سيدي السيد عبد القادر
الحسني متعني الله والمسلمين بحياته حيث إنه في هذا العصر الامام المتقدم في العلوم
سيما ما افاض الله عليه من علوم القوم وما ذقه من مشربهم فارسلت سألته وهو في
تحله بقرية دمر فكتب هذا الجواب الحريّ ان يكتب بالذهب حيث انه رفع الاشكال
واوضح المقام فجزاه الله خير الجزاء وحفظه من كل سوء وحماه آمين

﴿ قال حفظه الله ﴾

الحمد لله الجواب والله ما لهم الصواب قال تعالى حاكياً قول موسى عليه السلام ومصدقاً له ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى فقول حجة الاسلام رضي الله عنه ليس في الامكان الى اخر مقالته اشارة الى معنى المشيرة الى سر القدر المتحكم في المخلوقات الذي هو العلة التي لا يقال فيها لم في الاختلاف العام في الذوات والصفات والنعوت والاستعدادات اخبر الله تعالى انه اعطى كل شيء من العالم المخلوق في مرتبة وجوده الخارجي خلقه اي استعداد الكلي الذاتي الغير مجعول ولا يخارق الذي هو عليه في مرتبة ثبوته وعدمه فان كل ممكن له استعداد خاص لا يشبه استعداد ممكن استعداد غيره وبلا استعدادات كانت الحجة البالغة لله تعالى على من أشقاه وابتلاه او أنقره ونحو هذا فان استعداده طالب لذلك ولو اعطاه غيره على سبيل الفرض لرده وما قبله لاستعداده لصدده فان الاستعدادات طالبة لايجاد ما هي مستعدة له سواء كان ملائماً في الخارج او غير ملائم ولا يطلب استعداد أي استعداد كان الا ما هو كمال في حقه وبالنسبة اليه فانه ترتيب حكيم عليم والحكيم هو الذي يضع كل شيء موضعه اللائق به بحيث لا يكون احكم ولا اصالح ولا ابدع ولا اكمل منه ولو فرضنا ان عيناً من اعيان العالم طلب استعداد من الحق تعالى شيئاً اعلا مما هو عليه واحكم واصالح ولم يعطه ذلك وادخره عنه وهو ممكن فلا يخلو اما ان يكون الحق تعالى منعه ذلك بخلاً تعالى الحق عن البخل فان البخل يناقض الجود الثابت له تعالى عقلاً وشرعاً واما ان يكون منعه ذلك عجزاً وقد فرضناه ممكناً وهو يناقض الاقتدار الثابت له تعالى عقلاً وشرعاً على كل ممكن فثبت ان الحق تعالى جواد قادر اعطى كل شيء من العالم خلقه واستعداده وما نقصه شيئاً بما طالبه استعداداً وما بقي في الامكان شيء يكون ممكناً في حق عين من اعيان العالم اعلا واحكم وابدع مما هو عليه وادخره عنه وحيث صرح قول حجة الاسلام ليس في الامكان الخ فحجة الاسلام بصدد الكلام على العالم الموجود وان الذي رتبته هذا الترتيب الذي هو عليه حكيم فلا يمكن ان يكون في الامكان احكم واصالح وابدع من هذا الترتيب الذي هو عليه فانه ترتيب الحكيم فلا يمكن ان يكون في الامكان احكم وابدع من هذا الترتيب المشاهد في اوضاع العالم وصفاته واحواله وادخره الحق تعالى مع طلب الاستعدادات ان يخلق لها ما هي مستعدة له ومنه اياه والمنع في حق الحق محال

فان منع المستعد شر والشر ليس اليه تعالى وانما يكون المنع من جهة التقابل حيث انه عدم الاستعداد للقبول فالامكان المنفي انما هو كون العالم واشخاصه قابلة ان تكون على ترتيب وصفات اعلا وابدع مما هي عليه وهذا تحال فان الاستعدادات حاكمة فلا يقبل مستعد غير ما هو مستعد له يدل على ذلك قوله لو ان الله عز وجل خالق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة ما لا ينتهي لوصفه ثم زاد مثل جميعهم علماً وحكمة وعقلاً ثم كشف لهم عن عواقب الامور واطلمهم على اسرار المالكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتي اطلموا على الخير والشر والنفع والضر ثم امرهم ان يدبوا والملاك والمالكوت بما اعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبيرهم جميعاً مع التعاون والتظاهر ان يراد فيما دبر الله الخلق به في الدنيا والاخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منه جناح بعوضة الخ فلا ايجاب ولا غيره مما توهم في كلام حجة الاسلام من اعتقادات افلاسفة والمعتزلة ولكنه رضي الله عنه مزج كلام اهل الحقائق بكلام اهل النظر (وجه اخر) اعلم ان الآثار الكونية دلت على المعاني الالهية والحقائق الربانية والمعاني الالهية دلت على وجود ذات الاله المعبود فما في العالم حقيقة كونية كلية او جزئية الا ولها حقيقة آلهية كلية او جزئية تقابلها هي مستندها وتحتدها والحقيقة الكونية هي تعيينها ومظهرها فالنسخة الكونية مقابلة لنسخة الآلهية ولا يلزم من تقابل النسختين واستناد احدهما الى الاخرى المساواة في الحقيقة والنسبة ومن علم هذا علم صحة قول حجة الاسلام الغزالي رضي الله عنه ليس في الامكان ابداع ولا اكل من هذا العالم اذ لو كان وادخره لكان بخلاً يناقض الجود وعجزاً يناقض القدرة مع ما تقدم وتاخر من كلامه في باب التوكل من كتابه احياء العلوم يريد رضي الله عنه انه لما كان العالم مظاهر اسمائه تعالى الكلية والجزئية لانها الطالبة للايجاد العالم واظهاره من عدم الامكاني مع طلب الحقائق الامكانية للايجاد والظهور من التعيين الخارجي مع عوارض التعيين الخارجي ولوازمه من الاحوال والتعوت التي لا تنحصر ولا تدخل تحت ضابط ولا قياس وقد اجاب الحق تعالى طلب الجميع فلم تبق حقيقة كلية الالهية تطالب العالم الا وقد ظهرت بحقيقة كلية كونية وجزئياتها واشخاصها لا تنهاى فلم يبق شيء في الامكان من حيث الاجناس والانواع الا وقد كان فانه لو بقي في الامكان شيء بعد هذا العالم جنساً او نوعاً وادخره تعالى لكان هذا الادخار بخلاً عن الممكنات الطالبة باستعدادها للايجاد وعن الامماء الالهية الطالبة لظهورها بظهور الممكنات التي هي آثارها وان لم يكن بخلاً تعين ان يكون

عجزاً فان عدم اسعاف الطالب بطلوبه لا يكون الا بخلاً او عجزاً وكلاهما تحال على الجواد المطلق القادر على كل شيء فهو الذي اعطى كل شيء خلقه واستعداده كما ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي وبالقدر الذي ينبغي فعطاه الحق تعالى تابع للطلب الاستعدادي الكلي من الاسماء ومن الاعيان الثابتة التي هي صور الاسماء وللطالب الحالي الاضطراري لا القولي الا ان وافق الاستعدادي او الحالي فلا يجب شيء على الحق تعالى ولا يتصور في حقه تعالى منع مستعد لشيء مما هو طالبه باستعداده الكلي فان من اسمائه تعالى المعطي ولا يكون سمي بهذا الاسم في حال دون حال ولا في وقت دون وقت وما سمي بالمانع الا من حيث عدم قبول الطالب بلسانه ما هو غير مستعد لقبوله فما انكر قوله حجة الاسلام واستعظمها واستغربها منه الا من كان متكلاً فحاججاً عن الزقائن والدقائق ما شم رائحة من علم القضاء والقدر ولا عرف كيفية نشأة العالم ولا اسباب صدور فتوهم ان هذه المفالة تعجزاً للقدر وتناهي المقدورات وإيجاباً على الحق تعالى هذا جواب من حمل كلام حجة الاسلام على نفي الامكان عن ايجاد عالم آخر او عوالم ونفى فعل الابدع ومشيأ على قواعد المعزلة ودييات هيئات وانما مراد حجة الاسلام التنبيه على ان سبب هذا الاختلاف الواقع في العالم بين اجناسه ونواعه وبين اشخاص انواع الواحد هو القضاء الازلي وسبب القضاء الازلي هو الحكمة من اسمائه تعالى المسمى فهي المخصصة للاستعدادات والحكمة متقدمة بالمرتبة على اعلم الازلي فما ظهر في هذه النسخة الشهادية الا ما طلبته الاستعدادات الازلية الغير المتجولة فكل ما ظهر في العالم فهو المعدل الحق ولا يظلم ربك احداً

﴿ جواب آخر ﴾

قال تعالى ربنا الذي اعطى كل شيء حلقه ثم هدى المطلوب من الواقف على هذا الموقف ان يعطيه ما يستحقه من التامل والانصاف فانها مسألة تكسرت في البحث عنها اذافر كثيرين ليعلم ان الاشياء الممكنة معلومة للحق تعالى حالة عدمها بعلم تعييط اجمالي في تفصيل لا يتناهى والشيئية المذكورة في هذه الآية هي الشيئية الوجودية اعطى كل شيء اي موجود خلقه طبيعته واستعداده كما هي في قوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً اي موجوداً لا الشيئية الثبوتية كما هي في قوله انما قولنا لشيء الآية وهي الشيئية المعلومة المجرد عن الوجود العيني ولحقائق الممكنات استعدادات كذلك معلومة له تعالى ثابتة معدومة وكما ان عدم الممكنات السابق

على وجودها غير مراد ولا مفعول فكذاك استعداداتها وطبائعها الكلية غير داخلية تحت الارادة والجعل لانها اقتضات اسمائية الية التي هي حقائق اول وهذه حقائق ثوان والممكن من حيث هو ممكن بالنظر الى حقيقة الامكان لا يقتضي شيئاً لذاته فلا بد من مرجح اذ وقوع احد المتساويين بلا مرجح محال لما يلزم من التساوي وعدم التساوي والمرجح لا يرجح الا بالعالم والارادة المتقدمين على الترجيح بالنظر الى كون علمه تعالى قديماً نعيظاً لا يقبل التغير لاستحالته فالممكن المعلومة حالة عدمه لا يقبل التغير لما يلزم من انقلاب العلم جهلاً اذ المحال كانت معنوية او عينية تعطي الحال بها احكاماً ليست له فيجبرد النظر الى ذاته فلزم من هذا انه تعالى لا يعطي حقيقة وذاتاً من ذوات الممكنات حالة ايجادها من الاحوال والصفات الا ما علمه منه حالة عدمه لطلبه لذلك باستعداده وطبعه الذي هو مقتضى حقيقته اذ انقلاب الحقائق محال وصح قول حجة الاسلام الغزالي رضي الله عنه ليس في الامكان اصلاً أحسن ولا أتم ولا اكمل مما كان اي مما هو عليه كل ممكن في الجمال ويكون عليه في الاستقبال من الاحوال والصفات دنيا واخرى يعني انه ليس في الممكن الجائزان يكون في حق افراد كل حقيقة وذات نسبت الى الوجود في العالم اعلاه واسفله احسن واتم واكمل مما كان اي مما اعطيت اشخاص كل حقيقة من الاحوال والصفات والاضاع لانه تعالى فعل بها واعطاها ما تطلبه باستعدادها وتحققه بطبيعتها الذي علمه منها حالة عدمها فكما انه تعالى اخبر انه لا يعطيها في النهاية الا وصفها لقوله سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم ولا يظلم ربك احداً لانه علمهم على تلك الصفات والاحوال في الدنيا فكذلك في البداية لم يعطهم من الاحوال والصفات الا ما علمهم عليه قبل وجودهم وهي استعداداتهم لانه علمهم متى وجدوا يكونوا على تلك الاحوال والصفات والاضاع لانها مقتضى استعداداتهم التي هي حقائقهم او لوازم حقائقهم ومن البين ان العلم ظل المعلم وحكاية له فهو تابع له ولا احسن ولا اكل ولا اتم ولا احكم من اعطاء كل مستعد ما هو مستعد له فانه لا يطالب غيره بل لا يقبله فانه لا يصلحه ويمشي به على حقيقته الا ذلك الا ترى مثلاً الى استعداد الشمعة للانطفاء بالنفخ واستعداد قبضة الحشيش اليابس للانقاد به ولو اراد النفخ اذا كان غير عالم بالاستعداد ولا حكيم فيعطي كل شيء ما يستحقه ايقاد الشمعة بالنفخ ما قبلت ذلك لانه خارج عن استعدادها كما انه اذا اراد اطفاء قبضة الحشيش بالنفخ ما قبلت ذلك كذلك

الفعل والفاعل واحد ولكن الاستعدادات مختلفة والطبائع متباينة فاتجلى الالهي واحد وحقائق
 الممكنات تقبله بحسب استعداداتها وقوابله فمن الاستعدادات ما يعم جميع اشخاص الحقيقة الواحدة
 كالغذائي مثلاً لحقيقة الحيوان والنبات وقد ينفرد كل نوع من انواع الجنس الواحد
 باستعداده طبيعة كاستعداد انواع الحيوان المصوت كل نوع الى صوت يخالف
 الآخر وما ذاك الا لاختلاف الاستعدادات وقد لا تنحصر الاستعدادات في اشخاص
 النوع الواحد ولا في انواع الحقيقة والجنس الواحد والحق تعالى واسع عليم بالاستعدادات
 على اختلافها حكيم يضع الاشياء مواضعها التي تستحقها جواد يعطي كل مستعد ما
 يطلبه باستعداده وهو معنى اعطى كل شيء خلقه اي طبيعته واستعداده ثم هدى
 اي بين ويسر وساق كل شيء بعد ايجاده الى ما هو مستعد له قبل ايجاده فليس
 له تعالى الا اعطاء الوجود الاحوال والصفات لكل مستعد حسب استعداده وطلبه
 لذلك بلسان حاله الذي هو الاضطراب وهو تعالى يقول **أَمَّا** يجب المضطر اذا
 دعاه فكلام حجة الاسلام رضي الله عنه انما هو في بيان انه تعالى ما ظلم احداً
 من خلقه ولا عدل به عما علمه منه حالة عدمه ولا نقصه خردة مما طلبه باستعداده
 وخلقته و**طبيعته** ان خيراً فخير وان شراً فشر وان نقصاً فنقص وان كلاً فكمال
 وبهذا كانت له الحاجة البالغة على مخلوقاته وفي بيان ان الاحوال والصفات
 والامور المجعولة لا يمكن ان تكون اعلا مما هي عاينها ولا ادون لانها مقتضى
 استعدادات الحقائق والذوات من غير تعرض لشيء آخر وراء ذلك اصلاً ولو
 قيل لحجة الاسلام هل في الامكان العقلي ان يخلق الله تعالى حقائق احسن واتم
 واكمل مما خلق اعني قدر لقال هو ممكن عقلاً اذا اراد واما كشفاً فهو محال
 لان العالم مخلوق على الصورة الالامية وحجة الاسلام انما يتكلم مع الجمهور اصحاب
 العقول فهو يقرب الامر الى عقولهم ولو قيل له وهل في الامكان ان يعطي تعالى
 تلك الحقائق صفاتاً واحوالاً اعلا وادون مما تقتضيه استعداداتها التي علمها عليه
 قبل نسبة الوجود اليها لقال لا يمكن لان القدرة انما تتعلق بانتمكّن ووقوع خلاف
 العلم الالهي مستحيل يؤيد حمل كلامه رضي الله عنه على ما ذكرناه لا غير قوله
 الذي بنى عليه المقالة عندما تكلم فيما يثمر التوكل ما زده باختصار بعض الكلمات
 هو ان تصدق يقيناً ان الله لو خلق الخلائق كلهم على عقل اعقابهم وعلم اعلمهم
 وافاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفه ثم كشف لهم عن عواقب الامور
 واضلهم على اسرار المنكوت وامرهم ان يدبروا الملك والمنكوت بما اعطوا من العلم

والحكمة لما افتضى تدبير جميعهم ان يزداد فيما دبر الله به الخلق في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا ان ينتقص منه جناح بعوضة ولا ان يرفع عيب او تقص او مرض او ذرة عن بلى به ولا ان يزال غنى او صحة او كمال او تنفع عما انعم به عليه بل كل ما خلق الله من السموات والارض وكل ما قسم الله بين عباده من رزق واجل وسرور وحزن وعجز وقدره وايمان وكفر وطاعة ومعصية عدل لا جور فيه وحق لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان اصلاً احسن منه ولا اتم ولا اكل ولو كان وادّخره مع القدرة لكان بخلاً يناقض الجود وظلماً يناقض العدل ولو لم يكن قادراً لكان عاجزاً والعجز يناقض الالوهية يعنى رضى الله عنه انه تعالى لو اعطاهم ما اعطاهم وكشف لهم عن علمه بالاشياء في العدم فعرفوا استعداداتها وطلبائنها التي تقتضيها لرأوا حقائق الاشياء طالبة لصفاتها واحوالها واوزاعها التي تعرض لها بعد اليجاد العيني طالبة طبيعياً لزومياً ورأوا تلك الصفات والاحوال على اختلاف ازمنتها وامكنتها مترتبة ترتيباً اقتضائياً بحيث تكون الحالة الاولى جاذبة للتي بعدها مستلزمة لما كخلق السلسلة يجذب بعضها بعضاً جذباً طبيعياً فلو عكس هؤلاء الذين امرهم الله تعالى ان يدبروا الخلق بما افاض عليهم واعطاهم من العلم والحكمة خردلة ما انتظم العالم بل لا يمكنهم زيادة خردلة ولا نقصانها لانه قلب للحقائق وهو محال وتغير ما علم العلم ازلاً وهو محال ايضاً اذ العلم لا يد له من معلوم ومتى ما ظهر ظهر طبق ما تعلق به العلم التقديم لا ازيد ولا انقص بزمانه ومكانه لا يتقدم ولا يتأخر فهو تعالى يخلق ما يشاء ويختار ولا يشاء ويختار الا ما علم من كل معلوم حال عدمه وهو ما عليه كل ممكن حالة وجوده من جميع احواله وصفاته التي لا نهاية لها في الدار الدائمة فلا يصح ان الحق تعالى يعجز عن شيء بل هو القادر المطلق ولكن يقال الحق تعالى لا يفعل الا ما اراد واختار ولا يريد ويختار الا ما علم والمعلوم لا يتغير فلو كان في الامكان خلاف الواقع بحسب ما عليه كل ممكن من الاحوال والصفات مع طلب الممكن اي ممكن كان من الامكانيات باستعداده وان حاله الاحسن والاكمل بالنسبة الى ما اعطي من الصفات والاحوال على سبيل فرض المحال اذ لا يطلب شيء غير ما هو مستعد له البتة لكان بخلاً يناقض الجود وظلماً يناقض العدل والبخل والظلم محال فاللازم وهو منع المستحق ما هو مستحق له طالب له باستعداده محال والظلم وضع الاشياء في غير مواضعها التي تستحقها باستعداداتها والمعلم والحكمة ولو لم يكن قادراً على ما يريد لكان عاجزاً والعجز محال فهو

تعالى عالم قادر مرید مختار وألعله وإرادته واختياره لا يعطي شيئاً من المكنونات إلا استعداده لأنه مقتضى الإرادة المترتبة على العلم المترتب على المعلوم فتبين من هذا أن لا اعتزال ولا فلسفة ولا جبر ولا إيجاب في قول حجة الإسلام في هذه بل هو كلام صفوة الصفوة من أهل السنة والجماعة. والحاصل أن حجة الإسلام رضي الله عنه رمز بهذه المقالة إلى سرّ القدر المتحكم في الخلائق وهو الذي تنتهي إليه الأسباب والعلل وهو لا سبب له ولا علة فلا يقال فيه لم ولا كيف قال رضي الله عنه بعد ما تقدمناه من كلامه وهذا الآن بحر ذاخر عظيم عميق واسع الأطراف مضطرب الأمواج غرق فيه طوائف من انقاصرين ولم يعلموا أن ذلك غامض ولا يعقله إلا العالمون ووراء هذا البحر سرّ القدر الذي تحير فيه الأكثرون ومنع من افشاء سره المكشفون إلى آخر المقالة فاعتراض هذا الرز على الأفهام من الخالص والعام وتباينت فيه الآراء من لدن عصر حجة الإسلام إلى هلم جرّاً حيث كان هذا الرمز موزعاً بين طريقة المكشفين وطريقة المتكلمين فهم بين معتقد محجّب ومعتقد غير مصيب أما العارفون بالله فقد عرفوا صحة معناها وأصل مبناها غير أنه ما استقام لهم تطبيق اللفظ على المعنى المراد الاستقامة الحالية عن التكلف السالبة من الاعتراض وأما غير العارفين من محجّب ومعارض فهم يتخبطون بين كلام السنة والاعتزال والكل في ناجية عن مرمى حجة الإسلام وأكثر من بسط الكلام في هذه المقالة من الذين وقفنا على كلامهم الشيخ أحمد بن المبارك في كتاب الأبريز وقال أنه فعل ذلك نصيحة للمسلمين والله ينفعه بقصده وهو من القادحين في هذه المقالة والحق ضالة المؤمن يأخذها عند من وجدها عنده ومن عرف الحق بالرجال تاه في مهباه الضلال

﴿ سؤال آخر منه لحضرته ﴾

سيدنا الإمام أدام الله به النفع على الدوام ذكرت لحضرتكم مسألة الرؤيا وانها اشككت على هذا الحقير من جهة التفرقة بين الرؤيا الصالحة والحلم لأن الوارد أن الصالحة من الله وأن الحلم من الشيطان ولم يظهر للداعي هذه النسبة لأن العالم في النوم لا تفاوت بينهم فإن كان بالنسبة إلى صلاح الرأي وعدمه فكثير من أهل الصلاح يرون في منامهم أشياء ظاهرها الحلم وأن كان لغير ذلك أرجو من السيادة بيان الأمر كذلك ذكرت لسيادتكم أن انكار الرؤيا الذي حكاه في الموقف عن جمهور المتكلمين بقولها انها خيالات هل يكفرون

بذلك ام لا فارجو كشف القناع عن هذه المسئلة بما يظهر به للداعي حل مشكل
هذا الامر من كلام اهل الباطن والظاهر وما تفضل الله به عليكم من الواردات
الآلية واجراه على لسانكم من ينابيع الحكمة الصمدانية وربنا يجعلكم منهلًا لكل
وارد والسلام عليكم ورحمة الله

﴿ والجواب ﴾

الحمد لله وحده والعلم عنده سانشوني في التاخير فاني ما وجدت وقتًا الا هذا
ليعلم ان ادراك امر الرؤيا صعب على العقل من حيث ذاته وآلاته التي يقتنص
بها العلوم لا من حيث استعداده وقبوله فهو يدرك ما هو اعظم من امر الرؤيا
كالتجليات الالهية مع غموضها ولطفها ولا يدرك امر الرؤيا الا من علم الخيال
المطلق والخيال المقيد وعلم ذلك ركن من اركان العلم بالله تعالى فنقول على جهة
الايماء والاختصار ان الخيال المقيد مرتبة من مراتب الشعور تلتطف الكثيف المقيد
وتكشف اللطيف المقيد والرؤيا النامية شعبة منه والحق تعالى جعل في عين الانسان
وفي سائر قواه نورين نور يدرك به المحسوسات وقد يدرك بعض التخيلات بقظة
كما الانبياء وبعض الاولياء وهو من المسائل الثلاث التي يجتمع فيها النبي والولي
منامًا وغيبية وفناء لغيرهم ونور يدرك به التخيلات اما في النوم او حالة غيبية عن
المحسوسات او في حالة الفناء او في اليقظة كما للانبياء ولاولياء وكل الادراكين
في العين ولا يتدر الانسان ان يفرق بينهما الا اذا كان من الكمل وقد جعل
الحق تعالى برزخا بين عالم المعاني المجردة عن المواد وبين الاجسام المادية وهو
المسمى بالخيال المطلق وبالبرزخ وهو حضرة ذاتية معقولة اذا تنزلت المعاني المجردة
عن المواد اليه تصورت بالصور المادية كما تصور العلم بالابن والتقييد بالثبات وفي
هذه الحضرة الخالية لكل شيء من الاجسام والمعاني المادية صورة روحانية خيالية
لا تقبل التجزي ولا الحزق ولا الالتئام مثل الصور التي في اذهانتنا فاذا نام الانسان
او غاب عن المحسوسات بسبب شيء مما قد مناه واراد الحق ان يريه شيئًا من
امر الملك الموكل بالرأى بافاضة ذلك وكشفه للروح الانساني في حضرة الخيال المقيد
اما بواسطة الشيطان وهو القاء ما فيه تحزين واما بواسطة النفس وهي الرؤيا
التي فيها حديث النفس واما بواسطة الملك وهي البشرية المنسوبة الى الله
تعالى وقد وردت التفرقة بين هذه الثلاث فيما رواه الترمذي قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم اذا تقارب الزمان لم تكدر رؤيا المؤمن تكذب وصدقهم رؤيا اصدقهم حديثاً ورؤيا المسلم جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة والرؤيا ثلاث فالرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا من تحزين الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء به نفسه فاذا رأى احداً ما يكره فليقم وليتفل عن يساره ثلاثاً ولا يحدث به الناس الحديث فبين صلى الله عليه وسلم ان التي من الله هي الرؤيا التي فيها بشرى كأن يعدل الرائي عمل بر فيه اما يحثه على الزيادة منه وملازمته او يكون عمل سوء فيرى ما يحذره منه ويخوفه سوء عاقبة ذلك الفعل وبالجملة ان يرى كل ما ينتفع به في معاده ومعاشه والتي هي من الشيطان هي ان يرى ما يورثه همّاً وحزناً وقد يكون ذلك او لا يكون ولهذا لا تضربه اذا لم يحدث بها احداً وهنا ستر تركناه وبين صلى الله عليه وسلم دواء هذا التحزين والتبريض الشيطاني وهو ان يقوم وينقل عن يساره ثلاثاً ويستعين بالله من شرها فانها لا تضربه كما ورد في عدة احاديث وهذا كما يوسوس الشيطان للانسان في يقظته وباقى الله اشياء توجب له غماً وحزناً وقد لا تكون ابداً لان الشيطان عدو الانسان يريد ادخال الضرر عليه يقظة ونوماً ونسبة هذا القسم الى الشيطان لكونه بواسطته والا فالكل من الله تعالى كما انقسمت الخواطر الى رباني ومائي وشيطاني ونفساني والكل من الله كما قال فاللهما فجورها وثقواها لاجل الواسطة والادب مع الحق تعالى في نسبة الخيرات اليه ونسبة الشرور الى الوسائط من المخلوقات وقولكم العالم لا تفاوت في النوم بينهم بل بينهم تفاوت عظيم كما هو في اليقظة فان النوم اخو الموت قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وورد في الحديث يموت المرء على ما عاش عليه فليس نوم من غالب اوقات يقظته حضوره مع الله ومراقبته للشارع في حركته وسكناته وكلامه وسمته كنوم من غالب اوقات يقظته غفلة عن الله تعالى ولها وهذا بياناً وانتقالاً بالخلق عن الخالق فان الاول اذا نام نام على ما كان عليه في غالب يقظته فلا تكون رؤياه غالباً الا من الله تعالى لانه اما معصوم كالنبي او محفوظ كالولي او معتنى به كخواص صلحاء المؤمنيين اذ ليس للشيطان سلطان على عباد الله المخلصين في يقظتهم فكذلك في نومهم وان كانت رؤياه حديث نفس مما كان عليه في يقظته فهي ملحقة بما هي من الله فان كان في يقظته مع الله او مع احكامه فان حصل لهذا تحزين من الشيطان في رؤياه فهو نادر والنادر لا اعتداد به ولا اعتبار له ويكون ذلك ابتلاء يعود عليه بالخير كما اذا وسوس له في يقظته فانه من الذين اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون او يكون ذلك ليس تحزيناً في نفس الامر ولكن الخطأ في التعبير والثاني اذا نام نام على ما كان

عليه في يقظته ولا تكون رؤياه غالباً الا من تلاعب الشيطان او من حديث النفس مما كان عليه في يقظته فاذا حصلت له رؤيا من الله تعالى نادراً فاما ان يكون ممن سبقت له العناية الالهية وقد انتهت مدة قطيعته وتلاعب الشيطان به واما ان يكون لتلك الرؤيا تعلق بعيد من عباد الله الصالحين قال البخاري رضي الله عنه في صحيحه باب رؤيا اهل الشرك والسجون وساق ما ورد في قصة يوسف عليه السلام مع العزيز يشير الى ان اهل الشرك والفسق قد تصدق رؤياهم نادراً قال بعض سادات القوم رضوان الله عليهم لا تصدق رؤيا المشرك وما في معناه من اهل الفسق الا اذا تعلق به الحق لمؤمن فليست رؤيا مطلق المسلم كرؤيا المسلم الصالح وقد ورد في روايات الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح فالمسلم المطلق محمول على المسلم المقيّد ولا بد وقد تقدم في الحديث اصدقهم رؤيا اصدقهم حديثاً واما ما حكى عن جمهور المتكلمين من ان النوم يضاعف الادراك وان الرؤيا خيالات باطلة فهذا القول مستبعد جداً صدوره من مؤمن بكتاب الله وسنة رسوله كيف مع شهادة الكتاب والسنة بحقيقة الرؤيا ولو كشف الله تعالى لهذا القائل عن الخيال المطلق والخيال المقيّد لعلم ان ادراك الخيال اصح من ادراك الحس لان الحس له غلطات كما قيل والخيال لا غلط في ادراكه وانما الغلط في التعبير وان صح هذا القول عن احد من العقلاء فمراده ان ما يتخيله النائم ادراكاً بالبصر رؤية وكون ما يتخيله ادراكاً بالسمع سمعاً باطل فلا ينافي هذا حقيقة بمعنى كونه اشارة لبعض الاشياء لذلك الشيء نفسه او ما يضاهيه ويحاكيه والا فانكار الرؤيا انكار للضروريات الطبيعية فان كل انسان من مؤمن وكافر ومطيع وعاص يجدها من نفسه وتصلح كلمات مختصرة في الخيال فظالموها ان شئت ثم ردوها عليّ

❖ وهذا جواب لسؤال وارد منه ايضاً ❖

الحمد لله الذي اطلعت عليه من كلام الائمة منه ما يفيد ان كون اول السنة القمرية المحرم واخرها ذو الحجة انما كان باتفاق الصحابة في خلافة عمر ومنه ما يفيد ان ذلك كان قديماً سابقاً اما ما يفيد بظاهره ان ذلك قديماً فقله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض الآية قال الشيخ اسماعيل في تفسيره ان الله تعالى اجري الشمس والقمر في السموات يوم خلق السموات والارض فبلغ عدد الشهور اثنا عشر شهراً اولها المحرم واخرها ذو الحجة اه فهذا الكلام صريح في ان كون اول الشهور المحرم عند الله في كتابه اي اللوح المحفوظ كما في آية ان عدة الشهور

وروى سعيد بن منصور في سننه بسنده الى ابن عباس انه قال في قوله تعالى والفجر
 الفجر شهر المحرم وهو فجر السنة اخرج به البيهقي في الشعب وسناده صحيح ومثل هذا
 لا يقوله ابن عباس بالرأي قال ابن حجر في اماليه بهذا يحصل الجواب عن الحكمة في
 تأخير التاريخ من الهجرة وانما كانت في ربيع الاول اه وقال شارح اللع بين العام
 والسنة فرق في الوضع العربي فالعام من اول المحرم الى آخر ذي الحجة والسنة من كل
 يوم الى مثله من القابل اه وقال ابو البقاء السنة في عرف الشرع من كل يوم الى
 مثله من القابل بالشهور الهلالية والعام من اول المحرم الى ذي الحجة اه وقال ابن
 ابي خيثمة لما اختلف الصحابة في الشهر الذي يجعلونه اول السنة قام عثمان فقال
 المحرم هو اول السنة وهو شهر حرام وهو اول الشهور في العدة اه فهذا صريح في
 ان كون اول الشهور في العدة من قديم الزمان قبل الاسلام وانما الصحابة ارادوا ان
 يجعلوا اول السنة شهراً غير الذي جعله من كان قبلهم وفي الصحيح السنة اثنا عشر
 شهراً منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب فقد
 اختلف السلف كما في القسطلاني في عده صلى الله عليه وسلم هذه الاشهر الحرم هل
 هو من سنة واحدة او من سنتين فعن اهل المدينة انها من سنتين ذو القعدة وذو
 الحجة من سنة والمحرم ورجب من سنة وعن اهل الكوفة انها من سنة واحدة اولها
 المحرم ثم رجب ثم ذو القعدة ثم ذو الحجة فلو لم يكن للسنة اول عنده عليه السلام
 ما ظهرت ثمة اختلافهم لانه اذا لم يكن للشهور ترتيب تكون الشهور كدائرة لا
 يعرف طرفها فليس لما اول ولا آخر وهذا من بعد ما يكون وقال القسطلاني
 في قوله عليه السلام ان الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السموات والارض
 اي عاد الزمان الى اصل الحساب والوضع الذي اخذ به الله ووضعه يوم خلق
 السموات والارض اه فاستدارة الزمان ورجوعه الى اصله لا يكون الا بترتيب اجزائه
 ورجوع الاول اولاً والآخر آخرًا فيكون للشهور اول وآخر واما ما يفيد ان الصحابة
 هم الذين جعلوا اول شهور العام العربي المحرم فنقل الدماميني ان الصحابة اختلفوا
 باي شهر يتبدءون التاريخ فقال بعضهم برمضان وقال آخرون بالمحرم اه ونقل
 القسطلاني عن الحاكم ابن البيع ان عمر قال ارخوا بالمحرم لانه منصرف الناس من
 حجهم فاتفقوا عليه اه ويبعد كل البعد عقلاً ان يكون الرسول عليه السلام ومن
 ارسل قبله الى العرب ومن مضى من ملوك العرب الذين ملكوا المغرب الى منتهى المعمورة
 والمشرق الى الصين لم يجعلوا لشهورهم اولاً ولا آخرًا ولا عرفوا ابتداء عامهم ولا

نهايته مع انهم سمو العام عاماً لعموم الشمس فيه جميع الفلك وقطعها الابراج فيعلمون هذه المناسبة ويجهلون اول العام والجمع بين القولين والله اعلم ان كون اول الشهور في العدة المحرم معروف من قديم الزمان ولكن الصحابة ارادوا ان يجعلوا مبتدأ للسنة باختيارهم ويخالفوا من قبلهم كما خالفوه في التاريخ فان العرب كانت تؤرخ بعام الفيل وبحرب الفجار وبيناه الكعبة ونحو ذلك والله اعلم

وسأله حضرة العلامة السيد محمود افندي حمزه

مفتي دمشق الشام

ونص سؤاله الحمد لله وحده قد ورد في ايام الدجال يوم كسنة ويوم كشر ويوم كجمعة وكذلك اليوم الذي مقداره خمسون الف سنة هل المراد في كل منهما طول المدد حقيقة ام اشدّة الهول في كل منهما عبر عنه كذلك المعقول والمقول في ذلك وما هو حي عن ميت او ميت عن ميت معلوم فلنضرب عنه صفحاً

فاجابه بقوله

الحمد لله اما ايام الدجال فطولها اشدتها وكثرة الغيوم حتى يلتبس الليل بالنهار لانه عليه السلام سئل عن الصلاة فقال اقدروا لها واوقات الصلاة اسباب بوجوبها ولا تجب صلاة الا بوقتها فالיום الذي كسنة تجب فيه خمس صلوات فقط واما اليوم الذي مقداره خمسون الف سنة فاعلم ان امور الآخرة مبنية على اظهار القدرة عكس الدنيا فانها مبنية على الحكمة فطوله اشدته ويكون هذا الطول في حق بعض الناس كقدر صلاة ركعتي الفجر والقدرة تظهر الطويل قصيراً والقصير طويلاً وتظهر ما لا يتناهي متناهياً فانها تجمع الاقدار وكل من قال ان قدرة الله لا تتعلق بالمستحيل عقلاً فهو جاهل بالله تعالى

﴿ جواب لسؤال وارد منه ايضاً ﴾

الحمد لله وحده روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم ما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثماً فان كان اثماً كان ابعد الناس منه ورواه الترمذي ماثماً بدون زيادة فان كان اثماً انح واعلم ان التخيير له صلى الله عليه وسلم اعم من ان يكون من الله تعالى ومن الكفار والمنافقين وان الله تعالى قد يخير بين حكيمين في حق صلى الله عليه

وسلم او في حق الامة فان كان التخيير من الله تعالى له صلى الله عليه وسلم فيكون الكلام قد تم عند قوله ايسرها فانه تعالى لا يخير رسوله بين ما يكون اثماً وبين غيره فانه تعالى لا يامر بالفحشاء والعصاة الثابتة له صلى الله عليه وسلم ويكون قوله ما لم يكن اثماً بمثابة الاستثناء المنقطع وان كان التخيير من غيره تعالى فيحتاج الى زيادة ما لم يكن اثماً الخ اي ان كان التخيير من غيره تعالى فهو مقيد ما لم يكن اثماً وان كان التخيير بين ما يكون اثماً حقيقة او يؤل الى الاثم كان ابعد الناس منه صلى الله عليه وسلم

واجاب عن سؤال ورد اليه بقوله

اما قولك ارجو ان تذكرموا علي بكل ما تعلمونه بخصوص الصابئة فما اصلهم وما شريعتهم وما داعيهم لهذا المعتقد وهل هم اهل كتاب وما كتابهم الخ فاعلم اولاً ان التقسيم الضابط للملل والنحل هو ان نقول من الناس من لا يقول بمعقول ولا محسوس وهم السوفسطائية القائلون العالم كله خيال باطل لا حقيقة له لا ظاهراً ولا باطناً ومنهم من يقول بالمحسوس ولا يقول بالمعقول وهم الطبيعيون وعلى هذا المذهب اكثر اهل اوربا اليوم ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول ولا يقول بحدود واحكام وهم الفلاسفة الدهرية القائلون لا اله الا الله للعالم اثماً هي ارحام تدفع وارض تبلى وما يملكنا الا الدهر ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والاحكام ولا يقول بشرائع الانبياء ولا بالنبوة وهم الصابئة المسوول عنهم وسنبين مذاهبهم ومنهم من يقول بهذه كلها وبشريعة واسلام ولا يقول بشريعة محمد عليه السلام وهم اليهود والنصارى والمجوس ومنهم من يقول بهذه كلها وهم المسلمون وهؤلاء الفرق انقسموا الى من له كتاب محقق كالنوراة والانجيل والقرآن والى من له شبهة كتاب مثل المجوس والمناوية فان الصحف التي نزلت على ابراهيم الخليل عليه السلام قد رفعت لاحداث احدثوها المجوس ولهذا يجوز عقد العهد والزام معهم ولا تجوز مناكلتهم ولا اكل ذبايحهم ومنهم من ليس له كتاب ولا شبهة كتاب وهم ما عدا من ذكر من اهل الملل والنحل فاما الصابئة المذكورون في القرآن الكريم فهم طائفة كانوا في زمن الخليل عليه السلام فكانت الفرق راجعة الى اصلين احدهما الصابئة الثانية الخنفاء اتباع ملة الخليل عليه السلام فالصابئة كانت نقول انا نحتاج في معرفة الله تعالى ومعرفة طاعته واوامره واحكامه الى متوسط والمتوسط يجب ان يكون روحانيا لاجسمانيا وذلك لطهارة الارواح ونزاهتها وقربها من رب الارباب والجسماني بشر مثلنا ياكل كما ناكل ويشرب كما نشرب يماثلنا في الصورة والحقيقة والخنفاء وهم اصحاب ملة ابراهيم عليه السلام يقولون نحتاج في معرفة الله وطاعته الى متوسط من جنس البشر تكون

درجته في الطهارة والعصمة والتأيد والحكمة فوق الروحانيات يماننا من حيث البشرية وبيانتنا من حيث العصمة الروحانية يتلقى الوحي بطرف الروحانية ويلقى الى نوع الانسان بطرف البشرية فمدار مذهب الصابئة على التعصب للروحانيين كما ان مدار مذهب الخنفاء هو التعصب للبشر الجسمانيين والصابئة تدعي ان مذهبها هو الاكتساب والخنفاء تدعي ان مذهبها هو الفطرة فدعوة الصابئة الى الاكتساب ودعوة الخنفاء الى الفطرة والصابئة فرقان اصحاب الروحانيات واصحاب الهياكل وهي السيارات السبع اما اصحاب الروحانيات فمذهبهم ان للعالم صانعاً فاضلاً حكماً مقدساً عن سمات الحدوث والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله وانما يقترب بالمتوسطات المقربين اليه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرًا وفعلًا وحالًا فهم المقدسون عن المواد الجسمانية المنزهون عن الحركات المكانية والتغيرات الزمانية وانما ارشدنا الى هذا معلنا الاول عاديمون وهو شيث عليه السلام وهرمس وهو ادريس عليه السلام فنحن نتقرب اليهم ونتوكل عليهم وهم اربابنا وآلهتنا ووسائلنا وشفعاؤنا عند رب الارباب واله الالهة فالواجب علينا ان نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية ونهذب اخلاقنا عن علائق القوي الشهوانية والغضبية حتى تحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات فنسال حوائجنا منهم ونعرض احوالنا عليهم فيشفعون لنا الى خالقنا وخالقهم وهذا التهذيب لا يحصل الا باكتسابنا ورياضتنا وقيام أنفسنا عن دنيا الشهوات باستمداد من جهة الروحانيات والاستمداد هو التضرع بالدعوات واقامة الصلوات وبذل الزكوات والصيام عن المطعومات والمشروبات وتقريب القرابين والذبايح وتبخير البخورات وتعزيم العزائم فيحمل نفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة بل يكون حكمنا وحكم من يدعى الوحي على وتيرة واحدة قالوا والانبياء امثالنا في النوع واشكالنا في الصورة بشر مثلنا فن اين لنا طاعتهم وباي مزية لهم نتابعهم واما الطائفة الاخرى من الصابئة فهم اصحاب الهياكل والاشخاص قالوا لا بد للانسان من متوسط ولا بد للمتوسط من ان يرى فيتوجه اليه ويتقرب اليه ويستفاد منه ففزعوا الى الهياكل التي هي السيارات السبع فتعرفوا اولاً بيوتها ومنازلها وثانياً مطالعها ومغاريها وثالثاً اتصالاتها على اشكال الموافقة والخالفة مرتبة على طبائعها ورابعاً تقسيم الايام والليالي والساعات عليها وخامساً تقدير الصور والاشخاص والاقاليم والامصار عليها فعملوا الخواتم والعزائم والدعوات وعينوا يوم السبت لزحل مثلاً وراعوا فيه ساعته الاولى وتحننوا بحاجته المعمول على صورته ولبسوا اللباس الخاص به وكان يقضي حوائجهم ويحصل في الاكثر مرامهم وكذلك الحاجة التي تحتص

المشتري في يومه وساعته وكذلك سائر الحاجات الى الكواكب وكانوا يسمونها ارباباً
 آلهة والله تعالى هورب الارباب وآله الآلهة ومنهم من جعل الشمس آله الآلهة ورب
 الارباب وكانوا ينقربون الى الهياكل وهي السيارات السبع نقرباً الى الروحانيات
 وينقربون الى الروحانيات نقرباً الى الله تعالى لاعتقادهم ان الهياكل وهي السيارات
 ابدال الروحانيات ونسبتها الى الروحانيات نسبة اجسادنا الى ارواحنا فهم الاحياء
 الناطقون بحياة الروحانيات وهي نتصرف في ابدانها تديراً وتصرفاً وتحريكاً كما
 نتصرف نحن في ابداننا ولا شك ان من نقرب الى شخص فقد نقرب الى روحه ثم
 استخرجوا من عجائب الحيل المترتبة على عمل الكواكب العجائب والغرائب وهذه
 الطلسمات والسحر والتنجيم والتعزيم ونحوها كلها من علومهم واما الطائفة الثالثة من
 الصابئة فقالوا اذا كان لا بد للانسان من متوسط يتوسل به وشفيع يتشفع اليه والروحانيات
 وان كانت هي الوسائل والوسائط لا كنا اذا لم نرها بالابصار ولم نخطبها بالالسن لم
 يتحقق التقرب اليها الا بهيكلها والهياكل قد ترى في وقت ولا ترى في وقت لان لها
 طلوعاً وافولاً وظهوراً وبالليل وخفاءً بالنهار فلم يصف لنا التقرب بها والتوجه اليها فلا بد
 لنا من صور واشخاص موجودة قائمة منصوبة نصب اعيننا نعتكف عليها ونتوسل بها الى
 الهياكل فننتقرب بها الى الروحانيات ونتقرب بالروحانيات الى الباري تعالى فنعبدهم
 وهم يقربونا الى الله زلفى فاتخذوا اصناماً اشخاصاً على مثال الهياكل السبعة كل شخص
 في مقابلة هيكل وراعوا في ذلك جوهر الهيكل اعني جوهره الخاص به من الحديد
 وغيره وصوروه بصورته على الهيئة التي تصدر افعاله عنه وراعوا في ذلك الوقت
 والساعة والدرجة والدقيقة فنقربوا اليه في يومه وساعته ولججوا بالبخور الخاص به
 وتحننوا بخاتمته ولبسوا لباسه وتضرعوا بدعائه وعزموا بعزائمه وسألوا حاجتهم
 واولئك هم الذين اخبر القرآن عنهم بانهم عبدة الكواكب والاثان فاصحاب
 الهياكل وهي السيارات السبع هم عبدة الكواكب لانهم قالوا بانها آلهة واصحاب
 الاشخاص وهم عبدة الاوثان لانهم سموها آلهة في مقابلة الآلهة السماوية والطائفة
 الاولى هم عبدة الارواح والملائكة وقد ناظر الخليل عليه السلام هاتين
 الفرقتين كما اخبر القرآن بذلك فابتدأ بمحاجة اصحاب الاشخاص فقال اتعبدون ما
 تخشون والله خلقكم وما تعملون وقال لعمري ازر اتخذ اصناماً آلهة اني اراك وقومك في
 ضلال مبين وقال يا ايت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً وهذه الحجة
 هي التي قال الله تعالى فيها ونلك حجتنا آتينها ابراهيم على قومه ثم عمداً الى اصحاب الهياكل

السبعة بعد ان اطلعه الله تعالى على ملكوت السموات والارض كما اخبر تعالى بقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فاطلعه الله تعالى على ملكوت الكونين والعالم تشریفاً له على الرهبانية وهياكلها وترجيحاً لمذهب الحنفاء على مذهب الصابئة وتقريراً ان الكمال في الرجال فاقبل على ابطال مذهب اصحاب الهياكل السيارة السماوية فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً فقال هذا ربي على وجه الالتزام والا فما كان الخليل عليه السلام مشركاً ثم استدل بالافول والزوال والتغير والانتقال بانه لا يصلح ان يكون رباً الاًهاً فان الاله لا يتغير فلو اعتقدتموه واسطة ووسيلة فالافول والزوال غير عز الكمال الى آخر القصة وهي مذكورة في القرآن ومن الصابئة جماعة يقال لهم الحرثانية قالوا الصانع المعبود واحد كثير فاما وحدته ففي الذات والاصل والازل واما كثرتة فلانه يتكثر بالاشخاص في رأي العين وهي الدراري السبعة والاشخاص الارضية الخيرة العاملة الفاضلة فانه يظهر بها ويتشخص بالاشخاصها ولا تبطل وحدته في ذاته وهو ابداع الفلك وجميع ما فيه من الاجرام والكواكب وجعلها مدبرات هذا العالم وهم الالاء والعناصر امهات فتحصل الموالد بينهما ثم من الموالد قد يتفق شخص مركب من صفوها دون كدرها ويحصل ميزاج كامل الاستعداد فيتشخص الاله به في العالم ثم ان الطبيعة الكل يحدث على رأس كل ستة وثلاثين الف سنة واربعائة وخمس وعشرين زوجين من كل نوع من اجناس الحيوانات ذكراً وانثى من الانسان وغيره فيبقى ذلك النوع تلك المدة ثم اذا انقضى الدور انقطعت الادوار ونسأها فيبتديء دور آخر ويحدث قرن آخر من الانسان والحيوان وهكذا ابد الابدین ودهر الداهرين وهم الذين اخبر القرآن الكريم عنهم انهم قالوا ما يهلكنا الا الدهر ومن هذه المقالة نشأ التناسخ والحلول فان التناسخ هو ان تتكرر الاكوان والادوار الى ما لا نهاية له ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الاول والثواب والعقاب عند هذه الطائفة في هذه الدار لا في الدار الاخرى ومن هذا المذهب اخذ الدروز بعض مذهبهم واما ذكر الصابئة في القرآن الشريف فانه تعالى اراد بذلك ان الصابئة ومن ذكر معهم من الطوائف انهم مع جهلهم السابق وعقائدهم الفاسدة واقاويلهم الكاسدة اذا آمنوا بالله صدقوا بوجود الله تعالى ووحدانيته ونزاهته عن الشريك والمعين وصدقوا باليوم الآخر وهو يوم القيامة وصدقوا بمحمداً عليه السلام فيما جاء به من الوحي والشرائع وتركوا ما كانوا عليه من الاعنقادات في الله تعالى وعملوا صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم

ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يوم القيامة ولا يؤخذهم بما سلف منهم من الجهالة في
الاعتقادات وفي الأقوال والأفعال وأما قولك ثم من منهم الذين هادوا فاعلم ان اليهود هم
أمة موسى عليه السلام وإنما سموها يهوداً لقول موسى عليه السلام أنا هادنا إليك أي رجعنا
إليك وكتاب هذه الأمة اليهودية هو التوراة ومعنى التوراة الشريعة وهو أول كتاب
نزل من السماء لأن ما نزل على إبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام ما كان يسمى
كتاباً بل صحفاً وانزل على موسى عليه السلام أيضاً الألواح كأنها مختصر ما في التوراة
منقسم على الأقسام العملية والعملية قال تعالى في القرآن الكريم وكتبنا له أي لموسى في
الألواح من كل شيء موعظة وتفضيلاً لليهود تدعي ان الشريعة لا تكون الا واحدة
وهي ابتدئت بموسى عليه السلام وتمت به فلم تكن قبله شريعة الا حدوداً عقلية واحكاماً
سطحية ولم يجزوا النسخ في الشرائع فلم تكن شريعة بعد موسى عليه السلام ومسائلهم
تدور على جواز النسخ ومنعه وعلى التشبيه ونفيه وانقول بالقدر والجبر وتجويز الرجعة
واحالتها ولمنع اليهود النسخ في الشريعة لم ينقادوا لعيسى عليه السلام وادعوا عليه انه
كان ما موراً بتابعة موسى عليه السلام وموافقة التوراة فغير وبدل وعدوا عليه تلك
التغييرات منها تغيير السبت الى الاحد ومنها تغيير اكل لحم الخنزير وكان حراماً في
التوراة ومنها ترك الختان والغسل من الجنابة وغير ذلك واختلعت اليهود على نيف وسبعين
فرقة أشهرها العنانية نسبوا الى عنان بن داود رئيس الجالوت يخالفون سائر اليهود في
السبت والاعياد ويقتصرون على الطير والظبي والسمك ويصدقون عيسى عليه السلام
في مواعظه واشارته ويقولون انه لم يخالف التوراة بل قررها ودعا الناس اليها وهو من انبياء
بني اسرائيل المقيدون بالتوراة ومن المستجبين لموسى عليه السلام الا انهم لا يقولون
بنبوته ورسالته ومن هو لاه من يقول ان عيسى عليه السلام لم يدع انه نبي مرسل وانه
صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام بل هو من اولياء الله تعالى المخلصين
العارفين باحكام التوراة والانجيل ليس كتاباً منزلاً عليه وحياً من الله تعالى بل هو
جمع احواله من مبدئه الى كماله وإنما جمعه اربعة من اصحابه الحواريين فكيف يكون
منزلاً لليهود ظلوه حيث كذبوه اولاً ولم يعرفوا دعواه وقتلوه ولم يعرفوا منزلته وقد ورد
في التوراة ذكر المسيح في مواضع كثيرة وذلك هو المسيح عيسى ولكن لم ترد له النبوة
ولا الشريعة الناسخة. الفرقة الثانية من الفرق المشهورة العيسوية نسبوا الى ابي عيسى اسحاق
ابن يعقوب الاصفهاني وقيل اسمه عويذ الوهيم أي عايد الله زعم ان الله تعالى كلمه وكلفه
ان يخلص بني اسرائيل من ايدي الامم العاصين والملوك الظالمين وحرم الذبائح كلها ونهى

عن اكل كل ذي روح على الاطلاق طيراً كان او بهيمة وواجب عشر صلوات كل يوم وخالف اليهود في كثير من احكام الشريعة المذكورة في التوراة وكان يوجب تصديق المسيح عليه السلام . الفرقة الثالثة من الفرق المشهورة البوزعانية نسبوا الى بوزعان كان يبحث على الزهد وتكثير الصلوات وينهى عن اللحوم والانبذة وكان يزعم ان للتوراة ظاهراً وباطناً وتنزيلاً وتأويلاً خالف عامة اليهود وخالفهم في التشبيه ومال الى القدر واثبت الفعل للعبد حقيقة ورتب الثواب والعقاب عليه . الفرقة الرابعة من الفرق المشهورة الموشكانية نسبوا الى مشكا كان يوجب الخروج على مخالفه واثبت نبوة محمد عليه السلام الى العرب وسائر الناس غير اليهود لانهم اهل ملّة وكتاب زعم ان الله خاطب الانبياء بواسطة ملك اختاره وقدمه على جميع الخلائق وكل ما في التوراة من وصف الله تعالى فهو وصف ذلك الملك وخبر عنه ولا يجوز ان يوصف الله بوصف وما ورد في التوراة ان الله كلم موسى انما هو ذلك الملك فلا يكلم الله بشراً والشجرة المذكورة في التوراة هو ذلك الملك وحمل جميع ما ورد في التوراة مما نسب الى الله على ذلك الملك وقيل صاحب هذه المقالة هو بليامين اليهودي هو قرر هذا المذهب وقال الآيات المتشابهات في التوراة كلها منزلة وان الله لا يوصف باوصاف المخلوقات . الفرقة الخامسة من الفرق المشهورة السامرة وهم قوم يسكنون بيت المقدس ونابلس وقرى من اعمال مصر يتنظنون في الطهارة اكثر من سائر اليهود واثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع وانكروا نبوة من بعدهم من الانبياء الا نبياً واحداً وقالوا التوراة ما بشرت الا بنبي واحد يأتي من بعد موسى عليه السلام يصدق التوراة ويحكم بحكمها وافترقت السامرة الى دوستانيه ومعناها الفرقة الكاذبة والى كوستانيدو ومعناها الجماعة الصادقة وهم يقرّون بالآخرة واثبتوا الثواب والعقاب في الدنيا وقبلتهم جبل يقال له عظيم بين بيت المقدس ونابلس وهو الطور الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام فحوله داوود الى ايليا وبني البيت ثمت وخالف الامر والسامرة لتوجه الى تلك القبلة دون سائر اليهود وزعموا ان التوراة كانت بلسانهم فنقلت الى السريانية والعبرانية واما قولك من هم الذين اشركوا فاعلم ان الشرك هو اثبات شريك لله تعالى في الوهيته وفي خلقه لمخلوقاته وفي افعاله يقال اشرك بالله كفر به فهو مشرك والشرك انواع شرك استقلال وهو اثبات الهين مستقلين كشرك الجوس وشرك التبعية وهو تركيب الاله من آلهة كشرك من يدعى انه نصراني وليس بنصراني حقيقة فان النصراني الحقيقيين موجدون وشرك التقريب وهو عبادة غير الله ليقرب الى الله

كشرك متقدم الجاهلية من العرب وشرك التقليد وهو عبادة غير الله تعالى تبعاً للغير
كشرك متأخري الجاهلية من العرب قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم
مقتدون وشرك الاسباب وهو اسناد التأثير الى الاسباب العادية كشرك الفلاسفة
والطبيعيين ومن تبعهم على ذلك وشرك الاغراض وهو العمل للغير وجه الله تعالى
بل لنيل غرض من الاغراض وتكلم على شرك الاستقلال دون غيره فاننا لو
تكلمنا عليه تفصيلاً وعلى غيره من انواع الشرك ما فسرنا شجرات فاعلم ان شرك
الاستقلال هو اثبات الهين مستقلين كشرك المجوس والمناوية وسائر الفرق المجوسية
واختصت الاثنية بالمجوس لكونهم اثبتوا الهين اثنين قديمين يقتسمان الخير والشر
والنفع والضرر والصالح والفساد ويستون احدهم النور والثاني الظلمة وبالفارسية
يزدان واهرمين ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين احدهما بياض سبب امتزاج
النور بالظلمة والثانية بيان سبب خلاص النور من الظلمة وجعلوا الامتزاج مبدأ
والخلاص معاداً وهم فرق اشهرها الكيومرته اصحاب كيومرث اثبتوا اصلين يزدان
واهرمين وقالوا يزدان قديم واهرمين محدث بخلاف قولوا ان يزدان نكر في نفسه انه
لو كان له منازع كيف يكون وهذه افكرة ردية غير مناسبة بطبيعة النور فبحدة
الظلام من هذه الفكرة وكان اهرمن مطبوعاً على الشر والفتنة والفساد والضرر فخرج
على النور وخالفه طبيعة وقولاً وجرت محاربة بين عسكر النور وعسكر الظلمة ثم
ان الملائكة توسطوا في الصلح على ان يكون العالم السفلي خالصاً لاهرمين سبعة
الاف سنة ثم يخلى العالم ويسلم الى النور والذين كانوا في الدنيا قبل الصلح اهلكهم
وابادهم وزعموا ان النور خير الناس وهم ارواح بلا اجساد بين ان يرفعهم عن
مواضع اهرمن وبين ان يلبسهم اجساداً فيجاربون اهرمن فاذا نالوا لبس الاجساد
ومحاربة اهرمن على ان تكون النعمرة لهم من عند النور وعند الظفر باهرمن واهلاك
جنوده تكون القيامة فذلك سبب الامتزاج وهذا سبب الخلاص ومن فرق المجوس
لذروانيه قالوا ان النور ابدع اشخاصاً من نور نورانية ربانية والعظيم منها اسمه
ذروان شك في شيء فحدث اهرمن الشيطان من ذلك الشك ولهم اقوال وخرافات
تجها العقول السليمة اخبر بنا عن ذكرها ومن فرق المجوس الرادشيه اصحاب زرادشت قالوا
النور والظلمة اصلان متضادان وكذلك يزدان واهرمين وهما مبدأ وجود العالم وحصلت
التراكيب من امتزاجها وحدثت الصور من انتراكيب المختلفة والباري تعالى خالق
النور والظلمة وهو احد لا شريك له ولا يجوز ان ينسب اليه اياد الظلمة لكن

الخير والشر والصالح والفساد انما حصلت من امتزاج النور والظلمة ولو لم يمتزجا
لا كان وجود العالم وهما يتقاومان ويتغالبان الى ان يغلب النور الظلمة والظلمة الشر
ثم ينخلص الخير الى عالمه والشر ينحط الى عالمه وذلك هو سبب الخلاص ومنهم من يقول
له السببانية رئيسهم رجل كان زمزمياً في الاصل يعبد النيران ثم ترك ذلك ورفض عبادة
النيران ووضع لهم كتاباً وامرهم بارسال الشعور وحرم الامهات والبنات والاخوات
وحرم الخمر وامر باستقبال الشمس عند السجود على ركبة واحدة وحرم الميتة وذبح
الحيوان حتى يهرم وهم اعداء للمجوس الزمزمة ومن فرق المجوس المشهورة الثنوية وهم
اصحاب الاثنيان الاذليين يزعمون ان النور والظلمة اذليان قديمان بخلاف المجوس
فانهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم
واختلفا في الجوهر والطبع والفعل والخير والاجناس والابدان والمكان والارواح
ومن فرق المجوس المشهورة المانوية اصحاب مائت اتخذ ديناً بين المجوسية والنصرانية
كان يزعم ان العالم مصنوع مركب من اصلين قديمين احدهما نور والاخر ظلمة
وانهما اذليان لم يزالا وان يزالا وانكر وجود شيء لا من اصل قديم وزعم ان
النور والظلمة لم يزالا قوتين حساستين سميعتين بصيرتين وهما مع ذلك متضادان
في النفس والجوهر والعقل متحاذيان متحاذي الظل والشخص فجوهر النور حسن فاضل
كريم صافي نقي طيب الريح حسن المنظر ونفسه خيرة كريمة حكيمة نافعة سالمة
وفعله الخير والصالح والنفع والسرور والترتيب والنظام وجوهر الظلمة قبيح ناقص لئيم
كدر خبيث متدن الریح قبيح المنظر ونفسها شريرة سفیهة جاهلة ضارة وفعلها الشر
والفساد والضرر والاختلاف والى هذه الطائفة اشار المتنبي بقوله

وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر ان المانوية تكذب

لان الظلام كان سبباً في وصاله بمن يهوى واحتجابه عن الرقباء واي نفع وخير
اعظم من هذا ومن فرق المجوس المزدكية اصحاب مزدك قولهم كقول اكثر المانوية
الا ان مزدك كان يقول ان النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط
والاتفاق والنور عالم حساس والظلام جاهل اعمى وان المزاج كان على الاتفاق والخطب
لا من القصد والاختيار وكان مزدك ينهى عن المبالغة والمباغضة والقتال ولما
كان اكثر ذلك انما يقع سبب النساء والاموال احل النساء واباح الاموال
وجعل الناس كلهم شركة في النساء والاموال كاشتراكهم في الماء والنار
والنار والكل الى غير هذا من الهذيان فلا نظيل به ومن فرق المجوس الديهانية اصحاب

ديسان كان يقول النور عالم قادر حساس دراك منه تكون الحركة ومنه تكون الحركة والحياة والظلام ميت جاهل عاجز موات لا فعل له ولا تمييز والشر يقع منه طبعاً وخرقاً وان النور جنس واحد وكذلك الظلام جنس واحد وان سمعه وبصره وسائر حواسه وادراكه شيء واحد فسمعه هو بصره وجميع حواسه وانما قيل سميع بصير لاختلاف التركيب لا لانها في انفسها شيان مختلفان وزعموا ان اللون هو الطعم وهو الرائحة الى غير هذا من اباطيلهم فلا نطيل بها ومن فرق المجوس المرقونية اثبتوا اصلين متضادي النور والظلمة واثبتوا اصلاً ثالثاً هو المعدل الجامع وهو سبب المزاج بين النور والظلمة وقالوا الجامع دون النور في الرتبة وفوق الظلمة وحصل من الامتزاج هذا العالم ومنهم من يقول ان الامتزاج انما حصل بين الظلمة والمعدل اذ هو قريب منها فبعث النور الى العالم الممتزج روحاً مسيحياً وهو روح الله وابنه يحثنا على العدل السليم الواقع في شبكة الظلام الرجيم حتى يخلصه من حبال الشياطين فمن اتبعه ولم يلبس النساء ولم يقرب الزهومات افلت ونجا ومن خالفه خسر وهلك قالوا وانما اثبتنا المعدل لان النور الذي هو الله تعالى لا تجوز عليه مخالطة الشيطان وايضاً فان الضدين متنافران طبعاً ويتمانعان ذاتاً ونفساً فكيف يجوز امتزاجهما فلا بد من معدل تكون منزلته دون النور وفوق الظلمة فيقع المزاج معه وكانوا يقولون المعدل هو الانسان الحساس الدراك اذ هو ليس بنور محض ولا ظلام محض وكانوا يرون المناخكة وكل ما فيه منفعة بدينية وروحية ويحتارون عن ذبح الحيوان لما فيه من الايلاء ومن فرق المجوس الكينية والصيامية وهم اصحاب التناخ زعموا ان الاصول ثلاثة النار والارض والماء وانما حدثت الموجودات من هذه الاصول دون الاصلين اللذين اثبتتهما الثنوية قالوا النار بطبعها خيرة نورانية والماء ضدها في الطبع فما كان من خير في هذا العالم فمن النار وما كان من شر فمن الماء والارض متوسطة وهم يتعصبون للنار من حيث انها علوية نورانية لطيفة لا وجود الا بها ولا بقاء الا بامدادها والماء يخالفها في الطبع فيخالفها في الفعل - والارض متوسطة بينهما فتتركب العالم من هذه الاصول والصيامية من هذه الفرقة امسكوا عن طيبات الرزق وتجردوا لعبادة الله تعالى وتوجهوا في عبادتهم الى النيران تعظيماً لها وامسكوا عن الذبائح والنكاح ايضاً وقالوا بتناسخ الارواح في الاجساد والانتقال من شخص الى شخص وما يلقي من الراحة والتعب فمرتب على ما اسلفه قبل وهو في بدن آخر جزاء على ذلك والانسان ابداً في احد امرين اما في فعل واما في جزاء وما هو فيه فاما مكافاة على عمل قدمه واما على ان ينتظر المكافاة

عليه والجنة والنار في هذه الابدان والمجوس انما يعظمون النار لئلا يحرق منها جواهر شريف علوي ومنها انها ما احرنت الخليل عليه السلام ومنها ظنهم ان التعظيم لما ينجيهم في المعاد من العذاب وبالجملة هي قبلة لهم ووسيلة واما قولك ان انطوق الآية الشريفة في سورة الحج ان المشركين ليسوا هم النصارى الخ فاعلم ان النصارى هم اتباع المسيح عليه السلام وامته ممن كان تابعاً للمسيح قبل ظهور محمد عليه السلام فهو من افضل الخلق واعلاهم درجة وبعد ظهور محمد عليه السلام من آمن به فله اجران ويحشر مع الناجين الآمنين ومن كفر بما جاء به محمد من النصارى وغيرهم فيسحق كافرًا لا مشركًا الا من قال من النصارى في المسيح عليه السلام وانه ابن الله ومن اليهود في عزيز انه ابن الله فهو مشرك والنصارى الحقيقيون هم الذين يعتقدون ان المسيح عليه السلام روح الله وكتبته انفاها الى مريم العذراء البتول عليها السلام وانه رسول الله الى بني اسرائيل بشرع ناسخ لبعض شرع موسى عليه السلام والانجيل المانزل عليه كلام الله تعالى حقيقة لا تحجازاً وفرق النصارى واعتقاداتهم المختلفة انت اعلم بها فلا نطيل الكلام بذكر مذاهبهم وفرقهم وبالجملة فالنصارى اجمل الناس بالمعقول والالهيات والكفر اما كفر انكار وهو انه يكفر بقلبه ولسانه واما كفر جحود وهو ان يعرف الحق بقلبه ولا يقر بلسانه واما كفر عناد وهو ان يعرف بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به وكفر نفاق وهو ان يقر بلسانه ولا يعتقد بقلبه والجميع سواء في انه من لقي الله تعالى بواحد منهم لا يغفر له فقد بان لك ان اهل الكتاب لا يقال فيهم مشركون وانما يقال لهم كفار فان الكافر اسم لمن لا ايمان له بمحمد وبما جاء به من الشرائع والاحكام ومن اخفى الكفر واظهر الايمان فهو المنافق وان طرأ عليه الكفر بعد الايمان فهو المرتد وان كان متدينًا ببعض الاديان والكتب المنسوخة فهو الكتابي وان قال بقدوم الزمان والدمر ونسب الحوادث له فهو الدهري وان كان لا يثبت الباري تعالى فهو المعطل وان كان يجعل مع الله الها آخر فهو المشرك وشرعية محمد عليه السلام نخت الشرائع المنتدمة كلها فلا يقبل الله تعالى دينًا اليوم من احد ولو عبد الله تعالى بعبادة الثقلين الانس والجن الا من عبد اتباعًا بمحمد عليه السلام

﴿ ذكر مرضه ووفاته وما يتعلق بهما ﴾

نشأ الأمير في صحة كاملة وعافية شاملة لم يتغير عليه في ايام شبو بيته وكهولته شيء

من قوته ولا من احواله ثم عرضت له امراض حال شيخوخته فتلقاها بقوة القلب وحسن
الصبر ولكثرة الادوية وتعاقبها مع اختلاف موادها حدثت له امراض اخرى من اشدها
ما اخبرني به اثناء اقامته الاخيرة في قصر دمر ان من جملة امراضه ورم في خصيتيه
يمنعه من الاسراع في المشي وانه عازم على عرض ذلك على طبيب خبير بفن الجراحة
فاحضرت له جماعة من الاطباء فاخرجوا ما فيها من الماء ثم عرض لي سفر مع والدتي الى
بيروت لقضاء فصل الشتاء فيها وفي آخر المدة بعث يامرني بالرجوع فوجدته متغير
الاحوال متلاشي القوى واشد ما كان عليه وقتئذ حصر البول فاحضرت له طبيباً من
بيروت عالماً بفن الجراحة مشهوراً فعالجه وحصلت له بعض الراحة ثم رجع الامر الى ما
كان عليه ولما اشتد الالم احضرت جماعة من اطباء دمشق يتناوبون معالجته صباحاً
ومساءً ومن تعطفه عليّ وتوجه به بالرأفة والحنان اليّ انه كان في هذه الاحوال انشديدة
لا يتناول دواء الا من من يدي ولا يقبل علاجاً الا بحضوري وان قيل له في استعمال
شيء او تركه يستشيرني فيه واذا كنت غائباً يوءخر الجواب عنه الى ان احضر
وهكذا في شأنه كله حتى انه اذا عرض عليه تغيير قميصه لايحيب الي ذلك الا باطلاعي
وهذا من فضل الله عليّ ومنته ومع ما كان يقاسيه من شدة الالم ويعانيه في معالجته
لم يظهر ضجراً ولا رأبته تاوه قط ولا ترك الصلاة في وقت من الاوقات وفي آخر
مرضه كنت ايممه وكان نليل الكلام الا فيما يخص مرضه واستمر الاطباء يترددون عليه
وبعالمونه خمسة وعشرين يوماً الى ان دعاه مولاه الى سعة رحمة ونقله الى فسيح
جنته في الساعة السابعة من ليلة يوم السبت التاسع عشر من رجب سنة ثلاثمائة
الف والرابع والعشرين من ايار سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة فلم يشعر الناس الا بالصباح
قد قام والعويل عم الخصاص والعام فيا لها من ليلة سوداء شقت فيها الجيوب وكادت
تنفطر من شدة هولها الاكباد والقلوب وباله من مصاب اصطكت له الاسماع
وارتجت به الاضلاع وفي الحال شاع خبره ونقلته الاسلاك التلغرافية الى سائر
الاقطار ولما تعالى النهار حملناه الى دارنا في البلد فاهتزت دمشق بعموم اهلها كدراً
ونقاظر الناس الينا زمراً زمراً وبعد تجهيزه والصلاة عليه في جامع بني امية حملت
جنازته الى الصالحية يحضها سائر علماء البلد واشرافها وحكامها وخرج اهلها على اختلاف
ملامهم ونحلهم فلم يتخلف كبير ولا صغير عن تشيعها وصفوف العساكر السلطانية من
حولها ودفن عند الشيخ الاكبر سيدي محيي الدين بن العربي داخل القبة دفن والاحشاء
مختوفة والاجفان بماء عيونها غرفة والمكارم تبدي شجوها لنقده والمخاسن تعثر في

استحال حدادها من بعده وفنون العلم تلطم خدودها وافانين المعارف تشق برودها
والسالكون سطت عليهم حيرة وغوى لهم نهج وضل سبيل
والعارفون تنكرت احوالهم فحجاب عين قلوبهم مسدول
فما اعظمه منقوداً وما اكرمه موجوداً اتعب في حياته المادحين واطال بموته
بكاء الباكين وبكاه الفضل والكرم وندبه السيف والقلم وركب على الاعناق بعد
العتاق وعلى الاجياد بعد الجياد وعد مثابه في الاسلام مامة وفقد منه في العالم
من كان يدعي لكل مامة فانا لله وانا اليه راجعون تسليماً لقضاء الله واذعائاً لما حكم به
وامضاه وقد كتب على شهادة الضريح تاريخ وفاته الاديب الشيخ عبد المجيد الخاني
وهو .

لله افق صار مشرق دارتي قرين هالاً من ديار المغرب
الشيخ محيي الدين ختم الاوليا قر الفتوحات الفريد المشرب
والفرد عبد القادر الحسيني الامير قر المواقف ذا الولي ابن النبي
من نال مع اعلى رفيق ارخوا اذكي مقامات الشهود الاقرب

وفي ثاني يوم الوفاة اجتمع الاخوة والقراة للمذاكرة فيمن يجمع امرهم ويلم شعبتهم
ولاول وهلة اتفقت كلمتهم علياً ووجهوا الرئاسة اليّ واعطوني صفقتهم وظهروا لي
طاعتهم ثم اجتمعوا مرة اخرى ووضعوا ايديهم على المصحف الكريم وحلفوا به رافعين
اصواتهم انهم لا يخالفون كلمتي ولا يتجاوزون حوزتي وكتبوا في ذلك صكاً شرعياً
امضاه كل واحد منهم بخطه ثم ختمه بختمه ونص الصك المذكور

الحمد لله الذي بيده التوفيق الى اقوم طريق الصلاة والسلام على من اخذاره
الله تعالى من خير فريق وآله واصحابه اولى الصدق والتصديق اما بعد فالذي وقع
عليه اتفاقنا واجتمعت عليه كلمتنا بطوعية واخياراً منا ونحن بالاحوال المعتبرة شرعاً
اننا عموم العائلة نقول بل قلنا ونطقنا بقول واحد ونطق متحد حسب ارادة
مولانا المرحوم سيدنا الامير عبد القادر قدس الله سره المتكررة شفاهاً والمداونة بخطه
الشريف ان سيدنا واخانا الكبير سعادة الامير محمد باشا هو حاكمنا والمتصرف فينا
ولنا بما يراه صالحاً لنا ولاولادنا وجميع من يتعلق بنا وسائر لوازمنا يتوصل به الى
قضاء حوائجنا هو منوط به وراجع اليه بحيث لا نلحق لنا في ذلك ولا مداخله بنوع ما
والذي يراه حسناً لنا فهو الحسن والذي يراه قبيحاً لنا فهو القبيح لدينا واقناه في
ذلك كله مقام سيدنا ومولانا قدس الله روحه العزيز وكل من شذ منا وسوت له

نفسه الخروج عما وقع عليه الاتفاق واجتمعت عليه الكلمة فنحن برآء منه ظاهراً وباطناً
وقولاً وفعلًا وبالجمله فنحن جميعاً يكون حالنا مع سعادة سيدنا المذكور كحالنا مع
سيدنا ومولانا المرحوم رضي الله عنه ومن بدل أو غير أو سعى في التبديل والتغيير
فنحن ملزمون برده الى السواد الاعظم والى ما اجتمعت عليه كلمتنا وسطرناه في هذ
الورقة واشهدنا به على انفسنا وعلاوة على ذلك اننا نساله تعالى ان ينتقم منه لمخالفته
لنا في نفسه واولاده وماله وعياله وعلى هذا وقع الاتفاق وحصل الاشهاد وبالله تعالى
التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل لا رب غيره ولا خير الا خيره حرر وقرر في يوم
الاحد الواحد والعشرين من شهر رجب سنة ثلاثمائة والـف

ابراهيم بن عبد القادر الحسني الهاشمي محيي الدين بن عبد القادر الحسني محيي الدين
ابن مصطفى الحسني احمد بن محيي الدين الحسني محمد مرتضى الحسني محمد بن الحسن ابو
طالب الحسني عبد العزيز الحسن ابو طالب الحسني عبد القادر بن ناصر عبد الباقي بن
محمد سعيد الحسني علي بن الامير عبد القادر الحسني احمد بن الامير عبد القادر الحسني
عبدالله بن عبد القادر عمر بن عبد القادر عبد الرزاق بن عبد القادر عبد انالك بن
عبد القادر دلي بن فريجة محمد بن فريجة احمد بن فريجة

فقبلت منهم ما اتفقوا عليه وجعلت انظر فيما يصلح بهم في مستقبلهم ورفعت امرنا
الى والي احمد حمدي باشا فظهر من لطفه وانسه ما ملأ القلوب مسره والصدور حبه
وانهى في امرنا الى الاعتبار السلطانية وبينما انا انتظر الفرج والخروج مما وقعنا فيه من
الخرج اذ انقضى بعض اولئك الاخوة دلي وفوقوا سهام العداوة الي واطهروا الخروج عن
تبعيتهم للدولة العلية وعدلوا عنها الى الدولة النخبة القرناوية واصبحنا على غير ما امسينا
عليه اعني باطلا لا لعله بل خالف تعرف ولما تعين لنا من احسان الدولة العلية ما تعين
وجاءت البشرى به بعث والي الينا وبشرنا بذلك وامرنا باجتماع الكلمة والرجوع
الى ما وقع عليه الاتفاق اولاً وبصحة التمسك باذيال الخلافة الاسلامية العظمى نظراً
لوجوب طاعتها والاذعان لها شرعاً وتعطفها علينا واحسانها بنا احسنت الينا فما التفتوا
الى ذلك بل اصرؤا على ما هم عليه من الخلل لئلا تلك الدولة ولما علمت صدقهم في
التمسك بها والانتساب اليها عينت لهم مرتباً كفيلاً وتميز الفريقان وعلم كل أناس مشربهم
وباغوا مما قصدوه وأرهبهم وكان والي لخر قسمة ما رتبته الدولة العلية للعائلة منتظراً
بذلك فيئة الجماعة والعدول عما هم عليه ولما ريس منهم عين لي ولما تبعتني من الاخوة
والقراة واعيان المهاجرين ذلك المرتب وبالجمله فقد اوردتنا الدولة العلية موارد كرمها

وافاضت علينا سجال انعامها ولما انتشر خبر البشري بانعام الدولة العلية علينا انتدب اعيان ملل دمشق لكتابة عرض مخضر يشتمل على اداء الشكر وصالح الدعاء لحضرة سيدنا ومولانا امير المؤمنين وقدموه لدولة الوالي وهو رفعه للمقام العالي فحاز القبول ثم ابتدر المماجرون الجزائريون الى المشول بين يدي الوالي وقدموا له شعائر العبودية مع عرض مخضر الشكر والدعاء على نحو ما كتب اهل دمشق فاكرم وفادتهم واحسن مواجهةهم ولما استكشف امرنا ووقف على حقيقة صدقنا شملنا بانظاره واغنانا في نجاح مقاصدنا عن غيره فتعمده الله برحمته والحقه باهل جنته وادام ايام مولانا السلطان الاعظم والخاقان الانجم امير المؤمنين السلطان الغازي عبد الحميد خان الى آخر الدهر ان امين

﴿ ذكر رسائل التمازي والمرائي ﴾

لما وقع الامير في قبضة المرض وعرض له من شدائده ما عرض . شاع امره . وبلغ الملوك واعيان العالم خبره . فلما انتقل الى سعة عفو الله نعيته بالاسلاك التلغرافية للذين كانوا يترقبون ما يبلغهم عنه فوردت عليّ منهم اجوبة الناسف والتعزية بالتلغراف وهي وان كانت متقاربة اللفظ والمعنى اقتضى ان مقام اثباتها بحروفها

﴿ فنص جواب المصدر الاعظم سعيد باشا ﴾

اخذت تلغرافكم بخصوص وفاة والدكم فاوجب لدى الحكومة السنية غاية الاسف فنعزبكم ونبلغكم ان تعطفات الحكومة للسنية الجلييلة سندوم في حق عائلتكم كما كانت

« ونص جواب وكيل فراشة امير المؤمنين في الحجرة النبوية »

﴿ السيد احمد اسعد افندي ﴾

خبر وفاة السيد والدكم موجب لاسف العظيم اعزي العائلة واتوسل الى الله تعالى ان يلمحكم الصبر

﴿ ونص جواب الاستاذ الشيخ محمد ظافر المدني ﴾

المصاب جليل والصبر احمد نعزي كفة العائلة ونرجو لكم بلوغ المأمول

« ونص جواب الاستاذ شيخ السجادة القادرية ونقيب الاشراف ببغداد »

﴿ السيد سلمان افندي ﴾

صبر جميل والله المستعان على ما جرى به القضاء بوفاة السيد الوالد الانجد المبرور فانها مصيبة اربت على جميع المصائب وحلت منازل الاشراف بمجموع النوائب فجرت الدموع من العيون كالعيون انا لله وانا اليه راجعون احسن الله عزاكم ورحم والدكم ورزقكم الصبر وعظم لكم الاجر واقر بكم عبود المجد وجعلكم كما نوءمل فيكم خير خلف لخير سلف

« ونص جواب الاستاذ شيخ السجادة الرفاعية ونقيب الاشراف بحلب »

﴿ السيد ابي الهدى افندي الصيادي ﴾

اخذت بتغرافكم المعلن بارتحال والدكم الاكرم الى دار النعيم فطالعت به غاية الحزن واني ابتهل الى الله تعالى ان يحسن لذاتكم الهاشمية ولجميع العائلة العالية الصبر والثبات على هذا المصاب

﴿ ونص جواب رئيس الجمهورية الفرنسية ﴾

ان الاخبار الاخيرة التي بلغتنا عن صحة الامير والدكم جعلتنا ننظر النهاية المكدره التي آلت اليها واخبرتمونا انتم بها الان بتغرافكم ف نحن مشتركون معكم في الكدر الملم بكم وفي حزن سائر العائلة فينبغي ان تصدقوا بما نحن عليه من الميل اليكم والاهتمام بكم كما اننا نعتمد على اخلاصكم

﴿ ونص جواب وزير خارجية فرنسا ﴾

علمت مع الاسف الكثير وفاء والدكم الشهيد وفرنسا تشترك معكم في اظهار الحزن العمومي الذي احاط بالمسلمين والمسيحيين معاً اشكركم على التعريف بالواقع واعتبر علامات التعلق التي اظهرتموها كدين باسم فرنسا

﴿ ونص جواب سفير فرنسا في الاسكندرية العالية ﴾

انني اشترك معكم كل الاشتراك بالكدر الذي ألم بكم وبالاحزان التي حاقت بعائل

الامير عبد القادر الذي طالما سلك مع فرنسا بطريق الشرف واعد نفسي سعيداً
بكوفي اهدىكم السلام كوارث واقدم لكم الشكر على ما اظهرتموه من علامات المودة
لحكومة الجمهورية التي ساعرب لها عن ذلك واما صداتي الشخصية فمحفوظة لكم

﴿ ونص جواب وزير خارجية انكلترا ﴾

وصلني تحريركم المخبر بوفاة الامير والدكم فاؤكد لحضرتكم ان هذا الخبر قد
كدرني جداً وجعلني اشترك معكم ومع عائلتكم في هذه الخسارة ولي الشرف في هذا
الاشترك

﴿ ونص جواب وزير خارجية هولاندة ﴾

ورد عليّ تحريركم الذي تفضلتم فيه بالافادة عن وفاة والدكم الامير الشهير فلذلك
بادرت باشتراككم في الحزن على مصاب والدكم العزيز واظلم لكم طول العذر
والنجاح وارجو قبول احتراني لكم
ثم تواردت علينا مكاتب التعزية والمرثي من سائر الاقطار اثبتنا منها هنا ما وقع
عليه اختيارنا اقتصاراً واخذصاراً . فمنها مكتوب الوزير الشهير خير الدين باشا الصدر
الاسبق . ونصه المقام العالي النسب . المرجو من هلاله ان يكون بدرّاً كاملاً في سماء المجد
والحسب . السيد محمد باشا اكبر انجال الامير . سيدي عبد القادر الشهير افاض
الله تعالى عليه الصبر الجميل

اما بعد السلام فقد احزننا النبأ العظيم الذي لا محيص عن تلقيه بالقبول والتسليم
من ارتحال المرحوم السيد والدكم فيا له من خطب كدر النفوس والله تعالى المسؤول
ان يجزل ثواب آله ومحبيه على فقده ويجعل عقد بنيه على احسن انتظام من
بعده ودمتم كما رمتهم والسلام

ومنها مكتوب المشير جميل باشا ابن نامق باشا ونصه . حقاً اقول انه قد
دهمني تأثير عظيم . لما طرق سمعي خبر وقوع الامر السماوي الذي اجري حكمه
المخنوم . في بيتكم العالي وقد حل في قلبي فلكه . وربط لسانني فنعته . وتاكّدوا
سعادتك انني است تبالغ بهذا القول ومن ثم كان سكوتي حتى الان عن ايفاء
سنة التعزية خلافاً للروابط القلبية هو امر غير اختياري وهو من جهة مطابق لقول
ورد في الحكم لا وسيلة لزوال الغم عن القلوب . غير التزام الصمت عند شدة الكرب

وحيث كانت درجة اشتياق عاجزكم القاي الى سراج مجلس الوحدة كلاً هو معلوم لدى سعادتكم فاتمنى ان تفضلوا وتحكموا بانني صادق الجنان وبذلك اكون اول قائم بالتعزية التي اقصى آمالي بها الحصول على تسليمة من قبلكم بسنتها وان تثيقوا ان هذه الآمال هي التي كانت شاغلة من جهة اخرى ايضاً للبال فهذه العمرك هي بواعث السكوت فانظروا سعادتكم كيف تأثيري وما فعل بفكري ووجداني ولقد علمت الان بوجوب تلقي حكم الله تعالى هذا بالقبول والرضاء فانتهيت وليقظت من غفلة تلك الدهشة المظلمة وقت متفقدا مهام مأموريتي مبادراً لاجراء مقنضيات الاخلاص غير ناظر الى كون الاتيان بذلك البحث يزيد في غمي وكدرى واني اختم قولي بالدعاء بوقاية آل بيتكم الكريم من كافة الاكدار وهم محفوفون بالعافية والسرور ما دامت تلك الروح المقدسة الراجعة الى ربها آمنة مطمئنة راضية مرضية متلذذة بالنعم المقيم منعمة بتجلي الجمال من المولى العظيم والارادة لحضرتكم افندم

ومنها مكتوب السيد اسعد افندي وكيل فراشة اميرالمؤمنين ونصه

بعد ازكى التسليم واسنى التكريم قد ورد لمحجكم ما كدر خاطره من وفاة علامة الاقران ونادرة الاوان من كان كالبحر لا تكدره المسائل ولا يزحزحه عن مرتبة الفضل قول قائل والله يعلم ما عندي من الاسف ولا ينفع الا التسليم لقضائه والرضا ببلائه والصبر على هذا المصاب الذي ملأ الفؤاد ارتياحاً وتطير له القلوب انصداعاً وهذه سبيل درج عليها الاول والاخر وقضية استوى فيها الضعيف والقادر وغير خاف جناب سيادتكم ان جوار الله خير من جواره وان الدار الآخرة خير من داره ثم بعد ثاني يوم وفاة المرحوم وصل تلغراف لولي النعم بوفاته وعند العرض عليه كنت حاضراً وقرأ ولي النعم الخبر بانتقاله فحصل له غايبة الاسف وبدأ بالدعاء له وقرأ الفاتحة واهداها الى روحه الشريفة وبدأت اصف مناقبه الشريفة وهو يتحسر على فقدته وكذلك وصفت له سيادتكم والانجال الكرام قربنا يجعلكم خالقاً باقياً فاتحين موضعه ولا يغلق لكم باباً هذا ما لزم مع تبليغ سلامنا على اخوانكم الكرام فرداً فرداً وبلغهم مني العزاء ولا زالت اياديكم الكرام مبذولة على الدوام ودمتم في عز وسرور وانعم حبور (ومنها) مكتوب ابن عمنا العلامة السيد الطيب بن المختار بعثه من محل اقامته في القطر الجزائري ونصه

هذا هو الرزء لا الرزء الذي غبرا فليتنى كنت قبل اليوم تحت ثرا

هذا بغم جميع الخلق قاطبة
انساني فقد امير المجد فقد اخي
لم تبق لي رغبة في العيش بعدك يا
يا عين ابكي دماً يا قلب مت كدماً
فلو رايت بنات العم ساخنة
اما انا فعدو الدين يرحمني
يحق لي قتل نفسي لو وجدت له
فلا كمثلي في الايام من احدي
جل الخطب وعظم المصائب . واستحكم الامر وتعددت الاسباب . فخرس اللسان
وفارق سقره الجنان . وشل الذراع . وتبدلت الطباع . فالحال غير الحال وانا غير انا
اشكو بشي وحزني الى الله . وحقيق على العبد ان يفرغ الى مولاه . ربنا افرغ علينا
صبراً ولا تحرمنا مشوبة واجراً اما بعد فيا سيدي ومولاي المتصور عليه بعد والده
رجائي ومناي الامير الاسعد . والامام الانجد . سيدي محمد . ويا ثاني الاميرين
واصغر الشقيقين . وقرب المحبين . واحب الاقربين . سيدي ومولاي محيي الدين . ويا بنت
عمي وعمتي . ونخل شقيقتي . المشهورة بالحنانة والمعروفة بالديانة والصيانة التي ما قصرت
عن بلوغ درجة الرجال الكاملين . ولا وقفت دون غاية امهات المؤمنين . في معرفة
الصواب وحسن السمات سيدتنا ومولاتنا الست ويا بقية الاولاد عمومًا من غير استثناء
. واولنا ذوي الالقب الرفيعة والكفى اني والله لا اجد وجهًا لتعزيتكم ولا مساعًا
لتسليتكم اذ لم يصب احد بمصابنا فنكون به نتعزى مع اشتراك المعزى اذ ذاك في
المصيبة والمعزى فلا ادري اعزى نفسي ام اعزىكم اسليها ام اسليكم وان كان في
من ومن فانا لله وانا اليه راجعون كلمة يعتمد عليها اهل المصيبة العارفون نعم بكل اعتبار وتلى
كل حال وان تعذر سبيل التعزية وضاق المجال نعزى خلافة مولانا الامير الكبير
ونائبه في مراعاة الحقوق وحسن التدبير الامير الاوحد سيدي ومولاي محمد اسعد الله
ايامه واعلى مقامه ونشر في سماء السيادة الاميرية بنوده واعلامه فليتعز سيدي بسيد
الوجود في ايجاد كل موجود النبي العربي القائل من عظمت عليه مصيبتة فليتذكر مصيبتة
بي فبذا من تلقى قوله بالقبول واطاعه وقال لامره سماعاً وطاعة اعز به وانا هنا اعزى وان
كنت لا ارى بن يتعزى ولا بن اتعزى لعدم المثل واستحالة وجود انشكال ثم ارجع واقول
انا معزوك انا على ثقة من الحياة ولكن سنة الدين

فلا المعزى يباقي بعد ميته ولا المعزى وان عاشا الى حين
وينبغي ان يختم الكلام بما يناسب ان ينتظم في هذا النظام لنسبة المقام بالمقام
يتبين توأمين عزى بهما بعض العرب المتقدمين والحكماء الاولين سيدنا عبدالله بن عباس
وقد جلس للناس يرسم التعزية وانقرده لهم بعلية وهما
اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية بعد صبر الراس
خير من العباس صبرك بعده والله خير منك للعباس
وكان هذا العربي هو آخر الناس في تعزية ابن عباس فرجع اليه بهما فكره وقال
والله ما عزاني احد غيره فعذراً سيدي فالحال لا يخفى عليك وما انا فيه غني انت فيه
عن شرحه وكان اعتقادي انه ليس في الامكان وجود مصيبة تنسيني مصيبة اخي وشقيقي
وانيسي ورفيقي حتى فاجاني خبر سيدي ومولاي شهد الله علم الله لو وجدت ان افديه
بنفسي لعلت والى الان فارجو من الله ان يرزقك عنايته وان يورثك مقامه وان تكون
لنا كما كان لنا ويديم عزك وعلاك ويحرس سناءك وسناك والسلام

﴿ ومنها مكتوب الفاضل الشيخ مصطفى الامام ﴾

وانصه الى حضور سيدي وفخري وابن سيدي وسندي ومولاي وذخري صاحب
الشان الساني الشان والشرف الرفيع الباذخ الذي ذات له الراسيات الشوانخ وزلات بمدائحهم
الآيات البينات الرواسخ التي لا يرد على بنيانها ناسخ مشيد مباني اركان المكارم والمعالي
المقدم في نتائج الفضائل وغيره التالي الامام الذي اقتدى به علماء الامصار واهتدى
بعلومه الحيران من الاولياء والانصار واقتبس من مشكاة نوره خواص اولى الالباب
والابصار احيا الله به معالم العلوم الدارسات فملكها والملك لمحي الاموات كان رضى الله
عنه بعيد مسافة العزم رابض الجاش شديد الحزم كما قيل لو شاهدته عيون النجوم جرت
في التربيع سعداً او صاغت راحة الغمام امطرت كرمًا ومجداً احاديث المكارم عنه تروى
فتشفى بها المرءة على شدة ظلماتها وتروى

والناس كلهم انان واحد يتلو الثناء عليه والدنيا فم

له قوس سره في كل شرف فخر ملي وفي كل فضل ومجد قدم علي عرف عبير عطر
عرفانه عطر المعموز وشرف شذا مسك نشر شمائله في الافاق مشهور بصوت صيت
صداه طار باجنحة المدح والحمد في سائر الافطار فكم سعي حاج لكعبة عرفانه من اولى
البصائر وكم سعد في حرم حمايته من القى السمع وهو شهيد حاضر الضائر حيثما اضاء

بطاوع طاعته نور الصباح وانفجر فتفجرت عيون الحقائق وفتح الفتاح فنادى
معلم علوم عرفانه حي على الفلاح فقامت اكابر العرفاء خلفه صفوفًا صفوفًا
وظلت اعظم العلماء والفضلاء بسدته عكوفًا وبينما هم في اطيب وقت واكمل حالة
يتمتعون حسنه واحسانه وجماله نادى منادي العظمة والجلالة السلام عليكم يا اهل
بيت النبوة ومعدن الرسالة هذا هازم اللذات الفانيات ومفرق الجماعات والباقيات
الصالحات فلقد فرق جمعنا وافزعنا فراقه مع انه امن من الفزعات ولقد تكدر ذلك
الصفا وعظم به والله المصاب وقلنا على الدنيا العفا

عظيم مصاب مقعد ومقيم له كدر بين الضلوع مقيم
ونازح خطب حارب الصبر والكري فاصبح كل وهو عنه هزيم
وحكم اذل الفضل عند اعتزازه واوهى لركن الدين فهو سقيم
الا انما عين المعالي غضيضة وان فوءاد المنكرات كليم
اقامت على قبر الرضا عاطر الثرى سحاب ورضوان فليس تريم
الى ان يعود القبر انضر روضة بها التبت شتى يانع وحميم
وحيثما فاقت من سكرتها بعدما خنقت بعبرتها تذكرت بعدما تفكرت ووجدت
فشهدت وانشدت

ما بال ايدي النائبات تحنون وتديم رصف المجد وهو رصين
يا دهر لا عني عليك ولا رضى كل المصائب بعد ذاك شهون
تعد الورى البؤسى فتسرع صدقها واذا وعدت بما يسر تميم
لو كان يجدي النوح ميتًا قبله نفعًا لناحت اعصر وقرون
يا واعظًا بسكونه حركاتنا ولأنت بالوعظ المفيد قمين
امسى ضجيع الرمس الا انه في قلب كل موحد مدفون
حفتك رحمة ذى الجلال وعفوه وسرت محاسن ما صنعت حواملاً
وما احس قلب المشتاق بعظيم الم المصاب وحرقة الفراق بعدما صحا موجوداً
فصاح مفصحاً ومنشداً

لم اقض من يوم الفراق شؤني نقضت ان لم اجر ماء شؤني
الاجود بالنفس النفيسة فيهم واشح في شبيني بدمع عيوني
ما لا يواد يطيعني شغفا بهم وعن التصبر عنهم يعصيني

وادرت طرف العين نحو ديارهم
 وتنكرت بعد التعرف واغثدت
 فالعين تنكرها لفرط عفاها
 وسالها عن جيرة كانوا بها
 فاستجمعت واجاب عنها حالها
 غربت بدور منزلي من افقها
 وتقوضت مني قباب فصائلي
 مولاي عبد القادر الخبر الذي
 نسل التهامي المصطفى ماحي الردى
 رب المعارف والعارف تلك لا
 يمر تدفق بالعلم اذا طمت
 ادب كمثل الروض رف نباته
 اسفى على من فض عقد نظامه
 عبثت به ايدي المنون فقطعت
 حتى ثوى في التراب تحت صفائح
 بكرت على جدث له وسمية
 تزجى ركائبها حداة جنائب
 فسقى اصول مكارم تحت الثرى
 فقضت نلي بآنة وحنيني
 كئثال شك لاح بعد يقين
 وانقلب يعرفها محل العين
 زمنًا ثووا في ربيعها المسكون
 ولرب حال للجواب مبين
 وغدت وراء التراب ذات كون
 لما انتهى للحي محيي الدين
 احيا العالم وفات فخر الدين
 مردي العداة بسيفه المسنون
 باغي العالم وتلك للمسكين
 امواجه اغرق كل سفين
 غب الحيا من وقع كل هتون
 فنشرت من عيني در جنوني
 اسلاك ذاك اللؤلؤ المكنون
 فعميت حقًا انه من طين
 ذات ارتجاس بالحيا ودجون
 بسياط برق مع رعود لجون
 بسقت لنا زمنًا فروع غصون

قال تعالى لنبيه الصادق المأمون انك ميت وانهم ميتون فان الله وانا
 اليه راجعون تسليماً ان له الخلق والامر فقد والله اشتد كربنا حتى اطار قلبنا
 وضاعف المنا وصبراً على هذا المصاب الذي اعقب القلب حزناً مدى الاحقاب
 وانتم اهل بيت يتلقى امر الله بالنسليم ويلقى الخطوب الصارعة بقلب سليم ولولا
 ان التعزية سنة مشروعة وطريقة متبوعة لما اوردنا هذه المقالة ولا ابتدأناكم
 بهذه الحالة فله الخلق والامر وليس علينا الا الصبر والاجر ونسأله تعالى ان
 يجعلكم خلفاء بعده في كل فضيلة ومقام يجاه جدكم اكرم الرسل العظام ونسألكم ان
 لا تنسونا من مكاتباتكم فانا نرجو منكم ما كنا نرجوه من حضرة سيدنا وسيدكم
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته اهل البيت انه حميد تجيد هذا وارجو من
 شيم المكارم ان يكون كتابي هذا بالخصوص اليكم وغب ما ائتلونه يكون منكم كرمًا

وجوداً لجميع أبناء سيدنا وولي نعمتنا نقرونها على كافتهم وتكون عني بيلوغ تعزيتي هذه اليهم باجمعهم وان يكن من المعلوم ان اللائق تخصيص كل منكم بكتاب ولكن قسماً برب الارباب اني كتبتة والقلب في غاية الحزن والاكتئاب ودموع العيون تجري بانصباب وقسماً به تعالى من حينئذ سمعت هذا الخبر اصاب عيني شيء ما عهدته والى حد تاريخه أهو رمد او غيره ما عرفته فاسأله تعالى ان يتم بالخير ويصرف عن عيوني هذا الضير انه التقدير ودمتم

﴿ ومنها مکتوب العالم الفاضل الشيخ ابراهيم الاحدب ﴾

ونصه احمد من لا يحمد على المكروه سواء ولا يلجاء عند المصيبة بغير حياء واصلى واسلم على من عظمت بمصابه الرزية وعمت بنقده الارزاء عموم البرية وعلى آله الذين اشتدت بهم النوائب وصحبه الاولى اصاب بهم الاسلام سهام المصائب اما بعد فقد راع الخطيب مؤاد المعالي وقرع الكرب هام العوالي واطلق العبرات ونجاء الانفس بالحسرات بنقد الامير الجليل والسيد الذي وجه عرفه جميل حامي حمى الاسلام وسيد من سما من ابناء سام غوث الطريد وخلف القصيد ومنتجع الآمال ومحط رحال الاقبال ومفرغ من راعه زمانه وعدا عليه سلطانه ونائبه نوائب الدهر وانصرف عن حاجاته عمرو المولى الذي اعز جنابه واطردت كل رنج انسابه وطوقت كل انسان اياديه وغدت نحو كل طالب غواديه وطافت صلاته بعوائد لطائفه وتكر من الفقر من تعرف بطيب عوارفه سيدي المعروف وغوث كل ملئوف وحصن الدين الحصين ونقاب عصاة المسلمين من فقد بنقده الصلاح والزرع وقرع كل هام مصابه وصدع فلقد اجري عبرات الشؤون واوجب نزع دماء انقلوب من العيون وزلزلت الارض بما صدم واسودت الدنيا بما من الظلام هجم وارتاعت الامة بما ناب من الاهوال والقي عليها من الهموم الثقال فشقت انقلوب فضلاً عن شقى الجيوب فكم قلب مملوك للامى وعين جارية ونفس تسيل بنار في الاحشا وريّة ولسان اعثقل من فرط العويل وسمع اصم بوقع هذا الخطب الجليل وهيئات ان تقوم جوارح انسان بواجب ندبه المشروع ومحمول رزئه الذي هو على كاهل كل شريف موضوع فان الله وانا اليه راجعون هذا قضاء ما كان بعد انبي الاعظم مثله ولا يكون قد عظم به الامر ولا بقى من هوله حصن صبر ولولا الناسي بعالكم من بعده لذاب كل فؤاد من الاسى على فقد فانيكم تحيون رسوم

المكارم وتثيرون من شهب انواركم المعالم وتعيدون ما اندرس بالمصائب وانطدس بصدقه
النواب فيتروّح النقيذ بارواح انسكم ويستضيء بانوار شمسكم جادت ايدي الغوادي
ذلك الترب الطيب وانهل عليه من سحب الرحمة والرضوان كل صيب وحفظكم الله بالطافه
الخفية ولا غمزت قناتكم من عوادي الدهر رزية والقي عليكم الصبر وضاعف لكم بهذا
المصاب عظيم الاجر وجعلكم في امن من الاسواء وحصن حصين من طوارق الارزاء
آمين

﴿ ومنها مكتوب الاديب السيد حسن افندي بهم ﴾

ونصه بعد تقبيل اذبالكم تعرض انه لقد دهمنا الخبر الذي لم يبق بنا اثر بعد عين
ونعى لنا البين فقد ركن الملة والدين وعماد المسلمين وحامي حماهم ملجاء الفقراء وكهف
اللائذين سيادة الوالد الذي سرى الى رحمة ربه ورضوانه فكان يوم وفاته علينا يوم
المحشر ومصيبة الجميع بسيادته المول الاكبر فقدت منا الحواس وهد ركن اصطبارنا
وقوانا وشقت منا القلوب واسودت الدنيا في وجوهنا وطمطت الدماء من اعيننا فايضت من
الاحزان وكيف لا نبكي من كان للدين قواماً والملة حامياً ولاهل الفضل والصلاح اماماً
وكيف لا نخزن على غياب شمس الوجود والفضائل والكرم وحسن الشائل عين الكمال
وتاج الايام وسيد الخاص والعام وركن المجد ونفر الاسلام اي قلم يستطيع على وصف
ما نابا من الاسف الشديد والكدر الذي ما عليه من مزيد اي لسان وبيان يقدر على
استيفاء ما خصه الله به من الكمالات واولاد من المكرمات انا عنه لقاصرون فوا مصيبتاه
واسفاه على هذا الخطب الجسيم والمصاب العظيم انا لله وانا اليه راجعون هذا ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون وهذا شأن هذه الدار النانية افرغ الله عليكم وعلى المسلمين
الصبر الجميل واولاكم به الاجر الجزيل والله يجعله من المقربين ويسكنه في غرف
الصادقين انه كان من عباده الصالحين وجزاؤهم عند ربهم مغفرة واجر عظيم وحفظ
وجود سعادتهم خير خلف خير سلف واطال المسلمين بقاكم وبعين عنايته
رعاكم آمين

« ومنها مكتوب الاديب الفاضل عباس افندي الايراني »

ونصه ايها الاميران الجليلان نيرا فلاك النسب الشاغل المنيع وقمرا الحسب الباذخ
الرفيع ادام الله مجدكما وبارك جدكما اقد كل اساني وعجزت قريحتي وجناني عن بيان ما

اصاب سلاله العترة الطاهرة خصوصاً والملة الباهرة عموماً لعمرك انها مصيبة تزعزعت منها اركان هذا الشعب المجيد وارتعدت منها فرائص الذين شغف قلوبهم حب ذلك المولى الجليل الفريد وتشنت شمل اهل التوحيد ونقطعت اكباد اهل الفريد والتجريد عندما سمعت منعاة ذلك الامير الوحيد فآه آه عما جرى من مبرم القضاء فضايق به القضاء الا تلك مصيبة اضرمت نار الجوى في هذه الافئدة والاحشاء وقد اشتدت عواصف البلا وهاجت قواصف القضاء على شان استاصلت الشجرة التي اصلها ثابت في الارض وفرعها في السماء فناحت لها ورقاء البقاء على افنان سدره المنتهى ويندبها المخلصون بالافق الاعلى فآه آه عما حل وصب وهوى ألا تلك الرزية الكبرى والمصيبة العظمى قد ارتفع الضميج وعم الصريح والعويل واحترقت القلوب وضجت النفوس واضطرم الفؤاد وذابت الاكباد لما سمع صوت منادٍ ينعي سيد السادات فآه آه من هذه النازلة التي منها سالت السيول وفاضت الدموع عن اعين اهل الوفاء قد ترزلات ارض السكون وانقطرت سماء القنون وانكسفت شمس العلوم واكفهرت غيوم المحوم وانهمرت مياه الغيوم وانطمست نجوم الشرق فزعزعت به الاركان ووهن العظم من اهل العرفان فآه آه من هذه البلية التي انهدم منها اثنان بنيان من الاسلام يا ابني رسول الله وحياتكما ان القلوب قد تأججت فيها الجمرات وتدفقت من الاجفان سيول العبرات والافئدة من هذه النازلة العمياء اني حسرات ليت شعري أهذه رجفة الرجعى والواقعة العظمى والطامة الكبرى ام ماتم سليل آل الرسول ومنعاة ذرية قرّة عين البتول فآه آه قد احاط ظلام الاحزان على شان ناحت القبائل وحنّت وانت قلوب الافاضل بما انهدم من ركن الفضائل وانطوى سجل المجد ومنشور الشرق الباهر الذي اتى بخصائل الاوائل فوا اسفا وواحزنا على هذا الفقيد المجيد والركن الشديد والطود العظيم والعلم المبين وحياتكما يا ابني رسول الله لم تكن سلوة لمحبيكم في هذا الفرع الاكبر الا انكما ايها الفرعان الاعليان تراثان فضائل ذلك الاصل الصانع البارع الفريد ونثران بما يفوح منه روائح نوافج خصائل ذلك الشهيد السعيد ونستعوض ما اقتطفت يد رب المنون من ايادينا في هذا الكرب الشديد ونسال الله ان يؤيدكم بتوفيقاته الصمدانية على اقتفاء أثره وآثاره لانكم ورثة نبهه واثنان دوحة جده وكواكب افق سعده

«ومنها مכתوب الاديب الشيخ طاهر السمعوني الجزائري وكان وقتئذ في بيروت»

ونصفه السيد الذي هو لمجد الاسلاف وارث والسند انذي يتعلم منه الصبر عند اشد

الحوادث شريف الامراء وامير الاشراف مولانا وسيدنا محمد الشيم والاصناف غب
الدعاء ببقاء ظلك الوارق الذي يستظل به القاصي والداني ودوام عرك وجهك
علي اقصي الاماني يعرض الداعي الذي لم يزل اليكم منسوباً وفي عداد الصادقين
في خدمتكم محسوباً انه بلغه النبا العظيم الذي اصم الاسماع واصمى القلوب وحكى
حزن الناس وصبرهم فيه حزن يعقوب وصبر ايوب فضاحت عليه الارض وهو يسير
في رحبها وودء ان لو كان في قلبها وهذا امر يشركه فيه الوف الالوف ممن شملهم
احسان ذلك القطب الذي سار فضله واحسانه مسير الشمس وصار اليهم احب من
المال والاهل والنفس فلم يجد غير حزن القلب ودمع العين والتسليم لمن اخناره لينزله
في جواره اعلی الحسنين وقد سلاه ان ذاك القطب قد خلف بك من يقوم مقامه
ويحيي مآثره وينشر اعلامه

ناسي بخير الخلق يا مفرد العلا ومن فضله لا يستطيع له حد
فان بك مولانا وسيدنا قضي فانك ما الورد ان ذهب الورد

﴿ ومن مكاتيب المسيحيين ما كتبه ﴾

« حضرة البطرك الانطاكي الاسكندري ونصه »

لقد انسدل على آفاق هذه الافطار المصرية الواسعة وشاح الحداد الذي التحقت به دمشق لابل
قد انبسط ذلك الثوب الاسود على جبال وبطاح الجزائر ومصر والشام فرنسا ايضاً لى سماعهن
السنة البرق تنادي بمحاول الخطب الجسيم ونظرهن وجوه الجرائد على اختلاف اجناسها
ولغاتها موثاة بشارات الحداد فقد من كان للجزائر ابنا واميرا خطيراً ولمصر كعبة
احترام ووقار وللشام بركة ونعمة ولفرنسا حليفاً اميناً عاقدته منذ اعوام طوال ابدى
الوفار والمسألة اما الامة الاسلامية فقد خسرت به اماماً فاضلاً طاهر الذيل ومثالاً
حبيباً للبسيطة الدينية والامة العربية استاذاً كبيراً طالما تيمنت ببركة انفاسه واما
الامة المسيحية فقد فقدت بشخصه الكريم ملاذاً قوياً ودرعاً منيعاً تكسرت على شفاره
لوف من السيوف كانت على حياتهم قاضية تذكر له سنة الستين وقلوبها لفيض بالمنة
والشكر الجليل والسنتها انتمدى بالثناء الرطب اما نحن ايها الامير الخطير فندع تابين
الامير الفقيده رهينة اقلام الجرائد اذ لا طاقة لنا على استيفاء تعداد فضائله وكمالاته
ونقتصر على ابلاغ سعادتك ما الم بنا من الاسف العظيم على هذه الخسارة المرة
وبواسطة سعادتك نقبل الى اعضاء العائلة الحسنية الشريفة الحسب والمجيدة النسب

شعائر مشاركتنا لها في النائر الشديد من حلول هذا المصاب العظيم الذي اذوى ارومة مجدها الاثيل ونقض رخص شرفها المجيد الحبيب ولقد كانت الآمال قد خابت لو لم لتعلق حبال الرجاء ببقاء من ورث عن الامير الفقيه محبة القوم واعتبارهم وثقة الامة واخلاصها اعني به شخص سعادتكم الكريم الذي جمع شتات الفضل والكرم والنباهة والانس فكان مخطط الآمال والقيت اليه مقاليد الزعامة على العائلة الكريمة فكان ابهى خلف لابهى سلف نسأل الله الذي كسر القلوب بوفاة الامير الماسوف عليه ان يبرها بدوام بقاء وحفظ وسعادة واقبال من شخصت عيوب الآمال اليه ويصون لفيف العائلة الكريمة النبعين خلفاء العزاء والفاء الخناء وهو تعالى خير مسئول

﴿ ومنها مكتوب الوجيه خليل افندي الحوري ﴾

« مدير البولتيك والمطبوعات في سوريا »

ونصه لقد شقت المرائر لا الجيوب وانكسرت الخواطر والقلوب للمصيبة العظمى والممة الكبرى التي جرححت اكباد العباد ورفعت لواء الحداد في كل ناد لفقد الهمام الاشهر والامير الابر السيد السند الذي ذاعت نعامه بين الملل والامم وعجزت عن بيان اوصافه والطافه السنة القلم والدكم الجليل المرحوم الذي فجعنا به القدر المحتوم انها رزية يعظم فيها الاسف وتعم الاحزان ومصيبة تضيق بها الصدور في كل مكان فبماذا آتيكما من التعازي والخطب اعظم وماذا اقول لكما واللسان ابكم لكن ما اشتهر عنكما من الفضل والرشاد والحزم والسداد يسلي البال ويعلق الامال بانكما لا تلقيان بذاتيكما الكريمتين الى مهاوى الحزن والكدر فلا فائدة منهما سوى فرط الحرقه والضرر والتسليم لاحكام المولى هو في كل حال بكما اولى واي سلوة لسعادتكما اعظم من اليقين بان فقيدنا الخطير انما انتقل الى فسيحات الجنان تغمده الله بالرحمة والبرضوان وجعل عوضنا بطول عمركما وحفظ وجودكما فخراً وذخراً للجميع انه المجيب السميع والتمس عدم اخراجي من دائرة الخاطر الشريف مدى الزمن وفي كل حال لكم الامر والمآل

﴿ ومنها مكتوب الوجيه نقولا افندي النقاش قال فيه ﴾

اما المعروف فالمقام يقتضي ان تفاض فيه العبرات وتعدد الزفرات وتفتت الاكباد وتلبس السواد ويندب الفضل ويرثي الشرف ويكي الكرم ويغمد السيف ويكدم

القلم ويعلم الاسف ويلم اللهم على مأمن النفوس ووافى الديار وغرث المستجير
وغيث الفقير ومعدن المكارم والعوارف ومخزن الفوائد والمعارف كل ذلك حزناً
وأسى على ذلك السيد السند الكبير الخطير الهام المقدم الشهيد المرحوم المبرور
والدم سيدي الامير عبد انقادر اذ توفاه الله والناس راجية طول بقاءه فكبر
الخطب وجل المصاب وكان الخلق في الكآبة عليه سواء لشمول الخسار في كل
الديار وعموم البلاء في اي الانحاء وما احد يجد من نفسه تجلداً ولا صبراً
ولا يرى لعين لم يفيض ماؤها عذراً فكيف انقدم لسادتي الامراء النخام في
هذا المقام . أبالأتبين والرتاء فهو يزيد في اقل الحزن والاسى ام بالأسية والتعزية
فهو اجل من ان يؤذيها مثلي لثلكم وعليه فلا يجدر بي الاموالاة الدعاء الى عزة الرحمن
ان يتغمد هذا الفقيد المجيد بعزير العفو والرضوان و يقيكم كل مكروه وحدثان
وباهمكم جميل الصبر وحسن العزاء معوضاً الامة بطول بقاءكم ودوام علامكم .

ومنها مكتوب الشاعر الاديب سليمان افندي صوله ونصه

دموعي لا يكفكفها العزاء تفيض وكل ديمتها دمه
علي ملك عليه الارض ناحت وسرت حين حل بها السماء

سبحان من هذا المصاب على مراده والصلاة والسلام على خير عباده الذين
اعنصموا بسرهم انكسروا واذا اصابته مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اللهم انا
نسألك بقلب منكسر وبدمع فخور ونفوس اليك بانبيائك المرسلين وملائكتك
المقرئين ان تسكب سمائب الرحمة والغفران على حضرة ساكن الجنان وليك الشاكر
الصابر الامير عبد القادر وتروح روحه كل حين بارواح عليين وتلاحظ اشباله الاماجد
وامهم السيدة الطاهرة بعين عنايتك القادرة وتحفظهم من سائر الاسواء وتفرغ عليهم
احسن العزاء انك اكرم الاكرمين وارحم الراحين اللهم بلوتنا ونحن غرباء واتحننتنا
ونحن ضعفاء فاسبغ علينا الصبر الجميل وامدد علينا خلك الظليل ببركة ذلك القيل
وانصر انصاره البهاليل الذين سلوا الحسام على اللثام وانقذوا عبادك في حادثة الشام
هب اللهم لهم اجرا غير ممنون والطف بهم يوم لا ينفع مال ولا بنون

آمين آمين لا ارضى بواحدة حتى اضيف اليها الف آمين

غب نقبيل اذيالكم الطاهرة والسوءال عن صحنكم اعرض بهذا اليوم العيوس
المعتم بالتحوس باغني الخبر المشؤم المصوب بالهجوم والغموم فآه ثم آه اقبلت على

طائفة الشوام تعزي تي بالملك الهام دموعها ذارفة والوانها كاسفة تقول انتقل انتقل لرحمة
الواحد الازل اميرنا الامير الطاهر السيد الحسيني عبد القادر فيا لها من ساعة مريضة
واخبارية فظيمة تحددت بها الحدود وتشققت القلوب قبل الجيوب وقامت بها مناخة
مصر على ابن يعقوب سيدي كيف اعزيك وعمن اسليك اقل القمر الباهر وغاض البحر
الزاخر وماد طود الاطواد وغيظ الحساد العالم العامل والمولى الكامل فلا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم

يا بهجة العيش ما للعيش بعدك من طعم اليه لذيذ العيش ينتسب
بيد ان من اتجأ الى الله كفاه وخفف عنه فقد اصيب الناس بخير المرسلين
وخاتم النبيين والتجأت لرب العالمين فخير الله تلك الصدقة وسكن تلك الدمة وكان
الله ائلاف عليهم من بعده ومعرفتي الاكيدة بالمعيتك الفريدة تبشرني بالتجائك اليه
واتكالك عليه وبانه تبارك وتعالى سيكفيك ويغنيك ويجهلك خير خلف . لخير سلف
لحقق يا مولاي ظني بصبرك الجميل وفضلك الجزيل واقبل تعزي تي المخلصة فقد خنقني
والله المبرة واولادي ينوحون حولي نواح المقلات ويخمشون الجباه والوجنات ويقولون
من خلف مثلك ما مات

فصرت اراه باقيا وهو ميت وكنت اراه حاضرا وهو غائب
ومثلك يا مولاي لا يحتاج الى وصية ولكن عملا بقوله تعالى فذكر ان نفعت
الذكرى واقباني عبدا لك كما كنت عبدا امينا لسيدي ايك المرحوم والرجا ان
تنوب غني وعن عبيدكم اولادي وابنتي وعائلي بتقديم التعازي لحضرة السيدة الطاهرة
والدتك ذات العصمة والحضرة اسيادي اخوانكم المحترمين ومن يلوذ بالمقام الشريف
وتشرفوني بخدمكم الجليلة عوضنا الله سلامتكم الغالية وجل عزاءكم واهلك اعداءكم امين

ورثاه قدس الله سره جماعة من ادباء العصر وشعرائه
فمنهم السيد محمد بن محمد المبارك الجزائري

فانه رثاه برسالة فائقة سماها لوعة الفجائر ودمة النواظر في رثاء الامير عبد
القادر . ونصها

بسم الله الرحمن الرحيم
سبحان من تفرد بالبقاء . وكتب علي ما سواه الفناء . وانزل على امام اهل

العرفان . قوله تعالى كل من عليها فان صلى الله عليه وسلم . وعلى من فوّض امره اليه وسلم وبعد فلما قضى القادر وحكم . بوفاة عبده السيد العلم . مولانا الامير . والقطب الشهير . واسطة عقد السيادة . وعين ينبوع السعادة . سيدنا عبد القادر ابن سيدنا نجي الدين عزيت بنقده شعائر الاسلام والدين . وابس المجد ثياب الحداد وصالت الخطوب باسنة السنة حداد . وخلعت الاكوان ملابس الانس . حزنا على من بكته الجن والانس . واكفهرت وجوه الوجود . لافول بدر الكمال ونجم السعود والشمس يومئذ كائلة الطرف كاسفة المحيا . والعالم في ذهول كنما احتست صرف المحيا وكان يوماً اطول من ظل القناه . واجر من دمع انقلاه

فلم اربوماً كنت اشبه ساعة . بيوم من اليوم الذي فيه ودّعا مصيف افاض الحزن فيه جدا ولا . من الدمع حتى خلته عاد مربعا . والله لا تقضى العيون الذي له عليها ولو صارت من الدمع ادمعا . وعندما قضى نفيه . وفارق آله وصحبه . عز العزاء . وضاق رحب الفضاء . واصم الصائح بنعيه الامناع . وزهد في الحياة الآمال والاطماع

الا في سبيل الله مهجة ماجد . يشاركنا في نديه المجد والفخر كريم افاد الدهر منه خلائقا . فايامه منه نعجلة غرّ يروع جيوش الحادثات يراعه . وينفي الاعادي قبل اسيافه الذعر فانه ثم آه لقد الحليم الاواه لقد انقض ركن الشرق والغرب فجعل الخطاب وعظم الكرب فيا لها من مصيبة بسهامها للقلوب مصيبة قد اطارت النفوس شعاعا وارتدت الفرائص ارتياغا

فيا وحشة الدنيا وكانت أنيسة . ووحدة من فيها للفرقة واحد لان هي اهدت للافارب لوعة . لقد عزت ترابا خدود الاباعد فما جابت الدنيا بسهل ولا اضحى . بطلق ولا ماء الحياة ببارد وليس احد الا تنجع لنقده وتكدر عليه صفو ورده الا جاهل ببقاهه المحمود او حاسد وكل ذي نعمة نحسود حيث كان رحمة لكل امة وهل يسمح الزمان ببثله بعد امه هيبات لا يأتى الزمان ببثله . ان الزمان ببثله للنجيل فوا اسفاه على بدر هوى من رفيع الذرى وقد كانت تهتدى بسناه كل الورى ووا حسرتاه على فقد من هو بغية الآمال . ثمال اليتامى عصمة للارامل لعمر ك ما الرزية فقد مال . ولا فرس تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد حررت يموت لموته خلق كثير
فاعظم به من مصاب به ترادفت الاحزان والاوصاب . جدير ان تسكب فيه العبرات
وتذهب النفس عليه حسرات وكيف لا يندب الندب على هذا الكريم الندب وهو بهجة
العالم وبخمة سيد ولد آدم

ففي كان كالتوريد في وجنة العلا وكالقد حسنا في فخور المراتب
فلا انطبقت عين العلي بعد فقدته ولا ابتسم الهندي في كف ضارب
وقد شيعه خالق لا يحصى عديدهم ولا ينادى وليدهم تشهد الكل من فرط الدهشة
حيارى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى يمجج بعضهم يومئذ في بعض كنهم فوجوا
بهول يوم العرعر ولهم زجل بذكر الله ترتج منه الارض فمنهم من اوشك ان تحنقه العبرة
تاليا آية ان في ذلك لعبرة ومنهم من نوات زفراته وتواصلت تلغياته وحسراته ومنهم من
كاد يتميز من الغيظ ويذوب من حر جوى اشد من نار القليظ ومنهم من تفتط قلبه
وغاب رشده وذهل لبه ومنهم من تجرع كاس الصبر فاحرز بذلك اعظم حسنة متملا
بآية لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وهم يناجونهم يا ابا الامراء يا كافل اليتام
وكافي الفقراء لقد فجعنا بك الدهر وسطا علينا بصوارم التهر فصبر جميل وحسبنا الله
ونعم الوكيل وهجيرهم في معاناة هاتيك الشجون انا لله وانا اليه راجعون وكلهم يتمنون
فداءه بالنفوس والآباء لو كان القضاء يقبل منهم الفداء .

يا بهجة العيش ما للعيش بعدك من ظم اليه لذيد العيش ينتسب
فاليوم انفسنا للدهر آمنة اذ ليس بعدك خطب منه ترلقب
فاذهب عليك سلام الله من ملك ما بعد منقده رعب ولا رهب
وقد احاطت بجنائزه طوائف البشر احاطة الهالة بالقمر والاكام بالثمر مخنوفة
بالملائكة الاخيار وارواح المقربين الابرار وهي ترفرف على الرؤس وتنبختر ولا
تبختر غروس وقد لاح عليها من انوار الجلالة ما كشف عن عين المشاهد عين
الاغيار وجلاله يكاد سناها يتخطف الابصار ويدهش الباب ارباب الاستبصار
تبادر حملها الخلائق لتلقي عن ظهرها اعباء الذنوب وقد شقت من شدة الاسف
عليه جيوب القلوب ولا جرم انها لو وضعت عن اعناق الانام لتوات حملها الارواح
العلوية والملائكة الكرام فهي الثابت المشغل على السكينة والسر المعبد وفيه بقية
ما ترك آل محمد وتلك آية ملكه في الدار الآخرة دون مين فنهيتا له بخاتمة
الحسنى وسعادة الدارين

يا دهر بع رتب المعالي بعده بيع الكساد رجحت ام لم ترجع
 قدم وأخر من تشاء من الورى مات الذي قد كنت منه تسفي
 ودفن مع استاذة الشيخ الاكبر ففاز برحمة ورضوان من الله اكبر في روضة ذات
 روح وريحان يشهد الجنان انها من رياض الجنان ولا غرو ان دعاه الى حسن
 جواره رجب الاصب لاشارة الحديث الشريف المرء مع من احب وفيه تنبيه على
 انهما من طينة واحدة فلهذا كان يقتفي آثاره ويتعبد معاهده وما زال يغترف من
 بحر فتوحاته ويقتبس من مشكاة تجلياته ويتحقق بنصوص فصوص حكمه ويتخلق
 بحسن اخلاقه وشيخه حتى حكاه في القول والفعل وسار على قدمه حذو النعل بالنعل
 فشيّد اركان الشريعة والطريقة فهو بحبي الدين في الحقيقة كان قدس الله سره
 العزيز يعرب عن دقائق المعاني بلفظ وجيز وله في فن التصوف المنقام الشامخ والباع
 الطويل والقدم الراسخ وواقفه الكريمة اعدل شاهد بكمال ذوقه في تلك المواقف
 والمشاهد على انه احرز قصب السبق في سائر الفنون وجمع ما تفرّق في غيره من
 حسن الاوصاف وبديع الشوهدون

وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
 زان العلم بصالح العمل وجري صيته في الورى جري المثل وانفرد بحسن السيرة
 وصفاء الطوية والسريّة حتى اعترفت له اعداؤه بجميل الثناء ولا ريب ان الفضل
 ما شهدت به الاعداء

فتى دهره شطرات فيما ينوبه ففي يأسه شطرو وفي جوده شطرو
 فلا من بغاة الخير في عينه قذى ولا من زئير الحرب في اذنه وقر
 دأبه قشاة حوائج الخلق واصلاح ذات البين وجبر الخواطر بما تقر به العين وهمه
 اقامة الصلاة وحضور الجماعة وذكر الله جلّ جلاله في كل ساعة تكاد احاديثه تندرج
 في حديث خير الانام وكيف لا وكلام الامير امير الكلام ولا بدع في ذلك عند
 كل نبيل نبيه فان الفرع يزكو بطيب الاصل والولد سر ابيه وكان في النداء والسماحة
 رحب الصدر والساحة يرتاح الى الوافد والوارد ارتياح الظمان الى عذب الموارد ويسد
 جزيل الفضل وجميل القرى فيقول لسان حاله . كل الصيد في جوف الفرا . وكم استوهب
 الذهب فلم يهب ان يهب صلاته تعم القريب والغريب ويصيب المرء منه اوفر
 نصيب بيد انها كانت لوجه الله وابتغاء رضوانه ودار علاه .

لقد علمته غاية الزهد نفسه فاصبح حتى في الحياة له زهد .

ولم أرَ بدرًا قبله حازه الثرى ولم أرَ بحرًا قبله ضمه الحد
وكان في الحماسة اسد الله ورسوله يجاهد في الله ويقاتل في سبيله وله وقائع
دونها شرط الحداد وخرط القناد قد سارت باحاديثها الركبان وعثر عليها كل قاص
ودان وهل ينسى ما اسلفه في الجزائر حفظًا للرعايا وصونًا للحرائر من فتكاته
العديدة وسطوته الشديدة

إذا شب نارًا افعدت كل قائم وقام لها من خوفه كل قاعد
يقدم على الجيش العرمم بنفسه فيشتت شمل انسه ويحله في رمسه ويدش الالباب
بوثباته عند النزال وثباته في كل معركة ومجال فهو الليث الغضنفر وحسامه الموت الاحمر
كان الاعداء ذلا وبوسا ولراحي الجود عزا ومالا
كان وبلا للعفاة هتونا ولاحزاب العداة وبالا
كان للناس جميعا كفيلا فكان الخلق كانوا عيالا

وانى لذوى الافهام درك غاية هذا السيد الهام وهو وحيد دهره وفريد عصره
قد منحه الله مكارم الاخلاق فمز وجوده في الامة على الاطلاق

يكاد يحكيه صوب الغيث منسكباً لو كان طلق المعيا يطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يجر والبحر لو عذبا
وهل تبلى ما ثره او تدرس مفاخره وقد قلد اجياد الزمان قلائد من تفوق عقود الجمان
ينبي المواقف عنه انه سند ويخبر الروع عنه انه بطل
يعطي فيجزل او يدعى فينزل او يوتى لمحمل اعباء فيجمل
اضعى لنا بدلاً منه بنوه بهر والشبل من ليشه اما مضى بدل

على انه مامات من بقي ذكره وظهر في اشباله كاله وسمه فهم سادة كرام
وقادة عظام تحالمهم لدى الوغي اسودا كاسرة وتحسبهم عند الندى بحورا ذخرة
اذا حل منهم واحد في قبيلة يشار اليه انه العلم الفرد

ولا سيما واسطة ذلك العقده وصاحب الحل والعقد سعادة الامير الاعظم السيد
محمد باشا الانغم من آذنت اخلاقه الشريفة بانه خير خليفة وهل ينكر ذلك لا
ذو جهل او حسد أليس هذا الشبل من ذلك الاسد

بلى واني ان الامير محمداً لقطب الرحي مصباح تلك المشاهد
حمدت الليالي اذ حمت لي جنباه واست لهذا الفضل منها بجاهد
جعل الله الجميع بخير خلف ووفقهم لاتباع سنة من سلف وافر بوجودهم عين

الوجود واجرى بهم عين الكرم والجود ما بزغت الشمس ولاح القمر وناح الحمام في
السحر على افنان الشجر فقال من ارقه البين وآلم موءرخاً وفاة فقيد العالم .
سار الامير الفرد عبد القادر الـ حسني اثر محمد والآب
اضحي نزيل الحاتمي اخي الندي حباها صوب الحيا المتوالى
فرثاه حسن ثنائه بين الوري وغدا يوءرخ غاب بدر كمال

﴿ نفثة الوجد والغرام في تعزية آله الكرام ﴾

الصبر اجدر في الخطوب واليق والحر يا بني ان يميل مع الهوى
والعيش ظل زائل في صفوه ما المرة في الدنيا سوى هدف غدا
يلهو بآمال كبرق خائب بينا يعلى بالاماني نفسه
ما فاز بالحسني سوى عبد له ما زال مشتاقاً الى راح اللقا
ذاك الامير الفرد قطب زمانه لبي نداء الحق مرتاحاً الى
قد حل عند الحاتمي اشارة فهو ابن محيي الدين طاب ثراها
جمعت شمله من الاوصاف ما وله مواقف كالمثاني ذكرها
ولحكمة العدل المبين سما به الـ والظالم قد طاوت بكماله
مذغاب عن عيني تخال مهجتي يا ليتني كنت الفداء له وهل
صبر جميل يا فوءاد فانه هو في سبيل الله افنى نفسه
او ما علمت على اليقين بانه والحزم اوفق بالنفوس وارفق
وبغير تقوى الله لا يتعلق كدر فلا يفررك منه رونق
بسهم انواع الرزايا يرشق وسراب قاع ماؤه يتفرق
اذ بات منه الشمل وهو مفرق قلب بمولاه الكريم تعلق
حتى ادير عليه وهو معتق من في العلى آثاره لا تلحق
روح وريحان شذاه يعبق لوراثه اضحي بها يتحقق
وسقاء صيب رحمة يتدفق هو بين ارباب العلى متفرق
ابداً على طول المدى لا يخلق غرب المبارك واستضاء المشرق
كل البلاد ومن عليها خلق فرط الاسى والروح كادت تزهى
من بعده تحلو الحياة وتعشق سهم على كل الانام مذوق
لشاهد منها المشاهد يعقق في الغيب عند الله حي يرزق

هذا وان عدنا بوحشة فقدته
فالسر في اشباله ووجودهم
مات من ابقى وخلف سادة
عقدوا على حسن الاخوة جمعهم
برعاية الشهم الهام محمد
مولى به ركن الامارة راسخ
يا معشر الامراء لا برحت بكم
ويعجدهم وجلالكم لا زالت

والقلب كاد من الجوى يتمزق
حصن لنا من كل خطب يطرق
بشأنهم جيد الزمان مطوق
فعدا الحسود بناره يتحرق
لمم بعين بالعباية يرمق
وعليه رايات المعالي تحقق
سحب المكارم والمراحم تغدق
أحباب تقبح والاعادي تفرق

﴿ ومنهم الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي ونفس مرثيته ﴾

اصم نداء الخطب للمجد مسمعا
وهذا منار العز تفح سمومه
تداعى له ركن الفخار وقد هوى
فلا كان يوم السبت يوم مصائب
وقد راع اصحاب العبا وقع حادث
والوى بعبد القادر الدهر عاديا
قضى نبجل محيي الدين سيد من سما
قضى من اياديه قلائد انعم
قضى من يرجى للندى والعلى ومن
قضى من له الملهوف يفرع لائدا
قضى من يرد الخطب صدمة بأسه
هام قضى نجباً وقد كان في الورى
عليه ثناء القوم اضحى بنديه
فكل فؤاد قد اصاب بخطبه
وضوح روض الفضل بالجدب سنة
لقد زلزلت ارض المكارم والندى
ودوحة مجد راعها عاصف الردى
واخرس لسن القوم هول مصابه

وراع المعالي والعوالى بما نعى
وما صد عن هام العلى حين صدعا
به كوكب العلياء هولاً بما دعا
فقد جاء ظهراً فيه للنجم مطلقا
بفقد امام جل في الكون موقعا
على قدر ما ساء الكرام وروعا
فسال عليه القلب مما تفجعا
فكم عقد احسان بها قد ترصعا
ترجى الاماني والمعالي به معا
اذا لم يجد من حادث الدهر مفزعا
وياؤن في عليائه من تدرعا
من الغيث اروي او من الليث اروعا
من الصبح اضوى او من الايث اضوعا
فراح عليه بالاسا متفجعا
وقد كان من جدواه بالخصب امرعا
وبيت العلى مما الم تزعزعا
وهبت بها النكبا سموما وزعزعا
وانطق بالحزن الجماد وبجعا

كما رجب الشهر الاصم بوقعه
 اهاج عويل القوم فيه بلا بلا
 على مثله شق القلوب من الاسي
 من الغرب وافى الشرق يحبي ربوعه
 وفي الشام قد اضمحى نزلاً فزاحت
 مناقبه تعيا المناقب بعدها
 تاصل نيل العز في باب جاهه
 وقد كان للراجي به الانس والهناء
 فاعلق باب الشعر مصرع خطبه
 واسبابه قد قطعتها يد النوى
 وكان لشعري من صلات جميله
 فاوجب فرض النذب نظم رثائه
 فيها انا ارثيه واندب عهده
 وكنت اهني النفس صوغ الهنا به
 فوا أسفي قد سار عنا مخلفاً
 سري نعشه فوق الرقاب وطالما
 فيا ويحهم ساروا بطود فضائل
 يشيعه الفضل الذي شاع صيته
 يشيعه بالفقه مذهب مالك
 يشيعه سيف صقيل جلال الصدى
 يشيعه الرنح الاصم اذا غدا
 يشيعه متن الجواد الذي سري
 يشيعه بيت من الشعر بعده
 يشيعه المجد التليد وطارف
 يشيعه العرف الذي طاب عرفه
 يشيعه من حادث الدهر ضارع
 يشيعه بالطبع انات وآله
 عفاه على الدنيا بنقد جنابه
 له فتق الحزن المبرح مسما
 وطوق بالنوح الحمام المرجعا
 يرى فرض عين ان همت فيه مدمعا
 فاشرقه بالغرب ما فاض ادمعا
 به مطلع النيرين والقطب موضعا
 وان اظهرت ما كان منها مبرقعا
 ومنه باقطار البلاد تفرعا
 اذا اوحش الدهر الاريب وضيعا
 بمدح فلم يفتح لراجيه مصرعا
 واعجب الاسباب ان لنقطعا
 عوائد فيها كان بالجود مبدعا
 لما كان بالاحسان فضلاً تطوعا
 وارعى اياذيه اذا قل من رعا
 فاصبحت ايدي الرثاء تفجعا
 نوائب نابت كل قلب تمزعا
 عنت لمعاليه العريقة خضعا
 به كل قلب من جواه تصدعا
 وعز علينا ان يكون مشيعا
 فقد كان بالرضوان منه تمتعا
 به اذ تروى من دم النحر مكروعا
 ببطعنه من ضل للعق مسما
 به لم يدع في السبق لاقوم مطمعا
 غدا بنواحر في النواحي تغلما
 على هامة الشعري سناه ترفعا
 بانفاسه المسك الفتيق تضوعا
 لنقد علاه كان بالخطب أضرعا
 بأدابه الغر الحسان تعابعا
 فقد كان فيها سيد الكون اجمعا

فقدنا اماماً كان من شهب رايه
فيا راحل ابقى علينا مصابه
سريت الى دار البقاء من الفنا
يناديك من قد ضاق ذرعاً وظالماً
تواضعت للراجي بنفس هنيئة
ودست على كعب بنعمك في الندي
فكيف يوفي نذب فضلك شاعر
واني لارجو الفوز بالخلد في غد
بني حسن اتم مصاييح دهرنا
محببتكم فرض وعقد ولائكم
لذلك زى ان لا غلو بما به
فسر في جنان الخلد ريان بالتقى
ويا كوكبي فضل انار سناها
بكم قد تاسينا وان عظم الاسا
فنحمد في صنع الجليل محمداً
هما قرا تجد وفضل وسوء دد
فلا غمرت ايدي الخطوب قناها
ولا راعت الارزاه انجال سيد
ويحيون للعالياء معالم بعده
وبيت قصيد المجد لا اخلل وزنه
وحسي ان ادعو باخلاص نية

ثواقب لاحت في سما الدين طالعا
رزايا لها رضوى وهى وتضعفا
فكنت بيجنات النعيم ممتعا
مددت له كفاً من اللوح واسعا
وما كان صنع العرف منك تصنعا
فاصبح معنى الجود لفظاً مصنعا
اليك برفض المعتدين تشيعا
بجبك اذ ادعو مجيباً مشفعا
ومنكم جميع الخير فينا توزعا
يرى وصلة عند الآله ومرجعا
نصوغ لكم عقد الرثاء مرصعا
لديك جنى الاحسان بالغفو اينعا
لنقد سناء البدر بالبين اربعا
وجرع كلا خطبكم ما تجرعا
ونحي تبحي الدين قلباً مروءعا
وعلم وجود نحو طالبه سعى
ولا مدت الندباء لتقصير اصبعها
يلبون داعي الخير من قبل مادعا
وكل الى المعروف تلقاه مسرعاً
ودام لا قمار الفضائل مطالعا
لدى سيد من عبده يقبل الدعا

❖ ومنهم الشيخ طاهر السمعوني الجزائري فانه قال ❖

هذه مرثية فيمن شهد اهل الغرب والشرق بفضله . وعقم الزمان عن ان ياتي بمثله . الامير
الجميل مولانا عبد القادر الجزائري . كان له من زلال رضوان مولاه الكريم يوم الجزائري

خطب جسيم عم بالاكدار
لو يعتري صم الجبال لاصبحت
ولو اعتزى نوع النباتات لما غما
دكاً تذّر مثل ثر غبار
ولصار مثل التراب والاحجار
ما بعده اسواه من مقدار

ولو اعتري الشمس المنيرة اظلمت
ولو اعتري زهر النجوم نقضت
ولو اعتري البحر المحيط تطايرت
ولو اعتري النلك المدار لعطلت
خطب تبدلت الدموع به دماً
وغدت به الاكباد وهي كايحة
صعقت جميع الناس فيه كأنهم
ويحق ذلك وكيف لا والترب قد
مهدي هذا العصر وسطى عقده
الغوث عبد القادر السامي الذرى
مولى مناقبه تجل وتعلي
واحسرتنا للمعتفين فانهم
ذهب الذي قد كان يجبر كسرهم
يعطيهم الآلاف معتذراً لهم
واحسرتنا الاثدين فانهم
ذهب الذي يحميهم ويقيهم
ويقل عنهم غضب كل ملمة
واحسرتنا للطالبت فانهم
ذهب الذي يجلو الغوامض عنهم
ويحل كل دقيقة معتاصة
واحسرتنا لليل من ذا بعده
وينير طرته بابهى غرة
ذهب الذي قد كان براً عابداً
لحفي على الفقراء من ذا بعده
ويرد ناب البؤس عنهم تائباً
لحفي على اليتام ما ذا بعده
ذهب الذي قد كان خير اب لهم
لحفي على الادياء من ذا بعده

وغدا الانام بغير ضوء نهار
ونحنا بديع نظامها لنثار
اجزاؤه وتحولت لبحار
حركته ولدار غير مدار
تجري كغيث هاطل مدار
حراء حامية كجذوة نار
في طور سيناء اذ تجلى الباري
وارى امام السادة الاخيار
بحر الحقائق كاشف الاسرار
شمس الهداية مظهر الانوار
عن عيدها كلفطار في الامطار
من بعده في خيبة وخسار
وبئيب يمناهم اجل يسار
طاق الحياء بادي الاسفار
من بعده في ضيعة وصغار
ويذود عنهم اعظم الاخطار
نقراهم كالطير في الاوكار
من بعده صاروا بغير منار
من بعد ما اعيت على الافكار
بادلة يسكن كل عماري
يحييه بالطاعات والاذكار
تربي تحاسنها على الاقمار
مستغفراً لله في الاسحار
ينجيهم من غلب الاعسار
وينيل ما راموا من الاوطار
ياقون من ضيق ومن افتار
بوليهم فيض الندى المذار
ياقونه ببدايع الاشعار

ذهب الذي قد كان يغلى سعرها
صبراً على هذا المصائب وان يكن
فأله قد وعد الصبور مشوبة
لو كان في الموت الفداء فداء كل
أكنه امرئ على كل الورى
والموت عند ذوي البصائر نعمة
أرواحهم ترقى الى أعلى العلى
حيّ الكريم البر روحك بالرضا
وأدام طيب ثراك فضلاً انه
وانار قبرك مثل قلبك انه
واقر أعيننا القريحة بالبكا
لا سيما المولى الهام ومن غدا
السيد السند الامير محمد
وانا لهم خير الاماني انهم

❖ ومنهم الاديب حسن افندي بيهم البيروتي فقال ❖

باي جناح سامنا صرفه الدهر
وعن حسد ما نابنا من خطوبه
هو الدهر لم يحسن لمن كان قبلنا
يمد لنا بالنائبات اكفه
ويغني ولا يغني البقاء لغيره
ويحسدنا في كل شهم سمينع
فليس من الحزم الوثوق بعهد
لقد زادنا طعناً فادى قلوبنا
واورثنا ريب انوار مصيبة
لها الارض مادت والجبال تزلزلت
بها جاء ناعي البرق يرعد قلبنا
عشية عين الغرب حجب نورها

ام الدهر خب من خلائقه الغدر
وما نابنا الا الخديعة والمكر
ولا يرتجى خير الندى طبعه الشر
ليس لهذا المد عن مسنا جزر
ولا بد يوماً ان يذوق الردى الدهر
ولا عجب اذ كان في طبعه كبير
فما عهد الا الخلافة والخفر
وقابنا بالكسر فامتنع الجبر
لها ارتجت الافلاك وانقضت الزهر
لها صعق الاخيار قد قضى الامر
فامطرت الآفاق ما ضمه الصدر
دجى الشرق حتى لا يخال له فجر

مصاب به العليا تبكي اميرها
اجل مات عبد القادر الحسيني من
هو الجوهر الفرد الذي فيه ضمنت
امام هدى الله الانام بهديه
افاض على الارواح نوراً به سرت
قضى العمر شغلاً لم يذق طعم راحة
وقام بأمر الله حتى قيامه
يراقب وجه الله في كل حالة
غدا في جوار الله اكرم نازل
وكان اذا ما قال فالفصل قوله
به ملتقى البحرين للعالم والندى
وكانت اياديه ولا من بعدها
فمن اضعاف الناس يحى ذمارهم
فبالين يمتاه تفيض كرامة
فغيث اذا جذب المم وفيصل
فكم خاضها يروي الاوام بوردها
وان اعمل الصمصام انشد وقعه
وان شقى قلب الحرب يوم كريمة
شديد مراس زانه حلم قدرة
يلاقى عناد الدهر ثبثاً جنانه
ويلثم ثغر العز من جرة الوغى
سل الغرب عمن كان يحى زمامه
لقد كان فينا سيداً وابن سيد
بقية نحر العرب ما بعده لهم
وعهدي يخشى الموت شدة باسه
فقدناه والآمال ترجو بقاءه
وساعة ساروا يحملون سريره
ترى الناس غرقى في بحار دموعهم

وكل امرء من ذا المصاب به شطر
به سادت السادات وفتخر الفخر
خلاصة روح الفخر وانثيم الفخر
ولي ولكن ما لاسراره حصر
الى العالم القدسي يحملها السر
وما شغله الا التفكير والذكر
فعز به عرف وذلك به نكر
وما للهوى نهى عليه ولا امر
وبين ملوك الارض كان له الصدر
ومن شعرد الشعري ومن نثره الدر
ففي صدره بحر وفي كفه بحر
مناهل جود ليس يسبقها نهر
ومن لهم ذخر اذا بعده اضطروا
ويسراه عن سحب اليسارة تفتر
اذا اشتبكت حرب وحملها حجر
يكر وللأعمار من كره فر
لنا الصدر دون العالمين او القبر
يرى الموت طوعاً او يرافقه النصر
هو الحر لا يلوي وان مسه الضر
وان ناب خيم لا يزاح له ستر
مرابط ثغركم له ابتسم الثغر
تديك في صحرائه انهر حمر
عميم الايادي لا يخصصها قصر
ملاذ ولا ركن فاني لنا صبر
فيا موت ما هذا اما هالك الامر
وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
لقد عرفوا من هولما ما هو الحشر
على انه هول به اقفر البر

سكاري وما دارت عليهم سلافة
بكاه الديو والعلم والزهد والتقى
بكت قبله الخنساء صخرًا وانما
فيا ليت ما عشنا الى رجب به
قضاء قضى فيه المصاب بحكمة
وان تمنع الاقدار موتى فاني
لعمري ما الدنيا بدار اقامة
وتحسبها اوها منا ذات قيمة
لجاهلها عذب مذاق عذابها
فيا فوز من منها تزود بالتقى
به افتخر الاحياء لكن بموته
لئن مت يا مولاي والموت سنة
ولولا بنوه ورث المجد بعده
هم امل الراجين والسادة الاولى
ولا سيما الشهم الامير محمد
بساعد محبي الدين يقوى عيادها
حباهم جميعاً طيب العمر ربهيم
وامطر مولانا الامير مراحماً
الى دعوة الرحمن لبي مهلاً

نشاوى ولكن الاسى لهم خمر
بكته العوالي الزرق والبيض والسمر
على فقده جف الحيا وبكى الصخر
راينا عجابا ما اتى مثله شهر
وليس لمن لم يقض فيه أسى عذر
سابقيه حتى ينقضي بالبكا العمر
ولكنما الدنيا لدار البقا جسر
وما هي الا الصفر ليس له قدر
ولكن لدى اهل النهى حلوها مر
وكن كمولانا صنائعهم البر
تفاخرها الموتى وحق لها الفخر
ففضلك يجي في الانام له ذكر
طوى الموت تجداً لا يعود له نشر
على امراء الارض يسمو لهم قدر
عليه لتخليد العلى اخذ الاصر
هو العشد الاقوى يشد به الازر
والمصم صبراً يلزمه الاجر
وبلت ثراه بالرضا ديمة غزر
وآخر دعواه لك الحمد والشكر

ومنهم محمود افندي الشهاب الطراباسي فقال

ما للحاجر دمعها مستغرب
وشهاب افق الفضل يسرع نحواط
والشرق اظلم بعد وضوح نوره
او ما عجبت يا لقومي اذ غدت
ذهبت بافئدة الكرام فاصبحت
ومرائر الاحرار بعد افولها
والجد قد تحذ الحداد مدارعاً

لقد استحال دماً وذلك اغرب
باق الثرى جزلاً وفيها يغرب
ولفقده امسى ينوح المغرب
زهر الهدى عن افقها تغرب
تبغي الصبر وهو برق خاب
شقت وضاق بها العمري المذهب
من حزنه وعليه شد المعصب

وكذلك ابناء المعارف اصحبت
وسحاب الرحمن تمطرنا اسي
اواه من غدر الزمان كأنه
ما اضحك الانسان قط بنية
ماذا جرى يا مطلع الاحسان ما
يا بين حسبك لا حياة لنا وبالا
موت الافاضل ثلثة في الدين قد
انحان يوم الساعة الموعود في
فكانما يوم القيامة قد بدا
يا نفس خلي عنك ما تبدينه
تالله ما يوم الحساب اشد من
السيد المفضل عبد القادر ال
هو كعبة العرفان في حرم النقي
علم الهدى بحر الندى مردي العدا
المعارف الخبير الهام المرتقي
ضنو الشريعة والحقيقة امة
الله ما استناء فوق منابر ال
علم لدني حباه الله فيه
وبجانة القدس العلي لقد صفا
امسى النقي والحلم طي ردائه
اسفا عليه من همام كان لا
حزنت عليه المكرمات واصحبت
قد كان كهفاً للانام فكم فتي
يا نفس فاصطبري لفرقة فذا
بلقائه حور الجنان تباشرت
حياه مولاه بخير تحية
وسقى ضريح علاه من سحب الرضا
واطال عمر بنيه اعمار العلي

تنعي العوارف في الانام وتندب
ابداً واومض برقها لا يكذب
بخداعه بين البرية ثعلب
الا وقد ابكاه وهو مجرب
حتى انبرى في الترب ذاك الكوكب
علماء اظفار المنية تنشب
صح الحديث بذا وجاء المذهب
ها من اله وعده لا يكذب
في ساعة من هولها يتعجب
من ذي المسائل فالحقيقة اعجب
يوم به فقد الامير الطيب
حسني ذاك اللوذعي الانجب
ومحط ترحال الانام المخصب
يمسك بدم الوريد مخضب
اعلى مقام في المحبة يرغب
واخو الولاية والكمال له اب
عرفان في علم الحقيقة يخطب
ه منة من غيره لا تطلب
خمر الوصال له وطاب المشرب
شهم لغير الحق لم يك يغضب
اسلام ركنًا بالسلامة يرغب
عين العلاء عليه دوماً تسكب
قد بات في نعمائه يتقلب
حكم الاله واين منه المهرب
وغدت ملائكة الرضا ترحب
فيها يلذ على الدوام ويطرب
والغفو والغفران غيث صيب
من في سنائهم بضى الغيب

فلما التامى بعده ببقائهم
عرب بهم ربع النضائل أهل
ما فيهم إلا همام أروع
لا سيما رب العلاء محمد
وكذلك محيي الدين من أوصافه
هذا وإني بالقصور لمذعن
انالست من فرسان ذالميدان بل
اذ ان مدح علاه اعظم قرينة
وثناه عذب في فهم المداح وال
فريته بأقل ما فيه من ال
هيمات يحصى المدح منه محامداً
حاشا وكلاً ما لذلك غاية
او لم يكن من آل بيت نبوة
او ليس من نسل النبي محمد
صلى عليه الله ما ابتهجت منى
او جاء بدء طيباً برثائه

فهم ملاذ للفؤاد ومطاب
ابداً وتغر المجد فيهم اشنب
سامي المراتب بالعلوم مهذب
من شكره بفهم العلى مستعذب
شلي الكمال هي الطراز المذهب
واخو القصور بعجزه لا يعتب
قصدي بذاك الى الحما انقرب
فيها الى رب الورى ينقرب
اوصاف منه في المسامع اعذب
حسنى وعجزي عن قه وري معرب
مهما اطال المادحون واسهبوا
اذ ان فضل علاه لا يستوعب
يزدان فيهم في القيام الموكب
من في القيامة يرتجيه المذنب
وزهت بنور سنا النبوة يثرب
وختامه مسك شذاه اطيب

﴿ ومنهم محمد اسحاق افندي الادهمي الطراباسي قال ﴾

قامت عليك قيامة العلماء
وبكتك اجفان المكرم والعلی
هذا مصاب ما اصاب بثله ال
من لليتامى والارامل يا ترى
ومن الذي يولي الجليل تفضلا
ومن الذي يرجي لهذا الدين ان
من المساجد والرياضات التي
تالله من بعد الامير المرتقى
مات الامير السيد الحسيني ع
اسقاً على قمر بافق سما العلى

يا سيد العلماء والامراء
يوم انوى ممزوجة بدماء
اسلام بعد السادة الخلفاء
بعد الامير ومن الى انقراء
ويجود بالصفراء والبيضاء
خفنا عليه سطوة الاءاء
ارضيت فيها عالم الدماء
ما ثم الاكشف الضراء
د القادر ابن السادة الكرماء
قد كان يخلف غرة الظلماء

القانت الاوتاب من احيت موا
 علامة الآفاق ذاك العارف ال
 اسفى على من كان يستسقى به
 اسفى على تلك الشائل طالما
 قد روعتنا النائبات بخير من
 اسد الكتيبة والذي اخباره
 كم منة قد طوقت اعناقنا
 ملك ماثره الشريفة في الورى
 ملك لقد ملك القلوب برحمة
 هو سدة الشرف الذي يا طالما
 حكم الآله على الخليفة بالفنا
 لله در فتى توشح للقا
 قد قام في محراب طاعة ربه
 فكأنه داود في محرابه
 قد ايقظ النوم صوت صلاته
 وعلى يديه مصالح الدنيا وما
 كالسيد السند الذي في ذاته
 لله عبدا قادر ارجوها
 مولاي عبد القادر الحسيني وعبد
 ركن من الاسلام ما ركن النهى
 انسان عين الدهر من قد كانت ال
 ذاك الذي قد كنت معتزا به
 اما حديث الجود منه والندى
 لم انس اذ قد قال لي متحدثا
 لما لقد وافيت اسأله ولي
 وانا بارض الشام منه بدمر
 اني غزوت ثلاثمائة غزوة
 ولطالما قد خضت بحر مواكب

قفه لنا العربي ذاك الطائي
 رباني غوثي بضعة الزهراء
 صوب الغمام وصيب الانواء
 شملتني من معروفها بمشائي
 يرجى ليوم كريمة ووفاء
 في الخافقين سرت مسير ذكاء
 لابن النبي وكم يد بيضاء
 كالروض عطر سائر الارحاء
 وبرأفة وتواضع لعلاء
 كنا لها ناول لئيل مناء
 ما هذه الدنيا بدار بقاء
 من اشرف التقوى اجل رداء
 مبتلا في الليلة الليلاء
 يثني على المولى بخير ثناء
 وصلاته فاضت على النقاء
 فيها لقد قضيت بفصل قضاء
 يسمو رثائي دائما وثنائي
 في كل حادثة وكل بلا
 يد القادر الجيلافي بالزوراء
 من بعده يوما الى الاناء
 دنيا به في غبطة وهناء
 من سائر الدنيا وكان رجائي
 عن واصل يروي لنا وعطاء
 في انعم جلت عن الاحصاء
 شغف بما ابدى لدى الهيجاء
 في بيته السامي على الجوزاء
 فيها وطئت سنام كل سماء
 من جشهم فرجت فيه بلائي

ولقد قتلت من الاعادي ماء تي
والله يعلم ما لقيت من العدا
الله اكبر كم لنا من وقفة
ولقد نصرت الدين لولا انها
قظها يد الاسلام بثوا حيلة
حسدوا على النصر المبين سفاهة
لم يباغوا ما املوه بظنهم
والله يجزي كل باغ في غد
عشرا من الاعوام قد حاربتم
ما غزوة لي فيهم الا وقد
هذي جرائدكم وهذي كتبهم
ومن الهجائب ما يجسعي منهم
ما للبيان وعيشة قد عاشها
خلع الرداء وقال هل من طعنة
هذا هو الشرف الذي ينافس الـ
وله بانواع العلوم مكانة
يا نكبة ما رحت اذكر وقعها
من لي لو اني من الامير فدائه
هو ثالث القمرين بل هو ثالث الـ
ايه بني الآداب مات عيادكم
هذا الامير مضى لرحمة ربه
فابكوا والا ان قدرتم فاصبروا
والصبر اجدر بالحجا ولو انه
فتذكروا من قبله من بينكم
اما الامير فقد غدا في جنة الـ
وغدا ينادي نلت ما املته
وسعادة الدارين حزت فارخوا
والله نسأل بالنبي محمد

الف كما شهدت بذا اعدائي
في كل معترك ويوم لقاء
فزنا بها بالرتبة القعساء
غدرت بنا فاس بغير مراة
باوا باقبح خزية شنعاء
اخوانهم فغدوا مع الاعداء
لما غدوا لحم من الخلفاء
عما جنى لا شك شر جزاء
مع ستة والنصر تحت لوائي
رمت الشهادة فيها من مولائي
تنبيك عن قتلي بهم وبلائي
جرح ولا من طعنة شلاء
خل الجبان رهين ذاك الداء
فوجدته كالنضة البيضاء
متنافسون به بيوم علاء
قد صيرته اعلم العلماء
الا وبت بحالة الخنساء
ولو ان اعداء تكون فدائي
حمرين بل هو بهجة الغبراء
وغياثكم من هول كل بلاء
سبحان ربي ارحم الرحماء
فالصبر خير ذخيرة ورجاء
يحمدي البكاء عليه طال بكائي
خطب له قد هارت كل بلاء
ماوى وجاور اكرم الكرماء
من خالقي وبلغت كل منائي
طيبا بحسن الظن من مولائي
خير الانام وسيد الشفعاء

يبقي لنا انجـاله وبقـيرهم
المعتـدلين من الفخـار مرانـباً
بيض الوجوه بكل مكرمة لهم
آل الشهامة والفتوة والنقي
انـخذري بعد الامير وفائهم
ابناء عبد القادر الحسني ابن مح
وعلى محمد باشا وارث سره ال
كنز الحقائق نجـي بدرية
وكذاك محي الدين باشا من زكا
اسد يوم الروح الا انه
تسما بعيش ابيهم وباله
انا لم ازل حسان مدح علام
والله يسقي قبر والدهم من ال
ماناح مشتاق لنقد احبة

من كل ما يخشى من الاسواء
ورثت عن الاجداد والآباء
من ارتنا الف حاتم طائي
واولى الحجا والفضل والآراء
دعني من التحذير والاغراء
بي الدين ساداتي واهل ولائي
سامي تلوح مغايل السعداء
يسمو على الاشباه والنظراء
خلقا غنيت به عن الصهباء
شمس لقد لاحت بغير خفاء
عندي من المعروف والاسداء
وبه نـفـار مدائحي وثنائي
غفران صوب الدية الوطفاء
باتوا نبات ينوح كلورقاء

﴿ ومنهم الشاعر الاديب محمد افندي الملالي الجوي قال ﴾

سهام قضاء الله ليس لها رد
بلى كل شيء هالك غير وجه من
تحال اذا جاء المقدر حيلة
عناء حياتي كلها بعد سيد
واظمت الاطراف حين يجسمه
سقى وابل الرضوان اعظم مرقده
كان لم يكن بر كان لم يكن نقي
طوى الكل بعد النشر بعض من اشرى
مضى الجود والاحسان والعفة انقضت
مضى ابن بني الزهراء حقاً لـجده
معز اليتامى والارامل كنزهم

وكس الردى ما من اذاقته بدء
له الحكم حتماً لا شريك ولا ضد
لمستعصم من ان يلم به كد
به فجع الاسلام والعلم والمجد
تنورت الاكفاف وابتهج الحمد
حوى بحر فضل ما لتيـاره حد
كان لم يكن صدق كان لم يكن رشد
فلم يبق الا الذكر والتكر والحمد
وصاحبها العرفان والعلم والزهد
فيا حبذا الابناء والاب والجـد
اذا الضبع الشبـاء ذلت بها الاسد

بروحي بروحي آه لو يفتدى بها
 هنيئاً لجنات النعيم بقرب من
 هنيئاً لمحبي الدين قدس سره
 مصاباً أصاب الدين لو أن بعضه
 قيامه رزء لو ترى الناس بالبكا
 لهم زجل بالذكر لله والدعاء
 سكارى وما هم بالسكارى وإنما
 سرى نعشه فوق الرقاب وحوله
 لقد جلّ عن أن يدفنوه بروضة
 نقيّ نقيّ جاور الله في البقا
 وقورّ غيورّ ناسك متواضع
 على أنه البسام يوم كريمة
 فتى من رجال الله كان على العدا
 فتى كان لا يخشى من الخصم سطوة
 فتى في سبيل الله كان شجاعاً
 هامّ كميّ كم ازاح ملّة
 هزير هصور في الجزائر كم له
 سراج على سرج الجواد كأنما
 نعيمناه للحرب والندى
 عطاء ولا منّ وعفو ولا حقد
 حساب مزايا بانتقال حليفها
 لحا الله داراً للزوال نعيمها
 غرور حياة وهي غرارة حية
 فتاة تراها وهي شر عبجوزة
 تصيد البرايا واحداً بعد واحد
 مجربة تبتاً لها من خثونة
 عروس ولكن المحال حليها
 لعوب كما التصبها بالياب اغلها

أمير بامر الله جديده الجد
 أرانا جسيم الحزن من بعده البعد
 يجار حماء اليمن للجار والسعد
 على أحد لاندك من هوله أحد
 محاجرهم جرحي واعينهم رمد
 وادمهم سحب واعوالهم رعد
 وفاة ابن محبي الدين حق بها الوعد
 ملائكة الرحمن انوارهم تبدو
 هي الروح والريحان والمسك والند
 واقبل بالبشرى على القادر العبد
 على أنه المقدام والاسد الورد
 اذا عبست من تحت فرسانها الجرد
 حساماً صقيلاً لا يفل له حد
 وليث الشرى حاشا يروعه القرد
 ولس له الا رضا ربه جهد
 بسيف رقاب المعتدين له غمد
 وقائع لا يقوى على حصرها عد
 من الرعب والارهاب يقدمه جند
 فكل علاه الحزن والسهد والوجد
 وجبر ولا كسر وود ولا ضد
 تعطل جيد المجد وانقصم العقد
 واولها مهد وآخرها لحد
 بانياها سم يمازجه الشهد
 كما الدهر لم يصرم حباثلها الشد
 فلم ينج منها لا كريم ولا وغد
 فلا موثق منها يدوم ولا عهد
 لها المين مرط والخداع لها برد
 تروح بهم طوراً وطوراً بهم تغدو

فما أصحت إلا وغشت وهككذا قياس قضاياها لنا العكس والطرده
شكونا ونرد الدهر ليس بسمع وهل تنفع الشكوى اذا حكم الزرد
فليس لنا إلا التوكل والرضا بما قد قضاه الواحد الاحد الفرد
فصبراً جميلاً انها لمصيبة ولكن اذا في نار حزن ثوى الحجا
وآل رسول الله اولى من الزرى هم الحسنيون الاولى صوب صيتهم
هم الكاظمون الغيظ والصابرون هم وهم عهدتي في شدتي وذخيرتي
ولا سيما انجال من قد مضى ومن مصاييح فضل عظم الله اجرهم
وابقاهم الرحمن للناس رحمة نعم كلهم نجب كرام ثواب
واكبرهم من دونه الدهر همة محمد الساني سماء مقامه
امير وجهه الوجه والجاه كوكب لا احسانه تصبو العفاة وحسنه
بديع معان عن اداء بيانها كفى بشذاه سيرة وسريته
وما غايقي بالمدح الا تشريفه اليه سرت اسرار والده الذي
وسار الى المولى بتاريخه وقد عليه من الرب الرحيم السلام ما
وما ابن هلال راح ينشد قائلًا

﴿ ومنهم عمر البربير البيروتي فقال ﴾

لم اسودت الدنيا ولم يك غاسق واظلمت الافاق حتى المشارق
خلبلي رعاك الله قل لي ما الذي لقد صار في الدنيا فانك صاق

فهل آت خلي للقيامة وقتها
وبعث الوري والحشر ثم وانه
ارى الكون مسودا ارى الشمس لم تب
وان نجوم الافق غير طوالع
واين السما غير الظلام فلا يرى
ازالت والا بالظلام تحجبت
ومالي ارى الاطواد ايس بحالها
وما لي ارس الاطيار خرسا ولم يكن
ومالي اراها لا تطير وانها
فما الخبر الشافي خاليلي به اشفي
فانت ابو الاخبار يروي صحيحها
وها لم ازل فيه الى ان اجابني
بصوت خفي تد يدق سماءه
وقال نعم اودي خليفة مالك
امام ذوي التحقيق قدم فيهم
وجيه اولى التدقيق وهو اميرهم
هو الشمس عبد القادر السيد الذي
فكم قد محنا جنحا من الجهل داجيا
هو البحر علما عنه حدث بالغا
هو البحر ينبوع الولاية رائقا
هو العلم المشهور في كل جانب
وخير شهود المرء بالفضل في الوري
على فضله كل الافاضل اجمعوا
وقد اجمعوا ان لا يجارى مسابقا
وقد رضيت منه سجاياه كلها
وطاب بمرسن الخلق والخلق سيرة
كجود وحلم ثم حسن تواضع
ورفع الاذى والضر والنفع شأنه

ونفخ بصور ثم يصعق صاعق
نقوم لرب العالمين الخلائق
ارى البدر لم يسفر وما هو شارق
فلم بيد مسبوق ولم بيد سابق
ولو حدا بالتحديث والوثق وامق
فما شأنها قل لي فصدري ضائق
فكم قد هوى طود وكم دك شاهق
عن الصدح والتغر يد يسكت ناطق
وان هي قد قصت جناحا خوافق
فاني بالتحديث منك لوائق
اخو الثقة ثبت الصدوق المصادق
وادمعه من مقلتيه دوائق
اجابة بالك وهو بالدمع شارق
ومالك هذا العصر من لا يسابق
وتقدمه فيهم عليه توافقا
له نشرت فيه عليه البيارق
علي فضله اهل العلوم تصادقا
فزال ولم يظهر من الجهل غاسق
فانت على التحديث عنه موافق
على سطحه ماء الصلاحه دافق
فليث تفوق الغرب فيه المشارق
وعندهم فيه اشتراك يطابق
ومهم بدون الخلف تم التوافق
كذا ويحوز السبق حين يسابق
وقل الذي ترضيك منه السلائق
وصيتا كما قد طاب منه الخلائق
وفي حسن خلق الانام يخالق
وقد أمنت في الدهر منه البوائق

دعاه الى الجنات داعي الهنا ضحي
وسار يجد السير وهو مشوقها
وقد ساقه رضوان مولاه نحوها
وسار الى الفردوس بالعفو والرضا
فبشراه بالفوز العظيم وانه
ولكننا فيه احبنا مصيبة
بها قصمت منا الظهور وقد وهت
قفا نبكه حتى القيامة ادمعاً
وتبدو بها الارواح صاعدة لها
وحق علينا ان نشق قلوبنا
فيا ليتة يفدى وكننا فداءه
ولكننا بالموت ربي قد قضى
وان كان ذاق الموت والقبر حازه
فقد خلف الصيت الحميد وانه
ومن عاش ذكراً فهو حي حقيقة
وخلف فينا كل نجل مكرم
سمي اجل المرسلين محمد
ابو العلم رب الفهم نجل مكرم
تصدر للتأليف والنفع بعده
وان حاز فضلاً من ابيه فانه
ولا غرو فان الليث ليث غضنفر
فيا ايها المولى الذي قل مثله
لئن كنت مولانا اصب مصيبة
تذكر بخير الرسل اعلى مصيبة
وصبراً فان الصبر اليق بالثقي
وفيك لنا عمن اصب اخا الحجا
واسأل ربي الله حسن عزاكم
ويسكنه الفردوس قرب جواره

فلبى مجيباً لم تعقه العوائق
ويا قرب مقصود له سار تائق
ويا فوز من رضوان مولاه سائق
ونال خلوداً والنبي يرافق
يحاور مولاه وليس يفارق
تجل كما قد عظمتها الخلائق
كواهلنا عن حملها وعوائق
تسيل بها الاحداق وهي زواحق
وتنزل مثل الودق والودق دافق
واكبانا لا ان تشق البنائيق
وان يكن ممن له الموت لاحق
ومن كان ذا نفس فلاموت ذائق
فما زال حي الدهر ما بان شارق
لاذفر مسك مالى الكون عابق
ومن لم يعيش ذكراً فذلك وابق
ولاسيما من بالمعارف غارق
عليه صلاة الله ما لاح بارق
اخو الخدق يبدو لا يدانيه حاذق
تصدر كفاء وهو اهل ولائق
وبشراكم سامر عليه وفائق
ولا عجب فان البواشق باشق
فكاشمس لا مثل ولا فرق فارق
على هولها منا تشيب المفارق
يقل لديك الخطب اذ انت ضايق
وعن اجره مولاي يقصر ناطق
به خلف منه استطيب الخلائق
واعظامه اجراً به الفضل حائق
وفيه له بالدر تبني الجواسق

ويسقي قبراً ضمه غيث رحمة
مدى الدهر ما هبت رياح لوافح
وما عمر البربير يسأل قائلاً
لم اسودت الدنيا ولم يك غاسق

❖ ومنهم خليل افندي البربير البيروتي قال ❖

خطب المّ بنا اجري العيون دما
فليندب المجد في الاكوان مظهره
يا المصيبة من خطب سطا وغدا
يا النوائب من هول به كسفت
رزق تداعت به شم الجبال وقد
يا الارزية من رزق بوقعته
كادت به الارض من حزن تميد كما
هل بعد ذا الخطب ما بين الانام يرى
او هل ترى بعده في الكون مزججة
كلا العمري فهذا الخطب صدمته
اضحى به رجب يدي لبا عجبا
شهر اصم به في الكون قد ظهرت
يد النون به اغثالت امير على
نتيجة الدهر عبد القادر العلم ال
السيد السند الشهم الذي عظمت
روح السيادة تاج المجد بهجته
انسان عين اولي العلياء سيد من
امير مجد سما هام السهى شرفا
امير حزم حكمت اراؤه شهبا
غرت الطريد وغيث اللانذين الى
ناديه مصدر انواع الندى ابدًا
ارنى على كل ذي نحر بنسبته
بمجدته سادت السادات وافخرت

لقد شكّا الخلق من احواله ألما
اذ راع ركن العلى والعز فانهدما
فلم نجد احداً من حزنه سلما
شمس الهدى فكسا اناقنا ظلما
الوى به زعزع اضحت به عدما
اثار في كل قلب بالاسا ضرما
غدت هشيماً به من هول ما صدمما
خطب به كل جفن يرسل الديما
تحفي السرور وتبدي الحزن والسقما
قد زعزعت كل رأس قد غدا علما
عشنا به فرأينا رزء دهما
نوائب اوقرت استاعنا صمما
فاغثالت المجد والمعروف والكرما
مولى الذي في البرايا قدره عظما
اخلاقه فاغندى بين الملا علما
نغر المعالي به قد كان مبتسما
سبب المكارم منهم سح وانسجما
وكان للعز والعلياء خير حما
لكل ما رد خطب رائع رجما
حماه يطرهم من جوده نعمما
ما من يوماً بما يعطي ولا سئما
لسبط خير رسول بالفخار سما
وعقدهم بعلاء كان منتظما

اقواله درر افعاله غرر
مسدد الرأي ماخي العزم همته
مولى يقصر عن ادراك غايته
بكت عليه عيون المجد شاكية
بكت عليه عيون الفخر نادبة
بكت عليه عيون الصحف من أسف
وكل طالب علم قد بكاه اسى
بكت عليه سماء الفضل اذ فقدت
بكت عليه العوالي السمر حين مرى
مولى ما أثره تسمو مفاخرها
مولى لقد كان الایتام خير اب
مولى به خاننا الدهر الخوون بما
يفقده قد فقدنا كل منقبة
لكن باشباله الغر الكرام لنا
اکرم بهم خلفاً دلوا على سلف
وانهم خير ابناء الخير ابر
لا سيما درة العقد الفريد بهم
محمد الذات ممدوح الصفات و
وصنوه الشهم محيي الدين سيد من
داموا موالى هذا العصر يخدمهم
وجاد ترب ضريح ضم والدهم
ولا يزال من الرحمن يؤنس

وجه المعالي بها قد كان مبتسما
قد ادهشت بعلاه العرب والعجم
نجم السماء اذا ما حادث هجما
غبتا الم بها من فقده وعمما
نبراسها من سناء قد جلا الظلما
كما يكته عيون العلم والعلم
اذ كان يكسبه من علمه حكما
بدرأ سناء لجيش الجهل قد هزما
والبيض ريعت وامسى اسمها عدما
والدهر عن مثله في المجد قد عفا
يزود عنهم صروف الدهر والنقما
اتاه عمدا ولم يحفظ لنا ذمما
كنا نفاخر في احرازها الامما
حسن العزاء وان كان الامى عظما
بالخلق والخلق والعرف الذي انتظما
تمثال افضاله في الكون قد رسما
امير من ساد في العليا وكان حى
مدوح الخلال الذي فاق الورى شيما
اضى بكل كمال راسخا قدما
سعد العلى والحجاج المنى حرما
من الراحم غيث دام منسجما
فيه رضاء بيده كلا ختما

﴿ ومنهم الاديب شبيب بك الاسعد قال ﴾

اتذري بهذا العصر من غاله الردى
ومن كان في عبء الرياسة قائما
واي امسام في الانام غدا له
واي هام في البرية ذكره

ومن مد صرف الحادثات له يدا
فغادره ريب المنون موسدا
بافق سما العليا مقاما ومقعدا
بضيء اذا الحادى به في الدجى حدا

واي مقام في الحياة وبعدها
 واي محيط قد احاط بفضله
 فذلك عبد القادر الشايع الذي
 ثبير اذا يحمت تلقاه دونه
 فما قبله فوق البسيطة شاهر
 هوى فهو الدين العلي مكانه
 مضى فمضى من بعده الزهد والتقى
 قضى فقضى حفظ العهد فمن بها
 نأى فذأى طيب الكرى ولقد جرى
 وراح فراح الخير من بعدما غدا
 وولى فولى الفخر والفضل والحجى
 وقد عميت عين المعالى من البكا
 ودك ثبير في عظيم مصيبة
 ونادى منادى العز من لي كافل
 ورب الولا امسى يقول ودمعه
 فيا كبدى الحرا عليه لقطعي
 لقد كان هذا الدهر ذو عزة به
 وحل الندى وابن الندى وابو الندى
 وقد غاض بحر الجود والناس اصبحت
 فمن ذا الذي لم يدر ان بنى العلى
 وان علوم المصطفى ربيعها عفى
 لقد كان يارب الحمام يخلق
 وكان بها دفاع كل ملمة
 وكان لاهل الفضل كهفاً وملجأ
 فبات ولى طيب الذكر والثناء
 فخرني له لا ينقضي ابداً وما
 ولو كنت ادري ان موت عميدنا
 لمكنت بطيب العيش اسمع دونه
 غدا في السما فوق السماك ممجدا
 جميع البرايا ضمن قبر توسدا
 امير الورى من كان بالدهر مفردا
 وهيمات تلقى فيه مرقى الى العدا
 بارض دمشق الشام قد صار ملجدا
 وقد ثل عرش العلم والحلم والندى
 بثوب خليك طالما منه جددا
 معاهده في الناس لم تلب معهدا
 من الجفن هتان دعاه مسهدا
 فواها لدهر خان فيما به اعتدى
 وقد ترك العاقين من بعده سدى
 وناظر ام المجد اصبح ارمدا
 لقد هدر ركن الرشيد فيها مع الهدى
 فاني قد اصحت بعدك مقعدا
 حكى هيجان البحر مذ صار مزبدا
 فان فؤادي ذاب مما تكبدا
 ومذ بان اضحى صاحب الوجه اسودا
 برمس ثوى فيه الندى ابد المدى
 حيارى فلا يلفون بعدك موردا
 اصابوا بخير الخلق نفراً وسوددا
 وبعدك شمل المجد امسى مبددا
 مليكاً به نهج النجاح ممهدا
 ومنجا لمن يبغي النجاة من الردى
 وكان بهم عيناً وكان لهم يدا
 وابقى ايادى فضلها لن يعددا
 تقادم فيه العهد الا تجدددا
 وسيد هذا الكون في الناس يقتدى
 وكنت لعمر المجد نفسي له الفدا

ومن عجب يا للأنام لحادث
لقد غربت في الشرق شمس سانية
فيا لمصاب فادح جمع الاسى
اذا رمت صبراً عنه فرّواين لي
ولما رآه الله في عالم الفنا
ورضوان لاقاه برضوان ربه
ونظمه الرحمن في سلك جده
وانزله سبحانه منزلاً به
رقى فوق كرسي الجلالة في الدنا
فيا علماً في المشرقين هو الذي
لك النسب الواضح من خير والد
تعالى الذي القى سمي ابيك في
هو الاكبر الشيخ الاجل اجل من
هو العربي العارف العالم الذي
فطابت وطاب الجار منك بطيب من
فاكرم به من مفخر لك بنتهي
فيا ايها السيف الذي قلل الردى
اتعمد في غمد الصعيد واننا
وهل عهدت منك الشهامة ان يرى
لعمري ما نوديت في معضل عرى
فاقسم لولا ان تغادر في الورى
محمد خير الناس بعدك والرجا
لكننا جعلنا نذب فقدك سنة
فانعم بن خلفت فينا هم الاولى
وما قيل من كهف المعالي وكنوزها
اميرا له في الجد اسمى مكنة
عظيم اياديه جسام عظيمة
وليس له من مشبه غير صنوه

رايناه عن ادراك ذا الخلق مبعدا
ومشرقها من جانب الغرب قد بدا
وشمل الاسى في الناس اجمع بددا
على مثل هذا الرزء ان اتجلبدا
حياه بقاء في النعيم نخلبدا
واكرم مشواه وبالبشر قد غدا
فطوبى لمن في الخلد جاور احدا
ترى الملائ الاعلى ركعاً وسجدا
وفي جنة الفردوس صرحاً ممددا
غدا بين اذلام البسيطة مفردا
واشرف جد في العوالم اوحدا
مكان له جاورت فيه ليسعدا
به نور علم العالمين توقدا
تكنون اسرار الآله تفردا
بطيبة نحر الخلق جدا له غدا
على العالم العلوي قد باغ المدى
سناه وقد كثر الخلق لاردي
عهدناك قبل الآن سينفا مجردا
مناديك لا باقى نجيباً سوى الصدى
وناب ولم تسرع لتلبية الندى
بعيدك يا شمس الورى قمرى هدى
كذلك محي الدين من فيه يقتدى
وكنا اتخذنا القرح فرضاً موءدا
غدا موضع الآمال فيهم مشيدا
ومرجعها الا رأيت محمدا
وشها جليلا في البرية اوحدا
وغير السجايا الغرا ان يتعودا
عميد بني العليا الكريم المسودا

ها القمران النيران فلم تجد
فيا سادة ما مر في سائر الملا
بمدحك جادت بدائع فكرتي
اليكم بني خير الانام قصيدة
بكم حسنت منكم زكت فيكم ازدهت
لكم وجميع الناس اصبحت عايمة
ولاء ولي وابلي لقد اتى
فيا راحلاً لولا الذين تركتهم
عليك من الله المهيمن رحمة
دلا زال من ابقيت في افق العلي
وهنت في قصر لثانك ارخوا

بغيرهما في الشرق والغرب مهتدي
وليداً لهم الا وعدوه سيدا
ونظمي حكي درا ثميناً منضدا
اذا انشئت تلقى لبيدا ملبدا
بذكركم طالت فجاراً ومحتدا
به وغدا للعالمين موءكداً
سواء شبيب بن العلي بن اسعدا
بكيتك من دمعي دماء مدى المدى
يلازمها الغفران والعنود سرمدا
لهم منزل ما غاب نجم وما بدا
باسمى مقام في النعيم تشيدا

﴿ ومنهم الاديب احمد افندي وهي الحايي قال ﴾

قلب^١ تغطي في ألم سقامه
وتحاجر جادت بفيض دموعها
وجوارح فتك الذوى بفرادها
وجوانح^٢ ذابت اسي وتلوها
ومصائب^٣ ونواب^٤ قد حكمت
يا بين ويحك قد غدرت بفاضل
الشهم عبد القادر المولى الذي
هو صاحب النحر المونل والحبا
قضت المواهب والمكارم مذقضى
ما للحماسة بعده من صاحب
وغدا المطهم يسرع الجريان في
نعت المعارف فقده وغدا التقى
رفعت ايادي الجند فوق رؤسنا
ابت المعالي غيره لما رأت
يا عصابة الفضلاء فابكوا ناضلاً

وتضرمت احشاؤه بضرامه
ونعت رفيع القدر يوم حمامه
واراشه ظمناً بمد سهامه
وشكت مصاب الخنف وقت خضامه
ريب المنون فجار في احكامه
فاق البرية حكمه بكلامه
عم العوالم في جدا انعامه
بين الخليفة والوفا بزمومه
هذا المكرم شجبه في عامه
يحكي الزمار برحمه وحسامه
ميدان حزن خاتمه بهمامه
متفاخرًا بصلاته وصيامه
نعشاً يسير النور من قدامه
رايات عدل في على اعلامه
خلقت مزايا الفضل من اكرامه

يا معشر العلماء فانعوا عالماً
يا زمرة الشعراء فارثوا من غدت
فرضاً على الادباء نظم رثائه
اسقاً على التائي مدى الاعوام ما
حيث الجنان فتحت ابوابها
والخور والولدان كل منهم
والله قد اعطاه ما يرضى به
صبراً بني الحسين لم يقض الذي
هم خيرة الاقوام ما بين الملا
نسل النبي المصطفى من خصمهم
لا سيما المولى الامير محمد
السيد المفضل من بذل الندى
علم المعارف من زها في عصره
ورع بذكر الله اصبغ مفرماً
اني على علم به ناديته
يا هاشمي لاصل يا من نجده
فانظر المحسوب بساحة فضلكم
افضال والدمك عليه تقدمت
ختم القريض بمدحك وبقوله

﴿ ومنهم الاديب سليم افندي فصاب حسن الدمشقي قال ﴾

رزق على آفاق جلق خيما
عظم المصاب فقل صبري عنده
شمس الحقيقة قد توارى نورها
شعل الاسى قلب انفسار فصبحت
فقد الامير امرئ صاب كاسه
اصلى القلوب بنار وجد وهو في
مولاي عبد القادر الحسيني الذي
قامتد حتى الكون منه اظلاما
الله اكبر ما اقل واعظما
في اترب والخطب العميم مخيما
عين العلى تجري المدايع عندهما
واحر احشاء به تقفى ظما
غرفات جنات النعيم تنما
فاق الملا عالماً وحليماً وانتي

شهم اقام الدين طول حياته
 عسي تجراب التواضع عاكفا
 متحقق متيقن متجرد
 علم على ورع على زهد على
 افنى بقهر النفس جسماً نائلاً
 من بالمواقف بعده يحبي الدجى
 ما زال يقفوا اثر محبي الدين حتى
 بشرى له من موه من هجر الدنيا
 قولوا لمن بالماء يبغي غسله
 حنطه في حسن الثناء فانه
 يا ايها المولى المولى دفنه
 ما كان الا بحر فضل ذاخر
 ما كان الا كعبة في شامنا
 نبكي على هذا الفقيده وانه
 وادا اطلمت على القلوب فلا ترى
 بالروح كنا نفتديه من الردى
 كل يراقب يومه فاذا انقضت
 ما الناس الا نائمون باسرهم
 نقد القضاء فليس يجعل عنده
 ما مات من ابقى جميل الذكر في
 من كل ندب للمعارج سابق
 لا سيما الشهم الامير محمد
 داموا باقبال ونرجو الله في

هدياً وما ضل الطريق الاقوما
 يخشى ويرجو ربه مستعصماً
 لله ما عبد الاله توهماً
 تقوى على جود على فضل نما
 في طاعة الله البقاء الادوما
 مستمخاً ذاك التجلي الاعظماً
 حاز حسن جوار ذياك الحما
 حتى اذا ناداه لبي محرم
 يكنيه من دمع المعالي ما هما
 من اكرم الاطياب كان الاكرما
 دعه ووكل فيه املاك السما
 متدفقاً من كل علم قد طما
 تسعى له الآمال نيلاً واحتما
 لافى مشاهد ربه متبسماً
 قلب امرئ الا وذاب نالماً
 لكن امر الله كان محتما
 اوقاته كان المقدر مبرماً
 والموت يوقظ هوءلاء النوما
 الا الرضا والدبر احلى مغنا
 لوح الوجود على الدوام مترجماً
 بالمجد والاجلال ضاهى الانجماً
 باهى الصفات الغر اسمى من سما
 حسن الخواتم للورى ان يختما

﴿ وقال بعضهم ﴾

نبأ اتى بتضعيع الاسلام
 وعرى جميع الارض منه رجفة
 وأرى البلاد تموز مور سفينة
 لبست له الايام ثوب ظلام
 وقواصف قد هدأ ركن الشام
 من فوق امواج يبحر ظلام

فكان يوم النسخ فاجأ معلناً
فغدوا سكارى حائرين كأنهم
فقدوا غياث العالمين وغوثهم
رفعوه يمحون التراب فغبرت
فتراهم والنعمش فوق رقابهم
حملوه والملوك يرفدهم الى
في جذب محبي الدين منبع فيضه
دفنوا عميد الطالبين الاولى
كان السنان لهاشم ولسانها
كيف انتجى صرف الزمان مانع
هو فرع اصل في السماء غدت له
علم به ارتفعت يد المقدور مذ
ذاك الامير محمد من حاز في
وله اباد كالنجوم لوامع
واذا ترغت الحداة بها جلا
وكذاك محبي الدين بدر لم تنزل
أبني النبي نكل ذي رزء اسي
بكيت لها عين النبي محمد
نعمت ملاذ العالمين ويستقي

يدعو الانام الا ائذنو انيام
مرضي بهم عبثت يد الايام
كف الارامل كافل الايتام
غبراء جللت الورى بقتام
حملوا ثبيراً طاشي الاقدام
اسنى مقام في البسيطة سام
سر الوجود ومعدن الالهام
في وصفهم تاهت اولوالاقدام
في يوم معترك ويوم خصام
منه ومن كل الحوادث حامي
ام النواب موطىء الاقدام
ابقى لنا علماً من الاعلام
عليه اسمى مرتقى ومقام
لم تحصى بالاعداد والارقام
ومحا سناها آية الاظلام
بسناه تشرق اوجه الايام
بصيبة عظمت على الاسلام
وبنيه من شادوا بنا الاحكام
غيث الرضي جدت الامير الشامي

❖ ومنهم الاديب نعمان افندي ابو شعر قال ❖

هذا تابين ورتاء لصاحب الشرف والمجد الرفيع انسان عين الدهر ونتيجة تاج
الفخر مولاي الامير عبد القادر الحسيني الجزائري نعمده الله برضوانه واسكنه فسيح
جنانه

اجل واسفاه قضى الله ان قضى من كان للناس نوراً وتولى من بنقده اولى الكل
ويلاً وثبوراً نعم واحسرتاه مات الحسيني المحسن اللوذعي اللسن الامير عبد القادر
فريسة الدهر القادر نعم واويلاه صدع من كان جابر صدوع الرئاسة القابض على
ازمة النفاسة والفراصة فما هو قد حجب عنا بسدال المات بعد ان كان وجهه جلاء

للملمات نعم قد غال اسد المنية اسد البرية واقتنص غراب البين بازي الدارين
 فيا ويا لنا لقد هدَّ ركن الوطن الاعظم وتضعفت أسس الامة فكادت ان تنهدم
 وتداغت حصون العلم والشرف الموهل المنيع وانتشرت عقود الفضل والكرم الرقيق وحيث
 ان قد يمتنا يا ويحه الزمان افلا نقول له تشفيًا كما تدين تدان فان كنت يمتنا فقد
 صرت باعز ابنائك ثكلان على ان هذا التشفي لا يشفي لنا علة ولا يروي لنا غلة فلا يـ
 آياته نندب ناثنين ام ايـ حسناته نبكي آسفين اغوثة الايتام والارامل ام جوده
 المغدق الوايل ام تمسكه بعروة الله الوثقى ام التزامه في كل أين وآن البر والتقوى نعم
 ان حاولنا ما أثره التعداد ينفد العدد وليس لها من نقاد فلنستعن اذن برثاه بالسيف
 الذي طالما دميت في يده مقتلناه الا اننا لا نشق ولو شقت عليه جيوبها الدفاتر بل
 نشق القلوب ونقبر المعاجر فلا غرو اذن ان لبست عليه الحداد المنابر كما لا عجب ان
 تصدعت عليه نفثة الصعاد والبواتر كيف لا وقد انفطرت عليه مرارة العلم والكرم
 وتشطرت لفقده مهجة المروءة والشيم وصغرت مذهبى وهو بدر كحل افلاك المنابر
 كما تنورت ببناء ضريحه ظلمات الاجداث والمقابر فليست هذه التي ترى دموع من
 العين تهمر بل هي النفوس تذوب امسى فتسيل فتمطر فالعيون تعارض القلوب بعارض
 دمعها الملتان والقلوب تباري رماحه بصيب دمها القان والجرد لتجرد للعزن الطويل كما
 عولت العيال على البكاء والعيول والى لا عجب كيف طلع بعده النيران ونورها من ضياء
 وجهه مكتسب وكيف لم يمت لموته الثقلان وهو قطب رضى حياتهما ان شرق وان غرب
 فسيبقى ذكره نغماً انا منقوشاً على صفحات الدهر لا الذهب وان ذهب لانه رفع له ذكراً
 وشرح لنا صدرًا اذ جمع فاطهر مناقب العرب فعلم كلهم الزاخر وكرم كالغيث الهامر
 بحلم دونه كل حلیم وجلال يحل عن كل عظيم وشجاعة تغلق صم الصفاة بنصميمها ومهابة
 تقعد الاعداء وتقيمها عقدت له لواء العز والنصر ايادي المكارم والفخر كما عقدت عليه
 الخناصر في هذا العصر معدن جمع كل جواهر الادب فكان فرداها المخنار فانسلت اليه
 من كل حذب في جدها الافكار ترفع عن كل منزلة يشاركه فيها احد وتفرد بكل منقبة
 فكان جبهتها الفرد فلا سكن الله روح الشامتين الذين لم يعرفوا له قدراً والذين
 يودون ان يطفوا نور ذكره والله ليس بظافى له ذكرًا فان جهل احد قيمته فما هو الا
 الجناد والجهالة بعينها وان جحدت فئة قدره فما هذا الا من عماء بصيرتها لا عينها فلا
 بغرن قومًا مصرعه فان الحرب سجال وما تدري نفس باي ارض تموت وتغتال واذا كن
 هذا اسان حال ابناء الوطن في هذا الزمن نظمها عقود حسن من منشور حبات القلوب

باسلاك الاسف العميق وعلقتها على كعبة الافكار في بيت المهبج العتيق لاستمطار له
بها مدرار رحمت الغفار وهو امي دموع كبارنا والصغار وليطوف كل مسلم ركنها
حول بيت مجد بناء وشاده فيسمع تلبية منادي المكارم من آله واحفاده فيعرف انه
بهم حي لا تموت منافبه ولذلك صح القول بانه غاب الدهر فغالبه ثم اتبعها بقوله

هل مادت الارض ام سارت رواسيها ام قام يعني ابن محيي الدين ناعيا

نجر الامامة طود المجد سيد من فوق الثرى قد سرى او حل عاليها

فقلما عمت الدنيا فضائله اقواله تملأ الدنيا معانيها

ومثلما كانت القصاد تغني به كذا القصائد ترثيه فيثريها

رب المعالي فبكر الدهر ما حملت بمثله او دنت من ذا امانها

احسابه مثل ماء المزن طاهرة احسانه مثل ماء الغيث هاميها

ان امطرت في سماء الحرب راحته نارا فني السلم ابحار الندى فيها

يا ابن الدين جلوا وجه المعالي لنا كسوتنا حلة الاحزان ضافها

فان تكن بزغت شمس المحامد من سناء وجهك وايضت لياليها

فطالما اشحت ثوب الحداد عدا لما بديت واطراف القنا تيتها

كانت تطيعك رسل الموت ترسلها في لجة الجيش ما فلت مواضيها

حتى غروت له طوعا بعالجنا بفقدك انفسا قد كنت تحييها

قد كنت لله سهما اين سدده يجلي الخطوب بعزم كان يفرها

حتى استغفارك اخفاء الجنة قلنا لقد اعطيت قوس لبارها

يا ناعيا عدد الاوصاف في ملك له المكارم شعب وهو راعيها

هي الدراري عدا والسماء سما والبحر ذخرا فكيف الآن تحصيها

قل للعدا وقد التفت كتائبها كالتمل في قرية اذ شاء ينيها

ان الحسام الذي كنا نصول به قد اغمدته المنايا في ذرى فيها

يا ناقل الروح هل لامطار في بطل قد طالما انجز العليا امانها

تبكي العساكر تنعيه المعابر ترثيه المنابر تبايننا وراقها

تبكي الذي كان في افق العلي قمرنا وفي دجى المعضلات الدم يحلها

ملا الاهاب مهابا والسروج دجا والحرب ضربا اذا ما قام يورها

من يقرئ الضيف كوما ويركبه اخرى فاندازه غيثا يوالها

من بعده يؤمن اللاجي وينزله حصنا ويلبسه حصنا وياقها

من لالخيل اذا سار العجاج بها
 ام للفوارس ان ضاق المجال بها
 ام للعوالي او بيض الصفاق اذا
 ام للمكارم في العليا ينظمها
 ام لليتامى اذا اخنى الزمان بهم
 يكسى الحداد عليه العلم والشرف
 ياهول يوم رأينا العضلات قضت
 يا خير من ابقت الدنيا لنا سنداً
 يا عامراً لبيوت العلم اذ درست
 ما كنا نحسب ان الناس تحمل بح
 حتى رايناك تعاودا محلبة
 بعض الاناس التي تارى رسائلها
 قروا فضائلك الغراء واعترفوا
 لو كان يفدى الامير بالنفيس وبأ
 لو يقبل الموت عن هذا الجليل فدا
 مضيت والحزن مثل الذكر متصل
 لولا الذين لنا ابقيت من خلف
 اعني بهم سادة السادات من مضر
 ما كنا نرتاب ان الساعة اقتربت
 لولا محمد ما باتت على ثقة
 كذاك لولا محبي الدين ما حيت
 لولاكم يا بني الزهراء ما نضج
 ولا استقرت لنا كبدا على مفض

وارتجت الارض من ضرب الظبا فيها
 ولم تر مايجأ في الروح يحمها
 رأت وروداً فاين الورد يروها
 عقداً تزينه حمد لآلها
 ورددوا من أليم الضر تاوينا
 على وتندبه التقوى واولها
 في صبحه اذ طواه اليوم طاوينا
 وسيداً لنفوس الناس تحيها
 يا ناشر الخاتميات ومحبيها
 رآ علا طود فضل من رواسيها
 يحفها الروح والرضوان يحويها
 تنعيك يا ليتنا شمتاك تنعها
 يا حسن ما اعترفت ما كان ينكيها
 نفس العزيزة كان الكل يمضيها
 لكاف فديته الدنيا بما فيها
 باق الى النشر يا ذا النشر عاليها
 يا خير من ظلت الرايات يوقها
 منهم ذرى مجدها منهم درارها
 او شق بدر السما واغنم باهيها
 عرب المدائن واطمنت بواديها
 منها الامال ولا عاشت امانها
 منا العيون ولا جفت اماقيها
 منكم لما عندنا آس يداها

وفي ذكر هذا القدر من المراثي والمراسلات كفاية ولو اردنا استقصاء كافة ما
 ورد علينا منها لاتسعت الدائرة لادراك الغاية ونسأل الله ان يفرغ علينا الصبر
 الجميل ويوليننا بكرمه الاجر الجزيل آمين

❖ خاتمة في ذكر نسبة الشريف ❖

لما ان ذكرت من اخباره قدس سره ما طاب نشره وفتح في الخافقين عطره
عن علي ابن الحق ذلك بذكر عمود نسبة الشريف وحسبه العالي الشريف كما تلقاه
الخلف عن السلف ودونه الحفاظ في كتب النسب والشرف كالحافظ الحجة سيدي
عبد الرحمن بن محمد الفاسي في جوهره العقول في ذكر آل الرسول والشيخ احمد
ابن محمد ابن ابي القاسم العشماوي ثم المكي في كتاب التحقيق في النسب الوثيق
وخاتمة المحققين الشيخ محمد بن محمد بن احمد بن ابي القاسم الجوزي الراشدي المازلي
في فتح الرحمن شرح عقود الجمان والعلامة النقيه الشيخ عبد الله الوائلي صاحب
المعيار في فقه الامام مالك رضى الله عنه في كتاب البستان في ذكر العلماء الاعيان
والفهامه المقرئ التمساني في رياض الازهار في عدد آل النبي المختار وغيرهم من
ثبت عندهم وزينوا به صحائف كتبهم وما انا اروي به كما تلقينه من فيه رضى الله
عنه فهو عبد القادر بن محيي الدين . بن مصطفى . بن محمد . بن المختار . بن عبد
القادر . بن احمد المختار . بن عبد القادر . بن احمد المشهور بابن خذّاه وهي مرضعته
ابن محمد . بن عبد القوي . بن علي . بن احمد . بن عبد القوي . بن خالد . بن
يوسف . بن احمد . بن بشار . بن محمد . بن مسعود . بن طاووس . بن يعقوب
ابن عبد القوي . بن احمد . بن محمد . بن ادريس الاصغر . ابن ادريس الاكبر
ابن عبد الله المحض . بن الحسن المثنى . ابن الحسن السبط . ابن علي بن ابي طالب
وامه فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود . محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشرف
وكرم وعظم

اعظم بها من نسبة نبوية علوية تمنى لاصل اظهر
قد شرفت بدأ باشراف مرسل ونهاية بالسيد الحسن السري
وقد نظم هذا النسب الشريف الحسيب النسيب المتحلى من الفضائل باوفر نصيب
العلامة السيد محمود افندي الجزاوي مفتي دمشق الشام بقوله

يا حبذا الوعد والانجاز بصحبه حاشا علامكم بان الخلف يعقبه
حيما فاحيا ظنونا غير نائية لولاه كانت قضت مما تراقبه
واني البشير به والفكر في قلبي وانقلب في حرق هم يقالبه
والجفن في ارق والعين في غرق والصبر في فرق كرب يداعيه

ومنه تفوه قام الحزن مرتحلاً
 وبأشر البشر في ضرب الخيام على
 فالحمد لله حيث الفضل من ملك
 العالم العامل الغازي اخو ورع
 السيد الفرد (عبد القادر) الحسنى
 نجل المحقق محيي الدين سيدنا
 ابن الامام الهمام المصطفى كرمًا
 ابن الممجد ركن العز اوحدهم
 ابن الهمام هو المختار قدوتنا
 ابن السميندع عبد القادر الورع ال
 ابن الشريف هو المختار احمد من
 ابن الممجد عبد القادر الحسن ال
 ابن التقي الذي سموه احمد من
 ابن الذي مرّ في عز وفي شرف
 ابن المسمى بعبد القوي لما
 ابن الكريم عليّ من سما عظماً
 ابن الجواد العفيف السمع احمد من
 وهو ابن عبد القوي الله سدده
 ابن الذي خلد الفردوس خالدهم
 ابن السمي الى الصديق يوسف من
 ابن الهمام جليل القدر احمد من
 ابن المجلل بشار الكرام ومن
 ابن المنكرم فرع المجد اوحده
 ابن المهنذب مسعود الطوالع من
 ابن المفاخر طاووس بنسبته
 ابن المسمى الى يعقوب سيدنا
 ابن الشديد لامر الله قدوتنا
 ابن الكريم المعذني ذاك احمد من
 عنا بعسكر لؤم لست انجبه
 قاع السرور فكم ذا كنت ارقبه
 مسائل الاصل يعلو حين تنسبه
 الزاهد المنتقي للخير ينتسبه
 من سيفه ملك الافرنج يرهيه
 من ضاء من علمه شرق ومغربه
 من كل محمّدة في الكون تعاربه
 محمد من غدا في الحمد مذهبه
 عند الثريا مقاماً كنت تحسبه
 مزدان بالقدر رفعاً لست تنسبه
 فعل المحامد والاحسان متربه
 اخلاق فوق الدراري كان مطالبه
 وسائط الحمد للتوفيق تجذبه
 محمد من لذيل الفخر يستحبه
 ابداه في دين مولاه تدليه
 حتى غدا في علاه البدر يرقبه
 اعياء اليراع لفضل فيه حاسبه
 قواه في ضمن نقواه تقربه
 فالحور في روضة الرضوان تخطبه
 قميصه من عناف قد جاذ به
 ساد المعالي بطرق المجد يركبه
 سمّت لدى الخلق بالبشرى مراتبه
 محمد من صفات الحمد يصحبه
 في الشرق والغرب لا تحشى تحجبه
 الى المعالي ولا عجب يحاسبه
 من صبره لم تضق فيه مذهبه
 عبد انقوي فذا يحلو تعابه
 ركن المعالي به تسمو جوانبه

ابن المعظم نسل الملك قسوره
 ابن المتوج تاج الملك في رحم
 ابن المسمى بادريس المليك فكم
 ابن المكمل عبدالله كمالهم
 ابن الامام المثني فصله حسن
 وهو ابن سبط الرسول المنتقى حسن
 وهو ابن فاطمة الزهراء سيدة الاز
 وهي ابنة الخاتم الهادي محمدنا
 صلي عليه مع التسليم خالقنا
 ولآل والصحب ما ارخت لي وطر
 ولقد بلغ اسلافنا الادارسة في المغرب الاقصى من الشهرة مبلغا لا يكاد ان يلاحقه
 لاحق ولا يطمع في ادراكه سابق

كانوا شموسا تضيء الدهر ظلمتهم وفي طريق المعالي يقتدى بهم
 غابت فلولا نناهم كالبدر اضا من بعدهم تاه اهل النخل في الظلم
 فهم اقطاب اسرار ونخر وسودد وارباب انوار ومجد رفيع مخد
 كواكب مجد بل بدور فضائل فوارس بيد بل اسود عرين
 اجلاء قوم بل صدور مجالس ملاذ عفاة بل عياد حزين
 واول من انتقل من اسلافنا الى افريقية الشمالية السيد عبد القوي الاول صاحب
 تفرست انتقل منها ونزل بقلعة بني حماد قرب سطيف من اعمال قسنطينة عند اشتداد
 الفتن في المغرب الاقصى وتفاقم الامر بين ملوك الموحدين وبني مرين ومن شاركهم في
 الاندلس وعدوة المغرب ولما استقلت الفتنة بين بني ريان ملوك تلمسان وبني توجين امراء
 تاهرت ومغفارة امراء مليانة وكثرت الحروب بينهم انتقل منها الى تاهرت نقابله امراؤها
 بالاكرام والاحترام واشركوه في النقض والابرار قال الشيخ احمد العشماوي في كتاب
 التحقيق واما عبد القوي صاحب تفرست مدينة مشهورة من اعمال الريف فانه خلف
 اربعة اولاد محمد واحمد وعبد السلام وعبد القوي ومنهم اهل الريف فجدهم السيد عبد
 القوي بن علي بن احمد بن عبد القوي بن خالد واسنقصى النسبة الى الحسن رضي الله
 عنه وقال العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي في جوهرة العقول ومن اخيار الاشراف
 القطب السني السيد عبد القوي صاحب تفرست وهو جد الاشراف ثم انتقل الى

تاكدمت وتوفي بها وخلفه ولده محمد وكان على علم وصلاح ولما توفي انتقل ولده احمد المعروف بابن خدّه فسكن بواي العبد قرب غريس وهو اول من اشتهر من اسلافنا في ذلك الناد واضاءت بانوار عوارفه ومعارفه تلك النواحي والبلاد ذكره الجزولي في توسله ونص على ان من توسل به الى الله تعالى وضم اليه سيدي علياً بن عومر وسيدي احمد بن يحيى قضيت حاجته وتعرض لذكره الامام الصباغ المستغاني في مناقب سيدي محمد بن يوسف صاحب مليانه والعلامة الفاسي في ائمة الابصار في آل النبي المختار والعارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي في جوهرة العقول توفي في وادي العبد ودفن في تربة السيد عبد الله بن عبد الرزاق وقبره هناك مشهور يزار وبعد وفاته انتقل ولده السيد عبد القادر الى نسمط وقطن بكاشرو الفوقاني الكبير وقصده الخلق لآخذ العلم والطريق من كل بلد سحيق وفخ عميق قال خاتمة المحققين محمد بن محمد الجوزي في فتح الرحمن ومنهم الرئيس الجليل النحوي اللغوي الحيسوبي الفرضي المحدث الامام ابو محمد السيد عبد القادر بن احمد المعروف بابن خدّه هي مرضعته امام جليل القدر واسع الصدر مهاب عند الخاص والعام له تبحر في العلوم كالتحقيق والتوحيد والحساب والفرائض والفقه فتح الله عليه فيها حفظاً وإطلاعاً وتقلاً وتوجيهاً مما لا مضمع فيه لسواه في زمانه حاز رئاسة عامة في غريس بعد موت اصحابه وشدّت له الرحال من المشرق والمغرب ما سمعه احد حاله درسه الا ظن انه افنى عمره في ذلك الفن الذي يدرس فيه لشدة ثقائه له وما تكلم معه شخص في مناظرة الا احمه ونفع الله به في وقته عالماً كثيراً وله عدة تأليف مفيدة في جملة فنون آخذ العلم عن اشياخ اجلاء منهم سيدي محمد السنوسي المشهور صاحب الصغرى والكبرى في التوحيد المدفون بتاحسان وفيها آخذ عنه وكان رضي الله عنه اقام في قسنطينة وصار شيخ العلماء فيها وعنه آخذ علماؤها وتأليفه متداولة في تلك الجهات سيما حاشيته في التوحيد

وذكر العلامة الشيخ سعيد قدوره الجزائري في شرحه على الصغرى عند كلامه على الفرق بين العلم والمعرفة منها كلاماً شافياً قال في آخره قال شيخ شيوننا ابو محمد عبد القادر بن احمد بن خدّه في تعليقه على الصغرى وترجمه العلامة المقرئ التلمساني في رياض الازهار والتجاني في الجمان النفيس في اشراف غريس ولد في القرن العاشر وتوفي فيه وقد اجمع اهل الفضل في عصره على توحده في دهره كما اتفق علماء تلك الاقطار على تفرد ولده السيد احمد لمختار فقد ظهرت انوار معاليه ظهور الشمس في

الاشراق وعمت آثار اباديه على عموم اهل تلك الآفاق وشدت الرحال اليه من سائر الاقطار لآخذ العلم وتلقين الاذكار وعنه اخذ الفقيه اللغوي المؤرخ المحدث ابو العباس احمد بن شعرون السلوكستي وذكره في سنده وقال الجوزي في فتح الرحمن السيد احمد الخنار سكن محلة باب علي من مدينة معسكر واتخذ فيها خلوة لعبادة الله تعالى فكلفه رئيس المدينة بما كلف به اهلها فدعا عليه فلم يلبث الا قليلاً ان اخذه الله اخذ عزيز مقتدر وله منظومة مشهورة سماها عقد جواهر المعاني في مناقب النوث عبد القادر الجيلاني ذكر فيها مناقبه وكراماته واحوال المشايخ الذين اعترفوا بفضلهم وثقده على اولياء زمانه وجميع ما بلغه من احواله ومطلعها

اقول لمن اعيا الطبيب علاجه وقد مل من شرب الدواء لعة

الالد بمحي الدين يا طالب المني وعول عليه في الامور المهمة

يقرؤها اهل القطر في الشدائد والنوائب ويستجلبون بها الرغائب والمطالب وشرحها الامام اليوسي في مجلد ضخيم وخلفه ولده السيد عبد القادر فكان اعصف اهل عصره ريجاً واكثرهم في علم الحقيقة تلويحاً وتصريحاً ثم خلفه ولده السيد الخنار وكان من العلماء العاملين والعباد الزاهدين يحسن لمن اساء اليه ويقابل من ظلمه بالحنان عليه ولد بنسبته في النصف الثاني من القرن الحادي عشر وتوفي في اوائل الثاني عشر وهو مسافر في بلاد بني عامر ودفن بها فاراد اهلته نقله الى تربة اسلافه بغريس فمنعوا من ذلك رجاء حصول بركاته في ارضهم فلما تحقق اهل الجدة منهم اخرجوه من قبره الشريف ليلاً وذهبوا به ولما بلغ الخبر بني عامر فتحوا قبره فوجدوه فيه واشتهر عند العامة بابي قبرين ثم خلفه ولده السيد محمد المعروف بالمجاهد فكان اكرم اهل زمانه من غير مدافع واشهرهم بالفضل من غير منازع قد نال من السعادة الغاية وادرك من السيادة النهاية ولد في كاشرو سنة خمس وتسعين والاف واستشهد سنة ثلاث وستين ومائة في حرب اسبانيا مع المسلمين وحمل من ساحة وهران الى تربة اسلافه في غريس مع بعد المسافة وترك ولده السيد مصطفى صغيراً فتولى اعمامه تربيته وقرأ على علماء غريس وغيرهم من حين ترعرع الى ان برع واشتغل بالطريقة الى ان صار كعبة الاولياء ومقتدى العلماء وسافر الى الحج مرتين وحج في كل واحدة حجتين وزار قبر المظلل بالغمام عليه افضل الصلاة واكمل السلام والمسجد الاقصى وارتحل الى دمشق ومنها الى بغداد ولقي الجم الغفير من الاولياء والعلماء واخذ عن كل فريق منهم فنه ولبس الخرقة القادرية من نقيب الاشرف ببغداد سيدي عبد الرحمن بن علي سليل الشيخ الرباني

سيدي عبد القادر الجيلاني واجازه بالواسطة امام اللغة والحديث نزيل مصر السيد مرتضي الحسيني الزبيدي شارح القاموس ولما رجع الى الوطن في الرحلة الاولى اخنط قريته المعروفة بالقيطنه بوادي الحمام وذلك سنة ست ومائتين ونشر الطريقة القادرية بعد ان طوى بساط ذكرها واحياها بعد ان درست آثار فخرها وتلحد له الامراء فمن دونهم ومن تلامذته محمد باي حاكم معسكر وفاتح وهران من يد اسبانيا ولما وصل في الرحلة الثانية الى برقات وهو راجع الى وطنه اصابه مرض الموت وتوفي سنة اثني عشرة ومائتين عند ماء يعرف بعين غزالة وقبره شهير يتبرك بزيارته الكبير والصغير وخلفه سيدي الجدد السيد محيي الدين فبالغ سن المعارف اقصاها ومن العوارف منتهاها وشدت اليه الرحال من الضواحي والامصار لتلقي العلوم وتلقي الاذكار وقد جبل الله النفوس على محبته والقاوب على مودته فمارقه طرف الا واحب ان ينديه بسواده ولا نال احد دعوته الا وظهرت بركتها في نفسه وماله واولاده وقد حسده بعض معاصريه فوشى به الى حسن باي الذي انتهت به احكام الدولة العلية وقال له اني ارى هذا الرجل قد علت رتبته وبعد صيته وانه كما تراه مسموع الكلحة عند جميع الناس خصوصاً اهل هذه الولاية واخشى ان يكون على يده فساد امرك وخراب حكومتك فاثّر فيه ذلك وبعث الى الجدد يامره بالسكنى في وهران باهله وخاصته فامتلل وارتمل عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم استمع واطع ولما انتقل عظم على الناس ذلك واحزنهم واشتد له كربهم وتواردت على الجدد رسائل التسلي نظماً ونثراً فمن ذلك قول العلامة السيد السنوسي بن عبد القادر الحسني الراشدي

عول على الصبر لا تفرعك اشجان	ولا ترعك بما فاجئك وهران
اما هي الدار لا توئم غوائلها	بل هي الدار اغيار واحزان
شبت على القدر لم تعطف على احد	الا ومن غدرها صد وهجران
ما انت اول من ادهت وآخرهم	ولا باوسط من خاتته ازمان
انظر الى يوسف الصديق كم لبثت	في السجن ذاته ما وافته خلان
وانظر الى ابن رسول الله ثم الى	هلم جرماً وما لاقاه عثمان
تلك العوائد اجراها على قدر	مدبر الامر مهما شاء ديان
لم ينقفوك انجي الدين عن زلل	رأوا ولكن اغوى القوم شيطان
فمن قرب أيد الصبر يخذل من	من اجله قد عدا عليك سلطان

ويكظم الغيظ من خصم ومن حكم
بل لا عليك وان ساءت ظنونهم
ان العواقب في القرآن ثابتة
وانت ما زلت تهدينا الى سنن
نقري الضيوف وتسعى في حوائجهم
من يستجير بك يا من ان عداه عدت
جنيت ليلك لم تألف مضاجعه
تبيت جنح الدجى ثلوا المفصل عن
تدرس العلم احيانا وآونة
والله اسأل ان اراك مكرما
ومنه ارغب ان القاك معتدلا
ثم الصلاة على النبي وآله

ثم ان اهل الديوان من دائرة الباي وخاصة قد تحققوا فضل سيدي الجدد وولايته
وما انطوى عليه ضميره وثبت لديهم ان ما ربي به مجرد افك وبهتان وحسد وعدوان
فعرفوا بذلك سيدهم ولما تحقق صفا طويته اطلق سراجه وكان قبل هذه الواقعة تازما
على الحج فمنع منه ثم جدد النية واخذ الالهية للسفر واخبر لرفقته سيدي الوالد وخلف
على امور دائرته ولده الاكبر السيد محمد سعيد ثم سار برا الى تونس وبجرا الى
مصر وسائر من السويس الى جدة ثم الى مكة المكرمة فحج واعتمر ويم الى المدينة
المنورة فزار قبر النبي المختار ثم توجه الى الشام واقام بدمشق شهورا وسمع فيها هو
وسيدي الوالد على الامام المحدث الشيخ عبد الرحمن الكزبري بعضا من صحيح البخاري
بمسجد بني امية ثم توجه الى بغداد وزار خريج القطب الرباني سيدي عبد القادر
الجيلاني قدس سره واجتمع في هذه الرحلة بكثير من العلماء والاولياء واخذ عنهم
واخذوا عنه واستمد منهم كما استمدوا منه ولبس الخرقة القادرية من يد الاستاذ تقي
الاشراف وخليفة سيدنا الشيخ قدس سره سليمة السيد محمود واجازه مشافهة وكتابة
ثم رجع على طريقه الى المدينة المنورة ومنها الى مكة المكرمة فحج وزار وتم له بذلك
ثلاث حجات ثم رجع الى الوطن وجعل طريقه على برقات لزيارة والده السيد
مصطفى واستمر سائرا برا الى تونس ومنها الى الجزائر فتلقاء حاكمها الاكبر بالتوقير
والاحترام ثم توجه الى وهران فكان خبر قدومهم عيدا ويوم وصولهم يوما مشهودا

ثم اقام في منزله معتزلاً عن جميع الاعمال مشغولاً بعبادة ذي الجلال عاكفاً على بث علوم الشريعة والحقيقة واشهار الاذكار والطريقة والف في التصوف كتاباً جليلاً سماه ارشاد المريدين ولعمري قد طابق اسمه مسماه ولد رضي الله عنه سنة تسعين ومائة والف وتوفي يوم الاحد سنة تسع واربعين ومائتين وخلف من الاولاد المذكور ستة اكبرهم عمى السيد محمد سعيد ويليهِ في السن سيدي الوالد وهو شهرهم ذكراً وابعدهم صيتاً واجلهم قدراً ولد طاب ثراه في قرية القيطنة من اعمال وهران يوم الجمعة الثالث والعشرين من رجب سنة اثنين وعشرين ومائتين والف هجرية وسبعة وثمانمائة والف مسيحية ونشاء على عفة وصيانة مرضي الحال محمود الاقوال والافعال اخذ الثقة عن والده وغيره من العلماء ورحل الى وهران واخذ عن علمائها وكان حافظاً لكثير من اللغة العربية والقدر الوافر من صحيح البخاري عن ظهر القلب مجازاً فيه عن والده وسمعه من الشيخ الامام المحدث بي احمد عبد الرحمن الكزبري بدمشق الشام ايام اقامته فيها صحة والده واخذ ايضاً عن الامام ضياء الدين مولانا الشيخ خالد النقشبندي السهروردي وكان يكثر التردد اليه وانتفع منه وبرع في فنون علوم الشريعة والحقيقة وله تآليف عديدة وحسبك منها كتاب المواقف في علم الحقيقة وهو لعقد تآليفه واسطة النظام ولطالع مجده بيت القصيد وحسن الختام ومن امعن النظر في خطبته ادرك منها فضله واقر بعلوم مرتبته ونصها بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكفي مزيده اللهم صل وسلم على رحمة العالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه هذه نقشات روحية والقات سبوحية بعلوم وهيبه واسرار غيبية من وراء طور العقول وظواهر النقول خارجة عن انواع الاكتساب والنظر في كتاب قيدها لاخواننا الذين يؤمنون بآياتنا اذا لم يصلوا الى اقتطاف اثمارها تركوها في زوايا امكانها الى ان يبلغوا اشد هم ويستخرجوا كنزهم وما قيدها لمن يقول هذا انك قديم واساطير الاولين ويحجر على الله تعالى ويقول اهؤلاء من الله عليهم من بيننا من علماء الرسم القانون من العلم بالاسم فاننا نذكرهم وما قسم الله تعالى لهم فاذا اظهروا لنا ملاماً وخصاماً تلونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ونعيرهم اذا جاء وعينا عمياء ونقول لهم آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والها والحكم واحد ونحن له مسلمون ولا نجادلهم بل نرحمهم ونستغفر لهم ونقيم لهم العذر من انفسنا في انكارهم علينا اذ جئناهم بامر مخالف لما تلقوه من مشايخهم المتقدمين وما سمعوه من آبائهم الاولين فالامر عظيم والخطب جسيم والعقل عقال والتقليد وبال

فلا عاصم الا من رحم ربي وطريقة توحيدنا ما هي طريقة المتكلم ولا الحكيم المعلم ولكن طريق توحيد الكتب المنزلة وسنة الرسل المرسلات وهي التي كانت عليها بواطن الخلفاء المرشدين . والصحابة والتابعين . والسادات العارفين . وان لم يصدق الجمهور والعموم فعند الله تجتمع الخصوم وقد اشرت الى بعض ما ذكرت في شبه مقامة لي وهي قولي حضرت محاضرة من محاضرات الشرفاء ومسامرة من مسامرات الظرفاء في ناد من اندية العرفاء نجأوا في سمرهم بكل طرفة غريبة ومستظرفة عجيبة وكان الحديث شجوناً والوانا وفنوناً الى ان تكلم عزيف الجماعة ومقدم اهل البراعة فقال احديثكم بحديث هو اغرب من حديث عنقاء مغرب فاشربوا لسماعه ومدوا اعناقهم وفرغوا قلوبهم وحدقوا احداقهم فقال ان في الوجود معشوقة غير مرموقة الأهوية اليها جانحة والقاوب بجها طائخة والابصار الى رؤيتها طائخة يطير الناس اليها كل مطار ويرتكبون الاخطار يستعذبون دونها الموت الاحمر ويركبون اطالها المكعب الاسمر ولا يصل اليها الا الواحد بعد الواحد في الزمان المتباعد فاذا قدر لاحد مشاركة حماها ومقاربة مرماها القت عليه اكسيرا لا له مادة ولا مدة ولا هو عين معتدة فيحصل انقلاب عينه وجميع الاعيان في عينه الى عين هذه المعشوقة التي هي غير مرموقة المعلومة المجهولة المغمودة المسلوقة الباطنة الظاهرة المستورة الساترة الجامعة للتضاد بل وجميع انواع المفااة والعناد ولا يقدر يعبر عنها بعبارة ولا يشير اليها باشارة اكثر من قوله اني وصلتها وحصلتها وبعد التعب والعناء ومعاناة العناء وجدت هذه المعشوقة انا وتبين لي انني الطالب والمطلوب والعاشق والمعشوق فما كان هجري للذاتي الا في طلب ذاتي ولا كنت رحلتي الانحائي ولا وصولي الا الي ولا تفتيشي الا علي ولا كان سفري الا في الي فيقال له هل رايت محياها وشممت رباها حتى قلت انا اياها فيقول رايت وما رايت وما رمت اذ رمت وياقي في اوصافها بما تنبو عنه العقول ولا تحمله ظواهر النقول ما طرق الاسماع ولا طمعت في فهمه الاطاع يرفع الضدين تارة وتارة يجمعهما ويجمع النقيضين ويضعهما فيقال له هذا الذي نقوله ثبت عندك بدليل او برهان فيقول لا دليل بعد عيان

وكيف يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل
فيراجع فلا يرجع ويغلط فلا يسمع وحينئذ يحكم الناس عليه بالجنون والعتة والسفه والبله ويجعلونه ولو كان اعلمهم ويسفهونه ولو كان احلمهم ويستبيحون منه العرض في الطول والعرض ويجعلونه مرمى غمزم ولزهم ونبزهم ووكرمهم يهجره الحمير

العاطف ويقلبه الصديق الملائف وهو مع هذا ناعم البال بما لديه قرير العين بما حصل بين يديه ولا يلتفت الى قطعهم وهجرهم ولا يبالي بلغوم وهجرهم فلما تمت القصة واجتليت عروسها على المنصه وما كاد ان ينقضي اعجابنا منها واستغرابنا لها قلت لهم يا قوم الستم تعلمون اني طلاع الثنايا وسباق الكتيبة الى معترك المنايا فانا آتيكم بحقيقتها ومجازها وافك لكم المعنى من الغازها او اموت فاعذر وما علي ان لم اقبر فقال لي بعض المتبصرين من الحاضرين وكان ممن جرب هذا الامر وفر عن تجربته الدهر ان صدقت لهجتك وهانت عليك مهجتك وارتدت الوصول الى ذلك الجنب ونقطع تلك الجبال والبحار والخصاب فاركب نسراً وغراب وانه لا ينال ما قصدت الا من كان علي الهمة قوي العزمه

اذا هم التي بين عينيه عزمه ونكب عن طرق العواقب جانباً ولم يستشر في رأيه غير رتمه ولم يرض الا قائم السيف صاحباً لا يصرفه صارف ولا تحركه العواصف حلس من احلاس الخيل مله النهار والليل اسد في شجاعته خنزير في حملته كلب في وقاحته اذنه صماء عن العاذل وعينه عمياء عن الهاجر والواصل وطريق مطلوبك طامسه واعلامها دارسه بحرها تيار وهواؤها نار وارضا مفاوز وقفار اسدها كواسر واغواها عن انيابها حواسر مهامه فسيح تجاهل العارف فيها جاهل والدليل الخريت بها حائر والديه فيها هلاك حاضر فقلت له جهتها اي الجهات فقال لي هيات هيات لا يستفهم عنها بتى ولا اين ولا يرشد اليها اثر ولا عين فاعتمدت على الواحد الاحد وسرت لا الوي على احد فمررت في طريق علي فرق من فريقي فرايتهم بين سادم باهت لا هو بالحاصل ولا الفائق وبين حائر واقف التبست عليه المواقف وبين غريق في لجج تلك البحار وتائه في المفاوز القفار وبين من تعبت راحلته وآخر دبوت زاملته وبين من يدب ديب النمل خافياً بلا نعل مررت على جماعة منهم في بعض المشاهد فانشدوني قصيدة فيها نحو العشرين بيتاً رجعت الى الحس بيت واحد منها وهو

ايامن نحن في تعب الجبال وذاك يسير فيها لا يبالي

وما زلت ممتطيا صهوتي النسر والغراب محملاً لنفسي كل مكروه مستعذباً لانواع العذاب لا تطمئن بي دار ولا يستقر لي قرار الى ان ظهرت لي الاعلام التي ظهرت لمن قبلي من الوافدين الاعلام ونادى المنادى وحدي الحادي ابشر بوصل فهذه العلامات كم طالبين ودون الوصل قد ماتوا

والتي علي ما القى عليهم وثبت لديّ ما ثبت لديهم ولما وصلت حيث وصلوا وحصلت علي ما علي
 حصلوا طلبت الاباحة والجواز الى التقدم والجواز وقد عرفت الحقيقة والمجاز فقبل لي لا
 تخط رقاب الصديقين ارجع فما وراء موقفك الا العدم المحض لا اثبات ولا دحض
 وحين رجعت الى الاصحاب قالوا ما وراءك يا عصام فقلت القول ما قالت محذام
 ولكن يا قوم لا تعجلوا بالعتب واللوم ارايت لو جاءكم عنين عديم الذوق ونال عرفوني
 لذة الجماع به كنتم تفهمونه علم ذلك وتعلمونه فقالوا لا سبيل الا الذوق لما هنالك
 فقلت لهم وهذا من ذلك فمنهم من سلم وانصف ومنهم من لح وتعسف وربك اعلم
 بن هو اهدي سبيلاً واقوم قيلاً وعندما ينجلي الغبار يتبين راكب الفرس من الحمار
 ولما انفتح الباب وارتفع الحجاب واجتمعت الاحباب على الشراب اللذيذ المستطاب
 دبت الافراح حيثما دبت الراح وبعد ان طار السكر والمحو ونزل الحضور والصحو رأيت
 شمسنا طالعة مشرقة ساطعة والناس في ظلمة وليل ومرج وويل فقلت ما بال الناس
 فقيل انهم في عمى وافلاس وما لكم ولهم انهم عالم وانتم عالم والله غالب على امره الحاكم
 العزيز العالم وله رضى الله عنه نظم اذا سمعته وعيته ونثر اذا لحظته حفظته
 وبشر يترقرق ماؤه في غرته ويتفتق نور الشرف بين اسرته وشجاعة
 هي مظهر الجلالة والقهر ومصدر الحماسة في ابناء الدهر واني والحمد لله من صلبه خرجت
 وعلى يده تخرجت ولا اعد لنا من الفضل كثر لدينا ام قل الامنة ابتداءه واليه انتهائه
 وكنت له والمنة لله اطوع من قلته لكلمه ما ملت عن نهجه ولا تنحيت من حين عقلت
 الى يوم التحيت وكان حريصاً على فائدة يلقنها عليّ وعائدة يجزّ نعمها اليّ قرأت عليه
 التوحيد والنحو والحديث واستفدت منه ما يفتخر بمثله في القديم والحديث وكان رضى
 الله عنه معتدل القامة عظيم الهامة ممتلئ الجسم حنطى اللون اسود الشعر كث اللحية
 اقنى الانف اشهل العينين يخضب بالسواد متقناً للخياطة سيما الشبكة واللعب بالشطرنج
 توفي في الساعة السابعة من ليلة السبت التاسع عشر من رجب سنة ثلاثمائة والـ
 ومن غريب الاتفاق انه ولد في رجب وبويع في رجب وتوفي فيه . وها هنا جواد المقال
 بنا قد وقف . وافر لسان اليراع بالعجز عن استقصاء مناقبه واعترف . وقصر الباع مع
 قلة المتاع يوجبان لهذا الفقير العذر . والم الفراق الذي لا يطاق برهان التبدل والحصر .
 وغاية ما اقول العذر عند خيار الناس مقبول والحمد لله في البدء والخراب وعلى حبيبه
 الاعظم وآله واصحابه افضل الصلاة والسلام

obeykandi.com

﴿ بيان الخطأ والصواب الواقع في الجزء الثاني من تحفة الزائر ﴾

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
السياسة	السياسي	١٩	٧
وبش	وش	١٦	٩
وحاكم	حاكم	١٧	١٠
فتحوزون	فتحودون	٢١	١٠
قصر عظيم	سراية عظيمة	١	١٢
فوصل اليها	فوصل بها	٥	١٢
اعتنائكم	عتنائكم	٢١	١٥
الاكدار	الاكدر	١٢	١٧
لا تضمن	لا تضمن	١٧	١٧
وعاد	وعادا	٢٧	١٨
الاسر	الامرى	١٧	١٩
يلسر	يلسرا	١٧	١٩
ما كتبته	ما كتبه	١٩	١٩
التقية	التقيه	٣	٢٠
عذر	عذرا	١٦	٢٠
ربيع واربعين الاول	ربيع واربعين الاول	٩	٢٧
تسع واربعين وثمانائة	تسع وثمانائة	١٠	٢٧
في	فن	٤	٢٨
ابا	ابى	٢٦	٥٥
من	الى	٣	٥٩
العتب	التعب	١٦	٥٩
وشوقه	وشوق	٧	٦١
توانت	توالت	١٤	٦٧

صحيحة	سطر	خطا	صواب
٦٧	٢١	حسن	حسين
٦٩	١٩	الياقين	اليقين
٧١	١	فرا	فوا
٧٦	١١	حرامي	حزام
٧٧	٣	بيوار ما	بيوارها
٨٠	١٦	لمختار	المختار
٨٢	٢٦	شاد	شاده
٨٣	٤	ساد	شاد
٨٥	١٤	يد	بدا
٨٥	٢٠	برج	برحت
١٠١	٨	التي اوروبا	التي لها اوروبا
١٠٢	١٩	في امنهم	في انهم
١٠٨	٢٤	الرصفة	الرصفة
١٠٩	٥	تشرع	شرع
١١٣	١٣	لامور يس	لامور يسر
١١٥	٢٧	فكتب	كتب
١١٩	١١	بامير	الامير
١٣٠	٩	ثبت	نبت
١٣٥	١٥	الصحيحين رضي الله عنهما	الصحيحين يشهد
١٣٦	١٣	رد	سد
١٣٦	٢٦	عنهما	عنه
١٣٧	٢٥	ذوالفقار	ذا الفقار
١٤٠	١٤	الاحقاب	الاحباب
١٤٩	١٦	لجان	وغيطان
١٤٩	١٧	آمان	ايمان
١٥٠	٣	مثلي	والعاجز مثلي

صحيفة	سطر	خطا	صواب
١٥٥	٢٥	وارضي	ورضي
١٧٢	٢	يمثل	يمثل
١٨٩	١٩	بعيد	بالعيد
١٨٩	٢٣	غنية	غنية
١٩٢	١٣	وشان	واساءت
٢٠٤	٢٣	رقبه	ربة
٢٠٥	٢٥	مراسلات	مرسلات
٢٠٧	٥	ومفدا	ومفدا
٢٠٧	٨	عمدا	غمداً
٢٠٩	١٢	انتظار	انتظام
٢١١	٢٣	الصادعين	الصاءدين
٢١٦	١	/ السطر الاول والثاني من صحيفة ٢١٦ خطأ ومحلهم السطر	
٢١٦	١	(الاول والثاني من صحيفة ٢١٧ من قوله نداء الى قوله سنتين	
٢١٦	٥	يحركها	يحركه
٢١٦	٨	اجناد	اخبار
٢١٦	٢٣	لاماك	لامالك
٢١٧	١	/ السطر الاول والثاني من صحيفة ٢١٧ خطأ ومحلهم السطر	
٢١٧	١	(الاول والثاني من صحيفة ٢١٦ من قوله ولم يلفظ الى قوله ثانياً	
٢١٧	٩	واحد	واحداً
٢١٧	٢٥	الثاني	الشان
٢٢٣	١٣	عند	عنه
٢٣٠	٨	ابناقض	يناقض
٢٣١	١٤	يتخبطن	يتخبطون
٢٤٣	١	متقدم	متقدمي
٢٤٣	٨	الاثنية	الاثنية
٢٤٦	٨	وانه ابن	انه ابن
٢٤٧	٦	مشابه	مصابه

صواب	خطا	سطر	صحيفة
ثلثة	ملمة	٦	٢٤٧
الامن	الامن من	١١	٢٤٧
صمت	اصطكت	٢١	٢٤٧
المسك	الايث	٢٢	٢٧٠
سميدع	سميقع	٢١	٢٧٤
للفود	للفواد	١	٢٧٨
آلهنا قلبي	آلهنا ضعي	١	٢٨٥
وان لم يكن	وان يكن	١١	٢٨٥
والآل	ولآل	١٠	٢٩٩
بواى	بواي	٢	٣٠٠
لا بثنيك	لم بثنيك	٤	٣٠٣
يلقيا	يلقنها	١٨	٣٠٧

